المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا

ديوان

محمد قابــــل

تحقيق ودراسة

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب والنقد

الجزء الأول

الدراسة

إعداد الطالب

محمد بن راضي بن نجا الشريف

الرقم الجامعي ٤٢٣٧٠٠٨٢

إشراف

أ.د : صالح بن سعيد الزهراني

١٤٣٠هـ

الـــمقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة على الرحمة المهداة للعالمين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عصر شاعرنا هو النصف الثاني من القرن الثاني عشر والربع الأول من القرن الثالث عشر الهجري، وهو عصر لا نستطيع أن نتبين حال الشعر فيه بشكل دقيق لقلة التوثيق والتاريخ الأدبي، حيث كان الاهتمام منصبا على الناحية السياسية، مثل التاريخ للبلد الحرام وأمرائه وأخبار الدولة العثمانية التي كانت المنطقة تعيش تحت لوائها.

وكان الشعر في هذا العصر بضاعة رائجة – نسبيا – لا سيما في الأوساط الرسمية من الأمراء والوزراء ، وعلية القوم من أعيان وعلماء.

وفي مكتباتنا من التراث المخطوط ما يشهد بذلك، وما هو قمين بالدراسة، وديوان الشاعر محمد بن يحيى قابل مجال عملنا خير شاهد على ذلك.

وقد دعاني للبحث في هذا الموضوع ضخامة ديوان محمد قابل وما أضيف إليه، وتوافر الديوان في أربع نسخ مخطوطة كاملة ومكتوبة بخط واضح – نسبيا- .

ومما دعاني إلى ذلك انصراف الباحثين عن هذه الفترة بدعوى أنـــها تقع ضمن ما عرف بعصور التدهور والضعف والانحطاط الأدبي، وأن مثل هذه الدواوين لا تستحق أن يبحث في شعرها ، وأنه لا يرقى للبحث العلمي، ومن ثم كان الاستسلام لهذا الحكم الذي ربما ينطبق على مناطق أخرى.

وتـــهدف الدراسة إلى إلقاء الضوء على شعر العصر ممثلا في نتاج شاعرنا، فنتاجه جدير بأن يكون وثيقة مهمة تكشف لنا الكثير عن خصائص شعر العصر، لا سيما أن الامتداد الزمني لهذا الشعر- حسب التواريخ الواردة في الديوان – يُنيف على الخمسين سنة، ومما لا شك فيه أن تحقيق مثل هذا النتاج وتقديمه للدارسين من المهتمين بالأدب

والتاريخ يسد ثغرة في تاريخ المنطقة الأدبي ؛ ويشكل إضافة إلى مكتبتنا العربية عامة؛ لأهمية الشاعر والعصر والمنطقة.

كما تـــهدف إلى إبراز محمد قابل شاعرا له تجربة ثرية مما يؤصل للأدب في هذه المنطقة ويرسخ الانتماء لأجيال متتابعة من الأدباء في بلادنا.

وقد واجهتني صعوبات في سبيل تحقيق هذا الهدف أهمها أن هذا الشعر لم تمتد إليه يد بالدراسة المتفحصة المتعمقة، ومن تعرض له تحدث عنه على عجالة ضمن مؤلف غير متخصص بدراسة شعر الشاعر، ولعل من أبرز من تحدث عنه الدكتور عبد الله الحامد في كتابه (الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين من ١١٥٠هـــ إلى ١٣٥٠هـــ)، فلم يتجاوز حديثه عن شعر الشاعر بشكل خاص صفحات، وإن كان تحدث عنه ضمن حديثه عن السمات والخصائص العامة للفترة في إطار الحديث عن الشعراء بشكل عام، ويظهر من حديث الدكتور الحامد عن الشاعر وشعره عدم القراءة الدقيقة للديوان بدلالة اختياراته من شعر الشاعر، وغياب بعض الخصائص التي كان من المفترض أن يتنبه لها لو أعاد النظر في شعر محمد قابل وكرره.

كما نجد الشيخ عبد القدوس الأنصاري قد تطرق للحديث عن الشاعر في مواضع عدة من كتابه (تاريخ مدينة جدة)، إلا أن هذا الحديث منصب بشكل مباشر على الناحية التاريخية والاجتماعية، إذ اعتمد الشيخ على ديوان الشاعر وجعله أحد مصادره لتوثيق بعض الأحداث التاريخية والترجمة لبعض رجالات جدة في ذلك العصر، كما استعان به لوصف الناحية العلمية والتعليمية بـــها.

ومن الصعوبات كذلك الترجمة لبعض الشخصيات التي وردت في الديوان التي تواصل معها الشاعر داخل المنطقة وخارجها، إذ يبدو أن هذه الشخصيات كانت ذات مكانة اجتماعية في حينها، لكن كتب التراجم ضنت بالترجمة لـــمثل هذه الشخصيات.

من الصعوبات كذلك بعض الأخطاء التي تعود للنساخ، وعدم وضوح بعض الكلمات، وترك بياض مكان بعض الكلمات مما يضطرني للاجتهاد لملء الفراغ بتخمين

الكلمة حسب السياق اعتمادا على ما خبرته من قاموس الشاعر الشعري، إضافة إلى أن هناك سقطا في أصح النسخ تم التعويض عنه من مخطوطة كثيرة التحريف.

قسمت العمل إلى قسمين كل قسم في مجلد مستقل، فخصصت **القسم الأول** لدراسة الشعر، وجعلت **القسم الثاني** لتحقيق ديوان الشاعر.

يتكون **القسم الأول/الدراسة** من تمهيد وفصلين، اختص **التمهيد** بالحديث أولا عن الحياة العامة للمنطقة علميا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا، ثم أردفت هذا التمهيد بالحديث عن محمد قابل الشاعر، فحاولت قدر جهدي أن أوفيه حقة من الترجمة من حيث اسمه ونسبه، وأسرته، وتعليمه، ومؤلفاته، ووفاته.

واهتم **الفصل الأول** من الدراسة برصد أبرز المضامين في شعر محمد قابل وهي الإلهيات والتأمليات والاخوانيات والمدح والرثاء.

واختص **الفصل الثاني** بدراسة الأداة التي أفرغ من خلالها الشاعر شعره، فجاء الحديث في ثلاثة مباحث متناولا اللغة ،فهيكل القصيدة، فموسيقا الشعر.

تحدث **المبحث الأول /** اللغة عن المعجم الشعري ثم الصورة البيانية والمحسنات البديعية وأخيرا عن بناء الجملة.

تحدث **المبحث الثاني** عن هيكل القصيدة الذي تضمن دراسة البناء الموضوعي للقصيدة ثم قضية الطول والقصر ثم الهياكل المستعارة وأخيرا الشكل الشعري.

أما **المبحث الثالث** المختص بدراسة موسيقا الشعر فقد جاء في مطلبين أولهما اختص بالحديث عن الموسيقا الداخلية وثانيهما بالحديث عن الموسيقا الخارجية.

أما **القسم الثاني المختص بالتحقيق**، فقد تحدثت بداية فيه عن نسخ الديوان، ثم بينت منهجي في التحقيق، لأبدأ بعد ذلك بتحقيق نتاج الشاعر مضيفا إليه ما زيد على النسخة (ج) ومستلا ما يخص الشاعر من زيادة نسخة (أ)، ثم ختمت الجزء الثاني بفهارس وافية

للشعر، حيث فهرست أولا للشعر الفصيح، ثم فهرست للأشعار التي ليست للشاعر، ثم للشعر العامي، ثم للموشح الفصيح وأخيرا للموشح العامي.

لا يفوتني أن أنوه وأتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان لمن لهم الفضل في الحصول على صور من النسخ المخطوطة للديوان، وهم الدكتور عبد الرحمن المزيني مدير عام مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالمدينة المنورة الملحق بـــها مكتبة عارف حكمت، والدكتور يحيى جنيد الأمين العام لمركز الملك فيصل للدراسات والبحوث، ورئيس مركز المخطوطات بالمركز الأخ عبد العزيز الراجحي، ومعالي الدكتور فهد السماري الأمين العام لدارة الملك عبد العزيز.

القسم الأول

ديوان محمد قابل

دراسة في المضمون والأداة

التمهيد

التمهيد

حبا الله الجزيرة العربية نعما كثيرة أظهرها نعمة الإسـلام وكونـها مهـد العربيّة، وموطن الرسالة الخاتمة، فمن ربوع مكة شع نور الإسلام لتتنـاغم معـه مـدن وأصقاع أخرى كان أولاها طيبة التي طابت بمهاجره صلى الله عليه وسلم، ليعم منها النور أرجاء الجزيرة، فيتجاوزها بعد ذلك إلى شتى الأقطار.

بعث الله محمدا النبي الأمي الهاشمي القرشي التهامي خيار من خيار من خيار ؛ ليتمم مكارم الأخلاق التي تخلّقها قومه العرب، فصاروا بـها خير بني البشر حيث سمـوا بمكارم أخلاق ميزتـهم عن غيرهم من الأمم على مر تاريخ البشرية جمعاء، فهم أصحاب كرم ونجدة، يغيثون الملهوف، ويطعمون الطعام ، ويحمون الجار والذمار، ويغارون علـى المحارم، ويأبون الضيم، ويتفانون في المحافظة على نقاء الأنساب.

وليس عنا ببعيد البيت المفتخر فيه بـهاشم (عمرو) جد النبي صلى الله عليه وسلم:

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجـال مكـة مُـسْنتونَ[1]

هذا شأن أشرافهم وأولي السيادة فيهم، و لم يكن بمنأى عن ذلك صـعاليكهم في الجاهلية، مثل بيت عروة بن الورد الذي يشهد بذلك إذ يقول:

أقسّم جسمي في جسوم كثيرة وأحسو قَراحَ الـماء،والـماءُ

وهؤلاء العرب أصحاب مكارم أخلاق ، ديوانـهم الشعر، وهو علمهم الـذي أخلصوا له فأخلص لهم . وهو قديم ضارب في تاريخهم، وصل إلينا منه ما وصل، وذهب

---

(١) – سنت وأَسْنَتُوا فهم مُسْنِتُون أَصابَتْهم سَنَةٌ وقَحْطٌ وأَجْدَبُوا . لسان العرب (سنت)

(٢) – صبح الأعشى ، للقلقشندي ١/ ٤١٢

(٣) – ديوانا عروة بن الورد والسمؤال، دار صادر، بيروت،ص ٢٩

منه ما ذهب في قديم الأعصر كبكائيات ابن خِذَام[1]، وكشعر من اشتكى منهم عنترة لنزحهم المعاني قبله، ممن لا نعرف لهم اسما ولا رسما، كان ذلك وقد خلّد العرب من خلاله مآثرهم وأخبارهم، حيث نجدهم يدوّنون فيه على مختلف طبقاتهم وتعدد مشاربهم،بدءا بالعبد والأَمَةِ والصُّعلوك والراعي والمخدرة في خدرها،وانتهاء بسادة القوم وعليتهم.

وقد امتد الشعر في هذه الجزيرة عبر الأزمان والعصور ملازما هذا العربي مهما تغيّرت الظروف، وقد ظل هذا العربي ينظمه بلغته الفصحى التي تجري على ألسنة الجميع، وعندما تحولت اللغة ودخلها اللحن، وتغيّر مستواها، وتحولت إلى لغة استغنت عن الإعراب[2]،واختلفت في التصاريف – وهذه سنة اللغة في كل زمان ومكان- ظل القوم ينظمون شعرهم في كل عصر بالمستوى الذي يتحدثون به، والمتتبع لتاريخ الشعر فيما بعد الشعر المنظوم باللغة الفصحى في هذه الجزيرة يلاحظ اختلاف مستوى اللغة بدءاً بالشعر الهلالي الذي يمكننا القول إنه نظم بلغة فصحى استغنت عن حركات الإعراب، ومروراً بالحميني وانتهاءً بما يسمى في أيامنا هذه بالشعر النبطي أو الشعبي أو العامي. [3]

---

(١) – يقال : ابن حذام وابن خدام وابن خديم والأشهر ابن خذام ، شاعر في قديم الدهر، يقل إنه أول من بكى من الشعراء على الديار ، وهو الذي ذكره امرؤ القيس في قوله:

عوجا على الطلل المحيل لأننا   نبكي الدّيار كما بكى ابن خِذام

-خزانة الأدب،للبغدادي، ٤/٣٤٧

(٢) – ذكر ابن خلدون في تاريخه ما نصه".... و أساليب الشعر و فنونه موجودة في أشعارهم هذه ما عدا حركات الإعراب في أواخر الكلم، فإن غالب كلماتهم موقوفة الآخر، و يتميز عندهم الفاعل من المفعول و المبتدأ من الخبر بقرائن الكلام لا بحركات الإعراب" مقدمة ابن خلدون ٢/٢٩٠

(٣) – انظر كتابي (الشعر في المدينة في القرن الثاني عشر الهجري) ، نادي المدينة المنورة الأدبي ١٤٢٣هـ ، ص٣٧٢ ، وهناك مراجع مفيدة في الموضوع.

هذا بالنسبة لمسيرة الشعر العامي في البادية والأرياف والحواضر، أو بعبارة أخرى الشعر الأوسع انتشاراً الذي ينظمه ويتذوقه ويتناقله السواد الأعظم من المجتمع، وتشترك فيه مختلف الطبقات.

أما الشعر الفصيح فقد انحسر مع الأيام، وضاقت دائرته وصار حكراً على الخاصة من المتعلمين؛ لأن نظمه وتذوقه يحتاج إلى تسلح باللغة الفصحى وهذا يحتاج بدوره إلى إمكانية ماديّة وثقافيّة لا يقدر عليها كثير من أبناء المجتمع، ولكنه مع ذلك حافظ على وجوده ومكانته في الحواضر وبين العلماء والمثقفين وأصحاب الدولة.

أما الشعر العامي أو النبطي فلم يصل إلينا منه إلا القليل لقلة تدوينه، وأمية ناظميه ومتذوقيه، واعتماده على الرواية الشفهية، ولا مجال هنا للحديث عن تحقيقه ونقده، بل مدار الاهتمام هو الشعر الفصيح الذي وصل إلينا منه قدرٌ لا بأس به، وكان حظه من التدوين منذ القرن الحادي عشر الهجري حظًا وافرًا، وهو جدير بالدراسة والاهتمام ، لكن هيهات فقد اقتصرت جل دراساتنا الأدبية الموسعة والمفصلة على العصور الأدبية الأولى التي تنتهي تقريباً عند القرن السادس الهجري، وهو ما اصطلح مؤرخو الأدب عليه بنهاية العصر العباسي الثاني وبداية عصر الدول والإمارات، ذلك العصر الذي وصم بعصر التدهور والضعف والانحطاط، وليكون هذا مسوّغًا لنقفز متجاوزين ومتجاهلين عدداً من حلقات الشعر العربي إلى أن نقف عند ما يسمى بالعصر الحديث، الذي كانت بدايته الحقيقية في نهايات القرن الثالث عشر الهجري في بعض الأقطار العربية، أو بدايات القرن الرابع عشر الهجري في الجزيرة العربية وبخاصة إقليم الحجاز، ويسمى هذا العصر عصر النهضة التي يؤرخ لها بدخول نابليون مصر سنة ١٢١٣هـ ـ ١٧٩٨م، وكأن الشعراء كانوا في سبات عميق وتوقف عن قول الشعر إلى أن أيقظتهم مدافع نابليون، وبثت في نفوسهم روحا شعرية جديدة، فهل أتت شاعرية هؤلاء من العدم، أم كان لهم سلف تتلمذوا على شعره وأخذوا عنه، ولابد لكي ننصف العلم والتاريخ والأدب أن ندرس نتاج هؤلاء الشعراء ، لكي لا ننصرف بقصد أو بدون قصد عن جزء كبير من تاريخنا وتراثنا.

وحتى لو سلّمنا مع المسلّمين بضعف كل النتاج الشعري لهذه العصور، فهذا لا يمنع من إخضاع هذا النتاج للدراسة الجادة والفحص الدقيق لكي نتمكن من رصد المشكلة التي أدت بالأدب إلى هذا التدهور والانحطاط المزعوم، لأن هذا النتاج مهما كان مستواه الفني هو جزء من تراثنا لن يضيرنا دراسته ووضعه في المكانة التي يستحقها .

عندما نتحدث عن الأدب السعودي ونقصد به بداية النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، وهو تاريخ إعلان توحيد أجزاء كبيرة من الجزيرة العربية وضمها تحت لواء دولة واحدة هي الدولة الفتية المملكة العربية السعودية ، عندما ننطلق فقط من هذا التاريخ ونتجاهل ما قبله فإننا نجني على التاريخ الأدبي لهذه المنطقة العريقة التي هي منبع كل أدب عربي وكل فكر أصيل .

فمما لاشك فيه أن توحيد هذا الكيان على يد مؤسسه الملك عبد العزيز آل سعود- طيب الله ثراه- يعد نقلة كبرى في تاريخ المنطقة حيث أخذ الكيان سمة الدولة الحديثة الموحدة السائرة في ركب الحضارة ، فأصبح التطور والتحديث في وقت قياسي سمة لها في شتى المجالات، وكان لمجال الأدب نصيب كبير من هذا التطور، لكن هذا الأدب ممتد ومتجذّر في هذه المنطقة لا يثني امتداده السياسة ولا الظروف المتغيرة التي تعاقبت على المكان وأهله، فإقليم الحجاز الذي يمثل ركيزة مهمة أعطت للدولة السعودية تميزاً وخصوصية بين الدول الإسلامية والعالمية على أكثر من صعيد.

الأدب في هذا الإقليم يمتد منذ عصور التاريخ العربي الأول ، وكان من نتاج حركة الأدب ديوان شاعرنا مجال الدراسة، الذي جاء في فترة من الأهمية بمكان ،فهي تمثل أواخر ما اصطلح على تسميته العصر المملوكي والعثماني، لا كما قيل إنه عصر التدهور والانحطاط، الذي بقي للأسف جله مخطوطاً إعراضاً عنه بدعوى –كما أسلفنا- أنه أدبٌ لا قيمة له،ولا يستحق مجرد نفض الغبار الذي علا مخطوطاته فضلاً عن قراءته ودراسته.

وبدراستنا لهذه الفترة التي يمثلها شاعرنا المدروس أيما تمثيل نتبين منطقة رابطة للبناء المعرفي والإبداع نربط بها ما سلف هذه الفترة وما خلفها ، حيث نرصد حركة هذا الأدب ونبضه ، ونجلّي عن قيمته ومستواه لتظهر لنا حركة الأديب الإبداعية ومدى

فهمه وإدراكه لكُنْه ماهيّة الأدب ورسالة الأديب، ولنقف على حجم موهبته وفنه، كما نتلمس في ذلك صدى هذا الأدب ونظرة الناس إليه وتلقيهم له .

وأدب هذه الفترة في هذه المنطقة كغيره من العصور والأماكن، يعد قطعة من علومنا ومآثرنا التي نحتفي بها مهما كانت قيمتها، فهي ليست قطعة فنية وحسب، وإنما هي وثيقة قد تتعدى الوظيفة الجمالية الأدبية في منفعتها، فهي تسجل في طياتها حركة الحياة في شتى مجالاتها تاريخياً وسياسياً واجتماعياً واقتصادياً وفكرياً .

ولا بد أن تتضافر الجهود لإيفاء الموضوع حقه من الاهتمام والدراسة ، ولذا يتحتم علينا عند دراسة هذا الشعر أن يكون هناك دراسة لما سبقه من شعر الحقب الماضية، ودراسة ما عاصره من شعر المرحلة ثم دراسة الفترات التالية؛ ليتبدّى لنا مدى أصالة الشاعر ومدى تفرده أو تناغمه مع تيار الحركة في أيامه أو الأيام السابقة واللاحقة، وهي دراسة تجعلنا نضع هذا الشاعر في سياقه، ونعرف له المرتبة التي يستحقها بين هؤلاء الشعراء .

ولابد أن نسلّم أنه من المتعذر على باحث واحد أن يغطي كل هذه الفترات،ولاسيما إن طالبناه بالتعمق والدقة، وإنما هي رسالة تتضافر في سبيلها الجهود، ويكمل الدراسات بعضها بعضاً ، فهناك من درس الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر[1]، ومن درس الشعر في المدينة في القرن الثاني عشر الهجري[2]، ومن درس الشعر في

---

(١) – هناك دراسة قيّمة في مجلدين للدكتور عايض بن بنيّة الردادي بعنوان (الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري). ط١ ١٤٠٤هـ مكتبة المدني جدة

(٢) – كانت اطروحتي للماجستير المطبوعة بعنوان (الشعر في المدينة في القرن الثاني عشر الهجري).

الجزيرة العربية في قرنين بدءاً من ١١٥٠هـ[١] ، ومن درس الشعر الحديث في الحجاز[٢] ومن حقق بعض الدواوين لشعراء ينتمون لهذه العصور وهكذا دواليك[٣].

وعصر شاعرنا من الأهمية بمكان في تاريخ المنطقة الأدبي والسياسي، وذلك لتزامنه مع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ووقوعه قبيل ما اصطلح على تسميته بالعصر الحديث.

فكما أن شاعرنا لم يأت من فراغ، إذ لاحظنا في ديوانه تأثره الواضح بمن سبقه من الشعراء – بشكل مباشر- أمثال ابن النحاس وابن معصوم في القرن الحادي عشر، وجعفر البيتي في القرن الثاني عشر، و تأثره بشعراء عصور الازدهار الأدبي وأبرزهم المتنبي.

وما دام الأمر كذلك فمما لاشك فيه أن من أتى من الشعراء بعد محمد قابل قد تأثروا بشعره، كما أن من أتى بعدهم قد تأثر بشعرهم ، وهكذا دواليك إلى أن ينتهي إلى عصرنا الحاضر، وهنا تكمن أهمية دراسة شاعرنا ، فهو يمثل صفحة مهمة في كتاب تاريخنا الأدبي أياً كانت قيمة هذه الصفحة الفنية ، سواءً في نظر معاصري الشاعر أو في نظر الدارس اليوم.

نحن الآن في نهاية عشرينيات القرن الخامس عشر الهجري/بداية القرن الواحد والعشرين الميلادي، في هذا العصر عصر العلم والثقافة والمعلومات ، ننعم في ظلال دولة مستقرة حباها الله من نعمه الشيء الكثير، وتاريخ هذه الدولة هو محصلة لتاريخ هذه الأقاليم التي نعمت بهذه النعم، ونحن هنا نتناول بالتحقيق والدراسة ديوان شعر ضخم ضم بين دفتيه نتاج أحد أبناء هذه البلاد حيث نشأ وترعرع في مدينة من أهم مدن هذا الكيان العظيم ، وأحفاد هذا الشاعر يمتدون إلى يومنا هذا، ولهم حضور مميز منذ تأسيس

---

(١) – الشعر في الجزيرة العربية ، نجد والحجاز والأحساء والقطيف خلال قرنين ١١٥٠هـ-١٣٥٠هـ للدكتور عبدالله الحامد ، ط٣ ١٤١٤هـ ، دار الكتاب السعودي ،الرياض

(٢) – كتاب (الشعر الحديث في الحجاز) للأستاذ عبد الرحيم أبو بكر، دار المريخ ، الرياض

(٣) – من أبرزهم الدكتور محمد العيد الخطراوي الذي حقق عددا من الدواوين، وكذلك الدكتور عاصم حمدان.

هذه الدولة ، ذلك الحضور الفكري والاقتصادي فشارع قابل (نسبة إلى أسرة هذا الشاعر) في مدينة جدة من أعرق شوارعها إلى يومنا هذا، وهو أول شارع أضيء بالكهرباء ولعله أول شارع تمت تغطية سقفه، والشاعرة ثريا قابل شاعرة سعودية معاصرة لها نصيب من التحديث في الشعر حيث أشاد بشعرها الشاعر محمد حسن عواد إلى الحد الذي جعله يفضلها على بعض عمالقة الشعر .

فشاعرنا محمد بن يحيى قابل شاعر من جدة ينتظم في تاريخ هذه البلاد، ولا أدل على ذلك من كتاب تاريخ جدة لعبد القدوس الأنصاري الذي اعتمد فيه على شعر شاعرنا اعتماداً كبيرًا وخاصةً من الناحية السياسية ، حيث رصد من خلاله بعض الأحداث التي وقعت والشخصيات التي كان لها دور بارز وقتذاك ، وديوانه هو الديوان الوحيد الذي وصلنا – على حد قول الأنصاري- لشعراء جدة الأولين.(١)

والفترة التي عاش فيها محمد بن قابل هي فترة من الأهمية بمكان في تاريخ الجزيرة العربية بوجه عام، فأقدم تاريخ لقصيدة في ديوانه هو عام ١١٥٩هـ ، وهو تاريخ يأتي متأخراً بسنتين عن انبثاق دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة ١١٥٧هـ وبسنة عن نصرة الأمير محمد بن سعود للشيخ بعد انتقاله إلى الدرعية سنة ١١٥٨هـ ، كما أن وفاة شاعرنا التي نجهلها على وجه التحديد، ولا نستبعد أن تكون في عشرينات القرن الثالث عشر، حيث تأتي بعد وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فشاعرنا بذلك معاصر للشيخ ودعوته، وغني عن الحديث ما لدعوة الشيخ من أهمية في تاريخ المنطقة على كافة مناحي الحياة سياسياً وعلمياً ودينياً واجتماعياً .

هذا بالنسبة لأهمية الفترة داخل الجزيرة العربية ، أما بالنسبة للمنطقة ككل فتكمن أهمية الفترة أنها تمثل نهاية العصر العثماني الأدبية، التي يبدأ بنهايتها العصر الحديث ، الذي يؤرخ له بدخول نابليون بونابرت مصر سنة (١٢١٣هـ - ١٧٩٨م)

---

(١) – اطلعت مؤخرا على نسخة مخطوطة لأحد شعراء جدة الذين عاصروا شاعرنا وهو الشاعر محمد خليل السمرجي.

حيث بدأ ظهور نفوذ الدول الكبرى في المنطقة وتصارعها على هذا النفوذ الذي انتـــهى بالحقبة الاستعمارية لكثير من بلدان المنطقة في بدايات القرن العشرين الميلادي .

وجدة المدينة التي عاش فيها الشاعر وتغنى بـــها في أشعاره ؛ هي موطنـــه الـــذي ترعرع فيه حتى اشتد عوده ، وهي بوابة مكة التي تمثل منذ قرون سابقة عاصمة الحجـــاز التي خضعت للخلافة العثمانية منذ عام ٩٢٣هـــ .

إذن فترة حياة شاعرنا تقع في الثلثين الأخيرين من القرن الثاني عـــشر والعقـــدين الأولين من القرن الثالث عشر، حيث شهدت الإمارة استقرارا نسبياً موازنة بحالة عـــدم الاستقرار الذي شهدته بداية القرن الثاني عشر ، حيث شهد من الصراعات وكثرة فترات التولية والعزل الشيء الكثير فكان بذلك الأعنف والأكثر في تاريخ حكم الأشراف.

ومن أشهر من تولى شرافة مكة في هذه الفترة الشريف سرور بن مساعد[(١)] الـــذي انتزع الحكم من عمه أحمد بن سعيد[(٢)] سنة ١١٨٦هـــ ، وبقي فيه إلى أن تـــوفي ســـنة

---

(١) – هو الشريف سرور بن مساعد بن سعيدبن سعد بن زيد بن محسن النموي الحسني تولّى إمارة مكة سنة ١١٨٦هـــ ، بعد أن انتزعها من عمه أحمد بن سعيد الذي كان له معه خمس عشرة وقعة حاول فيها عمه أن يسترجع إمارة مكة ولكنه فشل ، وهو أشهر أمراء مكة في القرن الثاني عشر حيث كان حازما شجاعا صعب المراس ، كان له عدة وقائع مع بعض الأشراف وبعض القبائل المحيطة بمكة والمدينة مثل قبيلة هذيل وقبيلة حرب ، بقي في الحكم إلى أن توفي مريضا سنة ١٢٠٢هـــ وعمره نحو خمس وثلاثين سنة.خلاصة الكلام لدحلان ، إتحاف فضلاء الزمن للطبري ، تاريخ أشراف وأمراء مكة لعبدالله عبد الشكور ، أمراء مكة عبر عصور الإسلام لعبد الفتاح راوة .

(٢) – هو الشريف أحمد بن سعيد بن سعد بن زيد ، تولى شرافة مكة سنة ١١٨٤هـــ بعد نزول أخيه عبدالله عنها له ، وقد نزعت منه في السنة نفسها حيث تولى الشريف عبدالله بن حسين البركاتي بمساعدة قوة عسكرية قدمت من مصر ، ولكن المترجم عاد إليها في السنة نفسها ، وبقي بـــها إلى أن انتزعها منه ابن أخيه الشريف سرور بن مساعد بن سعيد سنة ١١٨٦هـــ . ودارت بينهم عدة وقائع فشل المترجم فيها في استرداد حكم مكة وانتهت بحبسه في ينبع ثم في جدة وبقي فيه إلى أن توفي سنة ١١٩٥هـــ. خلاصة الكلام ص٢٠١

١٢٠٢هــ، ولم يستطع أحد أن يزحزحه عن منصبه ، وقد فشل عمــه في العــودة إلى شرافة مكة بعد خمس عشرة واقعة انتهت باعتقاله.

وقد كان تولي الشريف سرور هذا بفضل دعم الوزير يوسف قابل الذي كان دعمه له رداً لجميل سرور الذي سارع إلى جدة سابقاً كتاب عمه – أمير مكة آنذاك- الــذي ينص على عزل يوسف قابل عن الوزارة، وعند إبلاغه تآلف الاثنان ضد الشريف أحمــد بن سعيد للاستيلاء على إمارة مكة[1] ، وفي ذلك دلالة كبيرة على ما كانت تتبوأه أسرة آل قابل من مكانة مؤثرة ، إضافةً إلى أن الدعم المادي الذي قدمه يوسف قابل للــشريف سرور يدل على ثراء هذه الأسرة ؛ ولكن الملك عقيم وجحود ، حيث نجــد الــشريف سرور سنة ١١٨٧هــ يعزل الوزير يوسف قابل بسبب امتناعه عن دفع بعض الــدراهم التي طلبها منه الشريف- كما يذكر - ويولي مكانه أحد عبيد والده وهو ريحان آغــا[2] الذي يتولى إدارة أعماله وأموره وضبطها شاعرنا محمد ابن يحيى قابل حيث ذكر الجدواي ذلك في ديوانه عند الحديث عن المحنة التي تعرض لها في أواخر سنة ١٢٠٠هـــــ، الــتي حجب بسببها بعد وفاة ريحان آغا، ووضع رهن الإقامة الجبرية في مكة لعدة أشهر.

والشاعر يلقي باللائمة في ذلك على الوشاة الذين أوغروا صدر الــشريف ســرور عليه، ولعلنا لا نبعد عن الحقيقة عندما نحاول أن نقرأ ما بين سطور القضية، فيتراءى لنــا خوف الشريف سرور من اتساع نفوذ شاعرنا الذي كان قربه من الوزير يجعله في موقــع يتطلع منه إلى لعب دور في الحياة السياسية في جدة ، لاسيّما أننا نطالع في ديوان شاعرنا طموحه الكبير في مكانة يرى أنه قمين بــها، ويرى في نفسه القدرة والكفــاءة لــشغل منصب كبير كمنصب وزير جدة ، وقد أشار إلى ذلك في قصيدة نظمها سنة ١١٨٤هــ عند عودة يوسف قابل إلى الوزارة إلى أنــها دولة قابلية، حيث يقول:

وما هي إلا دولةٌ قابليّــة   ومــا هــي إلا منحــةٌ

(١) – تاريخ مكة ، أحمد السباعي ، ط٧ ، ١٤١٤هــ ، نادي مكة الثقافي ص ٤٤٠

(٢) – عبد الله بن عبد الشكور (تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة) ج٢ ص ٤٢

(٣) – الديوان ص ١٠٤

ولعل هذا البيت بالذات مما أخذه الشريف في الحسبان - إن كان قـــد وصـــل إلى مسامعه– فجعله لا يطمئن إلى الشاعر.

وبعد الشريف سرور تولى أخوه الشريف غالب بن مساعد[١]، الذي كان لنصيب الشاعر في صحبته وملازمته نصيب أوفر، وقد بقي في الولاية إلى أن اعتقله محمد علـــي باشا سنة ١٢٢٨هـــ، وولى مكانه ابن أخيه الشريف يحيى بن سرور[٢].

أما الحياة الاقتصادية والاجتماعية فنرجع فيها لكتب الرحالة الأجانب الـــذين زاروا جدة في فترة قريبة من فترة شاعرنا ، وأقربـــها رحلة (بيركهارت) [٣] الذي دخل جدة في

---

(١) – هو الشريف غالب بن مساعد بن سعيد الحسني ، من أمراء مكة ، وليها بعد وفاة أخيه الشريف سرور سنة ١٢٠٢هـــ ، في أيامه قوي الإمام سعود بن عبد العزيز بنجد ، وهاجمت جيوشه الحجاز ، فقاتلها الشريف غالب، وتقهقر إلى جدة ، ثم أظهر الطاعة لسعود، حتى كان كأحد عماله ، وعاد إلى مكة، واستمر في الإمارة إلى أن زحف محمد علي باشا (والي مصر) بجيش كبير من الترك وغيرهم لقتال السعوديين، فتحول الشريف عن ولائه لآل سعود، فاستخدمه محمد علي مدة قصيرة ثم قبض عليه وأرسله إلى مصر سنة ١٢٢٨هـــ فأقام أشهرا... - خلاصة الكلام لأحمد زيني دحلان ص ٢٢٥ . الأعلام ١/١١٥، أعيان القرن الثالث عشر لخليل مردم بك ،ط٢ ١٩٧٧م مؤسسة الرسالة بيروت ص ١٢٧

(٢) – هو الشريف يحيى بن سرور بن مساعد بن سعيد، كانت ولايته على مكة أواخر ذي القعدة سنة١٢٢٨هـــ، بعد أن قبض محمد علي باشا والي مصر على عمه غالب، بقي في الولاية إلى أن عزل سنة١٢٤٢هـــ بسبب قتله شنبر بن مبارك المنعمي ، حيث طلب منه التوجه إلى مصر، فبقي فيها إلى أن توفي سنة ١٢٥٤هـــ. الأعلام للزركلي ٨/ ١٤٧ ، أعيان القرن الثالث عشر لخليل مردم بك ص١٣٣

(٣) – كتاب الرحالة الإنجليزي جون لويس بيركهارت (رحلات إلى شبه الجزيرة العربية) عبارة عن يومياته التي كتبها خلال رحلة قام بـــها إلى الجزيرة سنة ١٨١٤م، وهي رحلة بتكليف من جمعية التعرف على مجاهل أفريقيا واكتشافها، وقد قدم بيركهارت إلى هذه الجمعية في حينه أدق وأشمل تقرير وصل إلى أوربا عن الحجاز بما في ذلك مدينتا مكة والمدينة. ذلك أن معرفته باللغة العربية وبعادات المسلمين قد مكنته من انتحال صفة المسلم بنجاح حيث أقام في مكة طوال موسم الحج دون أن يثير أية شكوك حول شخصيته الحقيقية.

بداية سنة ١٨١٤م - ١٢٢٩هـ ، حيث وصف مدينة جدة وصفا دقيقا فذكر أنها تمتد على طول الشاطئ بما يقارب الألف وخمس مئة خطوة بينما لا يتعدى عرضها نصف هذه المسافة في أعرض الأماكن ، وذكر أنها محاطة بسور غير متين ، وقد قسمت المدينة من الداخل إلى مناطق مختلفة ، منها ما يتكون من أكواخ يسكنه الفقراء ومنها ما يمثل سكناً لذوي الشأن ، وكذلك عدد غير قليل من الخانات. ويذكر (بيركهارت) أن مدينة جدة محكمة البناء ، بل إنها تفوق في ذلك أي مدينة تركية بالحجم نفسه من المدن التي زارها ، كما أن طرقاتها فسيحة ومهوّاة مع أنها غير معبدة ، والمنازل عالية وقد بنيت بأكملها من الأحجار البحرية.

ويذكر أن الحصول على المياه الصالحة في جدة شاق حيث يجلب من آبار خارج جدة أو من صهاريج تخزّن فيها مياه المطر، ولذا فمدينة جدة خالية من الحدائق أو الخضرة من أي نوع باستثناء بضع نخلات بمحاذاة أحد المساجد.

أما سكان مدينة جدة فيذكر بيركهارت أن أغلبيتهم من الغرباء باستثناء بعض العائلات ، وقد أتى هؤلاء السكان من حضرموت واليمن وسواكن والهند والملايو. [١]

أما الرحالة (سادلير) [٢] الذي زار جدة بعد (بيركهارت) سنة ١٨١٩م ، فيتحدث عن "الحجاج المتسولين التعساء الذين استسلموا إلى النوم على أرض الشارع دون أي عازل، وأكثرهم بلا غطاء، وهم يعطون صورة عن أزرى مشهد للبؤس".

وقد استغرق حديث الرحالة عن مدينة جدة مساحة لا بأس بها من الكتاب وصف فيها الرحالة الأحوال السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية وعادات السكان في مدينة جدة. انظر الكتاب ص ١٥.

(١) – رحلات إلى شبه الجزيرة العربية ، جون لويس بيركهارت ، ط١ ٢٠٠٥م ، الانتشار العربي، بيروت، لبنان ص١٥

(٢) – كتاب رحلة عبر الجزيرة خلال عام ١٨١٩،مذكرات كتبها الكابتن الانجليزي ج.فورستر سادلير. كان الهدف من رحلته مقابلة ابراهيم باشا في نجد بعد أن دمر الدرعية، وذلك لطلب إسهام إبراهيم باشا في الهجوم على قواسم رأس الخيمة الذين كانوا تابعين للسيادة السعودية، ولكن الرحالة لم يتمكن من مقابلة الباشا في نجد فلحق به قرب المدينة، والرحلة غنية بالكتابة

ويذكر أن" جميع شوارع جدة مزدحمة بالناس التابعين لمختلف البلاد الإسلامية، إلى درجة أنه كان يصعب التجاوز من أحد الشوارع إلى آخر خلال النهار".

ولكن سادلير من جانب آخر ينصف مدينة جدة فيذكر أنـــها" مدينة ذات بنـــاء جيد، إذ تحوي كثيرا من المنازل الفسيحة الشامخة، ونادرا ما تتمكن من استيعاب الحجاج والأشخاص الذين تـــهيأت لهم ظروف الثراء...". (١)

ويذكر الرحالة الفرنسي (شارل ديديه) (٢) الذي زار جده سنة ١٨٥٤م أنه دهـــش عندما وجد جدة ليست حيا صغيرا كما قيل له، بل وجدها على حد قوله"مدينة جميلـــة، مكينة البناء، جيدة التأسيس، تعج بالسكان نابضة بالحياة، ومزدحمة، وجديرة على كـــل المستويات أن تحمل الاسم الذي تعرف به ..." (٣)

أما بالنسبة للحياة الثقافية فإننا نجد أن مدينة جدة لم يُعتن بـــها بمثـــل مـــا لقيتـــه المدينتان المقدستان مكة والمدينة من تدوين للتاريخ ، حيث نجد الرحالة- وكتبهم من أهم المصادر لمعرفة حال المنطقة – يمرون مرور الكرام على جدة فلا تعدو بالنسبة لهم محطة في طريق سفرهم الطويل عن طريق البحر، وعادة ما تكون مدة إقامتهم فيها يوما أو بعـــض يوم يزورون فيها مقبرة أمنا حواء ،ويتحدثون عن بعض المظـــاهر والتـــصرفات العـــابرة

عن الأحداث وتعليقات الكاتب عليها إضافة إلى تدوين ملاحظاته عما شاهده في المناطق التي مر بـــها.

(١) – رحلة عبر الجزيرة العربية،من القطيف في الخليج إلى ينبع على البحر الأحمر،الكابتن ج.فورستر سادلير ط١ ١٤٠٣هـــ ، الناشر سعود بن غانم العجمي الكويت ،ص١٢٥

(٢) – شارل ديديه ، سويسري من أصل فرنسي، بدأ رحلته سنة ١٨٥٤م من مصر، واقتصرت رحلته في الحجاز على زيارة جدة والطائف، حيث زار الشريف عبدالمطلب بن غالب في الطائف، وقد أسهب في رحلته في الحديث عن النظام السياسي القائم في جدة ، والحياة الاجتماعية والاقتصادية فيها.

(٣) – رحلة إلى الحجاز، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، شارل ديديه ، ترجمة محمد خير البقاعي، دار الفيصل الثقافية ١٤٢٢هـــ، مطبعة مكتبة الملك فيصل، ص ١٦٩

ليمتطوا رواحلهم بعد ذلك منطلقين إلى مكة حيث الإقامة وأداء الشعائر والحديث عـــن المكتبات والعلماء الذين قابلوهم وتحدثوا معهم، وكذلك الحال بالنسبة للمدينة.

ويستدل عبد القدوس الأنصاري في كتابه (تاريخ مدينة جدة) على محدودية التعليم في جدة بـــ (أن الرحالين والمؤرخين الذي قرأنا مؤلفاتـــهم لم يذكروا لنا شيئاً عن حال التعليم في جدة في القرون الخالية، مع أنـــهم دونوا الجليل والتافه مـــن مـــشاهداتـــهم وملاحظاتـــهم ... وليس معنى ذلك خلو جدة من التعليم بتاتاً في تلك الحقـــب، وإنمـــا معناه أن التعليم لم يكن بالشيء الكبير المهم جداً، والموجّه لأنظـــار أولئـــك الـــسائحين العابرين ...) [١].

ولكن الأنصاري يذكر بعد ذلك أن بيئة جدة كانت تتسم بطـــابع العلـــم والأدب ويدلل على ذلك بالعلماء الذين ترجم لهم صاحب كتاب (السلاح والعـــدة في تـــاريخ جدة)[٢] ، كما أن ديوان شاعر جدة (كما يسميه عبد القدوس الأنصاري) محمد بن يحيى قابل يدلل على ذلك .

ومع ذلك نجد من الرحالة من يذكر شيئا عن التعليم في جدة، وهو (مـــوريس تاميزييه) الذي زار جدة سنة ١٨٣٣م، إذ ذكر عند حديثه عن مساجد جـــدة مـــدارس للأطفال الصغار، وذكر أنـــها تقع تحت إشراف أحد الأئمة أو الشيوخ الذي يقوم بإلقاء دروسه داخل المسجد نفسه ورقابته[٣].

وعلى أية حال فإغفال الرحالة الحديث عن التعليم في جدة ليس بـــذي بـــال، فأماكن التعليم وما شاكلها ليست مما تقع عليه عين السائح الغريب ، خاصـــة الرحالـــة

(١) – تاريخ مدينة جدة، لعبد القدوس الأنصاري، ط٤ دار مصر للطباعة، ص ١٨٥

(٢) – السلاح والعدة في تاريخ جدة ، للشيخ عبدالقادر بن أحمد بن محمد بن فرج الجدي الحجازي، تحقيق مصطفى الحدري ، دار ابن كثير ،بيروت ، دار التراث ،المدينة المنورة، ط١ ١٤٠٨هـــ-١٩٨٨م.

(٣) – رحلة في بلاد العرب (الحجاز) تأليف موريس تاميزييه، ترجمة محمد بن عبدالله آل زلفة،دار بلاد العرب ١٤٢١هـــ،الرياض، ص ٨٤

المسلمين الذين يعبرون جدة محطة سفر، وبنـــزولهم فيها يستحثهم الشوق إلى مكة حيث مهوى الأفئدة والمقصد الأعظم .

كما أن خلو جدة من مسجد جامع معتبر كالجوامع المـــشهورة في حواضـــر الإسلام الأخرى يبعد النشاط التعليمي عن أنظار الرحالة والمسافرين الذين نجدهم طالمـــا وصفوا النشاطات العلمية في كبريات المساجد الإسلامية .

ولكننا إذا نظرنا إلى واقع مدينة جدة السياسي والمعاشي نجدها مؤهلة لأن يكون بـــها تعليم ونشاط علمي لا بأس به، فالاستقرار السياسي النسبي والأحـــوال المعيـــشية الجيدة مقارنة بالمناطق الأخرى واختلاف أهلها إلى المدينتين المقدستين ومدن اليمن كـــل ذلك يجعلنا نتوقع منها أن تكون كذلك بيئة ذات تربة خـــصبة صـــالحة لنمـــو الأدب والأدباء،إضافة إلى أن متولي الأمر في مكة كانوا من متذوقي الشعر، وكان لعلاقة شاعرنا بـــهم صدى في شعره [١].

---

(١) – انظر ص ٢٦ ، ٢٧ من هذا البحث .

محمد بن قابل الشاعر

المبحث الأول: اسمه ونسبه.

المبحث الثاني : أسرته.

المبحث الثالث: تعليمه.

المبحث الرابع : مؤلفاته.

المبحث الخامس: وفاته.

محمد بن قابل الشاعر

لم تسعفنا المراجع التي بين أيدينا بصورة كاملة عن الشاعر، وجل ما سنكتبه عنه هو مما ورد في ديوانه الذي نحن بصدد تحقيقه ودراسته.

فبالرغم من أن فترته متأخرة نسبياً ،وهي فترة تأليف وتوثيق ،فقد خدمت الفترة بعدد من الكتب التي ترجمت لرجالها إلا أننا نجد كتب التراجم والأخبار تغفل ذكره عدا ما نجده من ذكر يسير أو إشارة عابرة في بعض دواوين معاصريه .

اسمه ونسبه :

هو جمال الدين محمد بن يحيى قابل ، ولتحقيق اسمه لم نجد ما يعتمد عليه غير ما كتب على ديوانه، وأول ما يطالعنا على غلاف الديوان بنسخه المختلفة " ديوان الأديب الجمال محمد قابل رحمه الله تعالى"، ولا يقدم لنا تعريفا باسم الشاعر ، الذي يقتصر على اسمه ولقبه ؛ مما حدا بنا للبحث في مكان آخر من الديوان عما يشفي الغلة، وقد وجدنا ذلك في نهاية إحدى النسخ وهي نسخة عارف حكمت "انتهى ما وجد من كلام الأديب محمد بن يحيى قابل رحمه الله ..." وهذه النسخة مؤرخة بسنة ١٢٤٠هـ وللناسخ نفسه نسخة أخرى سابقة لهذه النسخة مؤرخة بسنة ١٢٢٨هـ ويتفق خط الناسخ في كلتا النسختين من البداية إلى النهاية، وهذا التاريخ القريب من حياة المؤلف يجعلنا نطمئن إلى صحة الاسم .

إذن الشاعر اسمه محمد واسم أبيه يحيى ، وذلك حسب ما صرح به الناسخ في نسخة الديوان المذكورة إذ لا مجال للظن أن الاسم مركب حيث إنه من الشائع اسم (محمد يحيى)،كما نجد أحد الشعراء ينعته في قصيدة إخوانية بابن يحيى فيقول:

ولا تحرم محبّك يا ابن يحيى　　　فسمرتنا بقبّوس وجلوه[(١)]

هذا ما يخص الاسم الثنائي أما اللقب فإننا نجده يلقب بالجمال وقابل ، ويحتاج كل منهما إلى وقفة، فلقب (الجمال) وقد ضبطها الأنصاري في تاريخ جدة هكذا (الجَمَال) بفتح الجيم والميم وهو مأخوذ من لقب (جمال الدين) والذي يطلق غالباً على العلماء والنبهاء ، ونجد ذلك صريحاً في ديوانه مثل : "جليسي في الباطن وأنسي القاطن، جمال الدين محمد بن يحيى قابل" ونجده كذلك في بيت شعر:

فهاك جمال الدين حرفة　　　تقاصر شاو عن مبالغ

وقد نعته بعض الشعراء بالجمال ومن ذلك :

أعني الجمال وذا الكمال بلا　　　فعسى وأن أظفر[(٣)] **لديه**

وكذلك :

أهلاً بأبيات الجمال　　　خدن البلاغة والذكاء

أما كلمة (قابل) التي يظهر من الوهلة الأولى أنها اسم لأسرة الشاعر، ولا يمنع ذلك من أن تكون اسماً لأحد أجداده البعيدين، فمن الشائع تسمية الأسر بجد بعيد ونسبة

---

(١) – الديوان ص ٤٥٩ ، والقبوس: ضرب من الطنابير يعزف به. تاج العروس (عزف)

(٢) – انظر الديوان نسخة (أ) المخطوطة لوحة ٢٣٩ ، حيث أن الشعر لم نورده في زيادة النسخة لأنه ليس للشاعر.

(٣) – الفعل (أظفر) من حقه النصب وبه ينكسر الوزن، وتسكينه مما يضطر إليه الوزن ولا تبيحه الضرورة الشعرية.

(٤) – الديوان ص٣٩٦

(٥) –الديوان ص٤٢٣

أبنائها إليه ، ولكن ما يرجّح أنــها لجده المباشر التقريظ الذي نجده في مقدمة الـــديوان وهو لأحمد أفندي الجامي حيث يقول:

وكم ديوان شعر قد رأينا — وكم فينا له وعليه قَابل
ولكن قابلي ما جــاء إلا — علـــى دُرَر بـــديوان
سقى المولى ثراه بمزن عفو — وكان له بوجه رضـــاه

ومما يرجح أن (قابل) اسم لجد بعيد أو صار لقبا للأســـرة هـــو ورود أسمـــاء شخصيات من هذه الأسرة ذكر معها الاسم بما ينبي أنه اسم لأسرة، وهما إبراهيم قابـــل شقيق الشاعر، والوزير يوسف قابل.

وقد لقبه الدكتور عبدالله الحامد بالجداوي[1]، إلا أننا لا نجد لهذا اللقب ذكراً في الديوان وهو بالتأكيد نسبة إلى جدة على طريقة العامة ، ولا شك أن الشاعر مـــرتبط ، حيث نجده يقول في إحدى قصائده التي يمدح فيها الوزير ريحان آغا :

وجدَّتُنا الفيحـــا بعـــزك — ليحسد فيهـــا القـــاطنين

ويذكرها بقوله:

رعى الله لي ربعاً بجـــدّة عـــامراً — وحيّاه مأوى للأحبة قد جَمـــع[3]

وقوله:

سقا جدة الفيحاء صوب غمام — بأنواء مزن بـــالغيوث هـــوام[4]

---

(١) – انظر الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين ص٢٦٥ ، بينما نجد عبد القدوس الأنصاري في كتابه(موسوعة تاريخ مدينة جدة) يورد اسمه هكذا (محمد بن يحيى قابل) ولا يلقبه بالجداوي، إنما ينعته بشاعر جدة. انظر: كتاب الأنصاري ص ٥٩٩

(٢) – الديوان ص ١١٥

(٣) – الديوان ص ١٩١

(٤) – الديوان ص ٢١١

أسرته ومكانته :

لعله لا يعزب عن ذهن ساكن جدة أو العارف لها اسم ذلك الشارع العريق الممتد جنوبي جدة القديمة التي تعرف حالياً (بمنطقة البلد) وهو (شارع قابل)[1] ، ذلك الشارع الحيوي الذي ذكره جل من كتب في تاريخ جدة الحديث ، وجعلوا له السبق في كثير من الأمور الحضارية ، وقد سبق الحديث عن ذلك .

هذا الشارع ينسب إلى أسرة الشاعر بيت قابل، حيث كان لهذه الأسرة مكانة ونباهة ذكر منذ عصر الشاعر - القرن الثاني عشر الهجري- إذ نجد الوزير (يوسف قابل) وزير شريف مكة في جدة وهو أخو الشاعر يتبوأ مكانة مرموقة ، يؤكدها ما سنقرؤه في أثناء الديوان، كما كان للوزير المذكور ذكر في تاريخ ولاية الحجاز وبالأخص في حادثة تولي الشريف سرور بن مساعد لإمارة مكة، حيث أزمع الشريف أحمد بن سعيد شريف مكة -آنذاك- عزل الوزير يوسف قابل وأصدر أمرا بذلك وسلمه إلى أحد الأشراف وأمره بالذهاب إلى جدة للقبض على يوسف وغله بالسلاسل.[2]

وكان حاضراً الأمر الشريف سرور بن مساعد الذي تربطه بالوزير المذكور صداقة ، فما كان من سرور إلا أن بادر بالسير إلى جدة وأبلغ الوزير بالأمر واتفق معه على أن يناصره لينتزع إمارة مكة من عمه وكان له ذلك سنة ١١٨٦هـ .

ومن إحدى قصائد الديوان يظهر لنا أن أسرة آل قابل لها مكانة في جدة ، ففي قصيدة بائية يمدح بها الشاعر أخاه يوسف قابل ، ويذكر فيها عودته للوزارة سنة

---

(١) – يذكر الأنصاري في (تاريخ مدينة جدة) أن شارع قابل كان في الأصل "الشونة التركية العثمانية"، وفي عام ١٣٣٦هـ فتح الملك حسين بن علي هذا الشارع من قلب الشونة المذكورة وبنى فيه دكاكين، وفي زمن حصار الملك عبدالعزيز لجدة باع الملك علي بن الحسين هذا الشارع بكامله لسليمان قابل بثلاثة آلاف جنيه ذهبا، ومن ثم صار الشارع ملكا له. ص٥٦٧

(٢) – تاريخ مكة للسباعي ص ٤٤٠

١١٨٤هـ بعد عزله عنها ، ويشير إلى مدى تعلق الناس بالوزير واستبشارهم بعودته للوزارة ، كما يظهر من القصيدة مقدار طموح الشاعر لتتبوأ أسرته مكانة في جدة حيث يذكر أنها دولة قابلية ، فيقول في ختام القصيدة :

وما هي إلا دولةٌ قابليّةٌ وما هي إلا منحةٌ

وعندما نستقرئ الديوان نجد أن للشاعر مكانة مرموقة حيث قصائده الإخوانية مع شعراء المنطقة في مكة والمدينة من الشعراء والعلماء والأعيان، بل تمتد علاقاته إلى خارج المنطقة لتصل إلى اليمن حيث مراسلاته وإخوانياته مما يرجح أن أسرة الشاعر تعود إلى أصول يمنية، فأقدم قصيدة في الديوان مؤرخة بسنة ١١٥٩هـ نجد الشاعر يجيب بها على صفي الدين بن الحسين اليمني ، وهناك قصيدة مؤرخة بسنة ١١٦٢هـ نجد الشاعر ينظمها بسبب ردّ محمد بن علي المهدي هدية منه عبارة عن حصان وذلك بعد ثلاثة أشهر من قبولها ، حيث نخلص من ذلك إلى أن الشاعر كان رجلاً ذا مكانة تؤهله للاتصال بعلية القوم وإهداء الهدايا لهم .

وللشاعر علاقة وطيدة مع أشراف مكة إذ نجده يتفاعل مع الأحداث التي جرت في عهد الشريف أحمد بن سعيد ويمتدحه ويذكر هزيمته لمحمد بيك أبي الذهب الذي حاول أن ينتزع منه شرافة مكة ليحل محله عبد الله بن الحسين البركاتي، وكذلك نجده يمتدح الشريف سرور ومن بعده الشريف غالب، كما نجد المؤرخ عبد الله بن عبد الشكور يستشهد في تاريخه لأشراف مكة ببيتين للشاعر في دار للشريف غالب وهما[٢] :

هي الدار إلا أنها دارة البدر ومغنى الغنى لكنها روضة الفخر

هي الدار ينسيك الخورنقَ وبيت العلا والعز والنهى

---

(١) – الديوان ص ١٠٤

(٢) – تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة ، لعبدالله بن عبد الشكور ٤٢

(٣) – الديوان ص ٢٢٦

ويبدو أن علاقة الشاعر بالشريف غالب كانت وطيدة ، حيث يشغل الـــشعر الذي قاله في الشريف غالب - مهنئا ومادحا – حيّزا من ديوانه ، فهو يؤرخ سنة ولايته ، ويطلب منه الشريف أن ينظم طرازا لدار بناها بالمثناة بالطائف سنة ١٢٠٧هـــ ، ثم بعد العودة إلى مكة يطلب منه أن ينظم أبياتا تكون لمجلسه في مكة، وكذلك ينظم أبياتا لتكتب على سفينة للشريف.

و نجد الشاعر سنة ١٢٠٨هـــ يبعث قصيدة للشريف سعد بن زيد بن هاشم، وينعته في تقديمها بخلاصة آل الحسن، فيجيبه الشريف سعد بقصيدة تبين مدى إعجابـــه وتقديره للشاعر .

و تطالعنا أبيات ذكر أنـــها للشيخ عثمان بن محمد بن سلمان البصري[1] يشكو فيها للشاعر ، منها :

أيا بدر جدة بـــل شمـــسها	**خضمّ عباب فرات مغـــيض**
إليك الشكاية يابن العـــلا	**لقيني الزمان بوجـــه بغـــيض**
فإني ودهري بحال عجيـــب	**إذا سر يوما أتى بـــالنقيض**
فماذا ترى لي بـــــما قـــد	**فمثلك نعم المشار المعيض[2]**

فيجيبه محمد قابل مواسياً فيرسل له البصري قصيدة أخرى تنبي بمكانة الـــشاعر ومكانة أسرته حيث نجد في مستهلها :

أيا ابن السراة الكرام العظام	**وُقيتَ صروف الزمان الملام**
وسدت بما عزّ من سؤدد	**ونلت لـــما رمت عزّا دوام**
تسنَّمت مجداً سنام العلا	**ولا غرو ذاك مكان الكرام[3]**

---

(١) – لم أعثر له على ترجمة.

(٢) – الديوان ص ٤٥٦

(٣) – الديوان ص ٤٥٧

وكذلك ما نجده في قصيدة لخضر الرشيدي حيث يمدح الشاعر بتعداد شمائله:

الألمعيْ الشهمُ الــذي انتظمـــت **بنعوته الأشعار والخطب**

وترونقت بمديحه صحف المدا ئــح والألـــواح والكتـــب

فـــذٌّ فريـــدٌ فاضـــلٌ فطـــنٌ متـــيقّظٌ للحـــق منتـــصب

ذو رتبـــة في المجـــد شـــامخة ما سامقتها في العلا الشهب[1]

ويقول الشيخ محمد رضا البغدادي:

كم طفت أقطار البلاد فلم أرَ **من ذي عفاف بالكمال مكمَّل**

أبدا سوى ندْب تقمّص للعلا **يُسْمَى محمد قابل المتفضل**[2][3]

ونجده في بيت له يذكر أنه كان يدعى بالأديب، وذلك في قوله:

يقولون لي تدعى الأديـــب ولم **بحقٍّ معال غرسها فيك ثـــامر**[4]

ونلمح من خلال شعر محمد قابل أنه كان على درجة طيبة من التدين (وهو ما سنراه في مبحث آخر) ، إلا أنه من المستغرب أن تكون زيارته الأولى للمدينـــة – كمـــا ذكر- سنة ١٢٠١هـــ ، وذلك مع قرب المسافة النسبي وتيسر الظروف، مقارنة بالـــذين يأتون من أقطار بعيدة.

---

(١) – الديوان المخطوط نسخة (أ) ٢٣٤

(٢) –النَّدْبُ : الخَفيفُ في الحاجَةِ الظَّريفُ النَّجيبُ. القاموس المحيط (ندب)

(٣) – الديوان المخطوط نسخة (أ) ٢٥٠

(٤) – الديوان ص ١١٤

ونجد الشاعر في كثير من أشعاره يتحدث عن الحساد والمبغــضين والواشــين الذين يدسون له الدسائس وينصبون له الأحابيل، إذ نجده يتعوذ منهم في قوله :

ومن شــرّ كــل الكائــدين　　　وما عنهم بــالمكر ينــشر أو

ومن شرّ بغــض المبغــضين　　　وما فيهم بــالغيظ يظهــر أو

حتى إننا لنجد في شعره الكثير من التوجس ، وقد سيطرت عليه فكرة المؤامرة والكيد بشكل أقرب إلى الخوف المرضي. إذ نجده يقول:

حماني من كيد الأعادي بمثلهم　　　على أن قــصد الكــل رضّ

ويتطور هذا الإحساس عند الشاعر حتى يمتد تخوفه ليشمل كل الناس والزمــان، فيقول:

وظننت أن ألقى غريما واحدا　　　وإذا الزمان وأهله غرمائى(٣)

ويظهر أن لهذه العقدة عند الشاعر ما يبررها، حيث نجده يبسط القول في إحدى قصائده واصفا ما حل به في محنته المشهورة ، ويذكر أن الذي أوقعه فيها الوشاة، يقول:

رُميت بزور القول زخرفــه　　　عليّ فطال القــول واتــسع

ويخص من هؤلاء المبغضين شخصا واحدا لا يفتأ يذكره حتى إننا نــستطيع أن نجمع بعض ملامح صورته من شواظ نار هجائه التي يطلقها عليه، فهو زنجي أسود فيــه

---

(١) – الديوان ص ٤٢

(٢) –الديوان ص ٢١٣

(٣) – الديوان ص ٣٩٣

(٤) – الديوان ص ٢٩٠

برص، ويظهر أنه من متولي المناصب المهمة في جدة التي يرى الشاعر أنه أولى بتوليها من هذا العدو المهجو، حيث يقول:

فلو وفت الأيــام أبــدت بفــضله على الناس زهو العز فخــرا علــى

وقوله:

وما هو لي كفؤ أكافيــه إنــه لأحقر قدرا أن يكون له قدر
وما هو إلا فاجر طال باعــه بوقت كبـــاع القــرد قبّحــه

وقوله:

مـــا رأينـــا بجــدة لغـــراب قطّ مأوى بـــشؤمه نتـــنغّص
هكذا عـــادة الـــبلاد قـــديما فلماذا هذا الغراب تخـــصص
قيل لا تعجبوا فهذا غـــرابٌ أشبه البوم لونـــه إذ تـــبرّص
حيث لا مانعٌ إذا وُجد البـــو م بـــــها واســـتكان فيهـــا

ونجد له كذلك قصيدة طويلة يهجو فيها شخصا ادعى العلم والطـــب هجـــاء مقذعا، ويشبهه فيها بالغراب مما يجعلنا نظن أنه هو ذلك العدو الذي مافتئ يذكره هاجيا، يقول:

شؤم كون غراب بيْن عنـــاء علّةٌ كربـــةٌ غثـــا مبطـــون(٤)

ويقول داعيا لجدة بالسقيا، ومتمنيا البلاء لعدوّه بـــها:

سقاها وحيّاها وساق بـــلاءه لـــمن في حماها مـــن حثالـــة

---

(١) – الديوان ص٤٢٠

(٢) – الديوان ص ٢٩١

(٣) – الديوان ص ٢٩٢

(٤) – الديوان ص ٢٩٧

(٥) – الديوان ص ٢١٢

ويقول واصفا هذا العدو:

فوجهــــك كـــالخثى لكنـــه   عراه الهجير بلفـــح فجـــف[1]

وعيناك عين الجـــراد اعتلـــى   بـــها نونـــــها مثـــل حـــب

ونستنتج من الأبيات السابقة أن عدوه هذا كان أسود اللون أبرص مصابًا في إحدى عينيه.

والإحباط نلمسه عند الشاعر قبل محنة الحجب بسنوات ، إذ نجده يستهل قصيدته العينية سنة ١١٩٣هـــ بذكر الموانع التي تعرضت إليه وحالت بينه وبين ما يطمـــح إليـــه ويتمناه، يقول:

تعرّض لي من دون ما رمت مانع   فأخّرني عن نيل مـــا أنـــا طـــامع

أحال القضا بيني وبين مطـــالبي   وكم دون ما تـــــهوى القلـــوب

وهي قصيدة طويلة يبث الشاعر من خلالها همومه وانكساراته المتراكمة.

ومن يتصفح ديوان محمد قابل متتبعا تواريخ القصائد يلاحظ غزارة نتاجـــه في سنيّه الأخيرة، وكأنه عندما تقدم به العمر وهو لم ينل ما كان يطمح إليه من مناصب تليق بمكانته وإمكانياته انكفأ على الشعر ووطد علاقته به ليجد فيه الملاذ الأخير لتحقيق مـــا يصبو إليه، وليخلد ذكراه ويضعه ضمن قائمة الأدباء المبرزين التي لا تبلى.

تعليمه ومؤلفاته :

---

(١) – الخثي : روث البقر. لسان العرب (خثا)

(٢) – الديوان ص ٢٩٥

(٣) – الديوان ص ٥٥

من خلال قصائد الشاعر ومراسلاته الإخوانية يتبين لنا أنه قد تثقف بثقافة عصره، فلغة شعره وتضميناته واقتباساته وعلاقته بالعلماء والأدباء ، كل ذلك يؤكد أن الشاعر قد نال حظاً طيباً من العلم، فنجده - مثلاً- متأثراً بالمتنبي مما ينبئ عن قراءة متأنية لشعره، فله في أحد أمراء صنعاء قصيدة أشبه بمعارضة لقصيدة المتنبي في مدح بدر بن عمار، بل هو يقتفيه حذو القذة بالقذة منها :

لو خلت سرج مطهّم إكليلاً   لحكيت هاروتاً به إكليلا

وأراك منه حافراً يطأ الهوا   ء وغرّةً تطأ الثرى تخييلا

ووهمت شكاً حين يصهل   هل كان عرض الصوت منه

وظننت أن البيد مرقى سلّم   تعلوه بالخطوات ميلا ميلا(١)

كما نجده يعارض حائية فتح الله بن النحاس من شعراء القرن الحادي عشر التي مطلعها:

بات ساجي الطرف والشوق   والدجى إن يمض جنحٌ يأت

التي عارضها كثير من الشعراء ومن أشهرهم جعفر بن محمد البيتي الذي يبدو تأثر محمد قابل كبيراً بشعره في مواضع عدة ، يقول شاعرنا :

أيها العاذل كم: عذلٌ ونصحٌ   كم يليني منك تعديلٌ

ومما يذكر عن ثقافة محمد قابل تضمينه لبعض المصطلحات الطبية؛ مما يجعلنا نفترض أنه كان على دراية بالطب إن لم يكن ذلك من باب تأثره بشعر معاصره الشاعر

---

(١) – الديوان ص ٤٤٤

(٢) – ديوان فتح الله بن النحاس الحلبي المدني، تحقيق د محمد العيد الخطراوي، ط١ ١٤٢١هـ،مكتبة دار التراث المدينة المنورة، ص ١١١

(٣) – الديوان ص ٧٠

جعفر البيتي المدني ، الذي كان شعره يعج بمثل هذه المصطلحات حيث يذكر عنه درايتــه بالطب، وقد صرح شاعرنا بإعجابه بالبيتي فجعله يافوخ شعراء القريض وذلك في قوله :

كلّ أهل القريض للفضل ذاتٌ والشريف البيتيّ كاليافوخ[1]

ومن شواهد الأبيات التي حوت مصطلحات طبية ، قول شاعرنا :

طبعه أن يسكّن الــداء طبًّــا وهو علقٌ محرّكٌ للسكون[2]

وقوله :

وعمني الأخلاط لـــما بـــدا ــطُ في لفظك والدمدمة[3]

وقوله :

بُرْء دائى من خلطـــة الــسوداء اتصالي بالحبّة الــسوداء[4]

وقوله :

وفي ضمنه ترياق لـــسع مجــرّبٌ لــمثلى فمن لي أن أعلّـــل

ويظهر أن الشاعر اكتسب قدرا طيبا من العلم والثقافة كفلت له فلسفة خاصــة، وولدت لديه مواقف ذاتية جعلته يركز على النتاج الأدبي الذي يضمن خلود اسم صاحبه أكثر من أي منصب آخر، ويظهر ذلك في قوله:

---

(١) – الديوان ص ٤٠٣

(٢) – الديوان ص ٢٩٧ ، والعلق: عبارة عن نوع من الديدان يتداوى به. تذكرة أولي الألباب الجامع للعجب العجاب، لداؤد بن عمر الأنطاكي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، ص٢٦٣

(٣) – الديوان ص ٢٩٩، الأخلاط والتخليط يقال : اختلط فلان أي فسد عقله،والخلاط: مخالطة الداء الجوف. لسان العرب (خلط) ، الدمدمة:الكلام الذي يزعج. لسان العرب (دمم)

(٤) – الديوان ص ٣٠٧ ، خلطة السوداء : من أخلاط الجسم الأربعه وهي الدم والبلغم والصفراء والسوداء. تذكرة داؤد الأنطاكي ص١٣

(٥) – الديوان ص ٤١٨

يا لعمري إن عمر المرء مـــا عمر الفضل وأحيـــا الأدبـــا

والحياة المحض في الدنيا ثنـــا يثبت الحسنى ويوعى الكتبـــا

والعلا كل العلا كل العـــلا حُسْن ذكْر عنك يبقى حقبا(١)

وقوله:

سلامة نفس الحرّ ألا يُرى له على ذلّة في مطمع قطّ مطمح

وما العمر إلا ما يدوم به الثنا وإلا فما في لذّة العيش مــربح

وإني في النعمى وفي البــؤس مواقف ترضـــى مـــن يـــذمّ

وقوله محاولا التنظير للراغبين في النظم:

إذا شئت إعراب نظم الكلام وتَحسينه عنــد مستحــسنه

تـــدبّر أمـــور اصـــطلاحاته وخذْ جـــوهر اللفـــظ مـــن

أما بالنسبة لآثار الشاعر الأدبية ، فلم نجد له إلا هذا الديوان الذي بين أيدينا، إلا أن هناك ديوانًا آخر ينعته الشاعر بـــ (ديوان المراسلات) وهو خاص بالنثر وما يـــرد على الشاعر من قصائد موجهة له، و لم أجد أثرا لهذا الديوان إلا أنني أرجـــح أن بعـــض الزيادات - وهي مزيج من الشعر والنثر للشاعر وغيره- التي وجدت على بعض نـــسخ الديوان مأخوذة من (ديوان المراسلات) هذا ، وقد ذكر الشيخ عبد القدوس الأنصاري أن ديوان قابل هو الديوان الشعري الوحيد الذي عثر عليه لأحد أدباء جدة القدامى، إلا أننا نجد ديوانا لشاعر آخر من جدة معاصر لقابل وهو الشاعر (محمد خليـــل الـــسمرجي الجداوي).

---

(١) – الديوان ص ١٣٧

(٢) – الديوان ص١٤٩

(٣) – الديوان ص١٤١

ولادته ووفاته :

مع شح المصادر العلمية لتقديم صورة واضحة عن حياة محمد قابل لا نجد أمامنا سوى استقراء الديوان بنسخه المختلفة ، فأقدم تاريخ في الديوان هو لقصيدة مؤرخة بسنة ١١٥٩هـــ يجيب فيها على قصيدة موجهة له من صفي الدين بن الحسين اليمني، ونجده في سنة ١١٦١هـــ يؤرخ ببيتين لـــمقامات السيد أبي بكر بن محسن با عبـــود ، وفي ســـنة ١١٦٢هـــ نجد له أربعة أبيات اقتضاها أن ردّت هديته إليه، وكانت الهدية عبـــارة عـــن حصان كان قد أهداه إلى محمد بن علي المهدي، ومن هذه الوقفات نخلص إلى أن الشاعر كان في هذه الفترة قد اشتد عوده ، وأنه يتمتع بعلاقات خارج نطاق جدة ، وقد عرفت مكانته وشاعريته فها هو سنة ١١٥٩هـــ ترسل إليـــه الأشـــعار ويـــرد عليهـــا ، وفي ١١٦١هـــ يؤرخ مقامات أديب آخر ، وذلك مما يدل على علاقة جيدة بالأدباء واعتراف منهم بشاعريته وأدبيته ما كان ليأتي من فراغ ، أما الوقفة الثالثة وهي سنة ١١٦٢هـــــ التي تقطع لنا بأن الشاعر كان قد بلغ من العمر والمكانة الاجتماعية والاقتصادية ما يؤهله ويجعله يهدي الخيل إلى علية القوم بل ويعتب عليهم ، فهو يقول للمهـــدي بمناســـبة رد الهدية:

مولاي عـــز الهـــدى ردّت	**ردًّا إخال علاكم لن يـــسوغه**
إني ليبلغ بي علمى إلى أحـــد	**في الجود محتسباً إيـــاك مبلغـــه**
هلاّ اعتذار وفي الأيام متسعٌ	**والعذر فضلٌ فهلا كنت مسبغه**
ما إن يسفّه عذرٌ من أخـــى	**إن قيل في قالـــب الإحـــسان**

إذن فمحمد قابل – على التقريب – كان قد تجاوز الثلاثين من عمره ويكـــون تخمين سنة ولادته هي ١١٣٠هـــ أو قريبا منها .

---

(١) – الديوان ص ٤٢٩

لابد لنا حتى نستأنس بـــهذه النتيجة أن نذهب للبحث عن سنة وفاته الـــتي لم تحدد فكان لزاماً علينا استنطاق الديوان كحالنا مع سنة الولادة .

آخر تاريخ في الديوان كان سنة ١٢٠٨هـــ حيث وردت عـــدة مقطوعـــات بـــهذا التاريخ، وفي ظننا أنه لم يعش بعده طويلاً لأنه يظهر من نـــسخة الـــديوان الأولى أنـــها كتبت في حياة الشاعر وأكمل بعد وفاته لأننا نجد في أثناء الديوان وفي جله دعـــاء للشاعر بما ينبي عن أنه كتب في حياته مثل (بلغه الله الآمال) و (حماه الله من كل شـــان) وما شابه، ولكن يطالعنا في آخر الديوان الدعاء المتكرر بالرحمة ، وإن كان دعاء الرحمة مما يحتمل أن يدعى به للحي ولكنه يرجح أن يكون المدعو له به ميتاً وخاصة مع التكرار .

ومما نلاحظه عند مطالعتنا لنسخ الديوان – إضافة إلى عبارات التقديم للقصائد – تقريظا في صفحة العنوان للشاعر أحمد الجامي ، وهو تقريظ شعري يقع في ثلاثة أبيـــات ينبي عن أن محمد قابل كان قد توفي حين كتب الجامي هذا التقريظ، والأبيات هي:

وكم ديوان شعر قد رأينـــا وكم فينا لـــه وعليـــه قابـــلْ

ولكن قابلي مـــا جـــاء إلا على درر بديوان ابـــن قابـــلْ

سقى المولى ثراه بمزن عفـــو وكان له بوجه رضاه قابـــلْ(1)

فالجامي يدعو لقبر الشاعر بالسقيا ، وفي هذا دلالة على وفاته قبـــل التقـــريظ، ولذلك فإن معرفة وفاة الجامي تساعدنا على تخمين تاريخ وفاة الشاعر، فـــالمراجع الـــتي ترجمت للجامي لم تذكر سنة وفاته وإنما تكتفي بأنه توفي بعد سنة ١٢٠٠هـــ، وهو ذِكْرٌ

(١) – الديوان ص ١٥

لا يفيدنا ، ولكننا عندما نرجع لكتاب الجامي (نوافح الزهور)[1] الذي يحوي شيئا مـــن شعره تطالعنا تواريخ آخرها سنة ١٢٢٣هـــ ، وبـــهذا كان أحمد الجامي حيًّا عند هـــذا التاريخ، ولكنه كان عند كتابة التقريظ على نسخة الديوان سنة ١٢٢٧هـــ قـــد تـــوفي بدلالة مقدمة التقريظ التي تدل على وفاة الجامي، وكان حينها قد تجاوز الستين ، حيـــث أرخ الأنصاري صاحب تحفة المحبين وفاة والد الجامي بـــسنة ١١٦٢هـــــ ، وأرخ ولادة الأخ الأكبر لأحمد الجامي وهو يحيى بسنة ١١٤٨هـــ ، فبذلك يكون الجامي ولـــد بـــين هذين التاريخين.

وفي الزيادة التي نجدها على النسخة (أ) التي نرجح أنـــها كتبـــت في حيـــاة الشاعر، نجد أحمد الجامي يمدح الشريف غالب بن مساعد سنة ١٢٢٤هـــــ ، وبـــذلك يثبت أن الجامي كان حيا حينها وإن ثبت أن هذه الزيادة على الديوان كتبت في حيـــاة الشاعر (وهو المرجح) ثبت لدينا أن الشاعر كان حيا حينها وأن وفاته كالجامي كانـــت بعد ذلك بقليل، إذ يؤكد التقريظ وفاة الاثنين الجامي وقد سبقه الشاعر سنة ١٢٢٧هـــ.

ومما يرجح لنا وفاته بُعيد هذا التاريخ خلوّ شعره من تفاعله مع الأحداث المهمة التي ابتدأت من سنة خمس بعد المائتين وهي الوقائع التي نشبت بين عبد العزيز بن محمد بن سعود والشريف غالب، التي بدأت تشتد منذ سنة ١٢١٠هـــ وأحصاها دحلان بأكثر من خمسين غزيّة بدأت من سنة خمس بعد المئتين وألف إلى سنة عشرين حيث انتهت بدخول

---

(١) – كتاب (نوافح الزهور فيما جرى به القلم من منظوم ومنثور) تأليف أحمد زين العابدين بن عبد الرحمن الجامي المدني، مخطوط في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم ٨١٠/٢٥٥، يقع في ١٠٣ ورقات، يتحدث المؤلف في أوله عن فضل الأدب، ثم أورد نوادر أدبية من عصور مختلفة تبيّن مدى قدرة الأديب على التأثير في نفوس الآخرين بأدبه، ثم تحدث بعد ذلك عن العروض وبعض أقوال الشعراء فيه، ثم تحدث عن التاريخ الشعري ونوادره، أما ثلث الكتاب الأخير فهو من شعر العصر، وجله من نظم الجامي نفسه، وهو عبارة عن تشطيرات وتخميسات ومشجرات وحمينيات.

ابن سعود مكة ، ولا يعزب عنّا قرب مكانته من الشريف غالب ونظم القصائد في مناسبات لم تكن ترقى من حيث الخطورة إلى المناسبة المذكورة.

خلاصة القول إن الشاعر كان في سنة ١٢٠٨هـ قد اقترب من سن الثمانين إلا أننا لانجد في شعره – وهو كثير في سنيّه الأخيرة – شكوى من تقدم العمر والهرم ، كما أن محمد قابل كان – كما يتضح من شعره – ملازماً للشريف غالب الذي تولى إمارة مكة سنة ١٢٠٢هـ حيث نجده يؤرخ لمبانيه وقاربه ويرافقه عند مسيره إلى الطائف ويحضر مجلسه، وفي ذلك دلالة على أن الشاعر وإن تقدمت به السن إلا أنه كان يتمتع بصحة جيدة تؤهله للتنقل على ما في تلك الأزمان من مشقة ، فقبل ذلك بسنوات أي سنة ١٢٠٠هـ عندما توفي الوزير ريحان آغا وزير الشريف سرور في جدة، ذكر الشاعر أنه كان يتولى إدارة أمور الوزير وأمواله، ثم فرضت عليه الإقامة الجبرية ، وفي هذا دلالة على أن محمد قابل لم يكن طاعنا في السن حيث توليه أعمال الوزير والحبس والإقامة الجبرية لعدة أشهر بعد وفاة الوزير. ولعل هذا مما يجعلنا نعيد النظر في سنة ولادته التي جعلناها على الترجيح قريبة من ١١٣٠هـ لولا ما ذكرناه هناك وما سقناه من تواريخ أثبتها الديوان ، وعلى أية حال قد يتجاوز الشخص السبعين من عمره وهو يتمتع بصحة جيدة ولياقة تفوق حالة شخص آخر أقل منه عمرا بكثير.

الفصل الأول

الـــمضمون

المبحث الأول: الإلهيات.

المبحث الثاني : التأملات .

المبحث الثاني : الإخوانيات.

المبحث الثالث: المدائح.

المبحث الخامس: المراثي .

١ - الإلهيات

إذا كان نتاج الشاعر يعكس رؤاه وأفكاره ويصور ما يختلج في وجدانه ويعتمل داخل نفسه من أحاسيس وانفعالات ، فإن جل ما يشغل الشاعر المسلم علاقته بـــالآخرة والمآل ، هذه العلاقة التي تجعله دائم التفكير بالله — جل شأنه — رب الآخـــرة والأولى ، الذي له الأمر من قبل ومن بعد .

أول ما يطالعنا في ديوان محمد قابل تلك القصائد الـــتي اخترنـــا أن نـــسميها بالإلهيات، وفي استهلال الشاعر ديوانه بـــهذه القصائد دلالة على احتفائه بـــها ، فقـــد يكون هذا الاهتمام لأهمية موضوع القصائد ، حيث إنـــها تخاطب المولى جل شأنه ، فهي بذلك أولى بالتقديم لموضوعها ، وقد يكون هذا التقديم بسبب القيمة الفنية لهذه القصائد ؛ فجلّها قد نظمه الشاعر في سني عمره المتأخرة ، وهي من القصائد الطوال التي تخرج عـــن التقليدية التي قد نجدها عند شعراء العصر ، التي قد يكون مبعثها تقليـــديا وهـــو مجـــاراة الشعراء الآخرين من السابقين والمعاصرين ، فالباعث على نظم هذه القصائد عند الشاعر واضح كل الوضوح وهو المعاناة الحقيقية لإحساسه بالظلم الذي وقع عليه أيام النازلة التي ألّمت به سنة ١٢٠٠هـــ ،التي سبق أن تحدثنا عنها ، كما أن من الباعث على قول هـــذه القصائد الإحساس بالغبن ، حيث يرى الشاعر أنه لم يتبوأ المكانة الـــتي يـــستحقها ، و لم يضعه دهره وأهله في مكان يليق به ، بل يرى الشاعر أنه أقصي عن المكانة التي هو أهل لها وحيكت في سبيل ذلك الدسائس والمؤامرات بطريقة حاقدة لا تمت للشرف بصلة .

يستهل الشاعر هذه القصائد التي جعلها فاتحة ديوانه بقصيدة مناجاة لربه يعلن فيها عجزه وقلة حيلته ونفاد صبره ، حيث استبد به التعب والنصب والعناء ، وأحاطت به النائبات من كل جانب ، فبالرغم أن الشاعر جعل هذه القصيدة فاتحة ديوانـــه إلا أننـــا نرجح أنه قالها في فترة متأخرة من حياته ففيها من مشاعر الإحباط والاستسلام الـــشيء الكثير ، ففي أثنائها نجده يشكو لربه ما زوّره الوشاة عليه وما مكروا به وكـــادوا لـــه ، ويشكو أيضا من قلّة المعين والداعم ، مما يجعلنا نجزم أنه قال هذه القصيدة بعد قصة حجبه التي حدثت سنة ١٢٠٠ هـــ، ولا أدل على ذلك من قوله فيها :

مالي ســـواك إذا وشي بالزور عني من كـــذب

ما لي سواك إذا بنـــــى لي الـــــمكر كيـــدا أو

بعد ذلك يتوسل الشاعر إلى ربه بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ولكنه لا يمعن في هذا التوسل أو يبعد فيه على طريقة بعض معاصريه من الشعراء ، ولكنه توسل يرد الأمر كله إلى الله فالأمر إليه وإليه المفر والالتجاء ، وهو الذي يفرج الكرب ويقـــضي بحـــسن المنقلب.(٢)

---

(١) – الديوان ص١٦

(٢) – شاع التوسل بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وأهل البيت والصحابة رضي الله عنهم في العصور التي ينتمي إليها الشاعر ، وقلّما يخلو منه شعر شاعر، وربما وصل الأمر ببعضهم إلى التوجه بالطلب المباشر للميت لقضاء الحاجات وكشف الملمات، والشاعر يأتي في هذا السياق ، إلا أننا نجده أخف درجة في توسلاته، فهي أقرب إلى طلب الشفاعة منها إلى التوسل، وخاصة مع الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكننا مع ذلك نجده ينعت بعض الأشخاص المعاصرين ويعتقد بِهم، فينعتهم ببركته وملاذه وعمدته ، ولا يفوتنا أن الشاعر عاصر انطلاق الدعوة السلفية للشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – والتي كانت بمثابة ثورة ضد من يتوسلون بالأموات ويلجؤون إلى القبور لطلب الحوائج ، ويعتقدون في العلماء وبعض الأشخاص من الأحياء البركة والوسيلة . للتوسع في ذلك يرجع لكتابي (الشعر في المدينة في القرن الثاني عشر الهجري) ص٥٠ ، وفيه أحلنا إلى بعض المراجع المفيدة في هذا الباب.

تكاد تكون هذه القصيدة هي البؤرة التي تتجمع فيها كل خيوط الديوان ؛ فهي شكوى إلى الخالق من إنسان أحس بالظلم وقاسى وعانى الأمرّين من كيد الأعداء وحسدهم ، حيث يصرح فيها بقلة حيلته وانقطاع أمله في المخلوقين ، فنبرة الإحباط وقلة النصرة ظاهرة في الأبيات ، والشاعر يخلص في آخر الأبيات إلى يأس أو إلى زهد في هذه الحياة الفانية ببهارجها ومناصبها ويتطلع إلى دار الآخرة دار النعيم المقيم .

يستمر الشاعر في مناجاته لربه فنجده في القصيدة الثانية من الديوان يدعو ربه بأسمائه وصفاته ، فبينما اقتصر في القصيدة الأولى البائية على الدعاء بالربوبية حيث كرر كلمة (رب) نجده هنا في هذه القصيدة الدالية يدعو الله بالحي الحق البر العالم للغيب واسع الجود مالك الملك ، وكأنه يريد بحشد هذه الأسماء والصفات أن يتحصن مما هو فيه من الكرب والضيق وكيد الأعداء ، فهو يستهل القصيدة بهذه الأبيات :

يا حي يا قيوم يا واحد	**يا فرد يا قدوس يا ماجد**
يا حق يا معبود يا باقيا	**يا وتْر يا مشهود يا**
يا بر يا تواب يا غافر	**يا نور يا وهاب يا واجد**

ثم يسترسل في نعت الله _ جل شأنه _ بأسمائه وصفاته إلى أن يعلن بطلبته :

يا رب كن لي حافظا	**مما جناه الزمن**
ربّ أجرني واكفني	**من شرّ ما يسعى به**

---

(١) – يقال رجل عنيد: عاند، وهو من التجبر. لسان العرب (عند)

وفي هذا طلب من الله بإصلاح محيطه وتنقيته مما يشوبه من حسد الحساد ومكائد الوشاة، ولكنه ينتقل بعد ذلك فيتوجه إلى الله طالبا منه إصلاح نفسه الإصلاح الداخلي الذي ينقي السريرة ، ويقود إلى نور الهداية ، ويورث حسن المنقلب ، يقول :

ربّ أعدني واشفني	**إليك هَدْياً إنني**
خلّص فؤادي من شباك	**فما له غير الهوى**
محّص بسرٍّ منك قلبي	**يزول عنه رَيْنُه**
اجعل له نورا به	**من ضلّة ديجورها**

وفي هذه الأبيات نستشف أن الشاعر يحمّل نفسه جزءا مما حصل ، فكأن الذنوب والمعاصي التي اقترفها سبب فيما نزل به وألّم .

أما القصيدة الثالثة في الديوان التي يصفها الشاعر بأنها قصيدة توسلية ، فإننا نجد روح المحاكاة لدالية أبي العلاء المعري ماثلة فيها منذ القراءة الأولى، فهي على البحر نفسه والروي ، واستهلال البيت الأول في القصيدة ينطق بذلك ؛ فعندما نقرأ كلمة (صاح) نجد أنه ليس ببعيد عنا قول المعري :

صاح هذي قبورنا تملأ الرّحب

حيث يقول الشاعر:

صاح داعي الفلاح في	**معلنا في دعائه بالرشاد**
صاح فينا ونحن في غفلة	**و رقود عن يقظة**

(١) – الديوان ص١٧

(٢) – الديوان ص١٩

ومع اختلاف معنى لفظة (صاح) في القصيدتين مع توافقهما مبنى ، نجد كذلك المضمون يختلف عن مضمون قصيدة المعري ، وإن كان ثمة جامع وهو التأمل، فالـــشاعر هنا قصيدته تأملية وعظية يرتكز فيها على رؤية شرعية تتمثل في انشغال الإنسان في حياته الفانية بلهوه وهوى نفسه، وتقييد نفسه عن طلب الآخرة بقيود الآمال الدنيوية وحجب سمعه وبصيرته بغوايته وعصيانه ، فالشاعر يستنكر هذا العبث وهذه الغفلة ويذكّر بالموت وما بعد الموت .

وقد وصف الشاعر قصيدته بأنـــها توسلية ، والقصيدة تقع في واحد وخمسين بيتا ليس للتوسل منها إلا عشرة أبيات في نـــهايتها ، وكأن الشاعر بـــــهذه النـــــزعة التأمليّة المحرّضة على الدنيا والاحتفال بـــها يعزي نفسه عما أصابه فيها من البلاء ، فهي دار فناء لا يستحق منا كل هذا العناء .

وبالرغم من تأثر الشاعر الواضح بقصيدة المعري إلا أنه لم يصرّح بـــه ، علـــى خلاف ذلك نجد تأثره جليا في تخميساته ، حيث يصرح الشاعر باسم صاحب الأبيـــات المخمّسة،

ومن ذلك تأثره بأربعة أبيات للعارف بالله بن عطاء الإسكندري[1] ، التي مطلعها :

تلاشت بي الأحوال يـــا رب **عليك وأقبل بي إليك وأولـــني**

فأنت وليّى خـــالقى فتـــولّني **تحيّرت لا علمٌ عليـــك يـــدلني**

ولا عملٌ يـــجدي ولا نيّةٌ تكفى

إلـــهى لقلبي في رضاك مطامع **وأحوال نفسى دون ذاك موانع**

---

(١) – هو أحمد بن محمد بن عبد الكريم، ابن عطاء الله الإسكندري ، متصوف شاذلي ، له تصانيف منها (الحكم العطائية) توفي بالقاهرة سنة ٧٠٩هـــ . الأعلام١/٢٢١

إذا لم تعنِّى أنت فالحال قاطع ولا الصدق والإخـــلاص منّــىَ
تبرأت من نفسى إليك ومن وصفى[١]

وعندما نسترسل في قراءة قصائد الإلهيات نجد أنـــها تتنوع في مضامينها ، فبينما يقتصر الشاعر في بعضها على المناجاة والتوسل نجده في أخرى يناجي ويستغيث ويتوسل ويبسط القول في شرح واقعه المرير وظروفه المتعسرة، ثم ينتقل إلى بيـــان مواقفـــه الـــتي كوّنـــها تجاه هذه الدنيا الفانية فيسطرها لنا على شكل تأمّلات وعظيّة فلسفيّة .

في قصيدة رائية للشاعر نجد هذا التنوع ،ونحس بنفس الشاعر القلقة من خـــلال أبيات القصيدة ،فهو يستهلها بقوله :

يا عليما بسرّ ذات الـــصدور وخـــبيرا بخافيـــات الـــضمير
وغنيًّا في ملكه عـــن شـــريك ومعـــين وصـــاحب ووزيـــر
قد تعاليت عن وجود مثيـــل وتنـــزهت في العلا عن نظـــير
يا مجيب الـــمضطر في غسق الـــ ـــل إذا ما دعا بقلب كـــسير
يا مجلّى ليل الهمـــوم إذا مـــا جن ديجـــوره بـــصبح ســـرور
يا مغيث الـــملهوف يا منقذ الغـــ رق من هول كَرْبـــه في بحـــور

والشاعر دقيق في لغته وفي اختياره للكلمات، فهو يختار اسم العلـــيم في بـــث شكواه، والغنى والقوة للاستعانة به، ليقيم مفارقة بين القوة والغنى من جهة، والـــضعف والافتقار من جهة أخرى، ثم يرتب بعد ذلك النتائج التي ينتظرها من بارئه، وهي إجابـــة المضطر، وتجلية الهموم، وإغاثة الملهوف.

ثم يزيد إلحاحه في الدعاء بعد ذلك ، فيقول :

أنجد انجد يا ربّ من دهمتـــه صـــدمات الخطـــوب بـــالتغبير

(١) – الديوان ص ٣٦

وأغثني يا ربّ أنـــت غيـــاثي   وانتصر لي يا ربّ أنت نصيري

وبعد ذلك يتوسل الشاعر بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث يعدد مناقبه ،ثم يتجه بدعائه إلى الله لنيل الفوز في الآخرة بأن يسكنه فسيح جناته ، ويعترف أن هذه الدنيا فانية لا تدوم بحال، فيقول :

وأنلني سكنى الجنان وأعـــــ   ـــــــل مقعـــدي في حجالهـــا

إن دنيـــاي لا تـــدوم بحـــال   وإذا امتـــدّ طولهـــا بالـــدهور

دار سوء ، إقامةُ الـــمرء فيها   مثل أفيـــاء ظلّهـــا المـــستدير

ويسترسل الشاعر في وصف هذه الدنيا مذكّرا بنهاية المـــرء فيهـــا ، ومعانـــاة النـــزع الذي يطلب من الله أن يقيه فتنته .

يصور بعد ذلك الشاعر الخوف المشوب بالرجاء ، فيقول :

أنا عبدٌ قد أقعدتني المعاصـــى   والـــمطيعون أدلجوا في المـــسير

فاز كلٌّ بمـــا مننـــت عليـــه   وتحيّـــرت في فـــضا التـــأخير

إنما لي إليك وصـــلة قـــرب   توجب العفو منك عن تقصيري

وعدك الحق بالإجابة فـــضلا   ودعائى في حنـــدس الـــديجور

هذه دعوتي وأنـــت جـــدير   بوفـــاء بالوعـــد للمكـــسور

ربّ عفوا عن ســـيئاتي فـــإني   أبتغى العفو من عفـــوٍّ غفـــور

واعتصامى بحب خير البرايـــا   والتزامى لبابـــه الـــمـــشكور

غايةٌ في تحقيـــق مـــا أرتجيـــه   منك مَنًّا يا ذا النـــوال الغزيـــر

ربّ شفّعْه فهو خـــير شـــفيع   وأجـــرني فأنـــت خـــير مجـــير

وأهد منّي إليه خـــيرَ صــــلاة وســــلام مـــضاعف التكريـــر
وعلى آله الكرام وصـــحب ذي المعالي أولي المقام الخطير[1]

فالشاعر يربط التعثر بمقارفة المعاصي، وسلامة السير بطاعة الله مع ارتباط ذلك بالدلجة التي ترتبط بقيام الليل وإخلاص المؤمنين المتقين، ثم يجعل خطابه مباشـــرا مـــع الله بدون وسيلة، فوصلة القرب التي توجب العفو من الله هي وعد الله الحق، ودعاء الـــشاعر ربه في حندس الديجور، ويأتي بعد ذلك التوسل بحب الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك من باب التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة، ويتوجه إلى الله طالبا أن يشفع فيه الرســـول الكريم، ولا يتوجه إلى الرسول بالطلب المباشر، بل يطلب من الله وحـــده أن يجـــيره في الشطر الثاني من البيت.

بعد ذلك ينتقل الشاعر في ديوانه إلى إيراد قصائد نبوية في المـــدح والتوســـل ، ولكنه لا يلبث أن يعود بعد ذلك إلى القصائد الإلهية ، حيث نجده يمجّد الخالق – جـــل شأنه –، ويؤكد أن النجاة لمن يلتزم طريقه ، وذلك في مقطوعة غير طويلـــة ، يـــستهلها بقوله :

هو الله ينـــصر مـــن ينـــصره ويخذل لا شـــك مـــن يكفـــره
ومـــن ينـــصر الله لا غالـــب لـــــه لا ولا أحـــــد يقهـــــره
فمـــن يتـــق الله يجعـــل لـــه طريقـــا إلى رشـــده يعـــبره[2]

ويستمر بعد ذلك في إلهياته ، ولكنها هنا تتسم بالقصر والتركيز ، وتكاد تدور كلها حول طلب النجاة في هذه الدنيا وتفريج الهم وتيسير الأمور وطلب حسن المـــآل ، وتختلف درجة مخاطبة الشاعر لربه فهو يلح ويشتد في الدعاء بينما نجده أحيانا يخاطبـــه –

(١) – الديوان ص ٢٣
(٢) – الديوان ص ٣٢

جل شأنه – مخاطبة المستأنس المحب الوادع الهادئ الذي ضمن ما يرتجيه ، ولم يبق له إلا التلذذ بقربه من ربه . فنجده يقول في مقطوعة جميلة يستهلها باستفهام إنكاري، فيطابق في صدر البيت بين الوحشة والأنس، وفي عجزه بين الظلمة والنور، فيقول :

أتوحشني الكـــروب وأنـــت ... وتظلم بي وهديك نور شمـــسي؟

فلا وجلال وجهـــك لـــست ... عنيً أبدا وحبك قوت نفسي[1]

ويقول في أخرى، مكررا الحديث عن الأنس والنور:

يا رب ذكرك أنسي ... ونور هديك شمـــسي

فاملأ بذكرك قلـــبي ... واجـــل بـــــهديك

ثم يعود للشكوى إلى الله – سبحانه - مما أصابه في مقطوعة يؤرخها بالتاريخ الذي نكاد نرجع أغلب هذه القصائد الإلهية له ، وهو سنة ١٢٠١ هـــ ، والذي يـــذكر الشاعر أنه قال فيه هذه المقطوعة عند كرب أهمّ وخطب ألمّ ، وتدلل الأبيات على تمتـــع الشاعر بقوة تأليفية، يقول :

يا خالقي طال حبـــسي ... وجنّ ديجـــور لبـــسي

وضقت ذرعا لكـــربي ... ووحشتي بعد أنـــسي

أطلق إلهـــي اعتقـــالي ... من ســـجن نكـــسي

واغفـــر ذنـــوبي فـــإني ... ظلمت يا رب نفسي[3]

فكما نلاحظ اختيار الشاعر لألفاظه، حيث صرّع البيت الأول بلفظتي(حبـــسي ،لبسي)،ثم في البيت الثالث جاء بلفظتي(نكسي ،وكسي)، وكذلك تنويع الطلب بالنـــداء وفعل الأمر، وجعْل الضيق نتيجة حتمية للحبس والكرب والوحشة، ولا يزول هذا الضيق

---

(١) – الديوان ص ٣٣

(٢) – الديوان ص ٣٤

(٣) – الديوان ص٣٤

إلا بنعمة الحرية وإنــهاء الاعتقال الحسي والمعنوي، الذي جعل غفران الذنوب نــــهاية لظلم النفس الموقع في الكرب ، كما هو حال نــهاية الاعتقال والحبس بفكاك القيد.

بعد ذلك يورد الشاعر بعض المخمسات والموشحات والتشطيرات ، ثم يعود لمـــا استهل به الديوان حيث الالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى ، ولكنه في هذه القصيدة يثبـــت التاريخ والذي يوافق سنة الحجب ، ومن القراءة الأولى تتكشف لنا عدة تقاطعات مـــع القصيدة فاتحة الديوان ، فهو في آخر القصيدة يستعيذ من شر النفس ومن شر إبليس ومن كل المؤذيات ، ثم يختم ذلك بالاستعاذة من شر بغض المبغضين وحقدهم ، وهذا يدعم ما قلناه عن تزامن تلك القصيدة الفاتحة مع محنة الحجب .

٢ - التأملات

عندما نتأمل الخيوط التي نسج عليها الشاعر ديوانه لا نجد صـــعوبة في معرفـــة الأساس الذي رتبت عليه هذه الخيوط ، فبقراءة شعر الشاعر والولوج إلى مابين ســـطوره تتبدى أمامنا معالم نفسيته ، التي استقر ترتيبه لديوانه وفقها.

من شعر الإلهيات والمدائح النبوية والتوسلات نخلص إلى أن الشاعر أراد تــهدئة جيشان نفسه بــهذا الشعر الذي يزهده في كل ما هو دنيوي، ويغنيه ويرفعه عن التذلل واللجوء لأحد من المخلوقين ، فكأن الشاعر أراد بــهذا الشعر أن يتسامى عن هذه الدنيا

الفانية وأهلها ، أراد أن يرتقي برغبته إلى الله العزيز المتعال، وإلى ما عنده من النعيم المقيم الذي لا يفنى .

بعد أن هدأت ثائرة الشاعر وأحسّ بالاطمئنان بلَهَجِه بإلهياته وتوسلاته ، عاد إلى التأمل والتفحص وقراءة النواميس التي تسير عليها هذه الحياة ، قراءة كينونة الإنـــسان في هذا الكون ومكانته ووزنه ومآله .

أراد عن طريق هذه التأملات أن يخلص إلى مواقف شخصية بعد هـــذا العمـــر وهذه الحياة الحافلة بالطموح والعلاقات ، أراد أن يخلص أو أن يستخلص من تجربته مـــا يريحه ويزهده في مناصب الدنيا ، أراد أن يسمو إلى ما يرغبه في الآخرة ، أراد أن ينتقـــل من سخط الناس إلى رضا الله ، أراد أن يتحد مع نفسه ليكون فوق كـــل بـــني الـــدنيا وزخرفها الزائف .

كانت وفاة ريحان آغا الوزير سنة ١٢٠٠ هـــ في جدة مناط تحول خطير في حياة الشاعر ، أو هي الصخرة التي تحطمت عليها آماله وأحلامه وطموحاته ،بل كانت هـــي الفاقرة التي قصمت ظهره وليست القشة ؛ لأننا نجده في أشعار سابقة قبل هذه الفترة بعدة سنوات يندب حظه ويرى أن الدنيا لا تعطي المقام والمنـــزلة لمن يستحقها.

ونجده بعد حادثة الحجب التي رافقها إحساسه بتقدم السن (فهو حسب تقديرنا قد تجاوز الستين من عمره) ينكفئ على نفسه متأملا متدبرا في حال الدنيا ومآلها ناصحا وأحيانا معنفا نفسه ، فالدنيا لا تستحق كل هذا العناء ، فأي مجد وأي رقي تصبو إليـــه نفس الإنسان وكل شيء فان ذاهب من نفس ونفيس ، حيث يخلص إلى أن التعلق بالدنيا وزخرفها راجع إلى وهن العقول وحمقها .

نجد ذلك في القصيدة التي مطلعها :

يا متعبا نفسه ومجهـــدها	**بكدّها بالعنا فينـــهكها**
وبالغـــا ســـعيه لفانيـــة	**يوشـــــكها أن تـــــزول**

ونجد الشاعر يقرر أن أسلم شيء للإنسان هو الرضا بقضاء الله والتسليم لأمره وأن الخطر في تجنب ذلك ومجافاته .

يقول :

على خطر من لا يـــسلّم	**ومن لم يقابل ما قـــضى الله**
ولا شيء أرجى للسلامة	**كتـــسليمه لله فيمـــا بـــه**

فهذا ينبئ عن اقتناع شخصي استخلصه الشاعر من تجربته الخاصة ، ثم نجـــد الشاعر بعد ذلك يفكر في الأدوات أو الخطوات العملية التي يستطيع من خلالها أن يفعّـــل هذه القناعات فيخلص إلى ما خلص إليه كثير من الحكماء قبله وهو اعتزال الناس الذين لم يجد منهم إلا غمط الحق والحقد والدسائس والوشاة .

يقول:

اعتزل النـــاس ففـــي عزلتـــك	**أضعاف ما يحمـــد مـــن ألفتـــك**
واتق ما اسطعت جميـــع الـــورى	**تظفر بمـــا فيـــه وقـــا مهجتـــك**
واقطع من الناس الرجا وانقطـــع	**لله عنهم في رجا وصـــلتك[٣] [٤]**

(١) – الديوان ص٦٠

(٢) – الديوان ص٣٥

(٣) – (الرجا) قصر للفظة (الرجاء) المدودة وذلك من باب قصر الممدود للضرورة الشعرية.

(٤) – الديوان ص٤٣

والأبيات كما نرى تنبي عن سوداوية مقيتة وصل إليها الشاعر، فمهما كان من فساد المجتمع والناس، إلا أننا لا نظن أن ذلك موجب لمثل هذا الاعتزال وإلغاء كل أمـــل من الآخرين.

ومن الأسلحة التي أعدها الشاعر لمواجهة ما أصابه سلاح الصبر ، فهو يخاطب نفسه – مسليا - كما قال في مقدمة قصيدة له :

وقلت مسلّيا نفسي سنة ١٢٠١هـــ :

اصـــبر لكـــلّ ملمّـــة أمَـــدُ ... **وسينقضي ويـــزول مـــا تجـــد**

لا شيء فيما قد عناك ســـوى ... **صـــبر مـــع الباســـاء يطّـــرد**

فالصبر عدّة مـــا بليـــت بـــه ... **لا العدّ يدفعـــه ولا العـــدد**[1]

ثم يسترسل الشاعر في تأملاته ، فتأتي القصيدة تلو القصيدة ، فهو يتأمل حال الإنسان في هذه الدنيا وأسباب تعلقه بـــها ، ونجده يقتبس من الحديث"**إن الولد مبخلة مجبنة**"[2] ويقرن ذلك بالمال ويجعله مجلبة للترف والبطر، وكأنه بذلك يزهد نفسه في المال والبنين الذين جعلهما الله زينة الحياة، حيث يرى أن الجمع بينهما فتنة كبيرة، والانشغال بالدنيا وطول أجل الإنسان فيها مثقل له وهو مما يشغله عن العمـــل للآخـــرة، والفـــوز للمخفين العارفين بحقيقتها .

يقول :

الدهر مختلف الآصال والبَكَر ... **لنا ومؤتلف الأضـــداد للعـــبر**

والولد مجبنةٌ للمـــرء مبخلـــةٌ ... **والمال مجلبة الإتراف والبطـــر**

والجمع بينهما للحـــيّ فتنتـــه ... **وإنـــها فتنة من أكـــبر الكـــبر**

والمرء متصل الأشغال متصل ... **آمال متّصل الأعمال للفكـــر**

---

(١) – الديوان ص ٤٥

(٢) – سنن ابن ماجة ١٢٠٩/٢

مستمسك بعرى الدنيا علـــى	**منها بحسن الوفا بالعهد وهـــو**
فالحاذر الخف في دنياه عيشته	**وإن صفت فهى محض الكـــد**
والمثقلُ الكلفُ العاني بـــــها	**مضيّق العيش موقـــوفٌ علـــى**
فاز المخفّون فيهـــا العـــارفون	**والمثقلون بـــها فيها على خطر**

ونلاحظ أنه قد قدم هذه التأملات بأسلوب فني رائـــع، حيـــث الاخـــتلاف والائتلاف،والآصال والبكر في البيت الأول، والتناغم والجناس في البيت الثاني بين مجبنـــة ومبخلة ومجلبة، والأشغال والآمال والأعمال في البيت الرابع، والعُرَى والعُرِي في لبيـــت الخامس، والكد والكدر في البيت السادس، وفي البيت الأخير يجزم بفوز المخفين العارفين، ويجعل وضع المثقلين خطر دون أن يجزم بـــهلاكهم لأن ذلك متعلق بمشيئة الله.

ويسترسل الشاعر في سرد مواقفه ، ولكنه يفترض أن ثمة من يرد على مواقفـــه تلك، والتي لم يطبقها على نفسه ، فهو الكلف بالدنيا ومناصبها الناقم على نصيبه فيهـــا والذي يرى أنه يستحق أكثر مما أعطته بكثير .

وزهد الشاعر يشبه إلى حد كبير زهد أبي العتاهية الذي كان أحرص النـــاس على جمع المال، والشاعر ينادي بـــهذا الزهد مع تعلقه بالمناصب ونـــدب حظـــه لعـــدم تحصيلها، فيظهر أن هذه النـــزعة للزهد جاءت تعويضا نفسيا عن الفشل الذي مني به في تحقيق بعض المآرب.

يخاطب القارئ طالبا منه أخذ الجانب النظري من كلامه لأن عملـــه مخـــالف لذلك، وذلك نـــهج العلماء في تواضعهم ووصم أنفسهم بالنقص والجهـــل والتفـــريط، ولكنه عند الشاعر ليس من باب التواضع فحسب بل هو حقيقة ماثلة أراد أن يقرّها قبل أن يأخذها أحد منافسيه وحاسديه فتكون مثلبة عليه .

يقول :

يا صاح لا تلغ نصحا قد منحتكه ... وافاك من عجري نظما ومـــن

خذ علم نظمـــى ولا تـــركن إلى ... فإنني الصدف الحـــاوي علـــى

صفرٌ من العلم صنو الجهل لست ... شيء وإن رقّ منظومى ومنتشري

شأني الجهالة أثوابي الملالة منـــها ... جى البطالة بين العجز والخـــور

لك السلامة إن أصغيت منتصحا ... ظفرت من خـــدنك المغـــرور

ونلاحظ أن الشاعر لم تشغله هذه التأملات عن التأنق واختيار الألفاظ المناســـبة، فنجده في البيت الأول جانس بين (صاح) و (نصح)في صدره وبين عجري وبجـــري في العجز، وصفر وصنو ومنظومي ومنتشري في البيت الثالث، وفي البيت الرابع نلاحظ التتابع بين (الجهالة) و(الملالة) و(البطالة).

وهكذا يبحر الشاعر في رائيته بواحد وستين بيتا طالبا أخذ العبرة من واقع الدنيا الغَرور التي لا تدوم على حال ، والتي لا يأمن لأيامها ولا يركن إلى شأن من شؤونـــــها أحد.

وبعد هذه القصيدة _ التي نفترض أن الصاحب المُخاطب فيها غير مقصود بعينه أو غير محدد _ ينتقل الشاعر في القصيدة التي بعدها لنصح الإخوان (كما يصرّح بذلك) ، فبعد أن قرر فروض الإخلاص والصدق لهذا الصديق في بداية القصيدة ينتقل إلى النصح بمضامين تشي بكدمات تجربته الذاتية التي تركت في نفسه أثرا لا يمحى والتي تدور رحاها حول قضيته القاصمة ، وهي حقد الوشاة والحساد ، والتي دمرت مستقبله وجعلت منـــه هذا الإنسان الناقم على الدنيا وأهلها الزاهد فيها الراغب إلى ما بعد هذه الحياة من حسن العاقبة في الحياة الأخرى .

يقول :

---

(١) – الديوان ص٤٦ ، ٤٧

أُخيّ وما دعواي منك أخـــوّة | كذابا وهل يخفـــاك في تــــــمِّه
تأمّلْ فما من هشّ فيك بوجهه | أخٌ لا ومن والاك منك له الضر
ولا كلّ من أبدى لك الـــودّ | ولكن ترى الخافي لـــو ارتفـــع
تراه محبّا والــضمير صـــحيفةٌ | طواها على بغض وعنوانـــــها
يداجى بحسن دونـــه الـــسوء | ويظهر خيرا منه باطنـــه صـــفر
يموّه ما يخفيه عنك بكلّ مـــا | يروقك تمويها كما يفعل السحر

تأملات سوداء تشي بنفسية قلقة لا تكاد تثق بأحد، بـــل تفتـــرض الخـــداع والكذب والغش والنفاق في الآخرين.

ويستمر الشاعر في تأملاته فنجده في قصيدة تالية هي عبارة عن تذييل لبيـــتين ذكر أنـــهما لابن ظافر في كتابه (بدائع البدائه) ، وهو في هذه القصيدة لا يخـــرج عـــن دائرة تأملاته، التي تدور حول المجد الدنيوي وطرقه ومحصلته ، فيعزي نفسه بأن السيادة لا تدل على تفرد وتفوق المسوَّد ، وأنّ من تأخرت رتبته لا يدل ذلك على هوانه ودنـــوّه ، وعلى كل حال فالمصير واحد للسيّد والمسُود ، فالقبر غاية كل حيّ .

يقول في آخر القصيدة :

رأيت المعالي من يرمْها لرفعـــة | قضت خفـــضه كـــالخفض في
أرى من نحا للمجد من غـــير | وما نال مما قد نحاه سوى الوزر
إذا لم يكن للمرء عزٌّ بنفـــسه | تدانى وما للعز بالكد من فخـــر
بحالين يلقى الناس كل مسوّد | بدنيا بلا دين ونعمى بلا شـــكر
فمثن على قـــبح بــــمدح | وصيت على ذكر وحمد علـــى
وطاو على غيظ سريرة مبغض | لنا وعلى عذر وناو على مكـــر
إذا زينت في نفسه رتبـــة لـــه | يتيه بـــها في الناس سكرا بـــلا
ويرفل بالإعجاب في خيلائـــه | كأنْ قد أتـــى بـــالفتح فـــيهم

ألا قبّحت دنيا قصارى حليفها تنكّبه عنها انتكاسا إلى الصبر[1]

وفي أثناء هذه القصائد التأملية، التي نردّ جلها إلى محنة الحجب التي تعرّض لها الشاعر يفاجئنا بقصيدة أرى أنها واسطة الديوان، وهي الكاشفة عن نفسية الشاعر، والمؤرخة لحياته التي تتلخص فيها تجربته ويبدأ عندها مؤشر الطموح بالتقهقر والتضعضع، فهو يعود في هذه القصيدة إلى نفسه متسائلا عن سبب تأخره عن الرتبة التي يستحقها محاورا لها بطريقة تجنح إلى الموضوعية ، ولو أنه لا يلبث أن يصدر الحكم الذي حفلت به كثير من قصائده ، والذي يرجع فيه كل انتكاساته وهزائمه ومآسيه إلى ذلك العدو المداهن الذي خدعه وظهر له في زي صديق وهو ألد الألداء، ومن خلال هذه القصيدة يتحقق لنا ما قلناه عن نزعة الزهد عنده بأنها جاءت عبارة عن تعويض نفسي عن الفشل الذي مني به.

وهي قصيدة عينية تقع في ثلاثة وستين بيتا يؤرخها الشاعر بسنة ١١٩٣هـ ، وهو تاريخ يسبق سنة الحجب بسنوات ، وكأن الشاعر كان قلقا ما فتئ يتعرض للكيد والوشاية ، قد حال دون مطلبه حاسد متيقظ لا تغفل عينه .

يقول في مطلع القصيدة :

تعرّض لي من دون ما رمت فأخّرني عن نيل ما أنا طامع

أحال القضا بيني وبين مطالبي وكم دون ما تهوى النفوس

فمطالبه لم تتحقق، لا بسبب زهده، ولكن منعته الموانع عنها، وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه.

ثم يعاتب نفسه بعد ذلك ليخلص إلى حكم الإنصاف الذي برّأ نفسه من قصورها، وقرر أن الذي أخّره عن رتبته ومطالبه هو ذاك العدو المتربص.

يقول:

---

(١) – الديوان ص ٥٤

وما ذاك إلا أن لي دون مطلبي   رقيبا قريبا لطفـــه عنـــه شاســـع
وهل هو إلا قاطعٌ طُرَق الوفا   عليّ وحسبي فهو للطّرْق قـــاطع

ثم يسترسل في وصم هذا المتربص اللدود بصفات تدور حول زيفـــه ومداجاتـــه ونفاقه ليخلص إلى أن لهذا الخصم من الصفات السيئة ما يفرده عن غيره مـــن الخـــصوم العاديين ، ثم يتحول بعد ذلك ليذكر تغيّر حال الدنيا وذهاب الأيام التي خلت ومـــضت بأهلها وخيرها، ولكنه يتراجع عن الذم المطلق للأيام التي كان له بـــها ما كان من العيش الهنيء ، فيقول:

ولا ذمّ للأيام قد كان لي بـــــها   زمانٌ عيون الهم عنـــه هواجـــع
عليّ لها حفظ الذمام كمـــا لهـــا   عليّ أياد هن عنـــدي ودائـــع
وإذ ذاك روض النيل غضٌّ وماؤه   معينٌ وغصن العمر ريّان يـــانع
وللقلب في تلك الريـــاض الـــتي   منازهُ يعـــشو ظلّهـــا ومنـــازع
فيا حبّـــذاها حبّـــذاها وكلّهـــا   محاســـن إلا أنّـــــهن صـــنائع
مضى ما مضى منها على قدر ما   ويأتي بقدر الحال منها المضارع
على أنني أدركت منـــها بقيّـــة   ظفرت بـــها والقلـــب إذ ذاك

ثم نجد الشاعر بعد ذلك يستمر في تأملاته معزيا نفسه في عدة قصائد لا يخـــرج فيها عن الإطار الذي ذكرناه .

(١) – الديوان ص ٥٧

٣ - الإخوانيات

تشكل قصائد الإخوانيات نسبة كبيرة من ديوان محمد قابل، فمـــن الوهلـــة الأولى يكتشف المتصفح لديوان الشاعر هيمنة الشعر الإخواني على أجزاء كبيرة منـــه ، ويكـــاد يكون هذا ديدن شعراء العصر الذي تفشت فيه الأمية ، وقل متذوقو الشعر الفصيح فيه .

وقد عدّ عبدالقدوس الأنصاري شعر الإخوانيات من شعر المديح فذكر أن أكثر شـــعر الشاعر في المديح(١)، وقد سماها الدكتور عبدالله الحامد مباسطات ، فذكر أن شعر الديوان أكثره في المباسطات ، وأن ما وجد له من مديح كان على سبيل المباسطة .(٢)

والإخوانيات هي تلك القصائد الموجهة إلى شخص آخر وغالباً ما يكون شـــاعراً أو صديقاً ، و لم ندرج هذه القصائد ضمن المدائح ؛ لأن القصائد الأخرى موجهة لشخصية ذات مكانة اجتماعية تتبوأ مكانة تكون سياسية في الغالب ، حيث لايرتجي الشاعر مـــن نظم قصيدته لتلك الشخصية الرد الشعري وإنما يريد أن يتقرب منه.

ويمثل كلا النوعين عند محمد قابل مدائحه لأمراء مكة الأشراف وإخوانياته مع إبراهيم الأمير وولديه، فبالرغم من أن الشاعر يجل ويقدر إبراهيم الأمير -كما يتضح ذلك مـــن تقديمه للقصيدة ،فهو يتحدث عن إبراهيم الأمير بلفظة (مولاي) - إلا أننا نـــدرج هـــذه القصائد في مبحث الإخوانيات لما نلمسه من صداقة تجمع بين الشاعرين ، ولتبادل الشعر بينهما ، وقد استغرقت هذه الإخوانيات الكثير من قصائد الديوان بالرغم من أن علاقتـــه بالأمير قد أتت في فترة متأخرة نسبيا من حياته، ففي إحدى قصائده يذكر الشاعر أنـــه نظمها سنة ١١٩٤هـــ وردّ عليها إبراهيم الأمير ، يقول:

هل لهذا البعـــد مـــن أجـــل   أرتجيـــــه أم إلى الأجـــــــل(٣)

يشكو الشاعر من البعد ، ويتحدث عن مقدار وله وحبه لصاحبه ، ويمعن في تقديم ما يقتضيه هذا الحب من حفظ العهد وطلب الرضا والرحمة وستر الزلل .

---

(١) – عبد القدوس الأنصاري (تاريخ مدينة جدة) ص ٥٩٩

(٢) – د. عبدالله الحامد (الشعر في الجزيرة في قرنين) ص ٣٨٨

(٣) – الديوان ص٨١

والشعر الإخواني يتقاطع مع شعر المدح في صفات كثيرة ، فكلا الشعرين في عمومهما إطراء ومدح للشخص الذي أنشأت القصيدة من أجله، ولكن ثمة ما يميز بـين النـوعين فالشعر الإخواني – غالباً – ما يوجه إلى أديب آخر ، فيكون الـدافع لـذلك الـصداقة والزمالة في قول الشعر ، أما المدح وهو موجه لشخصية ذات مكانة اجتماعية فقد يكون الممدوح من متولي المناصب أو يكون عالماً أو شخصية لها ثقل في المجتمـع وإن لم تتبـوأ منصباً معيناً .

وفي ديوان محمد قابل تتميز القصائد الإخوانية عن المدائح بما يقدمه الشاعر للقـصيدة، فنجده يسبقها بلفظ المراسلة أو المكاتبة بخلاف قصائد المدح التي ينص الشاعر في التقـديم لها بلفظ المدح.

شعر الإخوانيات في الديوان يربو على خمسين ما بين قصيدة ومقطوعة ،يحتل نصيب الأسد فيها إبراهيم بن محمد الأمير الذي يظهر من تقدمة الشاعر للقصائد التي يبعثها إليـه مدى تقديره له حيث ينعته بمولاي وعمدتي ،وتشكل هذه القصائد جل الإخوانيات بـل نسبة لابأس بـها من مجمل قصائد الديوان ككل ، فهناك اثنتا عشرة قصيدة تخص إبراهيم الأمير.

وتتشابه مضامين شعر الإخوانيات تشابـهاً كبيراً ، والسمة الغالبة على هذا الـشعر إطراء الممدوح وشاعريته ، وبوجه خاص أبياته المجاب عنها في حال تكـون القـصيدة الإخوانية رداً على قصيدة ، ووصف مشاعر الود والإخاء بين الشاعر وصـديقه، كمـا لاتخلو بعض القصائد الإخوانية من المقدمة الغزلية التي يحشد فيها الشاعر كل قدراته لإبراز مهاراته الشعرية .

أول ما يلفت نظرنا من شعر الإخوانيات عند مطالعتنا ديوان الشاعر هي إخوانياته في الشاعر إبراهيم بن محمد الأمير الذي لاتمضي عدة صفحات من الديوان حـتى تطالعـك قصيدة مراسلاً بـها إبراهيم الأمير ابتداءً أو مجيباً له على قصيدة، وتبلغ القصائد الإخوانية التي أرسلها الشاعر للأمير في ديوانه ثمان عشرة قصيدة بعضها مؤرخ وبعضها غير مؤرخ، وأقدم هذه التواريخ هو ١١٩٣هـ وآخرها هو ١٢٠٣هـ أي ما يقارب العشر سنوات،

والأمير بذلك هو الشخصية الأبرز الحاضرة في ديوان الشاعر أدبياً واجتماعياً، والـــشاعر لاينفك ينعت الأمير بعمدتي ومولاي ، ويصفه أحيانا ملاذي وبركتي ويصفه بمعدن الأدب وزينة أولي الألباب ، ويتحدث عنه حديث المحب المعجب.

أول ما يطالعنا من هذه القصائد-حسب ترتيب الديوان- قصيدة يؤرخها الشاعر بسنة ١١٩٤هـــ ،مطلعها:

هل لهذا البعد من أجـــل أرتجيه أم إلى الأجـــل[١]

وهي قصيدة لامية على بحر المديد تقع في خمسة وعشرين بيتاً يسلك فيهـــا مـــسلك الغزل وهي تنبي عن تذمر من النوى والبعد ، فيتمنى لقاء هؤلاء الأصدقاء وجمع شملـــهم ويتحدث عن إخلاصه لهذا الحب ، وبقائه على عهد الولاء على أيـــة حـــال ، ثم يخـــتم القصيدة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

وإذا ما تأملنا موضع هذه القصيدة وجدناها بين قصائد الغزل ، والشاعر يوردها هنـــا فيسبق بها قصيدة مؤرخة بسنة ١١٩٣هـــ ، وكان من حقها التقديم ويرجع ذلـــك –في رأينا- إلى أن القصيدة إخوانية في ثوب غزلي فالشاعر يضعها بين قصائد الغزل لأنها أتت في ثوب غزلي ومعانيها غزلية .

أما القصيدة الإخوانية التي تليها في الأمير – حسب ترتيب الديوان - فهي متأخرة عنها نسبياً، وهي القصيدة التي ذكرنا أنـــها مؤرخة لسنة ١١٩٣هـــ ،مطلعها:

حيِّي يا عهـــد الربـــا تلـــك وتعاهدْها بـــمنهلّ السحاب[٢]

وهي بائية على بحر الرمل ، وتقع في سبعة وعشرين بيتاً ويذكر الشاعر أنه أرســـلها للأمير وجوابها مقيد في المراسلات، ويستهل الشاعر القصيدة بمقدمة غزلية مبتسرة يحـــشد فيها أسماء الأماكن التي تثير شجنه ، ولا غرو في ذلك فهي حمى ليلى ومأوى الأحبـــاب والأصحاب، ويعتمد الشاعر في الأبيات الثمانية الأولى على التكرار ،حيث تتكرر كلمـــة

---

(١) – الديوان ص٨١

(٢) – الديوان ص ١٣٣

(حيّ) في مطلع كل بيت ، وهو ما يتناسب مع ذكره للأماكن حيث حشد التحية لهـــا ، وفي الأبيات الثلاثة التي تليها يكرر كلمة (ثَمَّ) ثلاث مرات، وكأنه يبرر تكراره لطلـــب التحية هناك، ثم يبحر بعد ذلك مع ذكرياته من هوى وصبوة ، وتلك الليالي التي قـــضاها بين إخوان صفاء ووفاء، ليسترسل بعد ذلك واصفاً مكانة هؤلاء في نفسه مؤكدا عظـــيم مكانتهم عنده فمنهم عزّه وشرفه ونصرته .

أما القصيدة التالية التي مطلعها:

صبا نجد سرت والليل مدجى ففاح عبيرها في كـــل فـــجّ(١)

وهي كما يذكر الشاعر جواب على قصيدة للأمير، ورويّها الجيم على بحر الوافر تقع في ثلاثة وثلاثين بيتاً، والقصيدة تبدأ بلوحة منظر طبيعي يرســـم فيـــه الـــشاعر الريـــاح والسحب والبرق التي ينتج عنها مطر غيدق ، وما ذاك إلا قصيدة الأمير التي أروت فـــؤاد الشاعر كما تروي السحائب الأرض فتصبح حدائق يانعة ، ويذكر الشاعر أنه كان يكنّ حبه ، ولكن نسمات نجد جعلته يخرج عن طوره ويبوح بمكنون هذا الحب، ثم يتحـــدث بعد ذلك عن التصابي وسبله ويأسف على عمر ضاع في الخلاعات لينتهي أخيراً إلى أنـــه يرجو النجاة من سوء فعله بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم.

وتلي هذه القصيدة مباشرةً مزدوجة أرسلها الشاعر للأمير ، ويذكر أن جوابـــــها في المراسلات وتقع هذه المزدوجة في اثني عشر زوجاً ، وهي لاتخرج عن نظـــام القـــصائد السابقة حيث المعاني الغزلية ، وهي خلوٌ مما يشير إلى الأمير بل لو أفردت عن تعريفها لظن قارئها أنـــها قصيدة غزلية بحتة. (٢)

ونمضي مع إخوانيات الأمير لنجد قصيدة حائية على بحر السريع تقع في ثلاثة وثلاثين بيتاً تتكرر فيها معاني قصيدة سابقة ، وهي الحديث عن النسمات والربا، وذكر ربـــوع

---

(١) – الديوان ص ١٤٤

(٢) – الديوان ص ١٤٦

الأحبة حيث الأصحاب والأصدقاء ، ولكن هذه القصيدة تنفرد بأن الـــشاعر يـــذكر في الأبيات الأخيرة أن الأمير آثر القرب واستوطن أم القرى. (١)

وفي قصيدة أخرى تليها مباشرة على مجزوء الرجز تقع في ستة وثلاثين بيتاً نجد الشاعر يجيب فيها على قصيدة لإبراهيم الأمير على نفس الوزن،مطلعها:

الحمـــــــــــد لله   الواحـــد الفـــرد

إذ يستهلها على غير عادته حيث يتوجه لله –جل شأنه- بالحمد والثناء ، ثم يـــصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويمتدحه ، ويصلي على آله وصحبه ليذكر بعد ذلك ورود كتاب الأمير إليه ، ثم يمتدح الأمير ويبجل القصيدة .

ويذكر الشاعر أنه في سنة ١١٩٥هـــ كان بمكة وتوجه لوداع إبراهيم الأمـــير في داره فلم يجده ، فلما بلغ الخبر الأمير أرسل قصيدة إلى الشاعر يورد صدر مطلعها ويذكر أنـــه أعقبها بنثر، فيرد عليه الشاعر بقصيدة رائية تقع في سبعة وأربعين بيتاً ، ويتـــساءل فيهـــا الشاعر عن ماهية ما ورده من الأمير هل هو صفو سرّ ؟ أم هدهد الأبناء ؟ أم هي أنوار ؟ أم عارض ممطر ؟ أم كنّس الزهرى ؟ أم يانع الزهر ؟ أم بدر التم؟ ويسترسل في تساؤلاته ليخلص أن ما جاءه هو نفحة الإسعاد وافته من أم القرى ، وأن النسيم طوّف بــــهذه النفحة على البيت ، وسعى بـــها بين الصفا والمروة ، وصلى بـــها خلف المقام لينـــبري بعد ذلك نحوه حاملاً معه معنى يدق على الفهوم إداركه ، وكان للشاعر معه من الفتوح ما كان، ثم يستمر بعد ذلك واصفاً ما أحدثته تلك القصيدة في عالمه ، ثم يثني بعد ذلـــك على الأمير وقصيدته ويعتذر عن تقصيره في الرد ويعقب القصيدة بالنثر، ويظهر لنا مـــن القصيدة والنثر مدى تمكن الصداقة بين الأمير وبينه. (٣)

ولكن بعد هذا التمكن في العلاقة نجد الشاعر يورد قصيدة ، يؤرخها بسنة ١١٩٣هـــ وهي – كما نظن - بداية تبادل الإخوانيات ، ويذكر أنه أجاب بـــها على قصيدة بعث

---

(١) – الديوان ص ١٥٠

(٢) – الديوان ص ١٥٢

(٣) – الديوان ص ١٦٢

بـــها الأمير من مكة المكرمة ، وهي لا تخرج عن إخوانيات الشاعر من إطراء للممـــدوح وشعره. [(١)]

أما ما يستحق التوقف والتدبر فهو القصيدة التي تليها ، حيث نجد محمد قابل يثبت في ديوانه أبياتا أرسلها إليه الأمير ، لأنه يرى على حد قوله أنه من حقها الإثبات ، وندر أن يثبت الشاعر القصائد المرسلة إليه في ديوانه بل –كما أسلفنا- يـــذكر أنـــه يحفظهـــا في المراسلات ؛ وأبيات الأمير عشرة أبيات سينية من البحر الطويل،مطلعها:

أدر من سلاف اللفظ كأسا لمحتـــسي   ودَعْ وصْــــفَ ذات الــــشنف أوذات

ويظهر أن إعجاب الشاعر بـــهذه الأبيات جاء من خروجها عن المألوف التقليـــدي فالأمير يحشد فيها الاستعارات مثل (سلاف اللفظ، غزال النور، صبح الوصـــل، أرجـــاء المحال، أحجار المنى، بحر السراب) ليخاطب اللاحي في البيت الأخير ، فيطلب منه لحظـــة يحظى بـــها بعيدة عن البخس والعذل والتأنيب ، وكأنه بذلك يطلب من الشاعر أن يرد عليه بقصيدة تكون كأساً من سلاف اللفظ، فيمتثل الشاعر –كمـــا يـــذكر- ويجيـــب بقصيدة على نفس البحر والروي، مطلعها:

ألا فاسقنيها خمرة الحب واحـــتس   سلافة ذكر حانـــها بيت مقدس[(٣)]

تقع في أربعة وعشرين بيتاً يستهلها بالحديث عن خمرة الحب وسلافة الـــذكر، فهـــي حياة الأرواح وقوت الأنفس ، ثم يسترسل في وصف هذه الكأس التي تـــــهيم بـــــها الألباب وتـــهدي النفيس للأنفس، ثم يعقبها بقطعة نثرية.

وفي قصيدة طويلة تبلغ ثمانية وثلاثين بيتاً على بحر الطويل مؤرخة بسنة ١١٩٤هـــ نجد الشاعر يستهلها بمعنى قد طرقه سابقاً ،وهو اللوحة الطبيعية للمطر، فيتحدث عن الـــبرق والغمام ، وهو يكني بذلك عن قصيدة الأمير المرسلة إليه ، ثم يتحدث عن ريـــح الـــصَّبا وزمان الصِّبا ليتحسر على ذلك الزمن الجميل الذي أصبح سراً كتمه مدىالعمر، فتـــأتي

---

(١) – الديوان ص ١٧٧

(٢) – الديوان ص ١٧٩

(٣) – الديوان ص ١٧٩

هذه القصيدة كأنَّها الصبا النجدي يـــهيج الذكريات ويخرجها من مكامنها، ليفيض دمعه مدراراً يقرح الجفون ، ثم يذكر بعد ذلك حبه لليلى الذي يكتمه، والقصيدة تبدو كالغزلية في ظاهرها ، ولكننا عندما نتأملها نلاحظ أن الشاعر يود من خلال هذا الغزل أن ينفس عن معاناته ، ويمرر من خلاله ما يجوس في نفسه ، يقول:

شواغل نفـــس كلـــهن قواطــع	**فكم قطعت وصلى وكـــم أقعـــدت**
فيا ويح نفسى كلما ارتفعت بهـــا	**شؤون رماها الزيغ في هـــوّة الحـــض**
ويا ويحها يا ويحها طوّحت بها الـــ	**أماني في وهد خـــلاء مـــن الأرض**[1]

ويطالعنا الشاعر بقصيدة أخرى يجيب بـــها إبراهيم الأمير سنة ١١٩٧هــــ ، وهـــي قافيّة على مجزوء الرمل ، وتقع في واحد وثلاثين بيتاً، والقصيدة خمرية يكني بـــها الشاعر عن قصيدة الأمير المرسلة إليه .

وتصادفنا بعد ذلك قصيدتان لاميتان تقع الأولى في ثلاثة عشر بيتاً يجيب فيها الـــشاعر على قصيدة غزلية للأمير ، أما الثانية فتقع في اثني عشر بيتا أرسلها الشاعر للأمير والشاعر في المدينة ويخبره عن زيارته لها وسعادته بـــهذه الزيارة .

أما القصيدةالتالية وهي الأخيرة من حيث التاريخ، فتاريخها سنة ١٢٠٣هـــ، ويـــذكر الشاعر أن الأمير أرسل له قصيدة فريدة تشتمل على محاسن عديدة وتحتوي على خفايـــا ورموز وخبايا كنوز سلك فيها مسلكاً غريباً ومنهجاً عجيباً، وقد ذكر الـــشاعر صـــدر مطلع قصيدة الأمير وهو : **سؤال خيالٍ في الفؤاد تحصلا**

ويذكر الشاعر أنه رد عليه بـــهذه القصيدة التي يطمع بـــها أن يفك طلاسم قصيدة الأمير، والقصيدة لامية على بحر الطويل تقع في ثمانية وثلاثين بيتاً يمتدح الشاعر في التسعة الأبيات الأولى قصيدة الأمير ويصفها باليمانية التي آنست الحجـــاز، ويظهـــر أن الأمـــير أرسلها وهو في صنعاء، ويظهر أن الشاعر قد عانى الأمرّين لفك طلاسم الأمير الذي يظهر أنه أودع قصيدته معانيَ معمّاه ، وكأن الشاعر فهم من قصيدة الأمير شكواه من الزمـــان لنجده يصف الزمان بأنه قد خلف أبناءه مصابين بالعلل ، ثم يسترسل بعد ذلك في حشد

(١) – الديوان ص ١٨٦

المصطلحات الطبية مثل (مزاج الكون، الخلط، الحمية ، المسهل، الضماد ، الطلا..) لكن يظهر أن الشاعر غير مقتنع برده ويذكر أن الأمير قد أراد بـــهذه القصيدة إفحامه، يقول :

لعمرك قد أغمضت رمزك لي بهـــا	**كأنك تنحـــو فيـــه ناحيـــة الأولى**
إذا رمت إخباري أفـــدني بـــسرّها	**أبحني منـــها مـــا لـــديك تحـــصّلا**
وإن كنت إفحـــامى أردت فـــإنني	**إذا عدت عنها القهقرى لست أولا**
وعذري في التقصير أوضح من ذُكا	**لدعواي في فهم الهبوط إلى العلا[1]**
وجدة داري موطني وهـــو الـــذي	**جنى غرسها ما طاب قط وإن حلا**

ونلحظ في البيتين الأخيرين أن الشاعر أراد أن ينهج منهج الأمير في قصيدته من حيث التعمية والغرابة ويتجلى ذلك في عبارة (الهبوط إلى العلا) ، ويؤكد في البيت الأخير قصور حظه حتى إن جدة داره وموطنه قد ضنت عليه بما جادت به للآخرين ، ولعـــل الغرابـــة والغموض في قصيدة الشاعر هو المسلك الذي عناه في عبارته والذي ذكر أنـــه مـــسلك غريب ومنهج عجيب.

ونجد الشاعر بعد ذلك في إخوانية أخرى يرسلها إلى الأمير،مطلعها:

تجلّـــت بـــــهاءً فاجتليـــت	**وأبدت حياءً فاجتليت دلالها[3]**

يذكر أن الأمير أجاب عليها ، وهي قصيدة لامية تقع في خمسة وعشرين بيتاً على بحر الطويل يتغزل على عادته ثم يخلص في نـــهاية القصيدة إلى مدح الأمير.

والقصيدة الأخيرة من إخوانيات الشاعر لإبراهيم الأمير قصيدة نونية على بحر الوافر تقع في ثمانية وعشرين بيتاً، مطلعها:

محـــبٌّ في الغـــرام لـــه شـــجون	**إليها لا يـــزال لـــه حـــنين[4]**

---

(١) – (ذُكا) أصله (ذُكاء) ومعناه الشمس، وهو من باب قصر الممدود للضرورة الشعرية.

(٢) – الديوان ص ٢٠٤

(٣) – الديوان ص ٢٠٧

(٤) – الديوان ص٢١٦

حيث يستهلها الشاعر بوصف حبه وحنينه إلى المغاني التي أحب أهلها ، فيذكر حب ليلى وحيّها ليخلص بعد ذلك لذكر الوفاء لإبراهيم الأمير الذي يقصر مدحه عن قدره.

وتمتد إخوانيات الشاعر كذلك إلى ابني إبراهيم الأمير يوسف وعلي ، إذ نجده يجيب يوسف بقصيدة بائية على بحر الرمل تقع في خمسة وخمسين بيتاً،مطلعها:

كيف أسلو ذكر أيّام الصبا وهى كانت لحياتي سببا[1]

يستهلها بذكر أيام الصبا ، ويطيل الحديث في ذلك ليذكر من هام بحبها إذ ذاك ، فيصفها ويسرد قصة حبه لها ، ليتخلص بعد ذلك إلى مدح المذكور ويثني على نظمه ويعتذر عن مجاراة هذا النظم كعادته.

أما القصيدة الثانية فيذكر الشاعر أنه أرسلها إلى علي ويوسف ابني إبراهيم الأمير، ويذكر أن عليًّا قد أجاب عليها ، وأن هناك قصيدة أرسلها والدهما إليهما كانت سبباً في نظم هذه القصيدة ، وقصيدة الشاعر دالية على بحر الطويل تقع في أربعة وعشرين بيتاً،مطلعها:

سرت نفحات الهدي من علم إلى نيّري أفق السيادة والمجد[2]

والقصيدة تتحدث عن قصيدة الأمير التي أرسلها إلى ابنيه إذ يتحدث الشاعر عن سراها، ويحشد أسماء الأماكن التي درج الشعراء على التغزل بها مثل نجد ووادي العقيق وقبا والرقمتين وعالج ، ويكرر الشاعر جملة (سرت) منذ مستهل القصيدة حتى البيت التاسع ويطلب أن يصحب هذه القصيدة وإلا فليبلغها السلام ، ويؤكد لهما أنه باق على ولائه وعهده ووداده لهما.

ويذكر الشاعر قصيدة أجاب بها على قصيدة أرسلها إليه الشيخ سعيد بن علي اليمني القيرواني،مطلعها:

تراءت وفود الليل فينان ووجه السما بالزهر روضٌ منمنم[3]

---

(١) – الديوان ص ١٣٥

(٢) – الديوان ص ١٥٤

(٣) – الديوان ص ٢١٠

ثم يعقبها بسبعة أبيات يذكر أنه نظمها على وزن وروي قصيدة القيرواني وأرسلها إلى علي بن إبراهيم الأمير وهي ميمية على بحر الطويل يجدد بها تأكيد فروض الود ويمتدح فيها المذكور حيث يصفه بكعبة أهل العلم والفضل، مطلعها:

إليك ابن إبراهيم منّي قصيدةً   تشير إلى إخلاص ودّي وتُعلم[١]

وقصائد الإخوانيات تتوزع بين صفحات الديوان من أوله إلى آخره ، وأول ما يطالعنا من شعر الإخوانيات أبيات يجيب فيها الشاعر زين العابدين الحطاب ، والذي ينعته بمولاي، وهي أربعة عشر بيتاً فائية على بحر الطويل ،إذ نجد الشاعر يطلب من الحطاب أن يرفق بنفسه لأنها نفس كريمة نفيسة زاكية ، وأن لايعنفها ، لأنه هو من يعينها على أفعال التعفف ، يقول :

رويداً بنفس منك نفساً كريمة   زكا فرعها من أصلها المتشرف

ورفقاً بها فهي النفيسة حقها   بأنك لا تلوي بها لتعسف

فلا تلحها عنفاً وأنت تعينها   على كل فعل موجب للتعفف[٢]

وفي أبيات أخرى يذكر أنه أرسلها إلى السيد زين العابدين و لم يذكر لقبه وإنما يقتصر على الاسم فقط ولكنني أرجح أنه الحطاب سابق الذكر والقصيدة في أحد عشر بيتاً دالية على بحر الطويل وهي عرفان من الشاعر وقصيدة حب ووفاء يجدد فيها العهد ويعتذر عن تقصيره ولكنها حيلة المجتهد التي تلتمس العذر يقول:

تطولت يا زين الكرام على   وطوّلْتَنى يا معدن الجود والمجد

وطوّقت جيدي بالأيادي تفضلا   وقد نسجتها من مكارمك الأيدي

فلست أباريها بطوق حمامة   ولا مثل تطويق الخريدة بالعقد

ولكنما العرفان ينمو غراسه   بروض الوفا محض المحبة والودّ

على أن ودّي لم يزل في حفاظه   ولكنما تجديد عهد على عهد[١]

---

(١) – الديوان ص ٢١١

(٢) – الديوان ص ٥٩

ثم نجده في قصيدة أخرى يجيب بـــها على الحطاب و يخـــرج فيهـــا عـــن قـــصيدتيه السابقتين وزناً وطولاً ، فهي قصيدة رائية تقع في اثنين وثلاثين بيتاً على بحر الكامل ،وفيها يطري الشاعر قصيدة الحطاب المرسلة إليه ، حيث يستغرق هذا الإطراء الأبيات الاثـــني عشر من القصيدة ، فهي قصيدة أقصت مقدمي الشعراء والعظماء عن ميـــدان الأدب ، فيقول:

أنست فصاحتها ابن هاني وازدهت	**ألفاظهـــا حـــسناً علـــى مهيـــار**
سحبت على سحبان فضل ردائها	**فخراً فلم يُذعن لـــه بفخـــار**(٢)

ثم ينتقل بعدها لمدح الحطاب في ثمانية أبيات ، حيث يمتدح كرم محتده وتضلعه في العلم والأدب ، ليعود بعدها ليمدح نظم الحطاب وقريضة ليختم قصيدته بأربعة أبيات يعتـــذر بـــها عن تقصيره في إيفاء الحطاب حقه من المدح والإطراء .

ويظهر لنا من إخوانيات الشاعر في زين العابدين الحطاب متانة العلاقة التي تربطهما ، إذ نجد في الجزء الأخير من الديوان قصيدة يكاتب بـــها المذكور ويداعبه ، يـــصف في مستهلها مدى تعلقه بـــهؤلاء الأصدقاء ، فهو يعاني من آلام البعد والفراق عنهم الشيء الكثير ليختمها بمخاطبة المذكور وتبليغه سلامه وكذلك من هم حوله ، فيقول :

مولاي مولاي زين العابدين ومـــن	**أمسى حديثى بعليا مجـــده سمـــرا**
أبلغ سلام أخـــي شـــوق يؤرقـــه	**برق بساحتكم باع الكرى وشرا**
عليك ثم على المولى الشريف ومـــن	**حوى المقام من الأمثال والنظرا**(٣)

وعلى هذا المنوال وهو الرد بإطراء القصيدة المرسلة إليه نجده يجيب حسن البار بقصيدة تائية على بحر الخفيف تقع في واحد وعشرين بيتاً ، حيث يتغزل بـــهذه القصيدة وكأنّها غادة حسناء ، فيقول :

خطـــرت في غلالـــة سندســـيه	**وتثنّـــــت بقامـــــة سمهريّـــــه**

---

(١) – الديوان ص١٥٦

(٢) – الديوان ص ١٦٦

(٣) – الديوان ص ٤١٧

وتجلّت بمنظــر يخــضع البــد ر لديـــه في الليلـــة البدريـــه

ويستغرق هذا الإطراء ثلاثة عشر بيتاً لينتهي به الحال أسيراً لهواها في الأبيات التالية :

وهـــداني جمالهـــا لهواهـــا فهواهـــا المـــرام والأمنيّـــه

فأنا العاشـــق الولـــوع ومـــالي في سواها في مذهب العـــشق نيّـــه

وإذا كنت عاشقاً كـــن أصـــم ـــع عن مـــا تقولـــه العاذليّـــه[1]

ثم نجده يجيب على حسن البار بقصيدة بائية على مجزوء الرجز في ثمانية وعشرين بيتـــاً وهي لاتخرج عن المألوف في قصائد الشاعر الإخوانية الأخرى إلا بوزنها الخفيف فالشاعر يستهلهامباشرة بتوجيه الخطاب للبار مادحاً له بكريم محتده ثم ينتقل منذ البيـــت الثالـــث واصفاً القصيدة التي وصلته من السيد البار ليحشد لها كثيراً من صفات الإطراء لينتهي بعد ذلك تذكر الأيام الخوالي والتي كانت الباعث على تذكرها هو هـــذه القـــصيدة وهـــي ذكريات يستدعي التغزل بتلك الحبيبة الوصول .

وفي قصيدة أخرى تقع في تسعة وأربعين بيتاً يجيب الشاعر على عبد الله بـــن محمـــد عبدالشكور تستغرق منها المقدمة الغزلية ستة وعشرين بيتاً ، ليتخلص بعد ذلك إلى مدح المذكور ، فهو الندب الجميل الجليل أوحد أهل الأدب ، ثم يعتـــرف الـــشاعر كعادتـــه بالتقصير عن إيفاء المذكور حقه من المدح ، لينتقل بعد ذلك لإطراء القصيدة المرسلة إليه فهي درر وكل شعرها حكم ، يقول :

معرفتي بالقـــصور أليـــق بي عن قولـــة في عـــلاه أســـهبها

أنّى لنظمي بـــأن يقـــوم بمـــا حواه ، من للنجـــوم يحـــسبها

يا سيدي قد بعثـــت لي دررا تنظمهـــا بالثنـــا وتعربهـــا

أهديت في ضمن نظمها غررا أعلقهـــا بـــالفؤاد أغربهـــا[2]

---

(١) – الديوان ص ٩٣

(٢) – الديوان ص ١٤٣

ومما نجده في إخوانيات الشاعر مكاتبته ومراسلته لبعض الأصحاب الذين لايذكر من هم، وقد تكرر هذا في عدد من القصائد ، ولعل عدم الذكر يعود إلى عدم شهرة الشخص المرسل إليه القصيدة ، فلعله من عامة الناس غير المشهورين فلا فائدة من ذكره ، أو لعل الشاعر نسي اسم هذا الشخص عند جمع الديوان فأثبت القصيدة دون اسم الشخص الموجهة إليه ، إلا أنني أرجح السبب الأول في عدم الذكر.

من هذه الإخوانيات الموجهة إلى بعض الأصحاب – على حد قوله- قصيدة تقع في أربعة عشر بيتاً ونقف عندها لتميزها عن بقية الشعر الإخواني حيث يستهل الشاعر كل الأبيات ما عدا البيت الأخير بالسلام حيث يشبه السلام في كل بيت بشيء مما درج الشعراء على حشده لوصف الجمال ، فهو سلام كالنفحات الطيبة وكالعبير وكنوح الحمام وكالأقاحي وكالصباح وكقطر السماء وكالزهر وكشعاع الأصيل وكعقد الدر إلى أن يقول:

سلام كما طاف الصفا وصفى الوفا	**لمن طابقت أخباره كرم الخُبْر**
سلام عليك، الله يبقيك للعلا	**وينفعني فيها بأخلاقك الغر**
سلام على أخلاقك الغر والثنا	**وإن طال نظمي فيك جل عن الحصر**
ومن لي بأن أثني عليك مسلّما	**بقاؤك للعليا ثناءٌ على الدهر[1] [2]**

ومن إخوانياته لبعض الأصحاب كذلك إخوانية تقع في عشرة أبيات ، وهي تقليدية نلاحظ عند قراءتهما البون الشاسع كمًّا وكيفاً بينها وبين القصائد الإخوانية لشعراء وأصحاب بارزين .

ونمضي مع هؤلاء الأصحاب المجهولين لنجد قصيدة يجيب بها الشاعر بعض الأصحاب عن بيتين صدرا منه ، وهي قصيدة سينية تقع في ستة وثلاثين بيتاً ، إذ تستغرق المقدمة الغزلية أكثر من نصفها، ولكنها لاتقل في عدد أبياتها وفي نظمها عن القصائد الإخوانية التي يصرح الشاعر باسم من أرسلها إليه .

---

(١) – الفعل (أثني) من حقه النصب وهو مخل بالوزن، ولا تبيح الضرورة الشعرية تسكينه.

(٢) – الديوان ص ١٦٨

ومن هذه الإخوانيات قصيدة نونية تقع في خمسة وخمسين بيتاً على بحر الخفيف، وهي إخوانية مميزة يظهر فيها إجلال وتقدير الشاعر لهذا الصاحب الذي لم يصرح باسمه، ونجد الشاعر في هذه القصيدة يخرج عن ديباجته المعهودة في جل القصائد الإخوانيـــة حيـــث يستهل القصيدة بوصفه لحمامة هادلة أثارت ما أثارت في نفسه،فيقول:

أعربت في هديلها عن شجوني وتغنّت في أيكهـــا بلحـــوني[1]

وهذا مذهب شعري، فالحمامة ترد عند الشاعر العربي في سياق الغربـــة والحـــنين، ويتحدث الشاعر مع هذه الحمامة،ثم ينتقل بعد ذلك ليتذكر عهد الأنس وذكريات ليلـــى ليتخلص بعد ذلك إلى مدح وإطراء هذا الصديق على عادة الشاعر ،حيث إطراء الممدوح وشاعريته ، ثم يعتذر في الختام عن قصور شعره الذي لم يف هذا الصديق حقه، وهنـــاك قصيدة لامية تقع في عشرين بيتاً يذكر الشاعر أنه أرسلها إلى بعض الأصحاب رداً علـــى ثلاثة أبيات وردت منه على طريق المداعبة، وهي على بحر الكامل، ولاتخرج عما ألفنـــاه عند الشاعر في قصائده الإخوانية من إطراء الممدوح وأبياته والاعتذار عن تقصير شعره عن الإيفاء بالحق .

من الشعر الإخواني الذي يستحق الوقوف عنده لتميزه مزدوجة ذكر الشاعر أنه أجاب بها الشيخ محمد شيخون عن أبيات صدرت منه للشاعر، والذي يميز هذه الإخوانية عـــن غيرها في المقام الأول الوزن الشعري فهي مزدوجة على بحر الرجز أما من حيث المضمون فهي تلتقي مع الإخوانيات الأخرى في القسمات العامة ، حيث يستهلها الشاعر بـــإطراء الأبيات التي صدرت إليه من شيخون، ثم ينتقل إلى مدح شيخون فيـــصفه بعلـــو المقـــام والنباهة وقطب الكمال ليعود بعد ذلك لتقريظ الأبيات، فيذكر أن قائلها جـــل عـــن أن يباريه أحد، فلا ابن هاني وخمرياته، ولا أبو العتاهية في زهدياته، ولا التهامي ومرقـــصاته، ولا ابن حمدان وفخرياته، ولا أبو الطيب ولا بشار أحرزوا ما أحرز شاعرها فكلهم دونه.

كما نجد قصيدة مؤرخة بعام ١١٩٨هـــ يذكر الشاعر أنه أرسلها إلى شـــيخون رداً على قصيدة يصفها بأنـــها فريدة، ويستهلها بوصف ورود القصيدة إليها حيث ينعـــت

---

(١) – الديوان ص ٢١٨

شيخون بالجمال وهو لقب – كما أسلفنا – يطلق على من يطلق عليه جمال الدين ،وهي قصيدة لامية تقع في اثنين وأربعين بيتاً على بحر الخفيف، وفيها يخرج الشاعر عما ألفنـــاه في كثير من إخوانياته، حيث نجده في آخر القصيدة يحاول أن ينفس عن نفـــسه ويبـــث شكواه من الدهر وأهله لهذا الصديق أما الأبيات الخمسة والعشرين الأولى فهـــي وكمـــا عهدنا من الشاعر إطراء للقصيدة المرسلة إليه، ويظهر فيها احتفـــاء الـــشاعر بالقـــصيدة وشاعرها،وينبي استرسال الشاعر فيها أنها وافته في زمن ضيق أحوج ما يكون فيه لمواساة صديق، ومن نفثاته التي ذكرناها بعد إطراء الممدوح :

واحد عـــزّ عـــن نظـــير عـــلاه — دونهـــا كـــل ذي عـــلاء ضـــئيل

سمحُ نفس لنا به سمـــح الدهــــ — ــــر علـــى أنـــه بـــذاك بخيـــلُ

وإذا جـــاد وقتنـــا بكـــريم — فكـــثيرٌ حيـــث الكـــرام قليـــل

إن عتَبْنَا على الزمان فما العـــتـْـ — ـــب مُجْـــد إنّ الزمـــان جهـــول

قابَـــل الـــدهر غيرنـــا بعيـــون — نظرتنـــا بجانـــب وهـــى حُـــول

هكذا خلْقها الليـــالي وإنّ الفـــا — ضـــل الـــشهم عنـــدها مفـــضول

إلى أن يقول :

أنت أدرى مني بهـــذا اختبـــارا — وغـــني بـــالخُبْر عمـــا أقـــول

وأنـــا لم أفـــهْ بهـــا لاعتـــراض — وانتقاض حاشـــا عـــلاك الجليـــل

إنما الكأس فاض بعـــد امـــتلاء — لـــدواع عقـــل بهـــا معقـــول

ولصدري مـــن ضـــيقه نفثـــاتٌ — ضاق عنها، والحـــزن داء دخيـــل

صدرت نحوكم بثـــوب قـــصير — وعليها مـــرْط الحيـــا مـــسدول[١]

وهناك قصيدة ثالثة يذكر الشاعر أنه أرسلها للمذكور وينعته بالجمال دون ذكر اسمه، وهي قصيرة مقارنة بالقصيدتين السابقتين حيث تقع في اثني عشر بيتاً ،وهي لاميّة على بحر السريع يعتذر الشاعر في مستهلها عن عدم إيفاء شيخون حق قدره ،ثم يحشد له بعد ذلك جملة من المناقب والصفات لينتقل بعد ذلك كعادته لإطراء أبيات المخاطب .

---

(١) – الديوان ص ٢٠١

ونمضي مع الشاعر في إخوانياته فنجده يجيب الشيخ سعيد بن علي اليمني القيرواني على قصيدة يذكر أنـــها على نفس الوزن والروي وينعت الشيخ بالعلامة، وفي هذا دلالة على مكانة الشاعر والقصيدة ميمية تقع في اثنين وعشرين بيتاً على بحر الطويل ، وهي لاتخرج عما ألفناه عند الشاعر في جل شعره الإخواني، حيث إطراء القصيدة المرسلة إليه وحـــشد الفضائل والمناقب لمنشئها، ثم الانتهاء بالاعتذار عن قصر البـــاع في إيفائهـــا حقهـــا أو مجاراتـــها.

وبالمضي في قراءة الشعر الإخواني تستوقفنا قصيدة للشاعر إخوانية أرسلها للسيد محمد ابن هاشم اليمني، الذي ينعته بالعلامة الجليل والفهامة النبيل، وما يستوقفنا عنـــد هـــذه القصيدة هو أن الشاعر قالها مبتدئاً ، وقد تعودنا في جل القـــصائد الإخوانيـــة وخاصـــةً السابقة منها أن يكون الشاعر مجيباً على قصيدة أرسلت إليه، ومما يجعلنا نؤكـــد ابتـــداءه بالنظم مضمون القصيدة وتصريح الشاعر بعدها بأن المذكور أرسل له الجواب .

والقصيدة ميمية تقع في ثلاثة وعشرين بيتاً على البحر الطويل يظهر الشاعر في أثنائهـــا أسمى آيات الثناء والحب والعرفان، ويصفه بأعز الصفات التي يتقاصر عنـــها كـــل مـــثنٍ ومادح.

أما القصيدة الثانية التي يكشف فيها الشاعر عن مدى تعلقه بالمذكور فيقدم لها بقوله: (وقلت هذه القصيدة ، وأرسلتها لمولاي السيد محمد بن هاشم اليمني، وسلكت فيها هذا المسلك طمعاً في وصوله والاجتماع عليه والتماس بركته ولـــثم يديـــه ، وذلـــك ســـنة ١١٩٦هـــ) وهو نفس العام الذي أرسل فيه القصيدة السابقة ، وهذه القصيدة هائية تقع في ثلاثة وخمسين بيتاً على بحر الطويل يستهلها الشاعر بالدعاء بالسقيا لديار ليلى ليمضي داعياً متغزلاً متيماً بتلك الربوع التي لانفاجأ بمدى حبه لها إذا عرفنا أنـــها ربوع مكـــة البلد الحرام ، ثم يتحول الشاعر إلى نعت مكة بنعوتـــها من ذكر الحرمة والقداسة ومقصد الحجاج ومهبط الوحي حيث البيت الحرام والمشاعر المقدسة إلى أن ينتهي في العشرة أبيات الأخيرة إلى ذكر الممدوح والاعتذار عن ضآلة قصيدته أمام مقامه العظيم ، ومن البـــدهي ونحن بصدد دراسة شعر الشاعر أن نتوقف عند هذا المسلك الذي ذكر الشاعر أنه سلكه ، وقد كان لذلك سابقة في قصيدة ذكر الشاعر أنه أرسلها لإبراهيم الأمير وسلك فيهـــا

مثل هذا المسلك ، وإن كان في قصيدة الشاعر تلك من غموض وغرابة ما يـــبرر لــــه أن يتحدث عن مسلك مغاير إلا أننا هنا لا نجد في هذه القصيدة مسلكا غير الذي عهدناه في شعره ، فهي قصيدة لا تخرج عن النمط الذي تبعه في القصائد الإخوانية الأخرى .

ومن الإخوانيات التي تدل على تمتع الشاعر بعلاقات مع شخصيات مرموقة خـــارج الحجاز قصيدة يذكر أنه أرسلها للقاضي محمد بن أحمد مشحم[١] حيث ينعته بالعلامـــة، ويذكر أنه والٍ للوقف وكأنه يريد أن يميّزه عن آخر له نفس الاسم، ومحمد هذا تـــذكر التراجم أنه كان خطيباً لإمام اليمن المنصور بالله الحسن بن القاسم، ثم ولاه القضاء وأنـــه أديب له شعر، والقصيدة دالية تقع في واحد وثلاثين بيتاً على بحر الطويل يستهلها بمقدمة غزلية ليتخلص إلى مدحه الذي يصرح فيه أنه لايروم من هذا المدح سوى الود، ثم يمتدحه بالمكانة الرفيعة، وأنه أديب تحلّت به كل العلوم وقد جادت به الأيام فذاً فريداً ، يقول:

به علقت كـــل العلـــوم وإنهـــا ... لأعلق من غض الكمائم بـــالورد
وضمت به العلياء وهو ربيبـــها ... شواردها ضــــم النيـــابق للـــبرد
وجاءت به الأيام عينا يجـــول في ... محاجرها كالبرد في الأعين الرمد[٢]

ومن القصائد الإخوانية التي جاءت رداً على قصيدة حرص الشاعر على إثباتـــها قصيدة يجيب بـــها على قصيدة لأبي بكر الزفتاوي على نفس البحر والروي، وقصيدة الزفتاوي صادية تقع في تسعة عشر بيتاً على بحر الطويل، ولانعجب من إثبات الشاعر لهذه القصيدة في ديوانه إذا ما وجدنا الزفتاوي ينحو منحى الشاعر نفسه ، ألا وهـــو الـــشكوى مـــن الزمان، وعدم تحقيقه للمطالب والآمال بل يجتهد في تأخير أصحاب الفـــضل، فالـــشاعر يستهل القصيدة بمقدمة غزلية حيث يشتكي من هجرها، ولكنه يذكر أنه تعود ذلك مـــن الأيام في شؤون حياته الأخرى، فالغدر ديدن من يتعامل معه، ويتخلص بذلك إلى مـــدح

---

(١) – هو محمد بن أحمد بن جار الله مشحم الصعدي ثم الصنعاني ، كان خطيبا لإمام اليمن المنصور بالله الحسين بن القاسم ، ثو ولاه القضاء ، أديب له شعر ، توفي سنة ١١٨١هـــ . البدر الطالع للشوكاني٢/١٠٢، حلية البشر للبيطار ٣/١٢٠٨، الأعلام للزركلي٦/١٤ .

(٢) –الديوان ص ٤٠٤

الشاعر حيث أنه غفر للدهر كل هناته لأنه جعله يلتقي بالشاعر ثم يثني بعد ذلك على بلاغة الشاعر ويصفه برب المعالي الذي لايفي المستقصي لفضله ، يقول في تأففه :

ولم ترني في هجرهـا قـط عاتبـا ... لأني ألفت الهجر من دهري المقـصي
يباعـد أمثـالي ويـدني زعانفـا ... ويتركني في القطر أحيرَ مـن دلـص
ويوقع بي من خطبه كـل فـادح ... وينظـرني شـزرا بأعينـه الـرُّمْص
يقـرّب آمـالي ويبعـد مطلـبي ... ويعكس أحـوالي ويجهـد في نقـصي
ومالي ذنب غـير فـضل عدمتـه ... فمن لي بإرث الحمق عن حُمُقا حمـص
غفرت له ما قـد جنـاه تكرمـا ... بلقيا كريم قد أنخـت لـه قلـصي[1]

أما إخوانية الشاعر فتقع في أربعة وثلاثين بيتاً، وينهج فيها منهج صاحبه من المقدمة الغزلية ولوم الدهر، ويبدأ الشاعر في إطرائه لصاحبه ممتنًّا لقصيدته السابقة ، فيؤكـد أن الدهر من شأنه أن يقصي، ولكنه لايهجوه لأنه سما بصاحبه المستحق للسمو، فهو عار عن العار والنقص، وهو الذي حوى المعارف التي لاتحصى، ولكنه يعود ليؤكد أن الأيام لـو وفت بحقه لأبدت بفضله على البرص الذين جعلهم الشاعر – كما مر بنا – مثالاً لعلـو الحقير وذلك إشارة إلى خصمه اللدود الذي ساد – كما يذكر الشاعر – في جدة ، يقول :

فو الله لا أهجو الزمـان وقـد سمـا ... به العارف العاري عن العار والـنقص
أخو الأدب الغض النضير الذي حوى ... معارف لم يبلغ مدى حـصرها مُحـص
تخللت منـه دون صـحبي ماجـدا ... به انتظمت شمل المكـارم في شـخص
وأنموذج الفخر الذي عنعن الـورى ... حـديث عـلاه بالروايـة والـنّص
وصفوة عز قد علوا أشرف الـذرى ... وجاءوا ببنيان العـلا محكـم الـرص
فلو وفت الأيـام أبـدت بفـضله ... على الناس زهو العز فخراً على الـبرص
ومن نكـد الـدنيا كـريم جناحـه ... تراش به العليـا ويـوهن بـالقص[1]

---

(١) – الديوان ص ٤١٨. يقال أقلص البعير إذا ظهر سنامه شيئا وارتفع، والقَلْص والقُلُوص: أول سمنها، والقلوص الفتية من الإبل. لسان العرب (قلص)

ومن دلائل طغيان الشعر الإخواني على ديوان الشاعر كماً وكيفاً هو أن أقدم قـــصيدة مؤرخة تطالعنا في الديوان هي قصيدة إخوانية، وهي القصيدة التي يجيب فيها الشاعر على صفي الدين بن الحسين اليمني سنة ١١٥٩هـــ،ومطلعها:

أما الصفى بن الحسين علـــى   مرّ الزمـــان فحبـــه فـــرض[٢]

وهي أقدم قصائد الديوان المؤرخة كما أسلفنا، وهي ضادية على بحر الرجز تقع في أربعة عشر بيتاً لاتخرج عن نمط ما رأينا في شعره الإخواني.

---

(١) – الديوان ص ٤١٩

(٢) – الديوان ص ٤٢١

٤- المدح

المدح فن من فنون الشعر العربي،يكاد يكون أكثرها مادة، وهو فن شعري رائع يحمل في طياته كنوزا نفيسة من الصفات والمثل والمناقب الخلْقية والخُلقية والنفسية، الـتي آثر الشاعر أن يمدح بـها ، وطرب بـها الممدوح حين نسبت إليه، وبذلك يشغل شعر المدح حيزا مهما من تراث الشعر العربي كله.

وتمتد أهمية شعر المديح لتكون ذات شأن في ميادين أخرى، في السياسة والتاريخ والاجتماع، فكم من العظماء عبروا التاريخ واختفوا في غيابات الدهر والنسيان، وكم خَلُد عظيم بفضل شعر نظم فيه، فهل كانا هرم بن سنان والحارث بن عوف بدعا في الجاهلية، أم أن القدر هيأ لهما شاعرا مثل زهير أُعجب فأثنى، وكان مديحه سببا لعطائه، فذهب ما أعطي وبقي ما أعطاه.

وهل ستحظى حادثة فتح عمورية والخليفة المعتصم بمثل هذه الشهرة لولا بائية أبي تمام، وكذلك سيف الدولة وكافور والمشطب وبدر بن عمار لولا المتنبي.

وقد سار شعراء هذا العصر على سنن سابقيهم فكان لفن المدح من شعرهم كبير نصيب، إذ نجدهم يمدحون سلاطين آل عثمان وأمراء الحج وأشراف مكة ومتقلدي الوظائف العليا في الدولة من وزارة وولاية ومشيخات وقضاء، وكذلك مدح الأعيان والعلماء.

انحسر شعر المدح في القرون المتأخرة بشكل عام، وذلك بسبب انحسار وضعف الشعر الفصيح لتقهقر اللغة الفصحى ورواج العامية من جهة، ولغلبة الأعاجم ومن لا يهمهم أمر الشعر على المنطقة العربية من جهة أخرى.

هذا هو حال شعر المدح على وجه العموم، ونجده عند الشاعر أقل حظا منه عند الشعر والشعراء، إذ لا تتجاوز قصائد المدح في ديوانه الضخم- الذي يحوي ما يقارب الثلاث مئة قصيدة ومقطوعة – أربع عشرة قصيدة كان نصيب حكام مكة منها ثماني قصائد، وقصيدتين لاثنين من وزرائهم في جدة، والأربع القصائد الأخرى قيلت في شخصيات مختلفة.

والشاعر – كما نلاحظ- لم يحتفل بشعر المدح كثيرا ، فلم نجد له مدائح في سلاطين آل عثمان، ولا في أمراء الحج، وإنما اقتصر مديحه على حكام مكة ووزيرين للشريف سرور كانت تربطه بهما علاقة خاصة فالأول يوسف قابل قريبه، والثاني (ريحان آغا) الذي تولى الشاعر -كما يذكر- إدارة أمواله وأموره.

لم يكن الشاعر – على ما يظهر- ممن يتكسب بشعره، إذ نجد قصائد المدح عنده صادرة من لدن إحساسه بواجب أدبي تجاه هؤلاء الممدوحين الذين كانت تربطه بهم علاقة وطيدة، كان شعره وسيلة للمحافظة على تلك العلاقة، إضافة إلى أنه قد يرى في هؤلاء الممدوحين سببا للوصول إلى طموحاته التي ما فتئ يرددها في شعره ألا وهي المكانة الرفيعة التي يرى أنه أهل ليتبوأها، وليقطع على الأعداء والوشاة الحساد خط كيدهم وسعيهم الذي طالما شكا منه، أما من الناحية المادية فيبدو أن الشاعر ليس بحاجة إلى العطاء، فمن خلال بعض قصائد الإخوانيات الموجهة إليه نلاحظ أن الشاعر كان ممن يرتجى نواله، وذلك يدل أنه في بحبوحة من العيش.

هناك مدائح في ديوان الشاعر غير القصائد التي ذكرناها، وهي قصائد أقرب إلى المدح الديني نظمها الشاعر في الرسول الكريم r والصحابي الجليل عبد الله بـــن عبـــاس رضي الله عنه، ومدائح أقرب إلى الشعر الإخواني منها إلى المدح الخالص، وسنقتـــصر في هذا المبحث على مدح الأمراء والأعيان والعلماء.

مدح الشاعر ثلاثة ممن تولى شرافة مكة وهم : أحمد بن ســـعيد[١] (١١٨٤-١١٨٦هـــ)، وسرور بن مساعد[٢] (١١٨٦-١٢٠٢هـــ)، وغالـــب بـــن مـــساعد[٣] (١٢٠٢-١٢٢٨هـــ)، ولم نجد في ديوانه مدائح لأحد من المتولين قبل هؤلاء، علمـــا أن هناك من تولى الشرافة لفترات ليست بالقصيرة، وكانوا من الأهمية بمكان مثل الـــشريف مسعود بن سعيد وأخوه الشريف مساعد بن سعيد والد الشريفين سرور وغالب، وكـــان بالإمكان أن نلتمس للشاعر العذر لصغر ســـنه، ولكننـــا نجـــده في عـــام١١٥٩هـــــ وعام١١٦٢هـــ يمدح ويراسل الأعيان والنبهاء خارج الحجاز.

جاءت قصائد المدح عند الشاعر متتالية، بدأها بقصيدة يذكر أنه قالها في مدح بعض السادة من آل البيت، وهي قصيدة أقرب إلى التوسل منها إلى شعر المدح، ثم تلتـــها قصيدة في الوزير يوسف قابل، وتأتي بعد ذلك أربع قصائد في الشريف ســـرور تخللـــها قصيدتان الأولى في مدح الشيخ سالم المنوفي والثانية في مدح الوزير ريحان آغا، ثم يعـــود بعد ذلك لمدح الشريف أحمد بن سعيد الذي ولي قبل الشريف سرور، ثم يورد بعد ذلك

---

(١) – سبق التعريف به ص ١٥

(١) – سبق التعريف به ص ١٥

(٣) – سبق التعريف به ص ١٧

ثلاث قصائد متتالية في الشريف غالب بن مساعد، ثم يختم قصائد المـدح بقـصيدة في الأشراف الشنابرة.

سنتناول قصائد المدح بما قاله الشاعر في مدح المتولين لشرافة مكـة، بحـسب ترتيبها الزمني، فيكون بذلك أولها ما قاله في الشريف أحمد بن سعيد،والشاعر لم يـنص على تاريخ القصيدة في ديوانه، إلا أننا نؤرخها انطلاقا من الحدث الذي ارتبطـت بـه القصيدة وهو سنة ١١٨٤هـ.

القصيدة ميمية على بحر الطويل تقع في سبعة وستين بيتا، قدم لها الشاعر بقوله(وقلت أمتدح فخر السادة الأشراف الشريف أحمد بن سعيد، وأذكر ما فعل الأتراك مـن الإتلاف)، فكأنه يبين أن الذي دعاه لمدح الشريف هو هزيمته للحملة المصرية بقيادة أحمد بيك أبو الذهب التي ناصرت الشريف عبد الله بن حسين البركاتي ليتولى شرافة مكة.

يستهل الشاعر القصيدة بتوجيه الخطاب إلى الممدوح مستخدما ضـمير الجمـع مؤكدا منذ البداية أن أسرة الممدوح- وهم الأشراف آل زيد- ممن تسمو بـهم المقامات ، ولا تقوم بغيرهم، ويسترسل بعد ذلك ليؤكد أن المجد مجدهم والرأي رأيهم.

وقد استخدم الشاعر ضمير الجمع ليمتدح الشريف من خلال امتداحه لأسـرته؛ لأن الذي تولى الشرافة من خارج بيت الشريف الممدوح وهو من آل بركـات إحـدى الأسر النموية التي تداولت حكم مكة في تلك الفترة.

يجزم الشاعر في الستة أبيات الأولى بما لا يدع مجالا للشك أن ممدوحيه آل زيد هم الأحق والأجدر بالشرافة، وأن كل من حاول ذلك من سواهم خائب خاسر لا محالة، لأن الحمى المكي لا يرضى بغيرهم ملوكا، وأن ملك غيرهم ذاهب كأضغاث أحلام، يقول:

مقامٌ بـلا عليـاكمُ غـير قـائم	**ومجد سواكم في العلا غـير دائـم**
ورأيٌ بلا آرائكم غـير صـائب	**وجاه وجيه غيركم غـير عاصـم**
وسعدٌ يباري سعدكم غـير منـتج	**فضيلة ما أحـرزتمُ مـن مكـارم**

وملكٌ بعليا غيركم لـــيس باقيــا   ولكنّـــه مـــاض كأضـــغاث حـــالم

فإنّ الحمى الـــمكّي لم يرض غيركم   ملوكاً ولم يقبل له حكـــم حـــاكم

لهذا نراه كـــدّر الـــصفو بعـــدكم   وصار حزيناً بعد ضحك الـــمباسم

ثم يسترسل بعد ذلك حتى يتجاوز البيت العشرين واصفا حال مكة وأهلها بعد رحيل آل زيد، فيحاول أن يحشد كل الصفات المأساوية والبائسة ليصف الحال بعـــدهم، فالكدر بعد الصفو والحزن بعد الضحك والمصائب التي تهون سموم الأراقم عندها، والمظالم بعد العدل مما جعل الناس يصومون عن المسرات ويهجرون الملذات،وأصبح همهـــم الأول انتظار عودة آل زيد للحكم؛ لتعود المياه إلى مجاريها؛ ولينجلي الهم والغم.

ومنذ البيت الثالث والعشرين يتوجه الشاعر للحديث عن الأعـــداء، و لم يحـــدد هؤلاء الأعداء هل هم آل بركات أم أبو الذهب وجماعته، ليذكر بعد ذلك حادثة وقعت وتحدثت عنها المراجع التاريخية، وهي احتراق (دار السعادة) نزل آل زيد، فيوظف هـــذا الحريق وينسبه إلى الدار نفسها، فكأنه أحرقتها نار الحسرة أو الـــشوق المـــضطرم علـــى رحيلهم،لأنها لو كان لها قدرة على الرحيل لصحبتهم مرتحلة معهم، وهو لا يلوم الـــدار على فعلتها تلك. وعند البيت السادس والثلاثين ينهي الشاعر خطابه للأشراف المذكورين بخطاب الجماعة؛ ليخص الشريف أحمد ويتخلص لمدحه، فيقول:

وأنتم جمال الـــملك بل وكمالـــه   وموضعكم فيـــه مكـــان العمـــائم

وأحمـــد محمـــود الخلائـــق ليثـــه   وضرغامه الضاري قرين الـــمقاوم

هو الفارس الصنديد والبطل الذي   يرى النقع أحلى من ألذّ الـــمطاعم

همامٌ شـــهامٌ هـــــمّه واهتمامـــه   طلاب الـــمعالي بالقنا والـــصوارم

مـــخافٌ ومرجوٌّ لـــضدٍّ ومجتـــد   وسهلٌ وصعبٌ في الرضا والتخاصم

له هـــمّةٌ في كـــل يـــوم كريهـــة   وعزمٌ شديدٌ منه عـــزم الـــضراغم

ورأيٌ إذا ما جاءه الخطب زاحفـــاً   كسيف لـــما يأتي به الخطب قاصم

ثم يذكر الشاعر انسحاب الشريف من مكة وتركه الحرب بـــــها وعـــدم مجابـــهة الحملة، ويبرره بأنه حفظ لبيت الله من شر الحرب، ويؤكد أن من ظن به غـــير ذلك فقد أخطأ، لأن شجاعة الشريف لا تخفى على أدنى جاهل، يقول:

وما تَرْكهُ حرب الذي رام حربه ... سوى حفظ بيت الله من شرّ قـــادم

يميناً بـــه لو قابل الحرب وجهه ... لأبصرت قرْماً في الوغى لم يقــاوَم

ولو سلّ في الهيجاء نصل مهنّـــد ... لشاهدت قبـــل الـــضرب وقـــع

وإن كان ذا منه لـــمكّة رحمـــةً ... ففى ضرب أعناق العدا غير راحم

فمن ظنّ سوءاً فيه قد ساء ظنّـــه ... وهل يُرعب السادات مكر الأعاجم

فذا الأمر لا يخفى علـــى كـــل ... فكيف به يخفى علـــى كـــل عـــالم

ومـــا مكـــةٌ إلا براحـــة كفّـــه ... وما ملْكهـــا إلا بـــسحقة صـــارم

ثم يبرهن الشاعر على كلامه بذكره لمعركة وقعت في عرفات أبلى فيها الشريف بلاء حسنا، فالمعركة تشهد على شجاعته واستبساله في الحرب واستعداده لها حيث الرماح والسيوف والبنادق والفرسان، فيقول:

وفي عرفات حـــج بتـــار ســـيفه ... لنحر رقاب المعتـــدين الغياشـــم

ولبّاه من سمر القنا كـــل أملـــد ... مواقعه طعناً صـــدور القمـــاقم

فجرّد سيفاً فعلـــه فعـــل نـــاثر ... وهز سنانا فعلـــه فعـــل نـــاظم

وفرسانه لـــمّا أفاضت لنـــصره ... أفاضت دما أعدائه في التهائم(١)

وكبّر رامى جمرة البندق الـــذي ... تصيب العدا بالحتف قبل التزاحم

ويقذف من أفواه أقواسها الردى ... ومن ناله ذاك الردى غير ســـالم

---

(١) – (دم) أصلها (دماء) وهو من باب قصر الممدود للضرورة الشعرية.

ليصرح بعد ذلك باسم ذلك الخصم المهزوم وهو محمد بيك أبو الذهب- كما أسلفنا- فيقول:

فأدبر عنها مذ رأى الـموت حوله ... أبو الذهب الـمهزوم في زيّ هازم

رأى جحفلا تحت العجاج عرمرماً ... يموج بقاموس الظبا واللهاذم

وشاهد جود السيف في فقد قومه ... يفاخر بذْل الـمال من كفّ حاتم

فكم من صريع في بحور نجيعه ... وكم من ضجيع في صخور الصلادم

وللأرض ريٌّ من سيول دمائهم ... وأجسامهم قوتٌ لوفد القشاعم

وحيث رأى جيش المنايا مقابلاً ... وطير الرزايا حائماً فوق حائم

تصاغر ذُلاًّ من سطاكم وبطشكم ... وراح حقيراً بعد ذاك التعاظم

وأنقد من أيدي الردى روح فائت ... على أن حفظ الروح أقصى

وأضحى وقد ضاقت به رحبة الفضا ... يعضّ على ما فات لحم البراجم[٢]

ينهي الشاعر بعد ذلك قصيدته مؤكدا أن في ذلك دليلا واضحا على قوة وعزم ممدوحيه، مستخدما ضمير الجمع لمخاطبتهم والدعاء لهم.

والشاعر كما لاحظنا بدأ قصيدته بمدح تقليدي يغلب عليه العموم مما يصلح أن يمدح به أي شريف ممن حكموا مكة، ولكنه تدرج من هذا العموم إلى الانتهاء بالمدح إلى خصوصية تميّز القصيدة عن قصائد المدح الأخرى عنده، ويكمن ذلك في ذكر حادثتين من حوادث حملة أبي الذهب وهما حريق دار السعادة ووقعة عرفات التي انتهت بهزيمة أبي الذهب، ونلاحظ أن الشاعر قد صب جام غضبه على أبي الذهب، و لم يتعرض للبركاتي وهو من جاءت الحملة من أجله، لأن البركاتي وإن كان من خارج أسرة آل زيد إلا أنه في النهاية من أبناء عمومتهم الذين يلتقون معهم في الشريف أبي نمي الثاني، ولو تعرض للبركاتي لما أمن غضب قومه آل بركات إضافة إلى الأشراف الآخرين.

---

(١) – وأنقد: وأنفد ، في (ب) و (ج) و (د) ، ولعلها (أنقذ) .

(٢) – الديوان ص ١١٨

ومما يستوقفنا عند قراءة القصيدة في الديوان أن البيت العاشر من القصيدة أثبت صدره دون العجز، وفي اختفاء العجز كاملا دلالة على أن الشاعر تعمد إسقاطه، وكأن فيه مبالغة أو شيئا لا تسمح الظروف بإثباته، وصدر البيت هو:

وأضحت عباد الله بعد رحيلكم ....

القصيدة بصفة عامة مزيج من وصف الحوادث التي أفرزتـــها حملة أبي الذهب، ووصف حال مكة بعد غياب آل زيد عنها، ومن مدح الشاعر وأسرته ووصف نهاية حملة أبي الذهب.

ومع أن القصيدة- كما أسلفنا- تميزت ببعض السمات الخاصة بسبب ذكر أسماء وحوادث معينة إلا أن المعاني التي ساقها الشاعر في مدح الشريف وأسرته هـــي المعـــاني نفسها التي سنجد الشاعر يكررها في مدائحه للأشراف الآخرين، مثـــل علـــو النـــسب والشجاعة والاستبسال في حماية مكة وأمنها.

أما الممدوح الثاني عند الشاعر ممن تولوا شرافة مكة،فهو الشريف ســـرور بـــن مساعد الذي تولى الشرافة سنة ١١٨٦هـــ، وانتهت ولايته بوفاته سنة ١٢٠٢هـــ، وقد أورد الشاعر له في ديوانه أربع قصائد: الأولى عند توليه الشرافة سنة ١١٨٦هـــ، والثانية سنة١١٨٨هـــ ،والثالثة سنة ١١٩٨هـــ، والرابعة بعد محنة الحجب التي تعرض لها الشاعر سنة ١٢٠١هـــ.

هذا هو الترتيب الزمني للقصائد. أما ترتيب القصائد في الديوان فيختلف عـــن ذلك، فقد بدأها الشاعر بالقصيدة المؤرخة بسنة ١١٩٨هـــ، ثم القصيدة المؤرخة بـــسنة ١٢٠١هـــ، وأخيرا القصيدة الأولى زمنيا المؤرخة بسنة١١٨٦هـــ.

ومما يلفت النظر بشدة هنا هو تأخير القصيدة من حيث ترتيب قصائد المدح الأخرى في الشريف مع أنها أقدمها من حيث التاريخ، فهي توافق سنة ولايته، فهل لهذا التأخر ما يبرره؟ فالقصيدة من حيث الطول تقع وسطاً من حيث عدد الأبيات، فالقصائد السابقة لها ترتيبا والتالية لها زمنا منها ما هو أقصر وما هو أطول، ولكن لعل للشاعر تقويما خاصا

لقصائده، أو لعلها فاتت عليه عند التدوين، و لم يتذكرها إلا بعــد أن حـــرر القـــصائد الأخرى .

بالرغم من اعتقادنا أن لدى الشاعر ما يبرر هذا الترتيب إلا أننا نضطر لتنـــاول هذه القصائد حسب الترتيب الزمني؛ لنحاول رصد تطور المديح عند الشاعر إضـــافة إلى تطور صورة الممدوح في هذه القصائد وتطور العلاقة بينهما.

هذه القصيدة المتقدمة المتأخرة عينية على بحر الطويل تقع في ثلاثة وأربعين بيتـــا، يستهلها بتوجيه الخطاب للشريف سرور حيث يرى أنه مؤيد بنصر الله ومشيئته فرفعتـــه لايضاهيها أحد وعطاؤه لايمنع. يقول :

أبى الله إلا أنـــه لـــك يرفـــعُ	**إذا شاء أن يُعليك من لك يوضـــع**
وأعطاك من فيض المواهب نعمة	**ومن ذا لما أعطاك مـــولاك يمنـــعُ**

ثم يتوالى الخطاب للشريف سرور في الأبيات التالية ، حيث نجده يستهل البيـــت الثالث والربع بـــ (أولاك ، أعلاك) وإذا ما رجعنا إلى سيرة الشريف سرور وقفنا على سر هذا المجيد بالتمكين والمنعة فحداثة سن الشريف سرور وانتزاع الملك من عمه وحفاظـــه عليه بالرغم من كثرة المعارك التي خاضها مع عمه لينتزع منه الملك ، كل ذلك يضعنا في جو القصيدة ويقربنا من منطلق الشاعر .

ويسترسل الشاعر في خطابه للشريف حيث يرى فيه حصنا لهذا الملـــك وركـــن حماية لبيت الله ومرجعا لأهل الفضل، ولا غرو فهو قد نشأ ببيت مجد تسامى مناره، وهو ملازم بالتسديد والتأييد.

يوسع الشاعر دائرة المدح عند البيت العاشر لتشمل أسرة الشاعر وهم آل ســـعد بن زيد بن محسن أشهر أشراف مكة في القرن الحادي عشر الهجري، فيقول:

نعم هو ذو سعد بن زيد بن محـــسن	**صدور العلا حيث المجـــامع تجمـــع**
فـــسعدٌ وإحـــسانٌ لنـــا وزيـــادةٌ	**ومنّا لهم حيث الثنـــا والتـــضرع**
ملوك أشادوا ما بنـــوه مـــن العـــلا	**ولا أهملوا حق المعـــالي وضـــيّعوا**
جراثيم في العليـــا تعالـــت فروعهـــا	**ألا ماترى عنـــها العـــلا تتفـــرّع**

ليوثٌ بيوم الكــر تفتــرس العــدا	**غيوثٌ بيوم البشر بالجود تـــهمع**
فكم أرهفوا بيض الــصفاح وأنــصلوا	**وكم أرهقوا سمر الرماح وشــرّعوا**
وكم بالجدا جادوا فسادوا على الورى	**وصالوا فأصْلوا كلّ قلب وروّعوا**
فما منهمُ مــن قيــل فيــه مفــرّطٌ	**ولا فيهم من قيــل فيــه مــضيّع**
ولا منهمُ من سيّد في وقــاره الــــ	**ــغريزيّ إلا وهو بالحرب مولــع**

ثم يضيق دائرة المدح، فيعود إلى مدح الشريف سرور؛ ليؤكد أنه نعـــم الخلـــف لأولئك القوم ، فيقول:

لهم خلفٌ نعم الخليفــة ماجــدٌ	**همامٌ على تقديمه القــول مجمــع**
مليكٌ عليّ الصدر بالحكم والتقى	**على أنه في البطش أقوى وأجمــع**
فمنه لمــن والاه فــضلٌ ومنّــةٌ	**ومنه لمن عاداه حتفٌ ومصرع**(١)

ويسترسل بعد ذلك في المدح؛ ليؤكد أن لممدوحه مؤهلات وصــفات جعلتــه مستحقاً لهذه المكانة، ففي فعله براهين تؤيد استحقاقه لهذه الشرافة ولا وسع للبليــغ أن يحصرها مهما علا شأنه في البلاغة ، ويختم الشاعر قصيدته بإطرائها ،حيث يدعي بأنهــا عروس النظم فريدة النوع، ويرجّي قبول الشريف لها وحسبه فخراً أن يسمعها .

أما القصيدة الثانية فهي مؤرخة سنة ١١٨٨هـــ يذكر الشاعر أنــه أنــشأها مادحا ومؤرخا تجديد الشريف للفضة التي حول الحجر الأسود، ويبدو أن الشاعر ارتجلها أو قالها على عجلة من أمره، إذ يظهر من معانيها ووزنــها وعدد أبياتــها عدم احتفــال الشاعر كثيرا بالمدح بل كان جل همه تاريخ المناسبة ، فلم ينل المدح منها إلا ثمانية أبيات ذات صلة بالمناسبة، وخص الحجر الأسود والفضة بخمسة أبيات، وجعل الأربعة أبيــات الأخيرة للتاريخ، ولنا أن نعذر الشاعر في كل ذلك لأن المناسبة لا تحتمل أكثر مما قال.

---

(١) – الديوان ص ١١٥

القصيدة الثالثة في مدح الشريف سرور سنة ١١٩٨هـ رائية تقع في سبعة وعشرين بيتا على بحر الطويل، يستهلها الشاعر بتهنئته للرعية بمثل هذا المليك حيث يكرر لفظة التهنئة في بداية كل بيت من الأبيات الثلاثة الأولى لينتقل بعد ذلك ليكرر لفظة (مليك) في بداية الثلاثة أبيات التي تليها ليصفه في مطلع كل بيت بعد ذلك بالهمام والإمام ،ثم ينتقل بعدها للحديث عن كمّ مآثره وأفعاله فيكرر لفظة (كم) في بداية كل بيت من أربعة أبيات متتالية.

وإلى جانب الصفات العامة التقليدية التي من الممكن أن تساق في مدح أي ملك من حزم وعزم وشجاعة ومروءة وكرم نجد أن ثمة خصوصية في هذه القصيدة بين المدائح عامة ومديح الشريف سرور خاصة، ونلاحظ أن ثمة تطورا واضحا في هذه القصيدة عن سابقاتها في مدح الشريف سرور، فالممدوح هنا أنطق الشاعر بقدرته على السيطرة والإمساك بزمام الأمور، وهي خصوصية ولكنها لم تصل إلى درجة كبيرة في الدقة، فالشاعر لم يذكر وقعة بعينها كما هو الحال مع سابق الشريف سرور، وإنما اقتصر على ذكر السمات العامة لشخصية الشريف سرور، وهو كما نقرأ في سيرته شجاع عرف عنه أنه كان يشترك في القتال بنفسه، ويعس في الليل،أما الدفاع عن مكة وحمايتها ورد الأعداء عنها فإنه مما يمدح به كل حكام مكة.

يقول:

فكم أورد العضبَ اليمانيَّ موردا وأصدره عن منهل الظفر الأمرا
وكم أزهق الرمح الرديني طاعنا صدور الوغى طعناً به يشرح الصدرا
وكم قد عدا بالعاديات على العدا يثير بها نقعاً ويستأثر النصرا
وكم عاد والعادي بقائم سيفه وردّ المعادي عن مطامعه قهرا
فأضحى الحمى المكيّ منه مسوّرا بعزم يضمّ السبْل بالأمن والقطرا[1]

(١) – الديوان ص ١٠٧

ولم ينس الشاعر أن ينوّه بآل الشاعر، فهم النمويون الحسنيون، وإطـــراء آبـــاء الشاعر وأجداده من المعاني التقليدية في الشعر العربي،وهو معنى تكرر في مدائح الـــشاعر حيث يمتدح آل البيت كافة، ثم يضيق دائرة المدح لينتهي بمدح آل الممدوح وخاصته.

يعود الشاعر بعد ذلك إلى تكرار أمر لا يفتأ يكرره في كـــثير مـــن مدائحـــه واخوانياته وهو إظهار عجزه أمام مكارم وصفات الشخصية التي أمامه، فيرى أن مناقب الشريف سرور يقل عند تعدادها قطر المطر، وعلى من يريد معرفتها سؤال المشاعر وساحة الحرم وسكان مكة ودورها لأنَّها مكارم ظاهرة لا تحتاج إلى مدح وإطراء، ثم يعود ليختم القصيدة بالنص على اسم ممدوحه سليل الكرام من آل هاشم داعيا الله أن يبقيه.

والقصيدة لم يذكر الشاعر لها مناسبة، ولا نجد في حوادث تلك السنة في مكة ما يقدح زناد الشاعر ليقول مثل هذه القصيدة، ومن المرجح أنه قالها في أحد الأعياد بدلالة استهلالها بالتهنئة.

أما درّة مدائح الشاعر للشريف سرور فهي ما قاله في نـــهاية فترة حجزه سنة ١٢٠١هـــ، وهي قصيدة رائية على بحر الطويل تقع في واحد وثمانين بيتا، وينطلق الشاعر في القصيدة من مشاعر رهبة ورغبة، حيث إنه قيد الإقامة الجبرية التي فرضها عليه الشريف سرور في دار الشرافة بمكة، تلك الإقامة التي يحاول الشاعر أن يخفـــف مـــن وطأتـــــها فيسميها بالحجب ويصفها بأيام المحنة.

القصيدة من أطول قصائد الديوان يبسط فيها الشاعر الكـــلام ويطيـــل المـــدح ويتحدث عن حاله ومآله، فيستهلها بقوله:

سيادتك العظمى العميم ســـرورها ... على الفلك الأعلى وأنت أثيرها

ورتبتـــك القعـــساء عـــزّ منارهـــا ... على منكب الجوزاء قرّ سريرها

لك الدولـــة الغـــراء دام فخارهـــا ... وطالعك المسعود فيها منيرهـــا

لقد ظهرت في مظهر الحسن والبـــها ... ونـــهضك بـــالعزم الـــشديد

فحومتك العليـــا المنيـــع جوارهـــا ... شهابك للوفّاد مجـــداً مجيرهـــا

وساحتك الفيحا الفـــسيح فناؤهـــا ... يمينك للـــورّاد جـــوداً نميرهـــا

وخير بــلاد الله كــل جهاتــــها — **عيونك ترعاها ورأيك نورهــا**

فربــك مولاهــا إليــك أضــافها — **وأنت مولاّها وأنــت خفيرهــا**

أيا واحد الدهر الذي ســاد رتبــةً — **تدانى لــه مأمورهــا وأميرهــا**

ويا محرزا إرث العلى عــن أصــالة — **تليدة فخر لم تكــن تــستعيرها**

فالشاعر يصف الشريف سرور بأنه عصامي عظامي ، وهذه المعاني وإن تكررت في مديح الشاعر لأشراف مكة وفي فن المديح في الشعر العربي عامــة إلا أنــــها هنــا تكتسب شيئا من الصدق الموضوعي، لأن الممدوح له من صفاته ما يجعله قمينا بــــهذه الصفات، وقد ركز الشاعر على بعض هذه الصفات وخرج بــها عن التقليدية، وذلــك جلي في قوله:

لأنت عروس الخيل صدر خميــسه — **إذا لقي الحرب العــوان صــدورها**

وأنت الهمام الفذ في حومة الوغى — **إذا اشتد في هيجا القراع هجيرهــا**

وأنت الثبوت الجأش في كل هائل — **إذا الطيش أضحى للنهى يستطيرها**

ويسترسل بعد ذلك في وصف الشريف سرور ووصف جيشه ولأمة حربه من قنا ورايات وجياد، وبما في ذلك الزير وهو الطبل الذي يقرع للمناداة بالحرب، يقول:

فكم خفقت رايات نصرك والقنا — **غدت شرّعاً والحرب يخفق زيرهــا**

وكم أخفقت قلباً وكم أرهبــت — **وكم نكّلت خصماً عناه شــجورها**

وكم وردت معْــك الــصوافن — **وعن ظفر للملك كان صــدورها**

عَدَتْ لك ضبحًا موريات بعدْوها — **دياجر للــهيجاء قــدحاً ينيرهــا**

جيادٌ مغيراتٌ ســلاهب شــزّبٌ — **مذاك حصون الدارعين ظهورهــا**

وبعد أن يتحدث الشاعر عن هذا البناء المعنوي والعسكري للسيادة ينتقل ليذكر ما شيده الممدوح من بناء معماري يستوقف العيون ويجتلب الألباب، ثم يكرر الشاعر ما أتى به في قصائد أخرى من إعلانه لعجزه عن التقصير، وعدم إيفاء الممدوح ما يستحق من المدح، فيرشح شخصا ليلومه بسبب ذلك ، ويسوق الشاعر حجته في ذلك، وهي حجة تقليدية طالما كررها محمد قابل والشعراء الآخرون، وتتلخص في أن الممدوح تعجز عن وصف مكارمه الكلمات، فيقول:

يقولون لـمْ لا توف نسبتك الولا	**إليها بإهدا مدحة تستخيرها**
ولـمْ لا تقم شكراً لآلاء مجدها	**أما أنت ممّن وفّرته وفورها**
أما أنت فيها غرس نعمة جودها	**أما أكثر التقليل منك كثيرها**
وما انتبه المدلي إليّ بنكره	**عليّ لحال لايصح نكيرها**
فقلت مقام المجد من فوق مدحتي	**وما أنا للنعماء منه كفورها**
مليكٌ له بيت الشرافة محتدٌ	**وما هو فيمن ساد إلا وقورها**
ترى ملء برديه الشجاعة والندى	**ومن راحتيه يسره وعسيرها**
ترى ماجداً حاز المروءة والحجى	**خلائق مثل الشمس باد سفورها**
إلى شرف لا أحتويه بمدحة	**ولو راق مني نظمها ونثيرها**
وأين مدى العلياء مني لفكرة	**يثبّطها دون المرام قصورها**
فلا يدرك الوصّاف بعض صفاتها	**ولو أفعمت منه القوافي بحورها**

ولكن المجد ينقذ الموقف فيملي على الشاعر ما يشفي الغليل، ليتخلص الشاعر بذلك طالبا من الشريف أن يتفضل بسماع هذا النظيم،ثم يتحول بعد ذلك من المدح إلى الشكوى بأسلوب شبيه بالاستدعاء الإداري التظلمي حيث يبسط قضيته ويذكر أسبابها وعقابيلها، ويعتذر ويطلب من الشريف أن يقيل عثرته، ويهب له كل تقصير،ويظهر أن هذه الشكوى التي استأثرت بما يزيد على ثلث القصيدة تكوّن الغرض الرئيس لنظمها، منها قوله:

أصخْ غير مأمور لها بل محكّمٌ	**برأيك أيّا حالة تستخيرها**

ولكنّ في الإصغا لها منــك رحمــةٌ ... ينال بــها الجبر العظيم كــسيرها
تضمّنت الــشكوى إليــك بحــالتي ... وحالي لا تخفــى عليــك أمورهــا
لسمعك قد أنــهيتها في صــحيفتي ... تناجيك عنّي في الطروس ســطورها
أَعدْ نظــراً فيهــا بعــين بــصيرة ... فأنــت بــصيرٌ بــالأمور خبيرهــا
فو الله إني كنــت فيهــا بــــحالة ... عسيرة حمــل لا يطــاق يــسيرها
وأيسر مــا لاقيــت منــها لثقلــه ... يكــلّ لــه في الراســيات ثبيرهــا
وكنت بــها وقفاً على الخوف ناظراً ... عواقبــها للموبقـــات حـــذورها
أراقب رأياً منك يكـــشف حُجبـــها ... ويظهر منها مــا يكـــنّ ضـــميرها
وفي بعض ما قد كان يبدو لنـــاظري ... أمورٌ يراهــا زاجــرات بــصيرها
نصحت على قدري فعادت نصيحتي ... وبـــالاً جزانيـــه عليـــه وزيرهـــا
بذلت له نــصحى وفــاءً لخــدمتي ... ولا كان إلا البخس منه أجورهـــا

بالرغم أن الشاعر يذكر أنه أرسل القصيدة للشريف سرور وأمر بقراءتها بين يديه، إلا أنه لم يحدد من أين أرسلها، هل أرسلها من محتجزه أم أرسلها بُعيد إطلاق ســـراحه، ونرجح الاحتمال الثاني، ويظهر من الأبيات أن الشاعر لم يحصل على البراءة التامة مـــن لدن الشريف سرور، يقول:

أعدني مجبــوراً بفــضلك إنّ لي ... حشًا لفراق الأهل طــال زفيرهــا
تمادت بي الأيام بالــصبر عنــهمُ ... ومرّت بــمُرِّ الصبر عنهم شهورها
فحقّق رجــائى فيــك وارحـــم ... فهاتيك أولاهــا وهــذا أخيرهــا
بقيت تنيل الفضل كــلّ مؤمّــل ... وكفّك مهطال الأيادي غزيرهــا
ولا زلت في عزٍّ منيـــع ورفعـــة ... تدوم معاليها ويبقـــى ســـرورها[١]

(١) –الديوان ص ١٠٩

وعندما نتأمل القصائد التي مدح بـــها الشاعر الشريف سرور نجد أنـــها تدور حول معان محددة تتكرر في قصائده الأربع، وأبرز هذه المعاني الشجاعة والحزم والقـــدرة على صد أية محاولة للإطاحة به، ومن المعاني التي تكررت – وهي مما يتكـــرر في شـــعر الشاعر عامة- الامتداح بالنسبة الهاشمية التي يخصصها الشاعر هنا فيمتدح البيت الحسني ، ثم يضيق الدائرة ليجعل المدح في آل أبي نمي، ثم آل زيد بن محسن أسرة الشريف سرور.

ومن الملاحظ كذلك في مدائح الشاعر للشريف سرور خاصة أنه في بداية هـــذه المدائح كان يسهب القول في مدح وإطراء أسرة الشاعر، ثم نجده بعد ذلك شيئا فـــشيئا يفرد الشريف بالمدح ويسهب في إطرائه وحده، ولعل ذلك يرجع إلى تنـــامي شخـــصية الشريف سرور وتعاظم خطره، فمدائح الشاعر بدأت في الشريف وعمر الشريف ثمـــان عشرة سنة وانتهت بوفاة الشريف وعمره اثنتان وثلاثون سنة.

وإبراز شرف الآباء وامتداحهم، وجعل الممدوح يشرف بـــهم كما يشرفون به، معنى مطروق عند العرب في مدائحهم، وقد عيب من خرج عن ذلك.[١]

ومن المعاني التي ألح عليها الشعراء على طول مسيرة الـــشعر العـــربي الكـــرم والسخاء، ولكننا لا نجد في مدائح الشاعر إلا النـــزر اليسير، مثـــل قولـــه في القـــصيدة الأخيرة، ومع ذلك يضن عليها ببيت واحد فقد جاءت صفة الكرم مقرونة بالـــشجاعة، يقول:

ترى ملء برديه الشجاعة والندى ... ومن راحتيه يسره وعسيرها

فهل يعود ذلك إلى أن صفة الكرم لم تكن من صفات الشريف سرور أو لم تكن بارزة عنده، أم أن صفات الشجاعة والحزم والإقدام طغت عليها مما جعل الشاعر يـــشغل بـــها، إلا أننا من الممكن أن نرجع ذلك إلى طبيعة الشاعر نفسه، فعادةً يمتدح الـــشاعر ممدوحه بالكرم طمعا في نواله، وهذا ما لا نجده عند الشاعر الذي كان طموحـــه فـــوق العطاء المادي.

---

(١) – انظر كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجاني ص ٣١١

وثالث ممدوحي الشاعر ممن تولوا شرافة مكة وآخرهم هو الشريف غالب بن مساعد أخو الشريف سرور، وقد تولى الشرافة بعد وفاته، إلا أنه يختلف عنه، فقد كان هم الشريف سرور منصبّا في المقام الأول على توطيد الأمن، حيث كان له الباع الطويل في صد مناوئيه، وتأمين مكة، إلى درجة أنه كان يعس بنفسه في الليل، أما الشريف غالب فيظهر أنه صاحب اهتمام بالناحية العمرانية، وديوان محمد قابل يشهد بذلك، حيث تاريخه لبناياته ووصفه لها، ولا سيما في السنوات الأولى من ولايته التي كان الشاعر ملازما له فيها.

القصائد والمقطعات التي قالها الشاعر في الشريف غالب مهنئا ومادحا ومؤرخا عددها ست أولها سنة التولية ١٢٠٢هـ وآخرها سنة ١٢٠٨هـ، وعند مطالعة ما قاله الشاعر في الشريف غالب يظهر لنا توطد العلاقة بينهما حيث يذكر الشاعر أنه طالت إقامته بالطائف فالتمس من الشريف غالب العودة إلى مكة فلم يأذن له مما دعاه لنظم قصيدة ليأذن له.

القصيدة الأولى سنة ١٢٠٢هـ، وهي قصيدة ميمية على بحر الطويل تقع في عشرين بيتا يكرر الشاعر فيها المعاني التي ذكرها في مدح الشريف سرور من شجاعة وحزم وعزم وسيادة ونسب هاشمي كريم، إذ نجده يحشد كل ذلك في أبيات القصيدة الأولى، فيقول:

أجلّ العلا ما أنتجته العزائم	**وأقوى البنا ما شيّدته المكارم**
وأرفع مجد الماجدين	**لها الحزم ساع والسيادة خادم**
وأمنع جدّ الطّالبي الجدّ بنية	**لها الحلم والرأي السديد دعائم**
وأحمى حمى للملك ما قام حوله	**صفاح المواضى والعوالي**
نعم هو ما قد شاده ماجد العلا	**وما لبناء شاده قط هادم**

ثم يكرر الشاعر لفظة (مليك) في ثلاثة أبيات متتالية، وقد كرر اللفظة نفسها في قصيدة مدح بها الشريف سرور، يقول:

مليك هو الطود الأشمّ مكانــةً　　إذا طيّشت حلم الحلــيم العظــائم

مليكٌ هو البحر الخضمّ سماحــةً　　إذا شحّ بــالريّ الحيــا والغمــائم

مليكٌ هو الليث الأشدّ شجاعةً　　إذا فرّ من كرّ القــرين الـــمقاوم

ويتنقل الشاعر بين أجداد ممدوحيه من الأشراف فينعته تــارة بالحــسني وتــارة بالنموي وأخرى بآل زيد بن محسن، ونجده هنا ينسب إلى قتادة وهو جد الأسرة الكبير، فيقول:

رقى ذورة الفخر القتاديّ وارثًا　　عــلاً عهــدها في بيتــهم متقــادم

تسنّم نجد الــمجد يحمي ذماره　　فقــرّت بــه أنجــاده والتــهائم

وقام بأعباء الــشرافة ناهــضاً　　بعــزم بــه شــأو الــشرافة قــائم

مع كل هذه الصفات التقليدية التي من الممكن أن تقال في أي من حكام مكــة نستطيع أن نلمس شيئا من الخصوصية في الأبيات الأخيرة من القصيدة التي تؤكد حالــة الأمن التي نعمت بــها مكة في بداية ولاية الشريف غالب، يقول:

فأضحى حمى (نسّاسة)[١] بعد وحشة　　أنيــسا بــه ســاحاته والمعــالم

وأصبح تخت الملك يزهــو بغالــب　　جمالاً ووجه الملك بالبــشر باســم

وقــرّت عيــون القــاطنين بمكــة　　بما قــرّت الــدنيا بــه والعــوالم

قــراراً وأمنــاً للرعايــا بظلّــه　　مقيلٌ وعيشٌ أخضر الغصن نــاعم

فعطف القنا بالأمن نــشوان مــائسٌ　　سروراً وجفن السيف يقظان نائم[٢]

وتتأكد خصوصية الأمن في عهد الشريف غالب في بيت مفرد أرخ به الــشاعر ولاية الشريف ، وهو:

سنة١٢٠٢ الأمن دام بغالب　　والملك طاب لغالب　سنة ١٢٠٢[١][٢]

---

(١)نساسة: اسم من أسماء مكة .

(٢) – الديوان ص١٢٢

وهناك مقطوعة من تسعة أبيات تثبت لنا ما ذهبنا إليه من توطد علاقة محمد قابل مع الشريف، حيث يظهر منها إدلال الشاعر عليه، إذ نجده يستنجد به في الأبيات بعد أن أحيت هذه العلاقة طموح الشاعر القديم، ليستصرخه على دهره الذي لم يوفه حقه، فهو ممن ينتسبون للعلياء وإن أقعدتهم الحظوظ، يقول:

أأنسب للعليا وتقعد بي الدُّنى	**وأرجو أياديها وتقصدني الأسوا**
حمى الله عليا سيدي أن يمسّني	**بساحتها ضيرٌ وهى سندي الأقوى**
ومجدك يأبى المجد ياابن مساعد	**بأن أرد الماء الزلال ولا أروى**
فكن غير مأمور على الدهر ناصري	**فدهري عنيدي ليس لي عنده رعوى**[٣]

ثم يغيب عنا صوت مدائحه في الشريف غالب ليظهر لنا سنة ١٢٠٧هـ واصفا دارا للشريف بالمثناة في الطائف، إذ يذكر في مقدمة القصيدة أنه نظمها بطلب من الشريف، ويذكر أن الشريف طلب من الشاعر خضر صحرة[٤] أن ينظم قصيدة للغرض نفسه، فاستجاب لطلبه ونظم قصيدة كان له الفوز عند الشريف إذ اختيرت وكتبت في طراز المجلس المذكور، وقد أورد الشاعر أبيات السيد خضر ، وقلما يورد في ديوانه شعر غيره، إلا أن لذلك دلالة لا يمكن إغفالها ، وهي أن الشاعر يرى أن قصيدته أفضل من قصيدة السيد خضر.

---

(١) – يعتمد التاريخ الشعري على حساب الجمّل الذي يعطي قيمة رقمية لكل حرف من الحروف الأبجدية (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ) كالآتي: أ=١ ب=٢ ج=٣ د=٤ هـ=٥ و=٦ ز=٧ ح=٨ ط=٩ ي=١٠ ك=٢٠ ل=٣٠ م=٤٠ ن=٥٠ س=٦٠ ع=٧٠ ف=٨٠ ص=٩٠ ق=١٠٠ ر=٢٠٠ ش=٣٠٠ ت=٤٠٠ ث=٥٠٠ خ=٦٠٠ ذ=٧٠٠ ض=٨٠٠ ظ=٩٠٠ غ=١٠٠٠).

(٢) – الديوان ص ١٢٣

(٣) – الديوان ص ١٢٣

(٤) – هو خضر بن يحيى صحرة ، وقد ذكر الداغستاني في كتابه تحفة الدهر في أعيان المدينة من أهل العصر أنه مدح المذكور عند زيارته للمدينة ، وقال عنه: إنه(أديب صادق اللهجة، من بيت شرف....) والنماذج التي أوردها الداغستاني من شعره تظهر أنه يتمتع بشاعرية قوية . تحفة الدهر ص ٤٦

وقصيدة الشاعر تقع في تسعة وعشرين بيتا على بحر السريع رويها الجـيم اسـتغرقها وصف البناء و لم يخص المدح منها إلا النـزر اليسير بخلاف قصيدة السيد خضر التي تقع في أربعة وعشرين بيتا استغرق مدح الشريف منها ثلاثة عشر بيتا، ولعل هذا المديح هـو الذي جعل الشريف يفضل قصيدة خضر على قصيدة الشاعر.

أما القصيدة الرابعة فهي قصيدة مؤرخة شعريا بسنة ١٢٠٨هـ، إذ يـذكر الشاعر أنه قالها عندما استأذن الشريف في العودة إلى مكة - بعدما طالت إقامتـه – و لم يأذن له، وهي قصيدة على بحر الطويل رويّها الياء تقع في ثلاثة وأربعين بيتا، يبدو منـذ الوهلة الأولى أن هاجس الشاعر متعلق بالبناء والعمران، إلا أن الشاعر خرج به عن البناء المادي وكأنه يريد أن يستدرك ما فاته من مدح الشريف في القصيدة السابقة الذي فضُلت به قصيدة صحرة، وقد حاول الشاعر بكل ما أوتي من قوة أن يحشد كل صفات المـدح التي يمدح بـها ملك من حزم وعزم وشجاعة وبطش ومحتد كريم، وقد استهلها بقوله:

لعمرك ما عمّرت إلا الـمعاليا	**ولا شدْت إلا الـمكرمات مبانيـا**
بنيت بناء قد سمـا بـك سمكـه	**منيفاً على هام الـسماكين سـاميا**
أقمت العلا بالجد والجود والنـدا	**تسرّ الـموالي أو تضرّ الـمعاديا**
نـهضت بأعباء السيادة كـافلا	**وكفؤاً بما يرضى الـسيادة كافيـا**
وقمت لها بالعزم والحـزم حاميـا	**حماها وبالتسديد والحلـم راعيـا**

ويستمر الشاعر في حشد صفات المدح التقليدية التي لم يخـرج بـها عـن الصفات التي امتدح بـها الأشراف السابقين، ونجد الشاعر يستخدم أسـلوب المـدح الجمعي الذي ألفناه عنده، فيقول:

فإنك من قـوم كـرامٌ نفوسـهم	**مطامعها في المجد مـا كـان غاليـا**
ملوك تساموا للمعـالي وأحـرزوا	**من المجد ما عن غيرهم كان قاصيـا**
حموا حوزة العلياء بالبيض والقنـا	**وحازوا أقاصـيها لهـم والأدانيـا**
فكانوا لها أهلا وكانـت حقيقـةً	**لهم حيث كانت في سواهم عواريـا**
أئمـة مجـد عـزةً وسماحـةً	**وكـرّا وإقـداما يغـيظ الأعاديـا**

جحاجح أنجـــاداً أعـــاظم قـــادةً — **أماجــــد أجـــواداً كرامــــاً أعاليـــا**

إذا سالموا أرفضّوا غيوثـــاً هواميـــا — **وإن حاربوا انقضّوا ليوثا ضــــواريا**

وإن منحوا أغنوا وإن وعدوا وفوا — **وإن نقموا ذنبـــاً أحبّـــوا التغاضـــيا**

إذا احتشدت منهم محافل مجـــدهم — **رأيــــت شموســـاً للعيـــون بواديـــا**

ولم تر منهم قاصراً عـــن ســـيادة — **ولا غـــــافلاً عنــــها ولا متوانيــــا**

وإن شابت الدنيا فمفخر عـــزّهم — **غضيضٌ وغصن المجد ريـــان زاهيـــا**

وإن سلفت أيامهم ومضوا بـــــها — **ففخرك أحيا فخر من كان ماضـــيا**

ثم يتخلص بعد ذلك ليعطي الشريف غالب شيئا من الخصوصية، بل يفضله على من سبقه من بني قومه، إذ يؤكد ذلك ما قررناه سابقا من عمق العلاقة التي تربط الشاعر بالشريف، فيقول:

وإنّك في الفخر الـــصميم مقـــدّمٌ — **وإن كان وافانـــا عـــلاؤك تاليـــا**

وإنك أنـــداهم وأبـــسطهم يـــدا — **وأطولهم باعـــاً وأســـنى مـــساعيا**

وأرفعهم قـــدراً وأمـــنعهم عـــلا — **وأقواهمُ بطشاً لـــمن كان عاتيـــا**

وتجل المناقب حتى يعجز الشاعر عن حصرها، ولكنه يجتهد لإيفاء الممدوح حقه؛ ليطلب منه بعد ذلك قبول القصيدة، وأن ينظر في حال الشاعر، فالشريف أهل لإحـــسان يرى الشاعر أنه محل له، فهل هو بذلك يطلب عطاء ماديا أم منصبا، إذ يقول:

فحقّق لها منك القبـــول بنظـــرة — **تفكّ بـــها أسْري وتنهض حاليـــا**

فإنك للإحـــسان أهـــلٌ وإنَّـــني — **محلّ لـــه لازال جـــودك هاميـــا**

إذا لاحظتني منك نظرة راحـــم — **بلغت من الأيام ما كنت راجيا**(١)

ويعاود الشريف غالب الطلب من الشاعر لإنشاء أبيات تكون لمجلس جـــدده في دار الشرافة، وهي أربعة عشر بيتا، وقد وصفها الشاعر بالأبيات وكأنه يرى أن العدد لا يؤهلها لأن تكون قصيدة، بدأها بوصف مباشر للمجلس، بقوله:

---

(١) – الديوان ص ١٢٧

يا حسْن مجلسك الأنيس الأمتع	**الشامخ السامى النفيس الأمنــع**
قامت جوانبــه وعــزّ جنابــه	**وغدا لشمس الــمجد أســعد**
جمع الــمحاسن فازدهى ببهائه	**فخرا على حسن الــمباني أجمع**
وسمى على فلك الأثــير لأنــه	**فلك الشرافة بالــمقام الأرفع**[1]

وقد زاوج الشاعر بين الحديث عن المجلس والتاريخ له، وبين مدح الــشريف، وكأنه آنس رغبة الشريف في هذه المزاوجة، وقد ساق الشاعر من الأوصاف ما يوصف به الملوك العظماء حتى جعله قطب دائرة العلا الذي يخضع له العظماء رهبة، وقد كــرر في هذه الأبيات ما كرره في قصائد سابقة، حيث نجد لفظة (ملك) في مبدأ ثلاثــة أبيــات متتالية، وقد سبق أن رأينا أنه كرر لفظة (مليك)كذلك في قصيدتين سابقتين، ونجــده في أحد الأبيات يتحدث عن إشراق نور النبوة في وجه الشريف، فيقول:

نور النبوّة مشرقٌ في وجهــه	**فانظر سنا إشــراقه أو فــاسمع**

وكأنه بذلك يدمج معاني بيتي عبيد الله بن قيس الرقيات، في مصعب بن الــزبير وعبد الملك ابن مروان، حين يقول في الأول:

إنما مصعب شهاب من الله(م)	**تجلت عن وجهــه الظلمــاء**[2]

وفي الثاني:

يعتدل التاج فــوق مفرقــه	**على جبين كأنــه الــذهب**[3]

وكذلك نجد الشاعر في مناسبات عدة ملازمــا للــشريف غالــب مهنئــاً ومادحــاً ومؤرخاً،حتى إنه يذكر أبياتاً يذكر أنّها كتبت على ظهر سفينة للشريف غالب، فيقول :

ســفينة ميمونــة ســعدها	**بنوره يجلــو ديــاجى الحلــك**
تسمو بمن قد حازها للعلــى	**فخراً على الفلك وزهر الفلك**

---

(١) – الديوان ص ١٢٩

(٢) – ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تحقيق وشرح ، د محمد يوسف نجم ، دار صادر، بيروت ، ص ٩١

(٣) – السابق ص ٥

ويقول فيها :

يا راكبـــاً في متنـــها للغـــنى　　　فزت من الربح بأعلى الملـــك[1]

وننتقل من مدح متولي الأمر في مكة من الأشراف إلى مدح الوزراء لنجد الشاعر يمدح الوزير يوسف قابل سنة ١١٨٤هـــ، وذلك بمناسبة عودته للوزارة في جدة ، وهـــي أول قصائد المدح ترتيبا في الديوان وهي على البحر الطويل وتقع في ثمانية وستين بيتاً، وهـــي وإن كانت متقدمة زمنياً على المدائح الأخرى إلا أننا نجد لتقديم الشاعر لها مـــا يـــبرره، فالقصيدة تنبي عن مدى تعلقه بالممدوح وعظم مكانته في نفسه، ولا عجب في ذلـــك إذا عرفنا أن يوسف قابل لعب دوراً في الأحداث التي مرت بالمنطقة – كما مر بنا- وكان لها تأثير كبير في حياة الشاعر، بل لعل هذه القصيدة كانت من أسباب عدم تمكين الشاعر أو توليته مناصب عليا،حين نجده يصرح فيها عن مكنون نفسه وعن طموحه وتعصبه لأسرته ، إذ يختم القصيدة بقوله :

ومـــا هـــي إلا دولـــة قابليـــة　　　ومـــا هـــي إلا منحـــة ومواهـــب

تطالعنا نفسية الشاعر الطربة منذ مطلع القصيدة ،حيث تستولي عليه نشوة عارمـــة بالنصر، فيتحدث عن المآرب والأماني وطلب المجد والسؤدد والكد من أجلها ، ولكنـــه يرى الممدوح ممن تسعى إليه المناصب ، يقول:

نهاية ما تهـــوى القلـــوب المـــآرب　　　وغاية ما تبغى النفوس الرغائـــبُ

وأقصى أماني كـــل نفـــس عزيـــزة　　　طلاب المعالي والمعـــالي طوالـــب

وما كل من رام العلا يبلـــغ المـــنى　　　ولا كل من نال المنى هو غالـــب

وكم طالب بالكد مجـــداً وســـؤدداً　　　وكم سيد تسعى إليـــه المطالـــب

فهل يتساوى الفضل في أمجدي علا　　　إذا كان مخطوباً وهذاك خاطـــب

ثم يذكر بعد ذلك المجد ،ليحصره لمدوحه فقط ؛لأنه الأوحـــد الأمجـــد والقمـــر البدري الذي تشرق به سماء العلا، ثم يلمح بعد ذلك لحساد وأعداء كـــان لهـــم دور في تنحية الوزير عن منصبه، فيقول:

---

(١) – الديوان ص ١٣١

فما نال منه حاسـد قـط بغيـة وكم خائن يبغي الردى فيه خائب

وما هـو إلا في سـرادق رفعـة رؤوس الأعادي أرضها والمناكب

ويؤكد بعد ذلك أن الممدوح كان حاضراً في غيابه لتعلق الناس به، وهو المجـد إن عاد فقد عاد المجد إلى مكانه وإن غاب فذلك غياب للمجد، وقد افتقدته جدة وأصبحت رسوماً، فهو لها بمثابة الروح في الجسم، وليس هذا فحسب بل إن النـاس قـد هلكـوا وذهبت عقولهم، وإن رأيت أشخاصاً فهي أشخاص فاقدة لعقولها ،وقد اجتمعت بفقـده المصائب تترى، وقد تملك جدة غريب عنها لايعرف أهلها ،فقد تولى رقاب الناس قهـراً وأخذ أموالهم غصباً، فعم الفساد والخوف والأحزان وتولى الأمر غير أهله فعز بها الـذليل وقعد العزيز، ولكن لابد للدهر أن يتوب ويأتي بمن غيابه سبب في كل هذه المحن ، فيقول :

ولا بد أن نعتاض فيما مـضى الهنـا وتحسن عن هذي المبادي العواقـب

ويبيض وجه الدهر بعـد اسـوداده وتجلـى معاليـه وتمحـى المعايـب

وتشرق شمس السعد في مطلع العـلا وتجذب سيّارَ النحـوس المغـاربُ

ويفترَّ بعـد الحـزن ثغـر زماننـا وتضحك أيـام وتبكـى سـحائب

ويصرح الشاعر بعد ذلك بقرابته للممدوح، فالشاعر فرع مـن دوحـة أصـلها الممدوح،يقول :

وما أنـا إلا بـضعة هـو أصـلها كذا كل فرع فهو للأصـل آيـب

ثم يعتذر بعد ذلك لممدوحه- على عادته في قصائد المدح - عن تقصيره في المديح، ولكن قريحته تعاتبه على أن لا يمدح الوزير، وهو يعاتبها على عدم إيفاء الممدوح حقة من المدح، ثم يذكر بعد ذلك أن له أمل بعودة ممدوحه إلى الارتقاء والرفعة، حيث إنه كـان مرفوعاً بقربه ،وقد بالغ الأعداء في خفض قدره، ولكن المطلب الأقصى المأمول هو نـور وجه ممدوحه، ويذكر الشاعر أن دوره يقتصر على الكتابة،فالفضل لقريحته التي تملي عليه ما تملي من مناقب هذا الممدوح، ثم يختم الشاعر القصيدة بأبيات تطفح بالغبطة والسرور يقول :

فلـــم أدر إلا والمبـــشر مقبـــل	**يطير إلينا فرحـةً وهـو راكـب**
يبـشّر والبـشرى تهلّـل وجهـه	**ومن جانبيه للـسرور مواكـب**
بـأن أبـا الإقبـال قابـل جـدّة	**فكم راغم أنفا وكم فيه راغـب**
فأقبلـت الأفـراح فيهـا لعـوده	**وأدبرت الأحزان فهي ذواهـب**
ونادى لسان الحال ينـشد فرحـة	**فسُرّ بـه سـاحاتُها والجوانـبُ**
ألا إنمـا العليـا لواحـد عـصره	**وأوحده والغير في المجـد كـاذب**
ومـا هـي إلا دولـة قابليـة	**وما هي إلا منحـة ومواهـب**[1]

ومن الملاحظ أن المناسبة قد طغت على المديح في القصيدة، فتركيز الشاعر كان منصبًّا على وصف قضية عزل يوسف قابل والحديث عنها، فقد أطنب الشاعر في وصف حالة جدة عند غياب الممدوح عنها وبالغ في ذلك ليجعل ممدوحه في النهاية هو المخلص من كل هذه الأزمات، لذا جاء المديح خافتا فالأوصاف التي ساقها الشاعر في بداية القصيدة أوصاف عامة تصلح لوصف أي ممدوح، فجاءت القصيدة أقرب إلى وصف حادثة منها إلى قصيدة مدح، ويظهر أن الباعث إلى نظمها هو عودة الوزير إلى منصبه وليس المدح نفسه للوزير، فالفكرة المسيطرة على الشاعر انتصار الوزير بعودته لمنصبه وزيرا لجدة، وهو انتصار يبدو أنه شفى غليل الشاعر وشكل صفعة قوية لخصوم طالما تحدث عنهم.

ومن الوزير يوسف قابل إلى الوزير ريحان آغا، والذي يظهر أنه تولى الوزارة بعد يوسف قابل، فقد علمنا أن الشريف سرور عندما ثار على عمه أحمد بن سعيد كان بمساعدة يوسف قابل الذي جمعت بينه وبين الشريف سرور المصلحة – كما مر بنا- وكان ذلك سنة ١١٨٦هـ ، وريحان آغا هذا كانت وفاته سنة ١٢٠٠هـ ، والقصيدة هذه كسابقتها تظهر لنا ارتباطاً خاصاً بالممدوح وإن اختلف هذا الارتباط فالسابقة كانت رابطة قرابة، أما هنا فالشاعر كما يذكر كان متولياً ومباشراً لجميع أحواله وضابطاً لجميع أمواله.

(١) – الديوان ص ١٠١

القصيدة تقع في ثلاثين بيتاً على بحر الطويل يفتتحها الشاعر بالحديث عن سجايا ممدوحه، فهو صاحب السجايا الحميدة والوجه الجميل الحليم الكريم صائب الرأي ماضي العزم الحيي الشجاع ،بل إن كل جميل من الندى والسيادة والحزم والعزم يصدر من معاليه، وهي معان تتكرر في المدح العربي عموما، وفي مدائح الشاعر على وجه الخصوص إلا أنه حاول هنا أن يبرز هذه الصفات بصورة تعبيرية حاول أن يكسر بها تقليدية هذه المعاني وذلك باستخدامه أسلوب القصر بالاستثناء، يقول:

سجاياك إلا أنها الروض زاهر ... ووجهك إلا أنه البدر سافر

وحلمك إلا أنه الطود راسخٌ ... وكفّك إلا أنه البحر زاخر

ورأيك إلا أنه السهم صائبٌ ... وعزمك إلا أنه السيف باتر

ثم يتساءل الشاعر عن استحالة إحصاء مناقب هذا الممدوح التي يعجز عن حصرها المنطق، ويعذر من يلومه عن عدم وفائه لمقام هذا الممدوح تجاهه وتقصيره بنظم القريض لمدح من غمره بالفضل، فيرشح من يلومه ليذكر أن هذا اللائم لا يعرف مقدار عليا الممدوح الذي مهما حشد فيه من شعر لما بلغ هذا الشعر شأو مجد الممدوح بل لكان من نصيبه التقصير، وسبق أن رأينا مثل هذا الترشيح والاعتراف بالعجز في مدائح سابقة للشاعر، ثم يعود ليؤكد أن هذا العجز ليس مردّة قدرة الشاعر على صياغة الشعر وإنما هو عائد إلى بعد شأو مجد الممدوح الذي تقصر دون حقه المدائح العظيمة، يقول:

علاً يحصر المنطيق عن حصر وصفها ... كما لا يعدّ القطر والغيث ماطر

يقولون لي تدعى الأديب ولم تقم ... بحقِّ معال غرسها فيك ثامر

فلمْ لا تنوّه في القريض بمدح من ... عليك ندى كفيه بالفضل غامر

وما علموا مقدار علياك إنها ... لأرفع أن تحوي سناها الدفاتر

ولو صغت أبكار المعالي ونزّلت ... لنظمى من الأفق الدراري الزواهر

ونظّمت أسلاك القوافي مدائحاً ... تعد خجْلةً منه العقود النواضر

ودبّجت وشى الشعر من غرر الثنا ... عليك بما تثني عليه الجواهر

وأمليت من كل البحور قصائداً ... وفهت بما تملى عليّ الخواطر

لـَما كنت أقضى شأو مجـــدك حقّــه ... من الشكر إني عنه معْ ذاك قاصـــر

ومـــاذا عــــسى أني أفـــوهُ بمدحـــة ... لـــمن صدق الأخبار عنـــه المخـــابر

وإن لم يفــه نطقــى بـــشكر تــــهيّبًا ... لقدرك إنّ الحـــال منّـــىَ شـــاكر[1]

ثم يختم الشاعر القصيدة داعياً للممدوح بدوام هذه الحال الحميـــدة حيـــث إنـــه مكسب للوزارة ولمدينة جدة ثغر الحمى المكي حيث إن القاطنين بجدة يحسدهم على هذا الوزير من سافر عنها .

ومن الملاحظ على قصائد المدح عند الشاعر أنه يلج إلى المـــدح مباشـــرة بـــدون مقدمات، وقد درج شعراء العربية وعلى رأسهم المتنبي الذي نجد الشاعر يحاكيه في بعض شعره على أن يستهلوا قصائد المدح بمقدمة غالبا ما تكون غزلية، وقد استمر هذا التقليد عند الشعراء إلى عصر الشاعر، وخـــير مثـــال علـــى ذلـــك الـــشاعر جعفـــر البـــيتي المدني(١١١٠هــ-١١٨٢هــ) الذي عده الشاعر يافوخ الشعراء.

والمعاني التي ركز عليها الشاعر في مدائحه معان محدودة، فرضـــها عليـــه نوعيـــة الأشخاص الذين مدحهم، كما يرجع بعض ذلك إلى الشاعر نفسه الذي- كما أسلفنا- لم يكن تكسبيا بشعره، فجاء مدحه عفو الخاطر متدفقا تمليه اللحظة والظرف الذي قيلت فيه،والقواسم التي تكاد تكون مشتركة بين مدائح الشاعر تكـــاد تنحـــصر في الوصـــف بالشجاعة وحماية مكة والنسبة الهاشمية والاعتذار والشكوى والتهنئة والتاريخ الـــشعري، ووصف المنجزات ومن أظهرها المباني وآلة الحرب.

---

(١) – الديوان ص ١١٤

٥ - الرثاء

الرثاء فن البكاء على الميت، عرفه العرب منذ جاهليتهم، ولهم في رثاء الأفـــراد تراث ضخم، فقد ندبوا ذوي الرحم من الأهلين والأقارب، وأبنوا الشخـــصيات الفـــذة السياسية والحربية والأدبية والعلمية... ، واسترسلوا بالعزاء في الحديث عن الحياة والمصير إلى الفناء. (١)

(١) – الشعر العربي أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان، الدكتور خالد إبراهيم يوسف،دار النهضة العربية،ط١ ٢٠٠٣م، ص٣٧٦

ويرى ابن رشيق في العمدة أنه "ليس بين الرثاء والمدح فرق، إلا أنـه يُخلـط بالرثاء شيء يدل على أن المقصود به ميت ...."[١].

ويرى أن " سبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع ، بيّن الحسرة، مخلوطا بالتلـهف والأسف والاستعظام أن كان الميت ملكا أو رئيسا أو كبيرا".[٢]

جاءت قصائد الرثاء في ديوان الشاعر متتالية على خلاف بعض أغراض الشعر الأخرى التي جاءت متفرقة في الديوان غير متوالية، إلا أن قصائد الرثاء - كما هو حـال شعر المدح- جاءت غير مرتبة زمنيا، فأولها في الديوان آخرها زمنيا وتاريخها سنة ١٢٠٢هـ ثم تأتي القصيدة التي تليها بتاريخ ١١٨٩هـ، ثم يقفز إلى ١١٩٩هـ ليعـود لسنة ١١٩٣هـ، ثم سنة ١١٩٦ ليعود بعدها إلى سـنة ١١٩٣هـ مـرة أخـرى،ثم ١٢٠١هـ،لنجد القصيدة الأخيرة مؤرخة بسنة١١٩٣هـ.

وعدد قصائد الرثاء في الديوان سبع قصائد،ألحقنا بـها قصيدة جاءت متأخرة في الديوان غير مؤرخة رثى بـها الشاعر حصانه.

قصائد الرثاء السبع جاءت ثلاث منها في رثاء العلماء، وهم حسين با مـدهر، وعبدا لله ميرغني، وسعد القيرواني، وقد صرح بذلك الشاعر أثناء تقديمه لكل قصيدة منها، كما أن مضمون القصيدة يؤكد ذلك، وجاءت ثلاث قصائد لأعيان يظهر أن لهم مكانة مرموقة في المجتمع، وهم زين العابدين السقاف وعبد الرحمن بادشاه وحسن البـار، أمـا القصيدة السابعة فهي في شقيق الشاعر إبراهيم قابل.

(١) – العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل ،بيروت، ط٥ ١٤٠١-١٩٨١، ص ١٤٧

(٢) – السابق ص ١٤٧

ومن الغريب أننا لا نجد في ديوان الشاعر رثاء لأشراف مكة بالرغم من علاقته الوطيدة بـــهم ومدحه لهم؛ وقد يرجع ذلك إلى أن علاقة الشاعر بـــــهؤلاء الأشـــراف علاقة رسمية ذات مصالح تنتهي بوفاة الشريف ولا يبقى من هذه العلاقة لدى الشاعر ما يدفعه إلى رثاء ذلك المتوفى، إضافة إلى أن ذلك قد يعود إلى إحجام الشاعر عـــن الرثـــاء بقصد وتعمد لئلا يثير رثاؤه للشريف السالف حفيظة من تولى بعده ســـيما وأن علاقـــة الخلف بالسلف – غالبا- لا تكون على ما يرام عند أشراف مكة [١]، ومن التقليد في رثاء الحكام والملوك عند العرب رثاء المتوفى وتعزية ابنه المتولي بعده، لأن في ذلك دلالة علـــى الوفاء من الشاعر لابنه، وقد غلب- في عصر الشاعر- أن لا يكون المتولي ابنا للـــشريف السابق، إضافة إلى أنه في أغلب الأحيان لا تنتهي الولاية بالوفاة.

سنستعرض القصائد حسب ترتيبها الزمني، لنقف على مضامينها ونرصد المعـــاني التي اعتمد عليها الشاعر في رثائه.

أول هذه القصائد مؤرخة بسنة ١١٨٩هــ، يرثي بـــها الشاعر حسين بن جعفر با مدهر، وهي قصيدة بائية على بحر البسيط تقع في ثمانية وثلاثين بيتا، يستهلها الـــشاعر بذكر بكاء الزمان وحزن الدهر وحوقلة المجد من عظم المصاب الذي أصـــاب والخطـــب الذي ألم وهو وفاة بامدهر، فيذكر الشاعر أنه مصاب لا يجدي معه التصبر فقد ذوى بـــه غرس العلوم، وانـــهد به ركن المعالي، يقول:

بكى الزمان لهذا الـــرزء وانتحبـــا	**وضاق ذرعـــاً بـــــهذا الخطـــب**
واسترجع الدهر حزنا بعد صدمته	**وحوقل المجد لـــما أن بـــه نَـــشَبَا**
فيا له من مصاب قـــد أقـــام بنـــا	**لا بعـــد ينفعنـــا منـــه ولا هربـــا**

---

(١) – يقول الدكتور عايض الردادي في كتابه (الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري) : "وللشعراء مراثٍ في بعض أمراء مكة من آل قتادة، وقلّ أن يرثي الشعراء من ولي الإمارة منهم، وقد يتأخر رثاء الأمير سنوات فيرثى إذا وصل إلى الحكم ابنه، وسبب ذلك أن نـــهاية أكثر أمراء مكة خلال القرن الحادي عشر نـــهاية دموية..." ص ٦٢٤

ليس التصبر يجدينا وقـــد ملئـــت   أحشاؤنا من دواعى حزنه وصـــبا

خطبٌ عظيمٌ ذوى غرس العلوم به   وانـــهدّ ركن الـــمعالي عنـــدما

ويسترسل الشاعر في وصف تبعات هذه المصيبة ليسوق بعد ذلك بعض الـــصفات التي لازمت المرثي، فهو صاحب مجد وسيادة وعباب علم وصاحب دين، يقول:

فقيد مجد نعاه المجـــد مـــن جـــزع   وحقـــه إن نعـــاه المجـــد أو نـــدبا

وسيّدٌ كان في أفـــق العـــلا قمـــرا   وقد عـــراه خـــسوف الـــــموت

واستنـــزلته الـــمنايا من مطالعـــه   إلى الغروب فأمسى غربـــه التربـــا

وطود فضل تسامى راسخاً وعـــلا   قد ضعضعته يد الأقدار فاضـــطربا

عباب علم تفيـــد الـــدرّ لـــــجّته   للمستفيد وتولي الفضل من طلبـــا

منار هدْي لـــمن أضحى يراقـــب   نـــهج السلوك سلوكاً يبلغ الأربـــا

وشرعةٌ بـــسنا التوحيـــد مـــشرقةٌ   أنوارها من نحاهـــا كـــان مقتربـــا

حاز المقامين من علم ومن عمـــل   وأحرز السؤددين المجـــد والأدبـــا

ونال من ســـنن التجريـــد مرتبـــةً   أبدت له من خبايا السرّ ما حجبـــا

فكم أماط قلوب السالكين بأنـــــ   ـــوار اليقين وكم أدنى وكم جـــذبا

وكم أحلّ بأصداف النـــهى دررا   من العلوم وأوعى الصحف والكتبا

أحيا الـــمدارس تدريسًا وأحكـــم   مجالس الذكر تأسيساً لـــمن رغبـــا

وخالط الجمع تقديـــساوشاهد في   حال التفرد تأنيـــساً بـــه اقتربـــا

إمام أهل التقى علمـــاً وأورعهـــم   نفساً وأكرمهم أصـــلاً ومنتـــسبا

الفاضل الكامـــل النـــدب الـــذي   به الـــمحافل قدراً والعـــلا رتبـــا

العالم العامل النحرير قـــرّة عيـــــ   ـــن الدهر روح المعالي أوحد النّجبا

السيد الهاشميّ الـــــمنتمى نـــسبا   إلى النبيّ وللفضل الجلـــى حـــسبا

هو الحسين بن مولانـــا وســـيدنا   الـــسيد العلـــويّ الجعفـــريّ أبـــا

وقبل أن يختم الشاعر القصيدة نجده يعتذر عن تقصيره عن إيفاء المتـــوفى حقـــه، والاعتذار عن التقصير يكاد يكون لازمة تكررت في جـــل قـــصائد الـــشاعر الموجهـــة

للآخرين، ثم ينهي القصيدة داعيا لقبره بالسقيا، مؤرخا سنة الوفاة شـــعريا ومؤكـــدا أن المرثي حل بفردوس العلا وأناله الله فيها مطلبه، يقول:

سقى ثراه من الرضوان غاديـــةٌ	**وطفاء يزري حياها القطر والسحبا**
وهبّ في روض لحد ضم أعظمه	**روح القبول شذاها عبهرٌ وكبـــا**
وبـــوّأ الله في دار النعـــيم لـــه	**مثوى وأعلا بذرْواها لـــه الرتبـــا**
أرّخت عاماً لقد عمّ الأنـــام بـــه	**لفقده ما أهاج الحـــزن والوصـــبا**
فجاء تاريخه بيتـــاً يوضّـــح مـــا	**أولاه مولاه من حسن الجزا وجبا**
حل الحسين بفردوس العلا ولقد	**أناله الله فيها جـــلّ مـــا طلبـــا(١)**

أما القصيدة الثانية حسب الترتيب الزمني فهي في رثاء السيد عبدالله ميرغني سنة ١١٩٣هـــ، وهي أطول قصائد الرثاء في ديوانه، كما أن الميرغني أبرز من رثاهم الشاعر، فهو مفتي مكة الذي تطالعنا ترجمته عند أشهر من ترجموا لأعيان هذه الفترة. (٢)

---

(١) – الديوان ص ٢٣٥

(٢) – هو عبدالله بن إبراهيم بن حسن بن محمد أمين بن علي ميرغني ، ولد بمكة وأخذ عن علمائها،فاضل، من فقهاء الحنفية ، لقب بالمحجوب للزومه العزلة في داره نحو ثلاثين سنة، له تصانيف، توفي بالطائف سنة ١١٩٣ هـــ . الأعلام ٤/٦٤ ، وقد ترجم الزركلي في الأعلام بعد مترجمنا لميرغني آخر يتطابق معه في الاسم وسلسلة النسب ولكنه يختلف معه في أسماء المصنفات وسنة الوفاة وحددها بسنة ١٢٠٧هـــ ، والمترجم الأخير نجده عند البيطار في حلية البشر (١٠١١/٢) حيث يتطابق مع مترجمنا في الاسم والصفات ويختلف معه في اسماء المصنفات وسنة الوفاة حيث حددها البيطار بسنة ١٢٠٧هـــ أيضا . وقد نوّه المشرف على طباعة الأعلام - في الحاشية - على أن الترجمة الثانية للميرغني هي مما أعده المؤلف لتضاف للطبعات السابقة ، ويغلب ظن المشرف – كما ذكر – أنّها تتناول الميرغني نفسه المترجم له أولا . وقد ذكر دحلان في خلاصته عبدالله ميرغني آخر كان مفتيا عند دخول الإمام سعود بن عبد العزيز آل سعود مكة سنة ١٢٢٣هـــ . خلاصة الكلام لأحمد زيني دحلان ص٢٧٦ ، كما نجد الجبرتي

تقع قصيدة رثاء الميرغني في أربعة وأربعين بيتا وهي لامية على بحـــر الطويـــل، يستهلها الشاعر بمطلع مجلجل يعلن تضعضع ركن المجد، وانصداع النبل، وجفاف ينـــابيع العلوم، فيقول:

تضعضع ركن المجد وانصدع النُّبْـــل　　وعبّس وجه الجَدّ وانقبض الفضل

وغاضت ينابيع العلوم فـــلا يُـــرى　　بـــها عَلَلٌ للواردين ولا نَـــــهْل

فكم بيت فضل كان بالعلم آهـــلا　　فأصبح حتى قيل كان لـــه أهـــل

معـــالم كانـــت للفهـــوم مـــشاعراً　　لحجّاجـــها الترحال ثَمّة والحـــلّ

فأضحت خلاءً والمدارس أصـــبحت　　دوارس والعليا معاصـــمها عطـــل

ثم ينتقل بعد ذلك للعزاء، فيذكر أن هذا هو حال الدنيا ، وأن إرادة الله نافـــذة؛ لذا يتوجب علينا الاتعاظ وعدم الانخداع بزخرف الحياة وزينتها، ويسترسل في الـــوعظ ليعود بعد ذلك إلى ذكر المرثي، ويذكر الفجيعة به ويعدد مناقبه وصفاته، فيقول:

وكم فجعة حلّت بنا بعد فجعـــة　　يشتّ بـــها من كون أشباحنا الشمل

إلى أن ألـــمّـــت فجعـــةٌ عمّـــت　　بلاءً وخصّت من به عمّنـــا الـــشكل

بلاءٌ قد استولى علـــى كـــل ذي　　فكان لأربـــاب العقـــول بـــه خُبْـــل

ورزءٌ عظيمٌ حل فانفـــصمت بـــه　　عُرا الصبر عن ذي الصبر أثقله الحمل

لقد ضاق جأش الحلم ذرعاً لخطبه　　وقد غصّ صدر العلم مورده الطَّحْـــل

إمام الهداة الحبر من شـــهدت لـــه　　عدول المعالي أنـــه العمـــدة العـــدل

منار الهدى للسالكين إلى الهـــدى　　من اتّضحت للـــسالكين بـــه الـــسُّبْل

عباب الإفادات الخضمّ الذي لـــه　　على كل ذي فضل ولا منكرٌ فـــضْل

في عجائب الآثار يذكر في وفيات ١٢٠٧هـــ عبدالله بن إبراهيم بن حسن ميرغني ويتطابق اسمه وصفاته على مترجمنا ٢ / ١٤٧

وسر الإشارات التي من سرى لهـــا   **تجلّـــى لـــه بالـــسر منظرهـــا المجلـــو**

لقد كان طودًا للعلوم فكم غـــدا   **لأهل النهى في ســـوح ســـاحته ظـــل**

وكان رحيب الصدر والدار وفْده   **على سعة من فضله حيث مـــا حلّـــوا**

وقد كان بحراً كم أنـــال مريـــده   **فرائد علم عنـــدها قـــلّ مـــا يغلـــو**

وكان لأهل الفضل شمس نـــهارهم   **إذا اسودّ خطبٌ عنده أحجم الـــمثل**

وكان يمير الوفـــد ميْـــر غنـــيّهم   **إذا حلّت اللاواء أو شمل الـــمـــحل**[١]

ونجده في آخر القصيدة يكرر نـــهجه في القصيدة السابقة، حيث الاعتذار عن التقصير والدعاء بالسقيا، وأخيرا التاريخ الشعري للوفاة.

وهناك مرثية أخرى سنة ١١٩٣هـــ، يرثي فيها الـــشاعر زيـــن العابـــدين السقاف، الذي يبدو أنه يتمتع بمكانه مرموقة، ولم ينعته الشاعر بالعلامـــة عنـــد تقديمـــه للقصيدة، وهو من أسرة السادة باعلوي الذي كان لهم نصيب وافر من مراثي الشاعر.

القصيدة بائية على بحر الطويل تقع في ستة وثلاثين بيتا، يستهلها الشاعر بقوله إن وفاة المرثي مصيبة يستطير فيها الصبر، ويضيق بـــها صدر الحليم، فهي فادحة وصـــدمة، يقول:

ملمٌّ حكت سود الليـــالي غياهبـــه   **فأمطرت الخطب الجسيم ســـحائبه**

دهى فاستطار الصبر عن كل صابر   **وطارت له الألباب مذ ناب نائبـــه**

بفادحة حلّت فجـــلّ مـــصابـــها   **توالت بنا تترى وعمّت مـــصائبه**

فضاق لها صـــدر الحلـــيم تأسّـــفا   **وضاقت على الصبّار منها مذاهبه**

أهاجت لظى الأحزان في كل مهجة   **وفاضت لها من كل جفن سواكبه**

هى الصدمة العظمى ومـــا كـــل   **تلين إذا حلّت من الصبر جانبـــه**

(١) – الديوان ص ٢٤٤

ثم يعدد الشاعر بعد ذلك صفات المرثي، فيذكر أنه السيد الجليل عالي الرتب،الأثيل العريق النبيه الذكي التقي، يقول:

تكشّف عنها الستر عن فقد سيّد ... تجلّ عن التعداد حصراً مناقبه
قد اخترمت أيدي المنون حياته ... وقد نشبت للموت فيه مخالبه
وقد كان بدراً في مشارق حسنه ... ومذ تَمَّ أهوته إليها مغاربه
وقد كان غصناً في نضارة زهوه ... فأجدب هاتيك النضارة جادبه
وقد بلغ الغايات في الفضل يافعا ... وتمّت له قبل اكتهال رغائبه
فأحرز سبقا في مداه فما له ... قرين يباري فضله أو يقاربه
جليلٌ تسامى في المعالي وقد ... على هامة الجوزاء فخرًا مراتبه
أسيل عريق الأصل فرع أرومة ... زكا غرسها طيباً فطابت أطائبه
صقيل مرائى الفكر أما ذكاؤه ... ذكاء بها يهدى إلى الرشد طالبه
جميل الثنا المنسوب للنور قد بدت ... ولاحت كوضّاح الصباح مناسبه
عظيم مزايا القدر يسمو مقامه ... كريم سجايا النفس تزكو أسالبه
شهير الجلالات التي لاح نورها ... عليه فضاءت من سناها قوالبه
حميد مبادي السعي في مهْيع التقى ... وقد حمدت عند انتهاء عواقبه[1]
حليف الوفا خدن النباهة والذكا ... أليف الصفا صنو الكمال وصاحبه[2]
شمائله الروض الأريض وخلقه ... لَلُدْنيَّةٌ للمستفيض مواهبه[3]

(١) – مهيع: واسع واضح بيّن. لسان العرب (هيع)
(٢) – (الذكا) قصر(ذكاء بمعنى الشمس وهو من باب قصر الممدود للضرورة الشعرية.
(٣) – الديوان ص ٢٣٨

ثم يؤكد الشاعر أن من حق المرثي أن تبكيه العيون، ومن حق آل بيتـــه بـــني السقاف أن يلبسوا له أثوابا من الحزن، بل حق على بني الزهراء كلهم أن يوفـــوه الرثـــاء المناسب، بل إن ذلك لا يقتصر على آله بعدوا أو قربوا، وإنما يتعدى الحق بنعيه ليـــشمل أهل الكمالات، وكذلك الآداب، ولكن العزاء في ذلك كله هو أن الفقيد انتقل إلى جوار ربه في مقعد صدق، والشاعر لا يشكك في ذلك، ثم يختم القصيدة بالدعاء بالسقيا لقـــبره دون تاريخ شعري.

أما المرثية الرابعة فهي في رثاء عبد الرحمن بادشاه ، الذي ينعته الشاعر بالإنسان الكامل حاوي الفضائل، ويظهر أنه من الأعيان حيث لم ينعته الشاعر-كعادته مع العلماء- بالعلامة، وقد أرخ لوفاته بسنة ١١٩٦هـــ.

قصيدة رثاء بادشاه عينية على بحر الطويل تقع في ثلاثة وعشرين بيتا، يستهلها الشاعر مستقلا على عيونه السهر وذرف الدموع، لأن المتوفى من حقه أن يبكى عليه دما، حيث إن هذه العيون كانت قد بكته وهو حي يرزق، فكيف بـــها اليوم وهي تراه صريعا، ويؤكد أن المتوفى كثر فاقدوه، فهو فقيد الفضل والنبل والتقى والوفاء والمكرمات والجد والعلا، يقول:

قليل عليها إن جفاها هجوعها   **وإن هـــمعت حزنا عليه دموعها**

ولم يكْفها وكف الدموع لفقده   **ولو أن جرى عنه اعتياضاً نجيعهـــا**

عيونٌ بكته وهي كانت قريـــرةً   **به فرأته اليـــوم وهـــو صـــريعها**

فقيدٌ نعاه الفضل والنبل والتقى   **وحسن الوفا والـــمكرمات جميعها**

وندبٌ رثاه المجد والجدّ والعلا   **وحق بأن يُبكى ويُرثى قريعهـــا**[١]

ثم يسترسل بعد ذلك ليصف حال المكلومين بفقده وعظم المصيبة بـــه، ليخـــتم القصيدة بعد ذلك بالدعاء بالسقيا لقبره-كعادته-دون أن يؤرخ لوفاته شعريا.

(١) – الديوان ص ٢٤٠

أما القصيدة الخامسة فهي في رثاء السيد حسن البار سنة ١١٩٩هـ، وهي بائية على بحر الطويل، تقع في ثمانية وعشرين بيتا، يستهلها الشاعر مقررا أحقية عين المعالي في أن يطول انتحابها وانسكاب دموعها، كما يقرر أن العلياء جديرة بأن تنعاه ، وأن تقيم المآتم للحزن وتلبس ثياب الحداد،فيقول:

لعين المعالي أن يطول انتحابها	**وأن يتوالى بالدموع انسكابها**
وآن لها أن تصحب الأسف	**وأن يتوالاها عليك اكتآبها**
وأجدر بالعلياء نعيك إنها	**إذا انتسبت يُنمى إليك**
ولا غرو إن قامت مآتم حزنها	**وقد غشيتها للحداد ثيابها**

ثم يتحدث عن الفقد معددا بذلك مناقبه وصفاته فيقول:

فحسْب العلا إن جلّ منك	**وحسب التقى أن تمّ فيك**
لقد فقدت إنسانها وعزيزها	**وفي فقده إيحاشها واضطرابها**
لقد فقدت طبّ القلوب وطيبها	**فيا حزنها وهى العظيم**
فقدنا جليل القدر بالحسب الذي	**مراماته في المجد عزّ طلابها**
فقدنا جلي الفخر بالنسب الذى	**به كلّ علياء يعزّ جنابها**
هو الحسن الآثار في كل مظهر	**هو الجامع الأسرار وهو عبابها**
هو العلويّ البار صفوة صفوة	**زكا أصلها المختار وهو لبابها**
فقدناه إنساناً من اللطف كاملاً	**مجاليه بالأنوار شف حجابها**
فقدناه محبوباً حبيباً وإنها	**لفادحةٌ خان الظنون حسابها**[١]

ومن الملاحظ تركيز الشاعر على النسبة العلوية الهاشمية في مدائحه ومراثيه للسادة باعلوي خاصة وللأشراف عامة.

---

(١) – الديوان ص ٢٣٧

ويتحول الشاعر من الندب إلى العزاء،فيذكر أن روح الفقيد قد آبت إلى ربّهـــا مطمئنة، وأن الموت حق والأولى من الحزن التصبر والتأسي، ثم ينهي القصيدة داعيا بالسقيا لقبر الفقيد، وأن يعلي الله مرتبته في النعيم.

أما واسطة عقد مراثي الشاعر،من حيث الزمان الذي قيلت فيـــه، والـــشخص المتوفى، فهي المرثية التي أطلقها من محتجزه في مكة سنة ١٢٠١هـــ لأقرب الناس إليـــه، وهو شقيقه إبراهيم قابل، فهي قصيدة عينية على بحر الطويل تقع في ثلاثة وعشرين بيتـــا، يستهلها الشاعر بتأكيد أحقية طرفه وقلبه ونفسه في الحزن والبكاء، فيقول:

يحقّ لطـــرفي أن تـــسحّ دموعـــه ... وأن يجفو الجفن القريح هجوعـــه

يحقّ لقلبي أن يـــصاحبه الجـــوى ... وتألفـــــه أوصـــــابه وولوعـــــه

يحق لـــمثلي أن يطـــول بكـــاؤه ... لفقد حبيب أين منّـــي رجوعـــه

فهل نظرت عيناك مثلـــي فاقـــدا ... فقيـــداً نعتـــه بالحيـــاة ربوعـــه

ثم يؤكد الشاعر على كثرة المصائب التي انتظمت معها هذه المصيبة، فيتساءل لأيها يبكي، فيقول:

أأبكي لفوتي خدن روحي شـــقيقها ... قـــرين فـــؤادي منـــشأً وقريعـــه

رضيعَيْ لبان ضَمَّنا حجـــر ثاكـــل ... لنا فهي تبدي حزنـــها وتذيعـــه

أخي عدّتي ظهري جمالي مـــؤازري ... يدي نظري ذخري الذي لا أضيعه

وإلا فأبكي لانقباضىَ عـــن حمـــى ... لقلـــبي بـــه مـــصطافه وربيعـــه

وإلا فـــأبكي لاحتمـــالي متاعبـــا ... يزلزل لبّـــي كربـــــها ويروعـــه

وإلا فأبكي أهـــل ودي وفقـــدهم ... لشمس وبدر كان فيهم طلوعـــه

لأي مصاب أمزج الحزن والبكـــا ... فهل ثَـــمّ خطبٌ ما عنتني فجوعه

مصائب يتلو بعضها البعض كلمـــا ... عنـــانىَ وتـــرٌ يقتفيـــه شـــفيعه

تخاطبني بالـــمفزعات خطوبـــــها ... أسى وهى تشْري خاطري وتبيعه

أقابـــل ملفاهـــا مـــسالمةً لهـــا على أن أدناها فـــلا أســـتطيعه[1]

ويختم الشاعر القصيدة على غير عادته، فلا نجد الدعاء بالـسقيا ولا التـاريخ الشعري، وكأنه ذهل من عظم المصيبة وصدق الحزن اللذين لم يتركا حيزا للتأنق وممارسة تقاليد الرثاء.

وآخر المراثي زمنيا وأولها في ترتيب قصائد الرثاء قصيدة رثاء في الشيخ سعد بن علي القيرواني اليمني، يذكر الشاعر أنه أرسلها لولد المتوفى سنة ١٢٠٢هـ، وهي قصيدة همزية على بحر الطويل تقع في سبعة وعشرين بيتا.

يستهل الشاعر القصيدة مؤكدا أنه بوفاة الشيخ سقط بدر العلا، وأظلـم أفـق الجد، وأن المذكور هو مفقود أم الفضائل، وهو إمام المعالي وأوحد البلغاء، فيقول:

هوى من سماء المجد بدر عـــلاء وأظلم أفق الجـــدّ بعـــد ضـــياء

وغاض معـــين الـــمكرمات غياض الـــمعالي بعد حسن نماء

وجلّ بربع الفضل فاجع فـــادحٍ تداعى به للفـــضل كـــلّ بنـــاء

أقامت به أم الفضائل مأتـــما لـــمفقودها الـــسامى علـــى

حياة الـــمعالي روحهـــا عـــين إمام الـــمعالي أوحـــد البلغـــاء

حلاحلها جهباذها من سمـــا إلى سماء العلا فخـــراً سمـــوّ ذكـــاء

ثم يسلك الشاعر في هذه المرثية سبيل الأقدمين، وهو ضرب الأمثال في مراثيهم[2]، فيشبه المرثي بابن جلا في نباهته وشهرته في الناس، فيقول:

جمال بني الآداب بالأدب الـــذي جلا مثلاً في الناس كابن جـــلاء

ويشبهه بحسان في رويته:

---

(١) – الديوان ص ٢٤٢

(٢) – انظر:العمدة لابن رشيق ص ١٥٠

أريبٌ شهدنا من كريم صفاته   رويّــة حــسّان وحــسن رواء

ويرى أنه أبرّ على قس بن ساعدة الإيادي بلاغة، وجر على سحبان وائــل فــضل ردائه،وأنه سفّه بحلمه الأحنف بن قيس، وجعل رتبة القاضي إياس في الذكاء متخلفــة، فيقول:

أبرّ على قس الإيادي بلاغــةً   وجرّ على سحبان فــضل رداء

وسفّه بالحلم الــمؤثّل أحنفا   وردّ إياســاً بالــذكا لــوراء

ومن المعاني التي ذكرها الشعراء في الرثاء ذكر فناء الميت ودفنه في التراب، وهو وإن كان حقيقة، إلا أنه مما عيب على الشعراء مثله ومن أشهرهم أبو الطيب[١]، ونجــد عند محمد قابل في هذه المرثية مثل ذلك في قوله:

ثوى الترب محجوبا وما تــمّ قبله   بأن تحجب الدهماء بدر سمــاء

ثم يعزي ابن الفقيد بعد أن ذكر أن هذا الابن هو من نعاه إليه،فيقول:

أعزّيك سعد الدين فيــه وإنــني   لفجعته حزنــا شــفيع عــزاء

تأسّ ولا أمرٌ عليك بمن مــضى   فما هذه الــدنيا بــدار بقــاء

تحلّ بأثواب الرضا واصطبر لــما   عناك فكل الحيّ ركــب فنــاء

لك السلف الــمبرور حق بــه   من الله بالزلفى وحسن جزاء[٢]

وأخيرا يختم القصيدة بالدعاء لقبر الفقيد بالسقيا، وللابن بالبقاء الملحوظ بالعناية.

وهناك مرثية انفرد بموضوعها و لم يدرجها الشاعر ضمن قــصائد الرثــاء في الديوان، بل جاءت متأخرة عنها، وهي لامية تقع في تسعة أبيات على بحر الخفيف رثـــى بـــها الشاعر حصانه، استهلها الشاعر –كعادته- بالحديث عن عظم المصيبة والفجيعــة التي ألمت بسبب مصرع الحصان الذي لقبه بالهروال، يقول:

هَرْوَلَتْ عند مصرع الهــروال   فجعةٌ ضعضعت بناء احتمــالي

---

(١) – انظر: العمدة لابن رشيق ص ١٥٤ ، والشعر في رحاب سيف الدولة د سعود عبد الجابر ص ١٩٨

(٢) – الديوان ص ٢٣٣

يا لهـــا فجعـــةٌ تنـــاثر منـــها عقد صبري انتثار عقد اللآلي

كنت من قبلـــها أظـــن بـــأني لا أراه مجنـــــدلا في الرمـــــال

فدهاني فيـــه الزمـــان بيـــوم كـــان للخيـــل فيـــه ضـــيق

وجرى الـــدهر بالرزيّـــة فيـــه راكضاً مثل ركضه في النـــزال

قبضت روحه بأيـــدي المنايـــا قبضة الذئب في يد الأشـــبال

ثم يصف حصانه الفقيد وينعته بالنعوت التي تناسبه، فهو مسربل بالجمـــال، يسابق الريح، وحصن لمن يمتطيه:

فتنهّـــدت حـــسرةً لعيـــاني رزء نـــهد مـــسربل بالجمـــال

وجنيب يفاخر الريح ســـبقا من جنوب في عَدْوه أو شمـــال

وحصان حصنٌ لـــمن يمتطيه لاقتحام الأبطـــال بالأبطـــال(1)

وبـــهذا نجد معاني الرثاء عند محمد قابل معاني تقليدية، سلك فيها الشاعر سبيل الأقدمين، وهي لا تخرج عن وصف المصيبة وتـــهويلها، وتأبين الميت، والاعتـــذار عـــن التقصير في الرثاء، والتعزية بالتأمل في مصير الإنسان وقضاء الله وقدره، والدعاء بالـــسقيا لقبر المتوفى ، والتاريخ الشعري.

وبسبب قصر الشاعر مراثيه على شريحة بعينها أصبح مجال التأبين عنده منحصرا في الوصف بالعلمية وعلو المنـــزلة والنسب الهاشمي.

هذه أهم الأغراض التي تبرز جلية في ديوان محمد قابل ، وهي الإلهيات والتأمليات والاخوانيات والمدائح والمراثي، وهناك أغراض أغرى طرقها الشاعر لكنها لا تمثل ظاهرة لافتة في ديوانه لقلتها، مثل شعر الهجاء والتهاني، أو لعدم احتفال الـــشاعر بـــــها ، لأن

---

(١) – الديوان ص ٢٨٦

طرقه لها من منطلق العرف الأدبي مثل شعر الغزل ، وآثرت أن لا أتطرق لهذه الأغـــراض تجنبا للإطالة، وإيمانا بأن ما عرضناه يؤدي الغرض من دراسة المضامين.

الفصل الثاني

الأداة

أولا / اللغة:

١ - المعجم الشعري

٢ – الهنات والضرورات الشعرية

٣ - الصورة البيانية والمحسنات البديعية

٤ – بناء الجملة

اللغة

اللغة عالم من الرموز يقف الإنسان أمامه حائرا في فهم أبعاده وأسراره، ولغة الشعر أكثر غموضا وتمنّعاً، فهي لغة مراوغة تختلف باختلاف الزمان والمكان، والأشخاص أنفسهم، فاللغة في مفهومها العام أداة اصطلح كل قوم على التفاهم فيما بينهم بها، ولكن هذه الأداة لا تلبث أن تتحول إلى بصمة خاصة لدى مستعمليها، فلوهلة نظن أن اللغة كائن مستقر ، ولكن عند التمعن والتفحص يتلاشى هذا الفهم، فهيهات له الاستقرار، إذ تفجؤك خصوصية اللغة لتتناهى هذه الخصوصية في الدقة حتى نجد لكل إنسان لغته الخاصة التي لا يمكن أن تتطابق مع لغة متحدث آخر، فهي بصمة تخصه هو وحده، بل نذهب إلى أبعد من ذلك، وهو أن هذه البصمة تتمايز، فلغة الإنسان الواحد تختلف باختلاف أحواله، وتتشكل حسب ظروف نفسيته، فما يصدر عنه في حال الحزن يختلف لغةً عما يصدر عنه في حال الفرح، وكذلك المدح والهجاء والتهنئة والرثاء والغزل، وهكذا دواليك، حتى يصبح لكل نص لغته الخاصة، ويؤكد ابن رشيق أن "للشعراء ألفاظا معروفة، وأمثلة مألوفة لا ينبغي للشاعر أن يعدوها، ولا أن يستعمل غيرها، إلا أن يريد شاعر أن يتظرف باستعمال لفظ أعجمي فيستعمله في الندرة وعلى سبيل الخطرة".(١)

إن لغة الشعر تكسر رتابة اللغة المألوفة، وليس المقصود بهذا الكسر كسر نظام اللغة الصرفي أو النحوي؛ لأن قمة الإبداع تتمثل في كونه إبداعا داخل هذا النظام نفسه.

واللغة الجديدة ليست مجرد لغة أخرى مخالفة للغة السائدة، بل مع كونها كذلك أشد حميمية واتصالا بالعالم الذي يعيش فيه الشاعر من سواها، وأكثر قدرة على امتلاكه والنفاذ إلى جوهره. إنها لغة تكشف الخارج كما تكشف الداخل، تضئ للشاعر أعماقه كما تضئ له الطبيعة حتى تنقدح الشرارة ويبدأ الحريق. (٢)

---

(١) ابن رشيق القيرواني (العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده)، ص١٢٨ .

(٢) الجملة في الشعر العربي، د محمد حماسة عبد اللطيف، ٢٠٠٦م دار غريب القاهرة، ص ١٥.

والكلمة في اللغة الشعرية تكتسب معاني جديدة،فهي طاقة دينامية من الحياة والحيوية والحركة والإيقاع والإيحاء،تستمد قوتها من كونها تتجاوز العادي المألوف، فهي تبتعد عن تلك النزعة التقريرية المسطحة التي من خصائصها نقل الفكرة نقلا نثريا مباشرا ينتفي معه في الأدب جوهر الفنية في الشعر،والشاعر وهو يعبر عن هذه التجربة أو تلك يحيد باللغة عن مجراها العادي والمألوف، فاللغة الشعرية ليست مستمدة من المعاجم اللغوية، بل هي من معجم الشاعر الذي لا يمتلكه إلا هو،ولذلك فإن لغته تأخذ الأبعاد الوجدانية الخاصة به، وتتخلى عن طبيعتها المعجمية الجافة الجامدة. (١)

إذن من هذا المنطلق نحاول أن نلقي الضوء على لغة شاعرنا، وسنجعل هذا المبحث هو المدخل لأداة الشاعر الفنية إيماناً منا بأن اللغة هي وعاء الفكر وجوهر الجمال، وهي مادة كل تعبير وأس كل أدبية، فبحجم الثراء منها والقدرة على التصرف بها والتمتع بمزاياها يكون النصيب من البراعة في البيان، فالبيان صلف تيّاه أشبه بجميلة حسيبة متمنعة لا يأسرها إلا الثري النبيه الذي ملك تليد اللغة، وأصفاها من خلاصة خيمه ولبه وحسه الفني حتى ليكاد سنا نطقه يذهب بالأسماع .

وليس وضعنا لهذا المبحث في هذه الدراسة من باب الإلف البحثي أو جريان العادة، بل هو مما تفرضه علينا طبيعة الديوان فرضاً، فاشتمال الديوان على بعض فنون الشعر العامي – وإن كان الغلبة للشعر الفصيح- يجبرنا على الوقوف للحديث عن هذا الازدواج اللغوي، وهي وقفة إن لم نعطها حيّزاً كبيراً من بحثنا إلا أنها من الأهمية بمكان، لتأتي منبية عن اللغة التي ينظم بها الشعر في ذلك الزمان والمكان، وكذلك وصم عصر الشاعر بالضعف والانحطاط والتدهور وتحميل اللغة جانباً كبيراً من المسؤولية عن هذا الضعف.

لن نتوقف كثيراً عند الحديث عن الشعر العامي لأسباب عدّة منها أن هذه

---

(١) انظر: قراءة القصيدة العربية في ضوء النقد الحديث للأستاذ فورار محمد ص ٢٣٧ .صحيفة دار العلوم للغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية العدد (٢٩) ذو الحجة ١٤٢٨هـ .

الأطروحة العلمية تبحث في الشعر الفصيح الذي مادته اللغة العربية الفصحى ذات المستويات المتعددة المختلفة أيضًا ، وسنحاول في هذا المبحث أن نلقي الضوء على هذه الفصحى من حيث الغرابة والقرب والجزالة والابتذال، ومن حيث استخدام الشاعر لحقه في الضرورة الشعرية، وتوسعه في هذا الحق من عدمه.

وسنتحدث في هذا المبحث عن التأثر باللغات الأخرى وخاصةً التركية لغة الدولة في ذلك الحين. ثم نختم المبحث بالحديث عن الناحية الفنية المرتبطة باللغة أو الناتجة عنها والظواهر الأسلوبية اللغوية التي غالباً ما ترتبط بلغة الشعر والإبداع .

١ - المعجم الشعري:

لغة شاعرنا في مجملها لغة رصينة قوية، وقد وصفه عبد القدوس الأنصاري بأنه جزل الألفاظ[1] وجزالة لغة شاعرنا متأتّية إليه من اقتناعه بأن تحسين نظم الكلام يحتاج إلى المعرفة بأمور الاصطلاحات وجوهر الألفاظ، وقد أشار إلى ذلك في قوله :

إذا شئت إعراب نظم وتحسينه عند مستحسنه

تدبّر أمور اصطلاحاته وخذ جوهر اللفظ من

ولتأكيد تمكّنه في اللغة نجده أحياناً يغرب فيأتينا بألفاظ تعد من غريب اللغة، من ذلك كلمة (رأد) وتعني: رونق الضحى، وما بعد انبساط الشمس وارتفاع النهار. نجد الشاعر يستخدمها ولكن يظهر أنها لم تكن متمكنة عنده بمعناها الدقيق حيث يضيفها إلى المساء، ولعله فهمها بمعنى: وقت، إذ نجدها ترد في موضعين بمعنى الوقت. يقول:

كنت واليت نواحي أبدا موصلاً (رأد) مسائي

ويقول :

---

(١) تاريخ مدينة جدّة ص٩٤ .

(٢) الديوان ص ٤٤١.

(٣) الديوان ص ٦٩ .

أتـــــــرى آن رضـــــــاها وانقضى (رأد) جفاهـــا[1]

كذلك نجده يستخدم كلمة (شدح) بمعنى السعة، وهي من الغريب النادر الاستعمال، وذلك في قوله :

لي شدحٌ في الهوى العـــذري لك في عذري يا عاذل شدح[2]

واستخدامه لكلمة (الزرجون) وهو : الخمر في قوله :

لفظه الـــسهل راق في العـــلّ ـــل مذاقاً فاق ابنة الزَّرْجُون

وكلمة (السجسج) وهو: الهواء المعتدل بين الحر والبرد، وذلك في قوله:

على أنك الحب الذي سجسج يعرّف لي عرفان طبعك ما

وكذلك (الزكن) وهو : الظن الذي عندك كاليقين، في قوله:

وأوهموا أن هجــر النــوم فما دروا بتعاطيه ولا زكنوا

وكلمة (حرجف) وهي :الريح الباردة، في قوله:

لها حرجف النكباء في ساحة وما نسبت فيـــه جنوبـــاً

وكذلك كلمة (لاجب) بمعنى : الصوت والصياح والجلبة، في قوله:

في لاجب من لوعتي ما لـــه إلا انطلاقي مسلك قاصد[7]

وكذلك (العَنَق) و (النَّص) وهو نوع من السير، في قوله :

فعسى تجذبه مـــن حـــيّكم جذْبةٌ يكمُل فيها ما نقـــص

---

(١)الديوان ص ٩٢ .

(٢) الديوان ص٧٠ . و الأشدح : الواسع من كل شيء. تاج العروس (شدح)

(٣)الديوان ص٢٢١ .

(٤)الديوان ص٢٥٠ .

(٥)الديوان ص ٣٣٥ .

(٦)الديوان ص ٢٠٥

(٧)الديوان ص٧٢ .

جذبةٌ تغنيه في القــصد إلى سوحكم عن عَنَــق منــه

وكذلك كلمتا (قاموس) و (لهذم) في قوله:

رأى جحفلاً تحت العجــاج يمــوج بقـــاموس الظبــا

فالقاموس: البحر، واللهذم: كل شيء من سنان أو سيف قاطع.

وكذلك وصف الخطوب بالشطائب ، في قوله:

وإن ترلم تنظر ســروراً ولا ولــــيس بــــــها إلا الخطـــــوب

وكذلك (مثمعدّ) وهو من الوجوه الظاهر البِشْر، الحسن الــسحنة . وذلــك في قوله:

أشـــــرقْتَ في أرجائهــــا بجمال وَجْــه مُثمعــدّ (٤)

ولفظة (اليلنجج) بمعنى: عود الطيب الذي يتبخر به في قوله :

سلام كما فاح العبير معطراً يَلَنْجَجُهُ الأرجــاء بــالأرج

ولفظة (القرضاب) ، بمعنى : السيف القاطع الذي يقطع العظام ، في قوله :

ويرنو بطرف أكحل اللحظ وقرضابه أصــمى فــؤادي

ومن ذلك الغريب (المَلَوَان) وهما: الليل والنهار، في قوله متحدثاً عن الدنيا :

تعاقبت في ســرى وســير فــسائر مقتــف لــسار

تعاقـــــب المــــوين دورا ماض بذي الدار للدمار(٧)

---

(١)الديوان ص٧٩ .

(٢)الديوان ص ١٢١ .

(٣)الديوان ص ١٠٢ .والشطائب: الشدائد. القاموس المحيط (شطب).

(٤)الديوان ص ١٦٠ .

(٥)الديوان ص ١٦٨ .

(٦)الديوان ص٣٢٩ .

(٧)الديوان ص٣٠ .

وكذلك قوله متحدثاً عن مصير الناس :

مرّوا فناءً ومرّ الـــملوان من الــصوالج في الــدهماء

لم يجْدِهم كل ما حازوا وما دفعاً لرد قضاء الله والقدر

وكذلك كلمة (الملاب) وهو ضرب من الطيب في قوله :

أيـــن الملـــوك وأصـــحاب قد أترفوا في مـــلاب التيــه

وكلمة (مهيع) والمهيع :هو الطريق الواضح الواسع البيّن، وذلك في قوله:

حميد مبادي السعي في مهيع وقد حمدت عند انتهاء عواقبه

وقوله:

علم الهداية منبـــع الــــ ـــعرفان مهْيع كلّ رشد(٤)

وكلمة (آل) بمعنى: سراب ، في قوله:

وقد تتراءى زلةٌ غـــير زلّــة كآل غدا الظمآن يحـــسبه

وشاعرنا له معرفة دقيقة بمعاني الألفاظ. ويبرهن ذلك تعامله مع كلمة (عميد)، وهـــي تعني سيد القوم وهو المعنى الشائع ،وتعني كذلك المريض والشديد الحزن، وقد عنى بـــها المريض في قوله:

أتراه يسمح باللقـــا لعميـــده عطفاً ويرضى عن أقلّ عبيده(٦)

وقوله:

---

(١)الديوان ص٤٩ .

(٢)الديوان ص٤٨ .و اللكوك : جمع لكّ ، وهو في العدد مائة ألف عند أهل إيران والهند واليمن، وعند المولدين عشرة ملايين، ويذكر الجبرتي بأن (اللك) الواحد مائة ألف فرانسي.المعجم الوسيط (لكّه)

(٣)الديوان ص ٢٣٩ .

(٤)الديوان ص ١٦٠ .

(٥)الديوان ص ٢٥٠ .

(٦)الديوان ص٧٧ .

عميد شوق وثوقٌ في محبتكم   لا انحلّ عقد الـــولا منّـــى ولا

هذه بعض الألفاظ التي رصدناها في ديوان شاعرنا، وهي لا تمثل كل الغريـــب، وقد أوردناها لإثبات ما لشاعرنا من معرفة بغريب اللغة، تلك المعرفة التي لا إخالها تتأتى إلا باطلاع واسع واستيعاب محمود للغة في مظانـــها. ولكن ظاهرة الغريـــب تظهـــر أن الشاعر تقليدي في لغته، فنظرته للغة تكشف عن وعيه الفني، ونظرته إلى اللغة على أنـــها وسيلة لنقل الفكرة، وليس لصناعة الرؤية المتجاوزة.

والمعروف أن اللغة جزء من الرؤية الفنية؛ لذلك أول ما يظهر التجديد عند الشاعر في لغته.

وهذه الغرابة ملمح من ملامح سيطرة التراث على الشاعر، ووقوعه تحت سطوته، فهل نجح في إيجاد علاقات جديدة بين الكلمات، وشحن الكلمات بمدلولات جديدة فرضـــها العصر وثقافته وتجربة الشاعر.

ولا يكفي الشاعر أن يتسلح بلغة تراثية ذات دلالات معجمية يكون كل جهـــده في نقله لها من بطون المعاجم وإيداعها في سياقات شعره، بل ينتظر منـــه أن يكـــسو هـــذه الكلمات دلالات جديدة تنبجس من خلالها مشاعره وانفعالاته.

عندما نحاول أن نلتمس في شعر محمد قابل ألفاظا يتجاوز بـــها المعنى المعجمي لتشع بدلالات وتلقي بايحاءات جديدة، نجد كلمة (الصبا) تلك الرياح الآتية من الشرق، التي اتخذت خصوصية بين أنواع الرياح الأخرى للطافتها وزمنـــها، إذ تكـــون في الـــصباح الباكر، وقد وردت في ديوان شاعرنا ستين مرة، وتجاوز بـــها الشاعر تلك الدلالة الضيقة لتصبح مرتبطة بأشواقه وخلجات حنينه، ورمزا للحبيب وكل ما يصدر عنه.

ويصل شحن هذه اللفظة مداه عندما تقترن بلفظ آخر وتضاف إليه، ألا وهو كلمـــة (نجد)، ذلك اللفظ الذي أصبح يمثل رمزاً للمكان يتجاوز كونه اسماً لمنطقة معروفة،فقـــد

(١)الديوان ص٨٥ .

تكرر في ديوان الشاعر سبعا وثلاثين مرة، ولاغرو لأن لفظ نجد تبلور منذ عصر مبكـــر ليصبح ذا دلالة خاصة في الأدب العربي عامة، وهي الغاية والوسيلة لكل حنين،متجـــاوزا بذلك دلالته الإقليمية الضيقة(١)،

وشاعرنا ليس بدعا في ذلك، فالشاعر العربي درج على اللهج بأسماء أماكن معينة ، إذ نجد في أثناء الشعر العربي عبر تاريخه وفي أصقاع شتى من المعمورة يذكر (نجد)، ويربطها بريح الصبا في كثير من الأحيان؛لتتعرف فتولد بعد ذلك كمًّا من المعاني.

نجده في قصيدة يجيب بـــها على إبراهيم الأمير يذكر صبا نجد ويتجاوز بذلك المعـــنى المباشر ليصبح صفة ينعت بـــها قصيدة إبراهيم الأمير المرسلة إليه،التي استوجبت نظمـــه لهذه القصيدة، فأصبحت صبا نجد غير تلك الصبا اللطيفة المعهودة التي تـــهب صباحا، بل لقد أصبحت رياحا تسري ليلا تفوح عبيرا وتتلبّد على إثرها السماء بالغيوم التي يغـــدق مطرها. يقول:

صبا نجد سرت والليل مدجى　　ففاح عبيرهـــا في كـــل فـــجّ

وهبّ لها ريـــاحٌ مرســـلاتٌ　　تثرّ سحائب النعمـــى وتزجـــى

فأمسى الأفق منها في بـــرود　　وفي خُلع مـــن الأنـــواء ســـبج

مطرّزة الحواشي وهى دكـــنٌ　　بورق البرق وشيا فوق نـــسج

تجود بغيدق الرحمى وتـــهمى　　غمائمها بـــــماء منـــه ثـــجّ(٢)

وفي قصيدة أخرى يوجهها الشاعر إلى ابني إبراهيم الأمير واصفا قـــصيدة أرســـلها والدهما المذكور إليهما،ينطلق الشاعر من ربا نجد ليحشد بعد ذلك بكل ما أوتي من قـــوة الذاكرة الأماكن التي درج الشعراء على اللهج بـــها مثل(قبا – الـــرقمتين – عـــالج – المصلى – ثهمد) وهي أماكن مختلفة متفرقة في الجزيرة العربية.

بعد كل هذا الحشد ووصف هذه القصيدة السارية يدرج الشاعر صبا نجد في سياق

---

(١) انظر (صبا نجد، شعرية الحنين في النسيب العربي الكلاسيكي) للبروفيسور ياروسلاف ستيتكيفيتس ص٢٤٦ وما بعدها .

(٢)الديوان ص١٤٤ .

جديد؛ليعطي معنى غير المعنى الذي أعطاه في القصيدة السابقة الذي جعل به قصيدة الأمير صبا نجد، فالشاعر يجعل صبا نجد هنا ضميرا لسر هذه القصيدة،وكأن الشاعر يريد بذلك أن يكسب اللفظة معنى مراوغا يستعصي علينا إدراكه. يقول:

سرت نفحات الهدي مـــن علـــم — إلى نيّري أفـــق الـــسيادة والــــمجد
سرت من ربا نجد ففاح شميمهـــا — بأطيب مما فـــاح مـــن نفحـــة النـــد
سرت من قبا والـــرقمتين وعـــالج — وبان الـــمصلّى منبت الشيح والرند[1]
سرت من عوالي ثهمد وهضابـــها — ووادي العقيق الآهل الرحب للوفد[2]
سرت والحيا يثني على تلعاتـــــها — ملثّــــا يحييهـــــا بأثنيـــــة العهـــــد
سرت والغمام الجون يرفَضُّ هَمْعُهُ — على وجنات الروض دمعاً على خـــد
سرت ووميض البرق يفترّ ثغـــره — إلى الزهر إعجابـــاً لقهقهـــة الرعـــد
سرت والصَّبا النجـــدي ضـــميرٌ — فيا حبذا ما في ضمير الصَّبا النجـــدي
سرت وهي تجتاز الــــمنازل في — وتصدر عن أهنى الــمناهل في الورد
سرت ولقلبي طيّ منشور عرفهـــا — هدية هـــاد بـــل هدايـــة مـــستهدي
إلى أن ألـــمّت وهي تنفح فوغـــةً — تُضَمِّخ طيباً من شذاها الحمى الجَدِّي[3]

وتتعدد السياقات التي يضمنها الشاعر (صبا نجد)، فالشاعر يذكر الصبا في أول القصيدة ثم يسترسل في حشد كثير من أسماء الأماكن، ليعود بعد ذلك إلى ربط الصبا بنجد فيصرح عن إدراك أن هذا التركيب يفجر عددا من المعاني، فيقول:

محبٌّ في الغرام لـــه شـــجون — إليهـــا لا يـــزال لـــه حـــنين

---

(١) – قبا : موضع معروف بالمدينة. -الرقمتين : موضع قرب المدينة . معجم البلدان ٥٨/٣ . عالج : رمل عالج رمل يحيط بأكثر أرض العرب ،فهو يصل الدهناء وينقطع طرفه من دون الحجاز . معجم ما استجم ٩١٤/٣ - المصلى : موضع في عقيق المدينة. معجم البلدان ٢٤٤/٥

(٢) – ثهمد : جبل أحمر حوله أبارق كثيرة في ديار غنى ، وقيل في ديار بني عامر. معجم البلدان ٨٩/٢ التعليقات والنوادر للهجري ١٣٦٣/٣

(٣) – فوغة الطيب : أول ما يفوح منه. لسان العرب (فوغ). – الديوان ص ١٥٥

بقلب فوق نار الوجد أضحى ... تقلّبـــــه الكآبـــــة والغبـــــون

تـــميل به الصبابة للتـــصابي ... كما مالت بفوح صبا غـــصون

وتجذبه يد الأشـــواق حـــتى ... يحرّك مـــن محبّتـــه الـــسكون

ويُكسبه الهوى هونا،وقلـــبٌ ... يغالبه الهـــوى عقبـــاه هـــون

ويُبكيه الغرام دمـــا فيـــسقى ... محاجر خـــدِّه الـــدمع الهتـــون

وهل يشفي الغليـــل لـــــمن ... صبابته بـــأن تبكـــى العيـــون

وهل يجدي المحب إذا تـــشكّى ... سوى أن يبدوَ السر الـــمصون

وها أنا ذاك لم يبرح فـــؤادي ... بأيدي الحب وهو لهـــا رهـــين

فوا أسفى على قلبي وحـــزني ... ولم يستـــشف بـــالألم الحـــزين

على أني أغادر حـــبّ ليلـــى ... يهيّج لي بـــه الوجـــد الكمـــين

يحنّ إلى الحمى قلـــبي غرامـــا ... لحيٍّ في حمـــى قلـــبي ســـكون

أحنّ إلـــيهمُ شـــوقاً وبـــيني ... وبـــين منـــاي للرّقبـــا عيـــون

مناي ومقـــصدي الـــشعب ... فأبطح فالـــمحصّب فـــالحجون

فلعلع فالنقـــا فـــشظا فغلـــقٌ ... فوعساء الأجـــارع فالحـــصون

مغان لم يزل غـــرس الأمـــاني ... بـــها دان ومنظرهـــا حَـــسين

وساحات كـــساها الله نـــورا ... تعاهد مهدها الـــروح الأمـــين

فما هب الصبا النجـــدي إلا ... نشقت بـــها الشفا وهو الضمين

ولي معْ روْحه من حيّ ليلـــى ... شذا العرفان والخـــبر الـــيقين

وكم لي في صبا نَجْد معـــان ... يراقب عندها الفتح الـــمبين(١)

ونمضي في قراءتنا محاولين الكشف عن مواضع تجاوز الشاعر فيها المعنى المعجمـــي التقليدي للألفاظ، لنجد ذلك في قصيدة يتحسر بـــها الشاعر على الزمن الجميل،ويشتكي من غمط الدهر له،ويتألم من الحال الذي وصلت إليه الدنيا حتى أصبحت جدباء ممحلـــة،

---

(١) _ الديوان ص٢١٧ .

فذهب منها الفضل والخصب. يأتي الشاعر بلفظ (حنانا) الذي يوحي بمعنى التلطف والشفقة، فيجعل الشاعر اللفظ يوحي بإيحاءات جديدة فيها نوع من اليأس والهجاء الخفي للدنيا، بينما يقتضي السياق أن يذم الدنيا- كما هي عادة الشعراء- أو يعاتبها على أقل تقدير، يقول:

حناناً على الدنيا لقد أمحلت بنا ... من الفضل بعد الخصب منها

وفي البيت الذي يليه نجد الشاعر يستخدم لفظا آخر، مع أنه قريب من معاناة المألوف إلا أن الشاعر يتجاوز به هذا المعنى ليشحنه برؤاه وانفعالاته، وهو لفظ(حزنا) ؛ ليظهر لنا حزنه على الأيام التي أقفرت بها معاهد ومرابع أرباب النهى، وصنيعه في هذا اللفظ قريب من صنيعه في لفظ(حنانا)، هناك كان الحنان على الدنيا ، وهنا الحزن على الأيام، وكأنه بذلك يعزي الأيام لهذا الصنيع، فهي أيام مقفرة تنتقل عدوى قفرها وفقرها إلى أرباب النهى. يقول:

وحزنا على الأيام قد اقفرت ... معاهد أرباب النهى والمرابع[1]

ومما نرصده في ديوان محمد قابل ، ليعد ظاهرة بارزة في معجمه الشعري تكراره لألفاظ يدعو تكرارها للتوقف، فهي لم تتكرر في قصيدة واحدة أو بشكل متقارب؛ بل نجدها متفرقة في أثناء الديوان.

من ذلك لفظة (مغناطيس) وتأتي (مغنطيس)، نجدها ترد في ديوان الشاعر ست مرات ، وذلك في قوله :

وإن تكُ مغناطيسَ كلّ مصيبة ... جزيل على ملقى مصائبها

وقوله:

كل معنى من معاني حسنها ... خلته أضحى لقلبي مغنطيسا[3]

---

(١)الديوان ص٥٦ .

(٢)الديوان ص٥١ .

(٣)الديوان ص٧٨ .

ومنه:

ثَمّ مغناطيس أنسى واجــتلا   عين حسى لسنا مرأى طلابي[1]

ومنه:

والحسن مغنطيس القلوب فما   أسرع في القلوب يجذبـــــها[2]

وقوله:

الحبّ من أخلاق أهل الكمال   والحـــــسن مغنـــاطيس

وقوله:

كيف يسلو القلـــب   وهو قوت القلـــب مغنـــاطيس

وكذلك كلمة (ذكا) بمعنى : الشمس ، نجدها ترد في الديوان إحدى عشرة مرة ، وذلك في قوله :

كيف والفضل شهيرٌ كـــذكا   في الضحى إنك نجل النجبـــا[5]

وقوله:

وافى لمنسوب المحبـــ   ـــة منك بشرى أم

أم عقد درّ أم دراري   أم زهـــور في ربـــا

أم بدر تـــمٍّ أم ذكا   أم وجـــه غيـــداء

وقوله:

خريدةٌ لـــو تبلجـــت لـــذُكا   لالتجأت للسحاب يَحْجبـــها[1]

---

(١)الديوان ص١٣٤ .

(٢) – الديوان ص١٤٢ .

(٣) – الديوان ص٣٤٥ .

(٤) – الديوان ص٣٦٢ .

(٥) – الديوان ص١٣٨ .

(٦) – الديوان ص١٣٨ .

وقوله:

وافى بيوم شـــرحت صـــدره ... ذُكاء بالإشراق أي انـــشراح[2]

وقوله:

وعذريَ في التقصير أوضح مـــن ... لدعواي في الفهـــم الهبـــوط إلى

وقوله:

ويعقب هذا الليل صبحٌ وتجتلى ... محيّا ذكا فيـــه بغـــير لثـــام[4]

وقوله:

حلاحلها جهباذها من سما إلى ... سماء العلا فخراً سموّ ذُكـــاء[5]

وقوله:

صقيل مرائى الفكر أما ذكاؤه ... ذُكاء بـــها يهدى إلى الرشـــد

وقوله:

يريك ابتسام البدر فوق جبينه ... وضوء ذُكـــا بـــين الترائـــب

وقوله:

يسامر فيه النجم عيني ومـــن ... يراقب ورْد العين من عـــسجد

وكلمة (اللأواء) في عشرة مواضع ، وهي :

---

(١) – الديوان ص١٤٢ .

(٢) – الديوان ص١٥٠ .

(٣) – الديوان ص٢٠٧ .

(٤) – الديوان ص٢١٤ .

(٥) – الديوان ص٢٣٣ .

(٦) – الديوان ص٢٣٩ .

(٧) – الديوان ص٤٠٤ .

(٨) – الديوان ص٤٢٢ .

يـــــا رب فاجـــــأني العنـــــا … وعلـــــيّ بـــــاللاوا وثـــــب[١]

وقوله:

تفاقمت البأسا علينا ورادفـــت … فوادحها تتـــرى وحلـــت بنـــا

وقوله:

فأضحى الحمى المكـــيّ منـــه … بعزم يضم السبل بالأمن والقطر

معاذا من اللاوا بجدواه آمنـــاً … بسطوته عن أن تحل به الضرا[٣]

وقوله:

إذا أنا لا أشكو عليك وأبتغي … إليك فمن أرجـــوه إن جلّـــت

وقوله:

وداموا لنا ذخراً وركن حماية … بـــهم ندفع الـــلاوا ونـــستمطر

وقوله:

سعيت بصدق القصد في نيـــل … وصاحبت حسن الظـــن في كـــشف

وقوله:

وكان يـــمير الوفد ميْر غنيّهم … إذا حلّت الـــلأواء أو شَـــمَل

وقوله:

ولم تصن ماء وجهي عن سؤال … عليـــاك في كـــشف لاوائـــي

---

(١) — الديوان ص١٦ .

(٢) — الديوان ص ٤١ .

(٣) — الديوان ص١٠٨ .

(٤) — الديوان ص١٢٣ .

(٥) — الديوان ص١٣١ .

(٦) — الديوان ص١٣٢ .

(٧) — الديوان ص٢٤٥ .

وقوله:

فيا خير من دانت له فاسترقّها	**رقاب العلا والمـستجار مـن**

ومما تكرر في مواضع مختلفة من ديوان شاعرنا (خبايا الزوايا) فقد وردت تـسع مرات، وذلك في قوله :

وخبايا في زوايا الحـب لـو	**تبدّت لـجماد لارتقـص**[٣]

وقوله:

وأوليتموني من خبايا اتحادكم	**صنائع برٍّ قلَّ عـن وزنـها**

وقوله:

وكم لي بساحات الحمى مـن	**خبايا غرام في زوايـا الهـوى**

وقوله:

وماله من خبايا سعد أخبيـة	**مكنوزة في زوايا الـسعد مـن**

وقوله:

كم خبايا مَخْبوءةٌ في الزوايـا	**وَلَهَا من بحـسنها يتملّـى**[٧]

وقوله:

وكم بزواياها خبايـا مـسرّة	**فلله ما أغلى خبايا زواياهـا**[٨]

---

[١] ــ الديوان ص٣٩٢ .

[٢] ــ الديوان ص٤٤٣ .

[٣] ــ الديوان ص ٧٩ .

[٤] ــ الديوان ص ٩٤ .

[٥] ــ الديوان ص ٩٦ .

[٦] ــ الديوان ص ١٨٨ .

[٧] ــ الديوان ص ٢٠٣ .

[٨] ــ الديوان ص ٢٢٢ .

وقوله:

وأعجـــب أنْ أرى لـــك في خبايا معْ سواي وأنت حـــبي[1]

وقوله:

أنا أرجّى والْمُهـــيمن يَجـــود وكـــم خبايـــا في الزوايـــا[2]

وكما لاحظنا فقد فصل الشاعر بين اللفظتين في بعض المواضع، ونلاحظ كذلك أن الشاعر عندما يكرر اللفظين يوظف المعنى مراعياً السياق الذي يوردها فيه أكثر مـــن اهتمامه باللفظة ذاتها فالعبارة عند الشاعر لها إيحاء خاص.

ومن الألفاظ المكررة كذلك كلمة (جمال) إذ نجدها تتكرر في ديـــوان شـــاعرنا ١٨١مرة،وكلمة جميل ٧٠ مرة، وكلمات الشجو والشجوى والـــشجون تكـــررت ٦٧ مرة، وكلمة (الجوهر) ١٧مرة، ، وكذلك الجمل(سرت، ســـرى ، خطـــرت) ولفظـــة (السرى).

ومما تكرر عند الشاعر في ديوانه بعض أسماء الأعلام المشهورة ، التي يضرب بـــها المثل واتخذت صفة الرمز ، من أكثر ما ردده (سحبان وائل) الذي يضرب بـــه المثـــل في الفصاحة، فهو يكرره في ديوانه أربع مرات، وذلك في قوله واصفاً قصيدة :

سَحَبَت على سحبان فضل فخرا فلم يذعن له بفخار[3]

وقوله في مثله :

سَحَبَت على سحبان ذيْـــــ ـــل الإفتخار ولا مفـــاخر

وقوله :

أبرّ على قس الإيادي بلاغة وجرّ على سحبان فـــضل

[1] — الديوان ص٢٤٧ .

[2] — الديوان ص٣٦٤ .

[3] — الديوان ص١٦٦ .

[4] — الديوان ص١٧٠ .

وقوله :

لله درك يا من بالفصاحة قد … أثنى بسحبان في نظم وفي

ونلاحظ أن المعنى الذي استخدم فيه الشاعر (سحبان) كرمز هو نفس المعنى في الأبيات الثلاثة الأولى حيث سحْب الرداء وجرّه .

ومن مظاهر التكرار المرتبطة بالمعنى أكثر من ارتباطها باللفظ تكرار الشاعر للدعاء بالسقيا في كثير من قصائده، إذ نجده يدعو بالسقيا في أكثر من خمسة عشر موضعا .

وذلك في قوله:

وطلبنا السقيا سحابة صيف … خلَّب برقُها بغير عهاد[3]

وقوله:

مازلت أنشد كل خافضة … بحمى الأراك قريبة العهد
من ساكني ذاك الحمى سُقيت … منه المعاهد صيّب العهد[4]

وقوله:

سقى الربع هطال الغمام بودقه … مليًّا يعمّ الربع مدرار غدقه
وقهقه بالبشرى له صوت … وهشّ له بالومض مبسم برقه
وحيّ حماه من شذى مرسلاته … تحيات نشر طاب نافح عبقه[5]

وقوله:

سقى الربع بالمثناة والمنزل الرحبا … وحيّا النوادي والمعاهد والشعبا
يعم الضواحي والمنابت والهضبا[1]

---

[1] – الديوان ص٢٣٣ .
[2] –الديوان ص ٤٣٩ .
[3] – الديوان ص ٢٠
[4] – الديوان ص ٧٦
[5] – الديوان ص ٧٩

وقوله:

سقا جدة الفيحاء صوب غمام ... بأنواء مــزن بــالغيوث هــوام
سقاها الحيا غيثاً هنيئاً مجلّــلا ... وأطفأ منــها حــرّ كــل أوام
سقى الله أهليها مواطر بــرّه ... بــها وسقا الأوغاد كأس حمام
سقاها وحيّاها وساق بــلاءه ... لــمن في حماها من حثالة حام[2]

وقوله:

يا حمام الحمى سقى ربعــك ... ــمى مفيض الرحمــى بغيــث

وقوله:

سقاها الحيــا ســاحات ليلــى ... وأهدت إليها المرسلات تحاياهــا
سقاها ملثّ الجود غيثاً مجلــلا ... يروّي روابيها العلا ووطاياهــا
سقاها بميمون الغمــام مبــارك ... هنيء هموع بالرضــا يتغــشّاها
سقاها بمسدول المطارف نــاثرٌ ... على الجوّ من دكــن الــستائر
سقاها بمزن طرّز البرق بالــسنا ... حواشيَها الديباج لُمْعًا ووشّاها[4]

وقوله:

سقى قبره الرحمن ديمة رحمــة ... تعاهده في بكــرة وعــشاء[5]

وقوله:

سقى ثراه من الرضوان غاديــةٌ ... وَطْفَاء يزري حياهــا القطــر

---

[1] — الديوان ص ١٣٠
[2] — الديوان ص ٢١١
[3] — الديوان ص ٢١٨
[4] — الديوان ص ٢٢١
[5] — الديوان ص ٢٣٤
[6] — الديوان ص ٢٣٦

وقوله:

سقى قبره الرحمن ديمة رحمـــة يروّيه بالغيث الملثّ سحابـــها[1]

وقوله:

سقى قبره غيث الرضا كـــل تروح وتغدو حوله وتواظبـــه[2]

وقوله:

سقى قبره الرحمن سقيا كرامة يعمّ ثراه بالقطـــار هموعهـــا[3]

وقوله:

سقى قبره الغيث الملثّ بديمـــة بـــها وابـــل الغفـــران يهمـــى

وقوله:

غرس الحب في رياض الفؤاد لك غرساً نما بـــصدق الـــوداد
وسقاها سحاب قربـــك مـــن ـــب رحماك رائحاً إثر غادي[5]

وقوله:

سقاك ما شاء أن يسقى ومـــا نوء الغمائم بل حيي وحييـــت
يـــا دار لهـــوي ومـــصطافي وحلبتي ومجاري سبّق الصيت[6]

والمتصفح لديوان شاعرنا لا يفوته ظاهرة التكرار بشتى صورها، إضافة إلى ما كـــرره سابقا من كلمات بعينها، والتكرار ظاهرة أسلوبية لها مالها من التأثير في شعر الشاعر ليس

---

[1] — الديوان ص ٢٣٨
[2] —الديوان ص ٢٤٠
[3] — الديوان ص ٢٤١
[4] — الديوان ص٢٤٥
[5] — الديوان ص ٢٥٢
[6] — الديوان ص ٤٠٠

هنا المجال لبسط القول الكثير عنها، ولعل ظاهرة التكرار في ديوان شاعرنا من الظـــواهر الفنية القمينة بالوقوف عندها لنرصد شتى صورها، بدءاً من تكـــرار الحـــروف مـــروراً بالألفاظ انتهاءً بتكرار العبارات والمعاني.

"فقد يتكرر حرف بعينه أو حرفان أو ثلاثة حروف بنسب متفاوتـــة في جملـــة شعرية، وقد يتعدد أثر هذا الأمر، فهو إما أن يكون لإدخال تنوع صوتي يخرج القول عن نمطية الوزن المألوف ليحدث فيه إيقاعاً خاصاً يؤكد التكرار، وإما أن يكون لشد الانتباه إلى كلمة أو كلمات بعينها عن طريق تآلف الأصوات بينها ، وإما أن يكون لتأكيد أمـــر اقتضاه القصد فتساوقت الحروف المكررة في نطقها مع الدلالة في التعبير عنه". [١]

فمن تكرار الحروف نجد شاعرنا يكرر حرف السين في ثلاثة أبيات متتالية ، ولا يخفى ما لحرف السين من الجرْس وخاصةً عندما يُخفض، يقول :

كيف أنسى أنسي وكعبـــة ... ودوائي غرسي وعين يقـــيني

كيف أنسى أمسي وكـــان ... بسط نفسي به وقبض شؤوني

كيف أنسى جسي لأوتـــار ... وتغني حسي بشعر جنـــوني

فحرف السين يتكرر اثنتي عشرة مرة، ويلاحظ ثمة تكرار آخر ســـنتحدث عنـــه لاحقاً، وهو عبارة (كيف أنسى)، والقصيدة حافلة بالتكرار بشتى صوره، ويبدو أن فكرة التكرار لم تأت عفو الخاطر عند شاعرنا، فهي آتية عن سبق إصرار وتعمّـــد، وظـــاهرة التكرار من أبرز سمات الشعر في هذا العصر، فقد أصبحت اللغة هدفا في حد ذاته يظهـــر الشاعر فيها براعته. يطالعنا بعد أبياته السابقة ببيت يتكرر فيه حرف الدال، يقول :

كم تدانيت دونـــها فتدليت ... رقيّـــاً فجـــاوزت بي دوني

وحرف الهاء في بيتين آخرين :

آه لو همتمُ هيـــامي بليلـــى ... لاهتديتم إلى ضلالي المـــبين

فبليلاي أهتـــدي لـــضلالي ... في هواها ونورهـــا يهـــديني

---

[١] منذر عياشي ، مقالات في الأسلوبية ص٨٢ .

ثم نجده يعود إلى تكرار حرف السين :

وهو سر العلوم والسر جار　　　في مسمّاه باسمه عـــن يقـــين

وكذلك :

إن أبياتك الحسان بإحـــسا　　　نك عزت بالحـــسن عـــن

وهناك قصيدة أخرى تسيطر فكرة التكرار فيها على شاعرنا سيّما حرف الـــدال الذي هو رويّ القصيدة ، إذ نجده منذ المطلع يطالعنا بتكراره، يقول:

أمدّنا الله الغفـــور الـــودود　　　إمداده بالفضل مـــن كـــل

ونجد التكرار يتكرر كذلك في عدّة مواضع أخرى من القصيدة :

محمد المحمود خير الـــورى　　　السيد الـــمسعود زاكـــي

وكذلك :

ومدّ حسن الظن أيدي الرجا　　　منا إليه بالدعا في صعود[٢]

ومن أظهر أمثلة التكرار في ديوان الشاعر،قصيدة دالية تتبدى لنا من أول وهلـــة فيها صور مختلفة من التكرار ، فهي زاخرة بتكرار حرف الدال كسابقتها ، الذي يطالعنا منذ المطلع الذي يقول فيه :

صاح داعي الفلاح في كـــل　　　معلناً في دعائـــه بالرشـــاد

وقوله مكرراً حرف الصاد :

وأصاب الصدى دعـــاه ولم　　　مجيباً إلا صدى كل صـــاد

ومن مظاهر التكرار في القصيدة تكرار أداة النفي (لا) ست مرات في مطالع ثلاثة أبيات متوالية يتحدث فيها عن عدم ارعواء الناس واتعاظهم، يقول:

لا ولا ردع للتقلب للدهر　　　وعدّ الـــشهور والأعيـــاد

---

[١]الديوان ص ٢٢١

[٢]الديوان ص٢٢ .

لا ولا خشية مــن الله ممــا أوعد الظالمين مــن إيعــاد

لا ولا رغبــة إلى الله فيمــا وعد المــتقين مــن ميعــاد

ثم يعود إلى هذا التكرار في قوله :

يوم لا يفتدي الوليد أبــاه لا ولا الوالد الشفوق بفاد

ومن مظاهر التكرار تكرار حرفين ، ومثاله تكرار حرفي الفاء والقاف، والحرفــان بينهما من الوشائج الكثير، فتواليهما في الترتيب الهجائي وتشابههما في الرسم الإملائي ، وتقابل مخرجيهما يجعل لتكرارهما بشكل متأرجح جرس موسيقي مميّز، يقول :

ثم يعود إلى هذا التكرار في قوله :

يــا رفيــق الرفــق أوفــق بك فوافــقْ يــا حمــيم [٢]

وإذا كان تكرار الحرف أو أكثر لا يعود بفائدة كبيرة على المعنى وإنما هو أقــرب إلى الحلية الموسيقية منه إلى الفائدة اللغوية ، فقد يكون التكرار للتحسين البديعي، فتعمــد الجناس يجعل الشاعر يحشد ألفاظاً متجانسة، وقد يجعل الشاعر التكرار وسيلة ليتمكن من إعادة صياغة بعض الصور ليكتشف الدلالة الإيحائية للنص . [٣]

والتكرار ليس مزيّة في حد ذاته بل هو في الشعر مثله في لغة الكلام، فبإمكانه أن يغني المعنى ويرفعه إلى مرتبة الإبداع إذا استطاع الشاعر أن يستخدمه عن وعي ويكــبح جماحه، وإلا تحوّل هذا التكرار إلى ما يشبه العبث وأحال إلى زيادة لفظية مبتذلة .

ومنذ الأبيات الأولى في ديوان شاعرنا نجد التكرار ماثلاً ، ففي القصيدة البائيــة الأولى التي يتوجه فيها الشاعر إلى ربّه شاكياً سوء حاله ملتجئاً إليه طالباً عونــه، نجــد الشاعر يكرر منادياً ربه إحدى عشرة مرةً في أربعة أبيات متوالية منذ المطلع ، يقول :

يــــارب حــــل بيَ التعــــب وسطت علــيّ يــد النــصب

---

[١] الديوان ص ٢١

[٢] _ الديوان ص ٨٧

[٣] _ انظر منذر عياشي ، مقالات في الأسلوبية ص٨٣ .

يـــــا رب فاجـــأني العنـــا	وعلـــــيّ بـــــاللاوا وثــــب
يــا رب قـــد ضـــاق الخنــا	ق وقد أحاطــت بي النّــوَب
يـــــا رب قـــــلّ الإحتيــــا	ل وقد نبا صــبري ونَـــبّ[١]

ويعود للنداء كذلك في البيتين السابع والثامن؛ ليبرر بعد ذلك سبب هذا الإلحـــاح؛ وليؤكد أن التجاءه إلى ربه هو بسبب إحساسه العميق بانعدام المعين سواه جل شأنه.

فيكرر القول (مالي) ست مرات، و (سواك) سبع مرات، وكلمة (حاشا) مرتين.

ونجد الشاعر في مقطوعة تتكون من ثمانية أبيات يكرر لفظ الجلالـــة (الله) ثلاثـــاً وعشرين مرّة، ومع قداسة اللفظ المكرر، إلا أن الشاعر أفرط في ذلك، وقد أدى به إفراطه في التكرار إلى انعدام الفائدة والجمالية، وهذا مطلع الأبيات:

كن مع الله في شـــؤونك باللــــــ	ـــه وارداً صـــادراً مـــن الله
واعتمد في كـــل الأمـــور عليـــه	إنـــه لا اعتمـــاد إلا علـــى الله
لذْ بـــه واســـتعن بـــه وارتجيـــه	من سوى الله ترتجي من ســـوى
خف من الله راجياً واعبـــد اللـــــ	ـــه منيباً إليه تلـــق رضـــى الله
اتـــــق الله مخلـــــصاً تجـــــد الله	اشــــهد الله تعـــرف الله بـــالله
احفـــظ الله أنـــت يحفظـــك الله	ما يرى البأس قط من حفظ الله
خالق الخلق مالك الملك رب العـــا	لمين الـــبر الـــرؤوف هـــو الله
ربنــــا الله وحـــــده حــــسبنا الله	وهو الله لا إلـــه ســـوى الله[٢]

وفي قصيدة طويلة يتأمل الشاعر حال الدهر ويعظ فيهـــا ويحـــذر مـــن الغفلـــة والاغترار، نجده يكرر كلمة (كم) أربع عشرة مرة في ستة أبيات متتاليـــة، ثم يكـــرر في الأبيات الثمانية التي تليها كلمة (أين) تسع مرات، وكأنه بـــهذا التكرار يريـــد التنبيـــه

---

[١]- الديوان ص ١٦ . ومعنى (نب) أي: تعاظم . لسان العرب (نبب)

[٢]ـ الديوان ص ٣٨

ليعمق تأثير الموعظة، وهي دعوة إلى التدبر وأخذ العبرة من حوادث الدهر، يقول بعد أن ذكر كرّ الليل والنهار :

حسبي وحسبك علماً باختلافهما	**هما لها مَثَلُ المقـــراض في العمـــر**
كم أسلفا قبلنا خلقاً ونحن لـــما	**قد أسلفا تَبَعٌ نقفو علـــى الأثـــر**
كم قرّبا أجلا كم قـــصّرا أمـــلا	**كم فرّقا بين سمع الحيّ والبـــصر**
كم خرّبا غرفاً كم عمّرا جُرُفًـــا	**كم أودعا درر الأكناف في الحفر**
كم شتّتا جمع شمل كان ملتئمـــاً	**كم ألحقـــا كـــلّ أمّـــار بمـــؤتمر**
كم أبعدا راغباً عن نيل رغبتـــه	**كم أعجلا وادعاً بـــالموت عـــن**
هما الجديدان كم قد أخلقا جدداً	**كم أفنيا أمماً في سالف العـــصر**
أين الملوك وأصـــحاب اللكـــوك	**قـــد أترفـــوا في مـــلاب التيـــه**
وأين من ملك الـــدنيا بأجمعهـــا	**واستملك الناس من باد ومحتضر**
وأين من جمع الأجناد واحتـــشد	**أحفاد معتضدٌ في الملك بـــالوزر**
وأين من نكّل الأضداد وارتـــبط	**آساد حَذْرًا مـــن الـــــمكروه**
وأين من قهر الأعـــدا بـــسطوته	**قهرا بصولة عزم منـــه مقتـــدر**
وأين من أرهب الـــدنيا بدولتـــه	**صيتاً وأرعبـــها بـــالمنظر البـــهر**
وأين من شـــاد للعليـــا بعزمتـــه	**مباني العز بين البيض والـــسمر**
وأين من بسط الجدوى لـــسائله	**وأين من جاد بالآلاف والبدَر[٢]**

ويبدو أن ظاهرة التكرار في شعر قابل لها ارتباط وثيق بالقصائد التأملية والوعظية،

---

[١] _ الملاب : ضرب من الطيب. لسان العرب (لوب)

_ اللكوك : جمع لكّ ،وهو في العدد مائة ألف عند أهل إيران والهند واليمن، وعند المولدين عشرة ملايين، ويذكر الجبرتي بأن (اللك) الواحد مائة ألف فرانسي.المعجم الوسيط (لكّه)

[٢] _ الديوان ص ٩ ، البدر: جمع بدرة ، والبدرة كيس فيه ألف أو عشرة آلاف. لسان العرب (بدر).

وكأنه يتخذ التكرار وسيلة للجذب والتنبيه وتكريس الموعظة، ففي قصيدة يعـظ فيهـا نفسه،نجده يسلي نفسه ويصرفها عن الدنيا محاولاً إقناعها بأن الدنيا دار عناء ومتاعـب، حيث يكرر كلمة (دار) خمس عشرة مرة ، فيقول :

ما هذه الدنيا سوى دار العنا	**دار المتاعب بالمصائب والإحن**
دار الفناء فلا يدوم نعيمهـا	**دار البلاء فلا تزال بـهـا الفتن**
دار الغرور وإن زهـا لـك	**دار الشرور بـها الشرور على**
دار التفاخر والتكاثر بـالثرى	**دار التزين والتحسن بالـدرن**
دار التعاظم والتظاهر بـالمرا	**دار التقدم بالحماقـة والأفـن**
دار التجمل والتباهي بـالفرا	**دار التصنع والصنائع بالـمنن**
دار التطاول والتعالي بالـذُّرا	**دار الترفـع والتمتـع بـالقنن**
دار التباغض والتحاسـد في	**لفوات ما قـد هـان فيهـا أو**

ونلاحظ أن هذا التكرار لا يأتي بفائدة؛ لأن المعنى واحد.

ويعود الشاعر إلى تكرار كلمة (كم) في قصيدة يتشوق فيها إلى ديـار الأحبـة ويدعو لها بالسقيا، فيكررها خمس مرات في خمسة أبيات ، يقول:

وساحاته مجرى سوابق صبوتي	**وملهى هوى قلبي وموطن عشقه**
فكـم جُلـت في مـضماره	**بصافن لهـو لا يـرام لـسبقه**
وكم قابلت وجهي الأمـاني	**بوجه سرور ظاهر البشر طلقـه**
وكم صافحتني للتصابي علـى	**يمينٌ فقابلـت الوفـاء بوفقـه**
وكم غازلتني فيه أجفان غيّـه	**بلحظ سويدائي مواقع رشـقه**
وكم طارحتني الشجو أطيـار	**وهيّج أشجاني صوادح ورْقه(٢)**

(١)الديوان ص ٦٤

(٢)الديوان ص ٨٠

وتطالعنا لفظة (كم) كذلك مكررة في مواضع عدّة من الديوان حتى يصبح تكرار هذه اللفظة لازمة من لوازم شعر قابل وحيّزاً من قاموسه الشعري ، ففي قصيدة يمدح فيها الشريف سرور نجده أيضاً يكرر لفظة (كم) أربع مرات في أربعة أبيات متتالية ، فيقول:

هنيئاً لنا ما يوجب الحمد والـــشكرا	**هنيئاً لنا ما يثبت المجـــد والفخـــرا**
هنيئاً لنا ما يقتضى المـــدح والثنـــا	**وتبقى به الحسنى وتحيا به الذكرى**
هنيئاً لنا ما أظهـــر الله مـــن عـــلا	**مليك سمت عليـــاؤه فعـــلا قـــدرا**
مليكٌ به انجاب الظـــلام فأشـــرقت	**مـــآثره في أفقهـــا أنجمـــا زهـــرا**
مليكٌ على الدنيا بـــــهاءٌ ورونـــقٌ	**به ولها من بشر منظـــره البـــشرى**
مليكٌ به مـــلأى القلـــوب مـــسرةً	**على هيبة منه ويا حبـــذا الـــسِّرَّا**
همامٌ له عـــزم الأســـود وهـــــمّةٌ	**علت أن يبـــاري شـــأوها الـــنجم**
إمامٌ لـــه التقـــديم في قبلـــة العـــلا	**على كل عين ساد وهـــو بـــــها**
فكم أورد العضب اليماني مـــوردا	**وأصدره عن منهل الظفر الأمـــرا**
وكم أرهف الرمح الرديني طاعنـــا	**صدور الوغى طعنـــا بـــه يـــشرح**
وكم قد عدا بالعاديات على العـــدا	**يثير بـــها نقعاً ويـــستأثر النـــصرا**
وكم عاود العـــادي بقـــائم ســـيفه	**وردّ الـــمُعادي عن مطامعه قهرا[1]**

وكما نلاحظ فالقصيدة حافلة بالتكرار إذ يستهل الثلاثة أبيـــات الأولى بعبـــارة (هنيئاً لنا) والثلاثة الأبيات التي تليها بكلمة (مليك).

ويطالعنا تكرار كلمة (كم) كذلك في موضوع آخر ضمن قصيدة يمـــدح فيهـــا الشريف سرور أيضاً إذ يكررها أربع مرات في ثلاثة أبيات، يقول:

فكم خفقت رايـــات نـــصرك،	**غدت شرّعاً والحـــرب يخفـــق**
وكم أخفقت قلباً وكم أرهبت	**وكم نكّلـــت خـــصماً عنـــاه**
وكم وردت معْـــك الـــصوافن	**وعـــن ظفـــر للملـــك كـــان**

---

[1] — الديوان ص ١٠٨

ويكرر كذلك جملة (سرت) في مبتدأ كل بيت من مطلع قصيدة، سبق الحديث عنها[٢]، مطلعها:

سرت نفحات الهدي من علم	**إلى نيّري أفق السيادة والمجد**
سرت من ربا نجد ففاح شميمها	**بأطيب مما فاح من نفحة الند[٣]**

وكأن الشاعر قد أعجزه أن يأتي برابط يجمع أسماء المواضع الكثيرة التي ذكرها فأعياه ذلك، أو أن يأتي بسياق يبرر له حشدها، فالتجأ إلى تكرار جملة (سرت)، فأتت مملة بعض الشيء خاصة وأن المتلقي قد زادت لهفته لمعرفة ما بعد السرى.

كما يكرر كلمة (حيث) ست مرات في قصيدة يجيب بها على إبراهيم الأمير في ستة أبيات متتالية، وصنيعه فيها ليس ببعيد عن جملة (سرت) السابقة :

قالت نعم عرّجت في منهجى	**إلى حمى ليلى وتلك النواح**
حيث الظبا ترتع مأنوسةً	**في سوح هاتيك النواحى**
حيث الربا روضٌ وأغصانها	**منابر الورق ذوات الجناح**
حيث الأزاهير لها نضرةٌ	**دام بها للناظر الإنشراح**
حيث الخدود الورد والنر	**جس الغض عيونٌ والثغور**
حيث الربوع الغر مأهولة	**أنيسة أفياؤها والنواح**
حيث النجوم الزهر من حيّها	**تزهو بهم نورا سماء**

ويكرر كلمة (حيث) كذلك مسبوقة بالحرف (إلى) في قصيدة أخرى يمدح بها محمد بن هاشم اليمني ثمان عشرة مرة في ثلاثة عشر بيتاً، ولو اكتفى بـ(إلى) لكفاه، فلم يكن لكلمة (حيث) فائدة إلا إقامة الوزن، يقول:

---

(١) — الديوان ص ١١٠

(٢) — انظر ص ١١٩ من هذا المبحث

(٣) — الديوان ص ١٥٤

(٤) — الديوان ص ١٥٢

وماذا على ذي اللب إن هـــام قلبــــــــــــــــــــــــــــه ... بـــها حيث أشـــجان النفـــوس وشـــــــــــــــــــــــــــجواها

إلى حيث ميقات الميمّم محرمــا ... إليها بنسك للحلول بـــمغناها

إلى حيـــث ملقـــى الوافـــدين ... وحيث بلوغ الهـــدي إن عـــزّ

إلى حيث يأتي الموقف النـــاس ... وشعثا بـــها غبرا إلى الله ملجاها

إلى حيث إلظاظ الملبّين في الدعا ... إليه بالاستغفار حيـــث ملبّاهـــا

إلى حيث جمعٌ حيث مزدلـــف ... وخيف مـــنى حيـــث الجمـــار

إلى حيث ظل المنحنى ومحصّبٌ ... مقيل الهنا للنـــازلين بأعلاهـــا

إلى حيث تعظيم الشعائر بالحمى ... وحيث مرامات القلوب بتقواها

إلى حيث مجلى النور بالبقعة التي ... أفاض عليها الله نورا وزكّاهـــا

إلى حيث نيل الفوز بالحـــضرة الـــتي ... تنال بـــــها الوفّـــاد مـــا تترجاهـــا

إلى حيث باب الفـــتح ملتـــزم ... وحيث يد المولى تقبّـــل يمناهـــا

إلى حيث ملجا الـــمـــستجار ... وحيث مطاف الزائرين ومسعاها

إلى حيث ميزاب الفيوضـــات ... يعمّ الـــورى بـــالفيض فـــضلا

إلى حيث ما بين المقام وزمـــزمٍ ... مساجد عز الساجدين وعلياها

هناك نـــهايات المنى مبتغـــى الغـــنى ... وغايات قصد السائلين ورجواهـــا[1]

وهذه القصيدة حافلة بالتكرار، وهو بلا شك تكرار متعمد؛ لأن الشاعر أشـــار عند تقديمه للقصيدة بأنه سلك هذا المسلك طمعاً في الوصول إلى الممدوح والاجتماع به، وبالرغم أن الشاعر لم يصرح بطبيعة هذا المسلك إلا أنه أننا ندرك عند مطالعتنا للقصيدة أن هذا التكرار جزء منه، فالشاعر يستهل قصيدته بالدعاء بالسقيا لديار الحبيبة ، فيبـــدأ المطلع بجملة (سقاها) وهكذا في مبتدأ كل بيت من الأبيات الخمسة الأولى، ثم يكرر بعد ذلك كلمة (معاهد) مرتين في مبتدأ كل بيت من بيتين متتالين ، وكذلك الحال مع لفظة

---

(١) – الديوان ص ٢٢٣

(كم) في بيتين متتالين ، ولفظة (حمى) أربع مرات في أربعة أبيات متتالية وكلمة بلاد أربع مرات.

وفي قصيدة يجيب بـــها شاعرنا على قصيدة لإبراهيم الأمير ويتحيّر في وصفها مما جعله يكرر لفظة (أم) عشر مرات :

منشور صفْو سرَّ أم نشر سرى　　　أم هدهد الأنبـــاء وافى مخـــبرا

أم هاتفٌ ألقى علـــيّ بوحــــه　　　معنى به طرب الفـــؤاد تـــذكّرا

أم ريح روحنة الضمائر ضمنت　　　ما جاء قدْما في القميص مبشِّرا

ولوائح الأنوار أم برق الحمـــى　　　أم عارض الأنواء أقبل ممطـــرا

أم كنّس الزهرى تجلّت في افْقها　　　أم يانع الزهر ازدهى وتنـــضّرا

أم بدر تمٍّ لاح أم قـــبسٌ أضـــا　　　أم صبح يوم مسرّتي قد أسفرا(١)

ويكرر لفظة (أم) كذلك في قصيدة أخرى أربع عشرة مرة :

أنضيد دُرٍّ أم مـــضيء دراري　　　أم شدو ورق أم نـــثير نـــضار

أم ورد خدٍّ أم ثنايـــا مبـــسم　　　أم نـــور زهـــر أم زنـــاد واري

أم لمع برق في خلال غمامـــة　　　أم لمـــع نـــور أم تلـــهّب نـــار

أم نفث سحر أم كؤوس عقار　　　أم بدر تـــمٍّ أم شموس نـــهار(٢)

ومن التكرار الذي لا نجد وراءه كثير طائل تكراره لفظه (سلام) ثلاث عشرة مرة في مبتدأ كل بيت إلا البيت الأخير من قصيدة أرسلها لبعض أصحابه، وأعقب اللفظة في أغلب الأبيات بالتشبيه ، يقول:

سلامٌ كما أهدى النـــسيم إلى　　　شذى نفحات عرفهـــا طيّـــب

سلامٌ كما فاح العبير معطـــرا　　　يَلَنْجَجُه الأرجاء بالأرج العطري

سلامٌ كما ناح الحمام مـــشبّبًا　　　بأشجانه في ملد أفنانه النـــضر

---

(١) — الديوان ص ١٦٢

(٢) — الديوان ص ١٦٦

سلامٌ كما افترّ الأقاح بمبسم **حلا شنبًا قد فات مفترّة الثغــر**
سلامٌ كوضّاح الصباح وقــد **ظلام الدجى من أفقــه بــسنا**
سلامٌ كما انــهلّ الغمام على **وحيّت محيّــاه تحايــاه بــالقطر**
سلامٌ كما تزهــو الريــاض **بما قد كساها الغيث من حلــل**
سلامٌ كما مدّ الأصيل شعاعه **من الشمس تبرًا فوق ديباجــة**
سلامٌ كعقد الدرّ يكمل حسنه **إذا كان من جيد الخريدة بالنحر**
سلامٌ كما تبــدو الــدراري **نثار العروس ثم تعلن بالــشكر**
سلامٌ كما طاف الصفا وصفا **لــمن طابقت أخباره كرم الخبر**
سلامٌ عليك الله يبقيك للعــلا **وينفعني فيها بأخلاقــك الغــر**
سلامٌ على أخلاقك الغر والثنا **وإن طال نظمى فيك جلّ عــن**
ومن لي بأن أثني عليك مسلّمًا **بقاءك للعليا ثناءٌ على الدهر**[١]

فتكرار كلمة (سلام) تلك اللفظة التي تداولها الألسن في كل زمان ومكان ومــن شتى الطبقات والمشارب يسبب شيئا من الرتابة خصوصا وأن اللفظة تكررت في موضــع واحد وهو مبتدأ الأبيات، وكأن الشاعر أغراه التكرار البصري في الأبيات بعيــدا عــن مراعاة ردة الفعل السمعية تجاه هذا التكرار، ومن الملاحظ أن فكرة التكرار مسيطرة على الشاعر في جميع الأبيات، وأظهر ذلك تكرار حرفي الحاء والفاء.

وكذلك يكرر لفظة (سلام) خمس عشرة مرة في مبتدأ كل بيت من مطلع قصيدة طويلة، لكنه لا يعقبها بالتشبيه، بل هو أقرب إلى رد السلام وتحية المخاطبين،إذ يعقب لفظ السلام بــ(على) و(عليكم)، مكررا كذلك بعض الحروف مثل حرفي الحــاء والعــين، فيقول:

سلامٌ على أحباب قلــبي ذوي **خلاصة أتــرابي القــديم بــــهم**
سلامٌ على أخدان صفوي أحبّتي **جلا نور عيني منتهى طلبي قصدي**

---

[١] – الديوان ص ١٦٨

سلامٌ على حي الحمى لا عــدا عهاد الحيا يهمى بصادقة الوعــد
سلامٌ على صحبي ودادا وسادتي ـــتقاداً وعزّي للعلا شرفي سعدي
سلامٌ على تلك الوجوه الــتي أضاءت شموس الفضل من أفــق
سلامٌ عليكم ما سرت نــسمة معطّرة الأردان بالشيح والرنــد
سلامٌ عليكم ما شذا من أريجها إذا نسنست نفْحاتــها من ربــا
سلامٌ عليكم ما تفاوح منــدلٌ رطيبٌ وفاحــت فوغــة العنــبر
سلامٌ عليكم مازها الروض ثانيًا معاطفه لينًا بأغــصانه الــــمُلْد
سلامٌ عليكم ما رنــت عــين لسالفة الريحان في وجْنة الــورد
سلامٌ عليكم ما الأقاح تبسّمت على نظرة الوسنان بالأعين الرمد
سلامٌ عليكم ما صــفا الــود وطاب مذاقاً للمحبين في الــورْد
سلامٌ عليــكم والثناء مــرتلٌ بناطقتي يتلــى بفاتحــة الحمــد
سلامٌ على بُعد الجــسوم وإنمــا لأرواحنا قربٌ تنــزّه عن بُعــد
سلامٌ ولا يجدي السلام علــى إذا عزّ تقبيل الــمباسم والخدّ(١)

ويكرر جملة (زُفّها) سبع مرات في قصيدة يجيب بــها على إبراهيم الأمير:

قد صفا الراح وراقا فاســقني الكــأس
زفّها بكراً عروســا واقبل العقل صداقا
زفّها واقض بـــها ــــــر اصــــطباحا
زفّها وأنس بـــها ــــــر ازدواجــا
زفّها واشرح بــها ر اجتماعاً وافتراقا
زفّها وانعش بـــها ح التآما واعتناقــا
زفّها وامــل علــى ـــــــب مغانيهــا
زفّها مستبقاً للأنــ ــــــس بالــصفو

(١) — الديوان ص ٢٥٥

لكن هذه الجملة ليست كسابقتها من حيث كثرة التداول، وجملة (زفّ) موحية، إذ تتنوع معانيها بين السرعة والبريق وترتبط اللفظة عادة بزف العروس، فكأن في الكلمة شيئا من الاستعارة، لا سيما وقد اقترن الزف بكأس المدام، مما أشاع جوا احتفاليا، وأصبح تكرار الكلمة استمتاعا بالراح واجتماع الصحبة.

ومن تكرار الألفاظ المفردة إلى تكرار التراكيب، وهو تكرار –كما ذكرنا سابقاً- لا يخلو من فائدة إذ يجتذب الشاعر من خلاله قارئ شعره؛ لتصل إليه الرسالة التي ضمنها هذا الشعر، وسبق أن بينا أن ظاهرة التكرار في الديوان أكثر ما رصدناها في القصائد التأملية الوعظية، وكأن الشاعر رأى في التكرار وسيلة جاذبة إذ لا ينتظر أن يكون ثمة إقبال كبير على هذا النوع من الشعر، فالناس عادة ما تهوى أغراضا أخرى لعل من أبرزها الغزل والنسيب، فالشاعر لذلك يتكئ على هذا المحسّن البديعي والموسيقي ليلفت نظر قارئه.

تحدثنا سابقاً عن أن تكرار اللفظة الواحدة أعظم أثراً في أذن المتلقي من أثر تكرار الحرف، وهنا يمكنني الزعم أن تكرار العبارة يترك أثراً لدى السامع أكبر، إذ المعنى في العبارة أكثر كثافة ، وتكرار العبارة ينبي عن حالة اندماج من لدن الشاعر المنشئ ، فهو يرددها بما يشبه الهذيان، الذي يجبر السامع أو القارئ على التوقف والتفاعل مع ما يُكرر، وقد قيل إن (من أحب شيئاً لهج بذكره) ، فيدخل بذلك المتلقي في دائرة الاهتمام التي حددها الشاعر وتستسلم أذنه وذائقته لهذه العبارة ليجد نفسه منساقاً من حيث لا يشعر لمتابعتها والترنم بها، بل تبقى في أذنه لفترة من الزمن تطور أو تقصر .

من ذلك وفي قصيدة وعظية يكرر شاعرنا عبارة (ليس يجدي المرء) في البيتين الأولين من مطلع القصيدة ثم يعقب ويكرر (ليس يجدي ذاك) في الأبيات الثلاثة التي تليها، يقول :

ليس يجدي المرء أن تبكي　　　وتفيض الدمع مدراراً جفونه

---

(١) – الديوان ص ١٩٥

ليس يجدي المــرء أن يبــديَ **لهوى قد شبّ في الأحشا سكونه**

ليس يجدي ذاك من أُشــرب **لمَلاه حــسُنت فيهــا ظنونــه**

ليس يجدي ذاك من عزَّ لديــه **حالُ دنيا مَعَها قد حــال دينــه**

ليس يجدي ذاك مــن قــد **لعبٌ من غيّه وهي شــجونه**[١]

ومما يعد من المعجم الشعري للشاعر ورود بعض الألفاظ الأعجميــة مثــل كلمــة (شاذروان) التي أحدث استخدامها نبوّا وقلقاً في البيت وإلا لما توقفنا عندها، فصدر اللغة العربية رحب، فهي تتقبل الدخيل من الألفاظ، فتصبغه بصبغتها وتسمه بميسمها ، يقول:

وفي المنظر المذكور آثار بركة **بشاذَرَوَان نثره يخجل المزنا**[٢]

أما الألفاظ الأعجمية التي تعمدها الشاعر تعمّداً، فإننا نجدها محتــشدة في قــصيدة تحكي قصة خصومة امرأة مع زوجها أمام قاضٍ تركي ، والشاعر يجيز لنفسه اســتخدام كلمات وعبارات تركية من باب حكاية الواقعة، وذلك من أجل الطرفة والفكاهــة، لأن المجال يحتمل ذلك، فالقاضي تركي لا يحسن اللغة العربية، وذلك شأن القــضاة في ذلــك العهد، ولعل الشاعر يلمّح لذلك، ويعرض لمتذوقي شعره معرفته باللغة التركية لغة الدولة آنذاك، كما نجد في نظمه لهذه القصيدة واختلاقه هذه القصة محاكاة لقصيدة للبيتي شاعره المفضل الذي له قصيدة تشبه هذه القصيدة إلى حدّ كبير، حيث القاضي التركي والخصومة بين رجل وزوجته واستخدام كلمات وعبارات تركية [٣].

---

(١) – الديوان ص ٦٦

(٢) _ الديوان ص٢٧٥ .ويظهر أن الشاذروان بناء يشبه النافورة بدلالة اقترانه بالبركة ونثر الماء.

(٣) _ ديوان جعفر البيتي ،مخطوط، نسخة عارف حكمت لوحة ٩٠، مطلعها:

يقبل الأقدام عبد النعمة **فرخ البوابيخ حمار الخدمة**

وقد كتبها البيتي على لسان عبد يستعطف سيده الذي قطع عنه صلته.

يقول الشاعر على لسان القاضي التركي الذي هبّ لنصرة المرأة، وقد زيّنها له الشيطان :

فقام لها ابتــدارا لانتــصار وزمجر باللــسان الأعجميّــة

وصاح (قواص جت شندي أشكْ أوغــلان حــضوري

(فنادر بو أضمْ ظالم مكــابر زوالي قادنن بو مظلميّــة) (٢)

ومما رصدنا تكرّره في ديوان شاعرنا بعض المصطلحات الطبية ، فهل ذلك ناتج عــن معرفة بالطب ومزاولة له ؟ أم أنه تأثر بالشاعر جعفر البيتي الذي ذكرنا إعجاب وتــأثر شاعرنا به، حيث حفل شعر البيتي بالمصطلحات الطبية بل إنه نظــم في عمــل بعــض التركيبات والوصفات، ولكن البيتي ذُكر عنه أنه كان له دراية جيــدة بالطــب، وقــد انعكست هذه المعرفة في شعره، فهل وجود المصطلحات في شعر محمد قابل ناتجــة عــن معرفة أم أنــها من باب التقليد.

يقول متغزلاً :

فلله خدٌّ أحرق القلبَ نارُه وثغرٌ يدير الشهد من لؤلؤ رخْــص

وفي ضمنه ترياق لَسْع مجرّب لــــمثلى فمــن لي أن أعلّــل

وقوله هاجياً أحدهم ولعله خصمه اللدود الذي ما فتئ يذكره، وهو هجــاء مقــذع حشد فيه محمد قابل كثيراً من السباب، وخرج فيه عن طوره وفارقه وقاره، والشاعر يورد في هذه القصيدة بعض المصطلحات والأسماء المتصلة بالطب والسبب في ذلك –كما يذكر في القصيدة – أن هذا المهجوّ قد تعاطى الطب، والشاعر يــستهزئ بــهذا الادعــاء والتعاطي أيّما استهزاء، ويسخر منه، ولعل في ذلك ما يرجح فرضية معرفة الشاعر بالطب

(١) – ترجمة البيت (أيها الخدام أحضروا هذا الولد الحمار حالا).

(٢) – ترجمة البيت (هذا الرجل سيء وظالم ومكابر يظلم هذه المرأة المسكينة).

(٣)الديوان ص ٣٠٦

(٤)الديوان ص ٤١٨

وتعاطيه له؛ فيكون ذلك الاستهزاء وتلك السخرية من باب الغيرة والتنافس بين أبناء الفن الواحد. يقول:

ما كفى أن يعيش حـــتى تعــاطى ـــب بين الورى بصدغ مـــتين
يعرف الـــداء في الـــسقيم بمـــرآ ه وبالصوت والبكـــا والأنـــين
رتبةٌ دونـــــها أرســـطو وبقـــرا ط وأمـــــا داؤد دون الـــــدون

إلى أن يقول:

طبعه أن يـــسكّن الـــداء طبـــاً وهو علْـــقٌ محـــركٌ للـــسكون
ادّعى الطب والـــمباراة فيـــه وهي دعوى جاءت بغير الظنون
زاحم العالـــمين بالطب جهـــلا رام ما لم يكـــن لـــه بقمـــين[1]

وقوله متغزلاً بسمراء :

برؤ دائى من خلطة السوداء اتّصالي بالحبّة الـــسوداء[2]

وقوله من قصيدة موجهة لإبراهيم الأمير :

وعلمى بتعليـــل الـــــمزاج لكل عليل الطبع أما الخصوص لا

ومنها :

فإن مزاج الكون قد زاد خلطه وقد غصّت الأهواء إجرامه امتلا
ولا حميةٌ تحمي النفـــوس مـــن ولا دافعٌ نقّى البواطن مـــسهلا

ومنها :

إذا استحكم الداء العضال يساغ ولا يجـــدي الـــضماد ولا

ويضمن الشاعر شعره بعض مصطلحات قواعد العلوم، كقوله مشبها بـــــهمزة الوصل وهمزة القطع :

---

(١)الديوان ص٢٩٧

(٢)الديوان ص ٣٠٧

(٣)الديوان ص ٢٠٦

تقرّب من أهوى وتنهى عن فكيف ألفت القطع يـا ألـف

وكقوله مضمناً بعض المصطلحات الموسيقية :

ضـرب سـيكا وبنجكـا ضبطها في الإيقاع والتلحين

وقوله :

ولي رَمَلٌ في ضرب دوكـاه ورق بـه طبعـي لـسيكاه

ونجده يذكر العنعنة في قوله :

وعنعن أحاديث الغـرام إليهمـا عن السقم عن جسمي عن الليل عـن

عن الحب عن قلبي عن الشوق عن جوانحها انضمّت على وَهَجِ الوَقْـد (٤)

وقوله :

خذاه حديثاً مسنداً عـن قـريحتي عن الذوق عن فكري عن الخـاطر الـصدي

ولن تسمعا في متنه عـن روايـتي سوى شرح أشواقي وبث توجّـدي(٥)

وكذلك يذكر (لزوم ما لا يلزم) في قوله :

عجباً لشأنك في مغـالطتي كلفتني بلزوم ما لا يلزم(٦)

ويوجّه بأسماء الشهور فيقول:

همُ ربيع فـؤادي والمـلام محرّمٌ وبـسمعي في الهـوى

واستخدامه المنظوم والمنثور في قوله :

---

(١)الديوان ص ٢٩٥

(٢)الديوان ص ٢٩٨

(٣)الديوان ص ٢٥٦

(٤)الديوان ص ١٥٦

(٥)الديوان ص ١٥٧

(٦)الديوان ص ٤٣٩

(٧)الديوان ص ٣٩٤

لــمنظوم فيه صبّ منشــور   يعلّم فكري رقّــه الــنظم

وكذلك نجده يذكر أسماء الكواكب والنجوم:

وماله من خبايا ســعد أخبيــة   مكنوزة في زوايا السعد من بلع

ويحشد أسماء الله الحسنى في قوله :

يا حى يا قيــوم يــا   يا فرد يا قدوس يا ماجد

يا حق يا معبــود يــا   يا وتر يا مشهود يا شاهد

يا بر يا تواب يا غافر   يا نور يا وهاب يا واجد(٣)

أما أسماء الأماكن فذكرها لازمة من لوازم شعر محمد قابل أكثــر ترديــدها، ولا سيما (نجد)- الذي تحدثنا عنه سابقا- إذ يتحدث شاعرنا عن الحمى النجدي فيربطــه بالهضاب والحرار (الحرات) وهي سمة من سمات منطقة الحجاز، بل إن الــشاعر يــذكر أماكن تقع في المدينة وما حولها مثل نعمان والنقا والمصلى ورامة وسلع وحاجر ، مما يؤكد أنه لا يقصد (نجد) المعروفة ، يقول :

فكلّ الحمى النجدي لكلّ متيم   شجون غرام هــضبه وحــرَارُه

فتلك البقاع الفيح نعمان فالنقا   فرامَة فالوادي المنيــع جــواره

فسلع فأفياء المــصلَّى فحــاجرٌ   فزوراء فالجزع الرحاب ديــاره

فبان اللوى فــالرقمتين فعــالجٍ   فبطحان فالسيح الفسيح وجاره

فــبطن العــوالي فــالعقيق فبــارق   فما شاع في تلك الربوع اشــتهاره(٤)

ومن غريب أسماء الأماكن أو الأسماء غير الشائعة التي يــذكرها الــشاعر اســم (نسّاسة) وهو اسم من أسماء مكة، ولكنه ليس من أسمائها المشهورة، نجده في موضــعين، وهو قوله :

---

(١)الديوان ص ٣٢١

(٢)الديوان ص ١٨٨

(٣)الديوان ص ١٧

(٤)الديوان ص ٢٨

مـــن حمـــى نـــساسة دام أنيـــساً هبّ منثور الصبا النجدي نسيـــسا (١)

وقوله :

فأضحى حمى نسّاسة بعـــد أنيساً به ساحاته والمعالم [٢]

ومن أسماء الأماكن والمواضع ما ذكره الشاعر في قصيدته الهزليـــة الـــتي تحكـــي خصومة رجل مع امرأته أمام القاضي التركي حول الابن الماجن ، حيث يذكر والـــده أن ابنه يرتاد بعض الأماكن سيئة السمعة، وهو بذلك يوثق أسماء هذه الأماكن التي لم يعـــد بعضها موجودا الآن، فيذكر (قهاوي البنط) و (الخاسكية) و(سوق النـــدى) و (قهـــوة عايد)، كما يذكر في هذه القصيدة بعض المصطلحات المتصلة بالكيف مثـــل الحشيـــشة والأفانيد[٣] والشقف[٤] والحُقّ[٥] والزبدية والمطبقية[٦] واللكديّ[٧] والملعـــوق والـــسفّ والمنشوق والحمّصيّة[٨] . وذلك في قوله:

مسلايتها والغـــار واعطـــف قهاوي البنط عطف الناســـقيه

ولاتنس السمرجيات واضمم إليهـــا الربـــع ثم الخاســـكيه

وفي سوق الندى كـــم مـــن وقهوة عابد بـــن الـــــموصليه

---

(١)الديوان ص ٧٨

(٢)الديوان ص ١٢٢

(٣)الفند : الخرف وإنكار العقل من الهرم أو المرض، وفنّد في الشراب: عكف عليه. لسان العرب (فند). ويظهر من الأبيات والمعنى المعجمي أنـــها نوع من المخدرات التي تحجب العقل.

(٤) الشقف : الخزف المكسّر. لسان العرب (شقف) ويظهر أنـــها نوع من الآنية.

(٥) الحُقّ: آنية تنحت من الخشب والعاج وغيره. لسان العرب(حقق) .

(٦) الزبدية: وعاء من الخزف المحروق المطلي بالميناء. العجم الوسيط ٣٨٨/١ ، والمطبقية وعاء سمي بذلك لأن له غطاء يطبق عليه، وما زال معروفا بـــهذا الاسم.

(٧) يقال : لكد الشيء بفيه لَكَدا ، إذا أكل شيئا لزجا فلزق بفيه. لسان العرب(لكد).ويظهر أنه مخدر من طبيعته الالتصاق.

(٨) الملعوق والسف والمنشوق، يظهر أنـــها أسماء لأشياء نسبة إلى طريقة استعمالها أو تناولها، والحمصية كأنـــها تنسب للتحميص.

وقوله:

وأما في الحشيشة يا أفنـــدي ... له فيهـــا الـــــمفاعيل القويـــه

أفانيـــــد إلى شــــقف لحـــقٍّ ... إلى زبديـــــة والـــــــــمطبقيه

ولكـــديٍّ وملعـــوق وســــفٍّ ... ومنشوق وآخر حـــمّـــصيّه(١)

ويتأثر شاعرنا بلغة القرآن وأسلوبه فنجد ذلك ماثلاً في بعض أبياته مثل قوله متأثراً بوصف الخيل في سورة العاديات :

أثرن به نقعاً قضينا به هوى ... وسطن به جمعاً حوينا بــــه

ونجد أثر الآية (ولما توجه تلقاء مدين) إذ يقول ذاكراً الحب الإلهي:

توجّـــهْ إلى تلقـــاء مدْيَنـــه تنـــلْ ... من المورد الأهنى صـــفا الـــصّدر الأوفى

ترى ثَمَّ نار الهدْي جذوة مـــصطل ... على أنـــها نور الصفاء لـــمن استصفى (٣)

كما نجد بعض الأثر من لغة المتصوفة في مثل قوله :

شملت لطائفها جميع عوالـــمي ... وأحاط بي السر المحيط وســـوّرا

دارت علـــى كلّـــى وجزئـــى ... شخصى بدارة سورها متسوّرا(٤)

وقوله :

واجعل المحو ديـــدنا إن فيـــه ... بشهود الفنـــا بقـــاؤك يرســـم

محور المحض في مقام التجلـــي ... غاية الصحْو والبقـــاء المحـــتّم

واجمع الفرق إن أردت وصالاً ... واتصالاً بمركز السِّرِّ الاعْظـــم

إلى أن يقول:

كنت قطب الوجـــود حقـــاً ... لك فيه حالٌ كمـــا تتوسّـــم(١)

---

(١)الديوان ص ٣٠٤

(٢)الديوان ص ٢٤٩

(٣)الديوان ص ١٩٣

(٤)الديوان ص ١٦٣

وكذلك قوله :

ويبيح لي نظراً شهود جمالـــه   فحيـــاة روحـــي في الهـــوى

ويذكر (المدد) وهي تستخدم عند الصوفية لطلب العون، وذلك في قوله:

نشقت من أنفاسها   نـــــشر الفـــــلاح

كم يذكر (الاتحاد) فيقول:

فلذا أثمرت مغـــارس قلـــبي   ثمر الاختـــصاص والاتحـــاد(٤)

ويذكر أنه نقشبندي ، ثم يردف ذلك بتأكيده أنه صوفي الهوى، والنقشبندية من الطرق الصوفية:

نقْش هذا الحبيب يـــشهد أني   في طريق الهوى لـــه نقـــشبندي

أنا صوفيّ صبوة فيـــه قلـــبي   في مقام الشهود في حال بعدي

صار للقلب كعبـــةً فلهـــذا   وجّه الحب نحوها وجه قـــصدي

راتبي في الهوى مراقبة القلـــــ   ـــب لـــه لاســـواه والـــذكر

كما يكرر الشاعر كذلك بعض المعاني ذات الطابع الصوفي، إذ نجده يكرر في قصيدتين مختلفتين الحديث عن الأنوار والقرب والأسرار متخذا من طور سيناء والجانب الغربي منه والتجلي والمناجاة رمزا لهذه العلاقة ونـــهاية لرحلة طويلة من الحب واللهج، يقول:

ووافيت ميقات التداني لقربه   وقلبي من الأشواق دائم خفْقـــه

---

(١)الديوان ص ٤١

(٢)الديوان ص ٧٧

(٣)الديوان ص ١٥٤

(٤)الديوان ص ٢٥٢

(٥) الديوان ص ٣١٣

وفي الجانب الغربي من ذلــك ... بدا لي سنا الإقبال من نـــحو
وفي طور سينا الفوز بالقرب تمّ ... مناجاة سرٍّ وهو في طور صــعْقه
ولاح لعيني من أحبّ ووجهه ... أجلَّ على بدر السماء بأفْقــه[1]

ويقول:

هذا مقام التجلّي مركز الشرف ... فاشهد به نور سرّ القرب واعتــرف
وسرْ فقد لــمعت نور الهــدى ... من طور سينا الوفا أسرع ولا تقــف
وحثّ منك مطايا العزم مقتبساً ... من نور جانبها الغــربي واعتكــف
وادنُ إلى حــضرة التقــديس ... تــسمعْ مناجــاة داعــى الــشوق

ومن التكرار تكرار الأساليب مثل تكرار أسلوب الاستثناء وتكرار الجمل الشرطية، فمن تكرار الاستثناء. قوله :

سجاياك إلا أنــها الــروض ... ووجهك إلا أنه البــدر ســافر
وحلمك إلا أنه الطود راسخٌ ... وكفّك إلا أنه البحــر زاخــر
ورأيك إلا أنه السهم صائبٌ ... وعزمك إلا أنه السيف بــاتر[3]

وقوله :

إليــك وإلا لا انتمــاءٌ ولا ... وفيــك وإلا لا اقتــضاءٌ ولا
وعنك وإلا لا نماءٌ ولا عــلا ... ومنــك وإلا لا نــوالٌ ولا

ومن تكرار الشرط قوله :

هو الله ينــصر مــن ينــصره ... ويخذل لا شــكّ مــن يكفــره
ومــن ينــصر الله لا غالــبٌ ... لــه لا ولا أحــدٌ يقهــره

---

(١) الديوان ص ٨٠
(٢) الديوان ص ٩٨
(٣) — الديوان ص ١١٤
(٤) — الديوان ص ١٢٣

فمـــن يتـــق الله يجعـــل لـــه طريقـــا إلى رشـــده يعـــبره

ويجعـــلْ لـــه ربـــه مخرجـــا من الضيق يسرا لمـــا يُعـــسره

ويشرحْ بنور الهدى صـــدره ويكفيَـــه شـــرّ مـــا يحـــذره[1]

ومن كـــان مـــورده ســـيئاً يـــسوء كمـــورده مـــصدره

ومن مَكَرَ الـــسوء في خلقـــه يحيـــق بـــه كلّمـــا يمكـــره

ومن جـــرّ شـــرًّا إلى مـــسلم فيـــضمره عنـــه أو يظهـــره

يعـــود إلى نفـــسه شـــرّه فيُرمى بـــهوّة مـــا يَحفـــره[2]

ومنه:

قُمْ تَسْتَقِمْ أو صلْ تَصلْ جُـدْ اجتل تستجل سنا بـــهجتك

سر مسرعاً تـــدنُ إلى غايـــة تنل بـــها مـــا فـــوق أمنيتـــك

تشهد بـــها في حضرة القرب يجلو لك الأنوار في حضرتك[3]

ومنه:

ومن صحب الدنيا وبـــاغض لأجدر أن لا يستقيم لـــه أمـــر

ومـــن رام في الـــدنيا المقـــام لَنَقْلَته الدنيا وعاجلـــه الـــدهر

ومن وثقت منه الظنون بـــها حصول مرام فهـــو بـــالطيف

---

(١) – نصب الفعل (يكفي) هو مما اضطر الشاعر إليه إقامة الوزن ، وهو مما لا تجيزه الضرورة الشعرية.

(٢) – الديوان ص ٣٢

(٣) – الديوان ص ٤٤

(٤) – الديوان ص ٥١

والمتصفح لديوان الشاعر لا يعزب عنه تأثره بشعر من سبقوه جليـــا في عـــدة مواضع، متخذا هذا التأثر أشكالا عدة، ومن الخطل أن ندعي لشاعر مهما عـــلا مقامـــه وبرزت مكانته أن شعره يخلو من تأثره بشعراء آخرين، فالشاعر ابن تراثـــه يتـــأثر بـــه ويستلهمه ويدور في فلكه، ولا يخلو شعره من هذا التأثر بوعي منه أو بدون وعي.

فالتأثر ماثل منذ فجر تاريخ شعرنا العربي مبنى ومعنى، فامرؤ القيس يبكي كما بكى ابن خذام، وعنترة يحاول جاهدا أن لا يكرر ما قاله الشعراء في وصف الطلل، وزهير يشكو من أن ما يقوله الشعراء معاد مكرور.

وإذا كان الأمر كذلك منذ بواكير الشعر، فكيف به وقد مضت قرون عديدة على مسيرة هذا الشعر، حيث بلغ التأثر الزبى ، واتخذ مظاهر شتى لعل من أبرزها التضمين والتصدير والتعجيز والتخميس.

ومحمد قابل ليس بدعا في هذا ، فقد برز التأثر واضحا في شعره، إذ نرصد له تأثره بالشاعر علي بن معصوم المدني (من شعراء القرن الحادي عشر) الذي يقول :

فانـــهض إلى حمراء صـــافية　　　قد كاد يشرب بعضها البعض [1]

فنجد محمد قابل يقول:

عذراء تزري بالبدور بَـــهَا　　　فيكاد يعشق بعضَها البعضُ [2]

وقد يصل التأثر إلى تضمين بيت كامل ، كما ضمن بيت ابن الدمينة المشهور، وذلك في قوله :

وأنشدتـــها مستعطفاً جانب الوفـــا　　　عليّ لهـــا مـــستنجزاً عـــن حمـــى دعـــد
(ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد　　　لقد زادني مسراك وجداً علـــى وجـــد) [3]
أعد ذكر ســـكان الحمـــى فلخـــا　　　طري اشتياق لشجوى ما تعيد وماتبـــدي [4]

---

(١) ديوان ابن معصوم تحقيق شاكر هادي شكر ص٢٥٧ .

(٢)الديوان ص ٤٢١

(٣) البيت لابن الدمينه.

(٤) الديوان ص ١٥٥

وتضمينه بيتاً للمتنبي في قوله :

ما بال من شرّف المولى ربـــوعهم بوصله صدّعوا الأحشاء والتأموا

(إن كان يجمعنا حـــبٌّ لغرّتــه فليت أنّا بقدر الحبّ نقتـــسم)

وتضمينه لصدر بيت المتنبي:

إذا اعتاد الفتى خوض المنايا أطاعته الحزونة والسهول[3]

جعله عجزا في قوله:

وليس بمعجز خوض الفيافي (إذا اعتاد الفتى خوض المنايا)[4]

وكذلك عجز بيت المتنبي:

وانهَ الــمشير عليك فيّ بضلّة فالحرّ مُمتحنٌ بـــأولاد الزنـــا[5]

جعله صدرا فقال:

(والـــحرّ مـــمتحنٌ بأولاد فيها فيرمى بالسفاهة والوهن[6]

وتضمينه لصدر مطلع عينية ابن سينا المشهورة:

هبطت إليك من المحـــل الأرفـــع ورقــــاء ذات تعـــزّز وتَمنّـــع[7]

جعل الصدر عجزا فقال:

ولسوف ينشدني لسان الكون بي (هبطت إليك من الـــمحل الأرفع)

---

(١) ديوان المتنبي شرح العكبري ج٣ ص ٣٦٤.

(٢) الديوان ٤٣٧

(٣) ديوان المتنبي شرح العكبري ج٣ ص ٥ .

(٤) الديوان ص ٤٤٥

(٥) ديوان المتنبي ،شرح العكبري ٤/٢٠٦ .

(٦) الديوان ص ٦٥

(٧) ابن سينا (عبقري يتيم وتاريخ حافل) ، تأليف الشيخ محمد رضا الحكيمي الحائري، مؤسسة الأعلمي، بيروت- لبنان ، ط١ ١٩٩١م-١٤١١هـــ ص٩٨

(٨) – الديوان ص ٤٢٤

وكما ظهر تأثر الشاعر بالمتنبي نجده يتأثر بشاعر آخر عدّه معاصروه متنبي عصره، وهو شاعر المدينة جعفر البيتي، والشاعر معاصر للبيتي وإن تقدم عنه، ولا نستبعد أن يكون بينهما معرفة، إذ نجد الشاعر يصرح بإعجابه به، فيقول:

إن أهل القريض للفضل ذاتٌ … والشريف البيتيّ كاليافوخ

جمع الله فيه شمل المعاني … من لدن آدم إلى التاريخ[1]

وهو إعجاب يظهر في أكثر من موضع، ويوحي بتأثر كبير نجده في محاكاة شاعرنا له في قصائد بعينها، تأثر يقترب من المعارضة، إذ نجد الاحتذاء واضحا في مواضع بعينها.

فللبيتي قصيدة يحاور فيها حمامة ويبثها همومه ومعاناته، وكذلك نجد الشاعر يقول:

حمامة ما لقلبي معْك شجوى … ولا طرب لترجيع وسجْع

حمامة ولْولي نُوحى لنوْحى … وولولتي أسى وابكى وأنعى[2]

وكذلك القصيدة التي يحكي فيها قصة المرأة وزوجها أمام القاضي التركي فللبيتي قصيدة مشابهة تحكي قصة امرأة وزوجها أمام قاضٍ تركي تتخللها عبارات تركية على لسان القاضي، بل نجد أن الشاعر يكرر بعض العبارات التركية التي ذكرها البيتي .

ومن مظاهر التأثر بالبيتي لدى شاعرنا استخدامه للمصطلحات الطبية في شعره (وقد تحدثنا عن ذلك سابقاً) إلا أننا نجد استخدام البيتي لتلك المصطلحات يفوق استخدام شاعرنا لها بكثير.

ومن استعارة بيت أو جزء منه، أو فكرة، أو موضوع، إلى استعارة شعر غيره لتناوله **بالتصدير والتعجيز**، وهو أن يعمد إلى صدر بيت ويؤلف له عجزا من عنده، ثم يؤلف لعجزه صدرا، فيصبح البيت بيتين، ولذلك سماه بعض الدارسين التشطير.

من ذلك تصديره وتعجيزه للبيتين:

---

(١) الديوان ص ٤٠٣

(٢) الديوان ص ١٩٢

وحدثتني يا سعد عنــهم فــزدتني   شجوناً فزدني من حديثك يا سعد

هواهم هوى لا يألف القلب غــيره   ولا قَبْلَهُ قبــلٌ ولا بَعْــدَه بَعْــدُ

أصبح البيتان بعد التصدير والتعجيز :

وحدثتني يا سعد عنــهم فــزدتني   بذكراهمُ شوقاً فزاد بي الوجــد

وشنّفت سمعي بالذي يردف الشجا   شجوناً فزدني من حديثك يا سعد

هواهم هوى لا يألف القلب غــيره   وليس لهم في غير جانبهم قــصد

وحــبّهمُ فــرضٌ علــيّ محــتمٌ   ولا قَبْلَهُ قبلٌ ولا بَعْــدَه بَعْــدُ[1]

وكذلك أصبح بيتان بعد التصدير والتعجيز أربعة أبيات، وذلك قوله:

غنّ لي باسم من أحب وخَلّي   من محت سلوة الهوى وَسْمَ قَــسْمه

واهد للسمع لــذّة الحــب   كلّ من في الوجود يرمي بــسهمه

لا أبالي وإن أصاب فــؤادي   رمى سهم العذول عن قوس سهمه

فاعتقادي إذا ذكرت حبيبي   أنه لا يضرّ شــيءٌ مــع اسمــه(٢)

وكذلك قوله:

حجبوك عن مقل الأنام مخافةً   أن يعتــريهم لحظــك البتــار

وكسوك من أنوار وجهــك   كي لا تخمّش خدّك الأبــصار

وتوهّموك فلم يروك فأصبحت   تدميك في وجناتــك الأفكــار

وهواك أثّر في القلوب ومثلــه   من وهمهم في خــدّك الآثــار[3]

وقوله:

وجهٌ عليه من الحياء ســكينةٌ   ومن الحياء لطــائف الإينــاس

---

(١)الديوان ص ٧٦

(٢)الديوان ص ٨٥

(٣) الديوان ص ٣٢٣

وله بأرجاء القلـــوب مـــودّةٌ   ومـــحبّةٌ تـــجري مع الأنفاس

وإذا أحب الله يومـــاً عبـــده   أضحى بـــأنوار الـــــمحاسن

سكنت محبته القلوب وربـــه   ألقى عليه محبـــةً في النـــاس[٢]

وقوله:

زارني عائدي فلم يـــرَ مـــنيّ   جسداً شـــفّه الـــضنا فمحـــاه

صار مثل الهبا فلم يبـــق منـــه   فوق فرش الضناء شـــيئاً يـــراه

قال لي أين أنت قلت التمسني   قال حيث الأنين قلت: أنا هـــو

ثم أهوى نحوي يديه التماســـا   فبكى حين لم تَجـــدْني يـــداه[٣]

وقوله:

حجبوا وجه من أحب وقالوا   دع هواه فما الهـــوى بعظـــيم

أرح القلب من سليم وعنـــه   عش سليماً فقلت غير ســـليم

كيف أحيا وقد تغيّب عـــني   بدر تـــمٍّ علـــى قـــوام قـــويم

فارفقوا بي لأن ســـرّ حيـــاتي   وجه من كان لذّتي ونعيمـــي[٤]

وأصبحت الأبيات الثلاثة ستة، وهو قوله:

تركت كـــل طريـــق كنـــت   زهداً ويممت وجهي نحو حيّكمُ

وما انتهجت طريقاً للـــسوى   إلا طريقـــاً تـــؤديني لـــربعكمُ

فأنتمُ أنتمُ في القلب وحدكمُ   وما أنا في الورى إلا لكم بكـــمُ

فكيف لي بسواكم عنكم شُغُلٌ   وكلّ كلّـــي مـــشغول بحـــبّكمُ

فإن نطقت فلم أنطق بغيركمُ   وإن نظـــرت فقيـــد الطـــرف

---

(١) الصواب: كاسيًا، وهذا مما اضطر إليه الشاعر ،ولا تبيحه قاعدة الضرورات الشعرية.

(٢) الديوان ص ٣٢٣

(٣)الديوان ص ٣٣٧

(٤) الديوان ص٣٣٥ .

وإن أفهْ لم أفهْ إلا بــذكركمُ	وإن ســكتّ فــشغلى عــنكمُ

وقد تناول بالتصدير والتعجيز أبياتا لتصبح بعد ذلك قصيدة، من ذلك تصديره وتعجيزه لأبيات يذكر أنــها للشيخ سالم المنوفي[٢]، وهي قوله:

اتّخذ ملبسا يقيــك جهــنم	فلباس التقوى وقَى كلّ مَكْــرَم
فهو بردٌ عليك فيــه ســلامٌ	وبــه في غــد تفــوز وتــسلم
خفّ وانشر مــن الــصلاح	طرْ به للفــلاح تحــظ وتغــنم
وتسنّم عزم الـــمجدِّ مخفًّــا	فاز من خف وارتقى من تــسنّم
وادّخر ذكرك الصلاة على من	ربّه قد صــلى عليــه وســلم
إنّه وُصْلة العبــاد إلى اللـــ	ـــه وللسالكين ذخــرٌ ومغــنم
واجعل الــمحو ديدنا إنّ فيه	بشهود الفنــا بقــاؤك يرســم
محوك الـــمحض في مقــام	غاية الصحْو والبقاء الــمحتّم
واجمع الفرق إن أردت وصالاً	واتّصالاً بمركز السر الاعظــم
وتجرّد في السير عن كــل آن	وافرق الجمع كى تكون المقدّم
وابتغ مربــع الجمــال محــلاًّ	ولْتَقُلْ في ظــلال ذاك المخــيّم
خذ جمال الكمال ثَمّ شــعاراً	وكمال الجمــال زاداً لـــمأثم
فــإذا مــا شــهدت تلــك	وتجلّى لك الجمــال الـــملثّم
وسلكت الطريق في زيّ أعمى	وصحبت الرفيق في زيّ أبكــم
كنت قطب الوجــود حقــاً	لك فيه حــالٌ كمــا تتوسّــم
وعليك الــمدار منه وفيــه	لك ذرّاته وأنت الـــمحكّم[٣]

---

(١) الديوان ص ٨٥

(٢) – لم أجد له ترجمة .

(٣)الديوان ص ٤٠

ونجده يقول: "وأرسل إليّ مولاي السيد إبراهيم المذكور هذه الأبيات فصدرتها وعجزتها حسب الطاقة وهي كما ترى":

تَعارَض المانع والمقتضى معنى به ما رمت لا ينقضى
أشتاق للحيّ ولكنّني لم تدنني الدار ولم ترفض
جفاني الوصل وصدّ الوفا عنّيَ صدّ الهاجر المجهض
وصرت في الحب على حالة الوصل طبي والجفا
وعارض ممطر جفني وفي هتونه وكْفُ الحيا المنبض
أعرّض الشكوى به حيث في عروضه كشف هوى المعرض
على شفا عدت بعيد الشفا أرجو اللقا للمقبل المعرض
واستخدم الحب له ناظري في حبّ سهد وكرى مبغض
أذهل من صب القلا في الفلا لم أمهل السير ولم أوفض
أحير من ضبٍّ على أنه لم يفتح الجفن ولم يغمض
لا ميّتٌ أُنعى وأُنسى ولا حيٌّ أَفي الْحبَّ بما يرتضى
بحالة قد أوهمت خاطري فيّ ولم أرج ولم أنبض
تشعّبت منّي مُني أشعب لخلّب من برقها المومض
أمانيًا صرت بها عالقًا لم أبرم الأمر ولم أنقض
حدٌّ على رسم ووقفٌ فلم أعرف بي التعريف لم ينهض
لازمني فيها سكونٌ فلم أرفع ولم أنصب ولم أخفض
توجّهاتي في جهاتي دجًى قد طال في ظلمائها مركضى
فأنتهى سيرًا لما أبتدي لا أستضى النهج فكيف
ومذ حظى لحظى بلحظ الحمى فنيت من دون سناه المضى
أدحضني حظى وما حضني ما زال حظى منكم مدحضى
رحّبت بالمكروه حباً ولم أدر أيرضى سيدي أم رضى
ما قمت بالواجب معْ أنني أسنّ باللهو ولم أفرض

وبي قـــريضٌ يرتجـــى قرضـــةً ... تستنجز الــــموعد للمقـــرض
وقرضة الإحـــسان في غرســـها ... حسناء من حَسَن فمن مقرضى[1]

ومن التصدير والتعجيز إلى **التخميس**، وهو أن يعمد الشاعر إلى البيـــت فيـــصنع ثلاثة أشطر على قافية المصراع ثم يأتي بالبيت بعدها، فيكون مجموع ذلك خمسة أشطر.

من ذلك تخميسه للبيتين التاليين اللذين سبق أن صدرهما وعجزهما، وهما:

هات لي ذكر من أحـــب وخلـــى ... كل من في الوجود يرمى بسهمه
لا أبـــالي وإن أصـــاب فـــؤادي ... أنـــه لا يضـــر شيءٌ مع اســـمه

أصبحا بعد التخميس:

يا أخا الود دع مرام التسلى ... واغتنم لذة الهـــوى بـــالتملّى
وانتهز فرصة السرور وقل لي ... هات لي ذكر من أحب وخلـــى
كل من في الوجود يرمى بسهمه
أَعد اسم الحبيب فهو مرادي ... وارْوه لي بـــــصحة الإســـــناد
إن رموني بلومهم حـــسادي ... لا أبالي وإن أصـــاب فـــؤادي
إنـــه لا يضـــرّ شيءٌ مع اســـمه[2]

وكذلك:

إذا شئت أن تحيا سعيداً موفّقـــاً ... وإن متّ تلقى الله أحسن ملتقـــى
عليك بتقوى من له العزّ والبقـــا ... إذا لم يكن للمرء ثوبٌ من التقـــى
تجرّد عرياناً وإن كان كاسياً
فلا تخش في الدنيا سواه ولذْ به ... وأخلص فما للمـــرء مـــن كـــلّ
سوى طاعة الباري بإخلاص قلبه ... فخير خصال الـــمرء طاعة ربـــه
ولا خير في من كان لله عاصياً[1]

---

(١) الديوان ص ١٨٧
(٢) الديوان ص ٨٥

وكذلك:

وقفت بالبـــاب بـــاب الفـــتح أرجو نجاح نجاتي من حمى الحـــرج

فإن وجدت فذا أو لم أكـــن أجِ لا أبرح الباب حتى تصلحوا عوجي

وتقبلوني على عيبي ونقصاني

سعيي لنحو حماكم سعي معترف ومورديِ لرضاكم ورد مغتـــرف

وقد تفيأت في ظل الوفا الورف فإن رضيتم فيا عزي ويـــا شـــرفي

وإن أبيتم فيا ذلِّي وخسراني(٢)

ومن ذلك: تخميسه لأربعة أبيات ذكر أنـــها للعارف بالله ابن عطاء الله الإسكندري(٣):

تلاشت بي الأحوال يا رب دلّـــني عليك وأقبل بي إليـــك وأَوْلـــني

فأنـــت وليّـــي خـــالقي فتـــولّني تحيّرت لا علمٌ عليـــك يـــدلّني

ولا عملٌ يـــجدي ولا نيّةٌ تكفي

إلهي لقلـــبي في رضـــاك مطـــامع وأحوال نفسي دون ذاك موانـــع

إذا لم تعنِّي أنت فالحـــال قـــاطع ولا الصدق والإخلاص منّيَ نافع

تبرأت من نفسي إليك ومن ضعفي

إلهي أجرني من مُواقَعـــة الـــردى وأجل بنور منك قلبي من الصدا

وكن لي دليلاً في أموري ومرشدا إذا لم تكن أنت الدليل فلا هدى

وإن كنت لا تشفي من الداء من يشفي

وقفت بأبواب الغـــني وطرقتـــها ولذت بحاجاتي إليـــك وســـقتها

دعوتك فارحم وقفةً قد وقفتـــها فيا دعوة الـــمضطر قـــد حـــان

ويا بادي الألطاف جدْ لي باللطف(١)

---

(١)الديوان ص ٤٢

(٢)الديوان ص ٩٠

(٣) – هو أحمد بن محمد بن عبد الكريم، ابن عطاء الله الإسكندري ، متصوف شاذلي ، له تصانيف منها (الحكم العطائية) توفي بالقاهرة سنة ٧٠٩هـــ . الأعلام١/٢٢١

وكذلك نجده يقول:"وقلت مخمساً أبيات المرحوم العلامة مولانا السيد حسين بن علـــي المتوكل على الله(٢)":

قم قيام ممتسك ، بالتقى ومحترك،واحذ قــول ذي نــسك ، نحـــن في حمـــى ملـــك
ليس غـــــيره مـــــــــــــــــــــــــلكُ

واخضع لعزته ، وامتسك برحمتـــه ، فهـــو حبـــل عـــصمته ، لـــيس غـــير عروتـــه
للأنـــــام مـــمتســـــكُ

فالورى على فرق ، بين فاجر وتقى، من ســـعيدهم وشـــقى ، والجميـــع في طـــرق
نـــحو جـــوده احتركوا

إن نحاه مـــن قـــصدا، أو جفـــاه مـــن قعدا،أوتـــشعبوا قـــددا ، لا يـــضرّه أبـــدا
أي مســـــلك ســـلكوا

جل عن حجاي فُتىً، لا تزال حالكـــةً، حلّهـــا مـــشبكة ، يـــا غيـــاث كـــل فـــتى
عـــــلقت بـــه الشبـــــكُ

فـــالفتور حـــــمّلنا ، وزره وأثقلنـــا ،بـــالهموم أثقلنـــا ، مـــا علـــى ســـواك لنـــا
في مهمـــــــنا الـــدركُ

والـــنبي واســـطة ، للهـــدى ورابطـــة ، أغدقتـــه واكفـــة، الـــصلاة دائمـــة
كلما جرى الفـــــــلكُ

نـــال كـــل رغبتـــه ، مـــن وفى بذمتـــه ، مـــن صـــفا محبتـــه ، للـــنبي وعترتـــه
والصحاب من نسكوا (٣)

وقد يصدر ويعجز أبياتا ثم يخمسها بعد ذلك، فتصبح استعارة لهيكل مـــستعار،

---

(١) الديوان ص ٣٦

(٢) – هو الحسين بن علي بن الإمام المتوكل على الله ، إسماعيل بن الإمام القاسم ، شاعر مشهور من أهل اليمن، ولد سنة ١٠٧٢هـــ ، توفي سنة ١١٤٥هـــ وقيل ١١٤٩ هـــ . البدر الطالع ٢٢٣/١

(٣) الديوان ص ٣٧

وذلك مثل قوله:

لي مهجة كنت قبل اليوم أصرفها	للحب في كل مـا يـضني ويتلفهـا
ومذ بدت منكم الألطاف تتحفها	تركت كل طريـق كنـت أعرفهـا

زهداً ووجّهت وجهى نحو حيّكمُ

وحقكم وهواكم للمحب هـدى	لو شعّب الحب لي طرْق الهوى قـددا
لـما اتخذتُ إليكم غيركم رَشَدا	وما انتهجت طريقاً للـسوى أبـدا

إلا طريقًـا تؤدّينـي لربعكمُ

وقاني الله طول الـدهر بعـدكمُ	والحمـد لله إني صـرت عبـدكمُ
قصدتكم فغدوت الآن قـصدكمُ	فـأنتمُ أنـتمُ في القلـب وحـدكمُ

وما أنا في الورى إلا لكم بكمُ

حبلي بحبكمُ في الحـب متّـصل	وليس لي عـنكمُ سـلوى ولا ملـل
ما قط يحلو لقلبي دونكم بـدل	فكيف لي بـسواكم عـنكم شـغل

وكل كلي مشغولٌ بـحبكمُ

سيري إليكم بقلبي عين سـيركمُ	إليّ والخير لي مـن بعـض خيركـمُ
أشدو اشتياقاً إليكم شدو طيركمُ	فإن نطقـت فلـم أنطـق بغيركـمُ

وإن نظرت فقيد الطرف حسنكمُ

أوليتمونيَ من إحـسان بـرّكمُ	منائحاً ألهجـت نطقـي بـشكركمُ
فها أنا اليوم في طـوع لأمـركمُ	فـإن أفـه لم أفـه إلا بـذكركمُ

وإن سكتّ فشغلي عنكمُ بكمُ(١)

٢ - الهنات والضرورات الشعرية:

يقول القاضي الجرجاني في كتاب الوساطة: (ودونك هـذه الـدواوين الجاهليـة والإسلامية، فانظر هل تجد فيها قصيدة تسلم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القدح فيه؛

(١) الديوان ص ٨٦

إما في لفظه ونظمه، أو ترتيبه وتقسيمه، أو معناه، أو إعرابه؟ ولولا أن أهل الجاهلية جُدُّوا بالتقدم، واعتقد الناس فيهم أنــهم القدوة، والأعلام والحجة، لوجــدت كــثيرا مــن أشعارهم معيبة مسترذلة، ومردودة منفية، لكن هذا الظن الجميل والاعتقاد الحسن ســتر عليهم، ونفى الظِّنة عنهم، فذهبت الخواطر في الذب عنهم كــل مــذهب، وقامــت في الاحتجاج لهم كل مقام).[1]

لكن مما تقتضيه الموضوعية ذكر بعض الهنات التي رصدناها في ديوان شاعرنا،وهو مما لا يعيبه كل العيب أو يسقط شعره.

من ذلك وجود بعض الكلمات العامية أو الأساليب ذات الاستخدام العــامي في شعره الفصيح وهي قليلة، أما الشعر العامي فليس مجاله هذه الدراسة لأنه مبني على اللغــة العامية، وما يهمنا فقط هو الشعر الفصيح لنتأكد من خلوه من العامية أو تسربــها إليــه بأي صفة كانت.

من الألفاظ التي لها استخدام واسع بين العامة هي لفظة (سنّد) بمعــنى : ســلك الطريق الصاعد في الجبل، وهو ضد الانحدار والهبوط، وفصيح الكلمة (سَنَدَ الجبل) بدون تشديد أما المشدد وهو ما استخدمه الشاعر هنا فتعني في القاموس لبس (السّنْد) وهو نوع من البرود .

وكذلك كلمة (يمّ) بمعنى : جهة، في قوله :

وســعى بــــها يمّ الــصفا ... للمروة الغرّاء ثمّ محــدّرا [2]

ونلاحظ استخدامه كلمة (مسنّد) لنفس المعنى السابق .

وكذلك نجد الأسلوب العامي في قوله :

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه ، للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان ط١ ١٤٢٧هـــ، ص ١٤

(٢) الديوان ص ١٦٣

قعدت وفي يدي خفّا حـــنين وأعطاني قفاه وراح عنّـــي[١]

فعبارة (أعطاني قفاه) عاميّة، وكذلك كلمة (راح) بمعنى ذهب .

ومن الاستخدام العامي لفظة (المقسوم) بمعنى: ما قسمه الله لي، في قوله:

إذا كان هذا فطرتي وجبلّتي فمــــا حـــيلتي هــــذا نـــصيبي

ومن الألفاظ التي غلب استخدامها في العامية بالرغم من أصلها المعجمـــي كلمـــة (تزعق) في قوله:

فتزعق أمــه حاشــا وكــلا تريـــد بعـــاده عـــني نكيّـــة[٣]

وكذلك كلمة(المراغة) التي أضاف إليها كلمة(طفل)، ويقال عند العامة (طفل المراغة) كناية عن صغر سنه، إذ يلعب في التراب الناعم ولا يبالي بالانتقاد ومن المعلوم أن المراغـــة في اللغة هي التراب الناعم الذي تتمرغ فيه الحيوانات أي تتقلب فيه ، وقد وصفت الأتان بذلك، وشاعرنا هنا يصف نفسه بـــ (العزوم) أي قوي العزيمة، ويصم منتقده بـــ (طفل المراغة)، فيقول:

فاطّرحني من انتقاد الــمعاني لا يـــوازي العـــزوم طفـــل

أما الضرورات الشعرية ، التي لا يكاد يخلو منها شعر شاعر، فهي مما اختـــصت به اللغة الشعراء، فأجازت لهم ما لم تجزه لغيرهم، لأن الشعر لما كان كلاما موزونا يخرجه الزيادة فيه والنقص منه عن صحة الوزن، ويحيله عن طريق الشعر، أجازت العرب فيه مـــا لا يجوز في الكلام، اضطروا إلى ذلك أو لم يضطروا إليه؛ لأنه موضع ألفت فيه الـــضرائر. (٥)

(١) الديوان ص ٢٩٦

(٢) الديوان ص ٤٣٨

(٣) الديوان ص ٣٠٢

(٤) الديوان ص ٤٢٩

(٥) انظر: كتاب (ما يحتمل الشعر من الضرورة) لأبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، تحقيق وتعليق د. عوض بن حمد القوزي ،ط ٢ ١٤١٢هـــ ، وكتاب(ضرائر الشعر) لأبي الحسن

من هذه الضرورات الشعرية قصر الممدود، وقد أجمع النحويون على جوازه، غـــير أن الفراء يشرط فيه شروطا أهملها غيره، وقد أكثر منه الشعراء في هذا العصر حتى أخرجـــوه من حد الضرورات إلى حد المباحات، وهو وإن كان مما تجيزه الضرورة، إلا إن الإسراف في استخدامه يهجّن الشعر، فكيف به إذا أحال المعنى إلى ضده. (١)

كلمة (الكباء) في اللغة تعني : الرائحة الطيبة للند، ولكن يتحول معناها إلى معنى مضاد عندما نقصرها، فكلمة (كبا) في اللغة تعني : الرائحة الكريهة من روث وشـــبهه، وهي تتكرر عند الشاعر في أكثر من موضع. فنجده يقول:

والصبا تـــهدي لنا في ظلها　　　　أرجا ينسيك منثور الكبا (٢)

ويقول :

أهـــدت تَحيَّـــات ذُكـــا　　　　من عرْفها طيب الكبـــا(٣)

ويقول :

وهبّ في روض لحْد ضـــمّ　　　　روح القبول شذاها عبـــهر

وقد أبيح قصر الممدود للضرورة الشعرية ، وهو مما تتقبله الذائقة إن لم يتجاوز الحد، لأن قصر الممدود تخفيف، والعرب من مذهبها التخفيف بالحذف وغيره، كما أن قـــصر الممدود إنما هو حذف زائد ورده إلى أصله، ولكن الذي تنبو عنه الذائقة الشعرية السليمة هو مدّ المقصور، الذي لم يجمع النقاد على إباحته(٥)، ويعذرون في ذلك لأنه مظهر تكلف

علي بن مؤمن بن محمد الحضرمي الأشبيلي المعروف بابن عصفور، ط١ ١٤٢٠هـــ دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان

(١)انظر:ما يحتمل الشعر من ضرورة للسيرافي ص ١٠٧ ، وكتاب ضرائر الشعر لابن عصفور ص٩١

(٢)الديوان ص ١٣٦

(٣)الديوان ص ١٣٨

(٤)الديوان ص ٢٣٦

(٥) انظر: ما يحتمل الشعر من ضرورة للسيرافي ص ١١٤ .

ونبوّ، وقد اتبع شاعرنا مذهب المرخصين به، فنجده يمدّ كلمة (العلى) في قوله:

وطريق العلاء صعبٌ علـــى ساد، وعزٌ به الأنام نزول[1]

وقوله :

مشى القهقـــرى بـــالأمثلين بـــهم مـــن عـــلاء للحـــضيض

وقوله :

هوى من سماء المجد بدر علاء وأظلم أفق المجد بعد ضياء [3]

وكذلك مد كلمة (العمى) في قوله :

فهمُ الوجوه ولا جمال عليهم وهمُ العيون في العيون عماء

وقوله :

فيا ويح قلـــبي لم يـــزل في على الطمس لم يطرف بتبصرة طرفا [5]

ومدّ كذلك كلمة (الحشا) في قوله :

أنـــت أحرقـــت بـــالولوع أنت حرّكت للربوع سكوني

وكلمة (القذى) في قوله:

وآفاتـــها لذاتـــها وصفاؤها قذاء وصفو العيش عين وبالها

وكلمة (حرّى) في قوله:

---

(١)الديوان ص ٢٠١

(٢)الديوان ص ٢١٥

(٣)الديوان ص ٢٣٣

(٤)الديوان ص ٢٨٨

(٥)الديوان ص ١٩٤

(٦)الديوان ص ٢١٩

(٧)الديوان ص ٦٢

لي مهجة حراء من وجـــدها　　　لها التهابا نفس صـــاعد [1]

وكذلك (رجوائي) و (مثوائي) في قوله:

سعيت بصدق القـــصد في نيـــل　　　وصاحبت حسن الظـــن في كـــشف

قطعت الفيـــافي ســـائراً متيقنـــاً　　　بأنـــك تـــدنيني وتكـــرم مثـــوائي[2]

وقد يجتمع قصر الممدود ومد المقصور في بيت واحد وذلك في مثل قوله:

صار مثل الهبا فلم يبـــق منـــه　　　فوق فرش الضناء شيئاً يـــراه[3]

ومن الضرورات الشعرية المتصلة بالهمز قطع ألف الوصل، وقد أجاز النحويـــون ذلك في الشعر حال الضرورة؛ لأن لها أصلا تثبت فيه وهو حال الابتداء بـــها. [4]

إذا نجد الشاعر يقطع همزة الوصل في فعل الأمر (ابسطوا) ، وبـــدون ذلـــك لا يستقيم الوزن، وذلك في قوله:

فأبسطوا له يـــد الكرامـــه　　　وأجزلوا بـــبرّكم إنعامـــه [5]

وقوله :

و(أصحب) فؤادي حيث يممت　　　ورفقاً بمصحوب المسير على الوخد

وقوله :

و (أستجلها) حسناء وارفع　　　ففي طيّها من نشر هذا الجدا

---

(١) الديوان ص ٧٢

(٢) الديوان ص ١٣٢

(٣) الديوان ص ٣٣٧

(٤) انظر:ما يحتمل الشعر من الضرورة لأبي سعيد السيرافي ص٧٩، وضرائر الشعر لابن عصفور ص٤١

(٥) الديوان ص ٢٣٢

(٦) الديوان ص ١٥٥

(٧) الديوان ص ١٠٧

كما نجده يصل همزة القطع، و لم يُجز ذلك حتى في الضرورة الــشعرية، وذلــك قوله:

أفضل الخلق و(اكرم) الرسل	**سيد الكائنات زاكي الأصول**

إذ لا يخفى أنه لو قطعت همزة(أكرم) لاختل الوزن.

ومن الضرورة الشعرية تسكين المتحرك وتحريك الساكن، وهــي مــن الــضرورات المستساغة والتي قد لا يُتنبّه لها[٢] ، من ذلك تسكين الراء في كلمة (الطرُق) جمع (طريق) في قوله:

أرى من يجى للمجد من غير	**وما نال مما قد نحــاه ســوى**

وقوله :

وحيــاة الإنــسان مــوردةُ	**إنما الطرْق دونه وعــره** [٤]

وقوله :

هكذا حالة أرباب الهــوى	**طرْقهم في الحب مــثلاوات**

ومن ذلك تسكين واو الضمير (هو) في قوله :

نعم هم ذوو سعد بن زيد بن	**صدور العلا حيث المجــامع**

وتسكين الهاء في قوله :

دلٌّ وإعجـــاب وواش لـــه	**إذا وشى بهْ فعْلَة المقرض** [٧]

---

(١)الديوان ص ١٩٨

(٢)انظر: ما يحتمل الشعر من الضرورة لأبي سعيد السيرافي ص١٣٥.

(٣)الديوان ص ٥٣

(٤)الديوان ص ٥٥

(٥)الديوان ص ٧١ . ومثلاوات: جمع (مثلى) وهي الطريقة الأقرب للحق، وهي تأنيث الأمثل: ذو الفضل الذي يستحق أن يقال أمثل قومه. لسان العرب(مثل)

(٦)الديوان ص ١١٦

(٧)الديوان ص ١٨٨

ومن الضرورة الشعرية وضع الجمع موضع المفرد[1]، حيث عبر الشاعر عن لفظة(كبد) بالأكباد،وعن (ضمير) بضمائر ، وذلك في قوله :

فأذاب أكبادي أسى وجوى　　　وأساها دمعاً على خدّي [2]

وقوله :

ويا لهف أكبادي أسى　　　فقد أسهمتها عن قسيّ

وقوله :

فأنت خبيرٌ بالذي في　　　وفي غنْية عن شرْح ما كنّه

وقوله :

فقلبي مأواها وعين ضمائري　　　تشاهدها في غيبة وحضور[5]

وهناك من الألفاظ ما استعمله الشاعر لغير معناه بسبب الضرورة الشعرية ، واعتمادا على أنها ألفاظ من جذر واحد، فلم يتنبّه الشاعر لمعناها الدقيق ، فكلمة (الضنن) في اللغة تعني: الرجل الشجاع، استخدمها شاعرنا بدلاً من كلمة (ضنين) ظناً منه أنها تؤدي المعنى نفسه ولكنها تعني خلاف ذلك حيث (ضنين) تعني البخيل وهو ما أراده الشاعر، لأنه أراد أن يتحدث في البيت عن عارض غير ممطر ويصمه بالبخل، بقوله:

فما أرى غير عارض ضنن　　　أنّى لسحب يسحّ خلّبها

ومنها كلمة (تستقصي) من الاستقصاء، استخدمها الشاعر بمعنى (الإقصاء) أي: الإبعاد وذلك في قوله:

موانع تستقصى الغريب من　　　وتستقرب المقصى عن الخفض

---

(١)انظر: ضرائر الشعر لابن عصفور ص١٩٩ .

(٢)الديوان ص ٧٦

(٣)الديوان ص ٢٤٠

(٤)الديوان ص ٩٧

(٥)الديوان ص ٢٨٢

(٦)الديوان ص ١٤٣

وكذلك نلاحظ (تستقرب) استخدمها بمعنى (تقرّب) ، ومن ذلك كلمة (الحضّ) في قوله :

فيا ويح نفسى كلما ارتفعــت شؤون رماها الزيغ في هوّة الحضّ

فالمعنى كما يتضح من السياق أن الشاعر أراد (الحضيض) وهو مستقر الأرض عند سفح الجبل، بينما (الحضّ) ضرب من السير وهي تحمل معنى (الحثّ) .

ومما استخدمه لغير معناه من الألفاظ كذلك كلمة (دعــاة) جمــع (داعـــي)،إذ استخدمها بمعنى (الأدعياء) جمع (دعيّ) ، وذلك في قوله:

واليوم من قبح الزمان وأهله شـــغلت بـــــهجو دعاتــه

وكذلك من الأخطاء الصرفية التي وقع فيها الشاعر، وكان له مندوحة عنها جمعه (لييلة) تصغير (ليلة) على (لويلات)، والصواب (لييلات)، وذلك في قوله:

يارعى الله لويلات مــضت لي بذاك الحيّ في أهنا اقتراب

وإذا كان من الضرورات ما لا يُجمع على إباحته، ولكن أجازه بعض النقاد على مضض، وهو مما يبقي في الذائقة قذى، وفي الوزن غصة، فهناك ما يرتكب باسم الضرورة الشعرية، وهو ما لا يغتفر و لم يجزْه أحد من الأولين والآخرين، وهو أقــرب إلى العجــز والتمرد الفوضوي، ذاك هو اللحن وتجاوز الحركة الإعرابية، فنحن نعلم أن ما أبيح في هذا الجانب هو صرف الممنوع ومنع المصروف فقط أما غيره فلا، ولكننا نجد شاعرنا يقع في هذا المحظور، وهو وإن كان في نطاق ضيق وفي كلمات محدودة إلا أننا لا نقبل به من مثل شاعرنا الذي لمسنا عنده لغة رصينة تنبي عن إلمام وحذق ومعرفة بـــدقائق اللغـــة، وقـــد اضطرّنا في كثير من المواضع للولوج إلى معاجم اللغة للبحث عن معان لألفاظ غريبة أتى من أعماق اللغة السحيقة، ولعل ما وجدناه من هنات نحوية ترجـــع إلى خطـــأ النـــساخ

---

(١)الديوان ص ١٨٦

(٢)الديوان ص ١٨٦

(٣)الديوان ص ٢٨٨

(٤)الديوان ص ١٣٤

وتعديلاتـــهم ، أو لعله مما بدا لشاعرنا أثناء الإملاء والتدوين من استبدال لفظة مكـــان لفظة وفات عليه التدقيق النحوي وانصرف ذهنه لاستقامة الوزن المعنى .

من الأخطاء النحوية التي رصدناها حذف النون من الأفعال الخمسة بغير موجب، وذلك في قوله:

شرفي نسبتي إليكم وعــزّي   في امتثـــالي لـــــما إليـــه

وكذلك جزم الفعل المضارع بلا موجب، في قوله:

مـــا لـــه في غيركـــم أربٌ   لا ولا يَجْـــنحْ إلى بـــدل[2]

وكذلك تجاهل نصب الفعل المضارع المعتل بالياء(تبكي) ليستقيم الوزن، بينمـــا نصب الفعل(يبدي) في البيت الذي يليه، وذلك في قوله:

ليس يجدي الـــمرء أن تبكـــى   وتفيض الدمع مـــدراراً جفونـــه

ليس يجدي الـــمرء أن يبـــديَ   لهوى قـــد شـــبّ في الأحـــشا

والفعل (تلاقي) في قوله:

فإنيَ قد وجّهت وجه مقاصدي   إليك لعلمى أن تلاقيه بالبشر[4]

وكذلك(يلاقي) و(تشتكي) في قوله:

ولا مشُوقاً تعنّى واعتنى بكـــمُ   بأن يلاقى عنًـــا في الحـــب أو

ولا محبًّا صفى في الحب مشربه   بكم بأن تشتكى الأحشاء منـــه

والفعل (يعتري) في قوله:

حجبوك عـــن مقـــل الأنـــام   أن يعتريهم لَحْظـــك البتّـــار[1]

---

(١)الديوان ص ٧٧

(٢)الديوان ص ٨١

(٣)الديوان ص ٦٦

(٤)الديوان ص ٩٧

(٥)الديوان ص ٨٤

والفعل (يضاهي) في قوله:

رام بدر التم إشراقا وزهـــوا أن يضاهيه وأن يدعى شقيقه[٢]

والفعل (يصحي) في قوله:

قلت ولم أفعل وأنّى لــهــــــ ـــذا النصح أن يــصحيك مـــن

وكذلك تجاهل نصب الفعل(تعلو) المعتل بالواو في قوله:

لابدع أن تعلو على غيرهـــا فسيِّد الناس لها قـــد ملـــك[٤]

وقوله:

يتمنَّى البـــدر أن يغـــدو لَهَـــا شَنَفًا لكـــنْ بـــه لا تتحلّـــى[٥]

وتجاهل نصب (أيادي) وهي اسم (إنّ) في قوله:

إن أياديـــــــك لَهَـــــا بـــــسْطةٌ باجود للوفّاد منها الـــشمول[٦]

وكذلك جزم الفعل المضارع بلا موجب في قوله:

ما له في غيركم أربٌ لا ولا يجـــنح إلى بـــدل

و لم يكن ثمة اضطرار لهذا الخطأ ، فاستبدال (لا) النافية قبل الفعل بـــ (لم) الجازمة يحقق الجزم مع استقامة الوزن والمعنى.

ومثاله كذلك قوله :

ليس يُجْدي المرء أن تبكـــي وتفـــيض الـــدمع مـــدراراً

(١)الديوان ص ٣٢٣

(٢)الديوان ص ٣٢٧

(٣)الديوان ص ٤٥

(٤)الديوان ص ١٣١

(٥)الديوان ص ٢٢٧

(٦)الديوان ص ١٣٣

(٧)الديوان ص ٦٦

فالفعل (تبكي) إذا نصب اختل الوزن.

وكذلك الفعل (تحصي) في قوله :

لا بـــدْع فهـــو أجـــلّ أن تُحْصي مناقبـــه الـــدفاتر[1]

ومما اضطرت إليه الشاعر الضرورة الشعرية استخدامه لبعض الألفاظ لتؤدي معنى غير معناها الدقيق، فمن ذلك كلمة(نكص) وهو مما اضطره إليه ركوب القافية الصعبة، وذلك في قوله:

يذكر الحـــب وهـــذا دأبـــه هذه حالة نـــاء قـــد نكـــص[2]

فكلمة(نكص) معناها أحجم ورجع عن الخير خاصة[3]، استخدمها الشاعر هنا بمعنى الإياب أو العودة من السفر.

ومثلها استخدامه لكلمة (الأحشاء) في قوله:

فإن غاب عنّا شخصه فهو حاضـــرٌ بأحـــشائنا والـــذكر في النطـــق

استخدمها بمعنى(القلوب)، وقد اضطره الوزن لذلك، وكلمة (أحـــشاء) لا تـــؤدي المعني بل قد تسئ إليه.

كما يستخدم الشاعر بعض الكلمات الفصيحة، لكنها تنبـــو في الـــسياق الـــذي استخدمها فيه، بل تبدو غير شعرية، مثل كلمة(التخميش) و (العض) في قوله:

وأشهى من التخميش في خـــدّ مُـــمنّعة عـــن مطمـــح اللـــثم

وكلمة (أشداقه) في قوله:

يجيب على هذا السؤال مُبَـــرَّزٌ تفوه بما في الـــصدر أشـــداقه

---

(١)الديوان ص ١٧٠

(٢) الديوان ص ٧٩

(٣) لسان العرب (نكص) .

(٤) الديوان ص ١٠٢

(٥) الديوان ص ١٨٥

فشدق واحد قمين بأن يحدث نتوءا في البيت، فما بالك بالأشداق مجموعـــة، ولا سيما والمقام مقام مدح.

٣- الصورة البيانيةوالمحسنات البديعية:

أ- الصور البيانية:

وهي لازمة من لوازم الشعر ، وسمة بارزة من سماته، وإحدى المكونات الأساســية لبناء القصيدة.

وتعد الصورة الشعرية إحدى الوسائل الرئيسة التي يتوسل بـــها الشاعر ليــصور مـــا بداخله من عوالم، وعن طريقها يظهر العلاقات الخفية بين الأشياء، لأن الــشاعر يتميــز بحساسية وذكاء وخيال عميق يجلي له أعتم المواقف، ولهذا تكون له رؤيته الجمالية الـــتي تتجاوز المحسوس السطحي ، تلك الرؤية التي يريد أن يبرزها في معـــرض خـــاص، إلا أن اللغة التقليدية لا تعينه على ذلك ، فيحاول أن يتجاوز هذه اللغة لإقامة علاقات مختلفـــة تنتج لغة جديدة تفي بمتطلباته الجمالية والمعنوية، لذلك كان لزاما أن تـــدرس الــصورة انطلاقا من اللغة، لأن الظاهرة الشعرية ظاهرة لغوية.

يقول أحمد الشايب:" إن اللغة القاموسية إنما وضعت في الأصل لتعبر عـــن الحقـــائق والمسائل العقلية، فإذا ما أراد الأديب اتخاذها لأداء الانفعالات النفسية شعر بأنـــها دون

---

(١) الديوان ص ٢٠٥

ما في نفسه من قوة العاطفة وحرارة الشعور، لذلك يحاول اصطناع لغة أخرى تسمو إلى مستوى نفسه الثائرة، وتستطيع تصوير ما فيها من آثار القوة الوجدانية، فيلجأ إلى الصور التي تجسم المعاني، وتنقلها إلى درجة أرقى لتزداد قوة وجمالا، يلجأ إلى التشبيه أو الاستعارة، أو الكناية أو المبالغة أو التخييل".[١]

وليس هدف الصورة التعبير عن الفكرة فحسب، وإنما تعكس ما يشعر به الشاعر من امتزاج بين الفكرة التي يريد التحدث عنها والعاطفة التي تضيف إلى الواقع الشيء الكثير. [٢]

ويعد المجاز من أهم الطرق التي تتشكل منها الصورة، ويدخل في المجاز التشبيه والاستعارة[٣]، ومن الأنسب ألا تعزل دراسة التشابيه عن دراسة الاستعارات، لأنهما وجها الصورة، ومع ذلك يجب عدم الوقوع في المبالغة بتوحيد هذين النموذجين من الصور على نحو ما[٤]،

وتقوم الاستعارة بما يقوم به التشبيه، وهي أساس الصور الشعرية لأنها سيدة المجاز؛لأنها أكثر قدرة على تخطي الواقع ورسم صور جديدة[٥].

ومن الأبيات التي زاوجت بين التشابيه والاستعارات أبيات للجداوي يصوغ فيها صورة طالما تكررت عند الشعراء، ولكنها صورة متجددة تستمد تجددها ممن تتحدث عنه ألا وهو تعاقب الليل والنهار، حيث نجد الشاعر يفتتح أبياته بالتشبيه، فيشبه كلا منهما، ثم يشرع بعد ذلك في إحداث حراك بين هذين المشبهين ، ليدّعي لهما إرادة الصراع، ورغبة كل منهما في إزاحة الآخر،يقول :

---

(١) أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ط٨ ١٩٧٣م، مكتبة النهضة المصرية ص ٣٣

(٢)انظر: فصول في الشعر، للدكتور أحمد مطلوب، المجمع العلمي ،بغداد ١٤٢٠هـ ص ١٦٤

(٣) السابق ص١٦٩

(٤) انظر:الصورة الأدبية، فرانسوا مورو، ترجمة علي نجيب إبراهيم ،ط١٩٩٥م،دار الينابيع، دمشق، ص٣٠

(٥) فصول في الشعر لأحمد مطلوب ص١٧٠ .

أقبل الصبح وهو وجه جميل　　يطرد الليل وهو وجه أغمّ

فكأن الدجى ويقفوه نـــور　　ـــر زنجٌ لها من الروم هزم

وجرى أشهب النهار فلـــم　　ـــق لـــــمجراه بالهزيمـــة

ويقول في القصيدة التي تليها :

وتوارت شمس النهار حيـــاء　　لمحيـّــا بدر الـــدجى وهـــو

ليلنا صدره طوى الـــشمس　　لم يذْعه والليل للسر كـــتْمُ

وكأن النهار يتلـــوه جـــنح　　ـــل رومٌ لها مـــن الـــزنج

في القصيدة الأولى تحدث الشاعر عن صبح أعقب الليل الأغم، فشبّه الدجى ونور الفجر بزنج يعقبها روم ، أما في القصيدة الثانية فكان الحديث عن ليل أتى عقب نـــهار وهو غير الليل الأغم في القصيدة السابقة، بل هو ليل يزيّنه البدر الذي أخجل الـــشمس فجعلها تتوارى ، هو ليل يكتم الأسرار ، فشبه النهار وجنح الليل بروم تـــهزمها زنـــج، وفي الصورتين ثمة هزيمة من الروم للزنج ومن الزنج للروم، ونلاحظ أن الفارق في التناول يكمن في محور الأبيات فالقصيدة الأولى بدأ الشاعر بالحديث عن الصباح فهو منحاز له، أما في الثانية فالشاعر ينحاز لليل ببدره وسكونه، ولعل الشاعر يرى في هذا الفـــارق في التناول مبرّراً لهذا التكرار المتتالي، ولا يخفى ما في الصورتين من الاستعارات التي تجاوزت بـــهذين المشبهين كينونتهما المعهودة.

وتشبيه ولوج الليل في النهار وولوج النهار في الليل وإلغاء كل منهما للآخر، قديم طرقه الشعراء ، ومن أشهر من أكثر فيه ابن المعتز ، كقوله:

غدا والصبح تحت الليل باد　　كطـــرف أشـــهب ملقـــى

وقوله :

وكأنا وضوء الصبح يـــستعجل　　نطـــير غرابـــا ذا مقـــادم

---

(١) الديوان ص ٢٦٥

(٢) الديوان ص ٢٦٥

(٣) أسرار البلاغة ١٧٠ .

وقوله :

والصبح في طرّة ليل مسفر كأنه غرّة مهــر أشــقر[2]

وقوله :

والليل كالحلة السوداء لاح من الصباح طــراز غــير

ولابن المعتز في هذا المعنى كثير من الأبيات .

ومن الاستعارات استعارة الشاعر السجود للعقل والقبلة للحسن، وذلك في قوله:

ليس إطراقى إذا ما لحت لي سلوةً عنــك ولا قــصدًا

إنما أطرق إكرامــاً لكــى يسجد العقــل علــى قبلــة

وكذلك جعله ممدوحة قبلة للأدب، تتجه لها الخواطر في صلاتــــها، فيتجــاوز بذلك اللغة القاموسية، ليفجر من خلال البيت طاقات ومعاني جديدة، وذلك في قوله:

يا قبلة الأدب الــتي صــــلّت لكعبتــــها

ويسترسل الشاعر في استعارته لهذه المعاني الإيمانية التعبدية، ليولد من خلالها معانيَ ترضي ذائقته الشعرية، فنجده يحدثنا عن نشر الصبا كيف يستطيع أن يعلم غصون الربــا لذيذ الخشوع، فيقول:

حيث نشر الصبا يعلّم أفنــا ن غصون الربا لذيذ الخشوع[6]

ويتحدث عن فروسية اليراع وصاحبه، حيث يصبح للطروس ميدان تصول وتجول به الأدباء، فكأن اليراع في يد صاحبه فرس نـــهد يصول به ويجول، يقول:

---

(١) أسرار البلاغة ١٧٧ .

(٢) أسرار البلاغة ص٢١٠ .

(٣) أسرار البلاغة ص٢٢١ .

(٤)الديوان ص ٤٤١

(٥)الديوان ص ١٦٩

(٦)الديوان ص ٢٦٢

إلى خير من هــزّ الــيراع بنانــه وجال بميدان الطروس له نَــْهد[1]

ويحاول أن يحشد أدواته البيانية لإطراء قصيدة، فيجعل للزمان أذنًا تشنف، ويعلن عجزه عن نعتها، حيث باءت محاولته لتشبيهها بالسحر بالفــشل، وكــذلك تــشبيهها بالروض، وانتهى الأمر أن صار للصبا فم يكاد أن يرشف هذه القصيدة، يقول:

جاء الــمشرّف لا عدمت مفوّفه وأتى بمعجزة لــديّ مــشرّفَه

أحيا به زهر القــريض إصــابةً وسما لها أذن الزمــان فــشنّفه

فلَوْ أنَّني شبّهت سحر بيانـــها بالسحر قالوا لم تزدنا معرفــه

أو قسته بالروض ســال معينــه شهداً وكاد فــم الــصبا أن

ويسترسل مع هذه الصبا التي يربطه بـــها ودّ قديم طالما لهج به، فنجدها تخطـــر وفوق ذلك تـــهينم ، ولا غرو إن خطرت تناجيه فهي الصبا النجدي، يقول:

خطرت مهينمة الصبا النجدي فنشقْتُ نفحة طيبـــها النـــدّي

خطرت تناجيني وقد عبقـــت أنفاســـها بـــالعنبر الـــوردي[3]

كما ألف الشاعر ذكر أماكن لهج بـــها في شعره كثيرا، وهي أماكن طالما لهج بـــها الشعراء المتغزلون، وجعلوها رمزا للحنين حتى تجاوزت كونـــها أماكن معينة وصـــارت رمزا لكل حنين يتجاوز الشاعر بذكرها ذلك المعنى المحدود للمكان،مما حـــدا بـــشاعرنا ليستعيرها لأعضاء جسمه التي تكن الألم والآهات، فيستعير (اللوى) لحشاه، و (الشعب) لقلبه، و(المنحنى) لأضلعه، فيقول:

لكم في لوى الأحشا حمـــىً عـــامر ومرعى بشعب القلب روضته غنّا

وبالـــمنحنى من أضـــلعي ســـوح لكم في حمـــى فيحائـــه المجلـــس

---

(١)الديوان ص ١٠٦

(٢)الديوان ص ٤٣٠

(٣)الديوان ص ٧٥

(٤)الديوان ص ٨٨

وتَعْجِز اللغة العادية أن تفي بمطلبه في التعبير عن وصف السهاد الذي قرح مقلته، فيجعل الغمض طائرا له وكر فارقه ذلك الطائر، فيقول:

أبيت الرجا سهدا بمقروح مقلة جفا وَكْرَهُ مـــن جفنـــها طـــائر

وقوله مصوراً لوحة البرق والرعد، وكأن الرعد حادٍ يحدو بالسحب ويسوقها :

وما سرى البارق من بـــارق وما حدى بالـــسحب حـــادي

ويخفق الشاعر في صوره — أحيانا — فتخونه ملكة التصوير، فتأتي الـــصورة الـــتي رسمها غير موفية بالغرض الذي ساقها من أجله ، مثال ذلك نجده عندما يريد أن يقنع من راعه شعر العارضين وأخمل جماله، بأن ذلك مشبهٌ ليد موسى التي بدت بيضاء في أثنـــاء الشعر، ثم يردف الإخفاق بإخفاق آخر، وذلك حين أتى بصورة أخرى ليقنع هذا المرتاع أن وجهه زاد جمالا باجتماع هذين النقيضين، كما أن البدر يزيد بـــهاء وقت السحر في الدجى ، وقد غاب عن الشاعر أن البدر يغيب قبل وقت السحر، يقول(٣):

لايحزننّك نبت الخد حين بـــدا ولا تأسّف على ماض من العمر

ولايروعك شعر العارضين فكم بدت لـــموسى يدٌ بيـــضاء في

أبشر فوجهك قد زادت محاسنه وهل يرى البدر إلا في دجـــى

ومن التشبيهات التي كررها في هاتين القصيدتين إضافةً إلى تشبيهه الليـــل والنـــهار بالزنوج والروم تشبيه الخمر بالروح والكأس بالجسم الذي تحلّه هذه الـــروح، يقـــول في الأولى:

واجل كأساتـــها على الـــشرب فهي روح الروح لها الكـــأس

---

(١)الديوان ص ١٨٥

(٢)الديوان ص ٢٣

(٣)هذا من الغزل بالمذكر المرفوض شرعا وعرفا ، وهو مما لا تقبله الذائقة السليمة ولا تستسيغه، وقد أوردناه هنا من باب الاستشهاد على أمور فنية، ولنلقي الضوء على أدوات الشاعر الفنية.

(٤)الديوان ص ٢٧٠

(٥)الديوان ص ٢٦٥

ويقول في الثانية :

فأدرها روحاً من الخمر قـــد   م بـــها من بلّور كأســـك

ومن الصور التي لم يحترس في رسمها قوله:

يا سالكاً في مجـــاري الـــروح   منّي ومبدل نطقى فيه بالخرس(٢)

فالشاعر أراد أن يجعل هذه الحبيبة بمثابة الحياة، ولو اكتفى بمجاري الروح لكان له ذلك، لكنه أردف بكلمة(النّفَس) التي أعطت إيحاء غير مقبول، إذ يستدعي ذكر هذه المجاري ما يكون فيها من أخلاط وغيره.

وشاعرنا متأثر في هذا بالأقدمين، في تشبيهاته، ومن دلائل تأثره قوله:

كأنّ الثريّا إذ تلوح وتختفى   من الموج مرفوع بمنحـــدر

وبدر السماء نـــونٌ بنحـــر   تكاد شباك النجم ترديـــه

إلى أن بدا الإصباح يـــنقض   قوادم باز جدّ في إثر منقضّ

ومن التشبيهات التي استدعاها شاعرنا من التراث تشبيه جسمه الذي أنحله السقم وكاد أن يخفى من شدة النحول، وقد طرق هذا المعنى كثير من الشعراء ومـــن أشـــهرهم المتنبي ، حيث يقول:

كفى بجسمي نحولاً أنني رجلٌ   لولا مخاطبتي إياك لم ترني(٤)

وقوله قريب منه :

ولو قلمٌ ألقيت في خط رأسه   من السقم ما غيّـــرت في خـــط

---

(١)الديوان ص ٢٦٦

(٢)الديوان ص ٤١٨

(٣)الديوان ص ٤٢٢

(٤)ديوان المتنبي شرح العكبري ١٨٦/٤.

(٥)ديوان المتنبي شرح العكبري ١٤٩/١.

نجد هذا المعنى يتكرر عند شاعرنا ، فهو يقول :

وما ثَـــــمَّ لي جـــسمٌ يُــرى ولولا أنيني لم يكن لي من وُجد
وكيف يُرى جسمٌ عفا رسمـــه وقد لُفّ من نسج الــصبابة في

ويقول:

ذبتُ حتى خفيت عن كـــلّ فكأني في ظاهر الوهم وهم

وتارة يتحول إلى كائن مجهري لايرى بالعين المجردة، إلى الدرجة الـــتي تجعلـــه ينتقل في قطرة ندى دون أن تحس به هذه القطرة، يقول:

لو شئت زرتكمُ في وسْط لؤلؤة من الندى لم يحط بهْ علمها خبرا

وبعد عدة أبيات يعود إلى إعادة تصوير حالة النحول من زاوية أخرى، فيقول:

يذيبه الشوق لـــولا أن تجـــسّمه ريح الصبا لم يلح عيناً ولا أثرا(٣)

ويستمر في وصف هذا النحول حتى تصل المبالغة حدها، فيصور حالة جـــسده ليجعله شبحا لا يُرى بالعين، ولا يُحس له أثر مادي باللمس:

زارني عائدي ولم يـــرَ منّـــي جسداً شفّهُ الضنا فمحـــاه
صار مثل الهبا فلم يبق منـــه فوق فرش الضناء شيئاً يراه
قال لي أيـــن أنـــت قلـــت قال حيث الأنين قلت: أنا
ثم أهوى نحوي يديه التماسا فبكى حين لم تجدني يداه(٤)

ويصف دارا فيرى فيها أن محاسنها تبهر الناظرين، فيجعلها (قيد اللحاظ)، يقول:

تراءت بما يزهى النواظر رونقـــا كما تتراءى الخـــود في الحلـــل

---

(١)الديوان ص ٣١٦
(٢)الديوان ص ٣٩
(٣)الديوان ص ٤١٦
(٤)الديوان ص ٣٣٧

محاسنها قيد اللحاظ فما تــرى لها من نظــير قــطّ في ســالف

ويتخذ الحب والدمع والسلافة مادة يصور بــها حالة المحب ، فيقول:

يا حبذا حب والدمع المحبّــب لي سلافة الحب تطفو فوقها الحبَب[٢]

ب- المحسنات البديعية:

المحسنات البديعية سمة بارزة في شعر هذا العصر بل هي أبرز السمات، إلى الحد الذي جعلها مدار إبداع الشاعر، والشاعر ليس بمعزل عن شعراء عصره وشعرهم.

من أبرز المحسنات التي لا تخفى على النظرة الأولى في ديوان الشاعر الجناس الذي لا تكاد يخلو منه قصيدة أو مقطوعة، حيث نجد الجناس التام في قوله:

وما سرى البارق من بــارق وما حدى بالــسحب حــادي

(١)الديوان ص ٢٢٦

(٢)الديوان ص ٣٩٤

ولا يخفى الجناس بين لفظتي (البارق) و(بارق) فالأولى من (البرق) والثانية اســـم موضع، وثمة علاقة بين اللفظتين غير المجانَسَة، فكلتاهما توحيان بالأمل حيث المطر ولقـــاء الأحبة.

وكذلك قوله:

فدم في سرور يا سرور زماننا فإنك شمسٌ والعلا لك مطلع[٢]

فالجناس هنا يكثف حالة السرور التي أراد الشاعر أن يتمتع بـــها الممدوح، ويـــصف بـــها الحالة التي تعيشها الرعية بوجود هذا الممدوح.

وكذلك كلمتا (الصدى) في قوله:

ولقد دعوتك ناحلاً وعذرت عدم الجواب ومن يـــصيخ إلى
خفّض عليك فأنت منّي يا فتى بمكانة تجلو عن القلب الصدا[٣]

فكلمتي (الصدا) هنا لها تتولد عنها إيحاءات سمعية وبصرية مثل الصد والصدود.

ويأتي بكلمة (الرشأ) فيخفف همزها لتجانس الفعل (رشا) من الرشوة:

رشا قد رشا نون اصطباري بجفْنـــه فما وَقَت القلـــبَ الــــمعنّى مـــن

ومن بديع الجناس المرفو الموهم ، حيث جانس بين كلمة (أوقاته) جمع وقت و(أو قاته) التي عبارة عن الحرف(أو) وكلمة(قات) اسم نبات ، وذلك في قوله :

لله بـــــل للأنـــــس ماجــــد يجلو الهموم بــــه صــــفا أوقاتـــه
لم أدر حين غدوت مـــسروراً طربي لحسن حديثه أو قاتـــه[٥]

وبين (عاملنا) من المعاملة ، و(العام لنا) بمعنى (سَنَتنا) ومنه قوله :

---

(١)الديوان ص ٢٣
(٢)الديوان ص ١١٥
(٣)الديوان ص ٤٠٩
(٤)الديوان ص ٣٢٠
(٥)الديوان ص ٤٠٢

كلكم يحمـــد ذا العـــا **م ولا عاملنــــــــــــــــــا**

ليت من عاملكم يتـــــــ **ـــرك ذا العـــام لنـــا**[1]

وبين (وَسَنَه) وهي عبارة عن واو العطف وكلمة (سنة) بمعنى عام و كلمة (وَسَـــنَه) بمعنى (الوسن) أي النوم، في قوله :

غبتمُ عني شهرا وســـنه **فـــسلبتم جفـــن عـــيني**

وبين(الفؤاد) و(ألف وادٍ) عددا للأودية :

يا راحـــلاً وشخـــصه **في الـــروح وفي الفـــؤاد**

شوقي إليـــك ســـيدي **يمـــــلأ ألـــــف واد**[3]

وبين(جلّ نار) أي أكبر نار، وبين(جلنار) وهو زهر الرمان الأحمر:

خذ عنه ما ترويه عن خـــدّه **أجنَّةٌ في التـــبر أم جُـــلُّ نـــار**

ينبئـــك الخـــدّ علـــى أنـــه **ياقوتةٌ قـــد أثمـــرت جُلّنـــار**[4]

ومن الجناس المحرّف(وهو ما اتفق لفظاه في الحروف واختلفا في الحركات) المجانسة بين (القُرى) جمع قرية و(القِرى) ما يطعم به الضيف في قوله:

قد آثروا القرب فأثروا غـــنى **بمتجر القرب ونـــالوا الربـــاح**

واستوطنوا أم القرى والقرى **فيهـــا اعتلـــى القـــدر وحـــط**

وبين (شَفا) بمعنى حافة و(الشِّفا) من التشافي:

على شفا عدت بعيـــد الـــشفا **أرجو اللقا للمقبل المعرض**[6]

---

(١)الديوان ص ٤٤٢

(٢)الديوان ص ٤٤٢

(٣)الديوان ص ٤٠٩

(٤)الديوان ص ٣٢٢

(٥)الديوان ص ١٥٢

(٦)الديوان ص ١٨٧

وبين (البِرّ) و (بَرّ):

فصاحب البرِّ بَـــرَّ فيهـــا وبزّ في خلْعة الفخار[1]

وبين(عِلمية)و(عَلمية):

أميريــــــةٌ علْميّــــــةٌ عَلَميَّــــــةٌ إماميـــةٌ تـــدعو إلى رشـــدها

ومن الجناس المصحّف (وهو ما اتفق فيه اللفظان واختلفا في النقط فقط) المجانسة بـــين (ساخط) و (شاحط) في قوله:

وإني بمن لاقيت لا متــضائلٌ لديــه ولا جهـــمٌ ولا متقـــبّح

ولا ساخطٌ قربًا ولا شـــاحطٌ ولا مغلقٌ بابًا لـــما هو يفتح[3]

وكذلك بين (السهدا) و (الشهدا) في قوله :

يا غائبـــاً وســـويدا القلـــب لولاك ما بات طـــرفي يـــشتكى

إني أحبك حباً لـــو أقـــسّمه علـــى الخلائـــق نـــالوا رتبـــة

وبين (قبلتي) و(قتلتي) في قوله:

أيرضيك يـــا قبلتـــى قتلتـــى وحزني وسقمى وطول انتحابي[5]

ومنه جناس القلب (وهو أن يختلف اللفظان في ترتيب الحـــروف) مجانـــسته بـــين (الأعاريب)و(الرعابيب):

ما همت بالحسن يا لاحـــي ولـــو عيناك حسن الأعاريب الرعابيب

ماشقّ قلبك ماشقّ القلوب هوى ولا استمالك شوقٌ نحو محبوب[6]

---

(١)الديوان ص ٣١

(٢)الديوان ص ٢٠٥

(٣)الديوان ص ١٤٩

(٤)الديوان ص ٤٠٩

(٥)الديوان ص ٣٩٨

(٦)الديوان ص ٣٠٩

وبين (مشاعر)و(مشارع):

فما للوفــا للمبتغيـــه مـــشاعرٌ ولا للـــصفا للوارديــه مـــشارع

وكذلك بين (مجبنة) و (مجلبة) في قوله:

الدهر مختلف الآصـــال والبكـــر لنا ومؤتلـــف الأضـــداد للعـــبر
والولْد مجبنـــةٌ للمـــرء مبخلـــةٌ والمال مجلبة الإتراف والبطـــر[(١)]

و (منازه) و (منازع) في قوله:

أبياتـــــها منــــازةُ النــــواظر وشعرها منـــازع الخـــواطر[(٢)]

وبين (القلا) و (اللقا) في قوله:

أنت آثرت القلا بعـــد اللقـــا فعلى ماذا التجافي ولـــــماذا[(٣)]

وبين (دس) و (سد):

ودس في بساط الملـــك عـــزًّا فأنت لهذا الملك حصنٌ مـــمنّع
وسد فوق كرســـيّ الخلافـــة ذراها بجلباب الهنـــا متلفّـــع[(٤)]

وقد تأتي الكلمتان المتجانستان في نـــهاية كل مصراع من البيت فيكون ذلك حليـــة موسيقية لا تخفى، وذلك في مثل قوله:

القلـــب منّـــي يـــوم بينـــك قد ضاع ما بـــيني وبينـــك[(٥)]

وقوله:

---

(١)الديوان ص ٤٦

(٢)الديوان ص ١٧٦

(٣)الديوان ص ٢٨٣

(٤)الديوان ص ١١٥

(٥)الديوان ص ٢٥٣

أحسنت صـــنعا يـــا   في صـــنعة الهـــزج

وقوله وهو من الجناس التام:

بُرْؤُ دائي من خلطـــة الـــسوداء   اتّـــصالي بالحبّـــة الـــسوداء[٢]

وقوله:

نـــهى عَلَيَّ هوى هـــذا الرشـــا   لله في الحسن ما أحلى الهـــوى

ولفظتا (الأكحل) في قوله :

يا مرسلاً من طرفه الأكحـــل   سهامه رســـلاً إلى أكحلـــي[٤]

وبين الشُّعور جمع شعرة والشُّعور من الإحساس:

جلت صبح مرآهـــا بليـــل   وقد تركت قلبي بغير شعور[٥]

وكذلك (الإكليل) في قوله :

لو خلت سرج مطهّم إكلـــيلا   لحكيت هاروتاً بـــه إكلـــيلا[٦]

وكلمتا (خطر) في قوله :

لولا النسيم الذي من نحـــوكم   لم يسْر مركب شـــوقي في الهـــوى

والألفاظ المتجانسة في شعر محمد قابل يصعب حصرها ويطول، فلا تكاد تخلو قصيدة أو مقطوعة منها حتى يصبح حشد التجانس نوعا من التكرار،إذ نجده يأتي باللفظة ويحاول أن يتتبع الألفاظ القريبة منها نطقا أو رسما أو وزنا، وذلك في مثل قوله:

---

(١)الديوان ص ٢٦٨

(٢)الديوان ص ٣٠٧

(٣)الديوان ص ٣٢٢

(٤)الديوان ص ٣٣٢

(٥)الديوان ص ٢٨١

(٦)الديوان ص ٤٤٤

(٧)الديوان ص ٤١٦

سر علـــى ســيري فــسيري ولكلٍّ ثَمَّ آمــالٌ ونـــــجْح[١]

وقوله:

أنا على العهد فـــلا تنقــضوا عهدي أعيدوا ما أنا عاهـــد[٢]

وقوله:

يا رفيق الرفـــق أوفـــق بكْ فوافقْ يـــا حمـــيم[٣]

وقوله:

ومن يهوى الـــمليحة لا يبالي بإنفاق النفيس علـــى رضـــاها
ومن للنفس إن لهـــا نفيـــسا هى النفس النفيسة في غلاها[٤]

وقوله:

أحاول ما لا يسمح الدهر لي وأكدى بما ألقاه منه وأكدح[٥]

وقوله:

نتيجتها أن ألبس الصبر ملبسا جميلا فإنّ الصبر أنجـــى وأنجـــح
وأسكن للأقـــدار في ســـاحة لـــما هو أرضـــى لي وأرجـــى

وقوله:

وإن ظهـــرت في خلقهـــا في فصفحة خلقـــى منـــه أسمـــى

وقوله:

---

(١)الديوان ص ٧١
(٢)الديوان ص ٧٢
(٣)الديوان ص ٨٧
(٤)الديوان ص ٩١
(٥)الديوان ص ١٤٨
(٦)الديوان ص ١٤٩
(٧)الديوان ص ١٥٠

كيف أَنسى أُنـــسى وكعبــة ودواني غرسى وعـــين يقـــيني

كيف أنسى أمـــسى وكـــان بسط نفسى به وقبض شـــؤوني

كيف أنسى جـــسّي لأوتـــار وتغنّي حـــسى بـــشعر جنـــوني

مرتعى مربعي بـــها ومصيفى منـــزهي منـــزعى لها وركوني[1]

وكذلك قوله:

لا ولا ردْع للتقلّب للدهـــــ ـــر وعدّ الـــشهور والأعيـــاد

لا ولا خشيةً من الله مــــمّا أوعد الظالـــمين مـــن إيعـــاد

لا ولا رغبــــة إلى الله فيمـــا وعد الـــمتقين مـــن ميعـــاد[2]

وقوله:

فاقبل وقابل بالقبول قصورها ياسيدي وأَقـــلْ- ســـلمت -

ومن المحسنات البديعية (رد العجز على الصدر) وذلك في قوله:

ووردنا من منهل الجود من فيـــ ــــــض عطايـــاك أعـــذب

وكذلك نجد رد العجز على الصدر والجناس في قوله:

نقش هذا الحبيب يشهد أني في طريـــق الهـــوى لـــه

وقوله:

راحة الروح بـــها في راحة فـــبروح الـــروح روحـــى

---

(١)الديوان ص ٢١٩

(٢)الديوان ص ٢٠

(٣)الديوان ص ١٦٧

(٤)الديوان ص ٢٢

(٥)الديوان ص ٣١٣

(٦)الديوان ص ٦٩

وقوله:

أَسْهَمَتْني العيون منكم بسهم ... في فؤادي يا حبذا منك ســـهم

يا عزيز الوصال عزّ اصطباري ... ما لصبر على الجفا منك عـــزم

جُدْ لصبٍّ صبا بــه الوجــد ... ـــل اشتياقاً والوصل للـــصب

وقوله:

وتقىً يقيك من الركـــون إلى ... يهوي إلى درك الحضيض بمـــن

وقوله:

لي شدحٌ في الهوى العــذري ... لك في عذلي يا عاذل شـــدح(٣)

وقوله:

أغثنا أغثنا يـــا مغيـــث فإننـــا ... على ظمـــأ للـــريّ مـــن غيثـــك

وقوله:

تعوّدت مسّ الضرّ حتى ألفتهُ ... لعلمى أن لا بدّ من صحبة الضرّ

وعزّيـــت نفـــسى بالتأســـى ... فأسلفني حسن العزاء إلى الصبْر(٥)

ومن المحسنات البديعية التي نجدها في شعره (التورية)، وذلك في مثل قوله:

أنتظـــر الـــساعة في وقتـــها ... وتطلـــع الـــشمس مـــن

فالتورية لطيفة هنا، فالبيت وحده يفهم منه انتظار القيامة وطلـــوع الـــشمس مـــن مغربـــها، ولكن يتبين المعنى البعيد المراد إذا عرفنا أن هذا البيت من قصيدة غزلية.

---

(١)الديوان ص ٤٠

(٢)الديوان ص ٦٥

(٣)– الديوان ص ٧٠ ، والأشدح : الواسع من كل شيء. تاج العروس (شدح)

(٤)الديوان ص ٤١

(٥)الديوان ص ٥٢

(٦)الديوان ص ٣١٢

وكلمة (سرور) الأولى في قوله:

و(سرورٌ) أهدى إليّ ســـرورا　　　　ببلـــوغي مـــواطن التنويـــل[1]

إذ البيت من قصيدة يصف فيها الشاعر زيارةمسجد الرسول صلى الله عليه وســـلم، فيفهم منها أنه يتحدث عن سرور بمعنى الفرح أحدث سرورا آخر، ولكن من يعـــرف أن زيارة الشاعر كانت برفقة الشريف سرور تتضح له التورية.

ومن التورية ما يعرف بـــ (التوجيه) وهو أن يستخدم أسماء الشهور أو المـــصطلحات العلمية أو الأعلام، فمن التوجيه بأسماء الشهور قوله:

همُ ربيع فـــؤادي والـــــملام　　　　محرّمٌ وبسمعي في الهوى رجب[2]

والتوجيه بالمصطلحات النحوية، في قوله:

مبتدا البين يا ابن ودّيَ أمضى　　　　خـــبر الـــصدق دون كـــل

ومن توجيهه بالمصطلحات قوله موجها بـــ (لزوم ما لايلزم):

عجباً لشانك في مغالطتي وقد　　　　كلّفتني بلزوم مـــا لا يلـــزم[4]

و بـــ (السهل الممتنع) فيقول:

سهّل لها الوصل وجد باللقـــا　　　　بـــالروح أفـــدي ســـهلك

ويوجه بـــ (المالكي) و(الشافعي) ، فيقول:

أقـــول لـــه يامـــالكي إنّ شـــافعي　　　　محيّاك فارحم من تـــشفّع بالبـــدر[6]

---

(١)الديوان ص ١٩٩

(٢)الديوان ص ٣٩٤

(٣)الديوان ص ٤٢٥

(٤)الديوان ص ٤٣٩

(٥)الديوان ص ٣٢٥

(٦)الديوان ص٣٢١

ومن المحسنات المشاكلة (وهو أن يعدل عن اللفظ الأصلي الذي يناسب المعنى ليأتي بلفظ يشاكل لفظا آخر في الجملة)، مثل قوله:

شكوت لكم ودّي فجئتم بمثله فأضرمتمُ في وهجتي وهج

حيث أتي بلفظ (وهجتي) بدل (مهجتي) لتناسب اللفظة كلمة(وهج) التي أتت بعدها.

كذلك قوله:

فكم خفقت رايات نصرك والقنا غدت شرّعاً والحرب يخفق

حيث أتى بالفعل (يخفق) في عجز البيت لتشاكل خفقان الرايات في صدر البيت، بينما الفعل المناسب للزير هنا هو الفعل(يقرع).

ومن المحسنات الطباق في قوله:

ودع شين هذا الهجر يا زين فماذا على هذا الجفا من

حيث طابق بين لفظتي (شين) و (زين).

ومنها المقابلة في قوله:

ويبيح لي بالوصل جنة قربه ويجيرني من حرّ نار صدوده[(٤)]

حيث قابل بين (جنة قربه) و (نار صدوده).

ونرصد في شعره استخدامه لبديع الاكتفاء (وهو أن يكتفي الشاعر بجزء من آخر كلمة في البيت مراعاة للقافية، فيتنبه بذلك المستمع الذي اكتملت عنده القافية و لم يكتمل المعنى فيجتهد للبحث عن تكملة الكلمة)، والشاعر ليس مكثرا من هذا البديع كغيره من شعراء العصر، فلا نجد منه إلا قوله :

---

(١)الديوان ص ١٩٧

(٢)الديوان ص ١١٠

(٣)الديوان ص ٣٣١

(٤)الديوان ص ٧٧

فؤاداً هو الفـــولاذ طبعـــاً   كأن لم يكن في اللطف كالجوهر الشفّا[1]

وهو يقصد (الجوهر الشفاف) فاكتفى بـــ (الشفّا) دون حرف الفاء.

٤ - بناء الجملة:

يمثل الوزن مباينة واضحة للغة الشعر ، إذ تسير الجملة في الشعر سيرا منظما يعتمد على توالي المقاطع الصوتيةفيها تواليا يحكمه النمط الذي تختاره القصيدة لإيقاعها

(١)الديوان ص ١٩٤

العروضي ، وقد تنتهي الجملة قبل نـــهاية البيت، وتبدأ جملة لا تنتهي بنهاية البيت، وقد تنتهي الجملة بنهاية البيت. وسواء أكان هذا أم ذاك فإن آخر البيت محكوم بمقطع معين لا بد من تكراره في كل بيت لأن القافية تحتويه، ومن هنا تتنازع الجملة عوامل أخرى – غيرها في النثر – تعمل على ضبطها وعدم مخالفة توالي النظام المقطعي والنظام القافوي فيها، لذلك تعمل هذه العوامل الجديدة في كثير من الأحيان على اختيار كلمات معينة يتوافر لها ما يعين على هذا الضبط الإيقاعي في المقاطع الصوتية، وتعمل في الوقت نفسه على دفع بعض العناصر إلى الصدارة وتأخير بعضها الآخر حتى تستقر القافية في موقعها المقدر متآخية مع مثيلاتها في القصيدة غير نابية ولا جافية ، ومتلائمة مع السياق الدلالي للقصيدة بما يبذله الشاعر من جهد في تنظيم علاقاتها النحوية المتوافقة في البناء التصويري والمعطى السياقي. (١)

الجملة العربية تتألف من ركنين أساسيين ومن فضلة، والركنان هما المسند والمسند إليه، وهما عمدة الكلام، والمسند إليه لا يكون إلا اسما ، أما المسند فيكون اسما أو فعلا، والفعل هو مسند دائما، ولا يكون إلا كذلك، وعلى هذا فالكلام في الأصل إما أن يتألف من اسم واسم أو من فعل واسم، والأصل في الجملة التي مسندها اسم أن يتقدم المسند إليه، ولا يتقدم المسند إلا لسبب، ويستثنى من ذلك الوصف الذي اكتفى بمرفوعه، واسم الفعل وفاعله، فلا يصح تقديم المسند إليه فيهما. والأصل في الجملة التي مسندها فعل أن يتقدم الفعل ، ولا يتقدم المسند إليه إلا لسبب.

والفضلة بكل أنواعها متأخرة في الكلام، وإن قدمتها دخل ذلك في باب التقديم والتأخير، ولا يكون ذلك إلا لسبب كذلك. كذلك إذا وضعنا كل ذي مرتبة مكانه فقد جرينا على الأصل وإلا دخلنا في باب التقديم والتأخير. (٢)

وأساس التقسيم في الشعر مختلف عنه في النثر، النثر مقسم إلى جمل ، والشعر مقسم إلى أبيات، الجملة هي وحدة الكلام والبيت هو وحدة الشعر، نظام النثر يحسن فيه

---

(١)انظر : الجملة في الشعر العربي ، د . محمد حماسة عبد اللطيف ص ١٣.

(٢) بناء الجملة العربية د. محمد حماسة عبد اللطيف ص ٣٧.

الوقف على آخر الجملة، ونظام الشعر يلزم فيه الوقف على نـــهاية البيت. الوقف على نـــهاية الجملة قيمة دلالية تدل على اكتمال معنى الجملة، والوقف على قافية البيت قيمة شعرية تدل على اكتمال دورة وحدة الإيقاع، والبيت في الشعر وحدة إيقاع للقصيدة، والجملة في النثر وحدة دلالية للكلام.

ليس معنى هذا أن الشعر يلغي نظام الجملة ، فهذا لا يتصور بحال؛ لأن إلغاء نظام الجملة إلغاء للكلام عامة، ولكن الجملة فيه لا يكون لها ذلك الاستقلال الصارم الذي تحظى به في النثر، وتوزع أجزائها في الشعر على أكثر من بيت واحد أحيانا. إن الجملة تتكسر على حساب الوزن، وتتخلى عن مألوف استعمالها في النثر. (١)

ولا تسمح طبيعة الفن الشعري برسم حدود واضحة لسلوك الجملة في القصيدة، أو توقع واضح لمسارها، فإن هذا التحديد الصارم مضاد لطبيعة الإبداع. فمن سمات الإبداع الشعري التجديد والخروج عن المألوف وفي الوقت نفسه الخضوع لتقاليد الشعر الراسخة التي أرساها استعمال الشعراء السابقين على مدى عمر اللغة كله. (٢)

ولا يمكن التنبؤ بما سيسلكه الشاعر مع بناء الجملة في القصيدة ؛ لأن هذا الجانب هو مكمن الإبداع؛ فالشعر يصنع من الكلمات لا من الأفكار ، ومعنى القصيدة يثيره بناء الجمل لكونـــها أصواتا أكثر مما يثيره بناء الجمل لكونـــها معاني، وليس حظ الشعراء متساويا في قدرتـــهم على هذا البناء . ومن هنا يمكن دراسة كل قصيدة على حدة واستخراج خصائص الجملة فيها ورصد ظواهرها الأسلوبية التي تشيع في استعمالها. (٣)

إن لدى النقاد شعورا قويا باختلاف الشعر في أنظمته اللغوية عن النثر، ولدى النحويين – كذلك – شعور مماثل، وباعتراف النحويين قديما - من لدن سيبويه - بأن ما يحتمله الشعر غير ما يحتمله النثر إلا شعورا بأن لغة الشعر مختلفة عن لغة النثر. (٤)

---

(١)الجملة في الشعر العربي د . محمد حماسة عبد اللطيف ص٢٨.

(٢)الجملة في الشعر العربي د . محمد حماسة عبد اللطيف ص٤٨.

(٣)الجملة في الشعر العربي د . محمد حماسة عبد اللطيف ص٤٩.

(٤)الجملة في الشعر العربي د . محمد حماسة عبد اللطيف ص٥٣.

إن كل قصيدة لها خصائصها التركيبية الخاصة بـــها التي تتفاعل داخلها ، وعلينا أن نتنبه لهذه الخصائص داخل القصيدة، ولا يكون البحث عن شخصية الجملة في القصيدة إلا وسيلة لمحاولة فهماها على المستوى التركيبي.

أقسام الجملة:

تنقسم الجملة بحسب الاعتبارات التي ينظر إليها منها. فبحسب الاسم والفعل تنقسم إلى اسمية وفعلية، وبحسب النفي والإثبات إلى مثبته ومنفية، وبحسب الخبر والإنشاء تنقسم إلى خبرية وإنشائية.

أولا) - **الجملة الاسمية والجملة الفعلية:**

الجملة الاسمية هي التي صدرها اسم، والجملة الفعلية هي التي صدرها فعل. والمراد بصدر الجملة الفعل والمسند إليه، فلا عبرة بما تقدم عليهما من الحروف والفضلات. [١]

عندما نتصفح شعر محمد قابل باحثين في أمر الجملة من حيث كونـــها اسمية أو فعلية في الديوان ككل ، نجد ذلك من الصعوبة بمكان ؛ لضخامة الديوان؛ ولكون الكثير من الجمل لا تعدو كونـــها تأليفا عاديا لا يختلف عن أي تأليف في أي كلام آخر.

لكننا سنبحث عن ذلك البناء المميز في قصائد بعينها، مستكنهين ذلك البناء، لمحاولة الوصول إلى مناطق ابداعية مضيئة، جديرة بأن نتوقف عندها في شعر محمد قابل.

من ذلك ما نجده في قصيدة تأملية وعظية يستهلها الشاعر ببيت نستطيع أن نعده جملة فعلية واحدة. إذ يقول:

صاحَ داعي الفلاح في كل ناد　　　معـــلنا في دعـــائه بالرشـــاد

---

(١) (الجملة العربية- تأليفها وأقسامها) ، للدكتور فاضل صالح السامرائي،دار الفكر ط٢٠٠٧م،عمان الأردن ، ص ١٥٧.

ثم يكرر الفعل في مستهل البيت الثاني ليعدل بعد ذلك إلى الجملة الاسمية، فيقرر الحالة التي كانوا فيها عندما صاح بـــهم داعي الفلاح، وداعي الفلاح مستمر في دعائه متنقلا بين الأندية، لذلك استخدم الجملة الفعلية التي تدل على الاستمرار والتجدد، أما حالة الغفلة التي كانوا فيها حال الدعاء فهي مستقرة، فاستخدم لذلك الجملة الاسمية التي تدل على الثبات والاستقرار. يقول:

صاح فينا ونحن في غفلة اللهـــ ـــو رقودٌ عن يقظة الاعتداد

ثم يعود إلى استمرار دعاء داعي الفلاح في دعائه، فيؤكد أنه دعاهم إلى النجاح، وقد استخدم كذلك الجملة الفعلية المصدّرة بالفعل دعانا، ويؤكد بعد ذلك ثبات موقفهم المعرض عن هذا الدعاء بجملة اسمية يتطلبها التعبير عن مثل هذا الموقف الذي أصروا عليه، فيقول:

ودعانا إلى النجاح وما ثَـــمـــ ـــم ســـميعٌ منّا مـــجيب

ثم يقلب الجمل فيتحدث بالجملة الفعلية عن موقف صدودهم مؤكدا بذلك استمرار الصدود والغفلة، حيث لم يلق هذا النداء والتنبيه إلا صدى الإعراض، فكأنهم مستمرون على هذا الإعراض كما كانوا ثابتين مستقرين على موقف الإعراض والصدود وعدم السماع، ويعبر عن ذلك بجملتين فعليتين هما (أجاب الصدى) و (لم يلق مجيبا إلا صدى كل صاد) في قوله:

وأجاب الصدى دُعاه ولم يلْـ ـــقَ مُجيبا إلا صدى كلّ صاد[1]

ثم يزاوج في لبيت الخامس بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية باستخدامه لاسم الفعل (ويح)، لتتذبذب الدلالة بين الثبات والاستمرار، ثم يعود بعد ذلك إلى استخدام الجمل الفعلية التي تستحوذ أحيانا على البيت بأكمله أو يتبعها بجمل اسمية، وذلك في تسعة أبيات يستهلها بالأفعال(قيدتنا، أصمّت، كست، قام، عصينا، نهجنا، رمانا، غدونا، نتغالى، تجاري)، ثم تسير القصيدة على هذا النحو، إذ تسيطر الجملة الفعلية عليها، ليتلاءم ذلك مع ما قصده الشاعر من استمرار الغواية.

---

(١)الديوان ص ١٩

وبـــهذا نجد بناء الجملة عند الشاعر من حيث اسميتها وفعليتها يتلاءم مع مقاصد الشاعر، فمن وعظ يصف فيه الغفلة المستمرة إلى مدح للرسول صلى الله عليه وسلم تستقر فيه الحالة النفسية لدى الشاعر، ليتحدث عن حب ثابت راسخ، إذ يستهل القصيدة ببيت يحتوي كل مصراع منه على جملة اسمية، ثم يتحدث في البيت الثاني بجملة اسمية عن الوجد، ليستهل البيت الثالث بالحديث عن قالب يحوي هذا الوجد، حيث استخدم لذلك جملة اسمية خبرها جار ومجرور أخّر مبتدأها التنكير، ولا يخفى ما يفجره هذا التنكير من معان خاصة في مثل هذا الموقف ، ثم يعقب واصفا هذا القالب بجملة فعلية يسبقها بقد المحققة، فالوجد مستقر في هذا القالب لكن يد النوى مستمرة في تقليبه على وهج تتأجج ناره، ونجد ذلك في البيت الرابع، إذ يستهل البيت بجملة اسمية حالها حال الجملة الاسمية في البيت السابق، إذ يستهلها بجملة(لي ناظر) الذي يعقبه بجملة (لم يطرق النوم طرفه) و(ولا كف منه بالدموع انـــهماره).يقول:

رسيس جوى هاجت بأحـــشايَ	**فمن لي بأن يُطفى بقلبي اســـتعاره**
ووجدٌ نمت بين الضلوع فروعـــه	**عروشاً على قلب تناءى قـــراره**
له قالبٌ قد قلّبتْـــهُ يـــدُ النّـــوى	**على وَهَج قد أجّ فيـــه شـــرارُه**
ولي ناظرٌ لم يطرق النـــومُ طرفَـــه	**ولا كفّ منه بالدموع انـــهماره**
يساجل أنـــواء الغمـــام بغيـــدق	**من الدمع يُزري بالغمام قطاره[1]**

ويعود إلى مثل هذا الصنيع بين الفينة والفينة في أبيات متفرقة من القصيدة ، إذ نجد(ولي مهجة، لها خفقان، لها ظمأ، ولي شجن).

والقصيدة للجملة الاسمية فيها نصيب الأسد ، وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من أن الجمل الاسمية تأتي في شعر محمد قابل - بوعي منه أو بدونه – تبعا للحالة التي يتحدث عنها، من حيث الثبات والاستمرار، ليستدعي ما يناسب ذلك من جملة اسمية أو فعلية.

(١)الديوان ص ٢٦

ومن القصائد التي يغلب عليها الجمل الفعلية قصيدة مناجاة يتوجه فيها الشاعر إلى الله عز وجل مستعيذا لائذا مستهديا، حيث يفتتح المطلع بفعل أمر طالبا من الله أن يعيذه من أشياء كثيرة تمتد معه على مدى ثلاثة أبيات، وليؤكد استمراره لهذه المطالب يكرس الجمل الفعلية التي يغلب عليها فعل الأمر الطلبي ويتخللها بعض الأفعال المضارعة الطلبية، فنجد(ألوذ، أستهديك، اهدِ، أسألك، هبْ، قدّر، يسّر، أنر، وفقني).

والقصيدة متسارعة النبرات بسبب هذه الجمل الفعلية المتدفقة التي تمنح هذا التسارع وتكاد تخلو من الجمل الاسمية إلا ما نجده في الشطر الأخير منها حيث يقرر بعد أن طلب الرضا من ربه أن رضا الله غاية كل إنسي.، فيقول:

أعذني سيدي من شرّ نفسي — ومن خطرات أوهامي وهجسي
ومن خللي ومن زللي وجهلي — ومن نظري ومن فكري
ومن وسواس خناس رجيم — وشرّ الخلق من جنٍّ وإنس
ألوذ إلى جنابك مستعينا — بعونك في انجلا ظلمات لبسي
وأستهديك فاهد إليك قلبي — بنور منك يمحو كلّ طَمس
وأسألك السلامة من وقوعي — لما يفضى إلى طرد وعكس
فهب حسن الإقامة لي بدار — يزول نعيمها هي دار حبسي
وقدّر لي أعيش بها مُعَافى — بفضل منك في عقلي وحسّي
وفي ديني وفي مالي وحالي — وفي أهلي وفي ولدي وعرسي
ويسّر لي بها رزقاً حلالاً — يقيني عن مهاوي كلّ نكس
أَنرْ بالحلّ يا مولاي قلبي — فقد قضّيت عمري عبد فلس
ووفّقْني بها لرضاك عنّي — فإنّ رضاك غاية كلّ أنس[1]

(١)الديوان ص ٣٣

وبعد هذا التوجه المباشر بالدعاء لله سبحانه وتعالى في هذه القصيدة نجده يقرر في قصيدة أخرى بجمل فعلية فعلها ماض مخاطبا الله جل شأنه ليؤكد استمرارية الدعاء ورفع الأكف له، فيقول:

رفعنا أكــفّ الــذلّ والفقــر ... إليك بشكوى الحــال يــا عــالم

دعونــاك مــضطرين يــا رب ... دعانا وفرّج كربنا واكفنا الأســوا

وقفنا على الأبــواب نلــتمس ... وكشف العنا والبــؤس والــضرّ

ثم يقرر بعد ذلك بجمل فعلية فعلها ماض أنه مع هذا الدعاء ورفع الأكف والوقوف على الأبواب ما زال تفاقم البأساء وحلول اللاواء وعموم الأهوال وضيق الأحوال مستمرا، ليتحول في البيت الخامس إلى الجملة الاسمية مقررا أن العون مستقر وثابت عنده سبحانه وهو وحده المستعان، ثم يتبع البيت بثلاثة أبيات يستخدم فيها الاستثناء المنفي ليقصر الملجأ والملاذ والوقاية عليه سبحانه.

وأمام هذه الحالة التي عبر عنها الشاعر في الأبيات الأولى باستمرار الدعاء لله سبحانه وتفاقم البأساء وعموم الأهوال واللاواء، وفي الأبيات التي تليها بتقريره ثبوت اللجأ واللياذ والوقاية عنده سبحانه ينفجر الشاعر رافعا صوته بطلب الإغاثة في الأبيات التي تليها مرددا فعل الأمر (أغثنا) مرتين في البيت العاشر متوجها إلى الله المغيث طالبا منه الرواء من غيثه الأروى، كذلك يكرر الفعل (أجرنا) في البيت الذي يليه ، و الفعل(أعذنا) في تابعه ، ليستمر حشد الأشياء المتعوذ منها في ستة أبيات ثم يختم القصيدة بجملة فعلية فعلها مضارع طلبي، وكأنه بذلك تتباطأ دفقات نفسه الحرّى، فيسأل الهداية من ربه . يقول:

أغثنا أغثنا يــا مغيــث فإننــا ... على ظمأ للريّ من غيثك الأروى

أجرنا أجرنا يا مجير وهب لنــا ... بفضلك يا وهّاب عزًّا به نقــوى

أعذنا أعذنا من شرور نفوســنا ... ومن شرّ ما فينــا مــن الــميل

(١)الديوان ص ٤١

ومن شر إبليس اللعين وجنـــده	**وما همُ معْنا من الزيـــغ والإغـــوا**
ومن شرّكل المؤذيات ومن ردى	**ـــبليّات والعاهات والعار والأدوا**
ومن شر كل الكائدين وفعلهم	**وما عنهمُ بالــــــمكر يُنـــشر أو**
ومن شـــــر بغـــض المبغـــضين	**وما فيهم بالغيظ يظهر أو يُنـــوى**
نعوذ بك اللهم من كل حالـــة	**نضلّ بـــها عن هديك الحـــق أو**
ونسألك اللهم منـــك هدايـــةً	**ونورًا وإرشاداً إلى سنن التقوى**(١)

ونستمر في رصد الجمل في شعر محمد قابل من حيث اسميتها وفعليتها، محاولين أن نضع يدينا على سر هيمنة أي من النوعين على قصيدة بعينها، والسر وراء المزاوجة بين الجمل الاسمية والعلية داخل القصيدة الواحدة.

كما نجد الشاعر في قصيدة تأملية وعظية يصف الدهر وأحواله وطبيعة الإنسان وطريقته في التعامل مع هذه الأحوال، ليقرر أشياء راسخة يصف بـــها صروف الدهر وأحوال الإنسان، فيستخدم لذلك الجمل الاسمية، يتحدث مبتدءا عن الدهر والولد والمال، ثم يتحدث عن الجمع بين الولد والمال ليقرر أنه فتنة، ثم يتحدث عن المرء عموما ليعد الإخبار عنه بأنه متصل الأشغال متصل الآمال متصل الإعمال للفكر، ثم يخبر عن صنفين من الناس فيبتدئ بالحاذر الخف ثم يعقب في البيت الذي يليه بالحديث عن المثقل الكلف بالدنيا. يقول:

الدهر مختلف الآصـــال والبكـــر	**لنا ومؤتلـــف الأضـــداد للعـــبر**
والوُلْد مجبنـــةٌ للمـــرء مبخلـــةٌ	**والـــمال مجلبة الإتراف والبطـــر**
والجمع بينـــهما للحـــيّ فتنتـــه	**وإنـــها فتنةٌ من أكـــبر الكـــبر**
والـــمرء متّصل الأشغال متصل	**آمال متصل الأعمـــال للفكـــر**
مستمسكٌ بعرى الدنيا على ثقـــة	**منها بحسن الوفا بالعهـــد وهـــو**
فالحاذر الخفّ في دنيـــاه عيـــشته	**وإن صفت فهي محـــض الكـــدّ**

---

(١)الديوان ص ٤٢

والمثقل الكلف العاني بـــها حرجٌ مضيّق العيش موقـــوفٌ علـــى

بعد أن يقرر ذلك في سبعة أبيات يتحول إلى الجملة الفعلية ليقرراستمرار حدوث الفوز لأولئك المخفين الحذرين بجملة(فاز المخفون) في صدر البيت الثامن، ثم يقرر ثبوت الخطر على المثقلين في عجز البيت بقوله(المثقلون بـــها فيها على خطر) ثم يؤكد في البيت الذي يليه بأربع جمل فعلية على استمراره في النصح منوعا في هذه الجمل بين النداء والنهي باستخدام (لا) الناهية، وتقرير المنح في جملة(منحتكه) ، وبالفعل الماضي في جملة (وافاك). ثم يعقب ذلك بجملتين فعليتين طالبا أخذ النصيحة من شعره دون الركون إلى النظر في عمله وذلك في صدر البيت، ليؤكد بعد ذلك في عجز البيت بجملة اسمية أنه مستقر على صفة الحكيم مشبها نفسه بالصدف الذي يحوي الدر. يقول:

فاز الـــمخفّون فيها العارفون لها والمثقلون بـــها فيها على خطـــر

يا صاح لا تلغ نصحاً قد منحتكه وافاك من عجري نظمـــاً ومـــن

خذ علم نظمـــى ولا تـــركن إلى فإنني الصدف الحاوي على الدّرر

يستمر الشاعر في قصيدته التي تقع في ثلاثة وستين بيتا مؤكدا مقررا حال الدهر الذي لا تتبدل ثوابته، لنجد الجمل الاسمية تـــهيمن على قصيدته، وقد يكسر استرساله في الحديث عن الدهر بالمواقف التي يمارسها الإنسان أثناء عبوره لهذا الدهر، من لدن الشاعر نفسه والمخاطب الذي رشحه ليغدق عليه نصحه وعظه، حيث الجمل الاسمية المتتابعة، فهو (صفر من العلم)، وهو (صنو الجهل)، وهو (ليس على شيء وإن رق نظمه ونثره)، وكذلك في البيت الذي يليه نجد(شأني الجهالة) ، (أثوابي الملالة)،(منهاجي البطالة)، وذلك في قوله:

صفرٌ من العلم صنوُ الجهل لست شيء وإن رقّ منظومى ومنتثري

---

(١)الديوان ص ٤٧

ثم يتحول بعد ذلك واعظا هذا الصاحب المرشح لينكر عليه الكثير من الصفات، فيستهل كل بيت بصفة من هذه الصفات، وهي(لاهٍ ، ساهٍ ، مبقٍ، ساعٍ، غانٍ، ثانٍ).

ومثلما سيطرت الجمل الاسمية على القصيدة السابقة لتؤكد استقرار نواميس الدهر، وثبات مواقف الإنسان اللاهي في الحياة، نجد الجمل الفعلية تسيطر على قصيدة أخرى ينحو فيها الشاعر بالخطاب إلى هذا الإنسان ، حيث يطلب منه الديمومة والاستمرار على مواقف معينة قد تكون علاجا للتعامل مع هذا الدهر وما يفرزه من كرب وفوادح.

يستهل مطلع القصيدة بجملة فعلية فعلها أمر في صدر البيت ؛ لتأتي النتيجة في عجز البيت جملة فعلية فعلها مضارع، فيكون جوابا للطلب، فيصبح مظهر النجاح نتيجة للباس حلة الصبر:

الْبسْ لكربك حلّــة الــصبر تبدو بأبـــهى من ســـنا البـــدر

ثم يأتي البيت الذي يليه عبارة عن جملة فعلية واحدة فعلها أمر يطلب فيه الشاعر النهوض على قدم الثبات، فيقول:

وانـــهض على قدم الثبات له متجافيا عن مــضجع الــذعر

ويتحول في البيت الثالث إلى الجملة الاسمية ليقرر ثبات الصبر في مواجهة فوادح الدهر الداهمة، ليعود في البيت الذي يليه إلى الجملة الفعلية للمداومة على حدوث هذا الصبر، يقول:

فالـــصبر أليـــق بـــالكريم إذا دهمتـــه فادحـــةٌ مـــن الـــدهر
فاصبر لها فأخو النباهـــة مـــن لقى الخطوب بفسحة الــصدر

(١)الديوان ص ٤٧

ونجده يختم هذه القصيدة ببيتين يستهل كلا منهما آمرا بأخذ النصح وعدم الركون إلى عمل الشاعر، فيقول:

خذ من كلامي النـــصح وارْم — نافاه من عجزي ومـــن قـــصر

خذه ولا تـــركنْ إلى عملـــي — فتسير من عـــذر إلى عُـــذر[1]

وفي قصيدة تأملية نجد الشاعر يستعرض ما حدث له في سنيه الخوالي، فيزاوج بين الجمل الاسمية والفعلية ملوّنا تلك الجمل بتنويع الأفعال والتنقل بالجمل الاسمية بين الاستفهام والشرط وكم الخبرية.

يحشد في مقدمة القصيدة جملا فعيلة أفعالها ماضية، وهي(تعرض لي، أخّرني، أحال القضا، أمسيت، أصبحت، صورت، يقارعني، أرى منها، أرى لي، .....) ويقرن هذه الجمل بظروف متغيرة، فيستخدم (طورا، حينا، آونة). [2]

يغلب على القصائد الوعظية عند محمد قابل استهلالها بالجمل الفعلية الطلبية، مثال ذلك قصيدة وعظية يحشد أفعال الأمر في سبعة أبيات متتالية، فيقول:

أزل ردن الرعونة بـــالتخلّي — وحُك بالجدّ أثـــواب التجلّـــي

وجرّد منك عـــن آن فـــؤادًا — ويـــــــمّمه لهاويـــة التخلّـــي

ورض بالجهد نفـــسك مـــن — تكن في حلبة السبق الـــمجلّي

وعلّق منك أسباب الترجـــي — بأوتـــاد التأســـي والتـــسلي

وشيّدْ في روابي الأنس تقـــوى — علـــى أسٍّ يقويهـــا وعـــلّ

وسُلّ القلب من شبك التردّي — وأُمّ إلى الترقّـــــي بالتـــــدلّي

وقف وتعرّض النفحات تجلو — لعينك حسنها عين التملّـــي[3]

---

(١)الديوان ص ٥٢

(٢)انظر الديوان ص ٥٥ ، مطلع القصيدة: **تعرض لي من دون ما رمتُ مانع**

(٣)الديوان ص ٦١

حيث الأفعال(أزل، حك، جرّد، يمّم، رضْ، علّق ،شيّد ،سُلّ،أُمّ ،قف، تعرّض)، ثم يتبعها بأبيات ينبّه فيها إلى الواجبات المنوطة بالإنسان في دنياه، فيستخدم الأفعال والحروف الناسخة، ثم يوجّه الخطاب إلى القلب، فيحشد الأفعال المضارعة لوصف تصرّفات هذا القلب وتجاذباته، مثل(تمشّى، تقول، يرجئك، تجذبك، تخدعك، تركن).

وفي قصيدة طويلة يوجهها الشاعر إلى الشريف غالب بن مساعد يزاوج فيها بين الجمل الاسمية والفعلية، حيث يقرر للشريف ثبات خصال يقتضيها السؤدد، ويؤكد له صفات أخرى يستمر تحليه بـــها.

يستهل الشاعر القصيدة بجمل فعلية متخذا التعمير والبناء مدخلا لها، فيحشد تلك الجمل، مثل (ما عمّرت إلا المعاليا، ولا شيّدت إلا المكرمات، بنيت بناءً، أقمت العلا، نـــهضت، قمت، ذخرت، أعددت، عودتـــها، جللت، أوليت، .....)، ثم يقرر بعد ذلك بجمل اسمية متتابعة مقدما الجار والمجرور ولا يخفى ما في ذلك من قصر هذه الصفات على الممدوح، وهي(لك الهمم، لك العزمات، لك الوثبات، لك النظرات).

وفي جمل أخرى متفرقة يوجه الخطاب إلى الشريف مستخدما (إنّ) مقترنة بكاف الخطاب، مثل(إنك من قوم، إنك في الفخر، إنك أنداهم، إنك للإحسان). (١)

وفي قصيدة أخرى تتحدث عن إنجازات الشريف غالب المعمارية تبرز الجملة الاسمية، إذ يستدعيها الشاعر ليصف بـــها المحاسن المحسوسة المستقرة في الدار الموصوفة، حيث تتركز هذه الجمل الاسمية في المطلع ، فيتحلى كل مصراع منه بجملتين مدمجتين، يقرر في الجملة الأولى فيقصر الاسم على المسمى فيصفها بأنها(هي الدار) ، ثم يأتي بالجملة الثانية ليحدث انزياحا يحطم ذلك القصر باستدراكه أنها تتفوق على أية دار عادية بل يخرجها من جنس الدور المعروفة ليجعلها (دارة البدر)، وكذلك يأتي في العجز بجملة ثالثة معطوفة على الأولى، إذ يجعل هذه الدار مغنى الغنى ليغيّر الأداة فيحدث انزياحا آخر، فيجعل المغنى (روضة الفخر).

---

(١)الديوان ص١٠٦

وفي البيت الثاني تتقلص الجمل لتتدفق عوضا عنها المعطوفات، فمن أربع جمل في البيت الأول إلى جملة واحدة ممتدة منسابة في البيت الثاني تستمر حتى القافية، يقول:

هى الدار إلا أنــها دارة البدر ومغنى الغنى لكنها روضة الفخر

هى الدار دار الفضل والبــاس وبيت العلا والعز والنهى والأمر

وفي البيت الثالث يفاجئنا الشاعر بنمط جملي مغاير إذ تأخذ الجمل بحجز بعض، فيصف الدار بجملة فعلية تنتهي بمجد منكّر، فتأتي جملة فعلية ثانية لوصفه، ويستمر التركيز على الدار في البيت الرابع ليأتي بعدها بجملة فعلية فعلها مضارع، فقد قرر في البيت الثالث أن الله قد أعلى بنيان هذه الدار، ويقرر في البيت الثالث أن لهذه الدار حسنا يستمر تأثيره في الذائقة حتى يُنسى ما سواه، ثم يتحدث في عجز البيت عن هذا الحسن بجملة فعلية أخرى فعلها مضارع، ولا يكفيه بيت واحد للحديث عن حسن الدار ، إذ يعقب ببيت كل مصراع منه عبارة عن جملة فعلية تتخذ من الرؤية فعلا في الجملتين، الأول فاعله الدار والثاني فاعله ترائي الخود الحسان. يقول:

هى الدار أعلــى الله بنيانـــها ذرى نجد مجــد قــام بــالبيض

هى الدار ينــسيك الخورنــقَ وتسلو به عن ذكــر غمــدان

تراءت بما يزهى النواظر رونقــا كما تتراءى الخــود في الحلــل

ونجد التقديم والتأخير ماثلا في البيت السابع وهو ما يتطلبه المعنى، وهو مما يحسب للشاعر سواء جاء بوعي منه أو بدون وعي، حيث يقول:

على هامة الجوزاء قرّ أساســها وقامت مبانيها على قمة النصر

إذ قدم الجار والمجرور على الجملة الفعلية في صدر البيت؛ لأن التركيز على المكان الذي قر عليه أساس الدار لا على الاستقرار نفسه، وفي عجز البيت ركز على قيام المباني،

---

(١)الديوان ص ٢٢٦

و لم يقدم ما قامت عليه تلك المباني ؛لأنه مكان معنوي لا حسي فهي (قمة النصر) خلاف الأول (هامة الجوزاء) إضافة إلى أن أساس البناء غيرمرئي أما المبنى فهو القائم الضارب في الفضاء ومن حقه أن يجتذب الأنظار وأن لا يقدم شيء عليه.

أخيرا يختم الشاعر هذه القصيدة التي بدأها بجمل اسمية مركزة بجملة فعلية تقتضي الديمومة والاستمرار لهذا المجد وهذا الطالع، فيقول:

يدوم بعــون الله قــائم مجــده وطالعه باليمن والعزّ والنــصر

وفي قصيدة تقع في اثني عشر بيتا نجد الجمل تتراقص مترابطة، حيث تتدفق منذ البيت الأول الذي يحوي أربع جمل فعلية تؤدي كل جملة منها إلى أختها، يقول:

فاح نشر الصبا فطاب الــمشمّ وتجلّى الصباح فانجاب نجــم[1]

استخدم الشاعر حرف الفاء عاطفا كل جملة على أختها، لأن ثاني الجملتين في كل مصراع هي نتيجة لما قبلها، كذلك استخدم الواو ليعطف العجز على الصدر، ثم ينتقل إلى البيت الثاني ليأتي بأربع جمل قارنا الجملة الفعلية بجملة اسمية تصف المسند إليه في الجملة الفعلية، حيث يصف الصبح المقبل بالوجه الجميل والليل المطرود بالوجه الأغم، ثم يأتي بالبيت الثالث مشبها هذه المطاردة مستخدما لذلك جملة اسمية تتخللهاجملة فعلية تربط البيت بسابقه، ثم يعود فيستهل البيت الرابع بجملة فعلية تلائم جري النهار المتسارع الذي يحدث هزيمة منكرة للدجى، فيقول:

أقبل الصبح وهو وجهٌ جميــلٌ يطرد الليل وهو وجــهٌ أغــمّ
فكأنّ الدجى ويقفوه نور الــــ ــفجر زنجٌ لها من الروم هــزم
وجرى أشهب النهار فلم يبـــ ــق لــمجراه بالهزيمــة دُهْــم

(١)الديوان ص ٢٦٥

ثم يفتتح كل بيت من البيتين التاليين بجملة فعلية فعلها أمر ليبين الموقف الذي ينبغي أن يتخذ تجاه هذا الصباح المتضوع بنشر الصبا، فجاء بالجملتين(ابتكر للمدام، اصرف الهم) مرغبا في الاستجابة لهذا الأمر بجملة اسمية عقب كل جملة فعلية متحدثة عن البكور وصرف الهم، يقول:

فابتكر للمدام بـــاكورة اليـــو	**م فإن ابتكار[ك]الأنس غـــنم**
واصرف الهم بارتياحك للـــرا	**ح اصطباحاً فما مع الراح هـــمّ**

ثم يستخدم الاستفهام ليلفت النظر للرياض الزاهية والنسيم العليل، بقوله:

أوَمـــا تنظـــر الريـــاض زواه	**بزهور يزهو شـــذاها وينمـــو**
وعليل النسيم آس يجس الـــرو	**ض لطفا وما بـــه قـــطّ ســـقم**

وفي هذا التحول في الطلب من الأمر إلى الاستفهام المحرض على النظر تلوين جميل في بناء الجمل.

ثم تحدث المفاجأة عندما يكشف عن كنه هذه اللحظات وهذه الكأس بذكر المصطفى صلى الله عليه وسلم، فهو مدار هذه المتعة الروحية التي جسدها الشاعر في ثوب حسي، فندرك أن بناء الجمل في الأبيات وترتيبها على هذا النسق تقف وراءها لغة صوفية رمزية موحية.

ثانيا) - **الجملة الخبرية والجملة الإنشائية:**

يدرك المتأمل في طبيعة الدلالة ومعادن الكلام أن ثمة فرقا بارزا يمتاز به الكلام ويجعله ينقسم إلى قسمين هما : الخبر والإنشاء، وهذا يستوعب ما يجري به اللسان من ضروب القول شعرا وأدبا وغيرهما.

فالجملة الخبرية يكون القصد منها إفادة أن محتواها سواء أكان إثباتا أم نفيا له واقع خارج العبارة يطابق هذا المحتوى، فنصف الكلام بالصدق، أو لا يطابق فنصف الكلام بالكذب.

أما **الجملة الإنشائية** فليس القصد منها إفادة أن محتواها يطابق نسبتها الخارجية، وليس المقصود منها هو الإخبار بمطابقة هذه النسبة لتلك وإنما المقصود هو إنشاء المعنى. (١)

وينقسم الإنشاء إلى قسمين:

١ – الإنشاء الطلبي وهو ما يستدعي مطلوبا كالأمر والنهي والاستفهام.

٢ – الإنشاء غير الطلبي وهو ما لا يستدعي مطلوبا كصيغ العقود وألفاظ القسم والرجاء ونحوها. (٢)

ومن البديهي أن نجد الجملة الخبرية أكثر في شعر محمد قابل؛ لأن الجملة الخبرية بشكل عام أعظم شأنا وأعم فائدة، ولأن الإخبار هو الذي يتصور بالصور الكثيرة، وفيه تقع الصياغات العجيبة، وبه تقع –غالبا- المزايا التي بـــها التفاضل؛لكونه أصلا في الكلام؛ لأن الإنشاء إنما يتحصّل منه باشتقاق كالأمر والنهي، أو نقل كعسى ونعم وبعتُ واشتريت، أو زيادة أداة كالاستفهام والتمني وما أشبه ذلك. (٣)

ومن الواضح أننا لا نستطيع أن ندرك من اللغة غرضا، ولا أن نفيد منها معنى إلا إذا ارتبطت كلماتـــها بعضها ببعض، وصارت كل لفظة متصلة بالأخرى نوعا من الاتصال ،وفي ضوء هذا الترابط وهذه الصلات تكمن المعاني والأفكار التي تحتويها النصوص اللغوية، ومهارة الأديب ونبوغ الشاعر وعبقرية اللغة كل هذا يكمن في ما بين الكلم من ترابط وصلات، فحذق الأديب والشاعر يظهر في مقدرته الفائقة على صياغة كلم اللغة صياغة بصيرة واعية، فهو يصطنع اللغة في أفقها الأوسع ومجالاتـــها الرفيعة، ويتعدد قصده بخبره بتعدد المثيرات التي تدفعه إلى القول وتحثه عليه.

---

(١) انظر: كتاب دلالات التراكيب للدكتور محمد أبو موسى مكتبة وهبة ط٢ ١٤٠٨هـــ القاهرة مصر ص١٨٥

(٢) انظر كتاب (الجملة العربية- تأليفها وأقسامها) للدكتور فاضل صالح السامرائي،دار الفكر ط٢٠٠٧م،عمان الأردن ص ١٧٠

(٣)انظر: المطوّل ، لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ، تحقيق د.عبد الحميد هنداوي،ط١ ١٤٢٢هـــ-٢٠٠١م ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ص ١٧٩

والمثيرات التي تحث على القول لا يتصدى عاقل إلى حصرها، وإن كان يصح أن نقول في سياق العموم والإطلاق إن غرض الشاعر بشعره في أغلب أحواله قد يكون الرغبة في إثارة انفعال مشابه لدى القارئ، فتتحقق المشاركة النفسية والوجدانية، فيعيش القارئ طربه إن كان طروبا أو أساه إن كان حزينا، وفي هذه المشاركة متعة الشاعر وهدفه، وقد يكون غرض الشاعر هو الشعر نفسه أي هو هذه الدندنة الشعرية التي يتسلى بها حين يفرغ على قيثارته ألحان نفسه، فيكون الذي يعنيه هو أن يقول وليس يعنيه أن يُسمع، ونحن في دراستنا لشعره نقول: إنه يقصد كذا وإنه أراد أن يصف لنا كذا.

فنحن في دراسة الشعر لا نشغل بما قيل عن قصد المخبر بخبره أي إفادة الفائدة أو لازمها.وقد نبّه البلاغيون إلى هذا، أي إلى أن الخبر غالبا ما يقصد به أغراض تتجاوز حدود الفائدة ولازمها.[١]

والقصد من الكلام في الخبر أن له نسبة في الخارج تطابقه أو لا تطابقه، والقصد من الكلام في الإنشاء هو إيجاد النسبة من غير قصد إلى كونه دالاً عليها حاصلا في الواقع، والفرق بين الضربين هو ما تحسه في العبارة من قصد المتكلم إلى الحكاية والخبر أو إيجاد النسبة ووقوعها، والمهم أن القالب اللفظي ليس فيصلا بين الخبر والإنشاء، وإنما ما يجده السامع من طبيعة المعنى وقصد المتكلم إليه.

وقد نظر البلاغيون إلى الأساليب الإنشائية فلم يجدوها على ضرب واحد ،وإنما تمضي على حالين، فمنها ما يقتضي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، كأساليب الأمر والنهي والنداء والاستفهام والتمني، ومنها ما لا طلب فيه كالتعجب والقسم وأساليب العقود وأفعال المقاربة وأفعال المدح والذم.

وقد اهتم البلاغيون بدراسة الإنشاء الطلبي، ووجههم في ذلك أنه كثير الاعتبارات وتتوارد عليه المعاني التي تجعله من الأساليب الغنية ذات العطاء والتأثير، وهذا بخلاف الإنشاء الذي ليس وراء طلب، فليست أساليبه مما تتوارد عليها المعاني، فالقسم هو

---

(١)انظر: كتاب خصائص التراكيب للدكتور محمد أبو موسى مكتبة وهبة ط٤، ١٤١٦هــ مصر- القاهرة ص ٧٧ وما بعدها

القسم والتعجب كذلك، والمدح والذم وكذلك البقية، وهذا لا يعني أنه ليس للتعجب والقسم مواقع يلتفت إليها في البحث عن المزية، لأن كل عناصر الكلام وصوره مجال البحث. (١)

أ)-النداء:

النداء هو طلب الإقبال، ويجري طلب الإقبال في متصرفات كثيرة جدا، وكأنه من أكثر فنون الكلام تصرفا في الأغراض والمواقف، فكما نودي الحي العاقل الذي لا يجاوز امتداد صوت المنادي نودي الحي العاقل الذي يجاوز امتداد الصوت كنداء الغائب والصاحبة، وكذلك نودي الحي غير العاقل، كما نوديت مشاهد الطبيعة. (٢)

يكثر النداء في شعر محمد قابل ويعد ظاهرة بارزة في شعره إذ نجده يفتتح تسعا وعشرين قصيدة ومقطوعة بالنداء، جلها من الشعر ذي الطابع الديني، ذلك الشعر الذي يتوجه فيه الشاعر مناديا الله جل شأنه، فالكلمة الأولى من مطلع أول قصيدة في ديوانه نداء، إذ يناجي ربه شاكيا ما حل به من التعب وما ألـــمّ به من نوائب الدهر، فيفتتح ستة أبيات من مقدمة القصيدة بالنداء، يقول:

يارب حـــلّ بيَ التعـــب   وسطت عليّ يد النصب
يـــا رب فاجـــأني العنـــا   وعليّ بـــاللاوا وثـــب
يا رب قد ضـــاق الخنـــا   ق وقـــد أحاطـــت بي
يـــا رب قـــلّ الإحتيـــا   ل وقد نبا صبري ونَبّ
ووهَت عُـــرى جَلَـــدي   لخطب بالـــــمكاره لي
عظُم الـــمصاب لــــما   ني واســـتــــــشاطنـــيَ
يـــارب حـــسبي قـــولتي   يا رب إن خطْبٌ خَطَب
يـــا رب مـــالي موئـــلٌ   أمدد إليه يدَ الطلـــب(١)

---

(١)انظر: دلالات التراكيب للدكتور محمد أبو موسى ص ١٩٢ وما بعدها

(٢)انظر المرجع السابق ص ٢٦١

(٣) – نب : تعاظم . تاج العروس (نبب) .

كما نجده يتوجه إلى ربه مناجيا مستأنسا بـــهذا النداء الذي يجد فيه مناداة لقريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، فيقول:

يا رب ذكرك أُنـــسي　　　ونــــور هـــــديك

كذلك ما نجده في القصيدة التي تليها، حيث يهيمن على الأبيات استشعار القرب من الله باستخدام أداة النداء (يا) وتكرار (ياء المتكلم) ، يقول:

يا خالقي طال حبسي　　　وجنّ ديجور لبـــسي[٣]

كما نجده ينادي ربه مستعينا، مكررا النداء في مستهل كل بيت من مقدمة القصيدة، وقد يكرر النداء في البيت الواحد وذلك من دواعي الإلحاح، فيقول:

يا حيّ يا قيوم يــا واحــد　　　يا فرد يا قدّوس يــا ماجــد

يا حق يا معبود يــا باقيًــا ؟　　　يا وتر يا مشهود يا شــاهد

يا بَرّ يا تــواب يــا غــافرُ　　　يا نور يا وهاب يا واجــد[٤]

يا عالم الغيب فــلا عــازبٌ　　　من علمه شــيءٌ ولا شــارد

يا واسع الجود فلا صــادرٌ　　　عن غــيره الجــود ولا وارد

يا مالك الــملك فلا ناصرٌ　　　يعينـــه فيـــه ولا عاضـــد

يا ربّ إني عبدك البائس الــ　　　ــفاني الضعيف العائذ العائد

يا ربّ إني عبدك الــضارع　　　ــجاني الجرئ الـــــمجتري

يا ربّ كن لي حافظاً واقيًــا　　　مــما جناه الزمن الكائــد

ربّ أجرني واكفني واحمــني　　　من شر ما يسعى به العانــد

رب أعذْني واشفني واهــدني　　　إليك هــدياً إنــني فاقــد[١]

---

(١) الديوان ص ١٦

(٢) الديوان ص ٣٤

(٣) الديوان ص ٣٤

(٤) – الواجد : الغنيّ ، قال الشاعر : الحمد لله الغني الواجد . لسان العرب (وجد) .

ونلاحظ أن الشاعر قد حذف أداة النداء في البيتين الآخيرين وكأنه استشعر ملال المتلقي من هذا التكرار.

ويتكرر كذلك النداء في عدة أبيات من قصيدة مناجاة، ولكنه ينوع الألفاظ المناداة إذ نجد النداء منصبا على أسماء الله وصفاته، يقول:

يا عليما بسرِّ ذات الـــصدور — وخـــبيراً بخافيـــات الـــضمير
وغنيًّا في ملكه عـــن شـــريك — ومعـــين وصـــاحب ووزيـــر
قد تعاليت عن وجود مثيـــل — وتنـــزّهتَ في العلا عن نظـــير
يا مجيب المـــضطرّ في غـــسق — ـــل إذا ما دعا بقلب كـــسير
يا مجلّي ليلَ الهمـــوم إذا مـــا — جَنّ ديجـــوره بـــصبح ســـرور
يا مغيث الملهوف يا منقذ الغا — رق من هول كَرْبه في بحـــور(٢)

ثم يعود في مواضع أخرى من القصيدة ليتوجه بالنداء إلى لفظ الرب في بيت أو بيتين ويكرر ذلك حتى نـــهاية القصيدة، مع ملاحظة أنه يحذف أداة النداء وكأنه يرى فيها عائقا أمام تدفق الدعاء المتأجج من عاطفته اللاهثة، يقول:

ربّ واستر معايبي واقض ديْني — ربّ يسّر ولا تعـــسّر أمـــوري
ربّ شفِّع فيّ الرسولَ وأوجب — لي يوم الـــــمعاد دار الحبـــور
ربّ واجعل دار القرار مقرِّي — وأجرني من حرِّ نـــار الـــسعير

ثم يعود ليقول:

ربّ أصلح فيها معاشي إلى يو — م انتقـــالي إلى لحـــود القبـــور

---

(١) الديوان ص ١٨

(٢) الديوان ص ٢٤

ربّ واجعل حسن الختام لحياتي في سجن دار الشرور

وليقول:

ربّ عفواً عن سيئاتي فإني أبتغي العفو من عفوٍّ غفور

وليقول في البيت قبل الأخير طالبا شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم:

ربّ شفّعْه فهو خير شفيع وأجرني فأنت خير مجير(١)

وكذلك يكثر النداء في القصائد الوعظية والتأملية، يستدعيه أسلوب التنبيه للآخر في الوعظ، ومخاطبة النفس في التأمل.

يستخدم الشاعر النداء أداة لتنبيه من يعظه من غفلته، حيث الانغماس في طلب الدنيا الفانية، والاشتغال بتلبية طلبات نفسٍ لا تنقضي، يقول:

يا متعباً نفسه ومجهدها بكدّها بالعنا فينهكها

وبالغا سعيه لفانية يوشكها أن تزول

وسنلاحظ أن أسلوب النداء سيقل مقارنة به في شعر الشكوى والمناجاة، لأنه هناك لازمة من لوازم الدعاء أما هنا فهو أداة للتنبيه يسوق بعده الشاعر ما يريد أن يفرغه من نصح ووعظ في أذن صاحبه.

وتضعف وتيرة النداء وتقل إلى الحد الذي يحذف فيه الشاعر أداة النداء، في مثل قوله:

صاح خذ حذرًا من النفس خاطبت عقلك ناجاها

---

(١) الديوان ص ٢٥

(٢) الديوان ص ٦٠

(٣) الديوان ص ٦٦

ومن ترشيح صاحب واحد إلى ترشيح خليلين لينهي إليهما تأملاته وكأنه بزيادة هذا الترشيح يزيد من أهمية هذه التأملات، كما نجده يكرر هذا النداء في ثلاثة أبيات متوالية مع حذف أداة النداء، يقول:

خليليّ ما أوهى عـــرى صـــحبة　　　وأوهن من يرجو لصحبتها بقيـــا

خليليّ ما أعمى البصير بعينـــها　　　عن الرشد إن أضحى يروم بـــها

خليليّ ما أعدى عوادي اعتدائها　　　على من يواليهـــا البـــشاشة في

كما يتوجه إلى هذين الخليلين في قصيدة أخرى، ليوجه لهما الخطاب بنغمة تفاؤلية على غير عادته، فيقول:

خليليّ وافاني الزمـــان بمقـــصدي　　　ووالى لي الحسنى بإنجاز موعـــدي[٢]

ولشعر الغزل عند الشاعر نصيب من أسلوب النداء، إذ نجده يخاطب (نسيم الصبا) سائله عن الصب حاذفا أداة النداء، يقول:

نسيم الصبا هل من حديث عن الحبّ　　　وهل خبرٌ عن جيرة البـــان والـــشعب[٣]

وكذلك يخاطبه ،فيقول:

نسيم الصبا عج على مربعـــى　　　وعرّج على جـــيرة الأجـــرع

وبعد عدة أبيات يعود إلى مخاطبته مناديا:

نسيم الصبا وانّه للحـــيِّ مـــا　　　بـــمرآك منّي وبالـــمـــسمع[٤]

ومن مخاطبة النسيم إلى مخاطبة (جيرة الأبرق) في قوله:

جيرة الأبرق حياك الـــسلام　　　بتحايا القطـــر تذريـــه الغمـــام

وقوله في نفس القصيدة:

---

(١) الديوان ص ٦٧

(٢) الديوان ص ١٥٧

(٣) الديوان ص ٦٨

(٤) الديوان ص ١٩٠

جيرة الحى حيـــاتي في حمـــى سوحكم لـــو صـــحّ لي فيـــه

ويوجه نداءه كذلك ليناجي الحمامة التي طالما بث إليها الشعراء مكنوناتـــهم، فيخاطبها في مستهل كل بيت من مقطوعة تقع في خمسة أبيات، فيقول:

حمامة فيمَ النوح منك ولا شكوى لبعد حبيب منك قد فارق الـــمثوى

حمامة فيمَ النوح إلْفُـــك حاضـــرٌ وإلفيَ نـــاء والنـــوى غايـــة البلـــوى

حمامـــة لا عـــينٌ عليـــك رقيبـــةٌ ولا عاذلٌ يدعو هـــواك إلى الـــسلوى

حمامة ما نوحي كنوحك في الهوى سواءٌ ولا تـــهوين مثلي كمـــا أهـــوى

حمامة مـــا بـــيني وبينـــك نـــسبةٌ فنوحيَ عن شـــكوى ونوحـــك عـــن

ويتوجه بندائه للعاذل مستخدما أداة النداء ليعي هذا العاذل طلبه فيدعه وشأنه، فيقول:

يا عذولي في الهوى دعني فلو ذقت ذوقى لم تلم من لا يلام(٣)

وكذلك يوجه النداء لعاذله في مستهل قصيدة يعارض بـــها قصيدة فتح الله بن النحاس المشهورة، ويستخدم الأداة (أيّها) وكأنه يريد بذلك تقوية الطلب وتأكيده، فيقول:

أيها العاذل كم: عذلٌ ونُصْحُ كم يليني منك تعديلٌ وجرْح(٤)

ويستخدم الشاعر النداء في شعر المدح؛ ليؤكد لممدوحه أنه المخصوص بالخطاب دون غيره، كما أن أسلوب النداء يدل على أن المنادى له من الأهمية مكان لدى الشاعر، يقول مادحا حسن البار:

---

(١) الديوان ص ٨٣

(٢) الديوان ص ٩٥

(٣) الديوان ص ٨٣

(٤) الديوان ص ٧٠

يا خير ماجد سمـــا ‏ ‏ ‏ ‏ قدرًا وعزَّ منـــصبا
يا نجل الاشْـــراف ‏ ‏ ‏ ‏ م بني النبيّ المجتبى[(١)]

ويمدح الشيخ سعيد بن علي اليمني ،فيكرر النداء في مستهل ستة أبيات من مقدمة القصيدة، وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه سابقا، يقول:

مـــولاي يـــا عـــين ‏ ‏ ‏ ‏ وأجـــــلّ أربــــاب
يا واحد العلياء يــا ‏ ‏ ‏ ‏ فرد الأفاضل والأفاخر
يا واحد المجد المؤثّــل ‏ ‏ ‏ ‏ ـــمحامد والـــــمآثر
يا سيدا جمع الفـــضا ‏ ‏ ‏ ‏ ئـــــل في الـــــموارد
يا محرزا حسن الشما ‏ ‏ ‏ ‏ ئـــــل في البـــــواطن
يا قبلة الأدب الــتي ‏ ‏ ‏ ‏ صــــــلّت لكعبتـــــها

كذلك نجد النداء في الشعر الإخواني الذي يجتمع مع شعر المدح في جذم واحد، مثل قوله:

أخا الود كم تخفى هوى قام لي ‏ ‏ ‏ ‏ عليك دليلٌ لا يناقض بالنكر[(٣)]

وقوله:

يا صاح قــــد رقّـــت العقـــار ‏ ‏ ‏ ‏ وقد صفا كأسها الـــــمدار[(٤)]

ونلاحظ خفوت صوت النداء في الإخوانيات عنه في المدائح لضيق الهوة بين الشاعر ومن خصه بقصيدته الاخوانية، حيث ينحصر النداء في بيت واحد في القصيدة تحذف فيه الأداة.

---

(١) الديوان ص ١٣٨
(٢) الديوان ص ١٦٩
(٣) الديوان ص ٢٥٢
(٤) الديوان ص ٢٦٦

وتزيد حدة صوت النداء في شعر العتاب الذي يعد النداء لازمة من لوازمه، لما فيه من التنبيه للمخاطب المعاتب، وذلك في مثل قوله:

أيها الجـــامح عـــني معرضـــا　　　نابذا عهد مـــوالاتي انتبـــاذا[1]

وقوله:

يا هاجري عذّبت قلبي الولعْ　　　كم أطلب الوصل وكم تمتنعْ[2]

وقوله:

أيها الناســـى محبًّـــا ذاكـــرًا　　　لك ما هب نسيم من جهاتك[3]

ب)-**الأمر:**

استهل الشاعر سبع عشرة قصيدة ومقطوعة من شعره بفعل أمر، إلا أن استعماله لفعل الأمر انحصر في أغراض معينة أظهرها الإلهيات والوعظ والخمريات.

وقد ذكر البلاغيون أن الأمر ظاهره طلب الفعل على سبيل الاستعلاء، إلا أن صيغة الأمر قد تتولد بدون الاستعلاء، فتولد بحسب قرائن الأحوال ما ناسب المقام، فتكون للدعاء والالتماس والإباحة وغيرها من المعاني الجانبية.[4]

نجد الشاعر يستخدم الأمر على سبيل التضرع والدعاء في قصائد الإلهيات، إذ يتوجه إلى ربه متضرعا مستغيثا في ثلاثة أبيات متتالية، فيقول:

خلّص فؤادي من شـــباك　　　فما له غير الهوى صـــائد

---

(١) الديوان ص ٢٨٢

(٢) الديوان ص ٣٢٤

(٣) الديوان ص ٤٠٠

(٤) انظر: دلالات التراكيب للدكتور محمد أبو موسى ص٢٤٧، وبغية الإيضاح لعبد المتعال الصعيدي ٢/٥٣، ومفتاح العلوم للسكاكي ص٣١٨

خصِّص بسرٍّ منك قلــبي يزول عنه رينُه الفاســد
اجعل له نوراً به يهتــدي من ضلّة ديجورها عاقد[1]

ويتوجه إلى ربه طالبا منه أن يشفّع فيه الرسول صلى الله عليه وسلم،قارنا النداء بالدعاء، فيقول:

ربّ شفِّع فيّ الرسولَ وأوجب لي يوم الــمعاد دار الحبــور[2]

وفي قصيدتين متتاليتين تتصل ياء المتكلم بفعل الأمر، ثم يتوالى الاتصال بالكلمات اللاحقة ، ليتعدى الطلب إلى تلك الكلمات، فيكون بذلك صرخة ملهوف لجأ إلى ربه متضرعا، يقول:

أعذني سيدي من شرّ نفــسى ومن خطرات أوهامى وهجسى
ومن خللى ومن زللى وجهلى ومن نظــري ومــن فكــري

ويقول في القصيدة التي تليها على البحر نفسها والروي نفسه:

أنلني منك يا مــولاي قربًــا يزيل وساوسى من بيت حدسى
وأجمعني عليك[4] وقرّ عــيني بنور منك في حضرات قدس[5]

---

(١) الديوان ص ١٨

(٢) الديوان ص ٢٤

(٣) الديوان ص ٣٣

(٤) – في (ج) و(د) وردت : وأجمعني إليك، ويظهر أنــها تصحيح من الناسخ وأثبتنا الأصل هنا. والهمزة همزة وصل ولكنها قطعت حتى لا يختل الوزن.

(٥) الديوان ص ٣٤

وفي الأبيات التالية نجد طلب الاستغاثة مع الاتصال بضمير المتكلمين في ثلاثة أبيات متتالية تتكرر فيها الكلمة، لتتسع بذلك دائرة الطلب ويرتفع صوت الاستغاثة الجماعية، يقول:

أغثنا أغثنا يــا مغيــث فإننــا ... على ظمأ للريّ من غيثك الأروى

أجرنا أجرنا يا مجير وهب لنــا ... بفضلك يا وهّاب عزًّا به نقـــوى

أعذنا أعذنا من شرور نفوســنا ... ومن شرّ ما فينــا مــن الـــميل

ويستخدم الأمر في القصائد الوعظية للحث على التحلي بصفة معينة، والندب لها، مثل طلب التحلي بالصبر والتلبس به في قوله:

اصـــبر لكـــلّ ملمّـــة أمـــدُ ... وسينقضي ويزول مــا تجــد(٢)

وقوله:

الْبسْ لكربك حلّــة الــصبر ... تبدو بأبــهى من ســنا البــدر

وانــهض على قدم الثبات له ... متجافيا عن مضجع الــذعر(٣)

ومما يقوى به أسلوب الأمر أن يقع بعده ما يحث عليه(٤)،إذ نجد الشاعر في قصيدة وعظية يطلب من المخاطب العزلة، ثم يعقب بعد ذلك حاثًّا على هذه العزلة مرغّبا فيها، فيقول:

اعتزل الناس ففــي عزلتــك ... أضعاف ما يحمــد مــن ألفتــك

واتق ما اسطعت جميع الورى ... تظفر بمــا فيــه وقــا مهجتــك

---

(١) الديوان ص ٤٢

(٢) الديوان ص ٤٥

(٣) الديوان ص ٥١

(٤) انظر: دلالات التراكيب للدكتور محمد أبو موسى ص٢٥٦

واقطع عـــن النـــاس الرجـــا   لله عنـــهم في رجـــا وصـــلتك[1]

ويقول:

اتّخذ ملبسا يقيـــك جهـــنم   فلباس التقوى وقَى كلّ مَكْرَم[2]

ويقول:

فاستطب ما زكى تطيب بـــه   إن زكا الورْد طابت الصَّدْرة[3]

ونجده على النقيض تماما في موضع آخر حيث يطلب من المخاطب التلبس بثوب الود والمداهنة، فيقول:

تلبّس لـــمن داجاك في ثوب   مصانعةً يبـــدو بـــــها حلـــوه

ولعل من المناسب لمقام الوعظ طلب ترك شيء والعدول عنه إلى شيء آخر، وذلك ما نجده في قوله:

أزل ردن الرعونة بـــالتخلّي   وحُك بالجدّ أثواب التجلّـــي[5]

ويستخدم فعل الأمر المنقول عن المصدر طالبا من مخاطَبه الترفق بنفسه الكريمة قائلا:

رويدا بنفس منك نفساً كريمة   زكـــا فرعهـــا عـــن أصـــلها

ويطلب الاحتراس من هذه النفس في بيت آخر، ويأتي بعد أسلوب الأمر بما يقويه حيث يعقب واصفا النفس بأنـــها أعدى عدوّ، فيقول:

صاح خذ حذرًا من الـــنفس   خاطبت عقلـــك ناجاهـــا

---

(١) الديوان ص ٤٣

(٢) الديوان ص ٤٠

(٣) الديوان ص ٥٥

(٤) الديوان ص ٥٠

(٥) الديوان ص ٦٠

(٦) الديوان ص ٥٩

واحترس منها فهيْ أعدى عدوٍّ　　　لك أضحى بـــين جنبيـــك

ومما يستدعي أسلوب الأمر من أغراض الشعر شعر الخمريات، إذ يتكرر - غالبا - عند الشعراء في القصائد الخمرية مخاطبة الساقي بأسلوب الأمر من طلب للكأس ودورانـــها وتكرارها وزفّها.

والخمريات لا تشكل ظاهرة بارزة عند محمد قابل، فهي لا تعدو كونـــها تقليدا درج عليه شعراء العصر ليتخذوا شعر الخمريات منفذا يعبرون من خلاله إلى الغزل الإلهي والمدائح النبوية.

يستخدم الشاعر جملة (زفها) في قصيدة خمرية ليستهل بـــها كل بيت من ثمانية أبيات متتالية، فيقول:

قد صفا الراح وراقا　　　فاسقني الكـــاس
زفّها بكراً عروســا　　　واقبـــل العقـــل
زفّها واقض بـــــها　　　ـــر اصـــطباحا
زفّها وانْسَ بـــــها　　　ــــــر ازدواجـــا
زفّها واشرح بـــها　　　ر اجتماعــــــــاً
زفّها وانعش بـــــها　　　ح التثاما واعتناقا
زفّها وارم بـــها الهمّ　　　لـــمن عقّ وعاقا
زفّها وامـــل علـــى　　　ــــــب معانيهـــا
زفّها مستبقاً للأنـــ　　　ـــس بالـــصفو

ثم يتوالى أسلوب الأمر في القصيدة مع تغيير الفعل لإحداث نوع من التلوين الذي يناسب المعنى، وليعطي إيقاعا يناسب المقام، فيقول:

---

(١) الديوان ص ٦٦

واجلها يا بدر شمسا	**لا تخـــف معهـــا**
وانطلق بالعزم معْها	**للمـــــــــسرات**
واسْر بالصدق إليها	**واركب الشوق**
وارقَ بالقصد لديها	**واخرق الـــسبع**
واجعل الحب رفيقا	**وســـق القلـــب**
واجمع الشمل عليها	**ولَهَـــا اســـتهد**

ونجده يستعمل كذلك جملة (زف) في قصيدة أخرى مضيفا إليها كلمة العرائس التي ينعت بـــها الكأس، لتتوالى بعد ذلك أفعال الأمر المتعلقة بـــهذا الجو الاحتفالي، يقول:

فزفّ عـــرائس أكوابـــــها	**لأكفائها واســـقهم واحـــتس**
ومل نحونا وانعطف مـــا لنـــا	**وللغصن مـــعْ قـــدّك الأمـــيس**
وخذها وهات وآنسْ بـــــها	**محبّيك واطرب لهـــا وأنـــس**(٢)

وفي قصيدة أخرى نجده يأمر بالبكور للمدام، مقويا طلبه بما يحث عليه ويرغب فيه، يقول:

فابتكر للمدام بـــاكورة اليـــو	**م فإن ابتكار[ك]الأنس غـــنم**
واصرف الهم بارتياحك للـــرا	**ح اصطباحاً فما مع الراح همّ**(٣)

وفي القصيدة التي تليها يغري كذلك مستخدما أسلوب الأمر للحث على انتهاز الفرص واغتباق الراح، وقد أتى بعده بما يحث على الاستجابة لذلك الطلب، حيث التمتع بالليل واجتلاب السرور، يقول:

فانتهز يا أخا الـــصبا فرصـــة	**ـــو بليل فالصفو بالليل ينمـــو**

---

(١) الديوان ص ١٩٦

(٢) الديوان ص ٢٦٠

(٣) الديوان ص ٢٦٥

واصبُ للراح فارتياحك للرا ح اغتباقاً فهـــو الـــسرور الأتم

فهى قوت الأرواح في بـــرزخ ـــلهو ونشوى النهى وللحلـــم

ج)- النهي :

هو طلب الكف، وله حرف واحد وهو (لا) الجازمة، وهو محذوّ به حذو الأمر في أن أصل استعمال (لا تفعل) يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور، فإن صادف ذلك أفاد الوجوب، وإلا أفاد طلب الترك فحسب. [٢]

وكما كان النداء والأمر حاضرين في قصائد الوعظ نجد النهي كذلك، ولا غرو في ذلك إذ الأمر والنهي عمدة الوعظ. من ذلك ما نجده في قصيدة وعظية، حيث ينهى الشاعر عن نيل الاثم بذم الآخرين، فيقول:

ولا تنـــال الإثم في ذمّ مـــن شقّته في الـــذم مـــن رقعتـــك[٣]

وفي القصيدة نفسها نجده ينهى عن الغيبة والازدراء، فيقول:

فلا تكن تغتـــاب أو تـــزدري من ربه عافـــاه مـــن علتـــك[٤]

وفي قصيدة أخرى يطلب من المخاطب أن يستفيد من نصائحه وينهاه عن الركون إلى عمل الشاعر،فيقول:

يا صاح لا تلغ نصحاً قد منحتكه وافاك من عجري نظمـــاً ومـــن

خذ علم نظمـــى ولا تـــركن إلى فإنني الصدف الحـــاوي علـــى

---

(١) الديوان ص ٢٦٦

(٢) انظر: دلالات التراكيب للدكتور محمد أبو موسى ص٢٥٦،وبغية الإيضاح لعبد المتعال الصعيدي ٢/٤٦، ومفتاح العلوم للسكاكي ص٣٢٠

(٣) الصواب (ولا تنل) وقد تركه الشاعر ليستقيم الوزن.

(٤) الديوان ص ٤٤

(٥) الديوان ص ٤٧

ثم ينهاه عن أن يغتر بمظهر الدنيا الحسن، فيقول:

ولا يغرّك منــــها ظـــاهرٌ حـــسنٌ ولو تنوّع منه الحسن في صُوَر[1]

ويستخدم النهي بدخول الأداة على الفعل(كان) فيطلب من المخاطب أن لا يكون قاصر البصيرة، وذلك في قوله:

لا تكن قاصـــر البـــصيرة في ما ترى من بديهـــة النظـــرة[2]

وينهى عن التعلق بالدنيا والمبالاة بما يجمعه الإنسان فيها، فيقول:

ولا تبال فيما تــحصّله أي طريــــق إليــــه

وينهى عن الجزع لما أهم من الأمور، ولما طرق من حوادث، فيقول:

لا تجزعنّ لـــما أهمّك ربمـــا لك في المهم الخـــير دع عنـــك

لا تجزعنّ لحادث لـــك طيّــه ما ليس يجـــري لـــك في وهـــم

كذلك نجد النهي حاضرا في قصيدة يمدح بـــها الشاعر الوزير يوسف قابل، إذ يتحدث عن جدة، فينهى الناس عن استنكار ما حدث لها، ويقرر أنه أمر طبيعي ومن البدهي أن يحصل ما حصل لها من تغيير في أحوالها، فهو ابن جدة البار الذي لا نكران في تغير أحوالها بعده، وكذلك ينهاهم عن السأم، فيقول:

فلا تنكروا تغييرهـــا عنـــد بعـــده فجسمٌ بغير الـــروح لا شـــكّ

ولا تسأموا إن حـــط في ســـوحها وطنّب فيها للهموم مـــضارب[5]

وكذلك نجد أسلوب النهي ماثلا في عتابه إذ ينهى المعاتب عن طاعة الأعداء واوشاة والجنوح إلى كلامهم، فيقول:

---

(١) الديوان ص ٤٩

(٢) الديوان ص ٥٤

(٣) الديوان ص ٦٠

(٤) الديوان ص ٦٤

(٥) الديوان ص ١٠٢

رويدك لاتجنح إلى أذن من غوى   لأنّك لا تدري بقبح الذي نـــوى

ولا تطع الأعداء في نقض موثـــق   ولا تصغ للواشى الكذوب ومـــا

ولشعر الغزل عند الشاعر نصيب من أسلوب النهي، إذ نجده ينهى أن يقاس به في الحب قلب خلي بعُد طريقه عن الحب، يقول:

لا تقس بي في الحب قلب خَليٍّ   آخذا عن طريقة الحب جنبـــا[٢]

وفي قصيدة أخرى نجده ينهى عن أن يلام في الغرام، فيقول:

لا تلمـــني في غرامـــي إنـــني   عاشقٌ معشوقىَ البدر التمـــام[٣]

---

(١) الديوان ص ٢٥٤

(٢) الديوان ص ٣٠٨

(٣) الديوان ص ٨٣

د)- **الاستفهام** :

إن ما تشيعه أداة الاستفهام أرحب وأدق من أن نحدده تحديدا تاما، وإن المعاني التي يشير إليها هي بطبيعتها خفية وهاربة لاتستطيع وصفها بإحاطة وسيطرة، وهذا ليس بعيدا عن طبيعة اللغة، إذ إنـــها مهما تروّى المتكلم في كلماتـــها وتراكيبها وراجع الاختيار وصقل العبارة، فلن تكون هذه العبارة مبينة إبانة كاملة عمّا أراد أن يبين عنه بـــها. [1]

فالهمزة يطلب بـــها تصور كل ما في الجملة ، كما يطلب بـــهاحصول النسبة أي التصديق، والاعتبارات تكثر في صياغة الجملة الداخلة عليها وتدق حتى تحتاج إلى حذر ووعي في استعمالها، والكشف عنها كشف عن حكمة بالغة الدقة.

وقد لاحظ البلاغيون أن يكون المسؤول عنه بـــها ما يليها؛لأنـــها صالحة لأن يسأل بـــها عن كل شيء في الجملة.

نجد محمد قابل يستخدمها في قصائد الإلهيات، فيسأل بـــها عن تقرر الفعل في قوله:

أجهلنا ما جاء في الآي من إيـــ ـــــــعاد ذي الطـــول للعـــصيّ

حيث ينصبّ سؤاله على تقرير جهلنا بما جاء في الآيات، وكذلك قوله:

أتوحشني الكـــروب وأنـــت وتظلم بي وهديك نور شمسي[3]

حيث يتوجه السؤال عن تقرير هذه الوحشة مع قرب الله جل وعلا.

(١) انظر: دلالات التراكيب ، للدكتور محمد أبو موسى ص٢١٨

(٢) الديوان ص ٢٠

(٣) الديوان ص ٣٣

وفي قصيدة أخرى يتساءل عن تقلبات النفس، فيسلط الهمزة على الفعل المضارع المنفي بلم؛ ليقرر عدم كفايتها وعدم شهادتنا للآيات وعدم إصغائنا للمتلو منها، فيقول:

ألم يكفها ما عنه قد برح الخفا ... ألم يكفها زجرا ألم يكفها ردعــا

ألم تشهد الآيات في كل مظهر ... ألم تصغ للمتلوّ من آية سمعــا[١]

وتدخل الهمزة على الفعل(ترى) مكررا ذلك في ستة أبيات متتالية، ليقرر رأي المسؤول في أوان انقضاء البعاد والجفاء، فيقول:

أترى آن رضــاها ... وانقـــــضى رأد

أتـــرى تقـــضى ... ليَ من بعد قلاها

أترى ترحم قلــبي ... إن قلبي مستواها

أترى تنقذ روحى ... من معاناة هواها

أترى تجلو بمجـــلا ... ها عـــن العـــين

أترى بعد التجني ... والجفـــا عــــيني

كما تتوجه الهمزة إلى الفعل(رأى) في موضع آخر، ليقرر الرؤية البصرية، على سبيل التعجب، فيقول:

أرأت عيونك قبل قامة قـــدّه ... بلّور غصن بالمحاسن مورقا[٤]

وتدخل الهمزة على الفعل(يرضى) في قوله معاتبا:

أيرضيك يـــا قـــبلتي قـــتلتي ... وحزني وسقمي وطول انتحابي[٥]

وكذلك قوله معاتبا:

أتسومني نار الـــمسوّم بالعلا ... حفـــــظ الــــذمام وذلّـــــة

---

(١) الديوان ص ٣٥

(٢) – الرأد :رونق الضحى ، وقيل انبساط الشمس وارتفاع النهار. لسان العرب (رأد)

(٣) الديوان ص٩٢

(٤) الديوان ص ٢٨١

(٥) الديوان ص ٣٩٨

وتدخل الهمزة على الظرف في قوله:

أبعد الأربعين تكـــون صَـــبْوه لعشق مليحة ولشرب قهـــوه[٢]

ليقرر انتفاء الصبوة بعد هذه المرحلة العمرية.

وتقترن الهمزة بـــ (أم) لإفادة التعيين، حيث يذكر الشاعر شيئين ويطلب تعيين أحدهما، وذلك في مثل قوله:

أنضيد دُرٍّ أم مـــضيء دراري أم شَذْرُ[٣] وَرْق أم نثيرُ نُـــضار

أم ورد خدٍّ أم ثنايـــا مبـــسم أم نـــور زهـــر أم زنـــاد واري

أم لمع برق في خلال غمامـــة أم لـــمع نـــور أم تلـــهّب نـــار

أم نفث سحر أم كؤوس عقار أم بدر تـــمٍّ أم شموس نـــهار[٤]

وقد كرر الشاعر (أم) ليقرر أن التعيين من الصعوبة بمكان، فهذا التحير بين هذا الحشد من الصفات يدعي التفوق لهذا الشعر المرسل للجداوي.

وكذلد قوله:

أزهر الربا أهديت أم لؤلؤ العقـــد أم الزهر جاءت في بديع من الرند

أم الروض لا فالروض ماءٌ وتربـــةٌ وعشبٌ وذا شيءٌ يجلّ عن الحـــد

أم النسمات العـــاطرات تأرّجـــت بأعبق من مسك فتيق ومـــن نـــدّ

أم الخمر في كاس الطروس أدرتـــها أم الشهد أم أحلى مـــن الخمـــر

أم الريق من فتّانة الثغـــر والرنـــا بعيدة مهوى القرط ميّاسة القـــد

أم الطرس وافى أم بدا قمر الدجى أم الشمس قد لاحت على شرف

أم الغادة الهيفاء في الحلى أقبلـــت تميس بأزهى من مرنّحة الـــملد[٥]

---

(١) الديوان ص ٣٩٩

(٢) الديوان ص ٦٦

(٣) الشَّذْر : قطع من الذهب يلقط من المعدن من غير إذابة الحجارة. لسان العرب (شذر)

(٤) الديوان ص ١٦٦

(٥) الديوان ص ٤٠٥

وقوله:

أأهديت لي الدر يا ابن الكـــرام … بديع النضارة بـــادي النظـــام

أم الزهر دبـــج أنـــوا ره الـــــ … أريجـــة فـــتّح عنـــها الكمـــام

أم الـــراح نـــضد [راؤوقهـــا] … حبابا وقد فض عنـــها الختـــام

أم الزهـــــر تنـــــشر أعلامهـــــا … لتطوي مطارف سجف الظـــلام

أم الشمس مدت شعاع الـــسنا … على الوهد أم لاح بدر التمام[1]

وقوله:

أقطر الندى أم هذه نفحة الورد … أم الروضة الغنّـــا ســـقاها حيـــا

وكأن هذا الأسلوب الاستفهامي التقريري أصبح لازمة من لوازم شعر الإخوانيات.

وكما جاء هذا التحير الاستفهامي في مقام المدح نجده يتحير متهكما بمهجوه، حيث يبحث عن السر وراء غرور وكبرياء هذا الشخص وغطرسته، فيسوق التساؤلات حول مسوغات هذا الادعاء، وهو إذ يسوق هذه التساؤلات الاستفهامية يريد أن يشكك في استحقاق هذا الشخص لما يدعيه تشكيكا يؤدي إلى تقرير الانتفاء. يقول:

أأنت ورثت الفخر مـــن آل … فكنت إذًا في الـــمصطفين بـــه

أأنت الأمين بن الرشيد خلافةً … أم الـــــمقتفى بـــالله أم أنـــت

أأنسيت من أغنيت بـــالجود … وسفّهت بالحلم الجلـــى حلـــم

أقامت بك الدنيا أحلَّت لـــك … أحفّت لـــك العليـــا بـــــهذا

أأسمعك الشكر الصدى بجميل … تجود به بالقول في كل موقف[3]

---

(١) الديوان ص ٤٥٨

(٢) الديوان ص ٤٠٦

(٣) الديوان ص ٢٩٣

أما اداة الاستفهام **(هل)** فتفيد طلب التصديق فحسب، ولا يسأل بـــها عن غيره، لكننا عند التأمل الدقيق نجد أن ثمة معاني جانبية تظهرها الجملة.

في قصيدة يتوجه فيها الشاعر إلى خالقه طالبا أن يغيثه ويسعفه يقول:

هل لـــمضناك من وصـــالك -يا حبيبي- به أَعزّ وأَسمـــو(١)

فالسؤال يتضمن الاستجارة واللياذ بدلالة ختم البيت بطلب العز والسمو والشكوى من الجفا والضنا في الأبيات التي تليه.

وفي قصيدة أخرى له متأملا متصبرا يعزي نفسه عن الدنيا ويتأمل في حال الناس بـــها متسائلا بقوله مكررا الأداة:

حسب البصير بحالها مع أهلها ومن استطاب نعيمها ولها استكن

هل نال بغيته وهل دامت له هل عاهدتْه على البقا وبــــــها

فالاستفهام هنا كأنه يحمل معنى النفي، حيث يستبعد أن يكون صاحب الدنيا قد نال ما يبتغيه منها، و لم تدم له إذ لم تعاهده على البقاء فيها.

كذلك ينطوي الاستفهام على نفي في مدحه للوزير يوسف قابل حيث يقارن بين الوزير ومن ينافسه نافيا أنـــهما يتساويان، فأخوه يخطبه المجد وتسعى إليه المعالي أما الآخر فيجري وراء المعالي طالبا لها، يقول:

وكم طالب بالكد مجداً وســؤددا وكم سيّد تسعى إليه المطالـــب

فهل يتساوى الفضل في أَمْجَـــدَيْ إذا كان مخطوبا وهذاك خاطب(٣)

---

(١) الديوان ص ٣٩

(٢) الديوان ص ٦٥

(٣) الديوان ص ١٠١

ونجده يتحدث عن البعد في مستهل قصيدة غزلية، فيتساءل عن أجل هذا البعد وأمده مستخدما الأداة (هل) ، فيقول:

هل لهذا البعد من أجل أرتَجيه أم إلى الأجل
هل له مَـدٌّ إلى أمـد ينقضي يا غاية

فالاستفهام هنا ينطوي على يأس، إذ تتبدى نبرة اليأس هذه من استخدام الشاعر للحرف (أم) في آخر البيت إضافة إلى تكرار الأداة (هل) في البيت الثاني واستخدام لفظتي(الأمد) و(الأمل).

وفي قصيدة اخوانية نجد النفي نتيجة لاستخدام الشاعر لأداة الاستفهام (هل)، إذ يقول:

وهل يشفى الغليل لمن صبابته بأن تبكى العيون
وهل يجدي المحب إذا تشكّى سوى أن يبدوَ السر

ويكرر الاستفهام بـ (هل) في خمسة أبيات متتالية في مستهل قصيدة هجاء إذ يستنكر أن يكون المهجو صاحب علا ورفعة وسؤدد، وهو إذ يسوق هذه الأبيات المصدرة بالاستفهام يريد أن يقرر النفي لما استفهم عنه، يقول:

هل ظننتم بأن تكون العلى لَهْ وهو في الناس من حثال الحثاله
هل علمتم بأن يكون رفيعاً من يربّى في حجر أهل النذاله
هل سمعتم بأن يطول إلى المجـ ـد ضئيل حقارة أو ينالـه
هل رأيتم بأن يسود سفيهٌ حاز وصفيْ سفاهة وسفاله
هل جرى في القياس أن يعلو س عديم الإحسان بادي

---

(١) الديوان ص ٨١

(٢) الديوان ص ٢١٧

(٣) الديوان ص ٢٩٨

ويستخدم (هل) مفرغة من معنى الاستفهام لاقترانها بالأداة (إلا) التي تفيد الحصر، ليؤكد أن الإنسان الحق هو من تمتع بلب وسلامة منطق وخطاب وإلا فلا، فيقول:

هل الـــمرء إلا لبّه وخطابـــه ... فإن عزبا عنه تولّى صـــوابه[1]

ويوجه استفهامه في قصيدة غزلية إلى البرق، فيسأله عن(حاجر) ذلك المكان الذي يعد رمزا من رموز تشوق الشعراء، فيستخدم لذلك الهمزة ثم يتحول إلى الاستفهام بـــ (هل) في الأبيات الثلاثة التالية سائلا عن البان والظباء والأحبة، وهو بـــهذا الاستفهام لا ينتظر جوابا من المسؤول؛ لأنه استخدم الاستفهام وسيلة لذكر الأحبة وديارهم، يقول:

أصخ أيها الـــبرق الخطـــوف ... كعهديَ روضٌ ناضرٌ أم مصوّح

وهل عَذَبات البان فيه يوانـــعٌ ... إذا انقشعت ريح الصبا تتـــرنّح

وهل للظبا ملهى به ومراتـــعٌ ... فعهدي بـــها في سفحه تتفسّح

وهل من نأوا عـــن نـــاظري ... فؤادي رووا عـــن حـــالتي أم

وعلى هذه الشاكلة يسائل نسيم الصبا في قصيدة غزلية أخرى، فيقول:

نسيم الصبا هل من حديث عن الحبّ ... وهل خبرٌ عن جـــيرة البـــان والـــشعب

وهل عُجْت حيث السفح من شعْب ... وحيث النقا والـــسيح ذوالـــمنـــــزل

وهل جزْت وادي المنحنى وعقيقـــه ... وبالروضة الفيحاء من موطن القُـــرْب[1]

---

(١) الديوان ص ٣٩٧

(٢) الديوان ص ٤٠٣

(٣) – رامة :موضع في طريق حاج البصرة إلى مكة . معجم البلدان ٣/ ٢٠ _ النقا : موضع بالمدينة يقع بين وادي بطحان والمصلى. وفاء الوفاء ٤/١٣٢٢_ السيح : اسم لما حول مساجد الفتح غربي المدينة. وفاء الوفاء ٤/ ١٢٤٠

وهل ملْت نحـــو الـــرقمتين وبـــارق　　　　لحيٍّ غدا فـــرط الغـــرام بـــــهم دأبي[2]

أما أداة الاستفهام **(كيف)** التي تستخدم في الأصل للسؤال عن الحال، فنجد الشاعر يتساءل بـــها بعد أن أعلن تشوقه إلى نجد وبعد أن وصف مدى اشتياقه وشجونه، ليختم مستفهما بالأداة (كيف) من أجل التأكيد أن الحال ستكون مضاعفة لمن له ذكريات بتلك الأنحاء، فلا عجب حينئذ من هذا الشجن والحنين، يقول:

ومن تك في نجد لبانـــات وَجْـــده　　　　يجـــدُّ إليهـــا جـــدُّهُ وابتـــداره

فكيف وللعـــشاق ثَـــمّ مقاصـــد　　　　زها عدّها من أن يُرام انحصاره[3]

ويتساءل بعد أن امتدح نصيب من يقصد الأجواد كيف يكون حال من قصد جوادا عمت مكارمه واشتهرت، فيقول:

ومن قصد الأجواد أو حـــلّ　　　　يعد ظافراً منهم بجود ونعمـــاء

فكيف بمن عمّـــت مكارمـــه　　　　عموم ظهور للقريب وللنائى[4]

وقد تحمل (كيف) معنى التعجب أو النفي والاستنكار، وهذا ما نجده في أبيات غزلية، إذ يكرر الشاعر التساؤل بـــها مستنكرا نافيا أن يسلو المحب العاشق، فيقول:

كيف يسلو الحب قلبٌ عاشقٌ　　　　كيف سكران الهوى يا صـــاح

كيف أسلو ولقلـــبي راحـــةٌ　　　　بالذي أهواه لا كـــدٌّ وكـــدح

---

(١) – المنحنى : موضع له ذكر في الغزل بأماكن المدينة ، وهو بغرب المصلى شرقي بطحان . وفاء الوفاء ١٣١٤/٤

- العقيق : اسم واد يمر بذي الحليفه غربي المدينة . معجم البلدان ١٥٦/٤ وفاء الوفاء ١٠٦٨/٣

(٢) الديوان ص ٦٨

(٣) الديوان ص ٢٨

(٤) الديوان ص ١٣٢

كيف أسلو من سـنا غرّتـه ودجى طرّتـه ليـلٌ وصـبح
كيف أسلو من صفا وجنتـه جنةٌ يزهو لهـا بالقلـب لفـح
كيف أسلو من قنـا قامتـه وشبا مقلته سـيفٌ ورمـح[1]

كذلك يستنكر من القلب السلو في قصيدة أخرى، فيقول:

فكيف القلب يسلوها وروحى بقبضتها وقلـبي مـستواها[2]

ويستمر استنكاره للسلوان في قصيدة أخرى، مكررا ذلك في عدة أبيات، فيقول:

كيف أسلو ذكر أيّام الـصبا وهى كانت لـحياتي سـببا
كيف أسلو صـبوةً ألبـسني أنسها الـمحض ثيابـاً قـشبا
كيف أسلو نـشوةً أنعـشني روحهـا بـل شملـتني طربـا
كيف أسلو خمرةً دارت بـها أكؤس الصفو وراقت مشربا[3]

ويستنكر النسيان كذلك، في ثلاثة أبيات، مردفا تكرار (كيف) بتكرار حرف السين في جل الكلمات، إذ يضيف هذا التكرار للسين مزيدا من الأسى، فيقول:

كيف أَنسى أُنـسى وكعبـة ودواني غرسى وعـين يقـيني
كيف أنسى أمـسى وكـان بسط نفسى به وقبض شـؤوني
كيف أنسى جـسّي لأوتـار وتغنّي حسى بـشعر جنـوني[4]

وكذلك يتساءل عن مكاتمة الأشواق مستصعبا ذلك، فيقول:

وكيف يكاتم الأشواق صـبٌّ يجاذبه الغرام بكلّ مـشجى[5]

وقريب منه تساؤله بقوله:

---

(١) الديوان ص ٧٠
(٢) الديوان ص ٩١
(٣) الديوان ص ١٣٥
(٤) الديوان ص ٢١٩
(٥) الديوان ص ١٤٥

وكدّرت بالسلوى صفا المنهل	فكيف أرى أنّي مللت هواكمُ
أنطت فؤادي من عرى الحب	وكيف يميل القلب عن حبّكم

أما أداة الاستفهام (أين) فيستفهم بها عن المكان الذي حل فيه الشيء، لكن كما هو حال أدوات الاستفهام يفرز لنا السياق معاني جانبية، فتتمايز أساليب الاستفهام تبعا لنسق الجملة ومتعلقاتها.

يتساءل الشاعر متأملا في حال الدنيا فيستفهم عن الملوك والأغنياء وأولي القوة الذين مرّوا بهذه الحياة ثم طُووا في مسارب النسيان، فيقول:

قد أترفوا في ملاب[2] التيه	أين الملوك وأصحاب اللكوك
واستملك الناس من باد ومحتضر	وأين من ملك الدنيا بأجمعها
أحفاد معتضدٌ في الملك بالوزر	وأين من جمع الأجناد واحتشد
آساد حذرا من المكروه	وأين من نكّل الأضداد وارتبط
قهرا بصولة عزم منه مقتدر	وأين من قهر الأعدا بسطوته
صيتاً وأرعبها بالمنظر البهر	وأين من أرهب الدنيا بدولته
مبانيَ العز بين البيض والسمر	وأين من شاد للعليا بعزمته
وأين من جاد بالآلاف والبدَر[3]	وأين من بسط الجدوى لسائله

---

(١) الديوان ص ٩٤

(٢) الملاب : ضرب من الطيب. لسان العرب (لوب)

اللكوك : جمع لكّ ،وهو في العدد مائة ألف عند أهل إيران والهند واليمن، وعند المولدين عشرة ملايين، ويذكر الجبرتي بأن (اللك) الواحد مائة ألف فرانسي.المعجم الوسيط (لكّه)

(٣) – البِدَر: جمع بدرة، وهو جلد السخلة إذا فطم، وهو الكيس فيه ألف أو عشرة آلاف دينار. لسان العرب (بدر)

والشاعر بتساؤلاته المسترسلة هذه لا ينتظر تعيين مكان ذهب إليه هؤلاء لكنه أراد أن يقرر فناءهم وينفي عنهم الخلود، لذلك أعقب على هذه الأسئلة المتتالية بجواب أراد أن يقرر به الحالة، فقال:

لم يبق من جمعهم عـــينٌ ولا أثـــرٌ   والدهر يفجع بعد العين والأثـــر
مرّوا فناءً ومرّ الـــمَلَوان بـــــهم   مرّ الصوالج في الدهماء بالأكر[1]

وفي أبيات أخرى يطلق الشاعر سؤاله ليجعله صرخة في أذن الصدى الذي يعيد إلى مسامع السائل السؤال، والشاعر إذ يقرر ذلك يريد التأكيد أنه ليس ثمة من يستمع إليه، وليس ثمة من يشاركه همه، يقول:

فأظل أنعي والصدى ينعي معي   هيهات ما يجدي النعـــيّ بكـــاء
فأقول أين الفضل والفـــضلاء   فيقول أين الفضل والفـــضلاء
أين المعالي أين من سادوا بـــها   مجداً وكان على الزمان بـــهاء
اين المعالي أين من تسمو بـــهم   بين الأنـــام الرتبـــة القعـــساء
مات الجميع وليس من آثارهم   باق سوى الذكرى لهم وثنـــاء
أين المعالي أين مـــن حـــسنت   دنيـــاهمُ وتوالـــت النعمـــاء
واليوم من قبح الزمان وأهلـــه   شـــغلت بـــــهجو دعاتـــه

وهو بذلك لا يسأل عن مكان معين ذهبت إليه المعالي، وإنما أراد ن يقرر موت المعالي وذهاب أهل الفضل والفضلاء.

وفي ثلاثة مواضع من قصائد متفرقة يتساءل الشاعر عن (المدى)، فيصيفه تارة إلى مجد النفوس مقررا تسامي هذا المدى عن مدى الأدعياء الذين يجدّون لأدراك المجد، فيضيع جهدهم سدى، يقول:

وأين مدى مجد النفـــوس الـــتي   لقد قطعت من دون ذاك المطامع

---

(١) – الأكر: الحفر في الأرض واحدتـــها أكرة. لسان العرلاب (أكر)
_ الديوان ص ٤٩
(٢) – الديوان ص ٢٨٨

وأنَّى له أن يدرك الـــمجد لاحقا　　　وقد أدركوا هذا الـــمدى وهـــو

ويضيفه تارة إلى (مدى العلياء) ليعلن قصوره عن الإتيان بفكرة تستطيع أن تصف هذا المدى، فيقول:

ترى ماجـــداً حـــاز الــــــمروءة　　　خلائق مثل الشمس باد سفورها

إلى شــــرف لا أحتويــــه بمدْحــــة　　　ولو راق منّي نظمهـــا ونثيرهـــا

وأين مدى العلياء منّـــي لفكـــرة　　　يثبّطها دون الـــمرام قصورها[٢]

ثم يضيفه في أخرى إلى الشاعر الذي يروم أن يأتي بثناء يليق بالممدوح، فيكون المدى بذلك قاصرا عن إحصاء المزايا والمناقب، فيقول:

وأين مدى الـــمثني عليـــك　　　أيحصى مزايا كلّهن مفـــاخر[٣]

وقد يسبق الأداة (أين) حرف الجر (مِن) ليعلن الشاعر بذلك عن حيرته ويأسه، يقول:

لها ظمـــأٌ والـــورد عنـــها ممّنـــعٌ　　　فمن أين للظمآن يُـــروى أواره[٤]

أما أداة الاستفهام (**أنّى**) التي يسأل بـــها عن الحال فتأتي بمعنى (كيف)، ويسأل بـــها عن المكان فتأتي بمعنى (أين)، تأتي في شعر محمد قابل بمعنى (كيف) ، إذ نجدها في مواضع يعلن فيها الشاعر قصوره وعجزه عن أن يأتي شاعر مثله بما يوفي الممدوح حقه من الثناء والمديح، أو أن يحصي مناقبه وصفاته، إذ يقول:

فأنَّى لـــمثلى بالثنـــاء لــــــمثله　　　ولو زان قولي في الثناء ابتكاره[١]

---

(١) – الديوان ص ٥٦

(٢) – الديوان ص ١١١

(٣) – الديوان ص ١١٤

(٤) – الديوان ص ٢٦

ويقول:

أنّى لــمثلى حــصر دونه الوصّاف قاصر[2]

ويقول:

وأنّى لــمثلى أن يروم ويــدّعى مرام مقام دونه الــسم نــاقع[3]

ويقول:

أنّــى لإحــصائى الثنــا ء به ولو أفرغت جهدي[4]

ثالثا) – أسلوب الشرط:

يكون الشرط بحسب الجواب، فإن كان الجواب خبرا كان خبرا، وإن كان إنشاء فهو إنشاء.

وأسلوب الشرط حاضر بقوة في شعر محمد قابل، فلا يكاد يخلو منه غرض من الأغراض التي طرقها، إلا أنه أكثر حضورا في شعر الإلهيات والتأمليات والوعظ، إذ الشرط لازمة من لوازم هذه الأغراض حيث تترتب النتيجة على الفعل.

أبرز أدوات الشرط التي استخدمها الشاعر (إذا) و (إن) و (من) و (لو) ، وأكثر هذه الأدوات استخداما عنده الأداة **(إذا)** وهي ظرف للمستقبل مضمنة معنى الشرط، وتختص بالدخول على الجملة الفعلية، ويكثر أن يأتي الفعل بعدها ماضيا، ويقل أن يأتي مضارعا.

---

(١) – الديوان ص ٢٩

(٢) – الديوان ص ١٧٠

(٣) – الديوان ص ٥٨

(٤) – الديوان ص ١٦٠

وقد اقتصرت في شعر محمد قابل بدخولها على الفعل الماضي، ففي قصيدة تأملية نجد الجملة تستغرق ثلاثة أبيات، حيث عطف الشاعر على فعل الشرط ثلاثة أفعال ماضية ليأتي في مستهل البيت الثالث بجواب الشرط ليعطف عليه كذلك فعلا آخرا، يقول:

فــإذا مــا شــهدت تلــك وتجلّى لك الجمــال الــــملثّم
وسلكت الطريق في زيّ أعمى وصحبت الرفيق في زيّ أبكــم
كنت قطب الوجــود حقــاً لك فيه حالٌ كمــا تتوسّــم(١)

كذلك نجده في قصيدة مدح يعطف على فعل الشرط فعلا ماضيا لكنه يأتي بالجواب فعلا مضارعا ليعطف عليه بالتالي فعلا مضارعا آخرا بالفاء ليكون نتيجة لجواب الشرط، ثم يأتي بعده بـــ (ما) الموصولة ليقوي العلاقة بين فعل الشرط وجوابه، وكأنه أراد عندما زاوج بين الماضي والمضارع أن يستقصي ما كان وما سيكون من فعال الممدوح وقدرته على مواجهة الخطوب، يقول:

إذا عنّ خطبٌ أو دجى بــك تضيء فتمحو منــه مــا كــان

وهذه القصيدة زاخرة بالشرط إذ نجده في موضع آخر منها يستخدم الأداة (إذا) في صدر البيت ليجعل العطاء جوابا للسلم، ثم يستخدم أداة الشرط(إن) في عجز البيت ليجعل شدة الانقضاض نتيجة لحرب الأعداء، ثم يستخدم في صدر البيت الذي يليه جملتين شرطيتين مستخدما منهما الأداة (إن) ليربط بين عطاياهم والغنى في الأولى وبين الوعد والوفاء في الثانية، ونتيجة لحرصه على أن يتناسق البيت مع سابقه أتى في عجزه بما يناسب الحرب والشدة ولكن من طريق آخر إذ ربط بين النقمة والعفو، وأخيرا يخرج من هذا الجو المفعم بالشجاعة والكرم في ثالث الأبيات ليربط بين احتشاد محافلهم ورؤية الشموس ليعبر بذلك عن الجمال الحسي لهم، يقول:

إذا سالــموا ارفضّوا غيوثــاً وإن حــاربوا انقــضّوا ليوثــا

---

(١) – الديوان ص ٤١

(٢) – الديوان ص ١٢٧

وإن منحوا أغنوا وإن وعدوا وإن نقموا ذنباً أحبّوا التغاضـــيا
إذا احتشدت منـــهم محافـــل رأيت شموساً للعيـــون بواديـــا
ولم تر منهم قاصراً عن سيادة ولا غافلاً عنها ولا متوانيـــا[1]

ونلاحظ أن البيت الرابع قد جاء معطوفا على جواب الشرط في الثالث، حيث عطف الفعل المضارع المنفي(ترى)، ثم عطف على مفعوله(قاصرا) الكلمات(غافلا) و(متوانيا).

وفي آخر القصيدة يعود الشاعر إلى استخدام الأداة (إذا)؛ فيصرح بذلك عن رغبته التي مهد لها بكل هذا المدح ليربط تحقق امنياته بأن يلاحظه الممدوح بنظرة رحمة، يقول:

إذا لاحظتني منك نظرة راحم بلغت من الأيـــام مـــا كنـــت

وفي قصيدة إخوانية ترتدي ثوبا خمريا يجيب بـــها الشاعر على إبراهيم الأمير جاعلا الارتواء نتيجة لارتشاف الظمآن من هذه السلافة، وفي البيت الذي يليه يستخدم الأداة (إن) ليجعل الشم شرطا للاستشفاء بـــهذه السلافة، يقول:

إذا ارتشف الظمآن سلسالها ارتوى وعاد بـــها نشوان بالسكر مكتسى
وإن شمّ ريّاها العليل شفى بـــــها وكم لشذاها صحّ أحياء مرمس[3]

وفي قصيدة غزلية يتحدث عن جمال لحاظ الحبيب، ويطرق لذلك طريقا طالما طرقه الشعراء ألا وهو الربط بين نظرات هذه اللحاظ والسهام، ويستخدم لذلك الأداة (إذا)، ثم يعقب في البيت التالي مستخدما الأداة(إن) ليربط بين ميس القد وغصن الأراك، حيث أتبع جملة (ماس) بجملة (أزرى)، ثم أتى في عجز البيت بالاستفهام ليؤكد هذه النتيجة، يقول:

إذا ما رنا بـــاللحظ أرســـل مريّشةً من مقلتيـــه إلى كبـــدي

---

(١) – الديوان ص ١٢٨
(٢) – الديوان ص ١٢٩
(٣) – الديوان ص ١٨١

وإن مــــاس أزرى بــــالأراك وهل لأراك الـــروض رقّــة ذا

وقد يأتي الشاعر بفعل الأمر جوابا لفعل الشرط الماضي مما يحدث مباينة في التعبير تخرج الأسلوب من رتابة التوقع، وذلك في مثل قوله في قصيدة اخوانية:

إذا ما قضى أو ناب عنه يراعــه فقل في مضاء العــضب أو في القنـــا

ويستخدم الشاعر الشرط لرسم صورة بيانية إذ يجعل لفكرته بكاء وانـــهمال دموع عندما تتمشى هذه الفكرة في رياض أنسه متذكرة الأيام الخوالي، فيقول:

إذا ما تمشّت فكرتي في رياضها بكـــت واســـتهلّت بالبـــديع

وقد نجد الأداة (إذا) تدخل على الضمير أو الاسم الظاهر في مثل قوله:

إذا نحن أسرفنا فأنت كــريم وإن نحن قصّرنا فأنــت عظـــيم

ثم يتحول من الأداة (إذا) إلى (إن) في البيتين التاليين ليعود بعد ذلك إلى الأداة (إذ) في البيت الرابع ليطلب من الله الموالاة ونستطيع إن نرجع السبب في عودته إليها أنه أراد أن يمتد بالشرط إلى المستقبل، يقول:

وإن عظُمت منّــا الــذنوب بأنك غفـــار الـــذنوب رحـــيم

وإن دنّستنا بالعيوب نفوســـنا فإنك ســـتّار العيـــوب حلـــيم

إذا لم توالينــــا وأنـــت وليّنـــا فلـــيس يوالينـــا أخٌ وحمـــيم(٤)

وفي موضع آخر تدخل (إذا) كذلك على الضمير ليأتي جوابـــها فعلا ماضيا، ثم يتحول في البيت التالي إلى الأداة (إن) ليأتي جوابها أيضا فعلا ماضيا، يقول:

---

(١) – الديوان ص ٣١٦

(٢) – الديوان ص ٤٠٤

(٣) – الديوان ص ٤٢٦

(٤) – الديوان ص ٣٩

إذا أنا لم أقبل من الدهر كلّما بدا لي منه آلَ يسري إلى العسر
وإن أنا لم أوسعْهُ منّي الرضا تكرّهت منه طال عتْبي على

ولعل السبب في تنويع الأداة عند شاعرنا يعود إضافة إلى ما ذكرنا من اختصاص الأداة إلى المحافظة على الوزن والابتعاد عن رتابة التكرار.

ومن دخول (إذا) على الاسم الظاهر قوله:

إذا الحب لم يدن المحب ويُقْصه دلالاً فمن يدني المحب ومن

وقوله في القصيدة نفسها:

إذا المرء لم يغنم من العمر ألمّت فلا يجزع إذا ريع بالغصّ

وكذلك قوله في أخرى:

وإذا الفتى جعل الفراسة عينه كانت لكشف الغيب عين

أما أداة الشرط (**إن**) الجازمة المختصة بالشرط، إذ تدخل على الفعل المضارع فتجزم الأول شرطا والثاني جوابا أو جزاء، وإن لم يكن ثمة جزم اقترن الجواب بالفاء، وذلك في مثل قوله:

إن تدن من قربيَ أو تعرض فالود مني لك لا ينقضى
وإن بدا نقضٌ لعهدي فلي روابطٌ للحب لم تُنْقَض(٤)

لكننا نجد أن (إن) في شعر محمد قابل يغلب دخولها على الفعل الماضي ،في مثل قوله:

وإن أودعتني سراً أصنْه وإن ناديتني جهراً ألبّى(٥)

---

(١) – الديوان ص ٥٣

(٢) – الديوان ص ٤١٩

(٣) – الديوان ص ٤٣٥

(٤) – الديوان ص ١٨٨

(٥) – الديوان ص ٢٤٧

وكذلك ما نجده في دخولها على جملتين في بيت واحد يأتي جواب الأولى ماضيا، وفي الثانية اسما مقترنا بالفاء إذ من حقه ذلك كما أسلفنا وذلك في قوله:

وإن عاد عـــاد الــــمجد في وإن غاب هــذا الفـــرد فالــــمجد

ومن ذلك أن يكون الجواب فعل أمر في مثل قوله:

فإن جنحت للسلم فاجنح لها ولا ترم حربَها واستكفها الــشرّ تكتــف

وإن جمحت فامدد إليها عنانــــها ورض صعبها بالسهل مــن خلقــك

وقد يكون فعل الشرط ماضيا ويأتي جوابه مضارعا في مثل قوله:

فإن عشت لم يعلق بعرضي ريبـــةٌ وإن متّ يبقـــى لي بــــها ولــه

وقوله:

وتعرف أنني إن صنت ســـري حياءً منك حـــالي عنـــه يــنبي

وقوله في نفس القصيدة:

وإن أودعـــتني ســـراً أصـــنْه وإن نـــاديتني جهـــراً ألبّـــي(٤)

وقد يسبق المضارع بحرف استقبال فتقترن حينئذ بالفاء مثل:

إن دام لي هذا التجلّي بالرضا فلـــسوف يحمـــد في البراعـــة

وكذلك نجد الأداة **(مَن)** يغلب دخولها على الأفعال الماضية في شعره، وذلك في مثل قوله:

ومن نحـــا ذاك الفنـــا مملقـــا عـــاد مليّـــا بـــأعز النقـــود

---

(١) – الديوان ص ١٠٢

(٢) – الديوان ص ٥٩

(٣) – الديوان ص ٢٩١

(٤) – الديوان ص ٢٤٧

(٥) – الديوان ص ٤٢٣

ويكون الجواب اسما في البيت الذي يليه:

ومن توخَّى الخير في معدن الـــ ـــــخير حقيـــقٌ بالـــــمنى أن

وفي مطلع قصيدة وعظية يكرر الشاعر (مَن) الموصولة مرتين، ثم يستخدم (من) الشرطية في الأبيات التالية، وكأنه أراد بذلك المجانسة بين الكلمتين، وذلك في قوله:

هو الله ينـــصر مـــن ينـــصره ويخذل لا شـــكّ مـــن يكفـــره

ومـــن ينـــصر الله لا غالـــبٌ لـــه لا ولا أحـــدٌ يقهـــره

فمـــن يتـــق الله يجعـــل لـــه طريقـــا إلى رشـــده يعـــبره

ويجعـــلْ لـــه ربـــه مخرجـــا من الضيق يسرا لـــما يُعـــسره

ويشرحْ بنور الهدى صـــدره ويكفيَـــه شـــرّ مـــا يحـــذره

ومن كـــان مـــوْرده ســـيئاً يـــسوء كمـــورده مـــصدره

ومن مَكَرَ الـــسوء في خلقـــه يحيـــق بـــه كلّمـــا يمكـــره

ومن جـــرّ شـــرًّا إلى مـــسلم فيـــضمره عنـــه أو يظهـــره

يعـــود إلى نفـــسه شـــرّه فيُرمى بـــهوّة مـــا يحفـــره(٢)

فالأبيات كلها تقوم على أسلوب الشرط ويتنوع الشرط والجزاء بين الأفعال الماضية والمضارعة والأسماء.

وفي قصيدة وعظية الشاعر يغدق تأملاته التي تدور- غالبا - حول الدنيا ومآلها، فيستخدم لذلك الأداة (من) في ثلاثة أبيات متتالية ليكون الجزاء مختلفا في كل من الأبيات الثلاثة ، يقول:

ومن صحب الدنيا وبـــاغض لأجدر أن لا يستقيم لـــه أمـــر

ومـــن رام في الـــدنيا المقـــام لنَقْلَته الدنيا وعاجلـــه الـــدهر

---

(١) – الديوان ص ٢٣

(٢) – الديوان ص ٣٣

ومن وثقت منه الظنون بـــها حصول مرام فهـــو بـــالطيف

وفي القصيدة التي تليها يتحدث عن نوائب الزمان واصفا موقف الإنسان منها موضحا جزاء كل موقف، إذ يتحدث في البيت الأول عن الصبر والرضى ونتيجته، وفي البيت الثاني عن الضجر وعاقبته، فيقول:

ومن اطمـــأنّ لهـــا وقابلـــها برضًى مضت مـــن حيـــث لا

ومن استشاط لنازل ضـــجراً يهوي به في هـــوّة الخـــسر[٢]

وفي قصيدة أخرى يتحدث عن الإنصاف في بيت واحد، فيجعل الصدر شرطا والعجز جزاء، يقول:

ومن جعل الإنصاف أسّ فعالـــه أقام بناءً لم يـــصدّعه صـــادع[٣]

ويطابق بين رؤية الحسن ورؤية القبح، فتأتي النتيجة كذلك مطابقة تبعا للشرط بين التصديق والتكذيب، فيقول:

فمن رأى حسنها يصدّقها ومـــــن رأى قبحهـــــا

ويتحدث عن عزمه مفتخرا، فيجعل استصغار الأمور الكبيرة صفة لمن يتحلى بعزم كعزمه، فيقول:

ومن كان عزماً كعزمـــي لـــه يرى الأرض باعاً به أو ذراعا[٥]

---

(١) – الديوان ص ٥١

(٢) – الديوان ص ٥٢

(٣) – الديوان ص ٥٦

(٤) – الديوان ص ١٤٤

(٥) – الديوان ص ٤٢٤

أما الأداة (**لو**) فهي حرف امتناع لامتناع ، وهي حرف يتضمن معنى الشرط، ويفيد التعليق في الماضي وهو أكثر استعمالها.

نجد محمد قابل يوظفها واصفا واقعة حال، حيث يعتب على رفاق له، فتمتد جملة الشرط على ثلاثة أبيات، إذ يجعل البيت الأول شرطا، ثم يأتي بالجواب في البيت الذي يليه عاطفا عليه البيت الثالث، يقول:

ولو علم الــروض النــضير   وأيقن طير الروض ذلك أو ظنــا

لــما مال غصنٌ في الربا سيل   لحزني ولا الطير الغريد بــها غنى

ولما انتــهى عتــب الريــاض   بــدا لي جــوابٌ لا يُــدس ولا

ونجده يسخر ممن لا يجيد نظم الشعر، فيسخر من قصيدته، فيقول:

لو أنــني كلّفــتُ في مثلــها   لاخترت عنه وصْــمة التمتمــة

ولو أطيلت كنــت شــبّهتها   بسيرة البيــبرس والدهمــة(٢)

وفي قصيدة اخوانية نجد (لو) تدخل على الجملة الاسمية ويأتي جوابــها فعلا ماضيا،فيقول واصفا قصيدة:

فلَوَ أنَّني شبّهت سحر بيانــــها   بالسحر قالوا لم تزدنا معرفــه

أو قسته بالروض ســال معينــه   شهداً وكاد فــم الــصبا أن

ويشتكي من ملازمة قلبه للغَواية، فيبالغ في الوصف إلى درجة أن هذا القلب لو حاولت قوة أن تردعه وتثنيه عن السعي للبغي لتدانى لهذه القوة المانعة وحبا إليها حبوا وزحف راجيا لها لتتركه وشأنه، يقول:

ولو أقصرتْه السعى للبغى قــوةٌ   تدانى له حبوًا وأمّ لــه زحفــا(٤)

---

(١) – الديوان ص ٢٧٤

(٢) – الديوان ص ٣٠٠

(٣) – الديوان ص ٤٣٠

(٤) – الديوان ص ١٩٤

وختام القول في هذا المبحث الذي تحدث عن اللغة هو أن أظهر ما يميّز شعر محمد قابل هو سلامة لغته، فقاموسه الشعري يعتمد على لغة المثقفين الذين تحكم لهم بالتضلع في اللغة المعجمية وتمثلها بعيدا عن التقعر والتوعر، لا سيما وأن شاعرنا محسوب على طبقة العلماء وعلية القوم، وخير شاهد على ذلك إخوانياته ومراسلاته، ومدائحه للأعيان، وعلاقاته مع النابـــهين في المنطقة وخارجها.

ثانيا / هيكل القصيدة

أولا -البناء الموضوعي

ثانيا - الطول والقصر

ثالثا - الهياكل المستعارة

رابعا - الشكل الشعري

ما أقصده بـهيكل القصيدة هو طريقة البناء الموضوعي للقصيدة حيث المقدمة وحسن التخلص وحسن المقطع، و كذلك ما يجتلبه الشاعر من شعر غيره متمما أومعارضا، ثم الشكل الشعري وهو طريقة استخدام الشاعر للبحور الخليلية تامة ومجزوءة، يتلو ذلك الحديث عن الأراجيز والموشحات.

أولا) - البناء الموضوعي للقصيدة:

أ - المطالع:

المطلع هو البيت الأول في القصيدة، وهو أول ما يقع في السمع من القصيدة، والدال على ما بعده، فإذا كان حسنا بديعا، وصدر بما يكون موجبا لإيقاظ نفس السامع، أو أشرب بما يؤثر فيها، كان ذلك داعيا إلى الإصغاء والاستماع إلى ما بعده.

وقد ركز القدماء على المطلع انطلاقا من القاعدة البلاغية المشهورة"مطابقة الكلام لمقتضى الحال"، خاصة في قصائد المدح والتهاني،فأوجبوا على الشاعر أن يحترز في مطالعه مما يتطير منه، و" ملاك الأمر في جميع ذلك أن يكون المفتتح مناسبا لمقصد المتكلم من جميع جهاته، فإذا كان مقصده الفخر كان الوجه أن يعتمد من الألفاظ والمعاني والأسلوب ما يكون فيه بهاء وتفخيم، وإذا كان المقصد النسيب كان الوجه أن يعتمد منها ما يكون فيه رقة وعذوبة .... وكذلك سائر المقاصد"(١)

لم يهتم محمد قابل بالتأنق في مطالع قصائده كثيرا،إذ تبدو التلقائية ظاهرة فيها، وكأن مطالعه تأتي عفو الخاطر إلا أننا مع ذلك نجد له بعض المطالع التي تكسر هذه القاعدة.

من المطالع التلقائية، التي تقترب من مقدمة الخطب، ويكاد ينعدم نصيبها من الشاعرية قوله مجيبا إبراهيم الأمير:

الحمد لله الأحد   الواحد الفرد الصمد

(١)انظر بناء القصيدة العربية للدكتور يوسف بكار ص ٢٦٩ .

أحمـــده فإنـــه المحمـــو   د حمـــدا لا يحـــد(١)

وقوله في آخر:

الحمد لله علـــى الـــدوام   وأفضل الصلاة والـــسلام
على ختام الرسل الكـــرام   وآله وصحبه الكـــرام(٢)

وقوله:

الـــحمد لله الكريم المانح   مفيض جود الجود بالمنائح(٣)

وكذلك قوله مراسلا إبراهيم الأمير من المدينة:

نلت يا سيدي مرامي وسولي   كل يوم أزور قبـــر الرسول(٤)

وقوله معزيا ومسليا السيد عقيل با علوي:

لك الأجر العظيم على مصابك   فلذ بالصبر يـــحلو طعم صابك(٥)

وقد يصل عدم الاهتمام بالمطلع عند الشاعر إلى أن يصبح المطلع معيبا أو ثقيلا أو غير مناسب لغرض القصيدة، من ذلك مطلع قصيدة مادحا بـــها بعض الأمراء، يقول:

هو الحظ يغني عن نداء كريم   ويسرع خطوا نحو كل لئيم(٦)

---

(١)الديوان ص ١٥٢
(٢)الديوان ص ١٧١
(٣)الديوان ص ٢٣١
(٤)الديوان ص ١٩٨
(٥)الديوان ص ٢٤٦
(٦)الديوان ص ٤٣٦

فمن الملاحظ أن المطلع غير مناسب للمقام، فكأن الشاعر يعرّض بهذا الأمير الذي حالفه الحظ ووصل إلى ما وصل إليه من مكانة مرموقة، مع أن الشاعر لم يرد هذا وإنما أراد أن يشكو لهذا الأمير من سوء حظه.

ولكن مع ذلك نجد للشاعر بعض المطالع الجيدة، وخاصة في قصائد الرثاء، حيث نجدها ذات ارتباط وثيق بالغرض، وهي لا تخلو من مسحة حزن وعزاء حال العزاء.

من ذلك مطلع قصيدة في رثاء السيد حسين با مدهر، يقول:

بكى الزمان لِهذا الرزء وانتحبا   وضاق ذرعا بــهذا الخطب واكتأبا[١]

وقوله راثيا عبد الله ميرغني:

تضعضع ركن المجد وانصدع النبل   وعبّس وجه الجد وانقبض الفضل[٢]

وقوله راثيا حسن البار:

لعين المعالي أن يطول انتحابــها   وأن يتوالى بالدموع انسكابُها[٣]

ومن المطالع الجيدة كذلك، التي تناسب الغرض في غير الرثاء مطلع قصيدة يمدح بــها الشريف غالب بن مساعد، إذ يكتسي المطلع فخامة وأبــهة تتناسب مع غــرض القصيدة، التي يمتدح بــها الشاعر الشريف ويهنئه بالولاية:

أجلّ العلا ما أنتجته العزائم   وأقوى البنا ما شيّدته المكارم[٤]

وعند مقارنة مطلعين أحدهما لقصيدة لمحمد قابل والآخر للشاعر يحيى صحرة، وذلك استجابة لطلب من الشريف غالب لوصف بناء له في الطائف تعلــق القــصيدة في صدره، وقد فُضلت قصيدة صحرة على قصيدة الشاعر مما حدا به أن يورد قصيدة صحرة

---

(١)الديوان ص ٢٣٥

(٢)الديوان ص ٢٤٤

(٣)الديوان ص ٢٣٧

(٤)الديوان ص ١٢٢

في ديوانه، وكأنه يرى أن قصيدته أفضل من قصيدة صحرة، بينما المتأمـــل للمطلعـــين لا يخفى عليه تفوق مطلع صحرة على مطلع قابل، إذ يقول قابل:

أكرم بـــها دارا بمثناة وجّ   أنسية الـــمعهد والمفترج[1]

ويقول صحرة:

في ذمة المجد للعز المقيم بُني   بيتٌ يصاحبه الأقدار لم تخن[2]

فالتلقائية- التي ذكرناها سابقا- ماثلة في بيت قابل إذ اهتم بالتحديد المكـــاني المباشر الذي أحوجه إلى رويّ صعب نسبيا مما اضطره إلى اجتلاب كلمة غريبـــة علـــى المتلقي العادي وهي(المفترج)، كما عاب مطلعه تركيزه على الدار و لم يذكر من بناهـــا، بينما استهل صحرة القصيدة بهذا المطلع البعيد عن المباشرة، وأشاد بمن بنى الـــدار الـــتي سيقيم بـــها المجد والعز، وستكون الأقدار بجانبها.

وعند مطالعة قصائد ومقطعات الديوان نجد جل هذه المطالع تتنوع بين الابتـــداء بالمبتدأ والجار والمجرور والأفعال والنداء والاستفهام، ولكننا عند محاولـــة إحـــصاء هـــذه الابتداءات نجد النصيب الأوفر للمبتدأ حيث تقترب مطالع الابتداء من السبعين مطلعـــا، وكذلك تماثلها المطالع التي ابتدأت بالفعل الماضي، لينخفض بعد ذلك نصيب الابتداءات الأخرى حيث يبلغ نصيب النداء الثلاثين والاستفهام العشرين وفعل الأمر ســـبع عـــشرة والجار والمجرور ست عشرة والفعل المضارع تسع مرات.

و لم يقتصر ارتباط المطلع بالغرض على قصائد الرثاء فقط بـــل نجـــد ذلـــك في القصائد الوعظية التي تبدأ غالبا بفعل الأمر، مثل قوله:

اتّخذ ملبسا يقيـــك جهـــنم   فلباس التقوى وقا كل مكرم[3]

وقوله:

---

(١)الديوان ص ١٢٣

(٢)الديوان ص ١٢٥

(٣)الديوان ص ٤٠

اصـــبر لكـــل ملمـــة أمـــدُ وسينقضى ويزول مــا تجـد[1]

وقوله:

البس لكربك حلـة الـصبر تبدو بأبـهى من سنا البـدر[2]

وهناك من المطالع ما لا يستقل بمعناه إذ يرتبط بما بعده، مثل:

قلبي المعنى الهـائم الواجـد الــمـستهام المغـرم الفاقـد
أضحى يعاني وصبات الهـوى وهو بـنيران الهـوى واقـد[3]

وقد لا يفي بيت واحد أو بيتان بكشف مدخل القصيدة، حيث تتوالى الأبيات فيكون المطلع متحدا مع مقدمة القصيدة إذ لا يستقل بمعناه، وهذا ما نجـده في قـصيدة موجهة إلى أحمد بن عمار الجزايرلي، حيث لا تفهم المراد حتى تصل إلى البيت العاشـر، يقول:

ما نفح غاليـة ونـدّ وشمـيم قيـصوم ورنـد
وأريـج أنفـاس الـصَّبا هبّت بنشر عـرار نجـد
وشـذا أزاهـير الريـا ض وما مـن الأطيـاب
ولطيف ما تجلـو لعينـك من نـضارتـها وتبـدي
تزهـو مـن التـدبيج في حلل بحسن الصبغ جـدّ
ترنـو بمقلـة نـرجس وتـهزّ بانـة كـلّ قـدّ
وتبيح وجنـات الـشقا ئق للجنـا وخـدود وَرْد
وتريـك ثغـر الاقحـوا نة باسمـا بفريـد عقـد
تفترّ عـن نَـوْر يزهّـــ ـــد في مفلّج ثغـر هنـد

---

(١)الديوان ص ٤٥
(٢)الديوان ص ٥١
(٣)الديوان ص ٦١

مـــا ذاك أطيـــب مـــن سجايا السيّد السند الأسدّ
الماجد السامى من المجـد الأثيـــل أشــم نجــد[1]

وكذلك من المعيب استهلال القصيدة ببيت فيه حذف حيث ينتهي البيت بـــ(ما) الموصولة ويحذف الشاعر صلتها مما يستوجب تقدير المحذوف، وذلك في قوله:

قضى عليّ الهوى بالوجد واحتكما في حبكم فاقتضى مني القبول بمـــا
وأنفذ الحب أن أفنى بكم ولـــعًا والحب أنفذ مـــن أمــضى ومـــن

وهو نوع مما يسمى عند البلاغيين ببديع الاكتفاء، حيث اكتفى الشاعر بكلمـــة (ما) عما بعدها لدلالة البيت عليه، حيث التقدير:(فاقتضى مني القبول بما قضى وحكم) ، وقد يعد هذا مزية في غير المطلع.

و من المطالع المعيبة كذلك عند الشاعر مطلع قصيدة يخاطب فيها الـــشريف سرور بن مساعد وقد يشفع له أنه تاريخ شعري، وهو قوله:

دم فيا نجل مساعد أنت في المجد مساعد[3]

ومن الملاحظ برودته، و لم يسعفه فعل الأمر وينبهه من رقدته.

ويظهر أن ضعف المطلع مرتبط بمدائح الشريف سرور عند الشاعر، إذ نجده في مطلع قصيدة أخرى يقول:

أبـــى الله إلا أنـــه لك يرفع إذا شاء أن يعليك من لك يوضع[4]

فمما لا جدال فيه أن كل شيء يقدره الله - جل شأنه – ولكن الشاعر هنـــا يفهم من قوله أن الحظ والقدر هما اللذان خدما الممدوح وليس سعيه واجتـــهاده، كمـــا أضعف هذا المطلع تكرار الجار والمجرور (لك) وهو تكرار غير مفيد وليس جماليا.

---

(١)الديوان ص ١٥٩
(٢)الديوان ص ٨٤
(٣)الديوان ص ١٠٥
(٤)الديوان ص ١١٥

ومن المطالع المعيبة كذلك، التي عاب مثلها النقاد لأن فيها تعريضا بالممـــدوح أو بصفة حسية مذمومة فيه، قوله مخاطبا الوزير ريحان:

سجاياك إلا أنـــها الروض زاهر ووجهك إلا أنه البدر ســـافر(١)

ومن المعروف أن الوزير ريحان كان من عبيد والد الشريف ســـرور، ووصـــف وجهه بالبدر فيه تعريض به.

من المطالع المتميزة في ديوان قابل مطالع قصائد الشكوى، التي نظم أغلبها إبـــان فترة الحجب، ولعل ذلك يعود إلى شدة معاناة الشاعر، وانقطاعه عما يشغله. وذلك مثل قوله:

كتمت عن اللاحي الصبابة والولع وموّهت وجدي بالتسلّي له خدع(٢)

وقوله:

جرى صرف الزمان بشتّ جمعي وحجزي عن حمى وطني ومنعي(٣)

ب)- المقدمات:

لا تقل المقدمات أهمية عن المطالع، والمقدمات عند الشاعر متنوعـــة كتنـــوع مطالعه وإن كان جل مقدماته ذات صلة وارتباط وثيقين بغرض القصيدة، فتلقائيته الـــتي ذكرناها سابقا تفرض عليه الولوج في موضوع قصيدته مباشرة بدون مقدمات أو توطئة. وهو بذلك لم يتقيد كثيرا بما قيد به الشعراء أنفسهم من الالتزام بالمقدمة الغزلية، إذ نجدها قليلة بالنسبة إلى كم قصائد الديوان ومقطعاته، ولكن هذه المقدمات على قلتها تجنح إلى

---

(١)الديوان ص ١١٤

(٢)الديوان ص ١٩١

(٣)الديوان ص ١٩١

الطول، ففي مقدمة لقصيدة يجيب فيها على يوسف الأمير تستحوذ المقدمة الغزلية على أربعين بيتا من أبيات القصيدة الخمسة والخمسين، ولعل السبب في هذا الطول هو مجاراة الشاعر للقصيدة المرسلة إليه من يوسف الأمير.

يتحدث الشاعر عن أيام الصبا متذكرا الأيام الخوالي، فيستهل القصيدة بأربعة أبيات يبدأ كلا منها بالاستفهام الاستنكاري، يقول:

كيف أسلو ذكر أيام الصبا ... وهي كانت لحياتي سببا
كيف أسلو صبوة ألبسني ... أنسها المحض ثياباً قشبا
كيف أسلو نشوة أنعشني ... روحها بل شملتني طربا
كيف أسلو خمرة دارت بها ... أكؤس الصفو وراقت مشربا(١)

مقدمة أشبه ما تكون بالبكاء على أطلال الصبا والشباب ليطرز الشاعر بعد ذلك لوحة مكانية بعد هذه اللوحة الزمانية، فيصف الرياض والغمام والنسيم والأغاريد، ثم ينتقل بعد ذلك لوصف الفتاة المتغزل بها، تلك الفتاة الجميلة المنعة ليتخلص بعدها لغرضه من القصيدة.

ومن المقدمات الطويلة كذلك مقدمة غزلية لقصيدة يجيب بها على عبد الله بن محمد عبد الشكور حيث تبلغ سبعة وعشرين بيتا، فهو يستهل القصيدة ببعض القناعات الخاصة، فيقول:

نفسٌ إلى حبِّها تَطَلُّبُها ... من حقها أن يعز مطلبها
ومهجةٌ حشوها الغرام فلا ... بدعٌ إذا شاقها محببها
وروح صبٍّ تصبو إلى شجن ... يعذب في شجوها تعذّبها
ومقلةٌ تلحظ الجمال فلا ... تملك إلا الدموع تسكبها
يبدو لها الحسن ناظراً فترى ... نظرتها بالهيام توصبها

---

(١)الديوان ص ١٣٥

والحسن مغنطيس القلوب فما أسرع في القلوب يجذبـــــها[1]

ثم يتحدث بعد ذلك عن هذه الحبيبة فيحشد لها أجمل الصفات وليشتكي مـــن هجرها وتمنعها، ليتخلص بعد ذلك لغرضه من القصيدة، فيكون نصيبه اثنين وعشرين بيتا.

ومن المقدمات الغزلية نسبيا التي يلج الشاعر فيها إلى الغزل مباشرة مقدمة لقصيدة اخوانية تبلغ اثنين وعشرين بيتا، يقول:

خطـــرت بـــأهيف قـــدها ورنت بـــمرهف لحظها النعاس

وبدت بطلعتها وطـــرّة شعرها فجلـــت محيّـــا الـــشمس في

ويخص المدح في هذه القصيدة ثلاثة عشر بيتا فقط.

ونلاحظ الطول على جل مقدمات الشاعر الغزلية، إذ يكون لها نصيب الأســـد من أبيات القصيدة، ففي قصيدة يمدح بـــها أحمد خليل يبلغ عدد أبياتها ثمانية وعـــشرين بيتا نجد نصيب المقدمة ثمانية عشر بيتا، وإن كان لغرض القصيدة نصيب من هذه المقدمة إذ يعرّض بعشقه للجمال بمعناه العام منذ البداية، فيقول:

كم أعاني الهوى صدودا ووصلا وأداني الغـــرام حَزْنًـــا وســـهلا

وفؤادي إلف الـــصبابة صـــبٌّ ليس ينسى الـــصبا ولا يتـــسلى

فلعمري ما الحـــب إلا شـــجونٌ هي شجوي بـــها أموت وأبلـــى

والجمال المـــصون قبلـــة قلـــبي نحو محرابـــها له القلب صلّى[3]

وكذلك نجد الشاعر في قصيدة موجهة لإبراهيم الأمير تقع في خمسة وعـــشرين بيتا يخص المقدمة منها سبعة عشر بيتا، وهي مقدمة الغزل فيها أقرب إلى التغزل بقـــصيدة منه إلى كاعب حسناء، ولعل في ذلك رغبة من الشاعر للخروج من رتابة المقدمة الغزليـــة التقليدية، يقول في المطلع:

---

(١)الديوان ص ١٤٢

(٢)الديوان ص ١٨٢

(٣)الديوان ص ٢٠٣

تجلّت بـــهاء فاجتليت جمالهـــا وأبدت حياء فاجتليـــت دلالهـــا

ومادت تـــهادى بانةً في خميلـــة مهفهفةً تـــهوى الغصون اعتدالها

يرنّح في أعطافها الزهـــو قامـــة إليها استمال القلب لما اســـتمالها

خريدة حسن ما لها بين سربـــها نظيرٌ له من قسمة الحسن ما لهـــا

منعّمةٌ ما أحرز الروض لطفهـــا ولاحاز بدر التمّ حاشـــا كمالهـــا

ممنعّـــةٌ لايـــستبيح حجابـــــها مرامٌ ولا يعدو الحفاظ حجالهـــا(١)

ومن الملاحظ على مقدماته الغزلية أنّها ليست غزلا خالصا، فهي مشوبة بحديث الذكريات والأماني، وهي تميل إلى الحديث عن الحب والمعاناة، وعن الغزل لا الغزل نفسه.

هناك من المقدمات ما جعله الشاعر بين بين فهو بين الغزل بالمرأة والغزل بالقصيدة، إلا أننا نجد ما هو إطراء صريح للقصيدة يكاد يكون خاصا بمقدمات القصائد الاخوانية إذ يستهلها الشاعر بإطراء القصيدة المجاب عنها.

نجد ذلك في مقدمة قصيدة يجيب بـــها على زين العابدين الحطـــاب، فيـــصف القصيدة متحيرا في نعتها، فيقول:

أنـــضيد دُرٍّ أم مـــضيء دراري أم شَذْرُ وَرْق أم نـــثيرُ نُـــضار

أم ورد خـــدٍّ أم ثنايـــا مبـــسم أم نـــور زهـــر أم زنـــاد واري

أم لمع برق في خـــلال غمامـــة أم لمـــع نـــور أم تلـــهّب نـــار

أم نفث سحر أم كؤوس عقـــار أم بدر تـــمٍّ أم شموس نـــــهار

بل شعبة السحر الحلال غـــدت صور المحاسن نزهة الأبـــصار(٢)

وكذلك نجده في أخرى مجيبا الشيخ محمد رضا البغدادي، فيقول:

أهلاً بما للرضا في الفضل من لـــمع ومالـــه مـــن تلامـــيح وملتمـــع

---

(١)الديوان ص ٢٠٧

(٢)الديوان ص ١٦٦

وماله من خبايــا ســعد أخبيــة مكنوزة في زوايا السعد من بلــع

ومرحبـــا بقـــصيد في بلاغتـــها فاقت على خطب الأعياد والجمع

وافت وقد خلصت من كل شائبة إخلاص ناظمها من وصمة الخدع

وأقبلـــت تتـــهادى في محاســـنها كالخود في حسنها تختال في خلــع

حازت بدائع فاقت كلّ ذي أدب بنظم مبتدع للقـــول مختـــرع(١)

وفي مقدمة إطرائية أخرى نجد الشاعر يسهب فيأخذه الإطراء ليكون إطراء المقدمة أكبر من نصيب إطراء الممدوح، يقول:

وَرَدَتْ أيها الجمال الجميــل واردات منكم عليها القبــول

روّحت روح قابــل لتلقّــى روحهـــا فارتياحـــه مـــأمول

أنشقتني طيباً فــآنس قلــبي من شذاها الشفاء وهو العليــل

وتحيّرتُ قائلاً حيث وافَــتْ نَفَحَ الطيب أم أديرت شمــول

أم وشى نفح عطر ليلى بليلى أم شذى الزهر صافحته القبول

ثم راجعت فكــرتي لــصوابي وفؤادي بــسكرها مــشمول

وتحقّقْتُ أنــها الروض تزهو بزواهيه أســطرٌ لا الخميــل(٢)

ويغرب في مقدمة قصيدة كان من شأنــها الإغراب محاولا –كما يقول- فيها فك رموز قصيدة يلفها الغموض موجهة إليه من إبراهيم الأمير، فتأتي المقدمــة إطرائيــة ولكنها تتميز عن ذلك الإطراء التقليدي لأن الشاعر قد أراد لها ذلك، فيقول:

لقد جاد مولانــا بــــها وتطــوّلا وأوسعني عــزا بــــها وتفــضّلا

وقلّدني الإحسان عقــداً منــضّدا وألبسني الحسنى وشــاحاً مفــصّلا

وأوردني منــــها مـــوارد عذبــــةً وأرشفني منــها رحيقــاً وسلــسلا

---

(١)الديوان ص ١٨٨

(٢)الديوان ص ١٩٩

أميريـــــــةٌ علميــــــــةٌ علميَّــــــــةٌ إماميةٌ تـــدعو إلى رشـــدها المـــلا

يمانيـــةٌ كانـــت فـــآنس لفظهـــا حجازاً وعن صنعاء ما قبلها ســـلا

لها حرجف النكباءفي ساحة الحمـــى وما نسبت فيـــه جنوبـــاً وشمـــألا

بـــها بزّ مَنْ يبتزّ منطقـــه الحجـــى بنظم بـــه في كأسها تسكر الطِّـــلا

غريبة سحر القول لا فُضّ منطـــقٌ بـــها فاه أو شاد بـــها قـــد تمـــثّلا

بدا سرّها المكنـــوز بعـــد اســـتتاره ولاح بـــها المرموز للعين وانجـــلا(١)

وتتوالى المقدمات الإطرائية، فنجد مقدمة لقصيدة موجهة للشيخ ســـعيد الـــيمني، مطلعها:

تراءت وفود الليل فينان أدهـــم ووجه السما بالزهر روضٌ منمـــنم

ووافت وصدر الأفق صدر خريدة دراري الثريا فيـــه عقـــدٌ مـــنظّم

وقد مدّ للغرب الدجى متمطّيـــاً ذراعا به الكف الخـــضيب مخـــتّم

توارى لها البدر احتشاما ولو بدا بدا وهـــو فيهـــا بالحيـــاء ملـــثّم

تألّق من مخلـــى محاســـنها ســـنا بَوَاديـــه لا تخفـــى ولا تتكـــتّم

عكاظيةٌ حسناء تستوقف النـــهى أباديّةٌ فصحى بـــها القول مفحم(٢)

ونجده كذلك في مقدمة إطرائية ينحى بـــها إلى المقدمة الغزلية، فيقول:

جَلَت منظراً في الحسن أبـــهى من البدر وأبدت سنا في اللطف أزهى من الزهر

فجلّى السنا منها دجى الهـــمّ فـــانجلى وأهدى الشذى منها لنا نفحـــة العطـــر

عروس نظام زفّها الحـــسن فاهتـــدت إلى كفئها مبسوطة اليـــد بالـــشكر(٣)

وتتنوع مقدمات محمد قابل، فمن الغزلية والإطرائية إلى المقدمة الخمرية التي نجده يقدم بـــها لقصيدتين الأولى يجيب مجيبا لإبراهيم الأمير الذي قدم لقصيدته بمقدمة خمرية

---

(١)الديوان ص ٢٠٥

(٢)الديوان ص ٢١٠

(٣)الديوان ص ٢٢٧

، فكأن تقديم الشاعر مجاراة لمقدمة إبراهيم الأمير، فمنذ المطلع يطلب الشاعر من إبراهيم الأمير أو من الساقي أن يسقيه وكأنه بذلك يستأنف ما بدأه الأمير عن حديث الخمـــرة، فيقول:

ألا فاسقنيها خمرة الحب واحـــتس   سلافة ذكر حانـــها بيت مقـــدس

ألا فاســـــقنيها خمــــرةً أوليّـــــةً   قديمة عهد قبل عيـــسى وهـــرمس

ألا فاجتليها واجْلــها لي فإنـــــها   حيـــاةٌ لأرواح وقـــوتٌ لأنفـــس

تطوّرْ لها أطوارها واغـــش دارهـــا   وجس حول مغناها هوى وتجسَّس

وشاهد بَـــهَا أنوارها واعش نارها   ولا تعد زهدا عن حماها المقـــدّس[1]

أما القصيدة الثانية ذات المقدمة الخمري فهي مثل الأولى مجاراة لبيـــتين فيهمـــا حديث عن الغناء والخمر، وقصيدة قابل أشبه بالمعارضة في المعنى والمبنى،يقول:

ويا بدر حيّى بكـــاس الطـــلا   نجـــــوم نـــــداماك بـــــالمجلس

فما البدر والشمس في أفقنـــا   ولا نوْر زهـــر الربـــا الكـــنّس

لنا ذلك الأنـــس نبـــدو بـــه   ونزهو على الفلـــك الأطلـــس

فزفّ عـــرائس أكوابـــــها   لأكفائها واســـقهم واحـــتس

ومل نحونا وانعطف مـــا لنـــا   وللغصن مـــعْ قـــدّك الأمـــيس

وخذها وهات وآنسْ بـــــها   محبّيك واطرب لهـــا وآنـــس[2]

أما المقدمات التي أكثر منها قابل وكلف بـــها، لنجد فيها نوعا من التميز، فهي تلك المقدمات التي يصف فيها مشاهد الطبيعة ومظاهرها، ويمكننا أن نطلق عليها لـــذلك المقدمة الطبيعية، وهي مقدمات يتحدث فيها الشاعر عن ريح الصبا ولا سيما (صبا نجد) والروض والغيث وما يرافقه من غيم وبرق.

---

(١)الديوان ص ١٨٠

(٢)الديوان ص ٢٦١

من ذلك ما قدم به لقصيدة أرسلها لابني إبراهيم الأمير التي يستهلها بوصف قصيدة أرسلها الأمير لابنيه، وهي التي حفزت الشاعر على نظم قصيدته، ويحاول في مقدمته أن يصف الأجواء التي عبرت فيها القصيدة وهي سارية في طريقها إلى مقصدها، حيث الأمطار والرياض وريح الصبا النجدي والمنازل، فيقول:

سرت نفحات الهدي من علم الرشد إلى نيّري أفق السيادة والمجد
سرت من ربا نجد ففاح شميمها بأطيب مما فاح من نفحة الند
سرت من قبا والرقمتين وعالج وبان المصلى منبت الشيح والرند
سرت من عوالي ثهمد وهضابها ووادي العقيق الآهل الرحب للوفد
سرت والحيا يثني على تلعاتها ملثّا يحييها بأثنية العهد
سرت والغمام الجون يرفَضٌّ هَمْعُهُ على وجنات الروض دمعاً على خد
سرت ووميض البرق يفترّ ثغره إلى الزهر إعجاباً لقهقهة الرعد
سرت والصَّبا النجديْ ضمير لسرّها فيا حبذا ما في ضمير الصَّبا النجدي
سرت وهى تجتاز المنازل في السُّرى وتصدر عن أهنى المناهل في الورد[١]

ويظهر أن الشاعر مغرم بوصف الأجواء المصاحبة للقصيدة في رحلتها إليه، فطالما وجدناه راسما بذلك لوحة طبيعية جميلة يحاول أن يبسط فيها رؤاه البصرية وملامح نفسيته السعيدة بهذه العلاقات الإخوانية متخذا الشعر متنفسا كنافذة تطل على عالم خيالي يخرجه من همومه ومعاناته وأشجانه، إضافة إلى أنه يأخذ في حسبانه عند إنشاء القصيدة ذلك المتلقي الناقد، الذي تمرس بفنون الأدب، كما يحاول بكل ما أوتي من قوة أن يجاري ذلك المتلقي في إبداعه الذي كان سببا لنظم هذا الشعر،لذلك يحاول أن لا يقصر عن إدراك شأوه كما وكيفا ولعل الأمير وابنيه خير من يحفز الشاعر على إنتاج الشعر بنظمهم له وبعلميتهم المتفردة في الأدب وغيره، كما نجده في مقدمة هذه القصيدة التي يجيب بها إبراهيم الأمير :

أهلا بمنشور الهدى والفلاح ومدرج الرشد لنيل النجاح

---

(١)الديوان ص ١٥٥

أهلا بمنــشور أهلّــت بــه فــواتح الخــير بخــير متــاح
أهلاً بمنــشور شــذا عرفــه فاح الصبا معْه ولاح الــصباح
وافى بيوم شــرحت صــدره ذُكاء بالإشــراق أي انــشراح
مدّت على الآفاق من نورهــا أشــعةً ضــاء ســناها ولاح
يوم سرور قــد تجلّــت بــه كأنــها الحسناء ذات الوشاح[1]

ولصبا نجد – كما أسلفنا - شأن عند قابل ، فهو يستهل هذه المقدمة الطبيعية بذكر الصبا ليجعلها انطلاقة لتلك اللوحة العامرة بالسحب الممطرة التي تحيــي الريــاض وتنهض الزرع، يقول:

صبا نجد سرت والليل مدجي ففاح عبيرهــا في كــل فــجّ
وهبّ لها ريــاحٌ مرســلاتٌ تثرّ سحائب النعمــى وتزجــى
فأمسى الأفق منها في بــرود وفي خلَع مــن الأنــواء ســبج
مطرّزة الحواشي وهي دكــنٌ بورق البرق وشيا فوق نــسج
تجود بغيدق الرحمى وتــهمي غمائمهــا بمــاء منــه شــجّ
سقت ربعــي وحيّــت أرض فأحيت من رياضي كلّ مــرج
زها زرعي وأثمر زهر ينعــي بـــــها فغــدت حــدائق ذات

وتتأكد لنا علاقة هذه المقدمات الطبيعية الوثيقة بإبراهيم الأمير لتشهد أنه محفّــز لها، فمن أوائل قصائد الشاعر المرسلة للأمير نجد هذه المقدمة:

حيَّ يا عهد الربا تلك الــروابي وتعاهدْها بمنــهلّ الــسحاب
حيّ ساحات الحمى من ذي طوى والوطايا والثنايــا والــشعاب
حيّ وعــساء النقــا والمــنحنى واللــوى مــأوى الأخاريــد

---

(١)الديوان ص ١٥٠
(٢)الديوان ص ١٤٤

حيّ ليلـــى وحمـــى ليلـــى ومـــا حول ليلى من رباع ورحـــاب

حيّهـــا عـــني تحيـــات الـــصبا بـــاكر الـــروض بفـــوج

وكذلك هذه المقدمة:

تبسّم ثغر البرق عن شنب الـومض بـــلالاء لمـــع غـــير وان ولا بَـــضٍّ

يلوح على نسج الغمـــام وينجلـــى فلامعـــةٌ في إثْـــر لامعـــة تمـــضى

فوشّى حواشى مطرف الجو فاغتدت مذهّبـــةً أطـــراف مطرفـــة الغـــضّ

يفوح الصبا في نشرها نـــشر عنـــبر يفوق غوالي الطيّـــب الأرج المحـــض

وقد عبـــق الأرجـــاء نفحـــا أريجـــه وهبّ على طول البسيطة والعـــرض(٢)

ويدخل الشاعر أحيانا في لوحة مقدمته الطبيعية الحمام، فيضفي على اللوحة حركة وصوتا، يقول:

أعربت في هديلها عن شجوني وتغنّـــت في أيكهـــا بلحـــوني

صدحت في أفنانـــها فأثـــار ـــصدح منها صـــدوع قلـــبي

ذات طوق والَـــتْ ســـجوع لولـــوعي وولولـــت لغبـــوني

شأنـــها شجوها ولكنها نـــا حت حناناً من لطفهـــا لحنـــيني

ياحمام الحمى ســـقى ربعـــك ـــمى مفيض الرحمى بغيث هتون

أنـــت هيّجـــت بالـــسجوع أنت أجريت بالـــدموع عيـــوني

أنت أدميت بالصدوع فؤادي أنت أسهرت في الهجوع جفوني

أنت أحرقت بالولوع حشائى أنت حرّكت للربوع ســـكوني

أنت أذكرتني ولست بنـــاس عهـــد حـــيّ النقـــا وشـــعب

---

(١)الديوان ص ١٣٤

(٢)الديوان ص ١٨٤

(٣)الديوان ص ٢١٩

ومن المقدمات الطبيعية ما يرتبط بالدعاء بالسقيا، ففي قصيدة يمدح الشاعر فيها الأشراف الشنابرة نجده يستهلها بالدعاء لسقيا ديارهم، فيقول:

سقى الربع بالمثناة والمنزل الرحبا	وحيّا النوادي والمعاهد والشعبا
سقاها الحيا غيثاً هنيئاً مُجلّلا	يعم الضواحى والمنابت والهضبا
منازل أنس ينبت العشق حسنها	بكل فؤاد قط ما تركت قلبا
منازل تستجلى العيون جمالها	فتصبو قلوب الناظرين لها حبَّا
منازل أنْسَتْني بلادي وآنست	فؤادي فكانت لي هي الطيب والطِّبَّا[1]

وقد تكون القصيدة كلها طبيعية مطرية، حيث تراكم السحب ولمع البروق وهطول المطر وما يعقبه من خير عميم، وذلك قوله:

طرّز البرق حلّة السحب	بطراز يلوح كالذهب
حلّةٌ وشّعث مطارفها الدكـ	ـن بإيماض لمعة اللهب
نسجتها الرياح فانسدلت	في ظلام الدجى على الشهب
وحميّا السماء في خجل	خلف تلك الستور والحجب
طال مَحْل الربا فليس بها	نَوْر زهر ولا جنى رطب
بعد أن كان في منابتها	ثمرات النخيل والعنب
ثم لما أقْوت مغارسها	وانتهى عودها إلى العطب
وجّهت للسما مقارعها	بأكفّ التوبيخ والعتب
فارتدت بالسحاب واحتجبت	عند عتب الرياض والكثب
فكساها الحيا لخجلتها	بُرد نوء مفوّف العَذَب
نثرته على الربا بردا	مثل حب الجمان والحبب
وأسالته في مشارعها	جارياً للعطاش كالضرب
اكسب الأرض ريّها وسقى	حبّها بعد لوعة الوصب

(١)الديوان ص ١٣٠

فغـــدت تزدهـــى ببهجتــــها	**واخضرار الأزهــار والقــضب**
وتغنّـــت بـــــها بلابلــــها	**فشجت قلب كــلّ مكتئــب**
واستمال الصّبا الغصون بــها	**فانثنت في ثيابـــــها القــشب**
وزهور الرياض قد بــسمت	**بثغور الأقـــاح عــن شـــنب**[1]

<u>**ج)- حسن التخلص:**</u>

من الملاحظ أن مقدمات قصائد قابل ذات صلة كــبيرة بموضــوع قــصيدته، فمقدماته الغزلية يحشد فيها نعوت الجمال الذي يصلح لنعت عموم الجمال الذي لا يلبث أن يتحول إلى نعت القصيدة أو قائلها، وكذلك المقدمة الإطرائية، فهي مقدمــة لإطــراء الأديب المنشئ، وليس بعيدًا عن ذلك المقدمات الطبيعية والخمرية، لــذلك فمقــدمات الشاعر لا تحوجه إلى التخلص لغرض القصيدة أو الخروج منها، إذ ينتقــل مــن هــذه المقدمات إلى غرضه انتقالا سلسا لا يكاد يلحظ.

فمن مقدمة غزلية يتحدث الشاعر في آخرها عن معاناة البعــد ودور الــصبر في مداواة ذلك ينتقل الشاعر ليخاطب الممدوح ويصفه بالحِبّ، فيقول:

وكذا المحب مع الهوى من شــأنه	**يــبني مطامعــه بغــير أســاس**
والــصبر أليــق بالمحــب وإنــه	**وسلمت للمكلــوم أكــرم آس**
يا أيها الحب الذي غرس الوفــا	**لك في رياض القلب خير غراس**
يا أيها البدر الذي أبــدى ســنى	**عرف به استذكى سنا نبراسى**[2]

ومع ذلك نجد للشاعر بعض التخلصات الجميلة التي سهلت له الخروج اللطيــف من مقدمته إلى الغرض الذي نظم القصيدة من أجله، مثل تخلصه في قصيدة يمــدح فيهــا

---

(١)الديوان ص ٢٥٨

(٢)الديوان ص ١٨٣

عبدالله بن عباس، وقد استهلها بالدعاء للديار بالسقيا ثم تذكر الربوع والأيام الخوالي، ثم يتخلص للمدح مصرحا أن ما يهمه ويجذبه ليس المغنى ولا الربا أو الروض والأزهار وإنما من حل في ذلك المكان وهو الحبر رضي الله عنه، يقول:

وما شجني المغنى ولا القصد للربـــا ... ولا ولعي بـــالروض منـــها وبـــالزهر
وليس اشتياقي للنـــوادي وللحمـــى ... ولكن إلى حامي الحمى البطل الحـــبر
إلى الـــملجأ الأحمى إلى موطن الرجا ... إلى المنـــزل الأسمى إلى شامخ القَدْر(١)

ومن مقدمة غزلية طويلة(سبق أن تحدثنا عنها) يتخلص الشاعر لغرضه، فيقول:

هذه حالة مـــن ذاق الهـــوى ... وارتدى الحب وعانى الوصـــبا
وتخلـــى وتحلـــى بالـــصفا ... وسمـــا في حبـــه وانتـــدبا
وتـــدلّى وتملّـــى بالوفـــا ... وتلقّـــى وترقّـــى رتبـــا
يا لعمري إن عمر المـــرء مـــا ... عمر الفـــضل وأحيـــا الأدبـــا
والحياة المحض في الـــدنيا ثنـــا ... يثبت الحسنى ويـــوعى الكتبـــا
والعلا كل العلا كـــل العـــلا ... حسن ذكر عنك يبقـــى حقبـــا
والكمالات الجلـــى أنوارهـــا ... ما احتواه الندب زيـــن الأدبـــا
الأجل الأفضل الأروع مـــن ... أحرز القدح المعلى واحـــتبى(٢)

وكذلك يتخلص من مقدمة غزلية طويلة في قصيدة يرسلها لعبد الله عبد الـــشكور، فيقول:

لـــــمياء معـــسولة مقبّلـــها ... يسكر كـــأس المـــدام أشـــنبها
لي من سنا فرقها وطرّتـــــها ... صبح غـــداة اللقـــا وغيهبـــها
ومن سنا غرّة العقيق هـــدى ... يرشـــــدني للعـــــلا فأطلبـــــها
ندبٌ جميل الصفات أحمـــدها ... ريّـــضها ســـبطها مهذّبـــــها

---

(١)الديوان ص ٩٦

(٢)الديوان ص ١٣٧

زين المعالي جميـــل منظرهـــا	**بدر سماها المـــضيء كوكبـــها**
أجلّ أهـــل الآداب أوحـــدها	**أحقّهـــا بالكمـــال أنجبـــها[1]**

ومن أجمل تخلصاته ما نجده في قصيدة اخوانية يمتدح فيها السيد أحمد خليل، ويتخذ الحب والجمال رابطا بين الغزل والشعر الإخواني،إذ ثمة حب ووصف جمال في كليهمـــا، فجاء بذلك التخلص سلسا لا يكاد يحس به، يقول:

غير بدع في عاشق هام وجدا	**بحبيب في سوح أحـــشاه حَـــلاّ**
وأنـــا الهـــائم المعـــنى بحـــبٍّ	**لرضـــاه قلـــبي دنـــا فتـــدلّى**
لتدانيه قد غرســـت الأمـــاني	**فسقاه بخلا من اليـــأس وَبْـــلا**
وعجيـــبٌ بـــأنني أتـــدانى	**لقـــصيٍّ عـــني خـــضوعاً وذُلا**
إنما سنّة الغرام لـــمن هـــا	**م اجتلاء الجمال في كل مجلـــى**
كم خبايا مخبوءة في الزوايـــا	**ولهـــا مـــن بحـــسنها يتملّـــى**
ولكلٍّ من الأحاســـن شـــكلٌ	**ينتمـــى حـــسنه إليـــه ويـــدلى**
والمعالي لها الشهاب عزيز الـــ	**ـــقدر عـــالي الجنـــاب فخـــراً**
روح جسم العلا هيولا الكما	**لات جمال الآداب فهمًا ونـــبلا**
هو عين الأعيان نادرة الدهـــ	**ـــر بديع الزمان بل هو أعلى[2]**

وعلى هذه الشاكلة نجد له تخلصا مميزا لا يقطع به صلة الحديث عن المتحـــدث عنه في المقدمة الغزلية، ولكنه يستمر في الحديث عن المعشوقة مازجا ذلك بالحديث عـــن الممدوح؛ ليعبر عن كمٍّ من المشاعر المتدفقة تجاه هذا الصديق، ليتحول المـــديح في هـــذه القصيدة الاخوانية إلى ما يشبه العشق الإلهي عند شعراء الصوفية، يقول:

فغصنٌ ولكن غير محتجب الشذا	**وروضٌ ولكن شفّ عن جنّة الخلد**
يريك ابتسام البدر فوق جبينـــه	**وضوء ذكا بين الترائب والعقـــد**

---

(١)الديوان ص ١٤٣

(٢)الديوان ص ٢٠٤

به وبأمثال ابـــن أحمـــد ســـيد ... أشق بماء الوجد أو فلـــك المجـــد

وإني متى بالوهم زرتـــهما معـــاً ... لأخطر بين الظبي والأسد الـــورد

فانظر من هذا وهـــذاك منظـــراً ... تكوّن بين الشمس والقمر السعد

وأسقى بماء الورد ريحانة الوفـــا ... وأمطر أسّ الشكر غادية الحمـــد

ويؤنسني مـــن غـــير ودّ محمـــد ... ومدحيه أني لا أروم سوى الودّ[1]

د) – حسن المقطع:

حرص محمد قابل في قصائده على حسن المقطع أكثر مـــن اهتمامـــه بالمطـــالع والمقدمات، ويتنوع حسن المقطع بتنوع الغرض الشعري إلى حد كبير، فنجده في الـــشعر الديني وهو ما نظمه في الإلهيات والمدائح النبوية والتأملات والوعظ يتمثل – غالبـــا- في **الصلاة على النبي r** ملحقا به -أحيانا- الآل والأصحاب.

من ذلك ما نجده في قصيدة تأملية وعظية، يقول:

صلى عليه الله مـــا وَلْوَلـــت ... صادحة الأيك وما اخضرّ عـــود

والآل والأصحاب ما أرّجت ... ريح الصَّبا طيبا وما فـــاح عـــود

مسلِّما ما اشـــتاق ذو لوعـــة ... إلى حمـــى الحـــيّ بـــوادي زَرُود

وما سرى البارق من بـــارق ... ومـــا حـــدا بالـــسحب حـــادي

ومثله قوله:

عليـــه صـــلاة الله مـــا زار قـــبره ... مـــشوقٌ ولقّـــاه القبـــول مـــزاره

صلاةً وتسليما مدى الدهر ما شـــدا ... على الغصن شحرور الحمى وهـــزاره

كذا الآل والأصحاب مـــا ضـــمّخ ... بطيب الحمى قيصومه وبـــــهاره[1]

---

(١)الديوان ص ٤٠٤

(٢)الديوان ص ٢٣

وقوله:

وصلّ يا رب على المــصطفى　　خير الورى المحبوب في حــضرتك

والآل والأصحاب أهل الوفا　　ما عمّنا الإفضال من نعمتــك(٢)

وقوله:

عليـــه مـــن الله الـــصلاة تحيـــةٌ　　صلات صَـــلاة والـــسلام بتـــابع

كذا الآل والأصحاب مـــا افتـــرّ　　لبشرى وما انـــهلّت لزجر مدامع(٣)

وكذلك قوله:

ويحسن نظمـــي في عـــلاك بختمـــه　　بذكر ختام الرسل من جـــاء بالـــذكر

محمد المختار مـــن نـــسل هاشـــم　　أجلّ الورى قدراً وناهيك مـــن قـــدر

عليه من المـــولى صـــلاتُ صـــلاته　　وتسليمه الموفور ما غـــرّد القمـــري

مع الآل والـــصحب الكـــرام أولي　　نجوم الهدى ما انـــهلّ غيثٌ على زهر(٤)

وقوله:

ويروق حسن القول حسن ختامه　　بمضاعف الصلوات حسنا مؤثرا

تغشى الـــنبي وآلـــه وصـــحابه　　ما نُظّم القول البديع وسُـــطّرا(٥)

وتقترن الصلاة أحيانا بمدح الصحب والآل، مثل قوله:

وأهد منّي إليه خـــيرَ صـــلاة　　وســـلام مـــضاعف التكريـــر

وعلى آله الكرام وصـــحب　　ذي المعالي أولي المقـــام الخطـــير(٦)

---

(١)الديوان ص ٢٩

(٢)الديوان ص ٤٥

(٣)الديوان ص ٥٨

(٤)الديوان ص ٩٨

(٥)الديوان ص ١٦٥

(٦)الديوان ص ٢٥

وكذلك قوله:

عليه منك الصلاة تـــــهدى　　**والآل والـــصحب والـــذراري**

ما نَسخ الصبحُ جـــنحَ ليـــل　　**أو نُـــسخ الليـــل بالنـــهار**[1]

وقد يلحق الشهداء مع الرسول وآله وصحبه، ويظهر أنه اجتلاب مـــن أجـــل القافية، وذلك قوله:

أزكى الصلاة على أزكى الورى شرفا　　**طه وعترته والـــصحب والـــشهدا**[2]

ومن حسن المقطع عند الشاعر **الأمر لوعي النصيحة أو الموعظـــة**، وذلـــك في قصائده الوعظية والتأملية، مثاله ما نجده في قصيدة تأملية طويلة إذ يقول:

دنياك مدرج سفر لا مقـــام بـــــها　　**للسفر دون انقضاء السير في الـــسفر**

واسلك إلى المقصد الأعلى مسالكها　　**وكن لصحبتها كالـــصاحب الحـــذر**

واستصحب البرّ تنجو من مهالكها　　**فصاحب البر فيها بالنجـــاة حـــري**

وارجُ السلامة من مولاك مالكهـــا　　**إن السلامة منـــها غايـــة الظفـــر**[3]

وكذلك في أخرى يقول:

وحيـــاة الإنـــسان مـــورده　　**إنمـــا الطـــرق دونـــه وعـــره**

فاستطب ما زكى تطيب بـــه　　**إن زكا الورْد طابت الـــصدره**

وكن الناهض العـــزوم علـــى　　**فعلك الخـــير واتـــرك الفتـــره**

والبس الصبر للمـــصائب إن　　**أمّ خطبٌ واخلع ردا الـــضجره**

وامزج الخوف بالرجاء تقـــم　　**في مقام يـــدنيك للحـــضره**[4]

---

(١)الديوان ص ٣٢

(٢)الديوان ص ٤٠٨

(٣)الديوان ص ٥٠

(٤)الديوان ص ٥٥

وكذلك:

فإن حل في ساحاتــها حل متلفــا ... وإن حام أبــدى حومــة المتخطــف

فصل حول مرعاها على كل طارق ... بكل حسام مــن جنانــك مرهــف

وقم دونــها بالخط في كل عزمــة ... بكـــل ســـنان للطعـــان مثقـــف

وقف معها في ساحة الفضل راجيا ... لها مدد الألطــاف في كـــل موقــف

تعرّف بـــها لله واعرف مقامهـــا ... فمهما عرفت النفس يا صاح تعرف[1]

وقوله:

فـــاتق الله فـــإن الله قـــد أو ... دَعَكَ الإيمان والصدر خزينـــه

اتق الله وكـــن خـــير أمـــين ... ولديك الكنـــز والقلب أمينـــه

احفظ احفظ ســـرّ مـــولاك ... بطشه لو أنت في السر تخونـــه

قف على الحدّ فما جاوز حدًّا ... أحـــدٌ إلا وإبلـــيس قرينـــه[2]

وقد يقرن الأمر بالوعي للنصيحة بالترغيب فيه ويجعله من صفات الأحرار، فيقول:

ألا فع سمعا محض نصحي فـــإنني ... نصحتك إن النصح يقبله الحر[3]

وفي قصيدة أخرى يقرن الأمر بأخذ النصيحة بالنهي عن النظر إلى عمل الشاعر وتقصيره، فذلك ليس عذرا في عدم قبول النصيحة، يقول:

خذ من كلامي النـــصح وارم ... نافاه من عجزي ومـــن قـــصر

خذه ولا تـــركن إلى عملـــى ... فتسير من عـــذر إلى عُـــذر[4]

ومن حسن المقطع عند الشاعر **الدعاء** ، ولذلك النصيب الأوفر في ديوانه ، ومرد ذلك إلى كثرة القصائد الاخوانية التي يناسبها مثل هذا المقطع.

---

(١)الديوان ص ٥٩

(٢)الديوان ص ٦٦

(٣)الديوان ص ٥١

(٤)الديوان ص ٥٢

وتختلف أساليب الدعاء، فمنها استخدام عبارة (لا زلت)، إذ نجد ذلك في قصيدة يمدح فيها الشيخ سالم المنوفي، يقول:

ولازال في العليا جنابك شامخاً ... وقـــدرك مرفوعــاً وعـــزك يمتـــد

ولازلت من كل المكاره ســـالماً ... ولازال في أعتابك الحظ والسّعْد[١]

وكذلك قوله يمدح الشريف سرور:

بقيت تنيل الفضل كلّ مؤمّــل ... وكفّك مهطال الأيادي غزيرها

ولازلت في عزٍّ منيــع ورفعــة ... تدوم معاليها ويبقى سرورها[٢]

وكذلك:

بقيت مكينـــا في عـــلاك مؤيّـــدا ... بأرغد عـــيش في العـــلا تتمتـــع

ولا زلت في أوج العلا سامي الذرا ... تذلّ لعلياك الرقـــاب فتخـــضع[٣]

وكذلك في قصيدة يمدح فيها الوزير ريحان:

بقيت مَكين المجد مرتفع الــذرى ... وأنت بما يرضى الــسيادة ظـــافر

ولا زلت ريحان المعالي وروحهـــا ... تسود بك الدنيا وتسمو المحاضر[٤]

ويستخدم كذلك الفعل (دام) وتصريفاته، فيقول داعيا للشريف سرور:

أدام لنـــا الله الهنـــا ببقائـــه ... ودامت به الأيام في دولة غَرَّا[٥]

وكذلك داعيا للشريف غالب:

أدام عـــلاك الله عـــزًّا ورفعـــةً ... لك الشرف الوضّاح والرتبة الذروى[٦]

---

(١)الديوان ص ١٠٧

(٢)الديوان ص ١١٣

(٣)الديوان ص ١١٧

(٤)الديوان ص ١١٥

(٥)الديوان ص ١٠٨

(٦)الديوان ص ١٢٣

وداعيا للأشراف الشنابرة:

وداموا لنا ذخراً وركن حماية　　　بـــهم نـــدفع الـــلاوا ونـــستمطر

وقوله:

ودمت لهذا الدهر إنسان ناظر　　　وجوباً كما أضحيت واسطة العقد(٢)

وقوله:

فدم زينـــة الآداب بـــدر كمالهـــا　　　ودرة تاج العصر واسطة العقد(٣)

ونجده أحيانا يدعو بالبقاء والسلامة، فيقول:

وإنا لندعو ربنا أن يعيـــدكم　　　ويبقيكم للملك يا نسل هاشم(٤)

ويقول:

وبقيت في عـــيش هـــني　　　ي وافر البركـــات رغـــد

تحيـــى المعـــالم بـــالعلو　　　م تبثّها تدعو وتـــهدي(٥)

ويقول:

وابق واسلم في سؤدد وارتقاء　　　دمت في أوْجه الأعزّ الأجـــلاّ(٦)

ويقول:

حفـــظ الله محيّـــاه　　　وأبقاه وأســـعد(٧)

وكذلك قوله في نـــهاية مرثية داعيا لابن المتوفى بالبقاء:

---

(١)الديوان ص ١٣١

(٢)الديوان ص ٤١٠

(٣)الديوان ص ٤٠٦

(٤)الديوان ص ١٢١

(٥)الديوان ص ١٦١

(٦)الديوان ص ٢٠٤

(٧)الديوان ص ٣١٤

وأبقاك ملحوظ العناية بعـــده رفيق التقى في غبطة وهنـــاء[1]

وقد يطلب الشاعر الدعاء للميت من ذويه كنوع من التعزية والتذكير أنـــه في جوار رب كريم، فيقول:

وكلْه لأرحم الرحماء واســأل وقل يارب هبـــه إلى جنابــك

وسق لضريحه مــدرار عفــو ومتّعه بكشف مـــن حجابــك

ونعّمْـــــه بريحـــــان وروح وروّيه بكأس مـــن شـــرابك[2]

ولعل من التقليد الدعاء لقبر الميت بالسقيا، وذلك ما نجده في قصيدة يرثي بـــها السيد حسن البار، فيقول:

سقى قبره الرحمن ديمة رحمـــة يروّيه بالغيث الملثّ سحابـــــها

وأعلاه في روض النعيم بفضله مراتـــــب منـــــصوب عليهـــا

وكذلك في رثاء زين العابدين باعلوي:

سقى قبره غيث الرضا كل ديمة تروح وتغدو حوله وتواظبـــه[4]

وراثيا عبد الرحمن بادشاه:

سقى قبره الرحمن سقيا كرامة يعمّ ثراه بالقطـــار هموعهـــا[5]

ومن حسن المقطع أن ينهي قصيدته **بموقف فكري**، حيث يخلص إلى قناعة يلم بـــها ما تناثر في أثناء قصيدته، وغالبا ما تكون هذه القناعات في نـــــهاية القـــصائد الوعظية والتأملية، وهي ذات صلة بطبيعة الحياة الدنيا ومآلها، ففي قصيدة يصف فيهـــا

---

(١)الديوان ص ٢٣٤

(٢)الديوان ص ٢٤٦

(٣)الديوان ص ٢٣٨

(٤)الديوان ص ٢٤٠

(٥)الديوان ص ٢٤١

معاناته ويتأمل في حال الدنيا يخلص إلى أن حياة نـــهايتها القبر لا تستحق كـــل هـــذا العناء، وأن من لا يتعظ بحالها لا يفيده الوعظ والنصيحة، فيقول:

ألا قبحت دنيا قصارى حليفها تنكّبه عنــها انتكاســاً إلى القــبر
إذا لم يكن للمـــرء مـــن ذاك فلا نفع في الدنيا لوعظ على زجر[1]

ويقول في أخرى:

هذه الـــدار منـــهجٌ لا مقـــرٌ مدرج المخلصين فيهـــا المـــبره
فيئها زائلٌ ومـــا فـــاء منـــها حائلٌ والمقـــام فيهـــا معـــرّه[2]

ويذكّر بأنـــها ليست دار قرار فيقول:

فما هي إلا مركب المبتلى بـــها إلى رتبة من دونـــها الرتبة العليا
إلى الله لا ما دونه جـــلّ قـــدرة ومن سار إدلاجـــاً بـــــها بلـــغ

ويقول مصورا مصير الإنسان:

والمرء حين الولاد ليس علـــى شيء لعَشْر الكفّـــين مـــشبكها
وحين موت تـــراه باســـطها مرســـــلها فرّعـــاً مفركهـــــا
كمثل مـــا جاءهـــا يفارقهـــا تبصرة لو نظـــرت تـــدركها[4]

ومذكرا بانقضاء العمر:

فنقص العمر بالأيـــام يمـــضي وهل للعمر عمـــر معْـــه ثـــان
لعمري هـــذه الـــدنيا زوالٌ ويبقى ربنـــا والكـــلّ فـــان[5]

وطالبا الاعتبار بتعاقب الليل والنهار:

---

(١)الديوان ص ٥٤

(٢)الديوان ص ٥٥

(٣)الديوان ص ٦٧

(٤)الديوان ص ٦٠

(٥)الديوان ص ٦٣

كفى عبرةً كرّ الجديدين أننـــا **لنلهو بـــها أرجوحةً فنطـــوّح**
تجدّ بنا ســـيراً وتخلقنـــا بمـــا **نسرّ لما تجتـــزّ منـــا وتقـــرح**[(١)]

والتأمل في حال الدهر:

تأملْ أخي فالدهر بالبأس قُلَّبٌ **وما أحدٌ مـــستوثقٌ بـــدوام**[(٢)]

ومودعا الشباب:

مضى زمن الشبيبة وهو سُكْرٌ **فهل لك أن تـــرى لـــك منـــه**
وإنّ العمر مثل السيف فاحذر **عليه بعد هذا الحـــدّ نبـــوه**[(٣)]

ويبين أن عمل الإنسان مسجل عليه ومحاسب عنه:

وما قدمت من خـــير وشـــرٍّ **يقيناً قد تسطّر في الـــسجلّ**[(٤)]

ومن هذه القناعات ما يبعث الأمل في نفسه، وهو التسليم بأن بعد العسر يسرا، وبعد الحزن مسرة، يقول:

وفي عَرَض البأساء عارض رحمـــة **وللّطف فيها لـــمع بـــرق تـــشيمه**
وما بعد هذا الحـــزن إلا مـــسرّةٌ **لها روح أنس فاح طيبـــاً شميمـــه**[(٥)]

ومن القناعات التي ختم بـــها قصائده ما يخرج عن الإطار الوعظي الذي رأيناه في المقدمات السابقة، حيث نجد القناعة تتصل بالحب والعلاقة بين الحبيـــبين، فالحبيـــب الذي لم يسعفه الحظ في الوصول إلى حبيبه عليه بانتهاج أسلوب التوسل والتذلل، يقول:

إذا المرء لم يسعفه حظٌّ على الهـــوى **فما ذنبه إلا التوسل في الحب**[(٦)]

---

(١)الديوان ص ١٥٠
(٢)الديوان ص ٢١٤
(٣)الديوان ص ٦٧
(٤)الديوان ص ٦١
(٥)الديوان ص ٢١٦
(٦)الديوان ص ٣٩٥

ومن النهايات التقليدية في عصر الشاعر **التاريخ الشعري** على طريقة حساب الجمّل، وقد تبارى فيه الشعراء وجعلوه مناط إبداع.

من ذلك قوله مؤرخا ولاية الشريف سرور:

فجاء تاريخه ببيت — منسجم لفظه نضير
دولته كلها علوٌّ — أيامه كلها سرور[1]

وقوله مؤرخا تجديد المذكور للفضة حول الحجر الأسود:

جاء تاريخاً به — ألسنة العليا تناشد
فأضف فرداً من الـ — ـعدّ إلى البيت
تجد القصد جلياً — مابه أمرٌ مجاحد
دم فيا نجل مساعد — أنت في المجد

ويؤرخ لبناء دار للشريف غالب، فيقول:

لقد نطق الفال المؤرخ داره — بتاريخها في ضمن بيت من الشعر
يدوم بعون الله قائم مجده — وطالعه باليمن والعزّ والنصر[3]

ومؤرخا لدار لإبراهيم الجيلاني:

نظم اليمن لنا تاريخها — زانت الدار بمن شاد وعلاّ[4]

ومؤرخا لتولي صديق له الإمامة والخطبة في المسجد الحرام:

وأفادني تاريخها — بنظامه في بيت شاعر
عزٌّ يؤيده الهنا — ولك الثواب عليه وافر[5]

---

(١)الديوان ص ١١٣

(٢)الديوان ص ١٠٥

(٣)الديوان ص ٢٢٦

(٤)الديوان ص ٢٢٧

(٥)الديوان ص ٢٣٠

وكذلك يؤرخ لوفاة حسين با مدهر في نـــهاية مرثيته:

فجاء تاريخه بيتـــاً يوضّـــح مـــا أولاه مولاه من حسن الجزا وجبا

حل الحسين بفردوس العلا ولقد أناله الله فيها جـــلّ مـــا طلبـــا(١)

وكذلك وفاة أحد الأصحاب:

خاتمـــةٌ قـــد صـــحّ تاريخهـــا لسالم القرشـــى دار النعـــيم(٢)

ومما نرصده من حسن المقطع عند الشاعر **الاعتذار عن التقصير**، ويكون ذلك في قصائد المدح والقصائد الإخوانية حيث يزعم أن قصيدته لا تفي الممدوح حقـــه، أو هي دون القصيدة المجاب عنها، وغالبا ما يصف القصيدة أو أبياتـــها بالاستحياء والخجل من هذا القصور ويطلب من الممدوح الستر والغفران لهذا التقصير.

من ذلك قوله مخاطبا يوسف الأمير:

فاقبل العـــذر فـــإني قاصـــرٌ وابذل العفو تكـــن محتـــسبا(٣)

ويطلب من زين العابدين الحطاب أن يقبل قصيدة يوجهها إليه، فيقول:

فاقبل وقابل بالقبول قصورها يا سيدي وأَقل سلمت عثاري(٤)

ويطلب من إبراهيم الأمير الستر والإغضاء في أخرى ،فيقول:

فكن غير مأمور لها خـــير ســـاتر لتقصيرها وانظر لها نظر الـــمغضى(٥)

ويكني عن تقصيره في قصيدة يوجهها للشيخ محمد شيخون، فيصم قصيدته بقصر الثوب، والذي تعوض عنه بإسبال مرط الحياء، فيقول:

---

(١)الديوان ص ٢٣٧

(٢)الديوان ص ٣٤٠

(٣)الديوان ص ١٣٨

(٤)الديوان ص ١٦٧

(٥)الديوان ص ١٨٦

صدرت نحوكم بثوب قـــصير   وعليها مرط الحيا مـــسدول[1]

ويصف قصيدة أخرى بالحياء فيقول:

وأمّت على استحيائها منك بالرجا   وأنت جدير بالـــذي تتـــوهّم

توسّمت الإقبال منك وأن عـــسى   يقوم لها سوقٌ لديك وموســـم

فإن لاحظتها المكرمـــات بنظـــرة   فإنـــك أجـــدى بـــالطلاب

وقد يذكر الشاعر أن قصيدته تستجدي الإجازة من متلقيها، فهي لا تفي بحقـــه، فيقول:

وقد وافتْك تستجديك عرفًـــا   إجازة مـــن بعرفـــك يـــستعين

وتنشد بالحمى للحـــيّ عنّـــى   جنـــوني في محبـــتكمُ فنـــون[3]

ويطلب التجاوز عن التقصير في أخرى:

سيدي أستمدّ منك اغتفـــارا   لقصوري فـــاسمح ولا تقـــصيني

فعسى أن يراش منك جناحي   بنجاحي ولا تخيّـــب ظنـــوني[4]

بينما يعتذر الشاعر في بعض قصائده عن التقصير نجـــده في أخـــرى يطـــري قصيدته، ولكنه مع ذلك مدح لا يخلو من اعتذار فيقول:

وقد نص فكري في أرائك لفظه   فريـــدة منظـــوم مـــورّدة الخـــد

معطرة الأطراف مسكية الشذا   ببابك تستهدي السماح وتـــستجدي

فقابل محياها الـــذي تمّ حـــسنه   بمدحك واعذرني على منتهى جَهْدي[5]

وكذلك قوله:

---

(١)الديوان ص ٢٠١

(٢)الديوان ص ٢٠٩

(٣)الديوان ص ٢١٨

(٤)الديوان ص ٢٢١

(٥)الديوان ص ١٥٧

إليكهـــا يزفهـــا التأميـــل عذراء فكر مهرها القبول

إن صحّ بالسوح لها المثول وقبلت تـــمّ لها المأمول[(١)]

ومن حسن المقطع إطراء القصيدة المجاب عنها، بمثل قوله:

أوليـــتني الطيبـــات مبتـــدئاً خالصة الـــود منـــك أطيبـــها

قصيدةٌ كلّ شـــعرها حكـــمٌ يا حسنها حيث أنت معربــــــها

يزهو بزهر الربيـــع رونقهـــا ويزدري بالبـــديع مغربــــــها

جاءت بصدق الولاء يمـــنحني لحن مباني القريض معربــــــها[(٢)]

وكذلك قوله:

تقدّمت فغـــدت متبوعـــةً فلـــها في الشعر تقديم متبوع على تَبَـــع

تـــهجّن المتـــنبي مـــن فـــصاحتها والسيد المرتضى ترميه بـــاللكعى

أهدى إليّ الرضا فيها الهدى صـــلةً ولم يكن في الرضا هذا من البدع

جاءت ومحض الوفا والود باعثهـــا مدحاً إلى سالم من سالم الطمـــع[(٣)]

وهناك مقاطع حسنة مختلفة في الديوان ، وهي من الندرة بحيث لا تـــشكل ظاهرة،منها:

قُمْ تَسْتَقِمْ أو صلْ تَصلْ جُـــدْ اجتل تستجل سنا بـــــهجتك[(٤)]

ولا يعيينا البحث عن مصدر هذا المقطع إذا عرفنا أن المتنبي أكثـــر منـــها في ديوانه، وقابل كما لاحظنا في أكثر من موضع من المتأثرين بالمتنبي، إضافة إلى ذلك فإن مثل هذا المقطع يشي بوعي محمد قابل الشعري، حيث إن الشعر عنده -كما هو حـــال

(١)الديوان ص ١٧٣

(٢)الديوان ص ١٤٤

(٣)الديوان ص ١٩٠

(٤)الديوان ص ٤٥

أهل فترته- صنعة لفظية، وإن كان النقاد ينظرون إلى هذا النمط بشكل عام على أنـــه زخرف لفظي ليس من الشعر في شيء.

ثانيا) - الطول والقصر:

كان تناول موضوع الطول والقصر في الأعمال الأدبية عند القدماء ينم عـــن فهم واع لحقيقة ذلك وموجباته ، حيث فرقوا بين الإيجاز والتقـــصير وبـــين الإطنـــاب والتطويل، فأيدوا الإيجاز والإطناب في مواضعهما، وعابوا التقصير والتطويل، وعلى ضوء هذا عرّفوا البلاغة بأنها " الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل".

وللشعراء والنقاد آراء في موضوع طول القصيدة وقصرها، لكنه لم يـــرق إلى الاهتمام بالمطلع والمقدمة والتخلص والخاتمة، أما النقد الحديث فيعير طول العمـــل الأدبي عناية لا نظير لها في الأجزاء الأخرى.

حاول النقاد أن يفرقوا بين القطعة والقصيدة من الشعر، فقـــالوا:" إذا بلغـــت الأبيات سبعة فهي قصيدة"[١]، و" من الناس من لا يعد القصيدة إلا ما بلغ العـــشرة أو جاوزها ولو ببيت واحد"[٢] ، وقد استخدم الجاحظ مصطلح القصيدة القصيرة والقصيدة الطويلة، وذلك في قوله:" وإن أحببت أن تروي من قصار القـــصائد شـــعرا لم يـــسمع بمثله،فالتمس ذلك في قصار قصائد الفرزدق، فإنك لن تجد شاعرا قط يجمع بين التجويد في القصار والطوال غيره"[٣].

وقد ربط النقاد بين طول القصيدة والغرض الشعري، فكانوا يرون أن تكون القصائد قصيرة في الهجاء دون غيره من الأغراض الأخرى، لأنـــهم يـــرون أن قـــصار

---

(١) العمدة لابن رشيق ١/١٨٨

(٢)السابق ١/١٨٨

(٣)الحيوان للجاحظ ٣/٩٨

القصائد أولج في الآذان وأعلق بالأفواه، وهم بذلك يراعون سيرورة الشعر عند إنشاد القصيدة،كما جاءت القصائد القصار نتيجة للتهذيب والتنقيح الذي يتناول به الشاعر قصائده، حيث يحذف بسببه الفضول والحشو.

ويرون أن يطيل الشاعر في قصائد المدح ، وذلك في مدح الملوك خاصة، و مال بعضهم إلى التوسط في قصيدة المدح، يسلك فيه الشاعر طريق الإيضاح، ويتجنب التجاوز والتطويل، لأن ذلك يؤدي إلى السآمة والضجر، مع أن هناك من فضل القصائد الطويلة ومال إليها، وقدم الشاعر المطيل لقصائده على غيره، ولكنهم مع تفضيلهم لهذا التطويل لم يغفلوا جانب الجودة فيها. (١)

ومنهم من أرجع موضوع الطول والقصر إلى مراعاة المقام ومقتضى الحال، وربطوا ذلك بحالة المنشئ والمتلقي، وبرغبة كل منهما، فمن أراد التبليغ والسماع أطال، ومن أراد الحفظ أوجز.

أما النقاد المعاصرون فقد اهتموا بالمقياس الكيفي للتفرقة بين القصيدتين، الطويلة والقصيرة، وهو يتمثل عندهم في الجوهر أكثر منه في الطول.

وخلاصة القول أن كلا النقدين القديم والحديث يتفقان على مبدأ عام مفاده أنه ليس من المهم أن تطول القصيدة ويكثر عدد أبياتها، بل مدار الاهتمام بالجودة.

عندما ننظر في نتاج محمد قابل من حيث الطول والقصر، نجد هناك القطع القصيرة - وهي ما قل أبياتها عن عشرة يتجاوز عددها المائة وسبعين مقطوعة، ونجد القصائد القصيرة وهي ما تراوحت بين العشرة والعشرين حوالي خمسين قصيدة، ونجد القصائد متوسطة الطول وهي ما بين العشرين والثلاثين تبلغ الخمس وخمسين قصيدة، والقصائد الطويلة وهي ما بين الثلاثين والأربعين بلغت ثلاثين قصيدة، والمطولات التي تجاوزت أربعين بيتا تبلغ إحدى وثلاثين قصيدة، وبذلك فنتاج محمد قابل الشعري لا

---

(١)انظر: بناء القصيدة العربية ليوسف بكار ص٣٢٧،٣٢٤

نستطيع أن نحكم عليه عامة بطول أو قصر، إذ كما رأينا يتوزع شعره بـين المقطعـات القصيرة والمطولات التي تجاوز أطولها المائة بيت، مرورا بالقصائد القصيرة والمتوسطة.

غلب الشعر الإخواني من حيث الطول على جميع فئات الطول تقريبا، يليه في المطولات الشعر الديني ، ثم المدح والغزل، ويلي الشعر الإخواني في القصائد الطويلة شعر الغزل فالشعر الديني، ويليه في القصائد المتوسطة شعر الغزل ثم المـدح، ويغلـب علـى القصائد القصيرة بعد الشعر الإخواني شعر الغزل ثم الهجاء فالمدح، أما المقطعات فيغلب عليها شعر الغزل يليه الشعر الاخواني ثم الشعر الديني فالهجاء.

ولا غرو في غلبة الشعر الإخواني على جميع الفئات، إذ نسبته في نتـاج قابـل عموما لها الغالبة بل السائدة، وكذلك غلبة الشعر الإخواني على فئات القصائد والطويلة خاصة؛لأن ذلك يعود إلى الغلبة العددية لهذا الشعر، إضافة إلى أن الشعر الاخواني يقـوم على الإطالة والمباسطة.

ومما يلفت النظر ويعيدنا إلى ما بدأنا به المبحث أن شعر الهجاء عند الشاعر جاء جله في القصائد القصيرة والمقطعات، إذ جاءت خمس قصائد فيما دون العشرين، وخمس من المقطعات تراوحت بين البيتين وستة أبيات، ولم يطل نسبيا إلا في قصيدتين بلغـت إحداهما خمسة وثلاثين بيتا والأخرى أربعة وثلاثين.

وهو بذلك يوافق ما انتهجه النقاد من الدعوة إلى القصر في شعر الهجاء، ونجد إطالته في القصيدتين اللتين تجاوز بـهما العشرين بيتا معللـة ، لأنـه في الأولى الـتي مطلعها:

سمح الـدهر بالـمنى للعـوين وأتـاه مـسلّماً بـاليمين[1]

نجده كأنه يريد أن يشفي غليله من هذا المهجو الذي ما فتئ يترصده بكل سبيل، ويدّعي ما ليس له بتفوقه في المكر والخديعة والتلبس بالغدر.

ونجده في الثانية التي مطلعها:

---

(١)الديوان ص ٢٩٦

سمسمني ما قلت يا صـــاحبي في هامش الطرس من البرجمـــه[1]

كأنه يرد بـــها على قصيدة موجهة إليه لم يعرف قائلها، وقد نـــــهج فيهـــا نـــهج القصيدة السابقة من بسط الهجاء والسخرية، وكأنه في القصيدتين لم يرد مجـــرد الهجاء بقدر ما أراد أن ينفس عن غضبه بكيل السباب لهذا المهجو الذي يظهر أنه آلمـــه أشد إيلام.

وعندما ننظر في شعر المدح عنده – وليست مدائحه بالكثيرة- نجدها تتراوح بين التوسط والطول، فلو تتبعنا مدائحه للشريف سرور لوجدنا أنه يمدحه ويؤرخ تجديده للفضة حول الحجر الأسود سنة ١١٨٨هـــ بسبعة عشر بيتا، بينما تتنامى شخصية الشريف لنجد الشاعر يمتدحه سنة ١١٩٨هـــ بقصيدة تقع في سبعة وعشرين بيتا، ثم نجده سنة ١٢٠٢هـــ يمتدحه بقصيدة يبسط فيها القول بسطا ليصل بعدد أبياتـــها إلى اثنين وثمانين بيتا ، وهو طول يستحق أن يوصم من أول وهلة بالإطالة المملة، ويستغرب أن ينتهجه الشاعر في مدح الشريف، لكن هذا الاستغراب يتبدد عندما نعلم أن القصيدة قالها الشاعر بعد الإقامة الجبرية التي فرضها عليه الشريف، حيث مكث فيها الشاعر عدة أشهر، وهي ما يسميها بفترة الحجب، إذ أراد الشاعر أن يبلغ بالمدح مداه في حق الشريف في نصفها الأول ليكون ذلك موجبًا لبسط العذر وشرح أصل القضية وحيثياتـــها في نصفها الآخر.

ونجد الشاعر كذلك يبسط القول في قصيدة يمتدح بـــها الشريف أحمد بن سعيد[2]، بلغ عدد أبياتـــها سبعة وستين بيتا، وعند تأمل القصيدة نجد أن الموجب للإطالة هو الأحداث الجسام التي حدثت أثناء ولاية الشريف وبطولاته فيها.

وكذلك ما نجده في مدائحه للشريف غالب، حيث يمتدحه ويهنئه بولايته سنة١٢٠٢هـــ بقصيدة تقع في عشرين بيتا إذ ليس ثمة ما يدعو للإطالة، ثم تتوطد علاقته

---

(١)الديوان ص ٢٩٩ . والبَرْجَمَة: غلظ الكلام. لسان العرب (برجم).

(١) – سبق التعريف به ص ١٥

بالشريف المذكور فيرافقه إلى الطائف، ثم بعد ذلك يلتمس منه العودة إلى مكة فلا يأذن له، فيكون ذلك موجبا لأن يرسل له قصيدة طويلة تقع في ثلاثة وأربعين بيتا.[1]

ثالثا) - الهياكل المستعارة:

---

(١) – انظر: الدراسة ، مبحث المدح ص ٧٨

إعجاب الشاعر بشعر غيره وتأثره به يؤدي به أحيانا إلى محاكاة هذا الشعر مما يحتم عليه استعارة الهيكل الشعري لما تأثر به.

من ذلك التتميم أو التذييل ، وهو أن يعمد إلى أبيات فيجعلها مطلعا لقصيدة يتمها على منوال الأبيات المأخوذة.

من ذلك تتميمه لأبيات صرح بإعجابه بـــها ، حيث يقول: "ووجـــدت في (بـــدائع البدائه) لابن ظافر[1] أبياتاً لأبي على القرمطي[2] في وصف الـــشمعة قالهـــا في مجلـــس بديهة[3]، فأعجبتني فمالت النفس إلى تحريك الفكر لتتميمها على طريقته بالبديهة تجريبـــاً لها ، وهذه الأبيات" :

ومجدولة مثـــل صـــدر القنـــا	**تعـــرّت وباطنـــها مكتـــسى**
لهـــا مقلـــةٌ هـــى روحٌ لهـــا	**وتاجٌ على الـــرأس كـــالبرنس**
إذا غازلتها الـــصبا حرّكـــت	**لساناً مـــن الـــذهب الأملـــس**
وإن رمقـــت لنعـــاس عـــرا	**وقُطّت من الراس لم تـــنعس[4]**
وتنتج من وقـــت تلقيحهـــا	**ضياءً يجلّـــى دجـــى الحنـــدس**
فنحن من النـــور في أســـعد	**وتلك مـــن النـــار في أنحـــس**

ويذكر أنه أجازها بقوله:

ويا بدر حيّى بكـــاس الطـــلا	**نجـــوم نـــداماك بـــالمجلس**

---

(١) — هو علي بن ظافر بن حسين الأزدي الخزرجي ، وزير مصري من الشعراء الأدباء المؤرخين ، ولد في القاهرة سنة ٥٦٧هـــ وتوفي بها سنة ٦١٣هـــ ، له عدة كتب منها بدائع البدائه. الأعلام ٤/٢٩٦.مقدمة بدائع البدائه لابن ظافر، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

(٢) — هو الحسن بن أحمد بن أبي سعيد القرمطي ، من أمراء القرامطة ، وهو من الشجعان الدهاة وله شعر ، توفي بالرملة سنة ٣٦٦هـــ . الأعلام ٢/١٧٩

(٣) — بدائع البدائه ص ١٦٠

(٤) — في كتاب بدائع البدائه لابن ظافر (رنّقت) وكلااللفظين يحمل معنى الضعف. لسان العرب (رمق) (رنق).

فما البدر والشمس في أفقنـــا ... ولا نوْر زهر الـــدجى الكـــنّس

لنا فلك الأنـــس نبـــدو بـــه ... ونزهو على الفلـــك الأطلـــس

فزفّ عـــرائس أكوابـــــها ... لأكفائها واســـقهم واحـــتس

ومل نحونا وانعطف مـــا لنـــا ... وللغصن مـــعْ قـــدّك الأمـــيس

وخذها وهات وآنسْ بــــــها ... محبّيك واطـــرب لهـــا وأنـــس

فقـــد عمّنـــا بـــك إيناســـها ... فلست تـــرى غـــير مـــستأنس

ومنّـــا القيـــام بحـــقّ الـــصبا ... وفاء وما لـــك مـــن مـــبخس

فإنك قطـــب مـــدار الـــصفا ... ونقطـــة دائـــرة الأكـــؤس

وحبـــك جـــاذَبَ أرواحنـــا ... إليـــك وداداً كـــــــمغنيطس

وإنّـــا بحـــسنك في روضـــة ... زهـــت للعيـــون وللأنفـــس

لنا من جمالـــك مـــا نجتلـــى ... ومـــا نجتنيـــه ومـــا نحتـــسى

فمن جلّنـــار علـــى وجنـــة ... شهيّ الجنا طيّـــب الـــــمغرس

وسوسان ســـالفك العبقـــري ... وريحان عارضـــك الـــسندسى

ونحن بسكْرين مـــن راحنـــا ... ومن ظلم مبـــسمك الألعـــس

وخامرنـــا مـــسكرٌ ثالـــثٌ ... لناظرك الأدعـــج النرجـــسى

هنيئـــاً لنـــا بـــك في ليلـــة ... غفت دونـــها أعـــين الحـــرّس

وأعجب ما قد شهدنا بـــــها ... سنا البدر والشمس في مجلـــس

فيا حبـــذا فرصـــة أمكنـــت ... بديجورها القمـــر الـــمـــشمس

فهل غفل الدهر عنها كمـــا ... تعـــوّد في مثلـــها أم نـــسى

وإلا فأحـــسن فينـــا بـــــها ... وكم لك من حسنات الـــمسى

وكم لليـــالي علـــى بخلـــها ... هبات قضت بغنى الـــمفلس[1]

---

(١) – الديوان ص ٢٦١

ويذكر أنه تمم على بيتين لإبراهيم الأمير وأن ذلك تم بإشارة الأمير لموجب اقتـــضى ذلك:

أســـعد الله صـــباحك ... كمّـــــل الـــــــمولى

في رياض إن تباكى الــ ... ــغيم فيها تتــضاحك

وشّـــح الزهـــر رباهـــا ... بالكمالات اتّـــشاحك

زانـــها الزهر كمـــا زا ... نت سجاياك سماحـــك

بمقـــام وفَّـــر الأنـــــ ... ــس بناديه ارتياحـــك

مجلـــسٌ فيـــه التـــهاني ... وافقت منه اقتراحـــك

غـــازلتني فيـــه غـــزلا ... ن النقا أعني ملاحـــك

ســـــحرتني بعيـــــون ... أســـكرت بالـــصحو

قلت لـــما ناح ذو الطو ... ق به اخفضْ جناحـــك

نحن في روضـــة أنـــس ... لم تنل فيها صـــلاحك

فيه غـــرّدْن القمـــاري ... طرباً فاترك نواحـــك

واطّرح ذا النوح هـــذا ... ح ما يبري جراحـــك

أن تكـــن معْنـــا تمعـــنى ... بالهوى تبلغ نجاحـــك

أو تباري أنـــسنا حـــز ... نا فاعملْنـــا كفاحـــك

أو تفاوتْنـــــا وتـــــؤثر ... بُعدنا فاحمد ســـراحك

حبذا مـــا نحـــن فيـــه ... فاغتنم معْنا اصطباحك

طارح الأطيـــار ســـجعًا ... فهي تستدعي طراحك

واقتدح زند الشجا منْـــ ... ـــــــك بــــــشجواها

لا تـــنحْ إلفـــا تنـــاءى ... عنك واستبق طماحك

أتـــرى إلفـــك هـــذا ... ك إذا ما نحت ناحـــك

آه لو ملت كما ملـــــ ... ـــنا وسهّلت جماحـــك

كنـــت لاتـــبرح عنـــا يا معنّى لا براحـــك[1]

ويقول: " ولما وقفت على هذين البيتين أحببت الزيادة عليهما فقلت" :

حجابٌ وإعجابٌ وفرط تصلّف ومـــدّ يـــد نحـــو العـــلا بتكلّـــف

ولو كان هذا من وراء كفايـــة عـــذرنا ولكـــن مـــن وراء تخلّـــف

تحجّبت كالعذراء عنّا، هل العلا قـــضت لـــك حتمًـــا بالحجـــاب

وتـــهت علينا أيّ فضل بلغتـــه تـــــميّزت فيـــه بادّعـــاء تـــشرّف

وأيّ كمال يقتضى ما ادّعيتـــه من الزهو ما لو رمت تخفيه ما خفى

وأي مقام قمت فيـــه لنخـــوة ومكرمة أوجدت فيهـــا لـــــمعتف

فماذا الذي أدركته من ســـيادة تعطّفت فيها بالقبـــاء الـــــمفوّف

أأنت ورثت الفخر من آل هاشم فكنت إذًا في الـــمصطفين به صفى

أأنت الأمين بن الرشيد خلافـــةً أم الـــمقتفى بالله أم أنـــت مكتفـــى

أأنسيت من أغنيت بالجود حاتما وسفّهت بالحلم الجلى حلم أحنـــف

أقامت بك الدنيا أحلَّـــت لـــك أحقّت لك العليا بـــهذا التـــصرف

أأسمعك الشكر الصدى بجميل ما تجود به بـــالقول في كـــل موقـــف

سموت لـــمجد كان قدرك دونه وسمْت ذويه ســـومة الـــمتعـــسّف

زهوت افتخاراً في العلا بملابس فتهت بوهد من غـــرورك نفنـــف[2]

وما كنـــت إلا تدّعيـــه تكبّـــرًا بأجوف جسم في إهاب مـــــجيّف

إلامَ التناهي في الغرور أما تفـــق لنفـــسك مـــن ســـكر الـــضلال

أقلْها انتقذها من غواها لرشدها وأنظر لها بالنصح نظـــرة منـــصف

لقد غبت عن مرآك حتى جهلته فسلْ عنك من يدري بوصفك تعرف

وإن لا تسل فانظر بعين بـــصيرة تجد كل فضل عنك لا شك منتف[3]

---

(١) – الديوان ص ٢٥٩

(٢) – النفنف : المهوى بين جبلين. القاموس المحيط (نفنف).

(٣) – الديوان ص ٢٩٣

ويصل التأثر مداه عند وقوف الشاعر أمام قصيدة، فيعمد إلى مجاراتـــها وزنا وقافيـــة وموضوعا، وهو ما يسمى **بالمعارضة**، والشاعر عندما يعارض قصيدة يقر ضمنا بتفوقهـــا وإعجابه بـــها، ليكون هذا التفوق والإعجاب محفزا لمجاراتـــها.

من أشهر المعارضات عند محمد قابل معارضته لحائية ابن النحاس الـــشهيرة الـــتي سبقه إلى معارضتها الكثير، وهي القصيدة التي مطلعها :

بات ساجي الطرف والشوق يلحّ　　　والدجى إن يمض جنح يـــأتِ

يعارضها بقصيدة مع أنه لا يصرح في الديوان كما هو شأنه في التتمـــيم، وهـــي القصيدة التي مطلعها:

أيها العاذل كم عذلٌ ونصحٌ　　　كم يليني منك تعديلٌ وجرحُ [(١)]

ويعارض المتنبي في لاميته التي يمدح بـــها بدر بن عمار ويصف لقـــاءه الأســـد، حيث يمدح محمد قابل أحد أمراء صنعاء بقصيدة ، ولا يصرح بالمعارضة كذلك، وهي القصيدة التي مطلعها :

لو خلت سرج مطهـــم إكلـــيلا　　　لحكيت هاروتاً بـــه إكلـــيلا

ومنها وهو ما يثبت المعارضة :

ووهمت شكا حين يصهل قائلا　　　هل كان عرض الصوت من طولا

فظننت أن البين مرقى ســـلّم　　　تعلوه بالخطوات مـــيلا مـــيلا [(٢)]

وقد يصرح الشاعر بالمعارضة، وذلك في مثل صنيعه بقصيدة أرسلها إليه يوســـف الأمير مطلعها:

وصلت لي من السلو إشـــاره　　　طويت ضـــمنها لقلـــبي بـــشاره

---

(١)الديوان ص ٧٠

(٢)الديوان ص ٤٤٤

أخبرت قلـــبي العميـــد بـــأن ـــر قد خط في الخدود عـــذاره[1]

عارضها الشاعر بقصيدة مطلعها:

قد قبلتم مـــن الـــسلوّ إشـــاره وقضيتم لهـــا بحـــق البـــشاره

وفررتم من الهوى بعـــد كنـــتم في قيود الهوى وذقتم إســـاره[2]

وكذلك نجد له قصيدة مطلعها:

أبى الله أن أنقـــاد للّـــوم طائعـــاً ولي عن سماع اللوم لو رمـــت ســـاليا[3]

يعارض بـــها قصيدة للبيتي على البحر نفسه والروي نفسه مطلعها:

سقا ســـاريا صـــوب الغمـــام ملاعب من وادي الشظا وملاهيا[4]

رابعا) – الشكل الشعري:

نظم محمد قابل في البحور الخليلية التامة والمجزوءة، وجل شـــعره في البحـــور التامة، وقد نظم في اثني عشر بحرا منها، وسنتحدث عنها بشيء مـــن التفـــصيل عنـــد الحديث عن موسيقى الشعر، أما المجزوءة فنجد أغلبها على مجزوء الرمل، مثل قوله:

كلمـــا غنّـــى المطـــوق أَذْكَر العهـــد القـــديم[5]

وقوله:

أترى آن رضـــاها وانقضى رأد جفاها[6]

وقوله:

---

(١)ملحق نسخة (أ) لوحة٢٤٤ .

(٢)الديوان ص ٤٦٠

(٣)الديوان ص ٤٤٦

(٤)ديوان البيتي ،مخطوط ، نسخة عارف حكمت لوحة ١٣٧ .

(٥)الديوان ص ٨٧

(٦) – رونق الضحى ، وقيل انبساط الشمس وارتفاع النهار. لسان العرب (رأد)

دم فيا نجـــل مـــساعد أنـــت في الـــــمجد

وقوله:

قد صفا الـــراح فأسقني الكاس دهاقـــا[2]

وإلى جانب مجزوء الرمل نجد له مجزوء الكامل المرفل، وهو قوله:

مـــولاي يـــا عـــين وأجـــــلّ أربـــــاب

إلى جانب البحور الخليلية التامة والمجزوءة نجد الشاعر يطرق بحر الرجـــز، إذ نجد له أرجوزة تقع في ثمانية وعشرين بيتا، يذكر أنه قالها بالتماس بعض المشايخ المقرئين، مطلعها:

الحمد لله الكـــريم الـــــمانح مفيض جود الجود بالـــمنائح[4]

ونجد له على مجزوء الرجز، قصيدة يجيب بـــها إبراهيم الأمير على قصيدة وردت منه، يذكر الشاعر أنـــها على الوزن نفسه ، مطلعها:

الحمـــــــــــــد لله الواحـــد الفـــرد

كما نجد الشاعر يطرق باب الموشح، ذلك الفن الأندلسي الذي انتقل إلى بلاد المشرق في العصر الفاطمي في القرن الرابع الهجري[6]، وقد راجت الموشحات في الحجاز منذ أواخر القرن الحادي عشر الهجري [7]، لكن الشاعر ينحو إلى الموشح العامي الـــذي

---

(١)الديوان ص ١٠٥

(٢)الديوان ص ١٩٥

(٣)الديوان ص ١٦٩

(٤)الديوان ص ٢٣١

(٥)الديوان ص ١٥٢

(٦) انظر: عقود اللآل في الموشحات والأزجال، تصنيف شمس الدين محمد بن حسن النواجي، دراسة وتحقيق الدكتور أحمد محمد عطا، ط١ ١٤٢٠هـــ مكتبة الآداب، القاهرة ، ص ١٢

(٧) انظر :الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري للدكتور عائض الردادي ص ٨٩٢ .

اصطلح على تسميته بالزجل[1] ، وهي عامية قريبة من الفصاحة، ولو تخلص الشاعر من بعض اللحن فيها للحقت بالفصيح، أما الموشح الفصيح فنجده يطرق فيه ضروبا عـــدة، من أشهرها الموشح التام ، ومثاله هذا الموشح الذي يذكر أنه نظمه سنة ١٢٠٠هـــ أثناء حادثة الحجب مستغيثا، مطلعه:

يارب هب لي حسن التوجّــه   بنظـــرة بالرضـــا توجّـــه لي

فأنت ربي أمري إليك ولـــك   وأنت حسبي فيمـــا علـــيَّ ولي

توشيح:

إن تـــمّ لي منك نظرة التعزيـــز

يعـــود صِـــفْري بنورهـــا إبريـــز[2]

والشاعر حدد موضوع الموشح في مقدمته، ولذلك فهو عبارة عـــن مناجـــاة واستغاثة، حيث ابتدأ أغلب أبياته وأقفاله بالنداء والطلب.

هناك شعر عامي نعته محمد قابل بالحميني[3] ، ورد منه خمس عشرة قـــصيدة، وهي مفرقة في الديوان خلاف الزجل، وكأنه رأى أن هناك ما يربطها بالشعر الفـــصيح

---

(١) يعتبر الزجل الصورة العامية الخالصة للموشح؛ فهو يتخذ شكله ومادته وبناءه من الأقفال والأغصان. انظر: الأدب في العصر المملوكي، للدكتور محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر سنة ١٩٧١م ، ص١/٣٠٦

(٢)الديوان ص ٣٧

(٣) الحميني شعر عامي نجد هناك خلافا عند من تعرضوا له، فمحمد سعيد كمال في كتابه(الأزهار النادية من أشعار البادية) يجعل لفظة الحميني مرادفة للشعر العامي المختلف في لغته وأوزانه عن الشعر الفصيح، ويرى ذلك الدكتور عايض الردادي، فيذكر أن الموسوي صاحب كتاب (نزهة الجليس) مدح الشريف باز بن شبير النموي بقصيدة من الحميني، مع أننا نجد قصيدة الموسوي تختلف عما أطلق عليه البيتي شاعر المدينة المنورة في القرن الثاني عشر الهجري شعرا حمينيا، ونجد الموسوي يطلق على هذا النوع من الوزن(الحميني الهذلي) مما يدل على أنه نوع

كما هو حال الموشح، وكأن الرابط هنا هو اتخاذ هذا الشعر لشكل القصيد الخليلي حيث وحدة البحر، والتزام القافية إلى حد ما ، من ذلك قصيدة يذكر أنه أرسلها إلى إبراهيم الأمير، مطلعها:

سقا الحيا صيّب العهد الهتون معاهد الحي من ذاك الجناب[1]

كما نجد المواليا وهو صورة من صور النظم الشعبي، يجري على وزن واحد غالبا، أشبه بالقصيد في الشعر الفصيح، لكنه يلتزم أشكالا في القافية[2].

للجداوي مواليا واحد يذكر أنه أنشأه بالتماس من بعض الأصحاب، وهو قوله:

جلّ المليح في الزقاق كالبدر في بحسن طلعه تعالى من وهبها له
وحين رأى كل عين ألفت نظرها له خرج عن الصحب والألباب في أسره
عجبت كيف القمر يخرج عن الهالة[3]

ومن الأشكال الشعرية فن أطلق عليه الشاعر التشجير، وهو ما أطلق عليه بعض دارسي الأدب في العصر العثماني التطريز، وهو" لون تفنن به المتأخرون وقصدوا به أن يجعل الشاعر حروف أوائل الأبيات تشكل اسما معينا"[4] ،بينما نجد التشجير الذي عرف عند الشعراء المتأخرين " نوع من النظم يجعل في تفرعه على أمثال الشجرة، وسمي مشجرا لاشتجار بعض كلماته ببعض، أي تداخلها وكل ما تداخل بعض أجزائه في

خاص من الشعر العامي، أما ما أطلق عليه الحميني في المدينة، فما زال ينظم به نوع خاص من الشعر العامي في المدينة المنورة وضواحيها الغربية يسمى عندهم(الكسرة) وجمعها (كسرات). انظر: الأزهار النادية من أشعار البادية لمحمد سعيد كمال، ط ٧، ١٤٢٢ هـ مكتبة المعارف، الطائف ص١/٨، الشعر الحجازي للدكتور عايض الردادي ٢/٨٧٦ ، نزهة الجليس للموسوي ١/٢٨٦، الأدب الشعبي في الحجاز، عاتق بن غيث البلادي ص ٢٥

(١) الديوان ص ١٤١

(٢) الأدب في العصر المملوكي ، للدكتور محمد زغلول سلام ١/٣٢١ .

(٣) الديوان ص ٣٣٨

(٤) مطالعات في العصر المملوكي والعثماني للدكتور بكري شيخ أمين ص ٢٢٤ .

بعض فقد تشاجر"[1] ؛لذلك فاسم التطريز أليق بـــهذا الشكل الشعري من التشجير، إذ ليس ثمة تشاجر فيه.

من ذلك ما ذكر الشاعر أنه تشجير ، و لم يذكر اللفظ المشجر، وهو قوله:

شمـــس المحاســـن أشـــرقت	**مـــن قـــدّه في غـــصن بلّـــور**
فاعجـــب لعطـــف مـــائس	**أضحى عليـــه الحـــسن مقـــصور**
أَرَأَت عيونـــــك قبلـــــه	**في الـــروض غـــصناً يثمـــر النـــور**
أفـــدي محاســـنه الـــتي	**خـــضعت لهـــا الولـــدان والحـــور**
لفتاته بالجيد يغـــدو الظبـــ	**ـــــى منـــها وهـــو مـــسحور**
قـــد حـــاز أوصـــاف الجمـــا	**ل فكـــل قلـــب منـــه مـــسرور**
لاتعـــذلوا مـــن هـــام فيـــ	**ــه فكـــل مـــن يهـــواه معـــذور**
والقلـــب مجـــذوب الجمـــا	**ل يـــدور معْـــه وهـــو مقهـــور**
بالحـــسن تنجـــذب القلـــو	**ب وحسْن ذا المحبوب مـــشهور[2]**

عند قراءة الأبيات يتضح أن اللفظ المقصود هو (شفا القلوب) .

ومنه ما ذكر الشاعر أنه نظمها بالتماس من أحدهم ولكنه لم يذكر اللفظ المقصود، وهو (إبراهيم آغا) ، قوله:

أفديه مَن فضح القنـــا هَيَفـــا	**وسبا غصون البـــان منعطفـــا**
بأبي مليحـــا قـــد أقـــرّ لـــه	**غصن النقا بـــاللطف واعترفـــا**
راقت محاســـنه لنـــا نظـــرا	**رقـــت شمائلـــه لنـــا ترفـــا**
أبـــهى من البدر الـــمنير ضيا	**وأجلّ من شمس الضحى شـــرفا**
هامت بعشقته القلوب هـــوى	**وتـــــهتّكت في حبـــه شـــغفا**
يرنـــو فيوســـعها بنـــاظره	**فتكـــا فيـــورده بـــه التلفـــا**

---

(١) السابق ١٨١ .

(٢) الديوان ٢١٨

متبسّمٌ عن مرشــف عطــر **فاق الــسلافة نكهــةً وصــفا**
أحلى من السلــسال ريقتــه **وبــها التثامــا للعليــل شــفَا**
غضّ الخدود بــها الــورود **لــمن اجتنى منها ومن قطفــا**
الله أمّـــن روضـــها أبـــدا **لا نــمل دبّ بــها ولا وَقَفَا**[1]

وكذلك الأبيات التالية واللفظ المقصود (ناصر) :

نفحت من روض خدّيه الأنيقه **نفحةً أزرت مــن الــمــسك**
أسكرتني من شذاها وعجيبٌ **إن سكري طيب من لا ذقــت**
صاغه الله بأفق الحسن شمــسا **أطلعتها بانــة القــدّ الوريقــه**
رام بدر التم إشراقا وزهــوا **أن يضاهيه وأن يدعى شقيقه**[2]

و(سلمان) في قوله:

ساق أدار لنا سلاف رحيقــه **ليلا وخامرنــا بخمــرة ريقــه**
لثم الزجاجة فاستعار حبابــها **من فيه رونقه ولــون عقيقــه**
متبسّماً بأقاح ثغــر ألعــس **عن لؤلؤ قــد رقّ في تنــسيقه**
أبدى لنا الشمس الــــمنيرة **وأنالنــا مــرآه نَــوْر شــقيقه**
ناهيك قد شهد الجمال بأنــه **بدرٌ يرينا الشمس من إبريقه**[3]

ومن الأشكال الشعرية ما سماه الشاعر بالمزدوج ، وهو أن ينظم قصيدة يكون لكل بيتين من أبياتــها قافية تختلف عن قوافي بقية الأبيات، فتصبح القصيدة ذات بحر واحد تتكون من مجموعة أزواج من الأبيات المصرعة، مثال ذلك قوله:

الحمــد لله علـى الــدوام **وأفــضل الــصلاة والــسلام**
على ختــام الرســل الكــرام **وآلــه وصــحبه الأعــلام**

---

(١) الديوان ٣٢٦

(٢)الديوان ٣٢٧

(٣)الديوان ٣٢٧

وبعــد فالثنــاء يهــدى تتــرا شــفعا يحفّــه الوفــا ووتــرا

يسفر عن وجه الــوداد بــشرا يضيء نــورا ويــضوع نــشرا

إلى عريق الــمجد والرياســه جمال وجه الفــضل والكياســه

ذي الفخر والسؤدد والنفاســه والحلــم والعرفــان والــسياسه

مولاي سعد الدين خدن الأدب حاوي الكمال في ابتداء الطلــب

نجل سعيد بــن علــى بــن أبي بكر جليل القدر زاكى الحــسب

أهــدي إليــه تحــف الهــدايا مــن غــرر الــسلام والتحايــا

بالفــائق اللائــق للمزايــا ولكــريم تلكــمُ الــسجايا

وبعد إهداء صــنوف الأثنيــه وواجب العــزا لــه والتــسليه

وبسط كفى بمجاب الأدعيــه لله أن يحفظــــه ويبقيــــه

أنــهى له ورود عقــد الــدرّ لا بل نوامى باسـقات الزهــر

لا بل أفانيــد فنــون الــسحر تكوّنت روحــاً بجــسم الــشعر

ألوكةٌ تزهــو علــى الزهــور لطفًا وتزري بــسنا البــدور[١]

حسنا وتجلو النــور أيّ نــور صبح المعاني في دجــى المــسطور

أذْعَنَ بــاللطف لهــا النــسيم ولــشذاها اعتــرف الــشميم

وقــد أقــرّ اللؤلــؤ النظــيم أن ليس في الحسن لهــا قــسيم

تــضمنّت معــذرةً لعــتبى وأظهرت من ودّهــا الــمخبّا

وخلــصت لي بالوفــاء حبّــا فنــزّهت عينًــا وســرّت قلبــا

وداهقــتني للــصفا كؤوســا جلوتــــها لأدبي عروســــا

كــأنني احتــسيت خندريــسا كانت لداء القلب طبّ عيــسى

فقلت ما أحلى اعتــذار حبّــى من حيــث لا موجــدة لعــتبى

وما جرى اعتذاره عن ذنــب وإنمــا قــضى بحــقّ الحــب

(١) – الألوكة: الرسالة. لسان العرب (ألك)

حاشا لأخلاق سعيد بن علي — بأن تبوء بالوفا لزلل
أو تنثني من ودّه لملل — فإنه نورٌ من الصفا جلي
كان لعيني إن نظرت قرّه — ولفؤاي باعث المسرّه
فكم حلا لي منه غير مرّه — جذب القوافي درّةً بدرّه
فابتزّه الدهر الخؤون منّي — وحجب الموت سناه عنّي
فقدته لهفي لفقد خدني — بوّأهُ الله جنان عدن
أبقاك سعد الدين مولاك خلف — تجمع بالتليد طارف الشرف[1]
مدّخراً عند الكريم من سلف — وأنت باللطف من الله تحفّ
إليكها يزفّها التأميل — عذراء فكر مهرها القبول
إن صحّ بالسوح لها المثول — وقبلت تمّ لها المأمول[2]

وقد يضاف لأشطر بيتي المطلع الأربعة شطرٌ خامس على القافية نفسها ثم يلتزم هذه القافية الأولى للشطر الخامس في بقية القصيدة، مثل قوله:

هذي عقود الدر أم دراري — أم هذه يوانع الأزهار
أم حَبّ تبر راق للأبصار — أم حبب يطفو على عقار
أم هذه جواهر الأفكار

لا بل هي الفرائد النظيمه — الغاليات عزةً وقيمه
جادت بها الخواطر السليمه — مضمونها الفوائد الجسيمه
رقّت بها روائع الأشعار

وافت وللصدر بها انشراح — ونشوةٌ للروح وارتياح
كأنها مع الصفاء راح — طاب بها للمحتسى اصطباح
فضّ بها باكورة النهار

---

(١) – التالد : كل مال قديم من حيوان أو غيره يورث عن الآباء . لسان العرب (تلد).
- الطارف: ما استحدث من المال. لسان العرب (طرف).
(٢) – الديوان ص ١٧٣

منظومـــة عـــامرة المبـــاني بليغـــة الألفـــاظ والمعـــاني

تسبي فؤاد الحاذق الـــمُعاني بـــسحرها المـــدمج في البيـــان

وَحَسَن الأسلوب في الابتكار

كـــلّ معانيهـــا ملـــوك إمـــره ألفاظها الفـــصْح لهـــا أســـرّه

وكلمّـــا عاودتـــــها بنظـــره أهدى لقلبي حـــسنها المـــسره

وراوحت سرّي بسرٍّ ساري

لله مـــا أحـــــسنها ألوكـــــه طرائق النبل بـــــها مـــسلوكه

لا غثّـــة اللفـــظ ولا ركيكـــة كأنـــها الحـــسناء في أريكـــه

قـــد أسفرت لأعـــين النظار

قد أفرغت في قالـــب البلاغـــه وانفردت بالحسن في الـــصياغه

أحسن في النظم بـــها من صاغه وجـــازة أوفى بـــــها إبلاغـــه

بـــجزل قول جلّ عن إكثار

زفّـــت إليّ مهرهـــا الـــوداد وحُسْنُ الاخـــلاص والاعتقـــاد

وهي من الـــزين كمـــا يـــراد مخطوبـــةٌ وليّهـــا العمـــاد

عالي الـــمقـــام شامخ المقدار

صنو الوفـــاء معـــدن النباهـــه خدن الصفاء عَلَـــم النـــــزاهه

إكسير كنـــز اللطف والفكاهه محمد بـــن الفخـــر والوجاهـــه

قطب الكمال نقطـــة البيكار

أجاد فيها أحـــسن الإجـــاده بـــالفكرة الوقّـــادة النقـــاده

أودعها مـــن تحـــف الإفـــاده للمـــستفيد كـــلّ مـــستجاده

وكل مـــخبوء من الأســـرار

قد جمعـــت أحاســـن الكـــلام ورفلـــت في حلـــل النظـــام

وابتلجت كالبـــدر في التمـــام وافتخـــرت علـــى أبي تمـــام

واستهزأت بشعره المختار

واشتملت على لطائف الأدب　　　واحتفلت من البديع بالنخب

وجاوزت بحسنها حدّ العجب　　　فما الأراجيز وما فنّ الخطب

وما قريض النظم والنِّثار

أبياتها منازةُ النواظر　　　وشعرها منازع الخواطر

وإنها شعبة سحر الساحر　　　بقولها الجزل البديع الباهر

قول أديب جلّ عن مباري

فما ابن هانئ وخمريّاته　　　وما العتاهيّ وزهدياته

وما التهاميّ ومرقصاته　　　وما ابن حمدان وفخريّاته

وما أبو الطيّب معْ بشار

ما أحرزوا ما حازه من نبل　　　وما انتهوا لشاؤه في الفضل

همْ دونه في شرف المحلّ　　　وإنه في الحلبة المجلّى

سبقاً فما منهم له مُجاري[1]

ومن الأشكال الشعرية التي يميزها مضمونها ، وليس لها من الشعر والشاعرية نصيب إلا الاسم نظم الفرائض، حيث نجد الشاعر ينظم فرائض الصلاة وواجباتها وواجبات الوتر والعيدين ، فيقول:

فرائضك اللاتي تؤدي وينتهى　　　بها للمصلى في الكمال

فتكبيرةٌ ثم القيام قراءةٌ　　　ركوعٌ سجودٌ قعدةٌ وخروجه

وفاتحةٌ مع سورة واجباتها　　　رعاية تكرير المكرّر فعله

وعدٌّ وتعديلٌ قعود تشهّد　　　ولفظ سلام هكذا شئت نقله

وفي الوتر والعيدين عن واجباتها　　　أجب سائلاً عن ما هنالك قرّروا

قنوتٌ وتكبيرٌ وجهر إمامه　　　وإسراره فيما يُسر ويُجهر[2]

---

(١) – الديوان ص ١٧٧

(٢) – الديوان ص ٤١٧

ثالثا /موسيقا الشعر

المطلب الأول: الموسيقا الداخلية

المطلب الثاني: الموسيقا الخارجية

المطلب الأول: الموسيقا الداخلية

التصريع:

التصريع من الأمور التي لفتت انتباه النقاد في بحثهم عن الوزن، وهو تصيير آخر المصراع الأول في مطلع القصيدة مثل قافيتها، أو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه، تنقص بنقصه وتزيد بزيادته.

كان النقاد يرون ضرورة التصريع ولزومه، وعولوا على أهميته في مطلع القصيدة؛ لأنه يميّز بين الابتداء وغيره، ولأن له في أوائل القصائد طلاوة وموقعا من النفس؛ لاستدلالها به على قافية القصيدة.

أما إذا أتت القافية على غير مقطع المصراع الأول فهو التجميع الذي يخلف ظن النفس في القافية، وقد عد ابن رشيق الشاعر الذي لا يصرع قصيدته كالمسور الداخل من غير باب.

والتصريع عند النقاد دليل قدرة الشاعر وسعة فصاحته، واقتداره في بلاغته، ولكنهم مع استحسانـــهم له في مطلع القصيدة استحسنوا قلته في أثنائها، مثلما هو الأمر في الترصيع والتجنيس؛ لأن كثرته دليل التكلف والتصنع.

جل شعر محمد قابل مصرّع المطالع، وقد بلغ من اهتمامه بذلك أن تأنق في هذا التصريع، إذ نجده يجانس بين قافية البيت وقافية التصريع، مثل قوله:

القلـــب منّـــى يـــوم بينـــك   قد ضاع ما بـــيني وبينـــك[1]

وقوله:

أحسنت صـــنعا يـــا   في صـــنعة الهــــزج

وقوله:

جلت صبح مرآها بليـــل شـــعور   وقد تركت لبي بغير شعور[3]

وقوله:

بُرْؤُ دائي من خلطـــة الـــسوداء   اتّـــصالي بالحبّـــة الـــسوداء[4]

وقوله:

نـــهى عَلَيَّ هوى هـــذا الرشـــا   لله في الحسن ما أحلى الهـــوى

وقوله:

يا مرسلاً من طرفه الأكحـــل   سهامه رســـلاً إلى أكحلـــى[6]

إلا أننا نجده يترك التصريع أحيانا وذلك في حكم القليل النادر، وأكثر ما يكون في المقطعات، وفي البحور المجزوءة، وقد يعوض عن التصريع بالتزامه بقافية المصراع في كل أبيات القصيدة، وذلك في قصيدة منها:

كلما غنّى الـــــمطوق   أَذْكَـــر العهـــد القـــديم
أو شدا الحادي ورقّـــق   أطرب القلـــب الكلـــيم

---

(١) – الديوان ص ٢٥٣
(٢) – الديوان ص ٢٦٨
(٣) – الديوان ص ٢٨١
(٤) – الديوان ص ٣٠٧
(٥) – الديوان ص ٣٢٢
(٦) – الديوان ص ٣٣٢

أو شرى البرق وأخفــق هيّج الوجد الــصميم[1]

أو سرى الغوج وعبّــق أنشق الــمسك الشميم

هكذا من كــان يعــشق و لـــه طبـــعٌ ســـليم[2]

قد يكون ترك التصريع راجعا إلى شح المفردات في الروي النادر، في مثل قوله:

أيها الجــامح عــني معرضــا نابذا عهد مــوالاتي انتبــاذا[3]

أو يكون ترك التصريع بسبب إنباء آخر المصراع بقافية البيت، في مثل قوله:

ما ادّكارٌ لــمن واشــتياقٌ لـــــمن

وقد يلجئه الروي النادر إلى تكرار قافية المصراع، إذ نجده يقول في مطلع قصيدة:

صيامٌ على حزن وفطرٌ علــى لقد بلغ اللاحي به الغاية القصوى

ثم يكرر كلمة (شكوى) في قافية البيت السابع، فيقول:

وحسبي من دهري ملأت إناءه أناةً وحلماً أن أبث لك الشكوى[5]

ومن أمثلة ترك التصريع التي لم نتبين لها موجبا، قوله:

رب قـــد أوليـــتني نعمـــاً قصرت عن شكرها هممـــي[6]

ومنها:

تعوّدت مسّ الضرّ حتى ألفتهُ لعلمي أن لا بـــدّ مـــن صـــحبة

---

(١) – شرى البرق : لمع وتتابع لمعانه. لسان العرب (شري)

(٢) – الديوان ص ٨٧

(٣) – الديوان ص ٢٨٢

(٤) – الديوان ص ٢٧٧

(٥) – الديوان ص ٤٤٣

(٦) – الديوان ص ٣٩

(٧) – الديوان ص ٥٢

ومنها:

شمس المحاسن أشرقت　　مــن قــدّه في غــصن

وقوله:

أهلاً بوافد خير كان مولــده　　مفتـــاح بـــاب التـــهاني

وقوله:

أولي العلم أنتم للزمان حياتــه　　وأنتم لدين الله حزبٌ وأنصار(٣)

وقوله:

أخا الود كم تخفي هوى قام لي　　عليك دليلٌ لا يناقض بالنكر(٤)

وقوله:

يا باخلاً بالوصـــال في زمــن　　كنت بثوب الجمال تفتخــر(٥)

الترصيع:

هو أن يتوخى فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به، أو من جنس واحد في التصريف، وهو لا يحسن في كل موضع، ولا يصلح لكل حال، ولا يحمد

---

(١) – الديوان ص ٢١٨

(٢) – الديوان ص ٢٢٤

(٣) – الديوان ص ٢٢٨

(٤) – الديوان ص ٢٥٢

(٥) – الديوان ص ٢٧١

إذا تواتر في القصيدة، لدلالته على التكلف والتعمل، بل يحسن إذا اتفق له في البيت موضع يليق به. (١)

ومرد حسن الترصيع هو الجرس الذي يحدثه داخل البيت ، لأن الأصوات التي تتكرر في حشو البيت مضافة إلى ما يتكرر في القافية تجعل البيت أشبه بفاصلة موسيقية متعددة النغم مختلفة الألوان، يستمتع بـــها من له دراية بهذا الفن. (٢)

وهو ما سماه بعض النقاد بالتشطير، ونجده ماثلا في شعر محمد قابل في مثل قوله:

والـــمرء متّصل الأشغال متصل　　　آمال متصل الأعمال للفكـــر (٣)

وقوله:

شأني الجهالة أثوابي الملالة منـــــ　　　ـــهاجى البطالـــة بـــين العجـــز

وقوله:

كم قرّبا أجلا كم قـــصّرا أمـــلا　　　كم فرّقا بين سمع الحيّ والبــــصر

كم خرّبا غرفاً كم عمّرا جُرُفًـــا　　　كم أودعـــا درر الأكنـــاف في

وتزداد وتيرة ذلك الجرس الموسيقي عندما يقترن التشطير بالجناس والتكرار للكلمة والحرف، وذلك في مثل قوله:

كيف أَنسى أُنـــسى وكعبـــة　　　ودواني غرسى وعـــين يقـــيني

كيف أنسى أمـــسى وكـــان　　　بسط نفسى به وقبض شـــؤوني

كيف أنسى جـــسّي لأوتـــار　　　وتغنّي حـــسى بـــشعر جنـــوني

مرتعى مربعى بـــها ومصيفى　　　منـــــــزهى منـــــــزعى لهـــا

---

(١) – انظر: العمدة لابن رشيق ٢/٢٦

_ بناء القصيدة العربية ليوسف بكار ص٢٢٧

(٢) – انظر: موسيقى الشعر لابراهيم أنيس ص ٤٥

(٣) – الديوان ص ٤٦

(٤) – الديوان ص ٤٧

(٥) – الديوان ص ٤٨

فللتجانس بين الألفاظ (أنسى ، أنسي ، قدسي ، غرسي ، أمسي، نفسي ، حسي ، نفسي ، جسي ، حسي) مع تكرار حرف السين المخفوضة أثر لا يخفى في أذن المتلقي، كما يطالعنا كذلك في البيت الرابع ألفاظ متجانسة أحدثت نقلة موسيقية عما تكرر في الأبيات الثلاثة.

ونجد الموسيقى الداخلية تتفجر في عدة أبيات ، يفجرها ذلك التضافر للمحسنات البديعية من جناس وتكرار ورد للأعجاز على الصدور، في مثل قوله:

دار الفناء فلا يدوم نعيمهـــا	**دار البلاء فلا تزال بـــها الفتن**
دار الغرور وإن زهـــا لـــك	**دار الشرور بـــها الشرور على**
دار التفاخر والتكاثر بالثرى	**دار التزين والتحـــسن بالـــدّرن**
دار التعاظم والتظاهر بالـــمرا	**دار التقدّم بالحماقـــة والأفـــن**
دار التجمل والتباهي بـــالفرا	**دار التصنّع والصنائع والـــمنن**
دار التطاول والتعالي بالـــذُّرا	**دار الترفّع والتمتّـــع بـــالقنن**[٢]

فالتكرار المتمثل في تكرار كلمة (دار) والتجانس الحرفي والصرفي بين الألفاظ(الفناء، البلاء) و(الغرور، الشرور) و (التفاخر، التكاثر) و (التزين، التحسن) و(الفرا ، المرا).. الخ ، كل ذلك أثار هذه الجلبة الموسيقية التي تتناسب مع هذا الغليان في عاطفة الشاعر الثائرة، والتي وصل بـــها الانفعال إلى مداه، ليبين موقفه من الدنيا ، أو كما ينبغي أن يكون موقفه منها.

والتكرار ظاهر أسلوبية سبق أن تحدثنا عنها في مبحث آخر ، وهي من أبرز الظواهر في شعر محمد قابل ، إذ لا تكاد تخلو قصيدة أو مقطعة من شيء منه، حتى أصبح سمة مميزة تطغى على أسلوبه، وأصبح لازمة من لوازمه لا يستطيع أن يتحرر منها، فهو وإن كان مما يتعمده الشاعر، ويعد مظهرا من مظاهر الصنعة في الشعر، إلا أننا نذهب إلى أنه قد أصبح سجية عند شاعرنا،يأتي عفو الخاطر.

---

(١) – الديوان ص ٢١٩

(٢) – الديوان ص ٦٤

والتكرار ذو علاقة وطيدة بموسيقا الشعر؛ لأنه" لا ينبغي أن ننسى أن كل تكرار، مهما يكن نوعه، تستفاد منه زيادة في النغم، وتقوية الجرس"(١)

يقوم التكرار على حشد الألفاظ المتجانسة المتشاكلة، حيث تتكرر الحروف والكلمات، في مثل قوله:

سر علـــى ســـيري فـــسيري　　　ولكلٍّ ثَمَّ آمـــالٌ ونـــــجْح(٢)

وقوله:

أنا على العهد فـــلا تنقـــضوا　　　عهدي أعيدوا ما أنا عاهـــد(٣)

وقوله:

يا رفيق الرفـــق أوفـــق　　　بكْ فوافقْ يـــا حمـــيم(٤)

وقوله:

ومن للنفس إن لهـــا نفيـــسا　　　هى النفس النفيسة في غلاها(٥)

وقوله:

راحة الروح بـــها في راحـــة　　　فـــبروح الـــراح روحـــى في

ومن التكرار الممتع ما سمي بالتوشيع وهو " أن يكون أول البيت شاهدا بقافيته"(٧)، وقد أدخله ابن رشيق في رد الأعجاز على الصدور.

---

(١) – المرشد لعبدالله الطيب ص ١٢٨

(٢) – الديوان ص ٧١

(٣) – الديوان ص ٧٢

(٤) – الديوان ص ٨٧

(٥) – الديوان ص ٩١

(٦) – الديوان ص ٦٩

(٧) – المرشد لفهم أشعار العرب وصناعتها، للدكتور عبدالله الطيب ص ٥٦

من ذلك قول محمد قابل:

أَسْهَمَتْني العيون منكم بسهم   في فؤادي يا حبذا منك سهم[1]

وقوله:

وتسنّم عزم الـــــمجدِّ مخفًّـــا   فاز من خـــف وارتقـــى مـــن

وقوله:

تعوّدت مسّ الضرّ حتى ألفتهُ   لعلمى أن لا بـــدّ مـــن صـــحبة

وقوله:

لي شدحٌ في الهوى العـــذري   لك في عذلي يا عاذل شـــدح[4]

ونجد من التكرار ما ينعكس سلبا على إيقاع القصيدة، ليصبح عبئا على موسيقاها، من ذلك تكرار الشاعر حرفي الميم والنون في مطلع قصيدة من أهم قصائدة، إذ يقول:

تعرض لي من دون ما رمتُ مانع   فأخّرني عن نيل ما أنـــا طـــامع[5]

كما نجده يكرر حرف القاف مما يحدث قلقا ظاهرا إلى جانب تكراره لإلى حرفي الراء والفاء، فيقول:

فيرتق فتقاً لـــيس يجديـــه رتقـــه   كما لم يفد فيمـــا تمـــزّق راقـــع

ولو كان ما بي من حبيب مقنّـــع   قنعـــت وكـــم نقـــص حوتـــه

---

(١) – الديوان ص ٣٩

(٢) – الديوان ص ٤٠

(٣) – الديوان ص ٥٢

(٤) - الديوان ص ٧٠

(٥) – الديوان ص ٥٦

(٦) – الديوان ص ٥٦

وكذلك الهاء في قوله:

يا متعباً نفسه ومجهــدها　　　بكدّها بالعنا فينــهكها

وبالغا ســعيه لفانيــة　　　يوشــكها أن تــزول

ومما يحدث موسيقى داخلية في البيت ما يسمى بالتقطيع والتقسيم، وقد ذكر ابن رشيق(٢) أنه مما أدخله المولدون في باب الترصيع، ومثّل له بقول أبي العميثل الأعرابي:

فاصدق وعف وجــد وانــصف　　　واصفح ودار وكــاف واحلــم

والطف ولن وتأن وارفق واتئــد　　　واحزم وجد وحام واحمل وادفع

وقول أبي الطيب:

أقل أنل اقطع احمل عل سل أعد　　　زد هش بش تفــضل ادن ســر

نجد هذا التقسيم في شعر موجّه إلى الشاعر من شاعر آخر، حيث اختتم الشاعر أبياته بقوله:

فسدْ واكرمْ وطــلْ وافخــرْ　　　ودمْ واسلمْ وعــشْ لا زلــت

لم يختم محمد قابل أبياته التي أجاب بـــها بمثل هذا التقسيم، مع علمنا بتأثره الشديد بشعر المتنبي ومعارضته له، والمتنبي اشتهر عنه اهتمامه بمثل هذا التقسيم حتى عيب عليه ذلك.

لكننا نجد في شعر محمد قابل قريبا من هذ التقسيم، وهو قوله:

قُمْ تَسْتَقِمْ أو صِلْ تَصِلْ جُــدْ　　　اجتل تستجل سنا بـــــهجتك(٤)

---

(١) – الديوان ص ٦٠

(٢) – العمدة ٢/٣٠

(٣) – الديوان ص ٤٣٢ ، والابيات ذكر أنـــها مرسلة من المرحوم العلامة الشيخ عمر المالكي القاري.

(٤) – الديوان ص ٤٥

والفرق بين بيت الشاعر والأمثلة المتقدمة هو أن تلك الأبيات اقتصرت على فعل الأمر، أما الشاعر فقد استخدم أسلوب الشرط وقرن كل فعل بجوابه.

المطلب الثاني: الموسيقا الخارجية

لعل من أبرز أدوات الشعر وأظهرها الموسيقا، ولا بد أن يخبرها الشاعر سليقة أو تعلما، فتقصيره في أي جزئية من لوازمها يؤدي حتما إلى خلل في نتاج ذلك الشاعر؛مما يعرضه للنقد المبرر.

يظهر من دراسة شعر محمد قابل أنه متقن لأدواته، فإلى جانب تضلعه باللغة معنى ومبنى، واطلاعه على شعر من سبقوه نجده متمكنا في الموسيقا في جوانب عديدة، ويظهر أنه لم يكتف بإلمامه ببحور الشعر وتنويع القوافي والإيقاع الداخلي بل تعدى ذلك إلى معرفة مقامات الإنشاد، إذ نجده يضمنها شعره ، فيقول:

ولي رمل في ضرب دوكاه قــد ورقّ به طبعي لسيكاه والرصْــد[1]

ويقول:

ضرب سيكا وبنجكا وحــسيني ضبطها في الإيقــاع بــالتلحين[2]

ويوجه كذلك بأسماء المغنين والملحنين، فيقول:

ما معبــد والموصــلى وإن زهــا بـــــهما

ويقول:

---

(١) – الرمل والدوكا والسيكا والرصد والبنجكا والحسيني من مقامات الغناء ،وهي معروفة عند أهل الفن.

- الديوان ص ٢٥٦

(٢) – الديوان ص ٢٩٨

(٣) – الديوان ص ٢٦٨

ولحونٌ ما لابن إسحاق ذكـــرٌ **عند تلحين شدوها الــمسموع**

وأناشيد مطــرب إن تغنّــى **مدَّ بحر الشجا بـــمدٍّ طبيعــى**

ليس يرضى بمعبد عبـــد رقٍّ **تابعاً يبتغى رضا الــــمتبوع**[1]

كما يوجه بالنظم والنثر، فيقول:

فجرّد سيفاً فعله فعـــل نـــاثر **وهز سنانا فعله فعـــل نـــاظم**[2]

ويقول:

لــمنظوم فيه خلتُ منثـــور مقلـــتي **يعلّم فكري رقّة الــنظم والنثــر**[3]

كما نجده يوجه بأسماء البحور، فيقول:

بيمنك ظلُّ الأمن فيها علـــى **مديدٌ وكفل الخير باليسر وافر**[4]

نظم محمد قابل شعره في اثني عشر بحرا من البحور الستة عشر المعروفة، وتفاوت حظ كل بحر من هذا الشعر، حيث تجاوز نصيب البحر الطويل الثمانين قصيدة ومقطوعة، واكتفى بحر الرجز بقصيدة واحدة ، يأتي بعد البحر الطويل البحر الخفيف ونصيبه أربـــع وثلاثون، ثم الكامل ونصيبه أربع وعشرون، فالبسيط وله عشرون ، فالوافر ولـــه ســـبع عشرة، وللسريع ست عشرة ، وللمديد تسع ، وللرمل ثمان قصائد وللمتقـــارب ســـبع قصائد، ولكل من المنسرح والمجتث قصيدتان.

---

(١) – الديوان ص ٢٦٣

(٢) – الديوان ص ١٢٠

(٣) – الديوان ص ٣٢١

(٤) – الديوان ص ١١٥

ولا غرو في غلبة البحر الطويل على شعر محمد قابل، فالطويل لا يضارع من بين بحور الشعر في نسبة شيوعه، وقد جاء ما يقرب من ثلث الشعر العربي القديم في هذا الوزن[1]،

وقد قرنه بعض الدارسين ببحر البسيط؛ لأنه يماثله في عدد التفعيلات، ويشترك معه في العظمة والأبهة والجلالة، حيث يعمد إليهما أصحاب الرصانة، وفيهما يفتضح أهل الركاكة والهجنة، وذكروا أن الطويل أفضل وأجل وأرحب صدرا من البسيط، وأطلق عنانا وألطف نغما، وعللوا لذلك بأن أصل الطويل متقاربي، وأصل البسيط رجزي، ولا يكاد وزن رجزي يخلو من الجلبة مهما صفا.

ودللوا على سعة الطويل بأنه تقبّل من الشعر ضروبا عدّة كاد ينفرد بها عن البسيط[2]

لا نتوقع أن محمد قابل – كما هو حال غيره من الشعراء- قد تعمد النظم في بحر بعينه، سواء عرف العروض أو لم يعرفها،" فمن صح طبعه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه، ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن من تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض والحذق به"[3]

كما لا نتوقع أن يكون اختص بحرا من البحور بغرض معين، وقد عرض النقاد لقضية علاقة الوزن بموضوع القصيدة، وهي من أعقد القضايا النقدية التي لم يستقر النقد فيها إلى قرار، ولعل من أهم من تعرض لهذه القضية وأبرزها بشكل واضح حازم القرطاجني، إذ يرى أنه" لما كانت أغراض الشعر شتى، وكان منها ما يقصد به الجد

---

(١) – إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ص ٥٩

(٢) – انظر: المرشد لفهم أشعر العرب، للدكتور عبدالله الطيب ١/ ٣٩٢

_ منهاج البلغاء لحازم القرطاجني ص ٢٦٩

(٣) – عيار الشعر لابن طباطبا ص ٩

والرصانة،وما يقصد به الهزل والرشاقة، ومنها ما يقصد به البهاء والتفخيم، وما يقصد به الصغار والتحقير وجب أن تحاكى تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان"[١]

عندما نطالع شعر محمد قابل نجد أنه لم يحجر غرضا بعينه على بحر واحد، فالبحر الطويل وهو البحر الذي لا يجارى من بين البحور التي نظم فيها الشاعر شعره بينه وبين البحر الذي يليه من حيث كثرة ما نظم فيه وهو البحر الخفيف ما ينيف على أربعين قصيدة، نجد ما نظم على هذا البحر يمثل أغراضا عدة تتوزع بين الإخوانيات والغزل والمدح والشعر الديني والهجاء والرثاء،لكن الغالب على ما نظم في هذا البحر هو الشعر الاخواني حيث بلغ سبعا وثلاثين قصيدة، يليه الغزل في عشرين قصيدة، ثم الديني والمدح ولكل منهما ثلاث عشرة قصيدة.

يأتي من بعد بحر الطويل البحر الخفيف، ويغلب على شعره الغزل ثم الاخواني، ويغلب على بحر الكامل شعر الغزل أيضا ثم الإخواني، وغلب على بحر البسيط الغزل والإخوانيات، وعلى الوافر الشعر الاخواني،وقد اختص بشعر الفكاهيات، حيث نظم فيه الشاعر أطول قصيدة في ديوانه وهي قصيدة فكاهية.

وملاك القول في علاقة الوزن بالغرض أن التجربة الشعرية وحالة المخاض التي تولد القصيدة والأجواء المحيطة بها وظروف المكان والزمان هي التي تحدد نوع الغرض، "والحق أن القدماء من العرب لم يتخذوا لكل موضوع من هذه الموضوعات وزنا خاصا،أو بحرا خاصا من بحور الشعر القديمة، فكانوا يمدحون ويتفاخرون ويتغازلون في كل بحور الشعر"[٢]، فالقصيدة تختمر في ذهن الشاعر وتولد بأفكارها وألفاظها ووزنها وقافيتها،وبذلك فالأقرب إلى الصواب أن يربط بين العاطفة والوزن[٣].

---

(١) – منهاج البلغاء ص ٢٦٦

(٢) – النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال ص ٤٤١

(٣) – انظر: بناء القصيدة العربية ، د. يوسف بكار ص ١١٤ ، ٢١٨

فالشاعر يمدح الشريف سرور ويهنئه بتجديد الفضة حول الحجر الأسود سنة ١١٨٨هـ بقصيدة على مجزوء الرمل تتسم بالسهولة والخفة تقع في سبعة عشر بيتا، مطلعها:

دم فيا نجل مساعد   أنت في المجد
أيّد الله معاليك   وأبقاك وساعَد[١]

ثم تتطور الظروف لنجد الشاعر يمدح الشريف سنة ١١٩٨هـ بقصيدة على بحر الطويل تقع في ثمانية وعشرين بيتا تتسم بالرزانة والفخامة، مطلعها:

هنيئاً لنا ما يوجب الحمد والشكرا   هنيئاً لنا ما يثبت المجد والفخرا
هنيئاً لنا ما يقتضى المدح والثنا   وتبقى به الحسنى وتحيا به الذكرى
هنيئاً لنا ما أظهر الله من علا   مليك سمت علياؤه فَعَلا قدرا[٢]

والمتأمل للقصيدتين يلاحظ الفرق الكبير بينهما من حيث اللغة والمعاني إضافة إلى البحر وهو موضوع حديثنا، وأرجح أن ذلك يعود إلى المرحلة العمرية للممدوح، فالأولى قيلت والممدوح لما يتجاوز العشرين والثانية قيلت والشريف قد بلغ الثلاثين، ولا شك أن اختياره للوزن قد راعى مقتضى الحال في القصيدتين، حيث كان في الأولى غيره عند الثانية، إذ تبدت شخصية الممدوح من خلال وقائعه مع أعدائه الذين ما فتئوا يحاولون انتزاع الشرافة منه، إضافة إلى ما عرف عنه من مظاهر الصرامة والصلابة واليقظة، كما أن التقدم في السن أضاف إلى جانب ذلك شيئا من الهيبة سيما أن الشاعر كان عند نظم الأولى قد تجاوز الأربعين من عمره.

---

(١) – الديوان ص ١٠٥

(٢) – الديوان ص ١٠٧

كذلك نجد محمد قابل في موضع آخر يمتدح العلامة الجزايرلي، الذي طلب أن يطلع على نظم شاعرنا، فما كان منه إلا أن يمتدح المذكور بقصيدة نظمها على مجزوء الكامل، مطلعها:

ما نفح غاليـــــة ونـــــدّ وشميم قيـــصوم ورنـــد[1]

فالممدوح شخصية لها مكانتها العلمية والأدبية، والشاعر أمام طلب الجزايرلي لعينة من شعره الذي يظهر أنه قد سمع عنه ثناء حسنا، فكان من الأولى أن يسمعه الشاعر في بحر طويل رزين، يأخذ فيه بعين الاعتبار مقام الشخصية التي أمامه، ولكن العاطفة سيطرت على شاعرنا فأتي بشعره مندفعا مشوبا بنشوة السرور لسؤال هذا العلامة عن شعره، فكان هذا الوزن.

بالرغم من نظم محمد قابل في أغلب بحور الشعر كاملة ومجزوءة، إلا أننا نرصد له بعض الهنات الوزنية التي تستغرب من مثله، ولكنها أشبه بالنادرة ولعل بعضه راجع إلى أخطاء المدون أوالنساخ، نجد الاضطراب في قوله:

سألنا عن العلياء قالوا توجّهت مَـــعَ أهلـــها أهـــل العـــلا

فعجز البيت لا يستقيم إلا إذا مدّ حرف (العين) في (مع) ليتولد حرف مد ساكن بين العين والهمزة بعدها، أي تتحول الحركة القصيرة الفتحة إلى حركة طويلة ألفا.

وكذلك نجد الاضطراب في قوله:

ودليلي للمـــرام ســـنا لـــــمعات البــــارق
كلّما تبدو لوامــــحه أهتدي معْها إلى الرشد
لي شجوا إذا ومـــضت معْ حـــنين الـــسحب

فصدر البيت الثالث لا يستقيم إلا بقولنا:

(١) – الديوان ص ١٥٩
(٢) – الديوان ص ١١٨
(٣) – الديوان ص ٧٤

لي شجواها إذا ومضت   معْ حـــنين الـــسحب

ولعل هذا الخلل عائد إلى إسقاط الناسخ للهاء.

وكذلك نجد الاضطراب في قوله متغزلا:

أو إن أملود الرياض وإن زها   هل يثمر قط بدرا أشـــرقا(١)

فالخلل واضح في عجر البيت، إذ لا يستقيم إلا بمثل:

أو إن أملود الرياض وإن زها   هلا يثمّر قط بـــدرا أشـــرقا

والحديث عن علاقة الغرض الشعري بالبحر الذي نظمت فيه القصيدة يقودنـــا إلى الحديث عن علاقة أخرى ألا وهي العلاقة بين حرف الروي وموضوع القصيدة،إذ نجد أنه ليس من قاعدة تربط بين الحروف بموضوع الشعر والأمر في ذلك يشبه علاقة البحور بموضوعات القصائد، غير أنه لحظ" أن القاف قد تجود في الشدة والحـــرب، والـــدال في الفخر والحماسة، والميم واللام في الوصف والخبر، والباء والراء في الغزل والنسيب، وإنمـــا هذا قول إجمالي، إذا صح من باب التغليب، فلا يصح من باب الإطـــلاق"(٢) لأن هـــذه الأحرف تختلف في موسيقاها،تبعا لحركتها وللحروف والحركات قبلها. (٣)

عند مطالعة شعر محمد قابل نجد أن حروف الروي قد تعددت عنده وأنه قـــد نظم على حروف الهجاء عدا ثلاثة أحرف هي التاء والخاء والزاي، وقد اختلـــف عـــدد القصائد والمقطعات التي نظمت في كل حرف، من قصيدة أو مقطوعة واحدة إلى عـــدة قصائد أو مقطعات، فمن قصيدة واحدة لكل من الذال والشين والطاء والظاء، إلى اثنتين وسبعين في حرف الراء، إذ نجده أعلاها قسما، يأتي بعده حرف الدال بنصيب بلغ خمسا

---

(١) – الديوان ص ٢٨١

(٢) – النقد الأدبي الحديث د. محمد غنيمي هلال ص ٤٤٣

(٣) – انظر: يوسف بكار ، بناء القصيدة العربية ص ٢٣٢

وأربعين، فالميم أربعا وأربعين، فاللام سبعا وثلاثين ،فالباء اثنتين وثلاثين، فـــالنون تـــسعا وعشرين، ثم الكاف تسع عشرة فالفاء أربع عشرة، ولكل من السين والعين ثلاث عشرة، وهلم جرا.

وهذه الحروف ينسبها الدارسون لما يسمى بالقوافي الذلل، حيث تجيء بكثـــرة، وإن اختلفت نسبة شيوعها في أشعار الشعراء.(١)

لا نتوقع أن يكون الشاعر قد تعمد اختيار حروف قوافيه، أو ربطها بموضوعات شعره، فما قيل في اختيار الوزن ينطبق على اختيار حرف الروي؛ لأن ذلك يأتي تلقائيـــا يفرضه جو القصيدة ووزنـــها وانفعالات الشاعر بـــها حين تتاح الفرصة لولادتـــها بعد أن كانت مجرد أفكار تعيش في ذهن الشاعر.(٢)

وعندما نطالع شعر محمد قابل نجد الغالب على القصائد والمقطعات التي نظمت على حرف الراء شعر الإخوانيات والشعر الديني والمدائح والغزل، والغالب على حـــرف الدال والميم واللام الاخوانيات والغزل، والغالب على حرف الباء الإخوانيات.

ويرجع اشتراك شعر الإخوانيات في كثير من الحروف لطبيعة الشعر نفـــسه، إذ تفرض على الشاعر النظم على روي معين مجاراة للقصيدة المرسلة إليه والتي يتوجب عليه الرد عليها أو مجاراتها على نفس البحر والروي، إضافة إلى أن قصائد الإخوانيات تكـــون مقدمتها غزلية فيلائمها ما يلائم الغزل، أو يغلب عليها طابع المدح فيلائمها ما يلائمـــه، وهكذا.

إلا أن ترتيب ديوان محمد قابل يشي بنوع من الاهتمام من لدنـــه بحـــرف الروي، إذ إنه لم يغفل حرف الروي عند ترتيب الديوان، فبالرغم أنه اعتمد في ترتيـــب

---

(١) – انظر:عبدالله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب١/٤٤، موسيقى الشعر لابراهيم أنيس ٢٤٨

(٢) – انظر: بنية القصيدة العربية، د يوسف بكار ص٢٣٢

ديوانه- إلى حد كبير- على الأغراض، إلا أنه يأتي بالقصائد ذات الروي الواحد متتابعة، وقد يقحم بينها قصيدة من غرض آخر لا لشيء إلا لرويها.

كما أننا نجد في شعر محمد قابل مراعاة مناسبة حرف الروي لموضوع القصيدة، إذ نجده في قصائد فيها إحساس بالانكسار والهزيمة يجأر إلى الله مستغيثا به، فيختار لها رويا واحدا، وهي قصائد تأتلف في موضوعها ورويها، ومكانها من الديوان، كما تلتقي كذلك في بحرها ، يقول على بحر الوافر:

أعذني سيدي من شرّ نفسي	**ومن خطرات أوهامي وهجسي**
ومن خللي ومن زللي وجهلي	**ومن نظري ومن فكري**
ومن وسواس خناس رجيم	**وشرّ الخلق من جنٍّ وإنس**
ألوذ إلى جنابك مستعينا	**بعونك في انجلا ظلمات لبسي(١)**

ويقول في أخرى على بحر الوافر أيضا:

أتوحشني الكروب وأنت	**وتظلم بي وهديك نور شمسي**
فلا وجلال وجهك لست	**عنًا أبدا وحبّك قوت نفسي**
ولست أُضام قطّ وأنت	**ولست أخاف من جنٍّ وأنس(٢)**

ويقول على بحر المجتث:

يا رب ذكرك أُنسي	**ونور هديك شمسي**
فاملأ بذكرك قلبي	**واجلُ بهديك لبسي**
واسلل سخيمة صدري	**واكفف عن الغيّ**

ويقول كذلك على المجتث:

---

(١) – الديوان ص ٣٣

(٢) – الديوان ص ٣٣

(٣) – الديوان ص ٣٤

يا خالقي طال حبسي	**وجنّ ديجـور لبـسي**
وضقت ذرعاً لكربي	**ووحشتي بعد أنـسي**
أطلق إلهـي اعتقـالي	**من سـجن نكـسي**
واغفر ذنـوبي فـإني	**ظلمـت يـا ربّ**

بحر الوافر مع روي السين له جرس موسيقي خاص يتلاءم مع حالة الشاعر النفسية ومناجاته لربه، حيث تتدفق العواطف نحو بارئها، فالوافر" بحر مسرع النغمات متلاحقها، مع وقفة قوية سرعان ما يتبعها إسراع وتلاحق، وهذا يتطلب من الشاعر أن يأتي بمعانيه دفعا دفعا، كأنه يخرجها من مضخة،..... وأحسن ما يصلح هذا البحر في الاستعطاف والبكائيات"[٢]

وحرف السين عدّه الدارسون من القوافي الذلل، وذكروا أنه بالرغم من قلة أصوله في المعاجم فيه جيد كثير. [٣]

وهناك ما يسمى بالقوافي النفر ، وهي ما كان رويها الصاد والزاي والضاد والطاء والهاء والواو، وهي متوسطة الشيوع في أشعر الشعراء، ونجدها كذلك في شعر محمد قابل، فلحرف الواو تسع قصائد، ولحرف الضاد سبع، وللهاء ست، وللصاد ثلاث، وللطاء واحدة.

أما القوافي الحوش، وهي التي حرف رويها الثاء والخاء والذال والشين والظاء والغين، وهي حروف نادرة في مجيئها رويا عامة، نجدها كذلك قليلة في شعره ، إذ نجد أربع قصائد على حرف العين، ولكل من الذال والشين والظاء قصيدة واحدة.

---

(١) – الديوان ص ٣٤

(٢) – المرشد، د عبدالله الطيب ١/٣٥٩

(٣) – المرشد، د عبدالله الطيب ١/٥٤ - موسيقى الشعر ، د إبراهيم أنيس ص ٢٤٨

وليس مرد كثرة ورود حرف أو قلته في روي الشعر لثقل الحرف أو صعوبة نطقه، وإنما يرد ذلك إلى قلة الكلمات التي تنتهي بهذا الحرف في اللغة العربية، أو عدم ملاءمة هذه الكلمات للوزن الشعري ،ما يؤدي بالشاعر إلى اجتلاب كلمة من أجل هذا الروي، وقد لا تكون الكلمة التي يتطلبها السياق، فمن ثم تصبح الكلمة قلقة، أقحمها الشاعر إقحاما في آخر بيت شعره، ولذلك فالقصائد والمقطعات ذات الروي النادر عند الشاعر تتسم بالقصر، كما يظهر التكلف في بعض أبياتها بسبب اجتلاب كلمة لأنها تنتهي بحرف الروي المطلوب، إذ قد تكون الكلمة غريبة غير معروفة، أو بنيت على بناء يخالف أبنية اللغة أو أنها لا تحمل المعنى الدقيق الذي يتطلبه المحل، أو جاءت مكررة نفس المعنى لكلمة سبقتها تكرارا غير مفيد.

من ذلك قوله من قصيدة رويها الغين:

مستطاب الحديث كالسحر لا مُلاك المعنى ولا ممضوغ[1]

فاللوك هو المضغ.

ويقول في قصيدة أخرى على الروي نفسه:

بالودّ أنفذ حيلةً من وابغى[2] **ويريك رحمة شامت متلبّس**

فبالإضافة إلى غرابة كلمة (وابغي) أنها لا تخدم المعنى.

وكذلك كلمة (المراغة) وهي تعني التراب الناعم الذي يلعب فيه الأطفال، وذلك في قوله:

لا يوازي العزوم طفل فاطّرحني من انتقاد المعاني

---

(١) – الديوان ص ٤٢٧

(٢) – يقال : وبغ الرجل : عابه وطعن عليه.لسان العرب (وبغ)

- الديوان ص ٤٢٨

(٣) – الديوان ص ٤٢٩

ومن القوافي الحوش التي ركبها الشاعر قافية الذال، فاضطر إلى اجتلاب مفاعيل مطلقة لتفي الكلمة بالوزن والروي، وذلك في قوله:

أيها الجامح عني معرضا   نابذا عهد موالاتي انتباذا

وفي قوله:

وتدارك ما بقى من رمقي   وانتقذني من يد البعد انتقاذا

واضطر إلى اجتلاب كلمة (حاذ) الغريبة في قوله:

حالف الشوق الجوى في   والنوى قابلني منك وحاذا[1]

وأقحم كلمة(رذاذ) في قوله:

وأنا اليوم مشوقٌ مغرمٌ   بك أهمى الدمع وبْلاً ورذاذا[2]

ويركب قافية الضاد متبوعة بالألف اللينة، فتقصر بذلك أبياته، حيث لم تتجاوز الثلاثة، يقول فيها:

على خطر من لايسلِّم للقضا   ومن لم يقابل ما قضى الله بالرضا

ولاشيء أرجى للسلامة   كتسليمه لله فيما به قضى

فيا ربنا هبنا الرضا واكسنا   لما شئته واغفر لنا كلّ ما

وكذلك حرف الظاء، حيث لم يتجاوز به أربعة أبيات هي:

يا عيوني اجعلي لقلبي حظا   عندما ترمقين حبك لحظا

أنت تحظين بالجمال اجتلاء   وفؤادي معذّبٌ ليس يحظى

كيف تجنين ورد خديك يا   ـن اقتطافاً ومهجتي تتلظى

حسبك الله قد نقضت   وأنا واثقٌ بعهدك حفظا[1]

---

(١) – الحوذ: السير الشديد، ومنه الاستحواذ: أي الاحتواء والجمع. لسان العرب (حوذ)

(٢) – الديوان ص ٢٨٣

(٣) – الديوان ص ٣٥

ونجده في قصيدة رويها الياء متبوعا بألف ليّنة يقحم (الذروى) في قوله:

مزايا سمت بي في الفخار إلى الذروى   منحتم فؤادي مـــن عنايـــات

و(لا غرو) تصبح (لا غروى) في نفس القصيدة في قوله:

عبوديتي لا شك فيها ولا غروى[2]   فها أنا عبدٌ خاضعٌ لجمـــالكُم

ويعود في قصيدة أخرى ليلجأ إلى كلمة (الذروى)، وذلك في قوله:

أدام علاك الله عـــزًّا ورفعـــةً   لك الشرف الوضّـــاح والرتبـــة

ويجتلب محمد قابل أحيانا كلمة وليس ثمة رويا صعبا، لكن ذلـــك مـــن أجـــل مشاكلة كلمة سبقت في البيت، وذلك في مثل قوله على روي الفاء وهو مـــن القـــوافي الذلل:

أأنت الأمين بن الرشيد خلافةً   أم الـــــمقتفى بـــالله أم أنـــت

حيث أتى بالمقتفي والمكتفي ليكمل سياق الرشيد، ومع أنـــهما خليفتان عباســـيان إلا أنـــهما ليسا بشهرة ونباهة الرشيد الذي ضربه الشاعر مثلا.

وكذلك اجتلاب كلمة(الشعرى) في قوله مادحا الشريف سرور:

علت أن يباري شأوها النجم والشعرى[5]   **همامٌ له عـــزم الأســـود وهـــــمّةٌ**

كما أوقعته الحروف النادرة في عيب من عيوب القافية، وهو الإيطاء، وهو أن يكرر الشاعر اللفظة الأخيرة من البيت فيما دون السبعة أبيات، والشاعر المجيد لا يـــسمح بالتكرار في القصيدة الواحدة وإن طالت.

---

(١) – الديوان ص ٣٢٤

(٢) – الديوان ص ٩٥

(٣) – الديوان ص ١٢٣

(٤) – الديوان ص ٢٩٣

(٥) – الديوان ص ١٠٧

نجد هذا العيب في شعر محمد قابل ، إذ يقول في بيتين لم يفصل بينهما إلا بيتـــان في قصيدة ضادية:

إلا العقـــود ونحرهـــا الغـــضّ ما الشهب في وجه الـــصباح
نــــهضاً له بقوامهـــا نـــــــهض يتطلّع الحسن البديع بـــــها
لو نحوهـــا يَــــــهْوِي ويـــنقضّ ويكاد بدر الأفق من كلـــف
ودّ صفا لا العسجد الغـــضّ[1] أيجـــار مهـــديها لـــه كرمًـــا

إذ نلاحظ تكرار كلمة (الغض) بنفس المعنى.

كما وقع الإيطاء في غير الحروف النادرة، إذ نجده يكرر كلمة (العليا) في بيـــتين متتاليين، وذلك في قوله متحدثا عن حال الإنسان في هذه الدنيا:

لها في معاناة الزمان اليـــد العليـــا ولا يقتضى فيها هواه ولا يـــرى
إلى رتبة مـــن دونــــــها الرتبـــة فما هى إلا مركب المبتلى بـــها

ويكرر كذلك كلمة(سهمه) في بيتين متتاليين، مصدرا ومعجزا:

كلّ من في الوجود يرمى بسهمه واهْد للسّمع لذّة الحب واترك
رمى سهم العذول عن قـــوس لا أبالي وإن أصاب فـــؤادي

وكذلك تكرار (بكمُ) في قوله مصدرا ومعجزا:

وما أنا في الورى إلا لكم بكـــمُ فأنتمُ أنتمُ في القلب وحدكمُ
وكلّ كلّـــى مـــشغول بحـــبّكمُ فكيف لي بسواكم عنكم شُغُلٌ
وإن نظـــرت فقيـــد الطـــرف فإن نطقت فلم أنطق بغيركمُ
وإن ســـكتّ فـــشغلى عـــنكمُ وإن أفهْ لم أفهْ إلا بـــذكركمُ

(١) – الديوان ص ٤٢١
(٢) – الديوان ص ٦٧
(٣) – الديوان ص ٨٥
(٤) – الديوان ص ٨٦

هناك من التكرار ما يوهم أنه إيطاء من أول نظرة ، وبتأمله وإعادة النظر فيه يتبين أنه من الجناس.

من ذلك تكرار (حجّي) في بيتين متتاليين في قوله متأسفا على ما فات من عمره في قصيدة يجيب بـــها على إبراهيم الأمير:

قضيت به الخلاعات اغتباطـــا ولا أحسنت للمقصود حجّـــي

ولا لي ملجأٌ من سوء فعلـــي إليه يكون مستندي وحجّـــي[(١)]

فالأولى من(الحج) الفريضة، والثانية من (الاحتجاج).

وتكرار (شهوده) في قوله متغزلا:

فحياة روحى في الهوى بشهوده ويبيح لي نظرا شهود جمالــه

يكررها بعد ثلاثة أبيات ، فيقول:

حزنا تراها وهى بعض شهوده[(٢)] **تتصاعد الزفرات معْ أنفاســه**

وتكرار (سكن) في بيتين متتاليين، في قوله:

حتى يطيب بـــها قرارٌ أو سكن هى معبرٌ ليست بدار إقامـــة

يعنى به فيما تحرّك أو ســـكن[(٣)] **حظ المقيم بـــها المقامُ علـــى**

وتكرار (نسيسا) في قوله:

هبّ منشور الـــصبا النجـــدي من حمى نَسَّاسَة دام أنيـــسا

طيب مـــا أهـــدى إلى الـــنفس أرّجت أنفاسه الأرجـــاء يـــا

---

(١) – الديوان ص ١٤٦

(٢) – الديوان ص ٧٧

(٣) – الديوان ص ٦٥

(٤) _ النساسة : مكة المكرمة ، سميت بذلك لقلة الماء بـــها. القاموس المحيط (نسس) والنسيس من (نسنست الريح) إذا هبت هبوبا باردا . تاج العروس

نفحةٌ لم تُبق للقلب نسيـــسا[1]	**علقت بالقلب مـــن هبّاتـــه**

ومما حلى به الشعراء قوافيهم التزامهم بما لا يلزم، وهـــو مـــا يطلـــق عليـــه الدارسون(لزوم ما لا يلزم)، وهو مما يستخدمه الشعر لإثبات تمكنه من أدواته، أو لعـــدم اكتفائه بحرف الروي حين يكون ضميرا، أو الجرس الموسيقي لحرف الـــروي لا يرضـــي ذائقة الشاعر الموسيقية،فيعضده بحرف ملتزم قبله. [2]

ونجد هذا الالتزام ماثلا في شعر محمد قابل، إذ يلتزم بالباء والكاف في قـــصيدة مطلعها:

لك الأجـــر العظـــيم علـــى	**فلذْ بالصبّر يحلو طعم صابك[3]**

وفي أخرى:

أتدني ذا العـــداوة لاقترابـــك	**وتحرم أهل ودّك من ثوابـــك[4]**

ويلتزم بالحاء والكاف في قوله:

أسعد الله صـــباحك	**كمّـــــل الـــــــمولى**

وبالدال والكاف في قوله:

رقة الجسم أيْنها من فـــؤادك	**ثم أين الوفاء مـــن ميعـــادك[6]**

وبالتاء والكاف في قوله:

(١) – نسيس الإنسان : مجهوده وصبره . تاج العروس (نسس)

- الديوان ص ٦٣

(٢) – انظر: موسيقى الشعر لابراهيم أنيس ص ٢٥٢

(٣) – الديوان ص ٢٤٦

(٤) – الديوان ص ٢٥٠

(٥) – الديوان ص ٢٥٨

(٦) – الديوان ص ٣١٨

بـــهر النيّرين إشراق ذاتـــك   إذ تجليت في مجالي صـــفاتك[1]

في نـــهاية الحديث عن موسيقا الشعر يجدر الإشارة إلى أنه سبق الحـــديث في المبحث السابق الخاص بـــهيكل القصيدة عن ظواهر وأشكال هيكلية لها علاقـــة كـــبيرة بـــهذا المبحث مثل الأوزان التامة والمجزوءة، والموشحات وألوان الشعر العامي من حميني وزجل ومواليا ، واكتفينا بالحديث عنها هناك تجنبا للتكرار والإطالة.

وبـــهذا فمحمد قابل "حاول تخطي الحدود المرسومة للأوزان العربية القديمة، ونظم في الأوزان المستحدثة، كالموشح ، والمواليا ، وأنماط الشعر العامي، كالحميني واليماني، وهو يسجل ظاهرة من ظواهر انتقال الشعر الفصيح إلى عامي، أو يسجل تأثر الشعر الفصيح بأنماط أوزان الشعر العامي"[2].

---

(١) – الديوان ص ٣٣٨

(٢) –الشعر في الجزيرة العربية ، خلال قرنين، للدكتور عبدالله الحامد ص ٢٦٦

المصادر والمراجع

اسم المؤلف	اسم الكتاب
١-ابن النحاس ، فتح الله	ديوانه ، تحقيق د. محمد العيد الخطراوي، ط١ ١٤٢١هـ،مكتبة دار التراث المدينة المنورة
٢-ابن خلدون ، عبد الرحمن ابن محمد	مقدمة ابن خلدون، تحقيق وفهرسة أبو عبدالله السعيد المندوه ، ط١ ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، المكتبة التجارية ، مكة المكرمة
٣-ابن طباطبا ، محمد بن أحمد	عيار الشعر ، ط١ ، ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان
٤-ابن ظافر ، علي بن ظافر الأزدي	بدائع البدائه ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ، المكتبة العصرية ، بيروت - لبنان
٥-ابن عصفور ، علي بن مؤمن الأشبيلي	ضرائر الشعر ، ط١، ١٤٢٠هـ دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان
٦-ابن فرج ، عبدالقادر بن أحمد	السلاح والعدة في تاريخ جدة ، تحقيق مصطفى الحدري ،دار ابن كثير ،بيروت ، دار التراث ،المدينة المنورة، ط١ ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٧-ابن ماجه	سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر - بيروت
٨-ابن معصوم ، علي	ديوان ابن معصوم تحقيق شاكر هادي شكر ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، عالم الكتب ، بيروت - لبنان
٩-ابن منظور	لسان العرب ، ط١ ١٤١٠هـ -١٩٩٠م ، دار صادر ، بيروت - لبنان
١٠-الأنصاري ، عبدالقدوس	تاريخ مدينة جدة، ط٤ ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م ، دار مصر للطباعة
١١-الأنطاكي ، داؤد بن عمر	تذكرة أولي الألباب الجامع للعجب العجاب، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان
١٢-البغدادي ، عبد القادر بن عمر	خزانة الأدب ولب لسان العرب ، اعتنى به د.محمد نبيل طريفي،دار الكتب العلمية-بيروت ط١
١٣-البكري ، عبد الله بن عبد العزيز	معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ، ط٣ ،١٤٠٣هـ ، عالم الكتب ، بيروت - لبنان

١٤-البلادي ، عاتق بن غيث — الأدب الشعبي في الحجاز، ط٢ ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م ، دار مكة المكرمة ، مكة المكرمة

١٥-البيتي ، جعفر بن محمد — ديوانه ،مخطوط، نسخة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم ٨١٠/ ٦٤

١٦-البيطار، عبد الرزاق — حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م ، مجمع اللغة العربية - دمشق

١٧-التفتازاني ، سعد الدين مسعود بن عمر — المطوّل تحقيق د.عبد الحميد هنداوي،ط١ ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م ، دار الكتب العلمية بيروت — لبنان

١٨-الجاحظ ، عمرو بن بحر — الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م ، دار الجيل ، بيروت — لبنان

١٩-الجامي ، أحمد زين العابدين — نوافح الزهور فيما جرى به القلم من منظوم ومنثور ،مخطوط ،مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم ٢٥٥/٨١٠

٢٠-الجبرتي ، عبد الرحمن بن حسن — تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، ط٢ ، ١٩٧٨م ، دار الجيل ، بيروت - لبنان

٢١-الجرجاني ، عبد القاهر — أسرار البلاغة ، تحقيق محود محمد شاكر ،ط١ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م ، مطبعة المدني ، جدة

٢٢-الجرجاني ، علي بن عبد العزيز — الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية بيروت ، ط١ ، ١٤٢٧هـ

٢٣-الحامد ، عبدالله الحامد — الشعر في الجزيرة العربية ، نجد والحجاز والأحساء والقطيف خلال قرنين ١١٥٠هـ-١٣٥٠هـ ، ط٣ ١٤١٤هـ ، دار الكتاب السعودي ،الرياض

٢٤-الحربي ، إبراهيم بن إسحاق — كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق حمد الجاسر ، منشورات دار اليمامة الرياض ط٢ ١٤٠١هـ

٢٥-الحموي ، ياقوت — معجم البلدان ، تحقيق فريد الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان

٢٦-الداغستاني ، عمر بن عبد السلام — تحفة الدهر ونفحة العصر في أعيان شعراء المدينة من أهل العصر ، نسخة مصورة من مخطوط من جامعة كمبردج -انجلترا

٢٧-الردادي ، عايض بن بنية — الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري ، ط١ ، ١٤٠٤هـ ، مكتبة

الردادي	المدني ، جدة

٢٨-الرقيات ، عبيدالله بن قيس	ديوانه ، تحقيق وشرح ، د محمد يوسف نجم ، دار صادر، بيروت

٢٩-الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني	تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ١٣٨٥هـ ، ١٩٦٥م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت -لبنان

٣٠-الزركلي ، خير الدين	الأعلام ، ط١٠ ، ١٩٩٢م ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان

٣١-السامرائي ، فاضل	الجملة العربية- تأليفها وأقسامها ، دار الفكر ط٢٠٠٧م، عمان - الأردن

٣٢-السباعي ، أحمد	تاريخ مكة ، ط٧ ، ١٤١٤هـ ، نادي مكة الثقافي

٣٣-السكاكي ، أبو يعقوب يوسف بن محمد	مفتاح العلوم ، ط٣ ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان

٣٤-السمهودي ، علي بن أحمد	وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٣ ،١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان

٣٥-السنجاري ، علي بن تاج الدين بن تقي الدين	منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم ، ط١، ١٤١٩هـ جامعة أم القرى

٣٦-السيرافي ، أبو سعيد الحسن بن عبدالله	ما يحتمل الشعر من الضرورة ، تحقيق وتعليق د. عوض بن حمد القوزي ،ط ٢ ، ١٤١٢هـ

٣٧-الشريف محمد بن راضي	الشعر في المدينة في القرن الثاني عشر الهجري ، ط١ نادي المدينة المنورة الأدبي ، ١٤٢٣هـ

٣٨-الشوكاني ، محمد بن علي	البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان

٣٩-الطبري ، محمد بن علي بن فضل	إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن، تحقيق: ناصر بن عبد الله البركاتي ، رسالة علمية

٤٠-العباس بن علي الموسوي	نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس ، مكتبة المعارف ، الطائف

٤١-الفيروز آبادي ، محمد بن يعقوب	القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، ط٣ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ،

٤٢-الفيروز آبادي ، محمد بن	المغانم المطابة في معالم طابة ، تحقيق حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة ،

يعقوب الرياض ، ط١ ١٣٨٩هـ

٤٣-القرطاجني ، حازم منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب بلخوجة ، ط٣ ، ١٩٨٦م ، دار الغرب الإسلامي

٤٤-القلقشندي ، أحمد بن علي صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ١٩٨٧م ، دار الفكر ، دمشق

٤٥-القيرواني ، ابن رشيق العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل ،بيروت، ط٥

٤٦-المتنبي ، أحمد بن الحسين ديوان المتنبي شرح العكبري ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان

٤٧-النواجي ، شمس الدين محمد بن حسن عقود اللآل في الموشحات والأزجال، دراسة وتحقيق الدكتور أحمد محمد عطا، ط١ ١٤٢٠هـ مكتبة الآداب، القاهرة

٤٨-الهجري ، أبو علي التعليقات والنوادر ، ط١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ، حمد الجاسر

٤٩-أحمد الشايب أصول النقد الأدبي ، ط٨ ١٩٧٣م، مكتبة النهضة المصرية

٥٠-أحمد مطلوب فصول في الشعر، المجمع العلمي ،بغداد ١٤٢٠هـ

٥١-إبراهيم أنيس موسيقى الشعر ،ط٦ ١٩٨٨م ، مكتبة الأنجلو المصرية

٥٢-إبراهيم أنيس ورفاقه المعجم الوسيط ،ط٢ ، ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م ، مجمع اللغة العربية القاهرة

٥٣-بكري شيخ أمين مطالعات في العصر المملوكي والعثماني ، ط٤ ، ١٩٨٦م ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان

٥٤-بيركهارت ، جون لويس رحلات إلى شبه الجزيرة العربية ، ، ط١ ٢٠٠٥م ، الانتشار العربي ، بيروت، لبنان ص١٥

٥٥-خالد إبراهيم يوسف الشعر العربي أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان، دار النهضة العربية،ط١ ٢٠٠٣م

٥٦-خليل مردم بك أعيان القرن الثالث عشر ، ط٢ ، ١٩٧٧م مؤسسة الرسالة ، بيروت

٥٧-دحلان ، أحمد زيني خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ط ١٣٠٥هـ المطبعة الخيرية الجمالية، مصر

٥٨-سادلير ، ج . فور ستر رحلة عبر الجزيرة العربية،من القطيف في الخليج إلى ينبع على البحر الأحمر،ط١

١٤٠٣هـ ، الناشر سعود بن غانم العجمي الكويت ،ص١٢٥

٥٩-سعود محمود عبد الجابر الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني ، ط٢ ، ١٤١٤هـ ، ١٩٨٤م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان

٦٠-شارل ديديه رحلة إلى الحجاز، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، ترجمة محمد خير البقاعي، دار الفيصل الثقافية ١٤٢٢هـ، مطبعة مكتبة الملك فيصل

٦١-عبد الرحيم أبو بكر الشعر الحديث في الحجاز ، دار المريخ ، الرياض

٦٢-عبد الفتاح راوة أمراء مكة عبر عصور الإسلام

٦٣-عبد المتعال الصعيدي بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، مكتبة الآداب ، القاهرة - مصر

٦٤-عبدالله الطيب المجذوب المرشد لفهم أشعار العرب وصناعتها ، ط١ ، ١٣٧٤هـ -١٩٥٥م ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر

٦٥-عبدالله عبد الشكور تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة ، مكتبة الحرم المكي ١/٤٣ تاريخ.

٦٦-عروة بن الورد ديوانا عروة بن الورد والسمؤال، دار صادر، بيروت،ص ٢٩

٦٧-فرانسوا مورو الصورة الأدبية، ترجمة علي نجيب إبراهيم، ط١٩٩٥م،دار الينابيع، دمشق

٦٨-فورار محمد قراءة القصيدة العربية في ضوء النقد الحديث ص ٢٣٧ .صحيفة دار العلوم للغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية العدد (٢٩) ذو الحجة ١٤٢٨هـ ، القاهرة

٦٩-محمد أبو موسى كتاب دلالات التراكيب ، مكتبة وهبة ط٢ ١٤٠٨هـ ،القاهرة ، مصر

٧٠-محمد أبو موسى خصائص التراكيب ، مكتبة وهبة ط٤، ١٤١٦هـ مصر- القاهرة

٧١-محمد حماسة عبد اللطيف الجملة في الشعر العربي، ٢٠٠٦م دار غريب القاهرة

٧٢-محمد حماسة عبد اللطيف بناء الجملة العربية ، ٢٠٠٣م ، دار غريب ، القاهرة - مصر

٧٣-محمد رضا الحكيمي ابن سينا (عبقري يتيم وتاريخ حافل) ، مؤسسة الأعلمي، بيروت- لبنان ، ط١ ، ١٩٩١م- ١٤١١هـ

٧٤-محمد زغلول سلام الأدب في العصر المملوكي، دار المعارف بمصر سنة ١٩٧١م

٧٥-محمد سعيد كمال الأزهار النادية من أشعار البادية ، ط ٧، ١٤٢٢ هـ مكتبة المعارف، الطائف

٧٦-محمد غنيمي هلال — النقد الأدبي الحديث، ١٩٧٧م ، دار نـــهضة مصر ، القاهرة

٧٧-منذر عياشي — مقالات في الأسلوبية ، اتحاد الكتاب العربي ، ١٩٩٠م

٧٨-موريس تاميزييه — رحلة في بلاد العرب ، ترجمة محمد بن عبدالله آل زلفة ، دار بلاد العرب ١٤٢١هـــ ، الرياض

٧٩-ياروسلاف ستيتكيفيتس — صبا نجد، شعرية الحنين في النسيب العربي الكلاسيكي ، ترجمة حسن البنا عز الدين ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ١٤٢٥هـــ - ٢٠٠٤م، الرياض

٨٠-يوسف حسين بكار — بناء القصيدة العربية ، ١٩٧٩م ، دار الإصلاح ، المملكة العربية السعودية - الدمام

فهرس الدراسة

الفصل الثاني: الأداة

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا

ديوان

محمد قابل

تحقيق ودراسة

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب والنقد

الجزء الثاني

الديوان والزيادات

إعداد الطالب

محمد بن راضي بن نجا الشريف

الرقم الجامعي ٤٢٣٧٠٠٨٢

إشراف

أ.د : صالح بن سعيد الزهراني

١٤٣٠هـ

ثانيا/ التحقيق

_ وصف نسخ الديوان

_ وصف العمل في التحقيق

وصف نسخ الديوان

يقول الجاحظ:" ولربَّما أراد مؤلِّف الكتاب أن يصلح تصحيفا، أو كلمة ساقطة، فيكون إنشاء عشر ورقات، من حرّ اللفظ وشريف المعاني، أيسر عليه من إتمام ذلك النقص، حتى يردّه إلى موضعه من اتصال الكلام ...". [١]

وهذا ما لمسته فعلا أثناء معايشتي لهذا الديوان وهو ديوان لم يحقّق و لم يطبع ، وأولى نسخه التي حصلت عليها صوّرتـــها من نسخة أصليّة لدى مكتبة (عارف حكمت) الملحقة بمكتبة الملك عبد العزيز العامة بالمدينة المنورة، وهي النسخة التي قدّمتها للجامعة للموافقة عليها أطروحة علمية لتحقيقها ودراستها، وقد اشتغلت عليها ردحاً من الزمن وكان احتمال وجود نسخة أخرى للديوان بعيداً حيث اتصلت ببعض أسرة الشاعر وببعض المعنيين بالشأن الأدبي للمنطقة والفترة، فلم يذكروا لي سواها بل إن بعضهم لم يكن على علم بـــها، وكانت هي النسخة الوحيدة التي رجع إليها كل من الدكتور عبد الله الحامد في تاريخه للشعر في الجزيرة في قرنين، والشيخ عبد القدوس الأنصاري في تاريخه لمدينة جدّة.

وقد نصحني أحد الأساتذة المهتمين بأدب الفترة وتاريخها بمراسلة أهم المراكز المهتمة بالمخطوطات للاستفسار عن وجود مخطوطة أخرى للديوان، وقد استبعد أن يكون للديوان نسخ أخرى، ولكنه حث على ذلك من باب التيقن، وحتى لا يؤخذ عليّ ذلك أثناء المناقشة عندما أسأل عن الجهود التي بذلتها في البحث عن نسخ للمخطوط، وخص لي مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، فذهبت إلى المركز وأبدى المسؤولون فيه كل

---

(١) – كتاب الحيوان للجاحظ ،بتحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت ١٤١٢هـــ- ١٩٩٢م ص ٧٩

اهتمام وعلى رأسهم أمين المركز الدكتور يحيى جنيد ، والأستاذ عبد العزيز الراجحي مشرف المخطوطات الذي أخبرني بأن لديهم قاعدة بيانات تنبي عن وجود المخطوطات في كثير من المراكز العالمية، وكان لهم الفضل في البحث الذي تمخض عن وجود نسختين مختلفتين لدى مكتبة الملك فهد مصورتين من مكتبة جامعة برنستون، ووجود نسخة أخرى لدى دارة الملك عبد العزيز، وتم الاتصال بـــهذين المركزين، وحصلت على صور لهذه المخطوطات فأصبح عندي بذلك أربع نسخ للديوان بما فيها نسخة عارف حكمت.

وسأرتبها وأصفها حسب الأقدمية والأهمية على النحو التالي :

النسخة الأولى(أ) :

وهي نسخة مصورة لدى مكتبة الملك فهد بالرياض من نسخة لـــدى مكتبـــة جامعة برنستون تحمل الرقم (H٩٤).

النسخة مكتوبة بخط النسخ الواضح المتأنّي وبحرف متوسط وتحوي الصفحة معدّل سبعة عشر سطراً، وتقع النسخة في ٢٧٠ لوحة يخصّ الديوان المجمـــوع لـــشاعرنا ٢١٧ لوحة أما الباقي فهو مزيد على النسخة ، وهو عبارة عن شعر ونثر للشاعر و غيره.

يظهر أن النسخة كتبت في زمن المؤلف، حيث يطالعنا في التقـــديم للقـــصائد عبارات توحي بأن المؤلف كان حيّاً إبان نسخها مثل (صانه الله من كل ألم) و (حماه الله من كل شانٍ) و (نفعه الله بما قال في الحال والمآل) و (صانه الله من صروف الزمـــان) . وبموازنة النسخة بالنسخ الأخرى يتضح أنـــها آخذة عنها، وهو ما سيتضح عند حـــديثنا عن النسخ الأخرى.

يظهر أن النسخة قد أصابتها يد الإهمال والضياع ممـــا تـــسبب في خرمهـــا في موضعين حيث نلاحظ الاختلاف من اللوحة ١٣٢ إلى اللوحة ١٣٩ ، ومن اللوحة ١٦١ إلى اللوحة ١٨٠، إذ نلاحظ الخط مغايرا لخط المخطوطة ويخلو من الشكل الإعرابي وبـــه أخطاء كثيرة ، وهو خط قريب من خط ناسخ المخطوطة الرابعة (د) (مخطوطة دارة الملك

عبد العزيز) ، ونرجح أنَّها منقولة عنها، ومما يؤيد ذلك تطابق بعض الأخطاء مع الأخطاء التي اختصت بِها تلك المخطوطة .

والنسخة فيها تكرار للموشحة الموجودة في اللوحة (٢٠٦) وتبدأ بقوله (يـــا ساقي المدامة،كم لي في كؤوسك شجون) وتنتهي في اللوحة (٢٠٧) عند قوله (قولوا له كرامة ، منا أنت مهما تكون) حيث تكررت في اللوحتين (٢١٤) و(٢١٥).

النسخة الثانية (ب) :

وهي نسخة مصورة لدى مكتبة الملك فهد بالرياض من نسخة محفوظة لـــدى مكتبة جامعة (برنستون) برقم (H٩٥) وهي مضغوطة الكتابة كتبت بخط الرقعة وتقع في ١٣٢ لوحة فقط، ناسخها حسن بن مصطفى قيّم زاده[1] وذكر أنه بدأ نسخها لـــثلاث ليال بقين من شهر ذي القعدة سنة ١٢٢٧هـــ، وانتهى من نسخها لتسع ليال مضت من شهر ربيع الأول سنة ١٢٢٨هـــ ، والنسخة عليها تملّك مطموس، وقد كتبت بخط سريع معلّق وحرف صغير نسبياً وذلك هو الذي سبّب الفرق بينها وبين النسخة الأولى في عدد

---

(١) – هو حسن بن مصطفى بن قيّم زاده ، الحنفي المكي الخطيب ، الإمام المدرس بالمسجد الحرام، ولد بمكة المشرفة ، وبـــها نشأ ، ومات والده وهو صغير ، ولما بلغ الحلم شرع في طلب العلم، قرأ على عدة مشايخ منهم مفتي مكة الشيخ عبد الملك القلعي والشيخ طاهر سنبل، كان عالما ملازما للسكون والوقار ، تصدّر للتدريس، توفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين وألف بمكة. نشر النور والزهر لأبي الخير ص١٧٤

اللوحات وأكاد أرجّح أنــها منقولة مباشرة من النسخة الأولى لأن الأخطاء التي وقع فيها الناسخ ناتجة عن التباس الكلمات في النسخة الأولى أو عدم وضوحها .

وقد رجعت إلى هذه النسخة واعتمدت عليها عند موضع الخـــرم المعـــوّض في النسخة الأولى؛ لأن هذه النسخة أوثق وأضبط من النسخة الرابعة التي نـــرجح تعـــويض الخرم الذي حصل في النسخة الأولى منها ، وقد اقتصرت هذه النسخة على مـــا وجـــد مجموعاً من شعر قابل وذكر الناسخ في نـــهاية النسخة أن للـــشاعر أشـــياء في ديـــوان المراسلات و لم يذكر كنه هذه الأشياء، ولعل منها ما أضافه الناسخ نفسه على النـــسخة التالية (الثالثة) ، إلا أننا نجد الشاعر يذكر ديوان المراسلات هذا في ثنايا الديوان حيـــث يتحدث عن القصائد التي أجاب عليها أو الرسائل النثرية يذكر أنـــها في ديوان المراسلات .

وتتميز هذه النسخة عن النسخة السابقة بوجود تقريظ للشاعر أحمـــد الجـــامي المدني في أولها وهذا نصه:" ومما للأديب المرحوم أحمد أفندي الجامي الخطيب المدني رحمه الله تعالى تقريضاً :

وكم ديوان شعر قد رأينـــا ... وكم فينـــا لـــه وعليـــه قابَـــل

ولكن قابلي مـــا جـــاء إلا ... على درر بـــديوان ابـــن قابـــل

سقى المولى ثراه بمزن عفـــو ... وكان له بوجـــه رضـــاه قابـــل

وقد كتب في آخرها: " انتهى ما وجد مجموعا له - رحمه الله تعالى- وله في ديوان المراسلات أشياء لم تثبت هنا ومن رامها فليراجعها هنالك ، وقد تم تحريرا على يد أســـير شهواته متخوم هفواته، من أخطأ رشاده وحالف الغاده[1]، حسن بن مصطفى قـــيّم زاده لتسع ليال مضت من ربيع الأول عام الفتح الأعظم ورفع المدلهم الذي أهم ولـــمّ ثمـــان وعشرين بعد الألف والمائتين من هجرة سيد الكونين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم".

---

(١) – كلمة (الغادة) غير واضحة تماما في المخطوط.

النسخة الثالثة(ج) :

موجودة لدى مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة (مجموعة عارف حكمت) تحت رقم (٨١٠/٧ أدب عربي) وتقع في ١٨٠ لوحة ينتهي الديوان فيها عند اللوحة الثانية والخمسين بعد المائة، أما بقية اللوحات فهي مما أضيف على النسخة من شعر قابل، والنسخة بخط ناسخ النسخة السابقة (الثانية) وهو حسن بن مصطفى قيّم زاده ذكر أنه فرغ من نسخها لليلة بقيت من شهر شوال سنة ١٢٤٠هـ وهذه النسخة أول نسخة تقع في يدي من نسخ الديوان، وهي نسخة أرجح أنها منقولة عن النسخة الثانية – حسب ترتيبنا- ويغلب الظن أنها نسخت لمكتبة عارف حكمت حيث لا نجد عليها أية تملّكات أخرى، وبين النسختين (الأولى والثانية) – كما نلاحظ – ما يقارب اثنتي عشرة سنة .

أما ما أضافه الناسخ على الديوان من شعر الجداوي فيظهر أنه منقول من ديوان المراسلات الذي ذكره في نهاية النسخة السابقة (الثانية) ، حيث ذكر في نهاية النسخة (ب) أقصد النسخة الثانية المؤرخة لسنة ١٢٢٨هـ ما نصه: "انتهى ما وجد مجموعاً له رحمه الله تعالى، وله في ديوان المراسلات أشياء لم تثبت هنا، ومن رامها فليراجعها هنالك .. ". وقد رتب الشعر الملحق على حروف الهجاء.

ومما يلاحظ من فوارق بين هذه النسخة والنسخة السابقة (الثانية) اختلاف طفيف في مقدمة التقريظ ، حيث أثبت هكذا : "ووجد عليه تقريظ للأديب الخطيب أحمد أفندي الجامي المدني رحمه الله وأفاض على ضريحه شآبيب رحمته (آمين)".

وقد كتب في آخرها "انتهى ما وجد من كلام الأديب محمد بن يحيا قابل- رحمه الله تعالى- وقد تم على يد أسير ذنبه فقير ربه حسن بن مصطفى قيّم زاده جعل الله التقوى زاده، والملجئ إلى الاشتغال بهذا الزمن ترادف المحن ووثوب ليث الهموم مع

كساد العلوم بنساختي الدواوين قِلّة الدواوين وعدم المعين [1]، وكان الفراغ منه لليلة بقيت من شهر شوال عام الأربعين بعد المائتين وألف من هجرة صاحب العز والشرف صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه وشرّف وكرّم ،آمين".

ومن الملاحظ على زيادة النسخة (ج) أن الناسخ يجمع شعرا للجداوي معروفا لديه، إذ يقول عند تدوينه لإحدى القصائد: (بقيّتها ذهبت وإن وجدت أثبتت). ويقول في موضع آخر: (وله هذه الأبيات من قصيدة لم أقف منها إلا على هذا بخطه) ، و لم يشر إلى أن هذه الزيادة انتهت ، بل نجدها تنتهي بقوله (وله أيضا) كأنه كان ينوي إضافة أشعار أخرى للجداوي.

النسخة الرابعة (د):

موجودة لدى دارة الملك عبد العزيز بالرياض تحت رقم (١٥) من مجموعة (رشيد ملحس)، وعليها عدّة خمس تملكات لعل من أهمها تملّك ناسخ النسختين السابقتين (الثانية والثالثة) حسن مصطفى قيّم زاده، حيث نجده يضيف التقريظ الموجود على النسخ الأخرى على هذه النسخة بخطه، كما نجد تعليق في الهامش ص ١٨ بتوقيع (محمد سعيد بن حسن كمال _رحمه الله) ، ومن المعلوم أن محمد سعيد بن حسن كمال هو صاحب مكتبة المعارف بالطائف، وقد كان يعنى بالتراث ونشره ، وتوفي منذ عدة سنوات ، أي بعد تملك رشيد ملحس للنسخة بسنين ، وهناك تملك مطموس من بين التملكات الخمسة لعله تملك الشيخ محمد سعيد بن حسن كمال.

من المستبعد أن تكون هذه النسخة هي النسخة التي نقل عنها (قيّم زاده) النسختين السابقتين، لأن النسختين السابقتين كلتيهما أفضل وأصح وأسلم من هذه

---

[1] – الدواوين الثانية ، جمع ديواني وهي عملة متداولة في ذلك الوقت ، ويقول شاعر عامي من شعراء تلك الفترة في قصيدة طويلة يوصي فيها ابنه ، ويحذّره من الشريف سرور بن مساعد :

واعرف ترى مكة ولاها بناخيك   لو تشحده خمسة دواوين ما أعطاك

النسخة، ومن المرجح أنـــها وقعت في يد الناسخ بعد نسخه للنسختين المذكورتين بدليل إضافة التقريض وخلو النسخة من الزيادات التي وجدت في النسخة الأولى والثالثة، وهي ليست بخط الناسخ حسن قيم زاده الذي رأيناه في النسختين (ب) و (ج) ، ولكنني أرجح أنـــها نسخت من النسخة (ج) أولا ، إلى اللوحة (٧٣) ، ثم اتجه ناسخ (د) بعد هـــذه اللوحة إلى النسخ مباشرة من (ب) ، وسبب الترجيح هو اختلاف بدايات ونـــــهايات الصفحات بين (د) و (ج) والتي كانت متطابقة قبل هذه اللوحة، إضافة إلى اخـــتلاف الأخطاء ، إذ نجد ثمة خطأ في كلمة في (ج) يقابله لفظ صحيح في (د) بخلاف ما كـــان سابقا من ترتب الأخطاء على بعضها ، كما أن عبارات الدعاء اختلفت في النـــسخة (د) بعد هذه اللوحة ، إذ كانت مطابقة لعبارات (ج) التي جلها عبارة عن دعـــاء للـــشاعر بالرحمة ، بينما بعد هذه اللوحة نجدها مطابقة لعبارات (ب) التي تطابق النسخة (أ) .

تقع النسخة في ١٤٩ لوحة، وهي نسخة كتبت بخط بين النسخ والثلث، وهي كثيرة التحريف والسقط، وتكمن أهميتها بأن التعويض عن خرم النسخة الأولى التي نعدّها أفضل النسخ – ونرجح أنـــها نسخة المؤلف أو أنـــها كتبت في حياته- كان من هـــذه النسخة، حيث توافق الخط بين هذه النسخة وبين التعويض في النسخة المذكورة إلى جانب توافق التحريف حيث يظهر التحريف في كلمة من الكلمات بتوافقه مـــع التحريـــف في الكلمة في النسخة الأخرى.

يوجد اضطراب من بعد اللوحة (٨٣) ، وهو ما ظننته سقطا من أول وهلـــة ، لكن عند التأمل ومطابقة الشعر بما في النسخ الأخرى تأكد لي أنه اضـــطراب في الأوراق أدى إلى التقديم والتأخير ، إلا أن هذا الاضطراب لا يظهر في أرقام الصفحات التي يبـــدو أنَّها رقمت بعد هذا الاضطراب ولم يتنبه له المُرقّم.

وقد استطعت أن أرتب الأوراق ليتضح أن النسخة كاملة ، فاللوحـــة (٨٣) تليها اللوحة (١٠٥) حسب ترقيم المخطوط ، ثم يستمر الترقيم متواليـــا بعـــد اللوحـــة (١٠٥) إلى اللوحة (١١٩) ليأتي بعدها اللوحة رقم (١٤٢) حسب ترقيم المخطـــوط ، ويستمر الترقيم بعد هذه اللوحة متواليا إلى الرقم (١٤٧) ليأتي بعدها اللوحة رقم (١٢٠) حسب ترقيم المخطوط ، ويستمر الترقيم بعد هذه اللوحة متواليا إلى الرقم (١٤١) ليـــأتي

بعدها اللوحة رقم (٨٤) حسب ترقيم المخطوط ، ويستمر الترقيم بعد هذه اللوحة متواليا إلى اللوحة (١٠٤) ، ليأتي بعدها اللوحة الأخيرة في النسخة ورقمها (١٤٩).

ومما يرجح الترتيب السابق للنسخ ملاحظة أن أخطاء النساخ تترتب على بعضها، حيث يكون رسم الكلمة في المخطوطة الأولى غير واضح أو موهم، فيترتب على ذلك خطأ في رسمها، وينتقل هذا الخطأ من نسخة إلى نسخة حتى تبتعد الكلمة عما كانت عليه في النسخة الأصلية، من ذلك على سبيل المثال كلمة (الخلاعة) في قوله:

كيف لا أحتسى مدامة صفوي وهى في حالة الخلاعة تجلى[1]

حيث وردت الكلمة في نسخة (أ) (الخلاعة) ، ثم وردت في نسخة (ب) (الخالعة)، فأشكلت على الناسخ نفسه وحاول أن يجتهد في تصحيحها فابتعد بها عن الأصل فكتبها هكذا(الخا) كأنه ظنها (الخان) ثم تردد في إثباتها وترك تكملتها بياضا، وهذا ما نجده في نسخة (د).

عملي في التحقيق

(1) – الديوان ص١٦٩

١- اعتمدت النسخة (أ) نسخة أمًّا لأنـــها أصح النسخ وأوضحها وأدقّها ، وهي الأصل للنسخ الأخرى، حيث أرجح أن النسخة (ب) منسوخة من (أ) والنـــسخة (ج) منسوخة من (ب) والنسخة (د) منسوخة (د)، وسأشير في الهـــامش الأيمـــن إلى أرقـــام لوحات المخطوط حسب النسخة المصورة (أ) ، حيث سيكون الترقيم معتمدا على واقع النسخة المصورة، فسأعتمد الرقم المكتوب في أعلى الصفحة المصورة، وسأعد الجزء الأيمن من الصفحة (أ) والجزء الأيسر من الصفحة (ب).

٢- بالنسبة للخرم المعوّض عنه من المخطوطة (د) اعتمدت النسخة (ب) نـــسخة أصلية لما عُوّض من الديوان لأن النسخة (ب) هي أصح النسخ وأسلمها بعد النسخة (أ) ، وهي النسخة التي نرجح أنـــها منقولة عنها مباشرة، مع الاستئناس بجميـــع النـــسخ في الكلمات الملبسة والمشكلة.

٣- اجتهدت للتعريف بجميع الأعلام الواردة أسماؤهم سواء ممن لهم علاقة بـــشعر الجداوي ، أو ممن وردت أسماؤهم في أثناء الشعر، إلا إنني عجزت عن الترجمـــة لـــبعض هؤلاء الأعلام حيث لم أتبين لهم ذكرا في كثير من المراجع التي كـــان مـــن الممكـــن أن تذكرهم، وقد استقصيت بقدر الوسع والجهد في ذلك.

٤- عرّفت بالأماكن والمواضع الواردة في الديوان،ولم يفتني منها إلا ما ندر ومـــالا يكاد يذكر.

٥- شرحت الكلمات التي رأيت ضرورة شرحها ، وهي الكلمات النادرة والغريبة.

٦- حاولت أن أخمّن الكلمات الساقطة أو المطموسة ، وأن أضـــع ذلـــك بـــين معقوفين، معتمدا في ذلك على ما يحتمله السياق والوزن الشعري، ومستعينا بالقـــاموس الشعري للشاعر الذي أزعم أنني تمرست به من طوال مداومتي لمطالعة الديوان.

٧- هناك كلمات وصفتها بأنـــها (موهمة) وقصدت بذلك الكلمات التي لم يتبينها الناسخ فرسمها ، بطريقة غير واضحة تحتمل أكثر من وجه للقراءة.

صورة غلاف وبداية ونـــهاية نسخة (أ)

صورة غلاف وبداية ونـــهاية نسخة (ب)

صورة غلاف وبداية ونـــهاية نسخة (ج)

صورة غلاف وبداية ونـــهاية نسخة (د)

ديوان الجمال المرحوم محمد قابل

رحمه الله تعالى رحمة واسعة

وغفر له بفضله وكرمه

آمين آمين

آمين

للفقير أحمد الجامي عفى الله عنه مُقرِّضا:

وكم ديوان شعر قد رأينا　　　وكم فينا لـــه وعليه قابَل
ولكن قـــابِلي ما جاء إلا　　　على دررٍ بديوان ابن قابِل
سقى المولى ثراه بمزن عفو　　　وكان له بوجه رضاه قابِل

٣/أ

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الإعانة

يارِبّ حــلّ بيَ التعــبْ وَسَطَتْ عليّ يد النــصَبْ

يــا ربّ فاجــأني العَنَــا وعَلَــيَّ بــاللأوا وَثَــب

يا ربّ قد ضــاق الخَنَــا ق وقد أحاطتْ بى النُّوَب

يــا رب قــلّ الإحتيــا ل وقد نَبَا صبْري ونَبّ [1]

وَوَهَتْ عُــرى جَلَــدي ــــب بالـــمكاره لــي

عَظُم الــمُصاب لـــما نِي واســتشاطنــيَ الوَصَب

ياربّ حــسْبى قــولتى يا رب إن خطْبٌ خَطَــب

يــا ربّ مــا لي مَوْئــلٌ أمدد إليه يــدَ الطلــب[3]

ما لي سواك إذا انتحــى ـــــــمكروه نَحْــــوي

ما لي ســواك إذا وشــى بالزُّور عنِّى مــن كــذب

ما لي سواك إذا العَــدو و إلى مغــالبتى انتــصب

ما لي سواك إذا بنَــى لي ــمكرُ كيــدا أو نَــصَب

ما لي ســواكَ ولــيس لي ياربّ قطّ ســواك رب[5]

مــا لي مــلاذٌ دون بــا بـــك في الخطـــوب ولا

حاشــا و لا رجــوى إلى أَحَــد ســواك ولا طلــب

حاشا ولا شــكوى ولا أَمَلٌ يُنَــاط إلى ســبب[7]

---

(١) – نب : تعاظم . تاج العروس (نبب) .

(٢) – هذا البيت ساقط من النسختين (ج) و (د) .

(٣) – لجأ الشاعر إلى فك التضعيف في الفعل (أمدد) للضرورة الشعرية .

(٤) – انجذب : الخذب ، في (د) .

(٥) – مالي سوااك وليس لي : ما لي سواك ليس لي ، في (ج) و (د).

(٦) – نشب : المال . لسان العرب (نشب) .

(٧) – شكوى : شكري ، في النسخ الأخرى .

٣/ب

لا ملجـــأ أُنْمـــى إليـــــ ـــــــه ولا انتـــــساب ولا

صفْر اليدين من الوســـا ئل والوســـائط والنَّـــسَب

إلا الوســـــيلة مـــــصطفا ك ومُجتبـــــاك المنتخـــــب

خير الأنام نبيّـــك الـــــ ـــمختار من خير العـــرب

فهو الوســـيلة لي إليـــــ ـــك وأنت أكرم من وَهَب

أمري إليـــك وأنـــت لي عونٌ إذا أمري اضطرب(٢)

وإليـــك يـــاربّ الْمَفَـــر ر والالْتجَا لك والهـــرب(٣)

أرجوك يـــا ربِّ رضـــا ك وأستعيذ مـــن الغـــضب

أرجوك يـــاربّ الـــسلا مةَ مـــن مواقعـــة العَطَـــب

فـــاعطف علـــىّ برحمـــة وامنن بتفـــريج الكُـــرب

وانظـــــر إليّ بنظـــــرة تقـــضى بحـــسن المنقلـــب

وقال - أجاب الله دعوته وأقال عثرته - وقلت سائلاً ومتوسلاً :

يا حيّ يا قيوم يـــا واحـــد يا فرد يا قدّوس يـــا ماجـــد

يا حق يا معبود يـــا باقيـــاً؟ يا وتر يا مشهود يـــا شـــاهد

يا بَرّ يا تـــواب يـــا غـــافراً يا نور يا وهاب يا واجـــد(٤)

يا عالم الغيب فـــلا عـــازبٌ عن علمه شيءٌ ولا شـــارد(٥)

يا واسع الجود فلا صـــادرٌ عن غـــيره الجـــود ولا وارد

يا مالك الـــملك فلا ناصرٌ يعينـــــه فيـــــه ولا عاضـــــد

---

(١) – لا ملجأ : الا ملجأ ، في (ج) و (د) .

(٢) – اضطرب : الضطرب ، في (ب) .

(٣) – الهرب : الأرب في (د) .

(٤) – الواجد : الغنيّ ، قال الشاعر : الحمد لله الغني الواجد . لسان العرب (وجد) .

(٥) – عن علمه : من علمه ، في (أ) و (ب) ، وما أثبته من (ج) و (د) .

٤/أ

يا ربّ إني عبدك البائس الــ | ــفاني الضعيف العائذ العائــد
يا ربّ إني عبدك الــضارع | ــجاني الجريء الـــمجتري
يا ربّ كن لي حافظاً واقيًــا | مــمّا جناه الــزمن الكائــد
ربّ أجرني واكْفني واحْمني | من شرّ ما يسعى به العانــد[١]
رب أعذْني واشفني واهــدني | إليـــك هـــدياً إنــني فاقــد
خلّص فؤادي مــن شــباك | فما له غــير الهــوى صــائد
خصِّص بسرٍّ منك قلبي عسى | يزول عنــه رَيْنُــه الفاســد
اجعل له نوراً بــه يهتــدي | من ضــلّة ديجورهــا عاقــد
أســألك اللــهم لي رحمــةً | في يوم يقصى الولــدَ الوالــد
في يوم لا ينفــع مــالٌ ولا | بنــون إلا العمــل القاصــد
في يوم لا عزّ لــذي عــزّة | إذا تجلّــى الــصمد الواحــد
يومٌ بــه تعــرض أعمالنــا | عليه عرضــاً وهــو الناقــد
لا عاصم ثَــمَّ لــه منعــةٌ | ولا يدٌ تسطو ولا ســاعد[٢]
ولا حمى يُغشى ولا حــاكمٌ | يُرشي على الخصم ولا شــارد
ليس سوى الجبــار خلاّقنــا | والحَكَمُ العدل هــو الــشاهد
نعمْ لها مختــاره في الــورى | أحْمَــدُه محمــوده الحامــد
له لواء الحمد في موقف الــ | ــحشر ومولاه له العاقــد[٣]
له مقام القرْب مــن ربّــه | - حبا له - والسؤدَدُ الصاعد
يدنو إلى الله خــضوعاً لــه | وهو لدى العرش له ســاجد
فعندها يُسمع منــه النِّــدا | قُبلْتَ فاشفع أيّهــا الــساجد

---

(١) – احمني: ارحمني ، في (د) .

(٢) – ساعد: تساعد ، في (د) .

(٣) – في نسخة (أ) ورد صدر البيت هكذا (له لِوَا الْحَمْدِ في موقفٍ)، وفي النسخ الأخرى (له لواء الحمد في موقف الحشر)، وهو ما أثبته ، إذ لا يصح المعنى إلا بإضافة كلمة (موقف) إلى كلمة (الحشر) إضافة إلى كسر البيت في نسخة (أ) .

اشفعْ تشفَّعْ قُلْ تُجَبْ سَــلْ   أُعطيتَ ما أنت لــه قاصــد

فَيَشْفَعُ المختار فيمن عــصى   لا مــانعٌ منــه ولا ذائـــد

فهو شفيعٌ لعُــصاة الــورى   وللمطــيعين لهـــم قائـــد

إلى جنان الخُلــد دار البقــا   دار النعــيم الــدائم الخالــد

حيث لقاء الله حيث الــصفا   حيث الوَفا والموعد الوَاكد[١]

وقال - غفر الله له - وقلت متوسلاً :

صاحَ داعى الفلاح في كلّ ناد   مُعلنــا في دعائــه بالرشــاد[٢]

صاح فينا ونحن في غفلة اللهـــ   ـــو رُقودٌ عن يقْظــة الاعتــداد

ودعانا إلى النجاح وما ثَـــم   م سميعٌ منّا مجيــب الـــمنادي

وأجاب الصدى دُعاهُ ولم يلــْ   ـــقَ مُجيبا إلا صدى كلّ صــاد

وَيْحنا من غواية قد أحالــت   بيننــا حــائلاً وبــين المــراد

قيّدتْنا آمالنــا لطــلاب الــد   دنيا بحَبْس الأطماع في أصــفاد

وأصمّتْ أسماعنا وهي لاتصـْ   ـــغي لداع ومــا بـــها مــن

وَكَسَتْ أعينَ البصائر منـــ   ـــنا غشوةٌ حيكَ بُرْدُهــا مــن

قام فينا داعى الهــوى فكأنّــا   زملُ رَكْب في فدفــد[٥] وهــو

فعصينا وقد أقام دليل الـــســ   ــسوء فينا عمى دليل وهــاد[٧]

٥/أ

---

(١) – الموعد: الوعد ، في نسخة (د) . (الوفا) من باب قصر الممدود للضرورة الشعرية.

(٢) – دعائه: دعاه في النسخ الأخرى .

(٣) – لداع: لراع ، في نسخة(د) .

(٤) – البصائر: البصيرة، في نسختي (ج) و(د) .

(٥) – الفدفد : الفلاة . لسان العرب (فدد) .

(٦) – داعي: داع ، في (أ) و(ب) و(ج) وأثبت ما ورد في (د) لأنه لا يصح المعنى إلا به.

(٧) – عمى دليل: عما دليل،في (أ)،و(عماد ليل)في (ب) ، و (علما دليل) في (ج) و(د)، وقد أثبتنا ما جاء في نسخة (أ) مع كتابة الألف على صورة الياء لأنه الصواب ويؤمن معه اللبس الذي سبب الإشكال في النسخ الثلاث.

ونــــهجنا مناهجًـــا ادلهمّـــت … بدجى الغيّ ما لها مـــن نفـــاد[١]

ورمانا التسويف لُـــجّة لَهْـــو … قذفتنا من الهـــوى في وهـــاد[٢]

فغدونا نجـــرّ ذَيْـــل التلاهـــي … في مغاني غرورنـــا والنـــوادي[٣]

نتغالى في حَلْبة الغـــيّ سَـــبْقًا … بطراد فمـــا طـــراد الجيـــاد[٤]

ونُجاري الأهواء منّا نفوســـا … هنّ فينـــا غوائـــلٌ وغَـــوَاد[٥]

ما لها لَـــمْحُ نظـــرة لعلامـــا … ت زوال الزمان وهي بَـــوَاد[٦]

بيّنـــات لعـــين كـــلّ بـــصير … مُعْلنـــات بكونـــه والفـــساد

لا ولا ردْع للتقلّـــب للـــد … دهر وَعَدِّ الشهور والأعيـــاد[٧]

لا ولا خشيةً من الله مـــمّا … أُوعد الظالـــمون من إيعـــاد[٨]

لا ولا رغبـــة إلى الله فيمـــا … وُعد الـــمتقون مـــن ميعـــاد

أجهلنا ما جاء في الآي من إيـ … ـــعاد ذي الطَّـــوْل للعَـــصيِّ

أم نسينا يد المنايا وقـــد مُـــد … دت لسَلْب الأرواح والأجساد

(٥/ب) حسبْنا الـــموت واعظاً غير أنّا … بقلوب كأنـــها مـــن جمـــاد

أَعْجَزَتْنا الدنيا طلابـــاً وحثًّـــا … واكتراثـــا بـــهمّة واجتـــهاد

ما انتهى سَعْيُنا إليهـــا لحـــدٍّ … وظفرنـــا فيـــه بنيـــل مـــراد[٩]

بل جهدنا نؤمُّ مـــاءً فخلنـــا … ه سرابا على مهَاد جَهـــاد[١][٢]

---

(١) – نـــهجنا: للجنا، في (د) ولا وجه له .

(٢) – قذفتنا: قد فـــتـــنا، في النسخ الأخرى .

(٣) – فغدونا: فغدينا ، في النسخ الأخرى .

(٤) – نتغالى في حلبة : تتغالى في جلبة، في (د) ولا وجه لها .

(٥) – هن فينا: هي فينا ، في (ج) و(د) .

(٦) – زوال: زول، في (ج) و(د) .

(٧) – ولا ردع للتقلب: ولا ردع التقلب، في (د) .

(٨) – (مما) في نـــهاية صدر البيت ترك مكانـــها بياض في (د) وذلك لعدم وضوحها في (ج). إيعاد:إيغاد ، في (أ)، و (إيفاد) في (ب) ، وما أثبته من (ج) و (د) وهو الصواب.

(٩) – سعينا: سعيا، في النسخ الأخرى .

وطلبنا السقيا سحابة صـــيف ... خلَّب برقُهـــا بغـــير عهـــاد[٣]

إن أفعالنـــا أعـــادت علينـــا ... عاجل الإنتقام قبـــل الــــمعاد

كلّها تُرَّهاتُ زَيْـــغ أزاغتْــــ ... ــنا غوى عن ســلوك نـــهْج

وتجاراتُ سيّئات حَسبْنا البخْــ ... ــس ربْحًا فيها بسوق الكساد

ضَغَنٌ في الصدور خاف وملْقٌ ... ظـــاهرٌ للعيـــان منَّـــا وبـــاد

ومداجاة مـــا طَوَيْنـــا عليـــه ... سْتَرَ أسرارنا مـــن الاحتقـــاد[٤]

واحتراساً على اجتناء الأذايـــا ... وانطباعاً على دواعى التعـــادي

وانـــهماكا علـــى ارتكـــاب ... بانبعاث الخَطا وميْـــل الفـــؤاد

مع أنّا نَدري بمـــا نحـــن فيـــه ... أنّـــه مـــؤذنٌ لنـــا بالبعـــاد[٥]

ويحنا ثم ويحنـــا مـــن مـــساع ... قد تناهت بـــسعينا للنّكـــاد[٦]

ويْحنا ثم ويْحنا ليس يجـــدي ... قولنـــا ويْحنـــا بيـــوم التَّنـــاد

يوم لايَفتـــدي الوليـــد أبـــاه ... لا ولا الوالد الـــشفوق بفـــاد

يوم فَصْل القضاء للحَكَم العدْ ... ل وَوَزْن الأعمال بـــين العبـــاد

يوم عَرْض الأعمال للنّاقد الحق ... ق الـــسميع البـــصير للانتقـــاد

يوم لا ملْجـــأٌ مـــن الله فيـــه ... لا ولا مَخْلصٌ بوَجْـــه اســـتناد

٦/أ

ليس إلا التزام باب المرجّـــى ... لصعاب الأمـــور في الأشـــداد

أحمد المصطفى المـــشفّع طـــه ... طيّب الأصل طـــاهر الأجـــداد

البشير النـــذير خـــير البرايـــا ... السراج الـــمنير أكرم هـــاد[١]

---

(١) – الـــمِهاد: الأرض الموطأة. الـــجَهاد: الأرض الصلبة التي لا ماء فيها. لسان العرب (مهد) ، (جهد).

(٢) – جهدنا: جهد ، في النسخ الأخرى.

(٣) – خلّب : برقٌ لا غيث فيه . لسان العرب (خلب) .

= عهاد : العهد : أول مطر الوسمي والجمع العهاد ، مطر بعد مطر يدرك آخره بلل أوله . لسان العرب (عهد).

(٤) – ستر: سر ، في (د) .

(٥) – ندري: نرى، في (ج) و(د) .

(٦) – مساع: ساع ،في (د).

فأنلنـــا بقربـــه منـــك قربـــا ... منك في مبـــدأ لنـــا ومعـــاد[2]

قد رجوناك فاعف عنّا وحـــقٌّ ... للكريم الرحيم عفو الـــــمبادي

وقـــــصدناك خــــائفين ورا ... جين وإنّا من أحْـــوج القـــصّاد

وَوَفَدْنا علـــى موائـــد نعمـــا ... ك وإنّـــا مـــن أحقـــر الوفّـــاد

وَوَرَدْنا من منهل الجود مـــن ... فيض عطاياك أعـــذب الإيـــراد

فاسقنا من رحيق فضلك ما لا ... نشتكي بَعْـــده ظمـــاً لفـــؤاد[3]

وعلى الهاشميّ صـــلّ وســـلِّمْ ... وبنيـــــه وصـــــحبه الأمجـــــاد

وقال أيضاً : وقلت على لسان بعض الزائرين للجناب الأعظم r :

أَمَدَّنا الربّ الغفور الـــودودْ ... إمداده بالفضل من كلّ جودْ[4]

أَنَالَنَـــــا غايــــةَ آمالنـــــا ... بـــالقرب مـــن بعـــد الجفـــا

وأنعـــم المـــولى علينـــا بـــأن ... زرنا ضريح النور وَافي العهود

نور الهـــدى شمـــس التقـــى ... بحر الندى إنسانُ عين الوجود

محمد الـــمحمود خير الورى ... السيد الـــمسعود زاكي الجدود

جدّ بنـــا العـــزم إلى سَـــوْحه ... سعيا فَيَمَّمْنا لتلك النُّجُـــود[6]

وقد وَفْـــدْنا مُـــرتجين الغـــنى ... على جـــدير بـــالغنى للوفـــود

وقد وَرَدْنا منهل الفضل مـــن ... فيض أياديـــه الـــنمير الـــورود

وقد حَلَلْنا ســـاحة الجـــود في ... ظلّ الوفا الممدود حيث الرَّفُود

ومدّ حسن الظن أيدي الرجا ... منّا إليه بالـــدعا في صُـــعود[7]

٦/ب

---

(١) – هاد: معادي، في (د) .

(٢) – مبدأ لنا: مبدلنا ، في (ج) و(د).

(٣) – بعده ظما: بعد ظماء، في (ج) و(د) .

(٤) – الرب: الله ، إمداده: إمداد ، في (ج) و(د) .

(٥) – (الجفا) من باب قصر المدود للضرورة الشعرية.

(٦) – جدّ بنا: جذبنا، في (ج) و(د) ، العزم: الغرام، في النسخ الأخرى، لتلك: إليك، في (ج) و(د) .

(٧) – ومدّ :مذ، في (ج) ، وقد، في (د) ، بالدعا : بالرعا، في (د) .

وأنـــــشَدَتْ وُرْقُ مــــــسرّاتنا بما جَلا عنّــا العنــا والنكــود

في حضرة المختار مَن قد علا قدراً على من ساد أو من يسود

يا سيد الرسل أغثنــا فمَــن غيرك نرجوه لفــكّ القيــود[١]

(يا أكرم الخلق أجرنــا فقــد لذنا إلى بابك مـــمّا يــؤود

نرجو به الستر من الله في الد دنيا وفي الأخرى جنان الخلــود

ومن نَحَا ذاك الفنــا مُمْلقــا عاد مليّــا بــأعزّ النقــود)[٢]

ومن توخَّى الخير في معدن الـــ ـــخير حقيقٌ بالـــمنى أن يعود

وهذه الحضرة أقــصى مُــنى كلّ مريد لــمقام الــشهود[٣]

ما بعدها قَصْدٌ لــذي رغبــة ولا لطُــلاّب وراهــا حــدود

فالروضة الغنّــا لنــا جَنّــةٌ وجُنّةٌ من حَــرّ نــار الوقــود

والمنــبر الأسمــى لنــا مــأثرٌ تلتمس الآ ثار منــه الخــدود

وتربــة القــبر لنــا إثمــدٌ يجلو عن العين القذا والرمود[٤]

أكرم به قــبراً سَــما رفْعــةً على السما فيه أجلّ اللحــود

ويا لَهُ لَحْدًا بمن قــد حــوى فاق على مطلع سعْد السعود[٥]

صلى عليه الله مــا وَلْوَلــت صادحة الأيك ومــا اخــضرّ

والآل والأصحاب ما أرّجت ريح الصَّبا طيبا وما فاح عُــود

مسلّما ما اشــتاق ذو لوعــة إلى حمــى الحــيّ[٧] بــوادي

أ/٧

---

(١) – أغثنا: غثنا، في (ج) و(د) .

(٢) – هذه الأبيات الثلاثة ساقطة من(ج) و(د) .

(٣) – مريد: مرد، مع وضع خط تحت الراء وكأن الكلمة أشكلت على الناسخ، مما جعل ناسخ (د) يكتبها (يرد) .

(٤) – إثمد: أشهد، في (د) .

(٥) – كلمة (مطلع) ساقطة من النسخ الأخرى .

(٦) – ما ولولت: ولولت ، في النسخ الأخرى .

(٧) – قذفتنا: قد فــتــنا، في النسخ الأخرى .

وما سرى البارق من بارق[٢] وما حـــدا بالـــسحب حـــادي

وقال - غفر الله له - وقلت سائلاً ومتوسلاً :

يا عليما بسرِّ ذات الـــصدور وخـــبيراً بخافيـــات الـــضمير

وغنيًّا في ملكه عـــن شـــريك ومعـــين وصـــاحب ووزيـــر

قد تعاليت عن وجود مثيـــل وتنـــزَّهْتَ في العلا عن نظير[٣]

يا مجيب المـــضطرّ في غَـــسَق ـــل إذا ما دعا بقلب كـــسير

يا مجلّي ليلَ الهمـــوم إذا مـــا جَنّ ديجوره بـــصُبْح ســـرور[٤]

يا مُغيث الملهوف يا منقذ الغا رق من هَوْل كَرْبـــه في بحـــور

أنجدْ انجدْ يا ربّ من دهمتْـــه صـــدمات الخطـــوب بـــالتغيير

وأغثني ياربّ أنـــت غيـــاثي وانتصر لي ياربّ أنت نـــصيري

قد توجّهْتُ نَحْو بابك فافتحْ لي بخير وامْـــنَحْ بخـــير كـــثير

ثُمّ أمّيتُ سائرا موقف الجـــو د اللَّدُنِّي فاحمد إليك مسيري[٥]

وتوسّلْتُ بـــالنبيّ الُمرجَّـــى أحمد المصطفى البـــشير النـــذير

منبع الفضل معْـــدن الفخـــر الـــمعالي بدْر التمام المـــنير

مبدأ الخلق وَهْوَ إذ ذاك نـــورٌ قبل وجدان نشأة التـــصوير[٦]

خاتم الرسل بعثـــةً وظهـــوراً وثباتـــاً للـــدين بـــالتقرير

ناسخٌ شَرْعُه الـــشرائع طـــرًّا وهو باق حقاً ليـــوم النـــشور

فأنلني بقربـــه منـــك خـــيرا وأعذني من كلّ هَوْل ضـــرير[١]

٧/ب

---

(١) – الحي: الحمى ، في (د). زرود: منهل لا يزال معروفا في شرقي الجبلين – بلاد حائل – وهو من أشهر مناهل تلك الجهة ، ويقع على الدرجة ٥٠/٢٧ و ١٨/٤٣ تقريبا .كتاب المناسك ص ٢٩٩

(٢) – البارق: البرق . أما بارق فماء بالعراق ، قرب الكوفة. معجم البلدان (بارق)

(٣) – مثيل: مثل ، في النسخ الأخرى .

(٤) – ديجوره: ديجور، في (د) .

(٥) – كلمة (أمّيت) ، ترك مكانـــها بياض في النسخ الأخرى .

(٦) – نشأة: نشاء ، في (ب) و(ج) ، و(منقاء) في (د) .

واغن فقري من فَيْض فضلك صوبُ نعماه عمّ كــلَّ فقــير
واكْفني ما يضرّني من صــديق وعـــدوٍّ وحاســد مــصدور
ربّ واستر معايبي واقض دَيْني ربّ يسّر ولا تعــسّر أمــوري
ربّ شفِّع فيّ الرسولَ وأوجب ليَ يوم الـــمعاد دار الحبــور
ربّ واجعل دار القرار مقرّي وأجرني من حرِّ نــار الــسعير

وأنلني سكنى الجنان وأعــل مقعـــــدي في حجالهـــــا[2]
إن دنيــاي لا تــدوم بحــال وإن امتدَّ طُولهــا بالــدهور[4]
دار سُوء ، إقامةُ الــمرء فيها مثل أفيــاء ظلّهــا المــستدير
قد كفاها ذمالها ما جلاه النـــ ــــنص مــن أنــــها متــاع
ربّ واصْلحْ فيها معاشـــي إلى م انتقــالي إلى لحــود القبــور
ربّ واجعل حــسن الختــام لحياتي في ســجن دار الــشرور
وَقنى فتْنة النـــزّاع وكـــن لي حافظاً من مصارع التحــيير[6]
وأمتْني خير الــممات وثَبّتْ حجّتي عنــد مُنْكــر ونكــير
أنا عَبْدٌ قد أقعدتني المعاصــى والـــــمطيعون أدلجــــوا في
فاز كُلٌّ بــما مَنَنْــتَ عليــه وتحيّـــرْتُ في فـــضا التــأخير
إنما لي إليك وصـــلةُ قـــرب توجب العفو منك عن تقصيري
وعدُك الحق بالإجابة فــضلاً ودعائى في حنـــدس الــديجور
هذه دعوتي وأنـــت جــديرٌ بوفـــاء بالوعـــد للمكـــسور

---

(١) – هول: معول، في (د) .
(٢) – حجالها : الحجال : ساتر كالقبة يزيّن بالثياب والأسرة والستور . لسان العرب (حجل) .
(٣) – سكنى: مسكن ، حجالها :جمالها في (د) .
(٤) – إن امتد: إذا امتد ، في (ج) و(د) .
(٥) – ذمالها : الذميل : ضرب من سير الإبل . لسان العرب (ذمل).
(٦) – مصارع: مضارع ، في (د) .

٨/أ

ربّ عفواً عن سـيئاتي فـإني أبتغي العفو من عفـوٍّ غفـور

واعتصامي بحب خير البرايـا والتزامي لبابـه الـمـشكور

غايةٌ في تحقيـق مـا أرتجيـه منك مَنًّا يا ذا النـوال الغزيـر

ربّ شفّعْه فهو خـير شـفيع وأجـرني فأنـت خـير مجـير

واهد منّي إليه خـيرَ صـلاة وسـلام مـضاعف التكريـر

وعلى آله الكرام وصـحب ذي المعالي أولي المقـام الخطـير

وقال - تقبل الله منه - واقترح عليّ مولاي وسيدي السيد إبراهيم الأمـير[1] حين توجهه لزيارة جده عليه الصلاة والسلام أن أتشرف بنظم قصيدة أمدح بـها خـير الأنام ، فامتثلت ما قال فقلت متوسلاً:

٨/ب

رَسيسُ جَوَى هاجت بأحْـشَايَ فمن لي بأن يُطفى بقلبي استعارهُ[2]

ووجدٌ نَمَتْ بين الضلوع فروعـه عروشاً على قلب تنـاءى قـراره

له قالبٌ قد قلّبتْـهُ يـدُ النّـوى على وَهَج قـد أَجَّ فيـه شَـرَارُه

ولي ناظرٌ لم يطرق النـومُ طرفَـه ولا كفّ منه بالدموع انـهماره

يساجل أنـواء الغمـام بغَيْـدَق من الدمع يُزْري بالغمام قطـاره[3]

ولي مهجةٌ حَمْلُ الغرام اختيارهـا قضاها الهوى فيما اقتضاه اختيـاره

لها خَفَقَان الطير بـين جـوانحي ولكنّما الـموثوق عَزَّ مَطَـاره[4]

---

(١) – هو إبراهيم بن محمد بن إسماعيل الحمزي الحسني الهاشمي المعروف بالأمير ، واعظ مفسر ، مـن متـصوفي الزيدية، ولد في صنعاء سنة ١١٤١هـ وتعلم بـها ، ودعا إلى اتباع السنة زاجراً عن الطريقة المذهبيـة ، ورحل الى مكة مرات ثم استقر الى أن توفي بـها سنة ١٢١٣هـ . ترجم له الداغستاني في تحفة الدهر ولقبه بالصنعاني، وذكر أنه خرج من صنعاء مهاجرا،فتارة يكون بمكة وتارة بالمدينة مجاورا. البدر الطالع للشوكاني ٤٢٢/١ ، الأعلام للزركلي ٩٠/١ .تحفة الدهر ونفحة الزهر في أعيان المدينة من أهل العصر(مخطوط) لوحة ٢٩

(٢) – استعاره: اشعاره ،في (د) .

(٣) – يساجل: يسابل، في (د) .

(٤) – عزّ: عن، في (ج) و(د) .

تُصَاعِدُ معْ أنفاسـها كـلَّ أَنَّـة | لو اتصلت بالصخر حان انفطاره[١]
مصدّعةُ الأكباد حَرَّاء مَـنْ لهـا | بقرب يرمّ الصدعَ منها انجبـاره[٢]
لها ظمأٌ والـورْد عنـها مُمَنَّـعٌ | فمن أين للظمآن يُـروى أُوَارُه[٣]
فيا عاذلي لا تلحُ صبًّا صَبَتْ بـه | صبابة وجد طال فيهـا اختيـاره
وأقصرْ عن التعنيف في مـذهب | لدى وَله شطّت عـن الحـيِّ داره
وذي أرق يرعى الـسها ذاهـل | يواليـه حزنـاً ليلـه ونـهاره
طليق دموع العين أمّـا فـؤاده | وثيق قيود البين دام إسـاره[٤][٥]
فلا تنكرنْ منـه التـهتّكَ إنـه | لـمشمولُ راح الحب وهو عُقَارُه
وقد خامر الوجد الـمبرّح قلبـه | ولابدْع والمخمور يبـدو خُمَـاره
وما عُذْرُ صبٍّ شرعُ عُذْرَةَ دينـه | إذا لم يكن خَلْع العذار شـعاره[٦]
رأى البرق نجديًّا فهاج اشـتياقه | ومن لبْسه الأشواق سَلْبُ وقاره[٧]
وشَمّ صبا نجد وفي طـيِّ نَـشْرها | شميم شذا قد طاب منها انتـشاره
هـدايا تحيـات تبلّغهـا الـصبا | لـمن شاقه شيحُ الحمى وعَـرَاره
وها أنا ذاك الصبّ لا غير والذي | شرحْت اعتـذاري في الهـوى لا
وكم ليَ شكوى لوعـة وأدقُّهـا | عليه نطاق الصبر ضـاق مـداره
وأيّ شَج في الحب قامت بقلبـه | لواعج ما أشـكو ودام اصـطباره
وما كلّ ذي شوق يمانع صـبره | دواعي يدعوها إليه اضـطراره[٩]

١/٩

---

(١) – (معْ) ساقطة من (ج) و(د) .
(٢) – من لها: ما لها ، في (ج) و(د) .
(٣) – إواره : الإوار : العطش . لسان العرب (أور).
(٤) – الإسار: القيد. لسان العرب (أسر)
(٥) – قيود: يقود ، في (د) .
(٦) – عذره : قبيلة من اليمن . خلع العذار : الإنـهماك في الغي وترك الحياء . لسان العرب (عذر) .
(٧) – سلب: مسلب، في (د) .
(٨) – لا اعتذاره: لاعتذاره، في النسخ الأخرى.
(٩) – دواعي يدعوها: وأوعى بدعواها، في النسخ الأخرى.

ولي شجنٌ يشجى الفؤاد تــشوّقاً ... إذا غــــنَّ للمُـــــضنى الـــــشَّجيِّ

وما أنا بالناسي شجونًا أقمْــنَ لي ... شؤونا بـــها للقلب قامَ افتخـــاره

مآربُ لي بين العُــذَيْب وبــارق ... يذكّرنيها البرق يزهو افتــراره[3]

ومن تكُ في نَجْد لبانات وَجْــده ... يجــدُّ إليهـــا جـــدُّهُ وابتـــداره

فكيف وللعـــشاق ثَـــمّ مقاصـــد ... زَهَا عدُّها من أن يُـــرام انحـــصاره

فكلّ الحمى النجدي لكلّ مُتــيم ... شجون غـــرام هَـــضْبُهُ وحـــرَارُه

فتلك البقاع الفيح نُعْمان فالنقـــا ... فرامَة فالوادي المنيـــع جـــواره[4]

فسَلْعٌ فأَفْيَاء الْمُـــصلَّى فحـــاجرٌ ... فزوراء فالجزع الرحاب دياره[5] [6]

فبان اللـــوى فـــالرقمتين فعـــالجٌ ... (فبَطْحان فالسيح الفسيح وجاره)

(فبطن العوالي فــالعقيق فبـــارقٌ) ... فمـــا شـــاع في تلـــك الربـــوع

---

(١) – غنّ: أغن النخل أدرك، وأغن السقاء إذا امتلأ ماء. لسان العرب (غنن) ، والشاعر يقصد هنا أن الباعث لهذا الشجن هو تزاحم الذكريات وكثرتـــها.

(٢) – غنّ: عنّ ، في النسخ الأخرى.

(٣) – ارتبط ذكر العذيب ببارق في الشعر العربي ، ومن أشهر ما قيل قول المتنبي:

تذكرت ما بين العذيب وبارق ... مجر عوالينا ومجرى السوابق

وهما موضعان بظاهر الكوفة ، وبين العذيب وبين الكوفة مسيرة يوم، وهو بطريق مكة ، بالقرب من القادسية. ديوان المتنبي شرح العكبري ٣/٣١٧، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ،للبكري ، عالم الكتب – بيروت ،ط٣، ١٤٠٣هـــ ٣/٩٢٧ ،تحقيق: مصطفى السقا ،معجم البلدان ١/١١٨

(٤) – نُعْمان: واد بالمدينة ، وفاء الوفاء ٢/١٣٢١ ، النقا : موضع غربي المصلى(مسجد الغمامة) في المدينة يفصل بينه وبين المصلى وادي بطحان. وفاء الوفاء ٢/١٣٢٢.

رامة : أرض طيبة التربة تقع غرب مدينة عنيزة بميل نحو الجنوب. المغانم المطابة في معالم طابة للفيروز آبادي ، تحقيق حمد الجاسر ص١٦٨

(٥) – سَلْع : اسم جبل في المدينة، (وهو معروف إلى الآن بـــهذا الاسم عند أهل المدينة) معجم البلدان ٣/٢٦٨

المصلى : مصلى العيد بالمدينة (مسجد الغمامة) . وفاء الوفاء ٤/١٣١٤.

حاجر: موضع بالمدينة غربي النقا ، إلى منتهى حرة الوبرة من وادي العقيق. المغانم المطابة ص ١٠١

زوراء: موضع قرب سوق المدينة مرتفع ، وقيل: اسم لسوق المدينة. المغانم المطابة ص١٧٣،وفاء الوفاء ٤/١٢٢٨.

الجزع : منعطف الوادي، وقد أضيفت إلى عدة مواضع في المدينة ، جزع السيح ، جزع بطحان .

(٦) – الرحاب: الرخاب، في (د).

٩/ب

مــآثر ســـرٍّ كلـــهنَّ مـــشاعرٌ — لذي القصد فيها حَجُّهُ واعتماره[٥]

ملاعب أُنْس للمحـــبين رَوْضُـــها — (بـــها الصَّفْو تدنو للقطوف ثماره)

(معالم قدْس للمنيبين نورهـــا) [٧] — إلى الحق يهدي السالكين منـــاره[٨]

هو النور قدْمًا حيث لم يك كائنٌ — ولا الفَلَـــك الـــدوَّار دارَ مـــداره

هو النور والأنوار عنه تفرَّعـــت — فأكرمْ بأصل قد تـــسامى فخَـــاره

هو المصطفى خير الخيـــار الـــذي — عناصره طيبـــاً فطـــاب نجَـــاره

هو المجتبى من ضئضئ الـــشرف — بـــه قـــد سمـــا عدنانـــه ونـــزاره

نبيُّ الهدى شمس الفـــلاح الـــذي — به الكون إشراقاً وزال اعتكـــاره

أجلّ الورى قدرا وأكرم محتـــدا — وأندى يدا في الخلق وهو خياره[٩]

فأنّى لـــمثلي بالثنـــاء لـــــمثله — ولو زان قولي في الثنـــاء ابتكـــاره

ومن خُلْقُه القرآن أنَّـــى لـــشاعر — يوفِّيه مـــدحًا نظمـــه ونشـــاره[١٠]

---

(١) – بان اللوى : واد من أودية بني سليم . معجم البلدان . ٢٧/٥. الرقمتين : الرقمتان : بحرّة المدينة الغربية ، وهما نـــهدان من أنـــهادها ، لونـــهما أحمر الى الصفرة وتلك الحرة سوداء سميا بذلك .وفاء الوفاء ١٢٢٠/٤

عالج : رمل عالج يقع في طرف صحراء الصمان الشمالي شرق الدهناء. المغانم المطابة ص٢٢٥

بطحان : أحد أودية المدينة الثلاثة وهي: العقيق وبطحان وقناة. المغانم المطابة ص ٥٦

السيح : اسم للموضع الذي في غربي مسجد الفتح ، (وهو الآن حي من أحياء المدينة معروف) . المغانم المطابة ١٩٦

(٢) – عجز البيت ساقط من (ج) و(د).

(٣) – العوالي : هي عالية المدينة، وهو موضع يقع قبلي المسجد النبوي الشريف ، وهو الآن حي من أحياء المدينة.

العقيق : هو عقيق المدينة ، الوادي المبارك ،وهو أحد أوديتها الثلاثة . المغانم المطابة ٢٦٦

(٤) – صدر البيت ساقط من (ج) و(د).

(٥) – لذي: لدى ، في النسخ الأخرى.

(٦) – عجز البيت ساقط من (ج) و(د).

(٧) – صدر البيت ساقط من (ج) و(د).

(٨) – يهدي: هدي ، في (د).

(٩) – محتدا: محمدا، في (د).

(١٠) – مدحاً: كتبت في هامش (أ) بنفس خط الناسخ، وسقطت من النسخ الأخرى.

على أنَّني أشكو إليــه جرائمــي	وزلاّت قلب قد تــوالى اغتــراره
وأطمع في إحــسان ربي بجاهــه	عليه لــذنبي مَحْــوه واغتفــاره
وأرجو به من فيض مولاي رحمــةً	يُقال بــها للقلب فــضلاً عثــاره
ومَن غيره يُرجــى لكــلّ مُلمَّــة	نصيرًا إذا الــمكروب قلّ انتصاره
ومَن لذوي التفريط ثَمَّةَ شــافعٌ	إذا غضب الجبار جَــلَّ اقتــداره
ومَن غير طه خاتم الرسْل مَرْجَــعٌ	إذا عَظُم الهول الحقيــق انتظــاره
بيوم عــصيب لا مــلاذ للائــذ	به لا ولا يُجدي العَصيَّ فــراره[1]
هنالك حقًّا كــلّ نفــس رهينــةٌ	بما كسبت والذنب يبدو صــغاره
وليس لنــا إلا الــشفيع محمــدٌ	إذا بُرِّزَتْ في ذلك اليوم نــاره[2]
فإن لــه الجــاه العظــيم وإنــه	لَــخَيْر مجير لم يُضَم قــطّ جــاره
عليه صــلاة الله مــازار قــبره	مشُوقٌ ولقّاه القبــول مــزاره[3]
صلاةً وتسليما مدى الــدهر مــا	على الغــصن شــحرور الحمــى
كذا الآل والأصحاب ما ضــمّخ	بطيب الحمى قيصومه وبَــهَاره[5]

وقال - بلغه الله الآمال - وقلت ناصحاً لنفسي ومتوسلاً بالسيد الأعظم r :

حــسبك إن كنــت ذا	يا صاح أو كنــت ذا
حسبكها عبرةً وذكــرى	تقلّب الليــل والنــهار
تكرّ وهي الزمان كــرّا	كالــسيل في ســرعة
تعاقبت في سُرى وسَــيْر	فسائر مقتــف لــسَار

١٠/أ

(١) – عصيب : عصت ، في (ج) و(د).

(٢) – برزت: أبرزت ، في (ج) و(د).

(٣) – لقّاه: ألقاه ، في (ج) و(د).

(٤) – شدا: شذا ،في النسخ الأخرى.

(٥) – القيصوم : نبات طيب الرائحة من رياحين البر . لسان العرب (قصم) .

(٦) – ادّكار: الدِّكار، في جميع النسخ ، ولا وجه له ، إذ لا يستقيم الوزن بذلك ، وتعريف(ادّكار) يكون (الادّكار)، وأرى الصواب ما أثبت.

١٠/ب

تعاقُبُ الـمَلَــوين[١]	ماض بذي الدار للدمار
فهذه الدار لـو تراهـا	فإنـها مركز المـدار
فمـا لـمـصحوبـها	ولا مقـرٌّ إلى قـرار[٢]
ولا لـمعمـورها بقـاءٌ	(وإنما للفناء جـار) [٣]
(ولا بـــمدخورها	وإنـما كلّهـا عـوار
ولا لـمخمـــورها	وإنـما نشوة اغترار[٥]
يُخْلقُ عُمْر الفتى الجديدا	ن وهو حقاً بذاك دار[٦]
فالعمر فيها إلى انتقـاص	والـمرء للَّهْو في ابتدار
فـرائحٌ دأبـه وغـاد	من اغتباق إلى ابتكـار
والحرص فيها إلى فَوَات	والجمـع فيهـا إلى
والحيّ فيهـا إلى سـبيل	وما له عنه مـن فـرار
الموت منهاج كلّ حـيٍّ	لجَنَّـة ثَـمَّ أو لنـار
سيَّان فيها أخـو ثـراء	إذا دنا أو أخو افتقـار
لا يفضُل العاجزين فيـه	بحالة قـطّ ذو اقتـدار
حالان ما منهما انفكـاك	لْلحَيِّ فيه فلا تُـمار
فصاحب البرِّ بَـرَّ فيهـا	وبَزَّ في خلْعة الفَخَار[٨]
وعاد بالإنتقـال منـها	من دار سوء لخير دار[٩]

(١) – الملوان: الليل والنهار . لسان العرب (ملا) .

(٢) – لمصحوبـها: لصحو بـها ، في (ج) و(د).

(٣) – عجز البيت ساقط من (ج) و(د).

(٤) – صدر البيت ساقط من (ج) و(د).

(٥) – وما لمخمورها: ولمخمورها، في (ج) و(د).

(٦) – يخلق: تخلق، في (أ) و (ب) ، وفي (ج)و (د) : يخلق ، وهو الصواب، إذ لا وجه لـ (تخلق) هنا.

(٧) – حرف الصاد في كلمة (الحرص) ترك مكانـها بياضا في (د) لأنـها غير واضحة بسبب التعديل في (ج).

(٨) – خلعة: خلقة ، في (ج) و(د).

(٩) – من دار: مع دار، لخير: الخير، في (د).

يفوز فيها بكل حـــسنى	ويجتني يانع الثمـــار[1]
ومن يكن خدْنه بـــوارًا	فبـــائرٌ لايـــزول عـــار
نعوذ بـــالله مـــن دواع	تقصى عن البرّ للبَـــوار
نعوذ بالله مـــن مـــساع	تفـــضى إلى الـــبخس
نعوذ بالله مـــن مـــساو	تعود بالعار والشنار[2]
(يا ربنا هب لنـــا نجـــاةً	مـــن مـــصرع الـــذل
واقسم لنا خشيةً تَقينـــا	مهاوي الهون والتَّبَـــار)
وكن لنا كافيـــا حـــسيباً	جاراً لنا أنت خير جار
ولا تخيّـــب لنـــا ظنونـــا	فقد دعوناك باضطرار
ولا تكـــل أمرنـــا إلينـــا	ردًّا إلى جُزْء اختيـــاري
فأنـــت أولى بنـــا فإنّـــا	إليك لُـــذنا بالافتقـــار
بجاه خير الأنـــام طـــرًّا	المجـــتبى خيّـــر الخيـــار
محمـــد مـــصطفاك طـــه	الطاهر الأصل والنجار
الفاتح الخـــاتم المرجّـــى	الـــــسيد الهـــــاشمى
عليـــه منـــك الـــصلاة	والآل والـــــــــصحب
ما نَسخ الصّبحُ جنحَ ليل	أو نُسخَ الليل بالنهار[4]

وقال _صانه الله عن الإهمال والإعضال _ وقلت مستغيثاً :

سادتي أنـــتم غيـــاثي	عنــــــد كَـــــــرْبي
وبكم عزّي وجـــاهي	وجمـــالي وافتخـــاري

١١/أ

---

(١) – حسنى: حسن ، في (د).

(٢) – الشنار : العيب . لسان العرب (شنر) .

(٣) – البيتان ساقطان من (ج) و(د).

(٤) – في (أ) (ما نسخ الصبحَ جنحُ ليلٍ) ولا وجه له، إذ الصباح ينسخ الظلام ويمحوه، والليل لا ينسخ الصبح، وإنما يصح أن ينسخ ضوء النهار.

(٥) – كربي: ربي، في (ج) و (د).

وإليكم كــلّ أمــري	وأنا في الرقّ جــاري
(فـــأعينوني أقيمـــوا	عوَجى أغنوا افتقاري)
بدّلوا عسري بيــسر	أطلقوا قَيْــدَ إســاري
سادتي طــاب لقلــبي	في الهوى خَلْعُ العذار
ما على من هام فــيكم	قطّ من لَــوْم وعــار
أصبح الحب شــعاري	والــصبابات دثــاري
وهــــواكم مــــستقرّ	بالحــشا في خــير دار

١١/ب

وقال : وقلت أيضاً :

هو الله ينــصر مــن ينــصره	ويخذل لا شــكّ مــن يكفــره
ومــن ينــصر الله لا غالــبٌ	لـــه لا ولا أحـــدٌ يقهـــره
فمــن يتــق الله يجعــل لــه	طريقـــا إلى رشـــده يعـــبره
ويجعــلْ لــه ربــه مخرجــا	من الضيق يسرا لــما يُعسره(٢)
ويشرحْ بنور الهدى صــدره	ويكفيَــه شــرّ مــا يحــذره
ومن كــان مــوْرده ســيئاً	يـــسوء كمـــورده مـــصدره
ومن مَكرَ الــسوء في خلقــه	يحيـــق بـــه كلّمـــا يمكـــره
ومن جــرّ شــرًّا إلى مــسلم	فيـــضمره عنـــه أو يظهـــره
يعـــود إلى نفـــسه شــرّه	فيُرمــى بـــــهوّة مــا يحفــره

وقال - لطف الله به في جميع الأحوال - وقلت أيضاً :

أعذني سيدي من شرّ نفــسى	ومن خطرات أوهامى وهَجْسى
ومن خللى ومن زللى وجهلى	ومن نظــري ومــن فكــري
ومن وَسْواس خناس رجــيم	وشرّ الخلق من جــنٍّ وإنــس

---

(١) – البيت ساقط من النسخ الأخرى.

(٢) – يسرا: سرّا، في (ج) و (د).

١٢/أ

ألوذ إلى جنابــك مــستعينا ... بعونك في انجلا ظلمات لُبْسى[١]

وأستهديك فاهد إليك قلــبي ... بنور منك يمحو كــلّ طَمْــس

وأسألك السلامة من وقوعى ... لــما يفضى إلى طرد وعَكْــس

فَهَبْ حسْن الإقامة لي بــدار ... يزول نعيمها هى دار حبسى[٢]

وقدّر لي أعيش بــها مُعَــافى ... بفضل منك في عقلى وحــسّى

وفي ديني وفي مــالي وحــالي ... وفي أهلى وفي ولدي وعرْســى

ويسّر لي بــها رزقاً حــلالاً ... يقيني عن مهاوي كــلّ نَكْــس

أَنرْ بالحلّ يا مــولاي قلــبي ... فقد قضّيت عمري عبد فلــس

ووفّقْني بــها لرضاك عنّــى ... فإنّ رضاك غايــة كــلّ أُنــس

وقال - صرف الله عنه صروف الردى- وقلت عند حدوث نازل طال بالمدا :

أتوحشني الكــروب وأنــت ... وتظلم بي وهديك نور شمــسى

فلا وجلال وجهــك لــست ... عنًا أبدا وحبّك قوت نفــسى

ولست أُضــام قــطّ وأنــت ... ولست أخاف من جنٍّ وإنْــس

فإني منك في حــصن منيــع ... يقيني كــلّ جائحــة ونَكْــس

وإني من ذمامــك في حفــاظ ... على ديني وعــافيتي وحــسِّى

وإنك يا إلهــى خــيرُ كــاف ... وشاف فاشفني من داء لَبْــسى

أنلني منك يا مــولاي قرْبًــا ... يزيل وساوسى من بيت حَدْسى

وأجمعني عليك وقــرّ عــيني ... بنور منك في حضرات قُدْس[٣]

وقال : وقلت أيضاً:

يا ربّ ذكْرك أُنــسى ... ونور هديك شمسى

(١) – مستعينا: مستغيثا، في (ج) و (د).

(٢) – حبسي: حسبي ، في (د).

(٣) – في (ج) و(د) وردت : واجمعني إليك، ويظهر أنــها تصحيح من الناسخ وأثبتنا الأصل هنا. والهمزة همزة وصل ولكنها قطعت حتى لا يختل الوزن.

فاملأ بــذكرك قلــبي ... واجــلُ بـــــهديك

واسْلل سخيمة صدري ... واكفف عن الغـــيّ

كــم منّـــة لــك ربي ... عليَّ تغدو وتمــسى

وكم عطايـــا توالــت ... بكل نوع وجـــنس

أوليتني منــك مــا لا ... يحـــصيه طومـــار

ولست أحصيه عَــدًّا ... بفكرتي وبحدســـى

ولست أوفيه شــكراً ... بمنطقي وبـــهجسى

ولــو أبــرّ كلامـــى ... على بلاغـــة قــسّ

ســـترت ربي عيـــوبي ... عن كل أبناء جنسى

أظهـــــرتني بجميــــل ... ألْبَسْتني خير لــبْس

فعافني واعــف عــني ... واطلـــق إســـاري

١٣/أ

وقال _ صانه الله من كل ألم - وقلت عند كرب أهم وخطب أَلَمّ - وذلك سنة ١٢٠١هــ:

يا خالقى طال حبسى ... وجنّ ديجــور لَبْـــسى

وضقت ذرعاً لكربي ... ووحشتي بعد أُنـــسى

أطلق إلهـــى اعتقـــالي ... من ســـجن نكـــسى

واغفر ذنـــوبي فـــإني ... ظلمت يا ربّ نفسى

بجـــاه طـــه المرجّـــى ... شمس الهدى أيّ شمس

بعيثك الحـــق هـــديا ... للخلق جـــنّ وإنـــس

محمـــد خـــير فـــرع ... نـــمى لأطيب غرس

عليه منـــك صـــلاةٌ ... تغدو إليـــه وتمـــسي

والآل مـــا مـــرّ يـــومٌ ... للـــدهر في إثـــر أمـــس

(١) – أوليتني: واليتني، في (ج) و (د).

_ الطومار: الصحيفة ، الطرس: الصحيفة أو الكتاب الذي محي ثم كتب عليه. لسان العرب (طمر) ، (طرس).

وقال _غفر الله له _ وقلت :

على خطر من لايسلِّم للقضا ... ومن لم يقابل ما قضى الله بالرضا
ولاشـــيء أرجـــى للـــسلامة ... كتسليمه لله فيمـــا بـــه قـــضى
فيا ربنا هبنا الرضا واكـــسنا ... لـــما شئته واغفر لنا كلّ مـــا

وقال - زاده الله من القبول والإقبال - وقلت أيضاً في ذلك التاريخ المذكور :

يقينا بأن الـــضرّ لله والنفعـــا ... وأنّ لـــه الإعطـــاء إن شـــاء
وحقًّا بأنّ الخلق والأمر كلّـــه ... له وإليه الـــمنتهى وله الرُّجعى
وصدقاً بأن الله ينفذ حكمـــه ... وما في السوى من يستطيع لـــه
هو القادر القهار يفعل ما يشا ... ويقضى كمـــا يختـــاره الرفـــع
فحتامَ هذي الـــنفس تـــدعو ... لبلوائها من لـــيس يُرجـــى ولا
وتسعى بكلٍّ في مهمّات نفسه ... على الغير في حاجاتـــه بئـــسما
ألم يكفها ما عنه قد برح الخفا ... ألم يكفها زجرا ألم يكفها ردعـــا
ألم تشهد الآيات في كل مظهر ... ألم تصغ للمتلوّ من آيـــة سمعـــا
دلائل وحدانية لو تنـــــزّلت ... على جبل لانـــشقّ جلمـــوده

وقال : ووجدت أربعة أبيات للعارف بالله ابـــن عطـــاء الله الإســـكندري[2] (صاحب الحكم) على ظهر شرحها ،فخمستها بحسب الوسع ، وذلك سنة ١٢٠١هـــ :

تلاشت بي الأحوال يـــا رب ... عليك وأقبل بي إليك وأَوْلـــني
فأنت وليّي خـــالقي فتـــولّني ... تحيّرت لا علمٌ علـيـــك يـــدلّني
ولا عملٌ يـــجدي ولا نيّةٌ تكفى
إلهى لقلبي في رضاك مطـــامع ... وأحوال نفسى دون ذاك موانع
إذا لم تعنِّى أنت فالحال قاطع ... ولا الصدق والإخـــلاص منّـــيَ

١٣/ب

---

(١) – ربنا : رب ،في (د).

(٢) – هو أحمد بن محمد بن عبد الكريم، ابن عطاء الله الإسكندري ، متصوف شاذلي ، له تصانيف منها (الحكم العطائية) توفي بالقاهرة سنة ٧٠٩هـــ . الأعلام١/٢٢١

تبرأت من نفسى إليك ومن وصفى[٢]

إلهى أجرني من مُواقَعة الردى وأجلُ بنور منك قلبي من الصدا

وكن لي دلـــيلاً في أمـــوري إذا لم تكن أنت الدليل فلا هدى

وإن كنت لا تشفى من الداء من يشفى

وقفت بأبواب الغني وطرقتها ولذت بحاجاتي إليك وسقتها[٣]

دعوتك فارحم وقفـــةً قـــد فيا دعوة الـــمضطر قد حـــان

ويا بادي الألطاف جدْ لي باللطف

١٤/أ

وقال ووجدت بعد الأبيات المذكورة ما صورته (اللهم هب جذبة ربانية تجذبني من العبدية إلى العندية).

وقال: وقلت مخمساً أبيات المرحوم العلامة مولانا السيد حسين بن علي المتوكل على الله[٤] - رحمهما الله تعالى - وذلك سنة ١١٩٧هـــ:

قم قيام ممتسك ، بالتقى ومحترك،واحذ قول ذي نسك ، نحن في حمى ملك ليس غـــيره ملكُ[٥]

واخضع لعزته ، وامتسك برحمته ، فهو حبل عصمته ، ليس غير عروتـــه للأنام مـــمتسكُ

فالورى على فرق ، بين فاجر وتقي، من سعيدهم وشقى ، والجميـــع في نحو جوده احتركوا

إن نحاه من قصدا، أو جفاه من قعدا،أوتشعبوا قددا ، لا يـــضرّه أبـــدا أي مسلك سلكوا[١]

---

(١) – منّيَ : فـــي ، في النسخ الأخرى.

(٢) – وصفي : وضعي، في (ب) ، و (ضعفي) في (ج) و (د).

(٣) – لذت : لنت، في (ج) و (د).

(٤) – هو الحسين بن علي بن الإمام المتوكل على الله ، إسماعيل بن الإمام القاسم ، شاعر مشهور من أهل اليمن، ولد سنة ١٠٧٢هـــ ، توفي سنة ١١٤٥هـــ وقيل ١١٤٩ هـــ . البدر الطالع ١/٢٢٣

(٥) – ممتسك: ممسك ، محترك: محرك ، في (د).

١٤/ب

جل عن حجاي فتنْ ، لا تزال حالكةً، حلّها مشبكة ، يا غياث كل فـــتى

علقت بـــه الشبكُ[٢]

فالفتور حـــمّلنا ، وزره وأثقلنا ،بالهموم أثقلنا ، ما علـــى ســـواك لنـــا

في مهمنا الدركُ

والنبي واسطة ، للهدى ورابطة ، أغدقتـــه واكفـــة، الـــصلاة دائمـــة

كلما جرى الفلكُ

نال كل رغبته ، من وفى بذمته ، من صـــفا محبتـــه ، للـــنبي وعترتـــه

والصحاب من نسكوا

وقال - حماه الله من كل شانٍ – وقال وقلت في ذلك الحـــادث مـــستغيثا ســـنة ١٢٠٠هـــ :

يارب هب لي حسن التوجّـــه	**بنظـــرة بالرضـــا توجّـــه لي**
فأنت ربي أمري إليك ولـــك	**وأنت حسبي في ما عليَّ ولي[٣]**

توشيح:

إن تـــمّ لي منك نظرة التعزيـــز

يعـــود صِـــفْري بنورهـــا إبريـــز

فلست أرجـــو لهـــا ســـواك عزيـــز

١٥/أ

تقفيل:

فارحم بـــــها مـــن يرجـــو	**بالفقر يا ذا الغنى وجُد وصـــل**
وأجلُ عن القلب رَيْن كـــلّ	**والْبسْه بالنور أبـــــهج الحلـــل**

توشيح:

---

(١) – أو تشعبوا : وتشبوا ، في (ج) و (د).

(٢) – حرف الياء من كلمة (حجاي) وكلمة (فُتىً) بياض في النسخ الأخرى.

(٣) – في ما : فما ، في (د).

يا وحشتي بالجفا ويــا حرجــي
يــا حــرقتي بــالنوى ويــا وهجــي
عجّـــل إلهـــي علـــيّ بـــالفرج

تقفيل:

ونجّني من هوان كـــل هلـــك	بعزّ تقـــوى تـــصون مكتـــهلى
يا من تجيب المضطر إن سألك	وتبتـــدي بالعطـــا ولم تـــسل

توشيح:

إن نالني من رضـــاك مطلـــوبي
أوْلَيْتَنِـــي منـــك فـــوق مرغـــوبي
وطـــاب عيـــشي وراق مشـــروبي

تقفيل:

أقول يا قلب تمّ لك أملـــك	يـــهنيك ما قد بلغت من أمـــل
أولاك مولاك بالرضا شملـــك	عشت بتقواه خـــير مـــشتمل

توشيح:

فكم إلهك وَالَـــى إليـــك مـــنن
أدنـــاك أرضـــاك ارتـــضاك ومَـــنّ
فقـــرّ عينـــاً بقربـــه وتـــهنّ[1]

تقفيل

صلِّ على من للحق أوضـــح	طرق الهدى فاهتديت من ضلل
خير الورى من ضـــاءت بـــه	وهى إلى الحق أوضح الـــسبل

١٥/ب

وقال_ لازال معدن كلّ فضل وإفضال_ وقلت أيضاً :

كن مع الله في شـــؤونك باللـــ	ـــه وارداً صـــادراً مـــن الله

([1]) – بقربه : غير واضحة في (ب) ، و(بعزته) في (ج) و (د).

واعتمد في كل الأمــور عليــه | إنــه لا اعتمــاد إلا علــى الله
لذْ بــه واســتعن بــه وارتجيــه | من سوى الله ترتجي من ســوى
خف من الله راجيــاً واعبــد الله | منيبــاً إليــه تلــق رضــى الله
اتــــق الله مخلـــصاً تجــــد الله | اشـــهد الله تعـــرف الله بـــالله
احفـــظ الله أنـــت يحفظـــك الله | ما يرى البأس قط من حفظ الله
خالق الخلق مالك الملك رب العا | لمين الـــبر الـــرؤوف هـــو الله
ربنـــا الله وحـــده حـــسبنا الله | وهـــو الله لا إلـــه ســـوى الله

وقال _بلغه الله الآمال وأعاذه من الإهمال _ وقلت :

رب قـــد أوليـــتني نعمـــاً | قصرت عن شـــكرها هممـــى
فأدمهـــا ســـيدي كرمًـــا | يـــا وليَّ الفـــضل والكـــرم
وكمـــا أحـــسنت مبتـــدئى | أحـــسن اللـــهم مختتمـــى

وقال أيضاً وقلت :

إذا نحن أسرفنا فأنت كـــريم | وإن نحن قصّرنا فأنـــت عظـــيم
وإن عظُمت منّـــا الـــذنوب | بأنك غفـــار الـــذنوب رحـــيم
وإن دنّستنا بالعيوب نفوســـنا | فإنك ســـتّار العيـــوب حلـــيم
إذا لم توالينـــا وأنـــت وليّنـــا | فلـــيس يوالينـــا أخٌ وحمـــيم
فهب ما اجترحناه لعفوك ربّنا | وبرِّك إن الـــبرّ منـــك عمـــيم

وقال :وقلت هذه الأبيات، وذلك سنة ١٢٠١هـــ :

هل لـــمضناك من وصـــالك | -يا حبيبي- به أَعـــزّ وأَسمـــو
طال عمر الجفا وطال عـــذابي | وبراني الضنا فلم يبـــق جـــسم
ذبْتُ حتى خفيتُ عن كل عين | فكأني في خاطر الـــوهم وَهْـــم
أَسْهَمَتْني العيون منكم بسهم | في فؤادي يا حبذا منك ســـهم

١٦/أ

(١) – ترتجي: يرتجى ، في (ج) و (د).

يا عزيز الوصال عزّ اصطباري	**ما لصبر على الجفا منك عزم[١]**
جُدْ لصبٍّ صبا بــه الوجــد	**ـــل اشتياقاً والوصل للـــصب**
مغرمٌ همّــه لقـــاك وإن نـــا	**ل مناه مـــا نالـــه قـــط هـــمّ**
أنا بالذل منك التمس العـــز	**ز وما لي في ذلك الحدّ رسم[٣]**
إن بلغت الـــمرام منك بقرب	**عزّني عـــزك الرفيـــع الأشـــمّ**
ربّ داني الحمى وقـــد كـــا	**ن بعيداً وما له في الحمى اسـم**
فتراءى نورا بنور من اللـــــ	**ـــه ومن قبل فهو للنار فحـم**

قال الناظم: والبيتان الأخيران لم يكونا لي ،وإنما رأيت فيما يراه النائم خطّـــا في ورقة قد ملأ صفحتها ،فنظرت في سطرها، فكأني فهمت منها تفسير آية، والبيتان مرقومة في ذيل الصفحة، ولما انتبهت وجدت المقصود في الذهن ما هـــذه عبارتـــه (قولـــه رب السموات والأرضين أي خالقهن ومنشئهن المحيط بـــهن العالم بما فيهن) وبعده البيتـــان المذكوران.

وقال: وقلت مصدراً ومعجزا لهذه الأبيات،وهي لبعض أصحابه (وهو الـــشيخ سالم المنوفي[٤] رحمهما الله [٥]):

اتّخذ ملبسا يقيـــك جهـــنم	**فلباس التقوى وقَى كلّ مَكْـــرَم**
فهو بَرْدٌ عليك فيـــه ســـلامٌ	**وبـــه في غـــد تفـــوز وتـــسلم**
خفّ وانشر مـــن الـــصلاح	**طرْ به للفـــلاح تحـــظ وتغـــنم**
وتسنّمْ عزْم الـــــمجدِّ مخفًّـــا	**فاز من خف وارتقى من تـــسنّم**
وادّخر ذكرك الصلاة على مَن	**ربّه قد صلى عليـــه وســـلم[١]**

---

(١) – عزيز: غزال ،في (ج) و (د).

(٢) – كلمة (الوصل) مستدركة في (أ) حيث كتبت فوق العجز، ولذا سقطت من النسخ الأخرى.

(٣) – بالذل: بالذي ، في النسخ الأخرى.

(٤) – بيت المنوفي مشهورون في مكة والمدينة منذ القرن الحادي عشر الهجري وذكرت التراجم عددا منهم ممن اشتهر بالعلم والفضل، ولكنني لم أجد للشيخ المذكور ترجمة بينهم.

(٥) – رحمهما الله: حفظه الله،في (أ)حيث يظهر أن النسخة تمت في حياة الشيخ، وجاء ما أثبته في النسخ الأخرى.

إنّه وُصْلة العبـــاد إلى الله(م) وللـــسالكين ذخـــرٌ ومغـــنم

واجعل الـــمحو ديدنا إنّ فيه بشهود الفنـــا بقـــاؤك يرســـم

محوك الـــــمحض في مقــام غايـــــة الـــــصحْو والبقـــاء

واجمع الفرق إن أردت وصالاً واتّصالاً بمركز السر الاعظم[٣]

وتجرّد في السير عن كـــل آن وافرق الجمـــع كـــي تكـــون

وابتغ مربـــع الجمـــال محـــلاًّ ولْتَقلْ في ظلال ذاك المخـــيّم[٥]

خذ جمال الكمال ثَمّ شـــعاراً وكمال الجمـــال زاداً لـــــمأثم

فـــإذا مـــا شـــهدت تلـــك وتجلّى لك الجمـــال الـــــملثّم

وسلكت الطريق في زيّ أعمى وصحبت الرفيق في زيّ أبكـــم

كنت قطب الوجـــود حقـــاً لك فيه حـــالٌ كمـــا تتوسّـــم

وعليك الـــمدار منه وفيـــه لك ذرّاته وأنـــت الـــــمحكّم

وقال _تقبل الله منه_ وقلت مستغيثا ، وذلك سنة ١٢٠١ هـــ:

رفعنا أكـــفّ الـــذلّ والفقـــر إليك بـــشكوى الحـــال يـــا عـــالم

دعونـــاك مـــضطرين يـــا ربّ دعانا وفرّج كَرْبَنا واكفنـــا الأســـوا

وقفنا على الأبـــواب نلـــتمس وكَشْفَ العنـــا والبـــؤس والـــضرّ

تفاقمت البأسا علينا ورادفـــت فوادحها تترى وحلّت بنـــا الـــلأوا

وعمّت بنا الأهوال مـــن كـــل وضاقت بنا الأحوال في كـــل مـــا

بك العون أنت المستعان علـــى بقوتك العظمى ، فكيدهمُ اســـتقوى

وليس لنا إلا جنابـــك ملجـــأٌ إذا ما عدا جيش العدا نحونا عـــدوا

وليس لنا إلا الـــملاذ إليك إن بنا بَطَشَتْ أيدي العدا وسطت ســـطوا

---

(١) – ادّخر: اذخر ، في (ج) و (د).

(٢) – محوك: فحول ، في (د).

(٣) – اجمع: لا جمع، في (د).

(٤) – افرق: الفرق ، في (د).

(٥) – وَلْتقل: والتقل، في جميع النسخ ، ولا وجه لها.

١٧/أ

١١/ب

وليس لنا إلا وقايتـــك الـــتي ... هى الـــمعقل الأحمى هـــى الموئـــل

أغثنا أغثنا يـــا مغيـــث فإننـــا ... على ظمأ للريّ من غيثـــك الأروى

أجرنا أجرنا يا مجير وَهَبْ لنـــا ... بفضلك يا وهّاب عزًّا بـــه نقـــوى

أعذنا أعذنا من شرور نفوســـنا ... ومن شرّ ما فينا من الـــميل والأهوا

ومن شر إبليس اللعين وجنـــده ... وما لَهُمُ معْنا من الزيغ والإغـــوا[2]

ومن شرّ كل المؤذيـــات ومـــن ... ـــبليّات والعاهات والعـــار والأدوا

ومن شر كل الكائدين وفعلهم ... وما عنـــهمُ بالـــــمكر يُنـــشر أو

ومن شـــر بغـــض المبغـــضين ... وما فيهمُ بالغيظ يظهـــر أو يُنـــوى

نعوذ بك اللهم من كل حالـــة ... نضلّ بـــها عن هـــديك الحـــق أو

ونسألك اللهم منـــك هدايـــةً ... ونورًا وإرشاداً إلى ســـنن التقـــوى

وقال-رحمه الله تعالى - وقلت أيضاً :

برئت من حولي ومـــن قـــوّتي ... إليك يـــا ذا الحـــول والقـــوّة

فـــلا تكلْـــني يـــا إلهـــي إلى ... نفـــسى فتـــهوي بي إلى الهـــوّة

واجلُ صدى عين فؤادي فقد ... أضحت بغين الغيّ مكـــسوّة[5]

يا حبـــذا مـــرآة قلـــبي إذا ... كانـــت بنـــور منـــك مجلـــوّة

وقال _ رحمه الله تعالى _ وقلت مخمساً :

إذا شئت أن تحيا سعيداً موفّقاً ... وإن متّ تلقى الله أحسن ملتقى

عليك بتقوى من لـــه العـــزّ ... إذا لم يكن للمرء ثوبٌ من التقى

تجرّد عرياناً وإن كان كاسياً

---

(١) – الموئل: الموكل، في (د).

(٢) – (معْنا) ترك مكانـــها بياض في النسخ الأخرى.

(٣) – الكائدين: الحاسدين ، في (د).

(٤) – عن هديك: من هديك ، في (ج) و (د).

(٥) – عين فؤادي: غين فؤادي ، في النسخ الأخرى.

فلا تخش في الدنيا سواه ولــذْ	وأخلص فما للمرء مــن كــلّ
سوى طاعة الباري بــإخلاص	فخير خصال الــمرء طاعة ربه

ولا خير في من كان لله عاصياً

١٨/أ

وقال - نفعه الله بما قال في الحال والمآل - وقلت هذه القصيدة :

اعتــزل النــاس ففــي عزلتــكْ	أضعاف مــا يحمــد مــن ألفتــكْ
واتق ما اسطعت جميــع الــورى	تظفــر بمــا فيــه وقــا مهجتــك
واقطع عن الناس الرجا وانقطــع	لله عنــــهم في رجــــا وُصْــــلتك
إلا لــــما لا بــدّ منــه علــى	ما يقتضيه الــشرع مــعْ قــدرتك
خذ منهم العلم وأصــلح بــــهم	حالــك في تقــواك مــع رغبتــك
واكتف شرّ النــاس واســتكفهم	شــــرّك فالنــــاس بنـــو نـــشأتك
وأنسْ بأخبــار الأُلى قــد مــضوا	وانْف بــها ما نلت من وحــشتك
واســتنطق الأســفار واســتملها	أخبار ذاك الجمــع في وَحْــدتك(١)
ترى بعــين الــسمع في ضــمنها	مــا لا تــرى جارحتــا مُقْلتــك
فمنهم الزاكــى الرشــيد التقــى	ومنـــهم البــاغى الغــويّ الفَتــك
ومنـــهم الــمــستتر المرتجــى	ومنهم الــمنهمك الـــمنهتك(٢)
ومنـــهم القائــل مــن خوفــه	يــارب هــب ذنــبي إلى رحمتــك
قــد ســجّلت أخبــارهم عبْــرةً	فاجر لهــا المــدرار مــن عَبْرتــك
وانظــر إذا كنــت لبيبــا لهــا	معتــبراً واجــل صــدا فكرتــك
وقس على الماضين من قــد أتــى	ومن ســيأتي مــن بــني إخوتــك
فتتقــى تعييــب مــن أنــت في	زمرتــه أو هــو في زمرتــك(٣)
ولا تنـــال الإثم في ذمّ مـــن	شُــقّته في الــذم مــن رُقْعتــك(١)

١٨/ب

---

(١) – ذاك: ذلك ، في (ج) و (د).

(٢) – المنهتك: المنتهك ،في (د).

(٣) – تعييب: تعيب، في(ج) و(نقيب) في (د).

أبناء عصر أنت فيه هم ... عليك حق النصح في صحبتك[٢]

فلا تكن تغتاب أو تزدري ... من ربّه عافاه من علّتك

ترى فما تنظر فيه سوى ... ما أنت أعمى عنه من خلّتك

وقد يكون المُزْدَرَى ظاهراً ... أرفع عند الله من رتبتك[٣]

وربما كان أخو رَثَّة ... بذْلَتِه أجمل من بزَّتك[٤]

تحقره عيناك لكنّه ... همّته أنهض من همّتك

تطعنه بالثّلم في دينه ... وترجع المجروح من طعنتك

فافتح عيون الفكر وانظر بها ... عيبك لا عيب ذوي عشرتك

واستر عيوب الناس غضًّا لها ... تُسْتَرْ وإلا اهْتكْ كي تُنْهَتَك[٥]

واطو على الخير طوايا الحشا ... وَفُهْ به حالَ علانيّتك[٦]

سريرة المرء رداءٌ له ... فاختر رداء الخير من نيّتك[٧]

واحرص على الستر به تكتسى ... نورا به يبدو سنا خلقتك

فالصدق ينجيك وتجري به ال ... حكمة ينبوعاً على لهجتك

والحفظ للعرض ودفع الأذى ... عنك وذود الثلم عن حرمتك

مجلبةٌ للخير فاعمل بها ... تنال كل الخير في مدّتك[٨]

وإن دهاك الخطب أو حلّ في ... ساحتك الكرب وفي نُزْلَتك

فاستغن بالرحمن عن خلقه ... واسْتَعْد بالله على كربتك

والقَ القضا منك بوجه الرضا ... واجعل جميل الصبر من عدّتك

١٩/أ

---

(١) – رقعتك: رفقتك، في (ج) و(د).

(٢) – صحبتك:محبتك ، في (د).

(٣) – يكون: تكون، في (ج) و (د).

(٤) – البِذْلة من الثياب ما يلبس ويمتهن ولا يصان ، والبزّة الهيئة والشارة واللبسة . لسان العرب (بذل) و (بزز) .

(٥) – ليستقيم الوزن لا بد من تحريك الكاف في (اهتك) وذلك لا تبيحه الضرورة النحوية.

(٦) – علانيتك: على نيتك ، في (أ) و (ب) ، وما أثبته من (ج) و (د).

(٧) – فاختر رداء: فاختر له داء ، في (د).

(٨) – الفعل(تنال) من حقه الجزم ليصبح (تنل) ، ولكن مراعاة الوزن جعلت الشاعر يتجاهل الجزم.

كم لك في التسليم مــن راحــة   لــــما قــضاه الله في صــــدمتك
(إنّ لـــــه في فعلـــه حكمـــةً   تدقّ في الإخفاء عـــن فطنتـــك)(١)
اتـــق مـــولاك أدمْ شـــكر مـــا   أولاك قـــف عنـــد عبوديّتـــك
واذكرْه في حال الرخـــا شـــاكراً   يـــذكرْك بالإحـــسان في شـــدّتك
قُمْ تَسْتَقمْ أو صلْ تَصلْ جُدْ تَجـدْ   اجتل تـستجل سـنا بـــهجتك
ســـر مـــسرعاً تـــدنُ إلى غايـــة   تنل بـــها مـــا فـــوق أمنيّتـــك(٢)
تشهد بـــها في حضرة القرب مـــا   يجلو لـــك الأنـــوار في حـــضرتك
هناك غايات بـــها تحمد الـــــ   ـــمسرى إذا شـــمّرت في دلجتـــك
نبّهـــت والتنبيـــه مـــن غـــارق   في لـــجّة أهول مـــن لــــجّتك(٣)
قلت ولم أفعـــل وأنّـــى لـــهــــ   ـــذا النـــصح أن يـصحيك مـــن
لكنّمـــــا في رحمـــــة الله مـــــا   يغفـــــر زلاّتـــــىَ مـــعْ زلّتـــك
يـــارب وفّقنـــا ويـــسّر لنـــا   هـــديك وانـــسبنا إلى خـــدمتك
وشـــفّع المختـــار فينـــا غـــدا   ونـــجّنا يـــارب مـــن نقمتـــك
واغفر وزحزحنا عن النـــار مـــن   فـــضلك للعفـــو وفي جنّتـــك
وصلّ يـــارب علـــى المـــصطفى   خير الورى الـــمحبوب في حضرتك
والآل والأصحاب أهـــل الوفـــا   ما عمّنـــا الإفـــضال مـــن نعمتـــك

وقال أيضاً - صانه الله من صروف الزمان - وقلت مسلياً لنفسي سنة ١٢٠١هـــ :

اصـــبر لكـــلّ ملمّـــة أمـــدُ   وسينقضى ويـــزول مـــا تجـــدُ

١٩/ب

---

(١) – البيت ساقط من (ج) و(د).
(٢) – امنيّتك: أمنيك ، في (ج) ،و (أمينك) في (د).
(٣) – الصواب: أشد هولا.
(٤)الفعل (يصحي) من حقه النصب، لكن النصب هنا يورث إخلالا بالوزن، وتجاهله لا تبيحه الضرورة الشعرية .
(٥) – لهذا: بـــهذا ، في النسخ الأخرى.

لا شيء فيما قد عناك سـوى	صـبر مـع البأسـاء يطّـرد
فالصبر عدّة مـا بليـت بـه	لا العـدّ يدفعـه ولا العـدد
يا قلـب لاتجـزع لحادثـة	عظمت ولو كالنـار تتّقـد[1]
لله أنـت فكـن بـه ولـه	فلـه إليـك بلطفـه مَـدَد
سلّمْ ففى التسليم منك رضى	بـالله إن حلّـوا وإن عقـدوا
فالله يحفـظ مـن لـه ثقـةٌ	بـالله وهـو عليـه يعتمـد
لا جنّ في حَـرَك ولا بَـشَر	إلا بقدرتـه فـلا أحـد[2]
خلق العباد بكُنْ فكان كمـا	يختـاره فعـلاَمَ تنتقـد
أطواراً اختلفت كما اختلفت	صورٌ لهـم والخـالق الـصمد
سبحان خالقنـا فلـيس لـه	في الخلـق صـاحبةٌ ولا ولـد
كـلٌّ يـسير لنيـل أمنيـة	أبـدا تخادعـه وتجتهـد
يَردُون عن سَـبْق مـواردهم	لهوى طـرائقهم لـه قـدَد[3]
مستورة عنـهم مـصادرهم	ستراً قـضاه الواحـد الأحـد
فمبلّـغٌ عنـها ومـمتنعٌ	عنها وكلٌّ سـاخطٌ حَـرِد[4]
يمضى الزمان ولا رضى لهـمُ	فيما يراد بـهم ومـا يـرد
والله خـصّص مـن بريّتـه	خلقـاً إلى مرضـاته قـصدوا
فمقـصّرٌ منـهم ومقتـصدٌ	ومـسارعٌ منـهم ومجتهـد
أفعال ربـك كلّهـا حكـمٌ	فاشهد مظاهرها كما شـهدوا

وقال - أحيا الله به ربوع الأدب،وبلّغه من فضله كلما طلب - وقلت :

الدهر مختلف الآصـال والبُكَـر	لنا ومؤتلف الأضداد للعبَـر[5]

٢٠/أ

---

(١) – يا قلب: قالب ، في (ج) و(د) ، ولو كالنار: ولو كان النار، في النسخ الأخرى.

(٢) – حرك: خيرك ، في (ج) و(د).

(٣) – طرائقهم: طريقهم، في (ج) و (د).

(٤) – حرد: صرد ، في (ج) و (د). حرد : غضبان . لسان العرب (حرد) .

(٥) – الدهر : الدمع ، في (د).

والوُلْد مجبنــةٌ للمـــرء مبخلـــةٌ والـــمال مجلبة الإتراف والبطـــر

والجمع بينـــهما للحـــيّ فتنتـــه وإنـــها فتنةٌ من أكـــبر الكـــبر

والـــمرء متّصل الأشغال متصل آمال متصل الأعمـــال للفكَـــر

مستمسكٌ بعرى الدنيا على ثقـــة منها بحسن الوفا بالعهـــد وهـــو

فالحاذر الخفّ في دنيـــاه عيـــشته وإن صفت فهي محـــض الكـــدّ

والمثقل الكلف العاني بـــها حرجٌ مضيّق العيش موقـــوفٌ علـــى

فاز الـــمخفّون فيها العارفون لها والمثقلون بـــها فيها على خطـــر

يا صاح لا تلغ نصحاً قد منحتكه وافاك من عجري نظمـــاً ومـــن

خذ علْم نظمـــى ولا تـــرْكن إلى فإنني الصَّدَف الحاوي على الدّرر

صفرٌ من العلم صنْوُ الجهل لست شيء وإن رقّ منظومي ومنتثري

٢٠/ب

شأني الجهالة أثوابي الملالة منـــــ ـــهاجى البطالـــة بـــين العجْـــز

لك السلامة إن أصغيت منتصحا ظفرت من خدْنك المغرور بالغُرَر

حتامَ أنت بما يرديـــك في شُـــغُل ولا تزال بـــما يطغيك في غَـــرَر

ملء الجوانح بـــالأهواء مفعمهـــا خال من الفكر فيها غير معتـــبر

لاه بدنياك في الدنيا وإن عـــذبت بـــها الـــموارد إنّ الـــصّاب في

ساه عن النظر القلـــبيّ مغتـــبطٌ بتُرَّهات عليهـــا قاصـــر النظـــر

مبق على غير باق مستطير هوى لجمع فان بعزم غـــير مقتـــصر

ماضى العزيمـــة وثّـــابٌ لـــسانحة منها وبارحة كالليث ذي ظفـــر

مستجمع الهمّ في جـــمْع تحصّله حرصاً على حفْـــظ مَـــــخْزون

يداك قد أشبهت فيما تحيط بـــه طفاوة[٣] الشمس لا بـــل هالـــة

---

(١) – (الحاذر) سقطت منها الراء في جميع النسخ ، ووضعت علامة تشبه علامة المد فوق الكلمة، والحاذر في القاموس: المستعد. لسان العرب (حذر).

(٢) – لا تلغ: لا تكفر ، في (د).

(٣) الطفاوة: الدارة حول الشمس. لسان العرب (طفا)

(٤) – طفاوة: غير واضحة في (د) ، كأنـــها (حفاوة) .

ساعٍ لغيرك تحويه وما لَـكَ مـن … مـسعاك إلا احتمـال الـوزْر
وكم بدت لك آياتٌ وكم عبَـرٌ … جليّةٌ بـمعانيها وبالـصور[١]
بدا لعينك ما في بعـضه رُشُـدٌ … لكلّ مستبصر للرشد ذي نظـر
وإنما زهـرة الـدنيا وزخرفهـا … (قد قيّداك لها بالـمنظر النضر)
(أضحى يروقك منـها حـسن … ولا يروعك فيها فـادح الغـير)
(وإنما مثـل الـدنيا وزينتـها … أتى به الله في آي من الـسور[٢]
يزول رونقها تذوي نـضارتـها … كما يعود هشيماً يـانع الزهـر
وأنت في غفلة عمّا خُلقـت لـه … تكدي إليها بعقل منك مغترر[٣]
عان بـها متعنّ في الطلاب لهـا … نشوان في سكرة منها بلا سَـكَر
ثان لعطفك مسروراً بـها فرحاً … جذلان تـسحب عجبـاً ذيـل
لم تعتـبر بعزيـز ذلّ قـط ولا … بذي غنى عاد في أثواب مفتقر[٥]
لا ترعوي أبداً منـها بموعظـة … تبدو ولا تنتهي عنها بمزدجـر[٦]
ولايفيـدك آصـالٌ ولا بُكَـرٌ … بـها اعتباراً بمأثور علـى أثـر
كفى أخا اللب في الدنيا بكرّهمـا … مذّكرًا فانحها بـالفكر وادّكـر
حسبي وحسبك علماً باختلافهما … هما لنا مثل الـمقراض في العمر
كم أسلفا قبلنا خلقاً ونحن لـما … قد أسلفا تَبَعٌ تقفو على الأثـر[٧]
كم قرّبا أجلا كم قـصّرا أمـلا … كم فرّقا بين سمع الحيّ والبـصر
كم أخربا غرفاً كم عمّرا جُرُفًـا … كم أودعـا دُرَر الأكنـاف في

٢١/أ

([١]) – (لك) ساقطة من (ب).
([٢]) – مابين الأقواس ساقط من (ج) و(د).
([٣]) – مغترر: فقدر، في (د).
([٤]) – لعطفك: بعطفك ، في النسخ الأخرى.
([٥]) – أثواب: الأثواب، في (ج) و (د).
([٦]) – تنتهي: منتهى ، في (ج) و (د).
([٧]) – نحن لما : نحن كما ، في (د).
([٨]) – أخرب: خرّب، في النسخ الأخرى.

كم شتّتا جمع شمل كان ملتئماً | كم ألحقا كلّ أمّار بمؤتمر
كم أبعدا راغباً عن نيل رغبته | كم أعجلا وادعاً بالموت عن
هما الجديدان كم قد أخلقا جدداً | كم أفنيا أمماً في سالف العصر[1]
أين الملوك وأصحاب اللُّكُوك | قد أترفوا في ملاب التِّيه
وأين من ملك الدنيا بأجمعها | واستملك الناس من باد
وأين من جمع الأجناد واحتشد | أحفاد معتضدٌ في الملك
وأين من نكّل الأضداد وارتبط | آساد حذْرا من المكروه
وأين من قهر الأعدا بسطوته | قهرا بصولة عزم منه مقتدر
وأين من أرهب الدنيا بدولته | صيتاً وأرعبها بالمنظر البهر
وأين من شاد للعليا بعزمته | مبانيَ العزّ بين البيض والسُّمُر
وأين من بسط الجدوى لسائله | وأين من جاد بالآلاف والبدَر[5]
لم يبق من جمعهم عينٌ ولا أثرٌ | والدهر يفجع بعد العين والأثر
مرّوا فناءً ومرّ الملَوان بهم | مرّ الصوالج في الدهماء بالأكر[6]
لم يجْدهم كلما حازوا وما جمعوا | دفعاً لردّ قضاء الله والقدر
ولم يفدْهم عديدٌ لا ولا عددٌ | هيهات لا يدفع المقدور بالحذر
لم يبق منهم سوى الأسفار تخبرنا | عنهم وكم لك في الأسفار من
أخبارهم عظةٌ تهدى لمتّعظ | وذكرهم عبرةٌ تجُلى لمدّكر

٢١/ب

---

(١) – (قد) ساقطة من (د).

(٢) - اللكوك : جمع لكّ ،وهو في العدد مائة ألف عند أهل إيران والهند واليمن، وعند المولدين عشرة ملايين، ويذكر الجبرتي بأن (اللك) الواحد مائة ألف فرانسي.المعجم الوسيط (لكّه) – عجائب الآثار للجبرتي ٣/

- الملاب : ضرب من الطيب. لسان العرب (لوب)

(٣) – ترك مكان (ملاب) بياض في (ج) و (د).

(٤) – الأجناد: الأحفاد ، في (د).

(٥) – البِدَر: جمع بدرة، وهو جلد ، وهي الكيس فيه ألف أو عشرة آلاف دينار. لسان العرب (بدر)

(٦) – الأكر: الحفر في الأرض واحدها أكرة. لسان العرلاب (أكر)

(٧) – مرّ الصوالج في الدهماء: من الصوالج في الدماء ، في النسخ الأخرى.

فانظر لباطن ما يجلى عليك وزنْ ... ما قد يكون على ما كان واعتبر

ولا يغرّك منــها ظــاهرٌ حــسنٌ ... ولو تنوّع منه الحسن في صُــوَر

وجئ بذهنك واذهب في تقلّبــها ... بأهلها تكُ فيها خــير مختــبر(١)

دنياك مدْرج سفْر لا مقام بـــها ... للسفْر دون انقــضاء الــسير في

واسلك إلى الــمقصد الأعلــى ... وكن لصحبتها كالصاحب الحذر

واستصحب الــبرّ تنجــو مــن ... فصاحب البرّ فيها بالنجاة حَري

وارجُ السلامة من مولاك مالكها ... إن السلامة منها غايــة الظفــر

٢٢/أ

وقال - زاده الله من الكمال - وقلت ناصحاً لبعض الإخوان :

هو الودُّ لا حقدٌ يــضيق بــه ... جليٌّ على وجه الــــمليّ بــه

حفاظ إخاء من صديق فؤاده ... صدوقٌ تــساوى ســرّه لــك

يباهى بك الأقران ينشر عنك ... يزين ودون الشين منك له الستر

يناجيك عنه في رخاء وشــدّة ... وفاءٌ لكلتا الحالتين هو الــذخر

فجاوز بــهذا الودّ كلّ معرِّف ... لغاية حدٍّ حاجزٌ دونــها القصر

لقد شفّ معنى الحــب ســراً ... صفا فأفاض النور بالظاهر السر

أُخيّ وما دعواي معْك أخــوةٌ ... كذابا وهل يخفاك في تــمّه البدر

تأمّل فما من هشّ فيك بوجهه ... أخٌ لا ومن والاك منك له النصر

ولا كلّ من أبدى لك الــودّ ... ولكن ترى الخافي لو ارتفع الستر

تراه محبّاً والــضمير صــحيفةً ... طواها على بغــض وعنوانــــها

يداجى بحسنى دونــها السوء ... ويظهر خيراً منه باطنــه صــفْر

يــمُوِّه ما يخفيه عنك بكلّ ما ... يروقــك تمويهًــا كمــا يفعــل

---

(١) – تك فيها: تك في ، في (د).

(٢) – (الود) ترك بياضا في (ب) ، و(الصدق) في (ج) و(د).

(٣) – سره: سر ، في النسخ الأخرى.

(٤) – يروقك تمويها: يرونك تموها، في (د).

٢٢/ب

يلازم خلْق الحاقد الغدر عادةً ... كما لازمت طبعاً نجاستها الخمر

فكن حَذراً واظهر لكلٍّ بمظهر ... يقابله تسلمْ وكلٌّ لـــه عـــذر[١]

تلبَّسْ لـــمن داجاك في ثوب ... مصانعةً يبدو بـــها حُلْوَهُ الـــمُرُّ

وأضْمرْ لـــمن عاملت حسنًا ... معاملة الحسنى هـــى الـــربح لا

وكن موقنًا فـــيمن يمازجـــك ... خداعاً بمكر أن يحيق بـــه المكـــر

وأيقظْ لفعل الخير نفساً نؤومةً ... (إذااســـــتيقظت للــــــشرمال

(وأنـــهض لتقوى الله عزمـــة ... لها الكـــرّ في نيـــل الـــسفاسف

فصرفك ما لله فيك لكلّ مـــا ... له منك هـــذا لا عـــداك هـــو

وصاحب بني دنياك صـــحبة ... ولا بد عند الحلّ يفترق الـــسَّفْر

ومن صحب الدنيا وبـــاغض ... لأجدر أن لا يستقيم لـــه أمـــر

ومـــن رام في الـــدنيا المقـــام ... لنَقْلَته الدنيا وعاجلـــه الـــدهر

ومن وثقت منه الظنون بـــها ... حصول مرام فهو بالطيف مغتـــرّ

وماهي إلا للطريـــق مطيـــةٌ ... مراحلها الأيام والسّفر العمر[٧]

فخذها ذلولا للمسير فإنـــها ... لعونٌ عليه لا عوانٌ ولا بكـــر[٨]

وسر آمناً ما دام مقْودها التّقى ... وقيت الردى ســـيرا ورافقـــك

وأجمل بـــها تقن الجميل فإنه ... ليحسن فيها الحصد إن حـــسُن

فإن تك مأوى للهموم فإنـــها ... جميلٌ على حمل الهمـــوم بـــــها

---

(١) – تسلم:سلم ، في النسخ الأخرى.

(٢) – وأضمر: فأضمر، في النسخ الأخرى.

(٣) – عجز البيت ساقط من (ج) و (د).

(٤) – صدر البيت ساقط من (ج) و (د).

(٥) – نيل : ليل ، في (ج) و (د).

(٦) – فصرفك: قصرنك ، في (د).

(٧) – (إلا) ساقطة من (أ).

(٨) – للمسير: للعسير، في (ج) و (د).

وإن تك مغناطيس كلّ مصيبة	جزيل على ملقى مصائبها الأجر
نعم هذه حالات دنياك دائما	بمن صاحبته فليكن شأنك الحذر
وما فهت جهلاً بالزمان وإنما	بلوت فأغناني عن الخَبَـر الخُبْـر
ألا فع سمعا مَحْض نـصحى	نصحتك إن النصح يقبله الحـرّ

٢٣/أ

وقال - لازال راقياً مراتب الكمال ، مبلغاً جميع الآمال - وقلت أيضاً :

الْبسْ لكربك حلّـة الـصبر	تبدو بأبـهى من سـنا البـدر
وانـهض على قدم الثبات له	متجافيا عن مـضجع الـذعر
فالـصبر أليـق بـالكريم إذا	دهمتـه فادحـةٌ مـن الـدهر
فاصبر لها فأخو النباهـة مَـن	لَقيَ الخطوب بفسحة الـصدر
فلعل عقدتـها وإن عـسرت	تنحلّ بعـد العـسر باليـسر
ولعل شدّتـها وإن عظمـت	تنجاب نـسياناً عـن الفكـر
فالـحر شـارة كـلّ نائبـة	فـسهامها أبـدا لـه تـسري
ومن اطمـأنّ لهـا وقابلـها	برضًى مضت مـن حيـث لا
ومن استشاط لنازل ضـجراً	يهـوي بـه في هـوّة الخـسر
خذ من كلامي النـصح وارْم	نافاه من عجزي ومـن قـصر
خذه ولا تـركنْ إلى عملـي	فتسير مـن عـذر إلى عُـذر

وقال-أعاذه الله مما يفضي إلى الوبال- ووجـدت في (بـدائع البدائـه)لابـن ظافر[١]بيتين في حكاية[٢] عززت بثالث، فخطر في البال تعجيزها وتصديرها بالارتجـال، وضممت[٣]إليها من شواهد الحال ما يهوّن لواعج البلبال، والأبيات المذكورة هذه ،وذلك في سنة ١٢٠١هـ:

٢٣/ب

(١) – هو علي بن ظافر بن حسين الأزدي الخزرجي ، وزير مصري من الشعراء الأدباء المؤرخين ، ولد في القاهرة سنة ٥٦٧هـ وتوفي بـها سنة ٦١٣هـ ، له عدة كتب منها (بدائع البدائه) . الأعلام ٤/٢٩٦.

(٢) – (بدائع البدائه) لابن ظافر ص١٥٤ ، (الأغاني) للأصفهاني ص ٩٦ ،وردت في حكاية لأبي العتاهية الشاعر حيث سمعهما من رجل في السجن.

(٣) – ضممت: ضميت ، في النسخ كلها.

تعوّذت مسّ الضرّ حتى ألفتــهُ ... لعلمي أن لا بدّ من صحبة الضرّ[١]

وعزّيت نفسي بالتأسي بسالفي ... فأسلفني حسن العزاء إلى الــصبْر[٢]

وصيّرني يأسي من الناس راجياً ... لــما لــيَ عند الله بالصبر من أجر

صبرت لبلوائي وإني مراقــبٌ ... لحسن صنيع الله من حيث لا أدري

إذا أنا لم أقبل من الدهر كلّمـا ... بدا لي منه آلَ يسري إلى العــسر[٣]

وإن أنا لم أوسعْهُ منّي الرضا بما ... تكرّهت منه طال عتْبــــي علــى

ولم يُجْد عتب الدهر في كــل ... سوى تعب يفضى بــذي العتــب

وما لي وللأيام حــتى أسـومها ... مشاغبةً أجني بــها نكــد العمــر

فإنّــيَ قد صاحبتها وبلوتــها ... ــتباراً لها لا صحبة الغرّ للغــرّ[٥]

فما طُلتُ مــمّا رمــتُ منــها ... أَحُزْهُ ولا حصّلت منها على وَفــر

ولكن بدا لي من تقلّب حالهــا ... وتلوينها ما قد عرفت بــه أمــري

عجائب أبداها الزمان لناظري ... رآها بــرأي العــين كالــسطر في

أرى بعيون الفكر كلّ عجيبــة ... ودهريَ مرآة العجائــب للفكــر

أقيس على الماضي بــها كــلّ ... وأخلــف فيهــا ســالف العــصر

وها أنا مصحوبٌ لهــا مــدركٌ ... لقسمي منها من وفاء ومن غَــدْر[٨]

فإن عزّ قصدي لا أذلّل جــانبي ... وإن جلّ خطبي لا يضيق له صدري

على أنني ما كنت أقصر هــمّةً ... لفائتة عــني فأنــسب للقَــصْر[٩]

---

(١) – لعلمي: لعلي، في (ج) و (د).

(٢) – فأسلمني: فأسلفني ، في (ج) و (د).

(٣) – يسري إلى العسر: سيري إلى الصبر ، في (ج) و (د).

(٤) – العتب للخسر: التعب الخسر ، في (ج) و (د).

(٥) – للغر: للضر، في (د).

(٦) – أراها: رآها ، في (ج) و (د).

(٧) – أخلف : أخاف ، في (د).

(٨) – ومن غدر: وغدر ، في(ج) و (د).

(٩) – (أنسب) ترك مكانــها بياضا، في النسخ الأخرى.

٢٤/أ

ولكن مشيت القهقــرى دون | على قدر وقت حاله موضحٌ عذري
رأيت الــمعالي من يرمْها لرفعة | قضت خَفْضَهُ كالخفض من أحرف
أرى من نحا للمجد مــن غــير | وما نال مــما قــد نحــاه ســوى
إذا لم يكن للمرء عــزٌّ بنفــسه | تداني وما في العز بالكدّ من فخـــر
بحالين يلقى الناس كلّ مــسوّد | بدنيا بلا دين ونعمى بلا شــكر[3]
فمثن على قبح بمدح لــمبخل | وصيت على ذكر وحمد على كــبر
وطاو على غيظ سريرة مبغض | لناو على غدر وثاو على مكــر[4]
إذا زيّنت في عينــه رتبــة لــه | يتيه بــها في الناس سكرا بلا خمــر
ويرفل بالإعجاب في خيلائــه | كأنْ قد أتى بالفتح فيهم وبالنــصر
ألا قُبِّحَتْ دنيا قصارى حليفها | تنكّبه عنــها انتكاســاً إلى القــبر
إذا لم يكن للمرء من ذاك زاجرٌ | فلا نفع في الدنيا لوعظ على زجــر

وقال - كان الله له - وقلت أيضاً :

لك في كــلّ نظــرة عــبرةْ | إن نظــرت الأمــور بــالفكرةْ
دقّة الفكــر في الأمــور لهــا | حــسن إتقــان دقّــة الإبــره
فتأمــــلْ فيمـــا ســـتنظرهُ | وتـــدبّرْ تحـــطْ بـــه خـــبره
لا تكن قاصــر البــصيرة في | ما ترى مــن بديهــة النظــره
قد ترى ما يروق عينك مــن | زهو ما تزدهــي بــه الخــضره

٢٤/ب

واخــضرار النبــات غايتــه | صــفرةٌ لا تــرى لهــا نــضره
رُبّ شرب نظنّــه ضَــرَبًا[5] | هو ضَرْبٌ من صــابة مُــرّه[1]
رُبّ سمّ قد ضــمّ في دســم | هو حتْف النفوس لا نكــره[2]

---

(1) – يرمها: يرومها، في النسخ الأخرى.
(2) – (نحى) غير منقوطة في(ب) ، و(يجي) في(ج) و (يحجب) في (د).
(3) – يلقى: تلقى، في (ج)، و(نلقى) في (د).
(4) – ثاو : ناو ، في (د).
(5) – الضَّرَب: العسل. لسان العرب (ضرب)

قد تغشّى الـمحذور غاشيةٌ ... كتغـشّى الرمـاد للجمـره
لاتغرّنْك لـمحةٌ طمحت ... منك فيما يجني لـك الحـسره
لم يكـن كـل نيّـر قمـراً ... لا ولا كـلّ حلـوة تمـره
فلـتكن شـاهداً لربـك في ... كـلّ حـال ملازمـاً ذكـره
واشهد الكون كلـه حـسنا ... فهـو آثـار مُظهـر القـدره
وانتـهج للهـدى مـسالكه ... واستعذ من غـوى أبي مُـرَّه[3]
واستقم ما اسـتطعت متّقيًـا ... فالتّقى خـير زاد ذي الـسفره
إن أنفاسـنا مراحلنـا ... في سـرانا وحلّنـا الحفـره[4]
ولنا كـلّ لـمحة ظعـنٌ ... ما لنا قـطّ فيـه مـن قـرّه
وحيـاة الإنـسان مـورده ... إنمـا الطـرْق دونـه وعـره
فاستطب ما زكى تطيب بـه ... إن زكا الورْد طابت الـصَّدْره
وكن الناهض العـزوم علـى ... فعلك الخـير واتـرك الفتـره
والبس الصبر للمـصائب إن ... أمّ خطبٌ واخلع ردا الـضجْره
وامزج الخوف بالرجاء تقـم ... في مقـام يـدنيك للحـضره

وقال - رحمه الله تعالى - وقلت أيضاً :

قد كفانا تقلّب الدهر عبْـره ... إن نظرنا إليـه نظـرة فكـره
ينقضى العمر بالليالي وبالأيـا ... م تترى عشيةً بعـد بكـره[5]
والأمـاني تعلّنـا بكـؤوس ... من مـحال تحلو لنا وهي مُرّه[6]
ومنادي الرحيل فينا ينـادي ... الرحيلَ الرحيلَ للسفْر قـرّه[1]

---

(١) – صابة : صبابة ، في النسخ الأخرى.

(٢) – ضم في دسم: ضم دسم، في النسخ الأخرى.

(٣) – واستعذ من: واستعذني ، في (د). وأبو مرة : الشيطان الرجيم.

(٤) – أنفاسنا: أنفالنا ، في (د).

(٥) – ينقضي: ينقص ، في(ج) و (د).

(٦) – محال: قال ، في (ج) و (د).

منتهى السائرين من هذه الدا ... ر ضريحين روضـــة أو لحفـــره

هذه الـــدار منـــهجٌ لا مقـــرٌ ... مدرج الـــمخلصين فيها المبرّه[2]

فيئها زائلٌ ومـــا فـــاء منـــها ... حائلٌ والـــمقام فيهـــا مَعَـــرَّه

وقال- منحه الله كل كمال- وقلت في مستهل ابتداءمحرم سنة ١١٩٣هــ، لسبب جـــرى وأمر طرا:

تعرّض لي من دون ما رمتُ مانعُ ... فأخّرني عن نيـــل مـــا أنـــا طـــامعُ

أحال القضا بيني وبـــين مطـــالبي ... وكم دون ما تـــهوى النفوس موانع

فأمسيت ليلى ذاهل اللب حائراً ... وأصبحت يومى للذي فات جـــازع

وصوّرت مـــن نفـــسى لنفـــسى ... يقـــارعني فيمـــا جـــرى وأقـــارع

فطوْراً أرى منها العتاب موجِّهـــاً ... لنحوي سهاماً ما لهـــا مـــا يـــدافع

وحينا أرى لي ما يقـــوم بحجّـــتي ... ويقضى [فأرضى] بالذي ثَمّ واقع[3]

وآونةً ينبثّ في الفكـــر خـــاطر ... يقـــول تـــأنّى للعتـــاب مواضـــع

إلى أن جلا الإنصاف بيني وبينها ... لعذري محيّا أبـــيض الوجـــه ناصـــع

ومن جعل الإنصاف أسّ فعالـــه ... أقـــام بنـــاءً لم يـــصدّعه صـــادع

وما ذاك إلا أنّ لي دون مطلـــبي ... رقيبا قريبـــا لطفـــه عنـــه شاســـع

وهل هو إلا قاطعٌ طـــرق الوفـــا ... عليّ وحسبي فهو للطـــرْق قـــاطع

تشبّه بالنـــاس الـــذين تفيّـــأوا ... ظلال الوفا والظـــل عنـــه لقاشـــع

وأين مدى مجد النفوس التي زكت ... لقد قطعت من دون ذاك المطـــامع[4]

وأنَّى له أن يدرك الـــمجد لاحقا ... وقد أدركوا هذا الـــمدى وهوضائع

٢٥/ب

([1]) – قرة: مرة، في (د).

([2]) – المخلصين: للمخلصين ، في النسخ الأخرى.

([3]) – ما بين المعقوفين أضفته ليستقيم الوزن والمعنى ، وقد تم تخمين ذلك في نسخة (د) حيث كتب فوق العجز(لي ما) وكتب تصحيح ذلك في الهامش باسم محمد سعيد بن حسن كمال. نسخة (د) لوحة ١٨ أ ، وأرى أن ماأضفته هو الأنسب.

([4]) – أين: أنّى ، في (ج) و (د).

أقام على حرف من الودّ ظـاهرا | يداجى به مـن يـصطفى ويخـادع
فيرتق فتقاً لـيس يجديـه رتقـه | كما لم يفـد فيمـا تمـزّق راقـع
ولو كان ما بي من حبيب مقنّـع | قنعت وكم نقص حوته الـمقانع
ولكنّ ما بي من حبيـب معمّـم | بجهل وقد تحوي الكمـال البراقـع
وكم في خبايا الدهر كلّ غريبـة | لهـا في قلـوب المبـصرين مواقـع
وكم تحت أذيال الخمول مناقبٌ | وكم في جلابيب الظهور فـضائع[1]
وكم خلف سترْ الـصمت إمّـا | وشنـشنةٌ أو زعْنَـفٌ وفراقـع[2]
وكم مقبل لولاه تحـت عمامـة | لـمَا اختاره الرائى قفا وهو صـافع
وإنّ امتياز الناس بالفضل والحجا | وإلا فما امتـاز الحلـيم المـصانع
حناناً على الدنيا لقد أمحلت بنـا | من الفضل بعـد الخـصب منـها
وحزنا على الأيام قـد اقفـرت | معاهـد أربـاب النـهى والمرابـع
فما للوفـا للمبتغيـه مـشاعرٌ | ولا للـصفا للوارديـه مـشارع
وإنّى على قدر الزمـان وأهلـه | أواصـل أمثـالي بـه وأقـاطع
حريصٌ على حفظ الوفاء لـمن | أسـير إلى الحـسنى لـه وأسـارع
وإن سامني بخس الـمودّة مشتر | فإني لـموفي الودّ شـار وبـائع[3]
ولي نفس حرٍّ إن تناءى حبيبـها | تدانت وإن يدنو البغـيض تـصانع
ولا ذمّ للأيام قد كان لي بـها | زمانٌ عيـون الهـمّ عنـه هواجـع
عليّ لها حفظ الذمام كمـا لهـا | عليّ أيـاد هـنّ عنـدي ودائـع
وإذ ذاك روض النيل غضٌّ وماؤه | معينٌ وغصن العمـر ريّـان يـانع
وللقلب في تلك الريـاض الـتي | منـازهُ يعـشو ظلّهـا ومنـازع

٢٦/أ

(١) – الخمول: الخمور ،في (د).
(٢) – الزعنف أردأ الشيء وأرذله.لسان العرب(زعنف) - والفرقعة الصوت بين شيئين يضربان. لسان العرب (فرقع). ستر:سر في (د).
(٣) – بخس: بحسن ، في (ب) ، و(حسن) في (ج) و(د) ، الود شارٍ : الوشار ، في (ج) و (د).

فيا حبّـــذاها حبّـــذاها وكلّهـــا ... محاســـــن إلا أنّـــــــهن صـــــنائع

مضى ما مضى منها على قدر ما ... ويأتي بقدر الحال منها الـــمضارع[1]

على أنني أدركت منـــها بقيـــةً ... ظفرت بـــها والقلب إذ ذاك يافع[2]

بصحبة ناس أوحشت بعد أنسهم ... مباني العـــلا فـــالآن وهـــي بلاقـــع

أئمة فضل بل جهابـــذ حكمـــة ... وأنوار آداب العلـــوم الـــسواطع[3]

وسادات مجد بل صدور ســـيادة ... إذا احتفلت بالأمجدين الـــمجامع[4]

فلله أيامٌ جلـــت لي وجـــوههم ... شموساً لهـــا أفـــق الجمـــال مطـــالع

فألحقهم [حكم] القـــضاء بمـــن ... ورُدّت وجلّ الله تلـــك الودائـــع[5]

٢٦/ب

ولا لاح مـــا عهـــدي بـــــهم ... ولا أبرزت تلك الشموس المطـــالع

ولا ناظرٌ منهم لـــما أنـــا نـــاظر ... ولا سامعٌ منهم لـــما أنا ســـامع[6]

وَرَدْتُ بـــهم ماء الحياة وبالحشا ... جوى ظمأ ضمّت عليه الأضـــالع[7]

رشفت على مقدار سعيي صبابةً ... (بـــــمقدار مـــا تـــذري الـــدموع

(نشقت بـــها من عُرْفهم طيـــب ... فهذا الشذى مـــن ذلـــك العُـــرْف

ولم يبق منها في مراكـــز ســـرّها ... بقلبي سوى ما استهدفته الـــمسامع

كلام يراه الناس شـــعراً منظّمـــاً ... وضمن مباني اللفـــظ فيـــه وقـــائع

وللشعر بين الـــمدح والقـــدح ... وها هو من إحدى طريقيـــه راجـــع

ومن أنا في العدّ الكـــثير لقلّـــتي ... وهل مع ورْد البحر تُجْدي النقـــائع

---

(١) – (ما) الأولى ساقطة من صدر البيت في (أ) و(ب) ، أثبتها من (ج) و (د).

(٢) – ظفرت بـــها والقلب: ظفرت بـــها القلب ، في (ب).

(٣) – السواطع: سواطع، في النسخ الأخرى.

(٤) – احتفلت: اختلفت ، في النسخ الأخرى.

(٥) – (ألحقهم) غير واضحة في(أ) وترك مكانـــها والكلمة التي بعدها بياضا في النسخ الأخرى. جل:بل،في(د)

(٦) – أنا : أنت ، في (د).

(٧) – ضمّت:ضميت، في (ج) و (د).

(٨) – عجز البيت ساقط من (ج) و (د).

(٩) – صدر البيت ساقط من (ج) و (د).

وأنّى لـمثلي أن يروم ويـدّعي مـرام مقـام دونـه الـسم نـاقع

ولكنّمـا لله في الخلـق حكمـةٌ بـها يلحق الـمتبوع في الفـضل

على أن لي في الله ظـنّ مُؤَمِّـل من الله في الغفران والفـيض واسـع

ولي من رسول الله ملجأ عـصمة به يوم لا في ذلـك اليـوم شـافع

يشيب الوليد الطفل فيه لـهَوْله وتـذهل عمّـا أرضـعته المراضـع

فثَمَّ ترى شـأن العبيـد فنـادم ذليل وهذا ناكس الـرأس خاضـع

وهذا غريـق في بحـار ذنوبـه يخاف ويرجو ربّـه وهـو خاشـع

وهذا ينادي ليتني قـول ليـتني بـــموقفه لم يجْـده منـه نـافع

وللواحد القهار في الخلق مظهـر ـــتجلى بمـا يختـاره لا منـازع

هناك لها كفْو يقـول أنـا لهـا إذا أحجم الأكفاء والحـشر جـامع

هو المصطفى المختار خير مـشفّع وكـلٌّ إليـه في الـشفاعة راجـع

عليـه مـن الله الـصلاة تحيـةً صـلات صَـلاة والـسلام يتـابع

كذا الآل والأصحاب مـا افتـرّ لبشرى وما انـهلّت لزجر مـدامع

وقال :وقلت هذه الأبيات مجيباً لمولاي السيد زين العابدين الحطاب[1]:

رويدا بنفس منك نفساً كريمـة زكـا فرعهـا عـن أصـلها

ورفقاً بـها فهي النفيسة حقها بأنك لا تلوي بـها لتعـسّف

فلا تلحها عنفاً وأنـت تعينـها على كل فعل موجـب للتعنّـف

ووال لها الإنصاف في كلّ حالة وإلا تواليها فلست بـمنـصف

وسـمْها بربح منـك في كـل لها وعليهـا سـومة المتـصرّف

ووفِّ لها المكيال تستوف كيلها وإلا فـبخس الكيـل ويـل

(١) – هو زين العابدين بن محمد بن يحيى بن هاشم الحطاب المالكي المكي، ترجم صاحب كتاب نشر النور والزهر لوالده وذكر أنـه صاحب علوم غزيرة وآداب كثيرة ، وذكر أنه أعقب ولدا هو زين العابدين هذا ، وذكر أن بيت الحطاب بيت علم وثـروة. نشر النور والزهر ص ٤٢١ .

(٢) – عن: من، في النسخ الأخرى.

(٣) – تستوف: تسوف، في (ج) و (د).

٢٧/أ

فإن جنحت للسلم فاجنح لهـــا ترم حربـــها واســـتكفها الـــشر
وإن جمحت فامدد إليها عنانـــها ورض صعبها بالسهل من خلقك
وذد حائم الأفكار عـــن حـــرم بـــها وارمه منها بشهب التقشّف
فإن حلّ في ساحاتـــــها حـــل وإن حام أبدى حومة الـــمتخطّف
فصل حول مرعاها على كـــل بكل حسام من جنانك مرهـــف
وقم دونـــها بالخط في كلّ عزْمة بكل بنـــان للطعـــان مثقّـــف[1]
وقف معها في ســـاحة الفـــضل لها مدد الألطاف في كل موقف[2]
تعرّفْ بـــها لله واعرف مقامها فمهما عرفت النفس يـــا صـــاح

٢٧/ب

وقال - رحمه الله تعالى - وقلت أيضاً وذلك سنة ١٢٠١هـــ :

يا متعباً نفـــسه ومجهـــدها بكـــدّها بالعنـــا فينـــهكها
وبالغـــا ســـعيه لفانيـــة يوشكها أن تزول يوشكها
تجمع من حلّها ومحرمهـــا بـــــهمّة دائمـــاً تحرّكهـــا
كم لك من حيلة لجمعكها تنصب أشراكها وتحبكهـــا
ولا تبالي فيما تـــحـــصّله أيّ طريق إليـــه تـــسلكها
يعمّ في جمعه الورى ضـــرر لبغية عزّ عنـــك مـــدركها
وهي فإما للْفَوْت ذاهبـــةٌ عنك وإلا بالـــموت تتركها
فدودة القز ما بَنَتْـــهُ لهـــا منفعة الناس وهو مهلكهـــا
وأنت أدنى منـــها ولـــو علمك لم تبنـــه ويهلكهـــا
أَوْهَـــى عقـــول الـــورى من هذه حاله وأنوكهـــا[4]
والمرء حين الولاد لـــيس شـــيء لعَـــشْر الكفّـــين

---

(١) – الخط: الحط ، في (ب) ،و (الحظ) في (ج) و (د).

(٢) – قف: فق ، في (أ) ، وما أثبته من النسخ الأخرى ، مع أن كلمة (فِقْ) لها وجه، فهي الأمر من (أفق) ويقال: أَفَقَ فلان إذا ذهب في الأرض. لسان العرب (أفق) ، إلا أن ما أثبته أنسب للمعنى منها.

(٣) – عرفت: عرف، في (ج) و (د).

(٤) – رجل أنْوَك : أي أحمق . لسان العرب (نوك).

وحين موت تراه باســـطها	مرسلها فرّعــاً مفرّكهـــا[2]
كمثل ما جاءها يفارقهـــا	تبصرة لو نظرت تـــدركها

وقال – أطال الله بقاءه - وقلت أيضاً :

٢٨/أ

أزل ردن الرعونة بـــالتخلّي	وحُك بالجدّ أثواب التجلّـــى[3]
وجرّد منك عـــن آن فـــؤادًا	ويـــــمّمه لهاويـــة التخلّـــى[4]
ورض بالجهد نفـــسك مـــن	تكـــــن في حلبـــــة الـــــسبق
وعلّق منك أسباب الترجـــى	بأوتـــــاد التأســـــى والتـــــسلى
وشيّدْ في روابي الأنس تقـــوى	علـــى أسٍّ يقويهـــا وَعَلِّـــى[6]
وسُلّ القلب من شبك التردّي	وأُمّ إلى الترقّـــــى بالتـــــدلّى
وقف وتعرّض النفحات تجلو	لعينك حسنها عـــين التملّـــى
فليس يراد منك مقال من لا	درى أنـــــت الـــــصؤوم أو
يرى ما لاح منك لـــه عيانـــا	ولايدري هو الطبـــع الجبلّـــى
وليس خلقت أنت لرفع خلٍّ	مكانك عنده أو وضـــع خـــلِّ
ولكن قد خلقت أمـــين ســـرٍّ	لخالقك العظيم بـــك الأجـــل
فمنك إليك فيك لـــه دليـــلٌ	عليـــه علـــى ســـواه لم يُـــدَلّ
فكم يا قلب تطلبك المعـــالي	فتمشى القهقرى وتقول عـــلِّ
ويرجئك القصور إلى التـــواني	بلـــذّات التجلـــى والتحلّـــى
وتجذبك الطبـــاع لتُرَّهـــات	بتجصيص الـــمباني والتعلّـــى
وتخدعك الـــملاهي بالتباهي	(فتركن عند زخرفها الـــمولّي)

٢٨/ب

(1) – (المرء حين) كتابتها مبهمة في (ج) و (د).
(2) – حين: خير ، في (د) ، فرّعا : فرّغا ، في (ج) و(د).
(3) – حك : مك، في (ج) و (د).
(4) – آن فؤاد: أذن فود، في (ج) و (د) ،ويممه لهاوية التجلي: وعمه لهومة التحلي ، في (د).
(5) – (شماس) ساقطة من (د).
(6) – (في روابي) ترك مكانـــها بياضا في (ج) و (د).

(فجاوزت المناهى بالتنــاهى) لـــحدٍّ جزت فيه مـــجاز ذلّ[٢]
وجوّزت الدواعى في مـــساع لـــمكثرها بـــها قهر الـــمقلّ
كرعت شراب موردها مريراً به التغصيص في نـــهل وعـــلّ
مهاو للمهالك ظَلْـــت فيهـــا وما لك غير نفسك من مـــضلّ
وأنت على فتيـــل أو نقـــير مسُول حيث تقبـــل أو تـــولّى
وما قدّمت من خـــير وشـــرٍّ يقيناً قـــد تـــسطّر في الـــسجلّ

وقال : وقلت أيضاً :

إلامَ ونفسى لم تزل في اغتفالها تخاتلها الدنيا بـــزور مـــــحالها
وحتامَ مجراها بمضمار لهوهـــا محالاً كأن لم تدر عقـــبى مجالهـــا
تباكر دون الغى حول دنانـــه وتمشى بكأس الري سكر خيالها
وتسحب ذيل الزهـــو منـــها غروراً بدنياها وزهـــو جمالهـــا
وترضع ثدي اللهو في حجـــر وقد آنَ قبل الآن آنُ فـــصالها
على أنـــها مفتونةٌ بزخـــارف تبهرج للمفتون حـــسْن مثالهـــا
كأضغاث أحلام بأجفان نائم تراءى له في النوم طيف خيالها[٣]
فتبًّا لدنيا قبحها تحت حسنها وما حسنها إلا قلوص ظلالها[٤]
وآفاتـــها لذّاتـــها وصفاؤها قذاءٌ وصفو العيش عين وبالها[٥]
وبـــرق الأمـــاني خلّـــبٌ في وَوَدْقُ الـــمنى رشق العنا مـــن
وظمآنـــها طـــاوي الحـــشا شـــرابٌ تـــراءى مـــن بقيعـــة

٢٩/أ

---

(١) – العجز ساقط من (ج) و(د).
(٢) – الصدر ساقط من (ج) و (د).
(٣) – تراءى: تراه ، في (د).
(٤) – في نسخة(أ)، (فتبا لدنيا حسنها تحت قبحها) وقد كتب تحت كلمة (حسنها) (مؤخر) ، وتحت كلمة (قبحها) (مقدم) ، وهو ما اعتمدته لأنه الصواب، أما بقية النسخ، فجاء الصدر هكذا(فتبا لدنيا حسنها تحت قبحها) . القلوص: يقال قلص الظل أي انضمّ وانزوى. لسان العرب (قلص).
(٥) – عين : عن ، في (د).

ومشمول كأس اللهو فيهـــا بقيد الهوى في حبّها واعتقالها[٢]

وفي كــــل حــــال منــــهجٌ وفي كل حال مدرج لاحتيالهــا

ولا مخلص منها لـــمن لم يكن ذريعة تقوى (توق شرّ اغتيالهــا

وما ذاك إلا رغبة من موفّــق يقـــدّ بتقـــوى)[٣] الله حبـــل

وفي كرم الخلاّق ما يسع الرجا وإني لأرجـــو خـــالقى حـــسن

وآمل من فضل الكريم عنايــة تقيها العنــا في حالهــا ومآلهــا

وقال : وقلت أيضاً سنة ١٢٠١هـــ:

كفاني من زماني مـــا عنـــاني وما ألقـــاه منـــه ومـــا أعـــاني

وحسبي ما يقـــابلني كفاحـــاً بـــه مـــن فتنـــة لي وامتحـــان

يريني مـــن حوادثـــه أمـــورا غرائب من شخوص أو معـــان

يزفُّ إليّ منـــه كـــل شَـــوْهَا ويجلوهـــا لعـــيني أو جنـــاني

ويقذي ناظريّ بـــها ولكـــن يقول إليك هذي من حـــساني

خيـــالات يزيّنـــها ويبـــدي زخارفهـــــا إليّ بكـــــل آن

يرغّبنى لهـــا حـــسنا وزهـــوا ولم يـــك قـــصده إلا افتتـــاني

فأرسل في ظواهرهـــا عيـــوني وأشـــغل في مظاهرهـــا عيـــاني

وزُخْرُفُها تميل إليـــه نفـــسى ويستحلى مرارتـــــها لـــساني

فعشت ولم أزل مشغول بـــال بـــها ولع الفؤاد بـــها وعـــاني

فكم هذا التغافـــل والتغـــابي وحتّـــامَ التكاســـل والتـــواني

وكم هذا الغـــرور كـــأنني لم أكن أدري بـــأخلاق الزمـــان

٢٩/ب

---

(١) – تراءى: تراه، في (ج) و(د). والآل : السراب. لسان العرب (أول).

(٢) – الهوى: اللهو ، في (د).

(٣) – مابين القوسين من آخر البيت السابق إلى هنا ساقط من (ج) و(د) بسبب انتقال النظر.

(٤) – اتّصالها : نصالها ، في النسخ الأخرى.

(٥) – حالها : مالها ، في (د).

صرفت العمر فيه هـــوى وإني … صـــرفت نفـــيس عمـــري في

أروح مواصلا حبل الـــتمني … وأغـــدو واردا إلّ الأمـــاني[2]

فأين حجاي ممـــا قـــام فيـــه … هواي وأين علمـــى بالمعـــاني[3]

فنقص العمر بالأيـــام يمـــضى … وهل للعمر عمـــر معْـــه ثـــان

لعمري هـــذه الـــدنيا زوالٌ … ويبقـــى ربنـــا والكـــلّ فـــان

وقال : وقلت أيضا سنة ١٢٠١هـــ:

صبرا لها يا قلب صبرا للمحنْ … صبرا لها إن كنت من أهل الفطنْ

لا تجزعنّ لـــما أهمّك ربمـــا … لك في المهم الخـــير دع عنـــك

لا تجزعنّ لحادث لـــك طيّـــه … ما ليس يجري لك في وهم وظن

اصبر فإنّ الصبر عونٌ للفـــتى … في كـــلّ نائبـــة إذا الـــــمرء

أبدي لفاجئة المكـــاره شـــدّةً … لكن تـــهون إذا لهـــا القلـــب

ما هذه الدنيا سوى دار العنا … دار المتاعـــب بالـــمـــــصائب

دار الفناء فلا يدوم نعيمهـــا … دار البلاء فلا تزال بـــها الفتن

دار الغرور وإن زهـــا لـــك … دار الشرور بـــها الشرور على

دار التفاخر والتكاثر بالثرى … دار التزيّن والتحـــسّن بالـــدّرن

دار التعاظم والتظاهر بالـــمرا … دار التقدّم بالحماقة والأَفَـــن[5]

دار التجمل والتباهى بـــالفرا … دار التـــــصنّع والـــــصنائع

دار التطاول والتعالي بالـــذُّرا … دار الترفّع والتمتّـــع بـــالقنن[7]

٣٠/أ

---

(١) – نفيس: نفسي، في (د).

(٢) – الإلّ : الحلف والعهد. لسان العرب (ألل)

(٣) – هواي : هوان ،في (د).

(٤) – (كل) ساقطة من النسخ الأخرى.

(٥) – الأفن : ضعف الرأي . لسان العرب (أفن) .

(٦) – بالفرا: بالعرا، في النسخ الأخرى .

(٧) – والتمتع بالقنن: والقنع بالفتن ، في (د).

دار التباغض والتحاسد في ... لفوات ما قد هان فيها أو وهن

ما نحن إلا عرضةٌ لبلائها ... تتناشنا فيها الخطوب على

غرضٌ لها أبدا وإنّ سهامها ... تترى يفوّقها لنا قوس الزمن(٢)

لم نلق فيها راحةً ومسرّةً ... إلا وقد مُزجت بكدٍّ أو حزن(٣)

هذا هو المعهود من أخلاقها ... في السرّ والمشهود منها في

واضمم لذلك من قبيح ... ما قد طرا لك بالهجا نظما وعَنّ

أملٌ إلى طمع إلى شره على ... جمع إلى حرص يغوّيه الضَّنَنْ

والناس مغرورون في دنياهم ... بقبيح زخرفها المموّه

فتراهمُ حول الغنيّ بماله ... طمعا له كالعاكفين على وثن

إن قال قالوا:الحق قلت ،وإن ... قالوا: أصبت الرأي أنت

فيصدقون مقاله لمكانه ... منهم ويوصف بالفصاحة إن

ويجوّزون محاله ولو انّه(٥) ... يقضى على العنقاء أنّ لها لبن

ناؤون عن ذي الفقر حتى إنه ... لو كان من نسل الحسين أو

وأشدّ ما فيها بلاءً ذو الخنا ... فيها يسود وذو الفضائل ممتهن(٦)

(والحرّ ممتحنٌ بأولاد الزنا) ... فيها فيرمى بالسفاهة والوهن(٧)

والغرّ مرفوع المقام مبجّلٌ ... عالي المراتب بينهم غالي

والشهم مردود المقال مخوّنٌ ... والنذل مقبول المقالة مؤتمن(٩)

٣٠/ب

---

(١) – النتش : النتف للحم وغيره . لسان العرب (نتش)

(٢) – غرض: عرض: ، في النسخ الأخرى.

(٣) – نلق: تلق ، في (د) .

(٤) – مغرورون: مغرون ،في (أ) ، وما أثبته من النسخ الأخرى، لمناسبته للمعنى.

(٥) – وصلت همزة القطع في(إنه) لضرورة الوزن.

(٦) – الخنا: الخفا ، في (د)

(٧) – صدر البيت تضمين لعجز بيت للمتنبي ، وهو مما ينبغي للشعراء أن تنـزهوا عنه لبذاءته.

(٨) – الغر: العز، في (د)

(٩) – النذل: الندل ، في النسخ الأخرى.

حسب البصير بحالها مع أهلها ... ومن استطاب نعيمها ولها استكن

هل نال بغيته وهل دامت له ... هل عاهدتْه على البقا وبـــــها

هي معبرٌ ليست بدار إقامــة ... حتى يطيــب بـــــها قــرارٌ أو

حظ المقيم بـــها المقامُ علـــى ... يعنى به فيما تحرّك أو ســـكن[2]

فأخو الهوى عان برغبته لهـــا ... عنها يغالب نفسه فيمـــا افـــتتن

وأخو التقى عان برغبة قلبـــه ... كَلفُ الفــؤاد بــــها معنّـــى

ولكل حيٍّ صحْبَةٌ معْهـــا إلى ... أمد ويصحبه لفرقتـــها الكفـــن

يا قلب لا تطلب بـــها لـــك ... إلا قيامك بـــالفرائض والـــسنن

وتقىً يقيك من الركـــون إلى ... يهوي إلى دَرَك الحضيض بمـــن

ويقيك شرّ مخادعات رجيمها ... فله كمينٌ بالـــمكائد قد كمـــن

وعليك نفسك خـــذ إليـــك ... عن هوّة الهَلكات وامش علـــى

واصرف هواها عن مـــصارع ... لرشادها واحذر تحلّ لها الرســـن

واستصحب التسليم واتّخـــذ ... بالله عوناً في الإقامـــة والظعـــن

وتـــزوّد التقـــوى لقـــصدك ... في السير فالقصد الوصـــول إلى

١/٣١أ

(١) – (معبر) ساقطة من (ج) و(د) .

(٢) – عنا: العنا ، في (ج) و(د).

وقال – زاده الله من عوارف المعارف وأمدّه ببدائع اللطائف – وقلت :

ليس يجدي المرء أن تبكي	وتفيض الدمع مدراراً جفونه
ليس يجدي المرء أن يبديَ	لهوى قد شبّ في الأحشا
ليس يجدي ذاك من أُشرب	لمَلاه حسُنت فيها ظنونه
ليس يجدي ذاك من عزَّ لديه	حالُ دنيا مَعَها قد حال دينه
ليس يجدي ذاك من قد	لعبٌ من غيّه وهي
إنما يجدي الفتى طول بكاء	من فؤاد طال للقصد حنينه
صاح خذ حذرًا من النفس	خاطبت عقْلكَ ناجاها
واحترس منها فهيْ أعدى عدوٍّ	لك أضحى بين جنبيك
واحتفظ أيّ عدوٍّ لك ثاو	مثلها في شخصك الفاني
واخش من كيد أبي مُرَّة كم	نزغه للشين كيدًا ما
قاطعٌ طرْق الوفا عن سالكيها	كم به ضلّت عن النهج
فيريك الغيّ في قالب رشْد	شبهةٌ حتى يفاجئْك
فاتق الله فإنّ الله قد أوْ	دَعَكَ الإيمان والصدر خزينه
اتق الله وكن خير أمين	ولديك الكنز والقلب
احفظ احفظ سرّ مولاك	بطشه لو أنت في السر تخونه
قف على الحدّ فما جاوز حدًّا	أحدٌ إلا وإبليس قرينه

٣١/ب

وقال – بلّغه الله مآربه ، وصفّى مشربه – وقلت أيضاً :

أبعد الأربعين تكون صَبْوه	لعشق مليحة ولشرب قهوه(٥)

---

(١) – (قد) ساقطة من (د) .

(٢) – (ما) ساقطة من (ج) و(د) .

(٣) – الوفا : لوفا ، في (ج) و(د) . .

(٤) – يفاجئك : يناجيك ، في (د) .

(٥) – (لعشق) مبهمة في (ج) ، وبياض في (د) .

إذا فُقد الشباب فلا تــصاب ... لفاقـــده ولا ميـــلٌ لـــشهوه

وما بلــغ الأشـــدّ المــرء إلا ... تقارب للحُمام ومَــدَّ خَطْــوه

تخلّ عن الخلاعــة والتــصابي ... لتلبس من وقار الشيب كسوه

فأيّام الشباب هــوًى وغـــيٌّ ... وأيام الــمشيب تقىً وســلوه

مضى زمن الشبيبة وهو سُكْرٌ ... فهل لك أن تــرى لــك منــه

فإنّ العمر مثل السيف فاحذر ... عليه بعد هذا الحــدّ نبــوه[1]

وقال – لطف الله به- وقلت أيضا :

خليليّ ما أوهى عــرى صــحبة ... وأوهن من يرجو لصحبتها بقيا[2]

خليليّ ما أعمى البصير بعينــها ... عن الرشد إن أضحى يروم بــها

خليليّ ما أعدى عوادي اعتدائها ... على من يواليها البشاشة في اللقيا

هى الزخرف الغرّار تزهو لناظر ... وفي طيّ ذاك الزهو داهيةٌ دهيــا

هى المبسم الضحاك عن ختــل ... إذا هشّ أبــدى غــدره الحــزن

إذاضحكت أبكت وإن وَعَدَتْ عَدَت ... وإن واصلت أصْلَتْ مواصلها نَأْيَا

٣٢/أ

تلاقي بوجه البشر مغرور بشرها ... فيسعى بـــها للشرّ عــن غَــرر

وتبدي بـــهاء الحـــسن في كـــلّ ... مــموّهةً تسبي بـــــها الأعــين

وتظهر في الحسنى بكـــلّ غريبـــة ... ولكنّها توحى قبائحهـــا وَحْيـــا

فكم خادعـــت بـــالأنس ناســاً ... لهم وحشةً لم تُجْد في دفعها الرقيا

وكم عاملت من ســامها الــربح ... بـــها الربح بالخسران من كيدها

على ذي الحجى أن لايحكّمهـــا ... حجاه ولا ينهى لها الأمر والنَّهْيــا

ولا يقتضي فيها هواه ولايـــرى ... لها في معاناة الزمان اليـــد العليــا

فما هى إلا مركب المبتلى بـــها ... إلى رتبة من دونـــها الرتبة العليا

---

(١) – فإن : وإن ، في (ج) و(د) .

(٢) – وأوهن: ولوهن ، في (د) .

(٣) – فيسعى: يتسع، في (د) .

إلى الله لا ما دونه جلّ قدرةً ومن سار إدلاجاً بها بلغ

وقال – أوصله الله إليه ، وأفاض سحائب المعارف عليه- وقلت متشوقاً :

٣١/ب

نسيم الصبا هل من حديث عن الحبّ وهل خبرٌ عن جيرة البان والشعب[٢]

وهل عُجْت حيث السفح من شعْب وحيث النقا والسيح ذوالمنزل

وهل جزْت وادي المنحنى وعقيقه وبالروضة الفيحاء من موطن القُرْب[٤] [٥]

وهل ملْت نحو الرقمتين وبارق لحيٍّ غدا فرط الغرام بهم دأبي[٦]

فما نسنست من طيب نشرك نسمةٌ تمرّ بهم إلا انتشقت بها طبِّي

فأنت قريب العهد منهم بقربهم وحسبيَ من نجواك ذكرهمُ حسبي[٧]

وأنت أليفى في التصابي وإنَّ لي عليك حقوق الإلف في مذهب الحب[٨]

ألسنا سواءً في الغرام لكوننا عليلين إلا أنني هائم القلب

---

(١) – بعد هذا البيت ترك فراغا لثمانية أبيات حيث وضع فاصلة تفصل بين شطري البيت .

(٢) – البان : موضع الحجاز . معجم البلدان ٣٩٥/١

(٣) – رامة : أرض طيبة التربة تقع غرب مدينة عنيزة بميل نحو الجنوب. المغانم المطابة ص١٦٨

_ النقا :موضع غربي المصلى(مسجد الغمامة) في المدينة يفصل بينه وبين المصلى وادي بطحان.وفاء الوفاء ١٣٢٢/٢

- السيح : اسم لما حول مساجد الفتح غربي المدينة.وفاء الوفاء ١٢٤٠/٤

(٤) – المنحنى : موضع له ذكر في الغزل بأماكن المدينة ، وهو بغرب المصلى شرقي بطحان . وفاء الوفاء ١٣١٤/٤

- العقيق : هو عقيق المدينة ، الوادي المبارك ،وهو أحد أوديتها الثلاثة . المغانم المطابة ٢٦٦

(٥) – موطن: وطن ، في (ب) و(ج) و(د) .

(٦) – الرقمتين : الرقمتان : بحرّة المدينة الغربية ، وهما نهدان من أنهادها ، لونهما أحمر الى الصفرة وتلك الحرة سوداء سميا بذلك .وفاء الوفاء ١٢٢٠/٤

عالج : رمل عالج يقع في طرف صحراء الصمان الشمالي شرق الدهناء. المغانم المطابة ص٢٢٥

بطحان : أحد أودية المدينة الثلاثة وهي: العقيق وبطحان وقناة. المغانم المطابة ص ٥٦

السيح : اسم للموضع الذي في غربي مسجد الفتح ، (وهو الآن حي من أحياء المدينة معروف) . المغانم المطابة ١٩٦

(٧) – نجواك : نحواك ، في (ج) و(د) .

(٨) – أليفي: البغي ، التصابي : التسابي ، حقوق: فنون، في (د) .

ولي فيك معنى يا صبا نجد ما احتوت عليه براعات الرسائل والكتب[1]

فشنّف بذكرى ساكني السيح فذكراهم فيه شفا قلبي الصَّبّ

فهم إن نأوا عنّي بمرعى حشاشتي وترعاهم عيني ويحفظهم لُبِّي

وهم بالحمى المأنوس من أرض طيبة معطّرة الأرجاء طيّبة الترب[2]

مغان بها غرس الغنى يانع الجنى وورد المنى فيها بهم أعذب

أهيم إلى تلك الربوع صبابةً ويصبو إلى سكانها أبداً قلبي

وأشتاق هاتيك المغاني بشمهد كما اشتاق ظمآنٌ إلى المنهل العذب[4]

فبالله يا نشر الصبا هات لي نبا أحباي تشفيني بما عنهم تُنْبي

٣٢/أ

وقال– لطف الله به- وقلت أيضاً وأنا إذ ذاك بمكة المشرفة سنة ١١٩٤هـ أول محرم الحرام، ولما رآها مولاي السيد إبراهيم الأمير أجاب عليها والجواب في ديوان المراسلات:

لو شفا صبٌّ غليلا بالنُّواح أو به داوى شج كَلْمَ جراح[5]

كنت واليت نُواحي أبدا موصلا رأد مسائي بصباحي [6]

واستمدّيت من الورْق له النوْ ح حتى يملأ النَّوح النواحي

إنما حال أخي الحب هوى ما لقلب الصب عنه من براح

فهو يستولي عليه بجوىً يبعث الأشواق كاستيلاء راح

وأنا المشمول من كأس الهوى بشمول شملتني بانشراح

راحة الروح بها في راحة فبروح الراح روحي في

---

(١) – احتوت: احتوى ، في (ج) و(د) .

(٢) – الترب: الشرب ، في (د) .

(٣) – مغان: فعان ، في (ج) و(د).

(٤) – (إلى) ساقطة من (ج) و (د) .

(٥) – داوى: دوى ، في (ب) و(ج) و(د) .

(٦) الرأد : رونق الضحى ، وقيل انبساط الشمس وارتفاع النهار. لسان العرب (رأد)

(٧) – مسائي : صباي ، في (د) .

٣٣/ب

يبسم الكأس بـــها عن حَبَب ... فضح الزهو به نـــوْر الأقـــاحى

كرع الفكر طلاها فاغتـــدى ... يتـــهادى ثمـــلاً في زي صـــاح

يا لأهل العشق عشقى جدّ بِى ... في سبيل الوجـــد مـــن طـــرْق

هـــمت بالوجد وهام الوجد ... فأنا معشوق وجدي في المـــلاح

طاب لي خلع عذاري وصـــفا ... مشربي لــــمّا قـــضى الحـــب

وحلا لي ما صفا من صـــبوتى ... ففـــسادي كـــان لي (عـــين

وتجلّت فى مجـــالى الحـــبّ لى ... عين أشجانى على) وفق اقتراحى

واســـتمالتني إلى مرضاتـــــها ... وأراضت ما أراضت من جماحي

أشهدتني حـــسنها في رونـــق ... باهر أسفر عن وجـــه النجـــاح

والْبَهَـــا أوقفـــني في حـــيرة ... وقفة الطائر مقصوص الجناح[٣]

ظهرت في كـــل معـــنى إنمـــا ... صدّني عـــن دركهـــا حجـــب

ليس لي في كـــشف حجـــبي ... غـــير قرعـــى بالرجـــا بـــاب

واعترافي بـــاقترافي واجتنـــا ... زللـــى مـــن أرض هفـــوي

وقال _حفظه الله _ وقلت أيضاً [٦]:

أيها العاذل كم: عذلٌ ونُصْحُ ... كم يليني منك تعديلٌ وجرْح[٧]

كم تسلّيني عن الحـــب بمـــا ... لست تدريه وكم في الحب تلحو

كيف يسلو الحب قلبٌ عاشقٌ ... كيف سكران الهوى يا صـــاح

---

(١) – البيت ساقط من (د) .

(٢) – ما بين القوسين ساقط (ج) و (د) بسبب انتقال النظر.

(٣) – حيرة : جرة ، في (د) .

(٤) – دركها : كها ، في النسخ الأخرى .

(٥) – قرعي : مرعى ، النسخ الأخرى .

(٦)-هذه القصيدة معارضة لحائية ابن النحاس الشهيرة،التي عارضها كثير من الشعراء. انظر الدراسة ص٢٨٨

(٧) – (كم) خبرية ومن حق ما بعدها الكسر ، لذا يراعى الفصل بينها وبين ما بعدها، وقد تكون (كم) (لِمْ) وهي (ما) الاستفهامية دخل عليها حرف الجر، وهو شائع في ذلك الزمان ، وإن تحقق هذا فهو خطأ من الناسخ لتشابه الكلمتين رسما وتعزيز (كم) التي جاءت في بداية العجز لذلك.

كيف أسلو ولقلبي راحةٌ ... بالذى أهواه لا كدٌّ وكدح[1]

كيف أسلو من سنا غرّته ... ودجى طرّته ليلٌ وصبح

كيف أسلو من صفا وجنته ... جنةٌ يزهو لها بالقلب لفح

كيف أسلو من قنا قامته ... وشبا مقلته سيفٌ ورمح

ما لعينيك لما شاهدته ... فيه من حسن وزين قط لمح

لي شدحٌ في الهوى العذري ... لك في عذلي يا عاذل شدح[2]

كلما أثبتّ في لوح الحجى ... عَذَلاً إني لما تثبت أمحو[4]

إن تقل إنّ الهوى بحرٌ نعمْ ... ولذا طاب لقلبي فيه سبْح

أو تقول الحب شغلٌ شاغلٌ ... فهو رأس المال لي والخسر

إن تعاني القلب بالحب فهوْ ... برء دائى لم ينلْني منه برح[6]

وعنا الحب هناءٌ لا عنا ... وخلاعاتٌ لمن يصبو وشطح

وأنا اليوم ومن أعشقه ... ملء عيني ما له بالوصل شحّ

بتُّ مشتاقاً له وهْوَ معي ... بات ساهى الطرف والشوق

أجتلى مرآه بدراً سافراً ... (والدجى إن يمض جنحٌ يأت

وجهه الوضاح ما أجمله ... في سماء الحسن بادي البشر سمح

أشهد الحسن لمعناه ومَنْ ... فاته الحسن تخطّاه الأصحّ

أنا في العشق مع الحسن أدُرْ ... حيثما دار والحو حيث ينحو

هكذا حالة أرباب الهوى ... طرْقُهم في الحب مثْلاوات

(١) – البيت ساقط من (ج) و(د) .

(٢) الأشدح : الواسع من كل شيء. تاج العروس (شدح)

(٣) – عذلي يا عاذل : عدلي يا عادل ، في (ج) و(د) .

(٤) – عذلا : عدلا ، في (ج) و(د) .

(٥) – الصواب (أو تقل) لأنه معطوف على مجزوم ، ويبدو أن الشاعر تجاهل ذلك ، لضرورة الوزن ، وهو مما لا يباح.

(٦) – برؤ: بز ، في (د) .

(٧) مثلاوات: جمع (مثلى) وهي الطريقة الأقرب للحق،وهي تأنيث الأمثل:ذوالفضل الذي يستحق أن يقال أمثل قومه لسان العرب(مثل)

(٨) – مثلاوات: متلاوات ، في (ج) و(د) .

٣٤/أ

سر علــى ســيري فــسيري ولكلٍّ ثَــمَّ آمــالٌ ونـــجْح
لاتقل قد جهلوا بالحب بــل عقلوا أحلامهم بالحب رُجْــح
خَلِّ عن عذلي فهذا مــذهبي لا تقل داويت جرحاً سالَ جرح
ما لنــا في عــالج أو طلحــه وقفةٌ بل ســيرنا فــوزٌ وفــتح
وإذا نحن افتضحنا في الهــوى واطّرحنا القيد عنّا فهو صُــلْح

وقال- زوّده الله التقوى ، وسقاه من كأسه الأروى – وقلت :

٣/ب

قلبي الــمعنّى الهائم الواجــد الــمستهام الــمغرم الفاقــد
أضحى يعاني وصبات الهــوى وهـــو بــنيران الهــوى واقــد
يغالب الشوق على أنه الـــ ــمغلوب وهو الخافق الراعــد
والشوق غلابٌ علــى أهلــه ومالـــه كـــفٌّ ولا ســـاعد
يا صاحبي إني حليف الــضنى في حالة ســقمى لهــا شــاهد
في لاجب من لوعتي مــا لــه إلا انطلاقي مسلكٌ قاصد[(١)] [(٢)]
لي مهجةٌ حَرَّاء من وجــدها لهــا التــهاباً نَفَــسٌ صــاعد
ومقلـــةٌ ناظرهـــا باهـــتٌ لا راقــد الليـــل ولا ســـاهد
في شبح بــال بــراه الــضنا يكـــاد لا يبـــصره العائـــد
أقطع أنّات الــدجى بالرجــا وقد غفا في نومــه الهاجــد[(٣)]
فينقضي الليـــل ولا واصــلٌ مبـــشّرٌ مـــنكم ولا وافـــد
ولا موافـــــاةٌ تألّفتـــــها منكم يوافينـــي لـــها الوارد[(٤)]
يا حبّذا ما كان عهــدي بــه ياهل ترى ما قد مــضى عائــد
كنتم أُحَيْبَابي بعــين الرضــا تروني مــاذا الجفــا الزائــد

(١) – اللجب : الصوت والصياح والجلبة . لسان العرب (لجب)
(٢) – مسلك: سلك ، في (د) .
(٣) – الدجى: الرجا ، في (ج) و(د) ، غفى : غنى، في (د).
(٤) – تألفتها: بألفتها ، في (ج) و(د) .

أنا على العهد فـلا تنقـضوا | عهدي أعيدوا ما أنـا عاهـد
باق على صدق ودادي لكم | لا راغـبٌ عـنكم ولا زاهـد
راض بمـا ترضـونه سـادتي | فقاربوا في الحـب أو باعـدوا
والله لا أطلـب إلا الرضـا | منكم فـإني بالرضـا راشـد
لا تـهملوا يا سادتي عبدكم | فيشمت الـمبغض والحاسـد
إن تـمَّ لي منكم رضى تـمَّ | يا كلَّ قصدي ما أنـا قاصـد
ذلي علـى أبـوابكم عـزةٌ | يسمو بـها لي الشرف الصاعد
هيْ صلتي منكم وهيْ وصْلتي | إلـيكمُ وَهْـيَ لي العائـد[1]

١/٣٥

وقال – كان الله له – وقلت أيضاً :

أشاطركم صبري الجميل علـى | وأمنحكم ودّي الـمؤكّد بالعهـد
وأبدي لكم من لوعة البين ما به | علمتم وما أخفيه أضعاف ما عندي
وأشهد أنّي في الغرام قـسيمكم | جوى إنـما أمتاز في قسمة الوجد
وإني وإياكم من القرب والنـوى | صدرْنا إلى الأشواق عن مورد فرد
على أنني في حبّكم إلْفُ صـبْوة | أهيم بمعـنى حـسنكم عنـدها
وإن كنتمُ في كلّ عين وحـبّكم | بكل فؤاد كنت كـالعلم الفـرد
أسير مع السارين في كل وجهـة | وفي كل سـيرى نحـوكم ينتـهي
رعى الله أياماً جلت لنـواظري | جمال مـحيّا القـرب كالبـدر في
فكم أرشفتني من مناهل قـربكم | على ظمـأ منّـى كمـا سلـسل
وكم أغدقتني من سحائب برّكم | بمدرار رُحمى غيثها صادق الوعـد
سقت روض إخلاصـي فـأينع | وفاءً بدا من ينعه خالصُ الـودّ[1]

---

(١) – العائد : الفائد ، في (د) .
(٢) – حبكم : الحب، في (ب) و(ج) و(د) .
(٣) – أسير: السير، في (د) ، السارين: السايرن ، في (ج) و(د).
(٤) – السلسل : العذب السهل الدخول في الحلق ، فيقال : ماْ سلسل وخمر سلسل . لسان العرب (سلسل) .

٣٠/ب

وأخصب بعد الـمَحْل سـرّي ... مغارسه شكراً لكم ثمر الحمْـد

وأحمد للأيام حسن صنيعها ... إليّ بما أبدته منكم وما تبدي[٢]

وأشكرها شكر الربا صيّب الحيا ... تعهّدها منه الغمائم بالعهـد[٣]

أياد بها جاد الزمان وكم ترى ... موالاة ذي بخل يجود لـمستجدي

أُحَيْبَاب قلبي لايزال هواكمُ ... مقيمٌ بقلبي في دنـوّي وفي بعـدي

لكم في طوايا القلب منّي منازلٌ ... وأنتم بها في كلّ آونة وفْـدي[٤]

مرابعكم فيها الجوانح فارتعوا ... بأحشاي في ظلٍّ من السحب

لكم من ضلوعي الـمنحنى ... تـهامة واديكم ووادي النقـا

فكونوا كما شئتم فقلبي حماكمُ ... وحبّكمُ ديني وذكركمُ وُرْدي

وقال – لازال معدنا لكل كمال – وقلت :

من صباباتي إلى وجْدي ... سرت من غوْر إلى نجد

ظاعنا والشوق يحملني ... في سبيل الحب للقصد

أقطع الأنّات مستمعاً ... حاديَ الأنّات من

كان زادي في مدارجه ... ذكرَ حيّ البان والرنـد

ودليلي للمرام سنا ... لـمعات البارق

كلّما تبدو لوامحه ... أهتدي معْها إلى الرشد

لي شجوا[ها] إذا ... معْ حنين السحب

لـمعها يحكي تبسّم من ... ثغرها أحلى من الشهد

---

(١) – إخلاصي: افلاحي ، في (د) .

(٢) – صنيعها : ضيعها ، في (د) .

(٣) – الربا : الرصبا ، الحيا : لحيا ، في (ج) و(د) .

(٤) – طوايا : طويا ، في (أ) و(ب) ، وما أثبته من (ج) و(د) .

(٥) – في (أ) و (ب) (من ضلوع) ، وفي (ج) و(د) (في ضلوع) ، وفي حاشية (ب) كُتب ما يشير أن الكلمة (ضلوعي) وهو ما أثبته ، لأنه الصواب إذ تحدث الشاعر عن ضلوعه وحشاشته وقلبه .

(٦) – ومضت: وقفت، شجوا : شجون ، في (ج) و(د) . ولا يستقيم الوزن إلا بما أضيف بين المعقوفين.

٣٦/أ

وحنين الرعد أشــبه بي | في حنيني لحمى دَعْــد
لي بذيّاك الحمــى أربٌ | ما لقلبي عنه من بــدّ(١)
وهوىً في السر مكتــتمٌ | لم أكن قطٌّ لــه أبــدي
لم يزل ذكر الحمى شغلي | وادّكاري أهلــه ورْدي
حي يا غيث الربا عربــاً | بالحمى عهدي بــــهم
حيّهم عني تحيّــة مــن | هو فيهم دائم الوجد(٢)
مغرمٌ ذابت حـــشاشته | من لظى التبريح والصد
دائم الأحزان مكتئــبٌ | دمعه يجري على الخــد
حيّ ساحات لها بــــهمُ | رفعةٌ في ذروة الـــمجد
تربــها بــرء الكلــيم | وجلاء الأعين الرمــد
ماؤها طبّ السقيم شفا | غلّة القلــب الــشجي
وبذاك الحي لي شــجنٌ | همت من وجــدي بــه
بيَ من هام الفؤاد بــها | وغدا عنّي بــها رشْدي
غادةٌ جلّــت محاســنها | ومعانيهــا عــن العــدّ
ذات حسن ما لها أبــدا | في ذوات الحسن من ندّ
ولها عندي بــها شُــغُلٌ | وهي لا تدري بما عندي

٣٦/ب

كم لها أرعــى الــسها | وسمــــيري في الـــدجى
أسأل الركبان ملتمــساً | خبراً عنها مــع الوفــد
أنشق النسمات منتشقاً | طب روحى من صبا نجد
وفــؤادي مــعْ تولّهــه | دونــها في الحل والعقد
مستهامٌ هــائمٌ دنــفٌ | لاعبته للــهوى أيــد
وغرامى فيه معْ ولهــي | زادني وقدا على وَقْــد

---

(١) – بذياك: بدياك ، في (ج) و(د) .
(٢) – فيهم: منهم ، في (د) .

وعيون القلب في نُــزَه من حلا ممشوقة القــد
ومجالي الفكر في مــدد في معاني حسنها الفــرد
ولسان الذكر في عــدد من مثاني سورة الحمْــد
وهي تجلو عين شاهدها بجلاها وهي ليْ تــهدي
وأنا الفاني بــها عــدمًا وفنائي في الهوى وجدي

وقال : وقلت أيضاً :

خطرت مهينمة الصبا النجدي فنشقْتُ نفحة طيبــها النــدّي
خطرت تناجيني وقد عبقــت أنفاســـها بـــالعنبر الـــوردي
يا حبذا النسمات حين سرت سحراً ووافت من ربــا نجــد
وافــت ولي في عرفهــا نبــأٌ من حيّ ذات الــشيح والرنــد
فأثار بــين أضــالعي وَلَهــى وأهاج بين جــوانحى وجــدي
فــأذاب أكبــادي أســىً[1] وأسالها دمعــاً علــى خــدي
وأقـــام قلــــبي في تقلّبــــه بالحب من وقــد علــى وقــد
يا ساكني وادي العقيق أمــا للصدّ والهجــران مــن حــدّ
والله مــا عهــدي بمنــتقض في الحب لو نقض النوى عهدي
يشتاق قلبي للعقيــق كمــا يــشتاق ذو ظمــأ إلى الــورْد
وأحنّ مهما لاح مــن إضَــم برقٌ وزمجــر صــادق الرعــد
وأهــيم في جــيران كاظمــة فأعيد في الأشواق مــا أبــدي
مازلت أنشد كــلّ خافــضة بحمــى الأراك قريبــة العهــد
عن ساكني ذاك الحمى سُقيت منه الــمعاهد صيّب العهــد[2]
وأكابد الأشواق مــن قلقــي وأسامر الأحزان مــن ســهدي
وأسائل الركبان عن شــجني في ذلك المغنى وعن قــصدي[1]

[1] (١) – من هنا خرم في النسخة المصورة من (أ) بمقدار لوحة .
[2] (٢) – عن : من في (ج) و(د) .

أ/٣٧

وإذا حدا الحادي بذكر ربـــا نَعْمَان هـــيّجني بمـــا يُجـــدي

وأقول شنّف مسمعي وأعـــد ذكر الأحبة يـــا أخـــا الـــود

ولعل في الـــذكرى تخبّـــرني ما حال جيران النقـــا بعـــدي

فأنا الـــمشوق المستهام بـــهم في حال تقـــريبي وفي بعـــدي[2]

باق على محض الـــولاء لهـــم صدقا وعهدي في الوفا عهـــدي

٣٧/ب

وقال – منحه الله القبول- وقلت مصدّراً ومعجّزاً :

وحدثتني يا سعد عنهم فزدتني بذكراهمُ شوقاً فزاد بي الوجـــد

وشنّفت سمعي بالذي يـــردف شجوناً فزدني من حـــديثك يـــا

هواهم هوى لا يألف القلـــب وليس لهـــم في غـــير جانبـــهم

وحبّهمُ فـــرضٌ علـــيّ محـــتمٌ ولا قَبْلَهُ قبلٌ ولا بَعْـــدَه بَعْـــدُ

وقال : وقلت أيضاً :

أتراه يسمح باللقـــا لعميـــده عطفاً ويرضى عن أقلّ عبيـــده

ويفي بموعدتي الـــتي عهـــدى كرماً ويكفيني عذاب وعيـــده

ويبيح لي بالوصل جنة قربـــه ويجيرني من حرّ نار صـــدوده[4]

ويعيد موسم لذّتي ومـــسرّتي ويسرّ قلبي مـــن لقـــاه بعيـــده

ويبيح لي نظرا شهود جمالـــه فحياة روحي في الهوى بشهوده

طال النوى وَوَهـــى التجلـــد والصبر قد فلّت جميع جنـــوده

والجسم أخلقه السقام وقـــد جسمى الضنا والسقم في تجديده

والقلب ما بين الجوانح بالجوى حيران يشكو من هجير وقـــوده

تتصاعد الزفرات معْ أنفاســـه حزنا تراها وهي بعض شـــهوده

---

(١) – شجني: شجن ، في (د) .

(٢) – (حال) ساقطة من (ج) و (د) .

(٣) – لهم: له ، في (ج) و(د) .

(٤) – يبيح : يبح ، في (د) .

ما ضر ممتنع الوصال لو انثنى ... مترحّماً للصب قبــل نفــوده

ما رحمة الصب المحــب مــن ... إلا معاملة الحبيــب بجــوده[1]

وقال – سقاه الله من كؤوس المحبة ما ينال به أرفع رتبة – وقلت: [2]

اعدلوا في محبكم أو فجـــوروا ... كيف ما كان فالــمحب صبور

إن وصلتمْ أو إن قطعتمْ فــإني ... في كلا الحالتين عبدٌ شــكور[3]

إن منحت الرضـــا فحـــسبي ... لا أرى غـــيره ولا أســـتخير[4]

شرفي نسبتي إلــيكم وعــزّي ... في امتثالي لــما إليه تــشيروا[5]

حبكم مذهبي وشرعة ديـــني ... صدق ودٍّ به اســـتنار الــضمير

كيف لايؤثر المحب رضـــاكم ... وهو عــذبٌ للــواردين نمــير

سادتي عبدكم نزيل حمـــاكم ... وبساحات سوْحكم مــستجير

مستمدٌ من فـــيض فــضلكم ... ــح ففيض النوال منكم غزير

وقال : وقلت أيضا :

من حمـــى نَــسَّاسَة دام أنيـــسا ... هبّ منشور الصبا النجدي نسيسا[7]

أرّجت أنفاســه الأرجــاء يــا ... طيب ما أهدى إلى النفس النفيــسا

علقــت بالقلــب مــن هبّاتــه ... نفحةٌ لم تُبــق للقلــب نسيــسا[9]

---

(١) – النوى: القوى ، في (د) .

(٢) – انتهى السقط في (أ) .

(٣) – الصواب (في كلتا الحالتين) أو (في كلا الحالين) وهو ما لا يستقيم معه الوزن، وقد اضطر الشاعر لذلك.

(٤) – (أرى غيره) ترك مكانــها بياضا في (د) .

(٥) هنا حذف نون الفعل المضارع (تشيرون) بلا موجب ، وهو مما لا تجيزه الضرورة الشعرية.

(٦) – البيت ساقط من (د) .

(٧) _ النساسة : مكة المكرمة ، سميت بذلك لقلة الماء بـــها. القاموس المحيط (نسس)

والنسيس من (نسنست الريح) إذا هبت هبوبا باردا . تاج العروس

(٨) – منشور: منثور ، في (ب) و(ج) و (د) .

(٩) – نسيس الإنسان : مجهوده وصبره . تاج العروس (نسس)

٣٨/أ

٣٨/ب

جاءني مــن حــيّ ليلــى بنبــا ... هيّج الأشواق والوجــد الرسيــسا

سرّني لــمّا ســرى مستــصحبا ... منهمُ سرّ هــوى يحيــى الرميــسا

ذكّر الــصب زمانــاً بــالحمى ... شملــت فيــه المــسرّات النفوســا

قد تقاضينا الهوى مــعْ حــيّه ... وتغــشّينا الــصبا فيــه لبوســا

ووردنــا مــشْرع اللــهو بــه ... واحتسينا صــفونا لا الخندريــسا

واجتنينا ثمــرات القــرب مــن ... روضة الآمال قد طابــت غروســا

واجتلينا طلعــة الحــسن الــتي ... بــهرت أنوار مرآهــا الــشموسا

طلعـــةٌ ألبـــسها الله البـــها ... وجــلا عنــها بمجلاهــا العبوســا

كل معنى مــن معــاني حــسنها ... خلته أضــحى لقلــبي مغنطيــسا

أنا مجذوب الهوى العــذري لهــا ... فلذا كنت لهــا حبــا جليــسا[1]

كم أفاضــت حبّهــا لي كرمــا ... وأراضت للهوى قلــبي الــشموسا

كم أذاقتني وفــاءً عــن صــفا ... وأحلّـــتنيَ مأواهـــا الأنيـــسا

وســـقتني مــن حميّــا ودّهــا ... خمرةً راقــت أدارتـــها كؤوســا

وأقـــامتني مقامـــاً بـــالحمى ... صرت مرؤساً لها فيــه رئيــسا[2]

كم لها من تحف جــادت بـــها ... لم أكن حيث الرجا فيهــا يؤوســا

منحت من بعــد منــع وكــذا ... حالــة العــشاق ضــراء وبوســا

وقال: وقلت أيضاً :

شَرَكَ الحبُّ بقلــبي وقَـــنَصْ ... فهْـــوَ في أسْـــر الهـــوى طـــير

كلّمــا رام مطــاراً للحمـــى ... أضعف الهمُّ جناحيــه وقــص

يارعى الله فؤادي كـــم لـــه ... في تـــصابيه قـــضايا وقـــصص

وخبايا في زوايا الحـــب لـــو ... إن تبدّت لــجماد لارتقص[1]

---

(١) – مجذوب: مخدوم ، في (ب) و(ج) و (د) .

(٢) – رئيسا: روسا ، في (د) .

(٣) – (في) ساقطة من (ج) و(د) .

٣٩/أ

فتراه هــائم اللــب جــوىً ... دائم الحزن على فوت الفــرص

سائرًا ســيرًا أســيرٌ قيــدُه ... شهواتٌ عذبت وهى غُــصص

يذكر الحــب وهــذا دأبــه ... هذه حالــة نــاء قــد نكــص

فإذا هاج به الــشوق شــدا ... وإذا خامره الوجــد رقــص[٢]

يا لصَبٍّ طــوّح البعــد بــه ... في مهاوي ما له منــها خُلَــص

فعسى تجذبــه مــن حــيّكم ... جذبةٌ تكمل منه مــا نقــص[٣]

جذبة تغنيــه في القــصد إلى ... سوحكم عن عَنَق منه ونَــصّ[٤]

وقال – أفاض الله عليه سحائب الجود والنوال – وقلت:

سقى الربع هطال الغمام بودقه ... ملثًّا يعمّ الربع مدرار غدْقــه[٥]

وقهقه بالبشرى لــه صــوت ... وهشّ له بالومض مبسم برْقه[٦]

وحيّ حماه من شذى مرسلاته ... تحيات نشر طاب نــافح عَبْقــه

حمىً في مغانيه غناي ومنتــهى ... مناي بما للقلب من جمع فرْقه[٧]

ومرْج الروابي فيــه مطمــح ... بــها في زواهيه وناضر بــسْقه

وروح الصبا معراج روحــى ... به ترتقــى قدســاً لــــمقعد

وحسن الصبا منهاج نفــسى ... به تنتهى أنساً لــمظهر رفْقــه

وحي الحمى الأحمــى حيــاتي ... لقلبي المعنّى في الهوى فتق رتْقــه

وساحاته مجرى سوابق صبوتي ... وملهى هوى قلــبي ومــوطن

---

(١) – إن لا مبرر لوجودها ، وإن حذفت اضطرب الوزن ، والبيت هكذا في جميع النسخ واضح الكتابة .

(٢) – خامره: خامر ، في (ج) و (د) .

(٣) – تكمل: يكمل ، في (ج) و(بكل) في (د) ، منه: منها ، في (ب) و(ج) و (د).

(٤) – العَنَق: ضرب من السير، فسيح سريع . النصّ: السير الشديد. لسان العرب (عنق) ، (نصص) .

(٥) – ملثا: مليا، في(ج) و (د) .

(٦) – بالومض مبسم: بالروض بسم ، في (د) .

(٧) – غناي: غنائي ، في (ج) و (د) .

(٨) – معرج: منهاج ، في (ج) و (د) .

٣٩/ب

فكـــم جُلـــت في مـــضماره   بصافن لهـــو لا يـــرام لـــسبْقه

وكم قابلت وجهى الأمـــاني   بوجه سرور ظاهر البشر طلْقـــه

وكم صافحتني للتصابي علـــى   يمينٌ فقابلـــت الوفـــاء بوفْقـــه

وكم غازلتني فيه أجفان عينه   بلحظ سويدائى مواقع رشْقه[٢]

وكم طارحتني الشجو أطيـــار   وهيّج أشجاني صوادح وُرْقـــه

فقمت انتدابا للخلاعة والصبا   مقام عريف بالـــصبا وبحقِّـــه[٣]

نـــهجت طلاباً للصفا بذوي   على صفو سرّ قام قلبي بصدْقه

فأحرزت ما أحرزت منه على   إلى القصد يهديني هواه لطرْقـــه

ووافيت ميقات التداني لقربه   وقلبي من الأشواق دائم خفْقـــه

وفي الجانب الغربي من ذلـــك   بدا لي سنا الإقبال من نـــــحو

وفي طور سينا الفوز بالقرب تمّ   مناجاة سرٍّ وهو في طور صـــعْقه

ولاح لعيني من أحبّ ووجهه   أجلَّ على بدر الـــسماء بأفْقـــه

وما زلت أســـتجلى محاســـن   وأجني معاني الحسن مـــن روض

ويبعثني وجـــدي بـــه فأبثّـــه   جوى في نظام القـــول يزهـــو

وأنظم أبكار البديع لوصـــفه   قلائد ضـــاهى حـــسنها عقـــد

على أنـــني في حبّـــه بجمالـــه   عزيزٌ وفي ذلّ الهوى عبد رقّـــه

وعليها جواب لمولاي إبراهيم الأمير مذكور مع الأصل في المراسلات .

وقال – رفع الله قدره ، وشرح بالقرب صدره – وقلت سنة ١١٩٤هـــ :

٤٠/أ

هل لهذا البعد من أجل   أرتجيـــــه أم إلى الأجـــــل

هل له مَـــدٌّ إلى أمـــد   ينقضى يا غايـــة الأمـــل

---

(١) – ملهى: طهر ، في (د) .

(٢) – عينه: غيه ، في (ب) و(ج) و (د) .

(٣) – بحقه: حقه ، في (ج) و (د) .

(٤) – قلائد ضاهى: فلابد مناها ، في (د) .

آه قد طال النوى عمراً قصرت عن طوله حيلى[1]
ليت شعري هل تعــود لي تلاقيكم وهــلْ وهــل
يا أُحَيْبــابي وحقكّــمُ لم يكن ذا البعد من أملــى
أملي رحمــاكم بــشج مــستهامٌ بــالغرام ملــى
ما له في غيركــم أربٌ لا ولا يجنحْ إلى بــدل[2]
ها أنا الباقى على وهى بكمُ في الحــب مــن أزل
وأنا الفاني بعــشقتكم فاسألوا الآثار تــشهد لي
حافظاً عهد الولاء لكم كيف ما كنتمْ عليّ ولــى
ذكركم ما زال مــلء وبــه عَلِّــى ومنتــهلى
وصــباباتي بحــبّكمُ وغرامى فــيكمُ شــغلى
وشهودي نور حسنكمُ ودواعى ودّكــم نقلــى
وهواكم حليتى ورضا كم جمالي والوفــا حللــى
نسبتي في حبكم رفعت بكمُ خفضى على خللى[3]
فارحموا ذلّي بعــزّكمُ واستروا من فضلكم زللى
وصلوا حبلى بحــبلكمُ توصلوا في الحب منفصلى
وأمــدّوني بــرأفتكم سادتي تشفوا بــها عللى
وانظروا لي نظرةً فعسى تصلحوا يا سادتي عملــى
وإذا كان النوى برضا كان وجه القرب فيه جلى
فالرضا مــنكم بــلا يشمل التفصيل من جملــى
وصــلاة الله دائمــةٌ تتغــشى خــاتم الرســل
وعلى الصحب الكرام للهدى وَالاهُــمُ وَيَلــى

---

(١) – آه : ان ، في (د) .
(٢) – الفعل (يجنح) مجزوم بلا موجب ، ولو استبدلت (لا) النافية بـــ (لم) لجاز .
(٣) – نسبتي: نسبي ، في (ج) و (د) .

مــا شــدت بالأيــك ... ورَقَتْ في غصنها الخــضل

أو شرا بــرقٌ بمغدفــة[1] ... .

وعليها وزنا وقافية جواب لمولاي العلامة السيد إبراهيم الأمير في محلّه .

وقال : وقلت أيضاً سنة ١٢٠١هـــ :

دعوْنِي إلى السلوى العــواذل ... وقالوا إلى كم أنت بالحـــب في

قضيت بــها الأيام صبّا متيّماً ... تسوغ مرارات الغرام وتستحلى

وظَلْت لها في (ضلّة العــشق ... بـــها مستهام القلـــب معتقــل

ودمت لها في) ربقــة الحـــب ... بشوق بلا قرب ووجـــد بـــلا

ولو علموا ما بي من الحب ما ... ولكنهم عمّا أنا فيه في جهـــل

وأنّى لقلبي بالسلوّ وعـــشقها ... بقلبي مستول عليــه ومـــستعل

وما أنا إلا تحت سلطان حبها ... وكم من محبٍّ تحـــت ســـلطانه

قـــضى حبّهـــا أن لا تـــرى ... سلوًّا ولي في حبّها أسوة الـــمثل

أرى عزّتي في ذلّــتي لجمالهــا ... وعزة أهل الحب في موقف الذّل

نعم لا ترى عيني ســواها ولم ... بسمعي للوم في هواها ولا عذل

ولي غيرةٌ منها عليها بأن أرى ... محاذاة ظل العــاذلين إلى ظلــي

وإن أبعدت وصلي وضـــنّت ... فما أوحشت قلبي ولا صرمت

وقال – حفظه الله المتعال- وقلت أيضاً :

جيرة الأبرق حياك الـــسلام ... بتحايا القطر تذريه الغمـــام[4]

وسقى سفحك مـــن مُنْهَلِّــه ... واكف الغيث له فيك انسجام[5]

---

(١) – بمغدفة: بمغدقة ، في (ب) ، و (بمقدمه) في (ج) و (د)، ومكان العجز ترك بياضا في جميع النسخ.

(٢) – بالعذل: بالغد، في (د) ،وقالوا: وقال ، في (ج) و(د).

(٣) – ما بين القوسين ساقط من (ب) و (ج) و (د) بسبب انتقال النظر .

(٤) – بتحايا: بتحيا ، في (ج) و (د) .

(٥) – سفحك: من سفحك ، في (د) .

ورعى منــك بَــوَاد وربــا هى للعـــشاق قــصدٌ ومــرام

جيرة الحى حيــاتي في حمـــى سوحكم لو صحّ لي فيه الــمقام

وربيعى بكمُ في ذلــك الـــ ـــمربع المأهول لــو تمّ التئــام

وشفا داء الجوى من مهجــتي لــو أظلّــتنيَ هاتيــك الخيــام

فهي ساحات بــها الجود وَفَى[1] ظلــها الـــــممدود للوفـــد

حوطةٌ من حَلّها حاطت بــه شفعة الإكرام منكم يا كــرام

أمل الراجى بــها في فضلكم يدرك الراجى به مــا لا يــرام

موئل اللاجى بــــها مأمنــه من نحاها لائــذا لــيس يـضام

لي نـــزوع لحماهــا وهــوىً لفناهـــا وســـكون واهتمـــام

وولـــوع بظباهـــا وجـــوىً لرباهـــا واشـــتياق وهيـــام

وغـــرامٌ كـــامنٌ لكنّمـــا كلّما هبّ الصبا هاج الغــرام

كم لذي الــصبوة في نــشر من شجوٍّ وهى للصبّ الــمرام

يا عذولي في الهوى دعني فلو ذقت ذوقى لم تلم من لا يــلام

لا تلمـــني في غرامـــى إنـــني عاشقٌ معشوقىَ البـــدر التمـــام

كامل الأوصاف لو شـــاهده بعيوني عاذلي في الحـــبّ هـــام

وقال : وقلت أيضاً :

قضى علـــيّ الهـــوى بالوجـــد في حبكم فاقتضى مـــني القبـــول بمـــا

وأنفذ الحب أن أفـــنى بكـــم والحب أنفذ من أمضى ومـــن حكمـــا

وكيف لا أرتضى حكم الغرام بما رأى حيث كان الخصم والحكمـــا

أم كيف تسمح نفـــسي عـــن لكم وذلّ الهوى عزٌّ لـــمن فَهمَـــا[2]

فما أرى عاشقاً قد باع مهجته فيكم بأن يلتقى بخـــسا ولا نـــدما[3]

(١) – وَفَى : وفا ، في الأصل .

(٢) – ذل: ذاك ، في (ج) و (د) .

(٣) – فما أرى : فلما اراه ، في (د) .

ولا مشُوقاً تعنّى واعتنى بكـــمُ بأن يلاقى عنًا في الحـــب أو هَـــضما

ولا محبًّا صفى في الحب مشربه بكم بأن تشتكى الأحشاء منه ظمـــا[١]

بل كان أشهى إليه صفو مورده من ودّكم من تعاطى سلسل ولـــما[٢]

فإنّ مَنْ مات وجداً في محبتكم قد عاش محتفلا بالفـــضل مغتنمـــا[٣]

ومن تمحّض في صدق الـــوداد أضحى به في ذوي الألبـــاب محترمـــا

ألذّ ما في الهوى قلبٌ يميـــل إلى حمل الغرام وجسم يـــصحب الـــسَّقَمَا

ومقلةٌ لا يبيح الحبّ ناظرهـــا بأن يقال بكى طرف الشجى وَهَمَـــى

مع أنني لو أطعت العـــين مـــن بكم لفاض بـــها بحر البكا وَطَمَـــا[٤]

وأعذب الوجد تعذيب الفـــؤاد (وأسهل الشجو للمشتاق ما عظما) [٥]

(وأدوم الحب ما دام الـــمحب بخاطر يحفـــظ الميثـــاق والذِّمَـــــمَا[٦]

ولاعجيب إذا ماهام من شغف في حسنكم قلبي الـــمشتاق واضطرمَا

وإن فنيت بكم وجدًا وفـــرط فذاك عين البقا في الحب لا جَرَمَـــا[٧]

فها أنا الـــمغرم المضنى الولوع فـــلا مـــلال ولاســـلوى ولا ســـأما

عميد شوق وثوقٌ في محبـــتكم لا انحلّ عقد الولا منّى ولا انفـــصما[٨]

باق على ما عهدتم لا أزال بكم على الوفا بـــسمات الحـــب متّـــسما

وقال – لازال في حفظ ذي[٩] العزة والجلال – وقلت مصدّراً ومعجّزاً :

---

(١) – مشربه: شربه ، في (د) .

(٢) – ولما : وكما ،في (د) .

(٣) – (مَنْ) ساقطة مِن (د) .

(٤) – أنني: أين ، في (د) .

(٥) – عجز البيت ساقط من (ج) و(د). .

(٦) – در البيت ساقط من (ج) و(د) .

(٧) – فنيت بكم وجدا: وفيت وجدا ، في (ج) و(د) .

(٨) – عميد: عقيد ، في (ب) و(ج) و(د) .

(٩) – في حفظ: في رحمة، في (ج) و (د) .

غنّ لي باسم من أحب وخَلّى   من محت سلوة الهـوى وَسْـمَ
واهد للسمع لذّة الحب واترك   كلّ من في الوجود يرمى بسهمه
لا أبالي وإن أصاب فـؤادي   رمى سهم العذول عن قـوس
فاعتقادي إذا ذكرت حبـيبي   أنه لا يضرّ شـيءٌ مـع اسمـه

وقال : وقلت أيضاً مخمساً لها :

يا أخا الود دع مرام التسلي   واغتنم لذة الهـوى بـالتملّى
وانتهز فرصة السرور وقل لي   هات لي ذكر من أحب وخلـى
كل من في الوجود يرمى بسهمه
أَعدْ اسم الحبيب فهو مرادي   وارْوه لي بـصحة الإسـناد
إن رموني بلومهم حـسادي   لا أبالي وإن أصـاب فـؤادي
إنـه لا يضـر شيءٌ مع اسـمه

وقال : وقلت مصدراً ومعجزاً لهذين البيتين :

تركت كـل طريـق كنـت   زهداً ويممت وجهى نحو حيّكمُ
وما انتهجت طريقاً للسوى   إلا طريقاً تـؤديني لـربعكمُ(١)
فأنتمُ أنتمُ في القلب وحدكمُ   وما أنا في الورى إلا لكم بكـمُ
فكيف لي بسواكم عنكم شُغُلٌ   وكلّ كلّـي مـشغول بحـبّكمُ
فإن نطقت فلم أنطق بغيركمُ   وإن نظـرت فقيـد الطـرف
وإن أفهْ لم أفهْ إلا بـذكركمُ   وإن سكتّ فشغلى عنكمُ بكمُ

وقال : وقلت : مخمساً للأبيات مع التصدير والتعجيز :

لي مهجة كنت قبـل اليـوم   للحـب في كـل مـا يـضني
ومذ بدت مـنكم الألطـاف   تركت كـل طريـق كنـت

---

(١) – تؤديني: تودني ، في (ج) و (د) .
(٢) – بغيركم: بذكركم، في (ب) و(ج) و(د) .
(٣) – يتلفها: تبلغها، في (د) .

٤٢/ب

زهداً ووجّهت وجهي نحو حيّكمُ

وحقكم وهــواكم للمحــب	لو شعّب الحب لي طرْق الهوى
لــما اتخذتُ إليكم غيركــم	وما انتهجت طريقاً للسوى أبدا

إلا طريقًــا تؤدّينــي لربعكمُ[3]

وقاني الله طول الدهر بعدكمُ	والحمد لله إني صرت عبــدكمُ
قــــصدتكم فغـــدوت الآن	فأنتمُ أنتمُ في القلب وحــدكمُ

وما أنا في الورى إلا لكم بكمُ

حبلي بحبكمُ في الحب متّصل	وليس لي عــنكمُ ســلوى ولا
ما قط يحلو لقلبي دونكم بدل	فكيف لي بسواكم عنكم شغل

وكل كلي مشغولٌ بــحبكمُ

سيري إلــيكم بقلــبي عــين	إليّ والخير لي من بعض خيركــمُ
أشدو اشتياقاً إلــيكم شــدو	فإن نطقت فلم أنطق بغيركمُ[5]

وإن نظرت فقيد الطرف حسنكمُ

أوليتمونيَ من إحسان بــرّكمُ	منائحاً ألهجت نطقي بشكركمُ
فها أنا اليوم في طوعٍ لأمركمُ	فإن أفه لم أفــه إلا بــذكركمُ

وإن سكتّ فشغلي عنكمُ بكمُ

وقال – بلّغه الله الآمال ولطف به في سائر الأحوال – وقلت:[6]

كلّمــا غنّــى المطــوقْ	أَذْكَــرَ العهــد القــديمْ
أو شدا الحادي ورقّــق	أطرب القلب الكليم[1]

---

(١) – ومذ: وقد، في (د) .

(٢) – قددا : قدقدا ، في (ب) و(ج) و(د).

(٣) – تؤديني: تودني ،في (ج) و(د) .

(٤) – (متصل) موهمة في (ب) ، و(مسعل) في (ج) و(د) .

(٥) – أشدو: أشذو ، شدو: شذو، في (ج) و (د) .

(٦) – بلغه الله الآمال ولطف به في سائر الأحوال: بلغه الله من النظر إليه تعالى الآمال، في (ج) و (د) .

أو شرى البرق وأخفــق ... هيّج الوجد الصميم[٢] [٣]

أو سرى الفوج وعبّــق ... أنـــشق الـمـــسك

هكذا من كــان يعــشق ... و لـــه طبـــعٌ ســليم

٤٣/ب

يا رفيق الرفــق أوفــق ... بكْ فوافــقْ يــا حميم

إن تكن ســالي تمعــشق ... وادخــل الحانــه نــديم

واحتس فالكاس قد رق ... مثلمـــا رقّ النـــسيم

فالْمقامْ زاهــي ومُونــق ... أنْـــسنا فيـــه مُقـــيم

وهْــو بــالزهْر مرَوْنَــق ... مثْـــل جنَّـــات النعـــيم

طيره بالــسجع شــوّق ... (لــسماعه مــن يهــيم

ورشا الحيّ الـــمقرطق ... أهيف القـــدّ القــويم[٥]

وجهه البدريّ أشــرق) ... فانجلى الليل البـــهيم[٦]

وابتسم عن ثغر أفــرق ... يخجل العقــد النظــيم

كلمـــا افتـــرّ تـــألّق ... نور مبـــسمه الوشـــيم

كم دواعي يــا موفّــق ... للـــصفا تـــدعو النـــديم

جُلْ معي واركض بأبلق ... لا يزاولْـــه الـــشكيم[٧]

واستجب داعيك والْحَقْ ... تغنم الأنـــس العظـــيم

دعْ قيودك تشهد الحــق ... الـــق حظـــك تـــستقيم

٤٤/أ

وتخلـــــى وتخلـــــق ... وتحلـــــى تـــــستديم

---

(١) – شدا : شذا ، في (ب) و(ج) و (د) .

(٢) – شرى البرق : لمع وتتابع لمعانه. لسان العرب (شري).

(٣) – شرى: سرى ، في (د) .

(٤) – فاجَ المِسْكُ سَطَعَ. لسان العرب (فوج)

(٥) – القُرْطُق: معرّب ومعناه القباء . لسان العرب (قرطق)

(٦) – ما بين القوسين ساقط من (ج) و (د) .

(٧) – بأبلق: بالق، في (ب) .

واجتلى فالحسن مطلــق ... دام في المــرأى الوســيم

واقتف الآثــار تلحــق ... وتكـــن أوفى قــــسيم

وانح بابا غــير مغلــق ... بـــاب مـــولاك الكـــريم

باب من في الجود أغدق ... ولـــه الفـــيض العمـــيم

النبي الهـــادي إلى الحــق ... والصراط الـــمـــستقيم

أحمد الطهر الــمـــصدّق ... صاحب الخلق العظـــيم

وقال : وقلت أيضاً :

لكم في لوى الأحشا حمـــىً عـــامر ... ومرعى بشعب القلـــب روضـــته

وبالـــمنحنى من أضـــلعي ســـوح ... لكم في حمـــى فيحائـــه المجلـــس

مشيتم على فرش الوداد بمهجـــتي ... وسدتم على عرش الوفـــا الأرفـــع

وحليتمُ في موضع مـــن حـــشاشتي ... مصون عن الأقصى مـــن النـــاس

وأحييتمُ ميْـــت الغـــرام بقـــربكم ... وحيّيتمُ قلبي الـــــمتيّم بالـــسكنى

فأنتم بأحـــشائى حلـــولٌ يـــراكمُ ... فؤادي وإن حثّ النوى بكمُ الظعنا

وحقكمُ ما غيّـــر البعـــد حـــبّكم ... ولا صدّعت أيدي التنائى له ركنا

ولا طمحت يوماً لغـــير جمـــالكم ... عيوني ولا استبدلت غيركمُ خـــدنا

ولا ملت للسلوى ولا ملّ خاطري ... هواكم ولا أعقبت صدق الهـــوى

ولكنني باق على حفظ عهـــدكم ... وثوقٌ بأني لا أزال بكـــم مـــضنى

ومن جهتي بعدي وقـــربي مـــنكمُ ... أراقب من هَنَّا رضاكم ومن هَنَّا(٣)

أحـــنّ للقيـــاكم هيامـــا ولوعـــةً ... ولا بدْع إن هام الـــمولّع أو حنّا

وأطرب إن مرّت أحاديث وصفكم ... عليّ فما أحلى الذي مرّ ما أهـــنى

٤٤/ب

---

(١) – المبنى: البن ، في (د) .

(٢) – وبالمنحنى: والمنحنى ، في (ب) .

(٣) – (هَنَّا) كأنـــها مخففة الهمز من (هنّأ) في الحالتين ، وكأن الشاعر يقول: إنه يراقب من هنّأه رضى المحبين ومن وقع منه هذا الهناء وهو المحبين أنفسهم.

وأزداد شوقا كلّما هبّ لي صَـبَا ... مغاني حماكم إن صباحا وإن وَهْنَا[1]
وتذرف هطّال الـمدامع مقلـتي ... فينهلّ مـن جفـنيّ مـا يخجـل
إذا ما شدا الحادي بذكركمُ اغتدى ... له كلّ جزء من متـيّمكم أذنـا[3]
فعطفا على صبٍّ حليـف صـبابة ... ورفقاً وإشفاقاً علـى الـمغرم
فقلبيَ ناديكم ومغـنى ودادكـم ... ومن عادة الـسكان أن يعمـروا

وقال : وقلت أيضاً (عفا الله عنه) :

كم لليلى من عاشق مفتـون ... في حماهـا وهـائم محـزون
ما عسى أن أكون في حـب ... فهي ليلى وما شجوني شـجوني
والـمحبون في هواها كـثير ... إنما دون ذاك أسْـد عـرين[4]
ليس يحظى بذاك من ليس يفنى ... في هـوى ذلـك الجمـال
يا أحباي والـمحبّة عهـد ... للمحـبين أخْـذُه بـاليمين
لو علمتم تـولّهي تعـذروني ... أو شـهدتم تـدلّهي ترحمـوني
أنا في هوّة الهوى ذاهل اللبـ ... ـب ضـجيع الـضنا قـريح
في بلاد قد ضوعفت سـيّئاتي ... في رباها وصرت في قيد هـون
فاسألوا نسمة الـصَّبا عـن ... وانشدوها عن لوعتي وغبوني[5]
فلقلبي في طيّها مـن خفايـا ... صبوتي سرّ وجديَ الـمكنون
صدرت من رحـاب ليلـى ... بثنيـات لعلـع والحجـون
وأمرّت هبوبـها عند مـسـ ... ـراها علـى كـل سـهلها

(١) – البيت ساقط من (ب) و(ج) و (د) .
ـ وَهْنا : نحوٌ من نصف الليل ، وقيل هو بعد ساعة وقيل حين يدبر الليل. لسان العرب (وهن) .
(٢) – جفنيّ: حقي ، في (د) .
(٣) – شدا : شذا ، في (ب) و(ج) و (د) .
(٤) – هواها: هواكم ، في (ب) و (ج) و (د) .
(٥) – نسمة الصّبا : نسهتما ، في (د) .
(٦) – البيت ساقط من (ج) و (د) .

٤٥/أ

وافت الشِّعْبَ في سراها وأجيا   د وأفيـــاء دُوره والحـــصون

والنقا والعقيق والهضب والسا   حات حتى شعابـها والبطون[1]

وانثنت من مهابط الوحي بالآ   ثار يمنـاً بطيهـا الـــميمون

وسرت نحوكم بأطيـب ممـا   سار ساريه في زمـان الظعـون

بعد أن طاف نشرها البيـت   وقـضى حرمـة الـــمكان

ودنا لاَثماً ومـستلماً للـــ   ـحجر الأسود اسـتلام يمـين

واقفاً بالـمقام موقـف ذلي   راكناً عند الركن ثَـمَّ ركـوني

ثم وافى الصفا بمسعاي عـني   قاصداً مـروة الوفـا بـيقين

ثم ما هبّ مـن حمـى حـرم   ـرم إلا بواردات شـؤوني[3]

ناطقـاً في نـاديكمُ بلـساني   معرباً نظـم فكـرتي بلحـوني

معلماً في حمـاكمُ بـهيامي   مفـصحاً عـن ولـوع قلـبي

مخبراً في مقامكم عـن عيـاني   شاهداً نور حـسنكم بعيـوني

معلنـاً في صـبابتي بجنـاني   رافعـاً أمـر صـبوتي بجنـوني

مستمدا لنفحتي مـن أنـيني   مستزيداً مهبّـه مـن حنـيني

هذه حـالتي أروح وأغـدو   لـشمال مـع الهـوى ويمـين

يقذف الصحو بي إلى الـمحو   ـمحو إلى الـصحو هـبّتي في

مع أني في حب ليلـى بحـال   كلمـا انتـهى بـه تبتـديني

وقال — لطف الله تعالى به — وقلت مخمساً :

وقفت بالباب بـاب الفـتح   أرجو نجاح نجاتي من حمى الحرج

فإن ولجت فذا أو لم أكن ألج   لا أبرح الباب حتى تـصلحوا

٤٥/ب

---

(١) — البيت ساقط من (ج) و (د) .

(٢) — نشرها : نشر، في (ج) و (د) .

(٣) — الأكرم: الإكرام ، في (ج) و (د) .

(٤) — مفصحا : مفضحا ، في (د) .

وتقبلوني على عيبي ونقصاني

سعْيي لنحو حماكم سعْي ومورودي لرضاكم ورْد

وقد تفيأت في ظل الوفا فإن رضيتم فيا عزّي ويا شرفي

وإن أبيتم فيا ذلّي وخسراني

وقال – صانه الله عن كل إهمال وإعضال – وقلت سنة ١٢٠١هـ :

دعاها من ملامكما دعاها دعاها حسبةً لا تعذلاها

دعاها حقها أن تدعواها لصبوتها وإلا فاعذراها

دعاها عاذليّ فقد كفاها من الوجد المبرّح ما عناها

أقيما العذر عنها إذ دعاها هوى ليلى وقد لبّت دعاها[٢]

مناها عشق ليلاها وأنّى لها السلوى وليلاها مناها

ولم تعدل بها بدلاً وحاشا يميل بها الغرام إلى سواها

وما رد النفوس بمستطاع لسلواها ولو لَقيَت شقاها

وما نفسي بسالية ولكن هي النفس اللجوج بها

رأت محض الهداية في غواها وراحتها اللذيذة في عناها

قضى شرع الهوى حتمًا عليها بأحكام تقوم بمقتضاها

قضى أن المذلّة فيه عزٌّ لمن يهوى المصونة في

ومن يهوى المليحة لا يبالي بإنفاق النفيس على رضاها

ومن للنفس إن لها نفيسا هي النفس النفيسة في غلاها

ومن لي وهي تهواها محبّيها وترعى من رعاها

فحسبي أن يكون لها فداءً وحسبي أنها قبلت فداها

حماها الله لي نفساً تحامت عن السلوى فلم تطرق حماها

(١) – (سعيي) في (أ) لم يضع نقطتي الياء الأولى، وفي (ب) و(ج) (سعي) ، وفي (د) (سعى) .

(٢) – أقيما : أفيما ، في (ب) و(ج) و(د) ، هوى ليلى: هواملي ، في (د) .

(٣) – اللجوج: الجموح ، في (ب) و(ج) و (د) .

٤٦/أ

فكيف القلب يسلوها وروحي بقبـــضتها وقلـــبي مـــستواها

أنا الصب الــمـــشوق لهـــا بـــها وهى الــمليحة في صباها

أروح بـــها وأغدو مـــستهاما حشاشة مهجـــة بـــاد جواهـــا

أضمّ على لظى شوقي ضلوعاً لواعجـــــه تُقَـــيِّم منحناهـــــا

تصاعد زفرتي من حرّ قلـــبي بأنفاس إذا ما قلـــت آهـــا[١]

سلاها هل دعت بالحب قلبًـــا إليها هل تناســـى أو ســـلاها[٢]

سلاها هل سها عنـــها فـــؤادٌ وقد جذبته أو عنـــها تلاهـــى

وهل كانت محبتـــها شـــنارًا وهل كان الغرام بـــها سفاها[٣]

بلى والله مـــا قلـــبٌ محـــبٌّ لهـــا إلا علـــى قـــدر وجاهـــا

فكم صبٍّ بـــها قد هام وجدًا فتاةَ على الخليِّ بـــها وبـــاهى

محاسنها اقتضت أن لا تُبارى بحسن في الحسان ولا تُـــضاهى

صفاتٌ لا تناهى ليس يحـــصى لها الـــمثني الثناء ولو تنـــاهى

ترى عشاقها بالحب صـــرعى إذا لـــمحت نواظرهم سناها[٤]

وقال :وقلت أيضاً سنة ١٢٠١هـــ:

أترى آن رضـــاها وانقـــــضى رأد

أتـــرى تقـــضى لِيَ من بعد قلاها

أترى ترحم قلـــبي إن قلبي مستواها

أترى تنقذ روحي من معاناة هواها

أترى تجلو بمجـــلا ها عـــن العـــين

أترى بعد التجني والجفا عيني تراها

(١) – قلت: ملت ، في (ج) و (د) .

(٢) – إليها: الـــها ، في (ب) و(ج) و (د) .

(٣) – سفاها: سقاها ،في (ب) ، و(سناها) في (د) .

(٤) – لمحت: لحب ، في (د) .

(٥) – رونق الضحى ، وقيل انبساط الشمس وارتفاع النهار. لسان العرب (رأد)

٤٦/ب

طال عمر الـــبين	مهجــــــــتي زاد
آه كم أشكو إليها	شقّةً طال مداها
آه لو ينفع صـــبًّا	في هواها قـــول
كلما قلت تناهت	قيل هذا مبتداها
فإلى كم أترجّـــى	وعْدها لي بلقاها
وإلى كم أتناســـى	عنــــه أو كـــــم
لست أنساها ولا	ألهـــو إلى شـــيء
فـــسناها نـــصب	وجلا عيني سناها
ورضـــاها قـــوت	ومناها مشتهاها
وهواها ملء قلبي	وأنا عبد هواها[1]

وقال– لازال محروسا بعناية ذي الجلال[2]–وقلت مجيباً لمولاي السيدحسن البار[3]:

خطرت في غلالـــة سندســية	وتثنّـــت بقامـــة ســــــمهريّه
وتجلت بمنظـــر يخـــضع البـــد	ر لديـــه في الليلـــة البدريـــه
عجبٌ قد تبلجت وهي شمـــسٌ	في ليالي فروعهـــا الحندســـيه
زانـــها الله طلعةً جمعت شمـــــ	ـــل جميع المحاسن اليوســـفيه
قدّها الغـــصن أثمـــر الزيــــ	ـــن والحسن ثمارًا للعاشـــقين
مخضل العطف مورقٌ بمعاني الـــ	ـــلطف بادي الترافة الغزليـــه
ورنا طرفها الكحيـــل لـــه في	كـــل قلـــب فتـــك الظبـــا
غـــازلتني جفونـــــها بفتـــور	سحرتني ألحاظها البابليـــه[4]
أرسلت للفـــؤاد منـــها نبـــالاً	صيّرت مهجتي بـــها مدميّـــه

(١) – البيت ساقط من (ب) و(ج) و (د) .
(٢) – لازال محروسا بعناية ذي الجلال: رحمه الله ، في (ج) و (د) .
(٣) – لم أجد له ترجمة.
(٤) – ألحاظها: لحاظها ، في (ب) و(ج) و (د) .

٤٧/أ

٤٦/ب

ثم هشّت بمبسم يخجل العقـــــ ـــد نظاماً حبّاتــه اللؤلؤيـــه

فسرى لي من نحوها نشر بـــشر فاح لي منه نفحةٌ عبهريـــه[1]

جبرت بابتسامها صدع قلـــب جرحته سهامها الـــــمبريه[2]

وبدا لي منها الرضا بعد سخط والإشارات عن رضاها جليـــه

وهـــــداني جمالهـــــا لهواهـــــا وهواها الــــمرام والأمنيّـــه

فأنا العاشق الولـــوع ومـــا لي في سواها في مذهب العشق نيّه

وإذا كنت عاشقا كـــن أصـــمّ ـــع عن ما تقولـــه العاذليـــه

واخلع العذر والـــبس الوجـــد هو أولى بوصـــفك العاشـــقيه

عذر الناسكين عنها وجـــارى ـــب سبقًا في الحلبة العذريـــه

أحسن القصد في السلوك إليها وامتط الصدق للنجاح مطيـــه

فمرام النـــهى الـــدنوّ اليهـــا فانـــهض انـــهض بـــــهمّة

أنت في صحبة السلامة ســـيرا وتنـــال الكرامـــة الأحديـــه

وقال أيضا– أفاض الله من فيوضات الكمال عليه فيضا[3] – وقلت:

هواكم مرامـــي لا ســـعاد ولا وحبّكمُ الـــمقـــصود لا الـــشادن

وأنتم مُنى قلبي وبغية خـــاطري ومرجع آمالي وغاية مـــا أهـــوى

أهيم بكم وجداً وأخفي صبابة حياء ولا أبدي لكـــم في الهـــوى

وما ثَمَّ شكوى مـــنكمُ حيـــث أفادنـــيَ الحسنى ولكنَّها شـــجوى

منحتم فؤادي مـــن عنايـــات مزايـــا سمـــت بي في الفخـــار إلى

وأوليتموني من خبايا اتّحادكم صنائع برٍّ قلَّ عن وزنـــها رضوى

فكيف أُرَى أنّي مللت هواكمُ وكدّرت بالسلوى صـــفا المنـــهل

---

(١) – فسرى: فسرت ، في (ب) و(ج) و (د) .

(٢) – جبرت: خبرت ، في (ج) و (د) .

(٣) – في (ج) و(د) (أفاض اله على ضريحه شآبيب رحمته) .

(٤) – سمت: لحت ، في (د) ، الفخار: الفخا ، في (ج) و(د) .

وكيف يميل القلب عن حبّكم أنطت فؤادي من عرى الحب بالأقوى

بلى إنني باق على الحبّ والولا مقيمٌ على الإخلاص في السرّ والنجوى

وحاشا ودادي فيكمُ أن يشوبه قذى ملل أو تعتريه يد السلوى(١)

أقمت على دعوى غرامي فيكمُ براهين وجد خقّقت خافي الدعوى

وقمت لكم عبداً بموقف ذلــتي ولا ذلّ في حب الكـــرام لـــــمن

وأمسيت في نـــهج الــــمحبة طريق هدى قلبي لغايتها القصوى(٣)

فها أنا عبدٌ خاضعٌ لجمـــالكُم عبوديتي لا شك فيها ولا غـــروى

وقال : وقلت سنة ١٢٠١هـــ:

حمامة فيمَ النوح منك ولا شكوى لبعد حبيـــب منـــك قـــد فـــارق

حمامة فيمَ النوح إلْفُك حاضـــرٌ وإلفيَ ناء والنوى غايـــة البلـــوى

حمامة لا عـــينٌ عليـــك رقيبـــةٌ ولا عاذلٌ يدعو هواك إلى السلوى

حمامة ما نوحي كنوحك في الهوى سواءٌ ولا تـــهوين مثلي كما أهوى

حمامة ما بـــيني وبينـــك نـــسبةٌ فنوحيَ عن شكوى ونوحك عـــن

٤٠/ب

وقال- تقبّل الله منه(٤) –وقلت مادحاً ومتوسلاً بالعارف بالله السيد جعفـــر ميرك(٥)(رضي الله عنه نزيل الشبيكة) (٦) :

بساحة الجـــود قـــد أنزلـــت أرجو النجاح لها مـــن فـــيض

---

(١) – ملل: هل ، في (د) .

(٢) – يهوى: تـــهوى ، في (ج) و (د) .

(٣) – نـــهج: جنح ، في (ج) و (د) .

(٤) –في (ج) و(د) (سامحه المتعال) .

(٥) – يذكر السنجاري في كتابه (منائح الكرم في أخبار مكة وولاة الحرم) ضمن أحداث سنة ١١٢٤هــ تحركات شريف مكة الشريف سعيد، فيذكر أنه في سبع وعشرين من ذي الحجة من السنة نفسها ركب وعزم إلى السيد جعفر ميرك ووادعه ، ثم توجه لإبعاد الشريف عبد الكريم .... ، ونستنتج من ذلك أن للسيد جعفر ميرك مكانة كبيرة عند شريف مكة. منائح الكرم٥/٥٣٦

(٦) – مابين القوسين زيادة في (ج) و (د) .

وقد حَطَطْتُ قلاصى في حمى أبغـــى الكرامـــة مـــن أهـــل

حمىً يؤمّ فناه الوفد يلـــق بـــه رفْداً فيرجع وفْراً بالـــمبرّات[2]

وباب فـــتح لـــــمن وافـــاه نيـــــل الـــــــمراد وإبعـــاد

ومعهدٌ عهد القصّاد ســـاحته مأهولةٌ بفيوضـــات العنايـــات

بـــها ضريح الوليّ القطـــب بحر الوفاء وينبوع الـــموالاة[4]

صدر الولاية بل عين العنايـــة نور الهداية بل سرّ الإشـــارات

وقال : وقلت – أيضاً- ممتدحاً ومتوسلاً بفسيح الحمى سيدي عفيف الدين عبد الله بن العباس رضي الله عنهما :

رحاب الحمى حيّتـــك مرســـلة تحيات مزن وبْلها واكـــف القطـــر

وَوَافتْـــك نـــسمات الأصـــائل وفيّات نَشْر نفحها طيّـــب العطـــر

فكم للمعنّى فيك معـــنى صـــبابة أراقبه ما طال في صـــبوتي عمـــري

وكم لي بساحات الحمـــى مـــن خبايا غرام في زوايا الهوى العـــذري

شجونٌ بـــها قلبي الـــمتيّم مولعٌ تعهدتـــها في الحب من مبتدا أمري

وما زلت مـــن إذ ذاك في ربقـــة على حفظها لم يمحها البعد من سرّي

ولا برحت من حينئذْ إلْفَ الصبا فؤادي لها في سوحه مركـــز الـــسرّ

لبانات شوق تـــستفزّ حـــشاشتي ولم يخل من تصويرها أبـــداً فكـــري

قديم بـــها وجدي وكم رمـــت زماناً ولكن حال من دونـــها قصري

ولـــمّا قضى لي سرّها باقتضائها سرى بي إليها الشوق من حيث لا أدرى[5]

وآن لها آن الـــسرور وضـــمّني إليها الشجى ضم الحبيب إلى الصدر

---

(١) – حططت: خططت ، في(ب) و(ج) و (د) ، قلاصي: فلاحي ، في (د) .

(٢) – وفرا : وفدا في كل النسخ ، وما يحتمله السياق هنا هو ما أثبتناه .

(٣) – وافاه: وفاه ، في (أ) ، وما أثبته من النسخ الثلاث الأخرى لأنه الصواب .

(٤) – الموالاة: المولات ، في (ج) و (د) .

(٥) – سرها: مرها ، في (ج) و (د) .

٤٩/أ

وما شجني الـــمغنى ولا القـــصد ... ولا ولعي بالروض منـــها وبـــالزهر
وليس اشتياقي للنوادي وللحمى ... ولكن إلى حامي الحمى البطل الحـــبر
إلى الـــملجأ الأحمى إلى مـــوطن ... إلى الـــمنـــزل الأسمى إلى شـــامخ
إلى معدن الجود العفيف إلى الندى ... إلى منبع العلم الشريف إلى البحـــر
إلى أوحد الناس ابن عباس الذي ... كراماته جلّت عن العـــدّ والحـــصر
كريمٌ إذا ما أمّ جـــدْواه قاصـــدٌ ... (يؤوب مليّا بالغنى فاقد الفقـــر)[1]
(عظيمٌ عزيز الجار من يستجر به) ... يَعُدْ في جلال من علاه وفي نـــصر[2]
نعم يابن عم الـــمصطفى أنـــت ... إلى الـــمصطفى الـــــمختار أحمـــد
وباب وصولي والوسيلة أنـــت لي ... إلى أكرم الخلق الـــمشفّع في الحشر
لجأت إلى عليا جنابـــك لائـــذا ... وقد دهمتني بالكروب يـــد الـــدهر
وقابلني جيش الخطوب مقـــابلاً ... فوادحه نحوي وبالَغ في كـــسري[3]
وليس لـــما قد نابني ما ادّخرتـــه ... سواك وحسبي أنت يا سيدي ذخري
فإنـــيَ قد وجّهت وجه مقاصدي ... إليك لعلمـــي أن تلاقيـــه بالبـــشر
وأنزلت حاجاتي ببابـــك موقنـــا ... بأنك من أهـــل المكـــارم واليـــسر
ألا فانجد انجد مـــستغيثا وطالبـــا ... بسوحك يستجدي نداك ويستقري
أغثني فقد ضاق الخناق وجلّ مـــا ... دهاني وعزّت طاقتي وانقضى صبري
فأنت خبيرٌ بالذي في ضـــمائري ... وفي غنية عن شرح ما كنّه صـــدري
فإن نلت نجحا منك فيما التمسته ... فبابك أحرى باليسار لـــذي عـــسر
فإن عدت في أهلي وصـــحبي ولم ... نجاحاً فما عذري إليهم فما عـــذري
يقال وردت البحر ماذا استفدته ... أفدنا وحدّث يا فلان عـــن البحـــر
وحاشاك أن ترضى إذا قيل لي ولا ... أعيد جواباً شاهداً لي على جـــبري

٤٩/ب

(١) – عجز البيت ساقط من (ج) و (د) .
(٢) – صدر البيت ساقط من (ج) و(د) .
(٣) – فوادحه: قوادمه ، في (ج) و (د) .

بلى إنّ عَوْدي أحمدٌ بك والثنـــا … عليك جميلٌ والجواب لهم شـــكري

عليّ لك الطولى لـــما نلت مـــن … وشاهد حالي منـــك كالـــشمس في

نظمت القوافي في علاك قلائـــدا … تفوق على حسن القلائد في النحـــر

وقد زانـــها من نـــور مـــدحك … وحسنٌ فأزرى نورها بسنا البـــدر[٢]

على أنـــها مـــن خـــاطر قـــد … قريـــحته عن عدّ ما لك من فخر[٣]

ولو أنني أذكيت جذوة فكـــرتي … وصغت بديع القول بالنظم والنثـــر

ورمت بـــها استيفاء ما لك مـــن … لرُدّت ولم تُوفيك واجبـــة الـــشكر

ولي ثقـــةٌ في فـــضلك الـــجَمّ … ستلقى قبولاً من مكارمـــك الغُـــزر

ويحسن نظمي في عـــلاك بختمـــه … بذكر ختام الرسل من جاء بالـــذكر

٥٠/أ

محمد المختار من نـــسل هاشـــم … أجلّ الورى قدراً وناهيك من قـــدر

عليه من الـــمولى صلاتُ صَلاته … وتسليمه الـــموفور ما غرّد القُمري

مع الآل والصحب الكرام أولي الحجا … نجوم الهدى ما انـــهلّ غيثٌ علـــى

وقال – بلغه الله الأوطار[٤]- وقلت أمدح بعض السادة من آل البيت الأطهار:

هذا مقام التجلّي مركز الشرف … فاشهد به نور سرّ القرب واعترف

وسرْ فقد لـــمعت نور الهـــدى … من طور سينا الوفـــا أســـرع ولا

وحثّ منك مطايا العزم مقتبساً … من نور جانبها الغربيّ واعتكـــف

وادنُ إلى حـــضرة التقـــديس … تسمعْ مناجـــاة داعـــى الـــشوق

داع يناديك للتقريب فاصـــغ … يقوله بلسان الحال وانعطـــف[٦]

أقبلْ فإنك بالوادي المقدس يـــا … موسى الغرام بلغت الأمن لا تخف

---

(١) – عليّ لك: على بابك ، في (ج) و (د) .

(٢) – من نور: من نوم ، في (د) .

(٣) – خاطر: خطر ، في (د) .

(٤) – في (ج) و(د) (رحمه الله تعالى وأدام رحماته عليه ووالى) .

(٥) – وادنُ : وادنوا ، في جميع النسخ ولا وجه لذلك، ولعل الصواب ما أثبته .

(٦) – داع: دع ، في (د) ، يناديك: بناديك ، في (ب) و(ج) و (د).

هذي مقالة حال إن أصخت لها	أضـــحت حلاوتـــــها للـــسمع
وقم على قدم التجريد منتهجا	إلى الـــمرام طريقاً غير منحرف[1]
وخفّ في سيرك الأثقال عنـــك	فاز الـــمخف وأخطا الفـــوز ذو
وانف الشواغل تنجـــو مـــن	وتحتظـــى مـــن كنـــوز القـــرب
وانـــهض إلى كعبة التوحيـــد	يا صاح ملتزماً من سوحها وطف
وأمّ مـــــشرعها الــــــمورود	وإن حلا لـــك منـــها الـــشرب
فثمَّ تبلغ غايات تنـــال بـــــها	من العنايات وعدًا عند خـــير وفي
وكيف لا ولهذا العقد واســـطةٌ	هو الوسيلة للأسلاف والخلـــف
فمن توسّلها نال الوصول بـــها	حقاً إلى ساحة الغفران والزلـــف
محمد الـــمصطفى الــــمختار	ختام سلسلة الأرسال والـــشرف
صلى عليه إله العرش ما طلعت	شمسٌ وما أعقبتها ظلمة الـــسدف
والآل أهل التقى والـــصحب	أكرم بـــهم من وفيٍّ منهمُ وَصَفيّ

٥٠/ب

وقال : وقلت هذه القصيدة الحميني[3] وأرسلت بـــها للسيدين الجليلين مولاي الـــسيد حامد ومولاي السيد علي أبناء البار مستمداً ومستنجداً :

---

(١) – التجرد للأمر : الجد فيه. لسان العرب (جرد) .

(٢) – من كنوز القرب: منه كفوز لقرب ، في (د) .

(٣) – الحميني شعر عامي نجد هناك خلافا عند من تعرضوا له، فمحمد سعيد كمال في كتابه(الأزهار النادية من أشعار البادية) يجعل لفظة الحميني مرادفة للشعر العامي المختلف في لغته وأوزانه عن الشعر الفصيح، ويرى ذلك الدكتور عايض الردادي، فيذكر أن الموسوي صاحب كتاب (نزهة الجليس) مدح الشريف باز بن شبير النموي بقصيدة من الحميني، مع أننا نجد قصيدة الموسوي تختلف عما أطلق عليه البيتي شاعر المدينة المنورة في القرن الثاني عشر الهجري شعرا حمينيا، ونجد الموسوي يطلق على هذا النوع من الوزن(الحميني الهذلي) مما يدل على أنه نوع خاص من الشعر العامي، أما ما أطلق عليه الحميني في المدينة، فما زال ينظم به نوع خاص من الشعر العامي في المدينة المنورة وضواحيها الغربية يسمى عندهم(الكسرة) وجمعها (كسرات). انظر: الأزهار النادية من أشعر البادية لمحمد سعيد كمال، ط ٧، ١٤٢٢ هـــ مكتبة المعارف، الطائف ص١/٨ ، الشعر الحجازي للدكتور عايض الردادي ٢/٨٧٦ ، نزهة الجليس للموسوي ١/٢٨٦، الأدب الشعبي في الحجاز، عاتق بن غيث البلادي ص ٢٥

يا نسيم الصبا حيِّيت حيّ المعاهــد   تحيتي يـا نـسيم

حي حي الحمى عن صب مفتــون   في حـــب ظـــبي

بلّغ أُحَيْباب قلبي من لهم فيّ شاهد   عهد الوداد القديم

بلّغ السادة الغرّ الكرام الأماجــد   سكّان وادي تريم[(٢)]

بلّغ القادة الصيد الأجلا الأســاند   أهـــل الـــمقام

قم مقــامى بإخلاصــى لهــم في   لكـــى تكـــون لي

واســتقم واقفــاً عنّــى وقــوف   تلقـــى الوفـــا

وانشد أخبار أشواقى إليهم قصايد   بـــصوت مطـــرب

واشهد أنـــوارهم وانظـــر بعـــيني   ذاك الجمال الوسيم

واستمد الصلات الكاملة والعوايد   منهم تفز بـــالنعيم

واستفض من مكـــارمهم فيـــوض   فالكل منهم كـــريم

هم غيوث الورى والغيـــث عنـــد   والخير فيهم عمـــيم

هم وسايل إلى الزلفـــى وأســـنى   وهـــم شـــفاء

هم وسايط نظام عقـــد الـــشرف   اكرم بعقد نظـــيم

فخر ظاهر وما له في الـــملا قـــط   نسل النبي الكـــريم

سيّما منهم الـــمولى علي ثم حامد   كرام ابـــني كـــريم

هم بني البار أهل البر أهل المحامـــد   أهـــل الكمـــال

هم أُحَيْباب قلبي كم وردنا موارد   بـــهم صفت مـــن

حيث غصن الصبا ريان بالـــصفو   وروح عرفه شميم[(١)]

---

(١) – الصريم : العريم ، في (د) .

(٢) – تريم : اسم إحدى مدينتي حضرموت (شبام وتريم) . معجم البلدان ٢/٣٣

(٣) – البيت ساقط من (ج) و (د) .

(٤) – لكي تكون: كي تكن ، في (ج) و (د) والشعر حميني لا يعتد بقواعد النحو.

(٥) – الموادد: الوداد ، في (د) .

(٦) – وهم: هم ، في (ب) و(ج) و (د) .

٥١/أ

والمحبة كما هى والضمائر شواهد	**صراطها مـــستقيم**
حيهم يا صبا واخبر بماذا تـــشاهد	**من حال جـــسمى**
ها أنا اليوم نقطة في محيط النواكد	**حيران خطبي جسيم**
كل ســاعة لنفـــسى فيّ نــصب	**وأين منها الــسليم**
صار عيشى بــها مكدود دهري	**وماء شربي وخــيم**
إنما أرتجى الامداد منكم يــساعد	**وإن الرجـــــا في**
إن قضى لى بــه ربى صــفت لى	**(وانجـــاب ليلـــى**
(وانجلت لي وجوه اللطف في كل	**وتـــمّ فتح عظيم[٤]**
الله الله في عبد قضى العمر شـــارد	**عـــن نـــــهجه**
ما له غير محض الحب والله شـــاهد	**وهو بـــهذا علـــيم**

٥١/ب

وقال –رحمه الله تعالى- وقلت مادحاً المرحوم يوســـف قابـــل[٥]،وذلـــك ســـنة ١١٨٤هــ :

نــهاية ما تـــهوى القلوب المآرب	**وغاية ما تبغى النفوس الرغائـــب**
وأقصى أماني كل نفـــس عزيـــزة	**طـــلاب الــــمعالي والــــمعالي**
وما كل من رام العلا يبلغ الـــمنى	**ولا كل من نال الـــمنى هو غالب**
وكم طالب بالكد مجداً وســؤددا	**وكم سيّد تسعى إليـــه المطالـــب**

---

(١) – وروح: روح ، في (ج) و (د) .
(٢) – إنما: أنا ، في (ب) و(ج) و (د) .
(٣) – العجز ساقط من (ج و(د) .
(٤) – الصدر ساقط من (ج) و (د) .
(٥) – يذكر أحمد السباعي في كتابه (تاريخ مكة) أن يوسف قابل كان يتولى وزارة جدة ، فأراد شريف مكة أحمد ابن سعيد عزله ، وأرسل أمرا بذلك ، فبادر الشريف سرور ليخبر الوزير بنية عمه واتفق معه على المناصرة لعزل عمه الشريف أحمد والتولي مكانه ص ٤٤٠ . ويذكر عبدالله عبد الشكور في كتابه (تاريخ مكة المكرمة) أن يوسف قابل لبس ثوب الوزارة سنة ١١٨٧هــ ، ولبث فيها أربعة أشهر فطالبه الشريف سرور بمال فامتنع فعزله وولى مكانه عبد والده (ريحان آغا). ص٢/٤٢
(٦) – مطالب: طوالب ، في (ج) و (د) .

فهل يتساوى الفضل في أمْجَـــدَيْ إذا كان مخطوبا وهـــذاك خاطـــب

وما الـــمجد والإقبال إلا لواحـــد له فوق هام الفرقدين مراتـــب[1]

هو الأوحد المشهور في الناس فضله وأخلاقه الغرّ الحـــسان الأطايـــب

هو الأمجد المشكور في كلّ حالـــة هو المختشى المرجو راض وغاضب

هو القمر البدري من أشرقت بـــه سماء العلا وانزاح عنها الغياهـــب

هو الشمس فخراً والأكابر أنجـــمٌ وهل في وجود الشمس تبدو الكواكب

له همة تـــدني لـــه كـــلّ مقـــصد ورأي ســـــديد في الـــــــمهمّات[2]

وعزمٌ لديه صـــاغرٌ كـــلّ هائـــل وحزمٌ لديه تضمحلّ الـــصعائب[3]

ينبِّئُه عـــن منتـــهى الأمـــر رأيـــه ويخبره عن ما ســـيأتي التجـــارب

فما نال منه حاســـدٌ قـــط بغيـــةً وكم خائن يبغى الردى فيه خائب

وما هـــو إلا في ســـرادق رفعـــة رؤوس الأعـــــــادي أرضـــــــها

ولا بعده عـــن داره حطَّـــةً لهـــا ولكـــن بـــــها يعلـــو وتعلـــو

فإن غاب عنّا شخصه فهو حاضرٌ بأحشائنا والذكر في النطق راتب[4]

وإن عاد عاد الـــمجد في مستقرّه وإن غاب هذا الفـــرد فالـــــمجد

وما جدّةٌ إلا غـــدت بعـــد عينـــه رسوماً محاهـــا بُعْـــدُه والمـــصائب

فلا تنكروا تغييرهـــا عنـــد بعـــده فجسمٌ بغير الروح لا شكّ عاطب

ولا تسأموا إن حط في سوحها الردى وطنّب فيهـــا للـــهموم مـــضارب

لقد صاح فيها ناعق البين فاغتدت تنوح النواحى والنوادي تجـــاوب

يرى الناس منها خارجٌ فوق نعشه وآخرُ موثـــوقٌ وآخـــر ذاهـــب

ولم يبق فيها غـــير بـــاك ونـــادم ومستسلم ضاقت عليه الـــمذاهب

٥٢/أ

---

(١) – المجد : الجد ، في (د) .

(٢) – سديد: يسديه، في (د) .

(٣) – البيت ساقط من (ج) و (د) .

(٤) – عنّا: عنها، في (ج) : منها ، في (د) .

وغالب من فيها يرى لك شخصه ... ولكن إذا أمْعَنْت فالعقل عازب[1]

ولم تــــر إلا غمـــــةً مدلهمـــــةً ... علي غمة منها تـــشيب الـــذوائب

وإن ترَ لم تنظر ســـرورا ولا هنـــا ... ولــــيس بــــــها إلا الخطــــوب

وكلّ فتىً فيهـــا يناشـــد نفـــسه ... يبيـــت يعزّيهـــا بـــه ويخاطـــب[3]

مصائب شتى جـــمّعت في مصيبة ... ولم يكفها حـــتى قفتْهـــا مـــصايب

تـــملّكها من ليس يعرف أهلـــها ... ولا نفسه هل مـــصلحٌ أو محـــارب

تولّى رقاب الناس قهـــراً وعنـــوةً ... فمـــا هـــو إلا ناهـــب الـــــمال

وأسلمها من ليس يعـــرف نفـــسه ... ويجهل أن الجهل فيها مـــصاحب[5]

ولم يدر مـــا إصـــلاحه وفـــساده ... ولم يدر ما خسرانه والـــــمكاسب

ولم يدر أن الـــمجد في غير أهلـــه ... مقـــام دنِيء والــــــمعالي مثالـــب

توالت بـــها الأحزان بعد امتناعها ... فباب الرزايا ما له اليوم حاجـــب

فمن كان فيها آمناً صـــار خائفـــاً ... ومن كان ذا عزٍّ ذلـــيلاً يراقـــب

ومن كان مخذولاً غـــدا متنـــصّراً ... ومن شأنه الإقعاد فـــاليوم واثـــب

زمانـــهمُ خال عن الخـــير جـــامعٌ ... لكـــل قبـــيح للبليّـــات جالـــب

وما هو إلا عـــام ســـوء كلجّـــة ... يعوم به الأوغاد والشهم راسب[6]

فما ذلك السر الذي كان حكمـــةً ... وموعظةً منها تلـــوح العجائـــب

وأين الذي قد كان ذخراً وملجـــأً ... وكهفاً لـــمن أمّت إليه النوائـــب

وأين الذي قد كان بالناس مشفقاً ... كأنّ لـــه كـــل الأنـــام أقـــارب

وأين الذي يعفو عن الخصم قادراً ... ويصفح عن أعدائه وهـــو غالـــب

٥٢/ب

---

(١) – يعزيها : ويعزيها ، (ب) ، وبدون نقط في (ج) و (د) .

(٢) – الشطائب: الشدائد. القاموس المحيط (شطب).

(٣) – أنني: أين ، في (د) .

(٤) – ناهب: ناصب ، في (ج) و (د) .

(٥) – مصاحب: مصايب ، في (ب) و(ج) و (د) .

(٦) – عام: عار ، في (د) ، يعوم: يقوم ، في (ج) و (د) .

فمن كان لم يـــشهد لــه بعلائـــه تقوم عليـــه البينـــات تطالـــب[١]

فلا عبثٌ بالـــدهر إن خاننـــا بـــه فلا بد أن يأتي به وهـــو تائـــب[٢]

ولا بد أن تمضى خطوبٌ دَوَتْ بنا وقد أنشبت منهنّ فينا مخالـــب[٣]

ولا بد أن نعتاض فيما مضى الهنـــا وتحسن عـــن هـــذي الــــمبادي

ويبيضّ وجه الدهر بعد اســـوداده وتجلى معاليه وتمحى الـــمعائب[٤]

وتشرق شمس السعد في مطلع العلا وتجذب سيّار النحوس الـــمغارب

ويفترّ بعد الحـــزن ثغـــر زماننـــا وتضحك أيامٌ وتبكـــى ســـحائب

وما أنا إلا بـــضعةٌ هـــو أصـــلها كذا كل فرع فهو للأصل آيـــب

أسائل نسمات الصبا عن مكانـــه فتخبرني عنـــه الـــصبا والنكائـــب

ولـــست بأهـــل للمـــديح وإنمـــا أباحث في أوصافه مـــن يـــشاغب

أنا قاصرٌ عنـــه ولكـــن قـــريحتي تعـــاتبني في مدحـــه وأعاتـــب

أقول لهـــا هـــذا مقـــام تـــأدّب مقـــام أبي الإقبـــال والله واهـــب

قفي دون وصف ليس يحصيه مادحٌ ففي مدحه ليست تعدّ الــــمناقب

تقول وما وجه اعتذاري لــــمثله ومدحي له والحمد حقٌّ وواجـــب

ولي حسن ظنٍّ في إلهـــي بعـــودة يقوم بـــها لي في معاليـــه جانـــب

لقد كنت مرفوع الـــمقام بقربـــه فقد بالغـــت في خفـــض قـــدري

وماالــمطلب الأقصى سوى نـــور فها أنا أرجـــو ضـــوءه وأراقـــب

وما زلت أصغي وهي تنظم وصفه وإني لـــما تـــمليه لي أنا كاتـــب

فلم أدر إلا والـــمبـــشر مقبـــلٌ يطير إلينا فرحـــةً وهـــو راكـــب

يبشّر والبشرى تـــهلّل وَجَهَـــه ومن جانبيـــه للـــسرور مواكـــب

٥٣/أ

---

(١) – فمن كان لم: فمن لم، في (ب) : فمن لم يكن، في (ج) و (د) .

(٢)- الفعل (يأتي) من حقه النصب، لكن النصب هنا يورث إخلالا بالوزن، وتجاهله لا تبيحه الضرورة الشعرية.

(٣)- الفعل (تمضي) كسابقه.

(٤) – يبيض: سيضيء ، في (د) .

(٥) – لقد: ولقد ، في (ج) و (د) .

٥٣/ب

بأن أبـــا الإقبـــال قابَـــلَ جـــدّةً	فكم راغم أنفاً وكم فيـــه راغـــب
فاقبلت الأفـــراح فيهـــا لعـــوده	وأدبرت الأحزان فهـــي ذواهـــب
ونادى لسان الحال ينشد فرحـــةً	فسرّ به ساحاتـــــها والجوانـــب
ألا إنما العليـــا لواحـــد عـــصره	وأوحـــــده والغـــير في الــــــمجد
ومـــا هـــي إلا دولـــةٌ قابليَّـــةٌ	وما هـــي إلا منحـــةٌ ومواهـــب

وقال : وقلت مادحاً ومؤرخاً عام تجديد فخر السادة الأشراف نخبة النخبة من آل عبد مناف الشريف سرور بن الشريف مساعد(٢) الفضة التي حول الحجر الأسود، وذلـــك في سنة ١١٨٨هـــ ثمانية وثمانين ومائة وألف :

دم فيا نجـــل مـــساعد	أنـــت في الـــــمجد
أيّـــــد الله معاليـــــــــ	ـــك وأبقاك وســـاعَد
لم يزل مجـــدك يـــسمو	بمزايـــــا تتـــــصاعد
لك في دنيـــاك ملـــكٌ	بحظـــــوظ تتزايـــــد
لك في أخـــراك فـــضلا	أجر من صام وجاهـــد
فلقد أحسنت في فعلك	ـــــفعل مـــشاهد(٣)
في أمور جـــلّ أن تحـــــ	ـــصى وأشياء بلا عَدّ
كلـــها خـــيرٌ ومنـــها	ما به الفضل تـــوارَد
جدّد الله بكمُ للحجـــر	أســـود مـــا جَـــدّ

---

(١) – عصره: عصن ، في (د) .

(٢) – هو الشريف سرور بن مساعد بن سعيدبن سعد بن زيد بن محسن النموي الحسني تولّى إمارة مكة سنة ١١٨٦هـــ ، بعد أن انتزعها من عمه أحمد بن سعيد الذي كان له معه خمس عشرة وقعة حاول فيها عمه أن يسترجع أمارة مكة ولكنه فشل ، وهو أشهر أمراء مكة في القرن الثاني عشر حيث كان حازما شجاعا صعب المراس ، كان له عدة وقائع مع بعض الأشراف وبعض القبائل المحيطة بمكة والمدينة مثل قبيلة هذيل وقبيلة حرب ، بقي في الحكم إلى أن توفي مريضا سنة ١٢٠٢هـــ وعمره نحو خمس وثلاثين سنة.خلاصة الكلام لدحلان ، إتحاف فضلاء الزمن للطبري ، تاريخ أشراف وأمراء مكة لعبدالله عبد الشكور ، أمراء مكة عبر عصور الإسلام لعبد الفتاح راوة .

(٣) – أحسنت : أمنت ، في (د) .

٥٤/أ

ركّــب الــورق حــوا	ليه طــرازا فتَناضَــد
فهو تركيــبٌ عجيــبٌ	جمع الحسن بلا حَــد
سَرّ من طــاف ومــن	للــــركن وشــــاهد
فــأتى الــسعد ببيــت	دونه فكري تقاعد[١]
جاء تاريخــاً بــه الْــــ	ــسنَة العليا تناشــد
فأضف فرداً من الْــــ	ـــــعدّ إلى البيــــت
تجــد القــصد جليًّــا	ما بــه أمــرٌ مجاحــد
دم فيا نــجل مــساعد	أنــت في الـــــمجد

وقال – لازال في كنف المتعال- وقلت مادحاً نخبة النبلاء وعمدة الفضلاء الشيخ سالم ابن المرحوم الشيخ إبراهيم المنوفي[٢] وذلك في سنة ١١٨٥هـــ :

مقامك يعلو أن يكون لــه ضــدّ	ومجدك يغلو أن يكــون لــه نــدّ
ومدحك مدحٌ لايقــوم بــــحقّه	أديبٌ ولو من نظمه افتضح العقد
فأي بليغ في الفــصاحة مطنــبٌ	يكون له في حصر هذا العلا حــدّ
وأي أريب بارعٌ جــاء مادحــاً	لأوصافك الغرا وفي وسعه جَهد[٣]
فهــذا مــرامٌ لاينــال لطالــب	ومن عدّ قطر الغيث يعجزه العــد
فكيف انحصار الحمد والــــمدح	تسابق في تعظيمه الــمدح والحمد
وأين مقامى من مقام أولي النــهى	ولكنّني إن يقبلــوني أنــا عبــد
وما أنا إلا عاجزٌ قــد تطفّلــت	قريحته في الــمدح بل عمّها الكدّ
ولكن قصدا لطيفــا لــــمدحه	فيسعدني فيه القريحة والقــصد[٤]

---

(١) – فأتى: فاني ، في (د) .

(٢) – لم أعثر له على ترجمة.

(٣) – جاء مادحا: حاماحا ، في (د) .

(٤) – صدر البيت هكذا في جميع النسخ،وهو مضطرب الوزن، فكأن الشاعر قال(ولكنما قصدا لطيفا لمدحه) بإعمال (لكن)وتجاهل(ما) الكافة،ويبدوأن الناسخ قد تنبه لــ(ما) فحذفها ليُعمل(لكن) فوقع بذلك في اضطراب الوزن.

٥٤/ب

له محــض ودٍّ في فــؤاديَ ثابــتٌ بصدق إخاء والولاء لــه عهــد
وماذا على مثلي وإن كنت قاصرا إذا كان لي في نــهل عليائه ورْد
وأنثر من مكنون ما صانه الحجى فرائــد ألفــاظ ينظّمهــا الــودّ
فها أنا أبدي من عقــيم قــريحتي نتائج أفكاري وقد قلّ أن تبــدو
وأُظهر أبكار القــوافي فــأجتلي وجوه معــان لا يزاولهــا النقــد
وأُبرز من أخدارها كلّ كاعــب كواعب أنواع القريض لها جنــد
أقدّمها عذراء ما فُــضّ ختمهــا بسمع ولم يُلحظ بطرف لها خــدّ
إلى سيد قد ساد في المجد وارتقــى لأعلى مكان عنده يقــف الحــد
إلى أوحد الدنيا إلى أوحد العــلا إلى أمجد من بعض رفعته المجــد[1]
إلى أوحد العليا وقطب مــدارها إلى من إليه ينتهى الحــل والعقــد
إلى طود أرباب النباهــة والــذكا إلى من لآداب العلوم به الرشــد
إلى خير من هــزّ الــيراع بنانــه وجال بميدان الطروس له نَــــهْد
إلى وارث مجد الكــرام أصــوله وزاد على ما خصه الأب والجــد
هو السيد السامي مقاماً ورفعــةً هو السند النامي هو العلم الفــرد
فتى حاز أوصاف الكمال خليقــةً وخلقاً وهذا السعد من ربه وعْــد
تحلّى بــأثواب الجمــال مهابــةً وفخراً ومن كنــز الحياء له بُــرْد
أديبٌ أريبٌ يشهد الفــضل أنــه ربيب الــمعالي قبــل أن يــشهد
كريم السجايا وهو للعــين قُــرّةٌ عظيم الــمزايا ما لأنظاره وُجْــد
إليك أخا العلياء وابــن زعيمهــا قصيد امتــداح حفهــا الــشوق
فخذها وقد زفت إليك خريــدةً على خدّها من زهر هذا العلا وَرد
وأسْتجلها حسناء وارفع لثامهــا ففى طيّها من نشر هذا الجدا نــدّ
أرجّى لها منك القبــول فمهرهــا صحيح وداد والقبول لهــا عقْــد

---

(١) – (رفعته) جاءت في(ج) غير منقوطة، وفي (د) (رمصه).

ولازال في العليا جنابك شامخاً وقدرك مرفوعاً وعزك يمتد

ولازلت من كل المكاره سالماً ولازال في أعتابك الحظ

وقال– غفرالله له–وقلت مادحاً المرحوم المبرور مولاي الشريف سرور[٢] سنة ١١٩٨هـ:

هنيئاً لنا ما يوجب الحمد والشكرا هنيئاً لنا ما يثبت المجد والفخرا

هنيئاً لنا ما يقتضى المدح والثنا وتبقى به الحسنى وتحيا به الذكرى

هنيئاً لنا ما أظهر الله من علا مليك سمت علياؤه فَعَلا قدرا

مليكٌ به انجاب الظلام فأشرقت مآثره في أفقها أنجما زهرا

مليكٌ على الدنيا بهاءٌ ورونقٌ به ولها من بشر منظره البشرى

مليكٌ به ملأى القلوب مسرةً على هيبة منه ويا حبذا السِّرَّا

همامٌ له عزم الأسود وهمّةٌ علت أن يباري شأوها النجم والشعرى

إمامٌ له التقديم في قبلة العلا على كل عين ساد وهو بها

فكم أورد العضب اليمانيّ موردا وأصدره عن منهل الظفر الأمرا[٣]

وكم أرهف الرمح الرديني طاعنا صدور الوغى طعنا به يشرح

وكم قد عدا بالعاديات على العدا يثير بها نقعاً ويستأثر النصرا[٥]

وكم عاود العادي بقائم سيفه وردّ المُعادي عن مطامعه

فأضحى الحمى المكيّ منه مسوّرا بعزم يعمّ السُّبْل بالأمن والقطرا[٧]

معاذا من اللاوا بجدواه آمناً بسطوته عن أن تحل به الضرّا

٥٥/ب

---

(١) – المكاره : المكان ، في (د) .

(٢) –في (ج) و(د) زيادة (ضاعف الله له الأجور) .

(٣) – العضب: العص ، في (ج) و (د) .

(٤) – أرهف: أزهق ، في (ب) و(ج) و (د) .

(٥) – نقعا: نفسا ، في (د) .

(٦) – عاود العادي: عاد والعادي ، في (ج) و (د) .

(٧) – يعم: يضم ، في (ج) و (د) .

محوطاً بعين الحفظ منه عن الأذى ... إذا نظرته أعينٌ للعدا شزْرَا

منوطاً إلى كلتا يديه يمدّه ... بيمن من اليمنى ويسر من

إلى حسن أنظار له حسنية ... أقامت على ما ينبغي النهى

إلى يقظة في ملكه نموية ... تكفّلت الإحسان والنطق والبرّا

وماذا عسى أنّى أعدّ صفاته ... وأنّى لمثلي أن يحيط بها

مناقب جلّت قلّ عند عديدها ... قطار الحيا فاعجب لما يعجز

محامد سَلْ عنها المشاعر بالحمى ... وسل ساحة البيت المكرّم والحجْرا

سل الدار والسكان والجار عن علا ... مظاهرها تغني عن المدح

مُشاهدةٌ مجلوّة الحسن لا خفا ... عليها ولا من دونها أبداً سترا

تشاهد بهاء الملك بالملك ... إذا ما احتبى للمجد كان له

ولا غرو فالمعني بها ابن ... سرور الورى ليث الشرى الآية الكبرى

سليل الكرام الغر من نسل هاشم ... عريق المعالي وابن بجدتها

أدام لنا الله الهنا ببقائه ... ودامت به الأيام في دولة غَرًّا

٥٦/أ

وقال- عفا الله عنه- وقلت مادحاً له أيضاً- أفاض الله عليه الرحمة فيضاً- وذلك للخطب الذي عرا،والكرب الذي طرا،وهو انتقال وزيره وعمدته ومشيره الوزير ريحان آغا[٢]سنة ١٢٠٠هـ،وكنت كما لا يخفى مباشراً لجميع أحواله،ضابطاً لأمواله،فلما بلغته وفاته أمر بحجبي عند أحد عماله،وكان الحجب ليلة عيد الفطر ورؤية هلاله ،

---

(١) – يسر: سير ، في (د) .

(٢) – يذكر عبدالله عبد الشكور في تاريخه أن ريحان آغا الذي تقلد وزارة جدة عام ١١٨٧هـ هو من عبيد والد الشريف سرور . تاريخ أمراء وأشراف مكة المكرمة لعبدالله عبد الشكور ٢/ ٤٢، كما يذكر دحلان في خلاصة الكلام بيت الوزير ريحان عند وصفه لبعض الأحداث التاريخية ص٢٢٦، ٢٢٧، كذلك ذكر السباعي في (تاريخ مكة) أن الوزير ريحان بنى في عهد سرور زاوية الحداد المعروفة عند مدخل أجياد وأوقف عليها جملة من الكتب النافعة. ص٤٤٧ ، كما جعل الشريف سرور سنة ١١٩٥هـ الوزير ريحان وصيا على أولاده من بعده، وقد اطلعت على ذلك في نسخة مصورة من هذه الوصية عند الشريف عمر بن فيصل آل زيد .

فمكثت ثمانية أيام أو تسعة محجوباً عن أهلي وعيالي،ممنوعاً عن ترتيب أحوالي، ثم أمـــر الحاجب أن يرسلني إليه، فوصلت مكة في أوائل شهر شوال فأنزلني عنده، وأجـــزل لي رفده، وقيدني بمكارمه،وحجبني بمراحمه، و لم أزل أتقلب في تلك المكارم، واتجلبب بتلك المراحم،إلى شهر رجب الأصم سنة ١٢٠١هــ شـــــملني بإحـــسانه الجـــم، فـــأمر بإطلاقي،وحل وثاقي، وفي أثناء تلك المدة، توفي أخي وشقيقي بجـــدة، ومـــن أغـــرب الاتفاق،عند الإطلاق،أنه كان عازماً على المسير إلى الديار الحربية وزيارة جَدِّه أشـــرف البرية ،فتمّم الإحسان،باستصحابي معه إلى تلك الديار، وعمّ الامتنان، بوقوفي بين يدي المشفع المختار، وكنت لم أحظ قبلها بزيارة ، و لم أشاهد من ذلك الـــضريح الـــشريف أنواره/فالحمد لله على بلوغ المرام،وشفاء الأوام،ثم عدت معه إلى البيت الحرام، في أوائل ذي الحجة الحرام، و لم يزل إنعامه يصل إليّ ، وإكرامه يفد عليّ، إلى ثامن عشر ربيـــع الثاني وافاه الحمام،فانتقل إلى دار السلام سنة١٢٠٢هـــ رحمه الله رحمة واســـعة،وأفاض على قبره سحائب الديم الهامعة،وهذه القصيدة أرسلتها إليه،وأمر بقراءتـــها بين يديه:

٥/ب

سيادتك العظمى العميم ســـرورها	**على الفلك الأعلى وأنت أثيرهـــا**
ورتبتك القعـــساء عـــزّ منارهـــا	**على منكب الجوزاء قرّ ســـريرها**
لك الدولة الغـــراء دام فخارهـــا	**وطالعك الـــمسعود فيها منيرهـــا**
لقد ظهرت في مظهر الحسن والبها	**ونـــهضك بالعزم الشديد ظهيرها**
فحومتك العليا الـــمنيع جوارهـــا	**شهابك للوفّـــاد مجـــداً مجيرهـــا**
وساحتك الفيحا الفسيح فناؤهـــا	**يمينك للـــورّاد جـــوداً نميرهـــا**
وخير بـــلاد الله كـــل جهاتـــــها	**عيونك ترعاها ورأيـــك نورهـــا**
فربـــك مولاهـــا إليـــك أضـــافها	**وأنت مولاّها وأنت خفيرهـــا**[1]
أيا واحد الدهر الذي ســـاد رتبـــةً	**تـــدانى لـــه مأمورهـــا وأميرهـــا**
ويا محرزا إرث العلا عـــن أصـــالة	**تليدة فخـــر لم تكـــن تـــستعيرها**
لأنت عروس الخيل صدر خميـــسه	**إذا لقى الحرب العوان صـــدورها**

(١) – فربك: فربــها ، في (ب) .

٥٧/أ

وأنت الهمام الفذ في حومة الـــوغى — إذا اشتد في هيجا القراع هجيرها

وأنت الثبوت الجأش في كل هائـــل — إذا الطـــيش أضـــحى للنـــهى

فكم خفقت رايات نصرك والقنــا — غدت شرّعاً والحرب يخفق زيرها

وكم أخفقت قلباً وكم أرهبت حجى — وكم نكّلت خصماً عناه شجورها

وكم وردت معْك الصوافن مورداً — وعن ظفر للملك كان صــدورها

عَدَتْ لك ضبحًا موريات بعــدْوها — دياجر للــهيجاء قــدحاً ينيرهــا

جيادٌ مغــيراتٌ ســلاهب شــزّبٌ — مذاك حصون الدارعين ظهورها[١]

فكنت لها أنت الكفيــل وكفؤهــا — وأنت حقيقٌ بــالعلا وجــديرها

وقمت بنا عزمــاً بنــاهض عزمــة — تصاغر معْها في الأمــور كبيرهــا

وجــددت فيهــا للثنــاء مــآثرا — تداولــــه آصـــالها وبكورهـــا

ودافعت عنها العنف منك وقايــةً — لها ونصرت الرفق وهو نصيرها[٢]

فاضحت وتخت الــملك منك لــه — قرارٌ وعين من عــلاك قريرهــا

ودامت بك الأيــام تبــدي بمكــة — وجوه الأماني باسمــاتٌ ثغورهــا

وباليُمن والتــأمين قــام نظامهــا — وبالعزّ والتمكين قامت أمورهــا

لقد سدت يا ابن الأكرمين ســيادةً — خُصصت بــها فخراً وعزّ نظيرها

وشيّدت للعليــا مبــانيَ حــسنها — كما تتجلّى في السماء بدورها[٣]

علت شرفاً والمجــد يعلــو بنــاؤه — ففاق على كل المبــاني ظهورهــا

٥٧/ب

مؤسسة البنيــان شــامخة الــذرى — منيعٌ بتمكين الشرافة ســورها[٤]

محاسنها تــستوقف العــين نظــرةً — وتجتلب الألباب بالزهو دورهــا

---

(١) – السلهب: : الطويل من الخيل. لسان العرب(سلهب). الشازب : الضامر اليابس وأكثر ما يستعمل في الخيل.لسان العرب(شزب). المذاكي : الخيل التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان. لسان العرب (ذكا).

(٢) – العنف: العنق ، في (ب) و(ج) و (د) .

(٣) – تتجلى: ينجلي ، (ب) ، يتجلى ، في (ج) و (د) .

(٤) – الشرافة: الشراطة ، في (د) .

فما القصر إلا في قصور لما مقاصيرها من رونق وقصورها[١]

تكاد الثريا أن تكون قلادةً لها مثل ما تزهى العقود نحورها

حماها إله العرش ممّا يشينها وصان حماها الله ممّا يبيرها

هنيئاً لك السكنى بها ولنا الهنا بعلياء قد عمّ الأنام حبورها[٢]

يقولون لمْ لا توف نسبتك الولا إليها بإهدا مدحةً تستخيرها

ولمْ لا تقم شكراً لآلاء مجدها أما أنت ممّن وفّرته وفورها

أما أنت فيها غرس نعمة جودها أما أكثر التقليل منك كثيرها

وما انتبه المدلي إليّ بنكره عليّ لحال لايصحُّ نكيرها

فقلت مقام المجد من فوق مدحتي وما أنا للنعماء منه كفورها

مليكٌ له بيت الشرافة محتدٌ وما هو فيمن ساد إلا وقورها

ترى ملء برديه الشجاعة والندى ومن راحتيه يسره وعسيرها

ترى ماجداً حاز المروءة والحجى خلائق مثل الشمس باد

إلى شرف لا أحتويه بمدحة ولو راق منّى نظمها ونثيرها

وأين مدى العلياء منّي لفكرة يثبّطها دون المرام قصورها[٤]

فلا يدرك الوصّاف بعض صفاتها ولو أفعمت منه القوافي بحورها

ولمّا أحلّتني عُلاه بساحة عزيزة جار لم يضم مستجيرها

وقد نالني من كلّ رُحمى نفيسها وقابلني من كل نُعمى خطيرها

فأوجب ما عاينته الشكر والثنا وكم سبقت نعمى وإنّي شكورها

فأَمْلَى عليّ المجد ذكر صفاته فرقّت معانيها وفاح عبيرها

فدونكها مني قصيداً جلوتها لعينك كالحسنا أُميطت ستورها[٥]

٥٨/أ

(١) – قصور: قصو ، في (د) ، قصور لما حوت: فصو لاحوت ، في (د) .

(٢) – حبورها : صبورها ، في (د) .

(٣) – الحجى: الحى ، في (ب) و(ج) و (د) ، مثل : ضل ، في (د).

(٤) – مدى : بدء ، في (د) .

(٥) – (الحسنا) مقصور (الحسناء) للضرورة الشعرية.

أصخْ غير مأمور لها بـل مُحَكَّـم | برأيك إيّا حالـة تـستخيرها[1]
ولكنّ في الإصغا لها منـك رحمـةٌ | ينال بـها الجبر العظيم كـسيرها
تضمّنت الشكوى إليـك بحـالتي | وحالـيَ لا تخفى عليك أمورها[2]
لسمعك قد أنـهيتها في صـحيفتي | تناجيك عنّي في الطروس سطورها
أَعدْ نظـراً فيهـا بعـين بـصيرة | فأنت بـصيرٌ بـالأمور خبيرهـا
فوالله إني كنـت فيهـا بـحالة | عسيرة حمل لا يطـاق يـسيرها
وأيسر ما لاقيـت منـها لثقلـه | يكلّ له في الراسـيات ثبيرهـا[3]
وكنت بـها وقفاً علـى الخـوف | عواقبها للموبقـات حـذورها[4]
أراقب رأياً منك يكشف حُجبـها | ويظهر منها ما يكـنّ ضـميرها
وفي بعض ما قد كان يبدو لناظري | أمورٌ يراها زاجـرات بـصيرها
نصحت على قدري فعادت نصيحتي | وبالاً جزانيه عليـه وزيرهـا[5]
بذلت له نصحى وفـاءً لخـدمتي | ولا كان إلا البخس منه أجورهـا
إذا قام لي وجهٌ من النصح ظـاهرٌ | يغالبني بـالغش معْـه غريرهـا
ولم يك لي فيهـا اغتبـاطٌ براحـة | ولا أنا إلا بـالقيود أسـيرها[6]
قيود عنا فيهـا وشـغلٌ بـشاغل | على وجفات للحلـوم تطيرهـا
يجـبّهني بـالرد في كـل حالـة | له لست أرضاها ولا استخيرها[7]
يسفّهني في كل شـورى تعمّـدًا | ويعرف منّي الصدق مهما أشورها
وللنفس من هـذا نفـورٌ وإنمـا | تخوّفت ما يجـني علـيّ نفورهـا

٥٨/ب

---

(١) – قصد الشاعر بكلمة تستخيرها تختارها ومعلوم أم الاختيار غير الاستخارة.

(٢) – تضمنت: تضمت ، في (ج) و (د).

(٣) – ثبير : من أعظم جبال مكة . معجم البلدان ٢ / ٨٥

(٤) – عواقبها : عوابقها ، في (أ و(ب) ، ولعل الصواب ما أثبته من(ج) و (د) .

(٥) – نصحت: فصحت ، في (ب) و (ج) و (د)، (جزانيه) بدون نقط في (ب) و(ج) ، و(حرالله) في (د) .

(٦) – ولم : وكم ، في (د).

(٧) – البجّ : الطعن ، وبجّه بمكروه : رماه به . لسان العرب (بجج).

ولكن رأيت الصبر أوسع خطّةً | لشقّة سير كنت معْه أسيرها
تخيّرت فيها الصبر (عمّا أخافه | كما اختار جذع الأنف قبلي
فأشبه لولا الصبر) باحثة الثرى | بأظلافها للحتف كان مصيرها[1]
وإني وحق الله ما قلت قولةً | بها أدّعي صدقاً ويظهر زورها
أخاف بأن أنهى إليك قضيّةً | يليني وإن طال الزمان ثبورها
فهب كل تقصيري لعلياك إنني | لها من عناياها وإني فقيرها
وإني من الأتباع منسوب خدمة | إليها وما أرجوه ليس يضيرها
إذا لم تكن لي منك نظرة راحم | فأيّ حمىً أو حوزة أستجيرها
وإن لم يكن لي منك إحسان عاطف | عليّ فمن لي أن يحلّ عسيرها
أعدني مجبوراً بفضلك إنّ لي | حشًا لفراق الأهل طال زفيرها
تمادت بي الأيام بالصبر عنهمُ | ومرّت بمُرِّ الصبر عنهم
فحقّق رجائى فيك وارحم شكيّتي | فهاتيك أولاها وهذا أخيرها
بقيت تنيل الفضل كلّ مؤمّل | وكفّك مهطال الأيادي غزيرها
ولا زلت في عزٍّ منيع ورفعة | تدوم معاليها ويبقى سرورها

---

(١) – ما بين القوسين ساقط لانتقال النظر من (ج) و (د).

٥٩/أ

وقال : وقلت مؤرخاً عام ولاية المذكور ضاعف الله لهم الرحمة والأجور :

قد أرّخ السعد خـير عـام — جاء الهنـا فيـه والحبـور
إذ قام بالـملك فيه شـبل — ـليوث نجل العلا سـرور
فجـاء تاريخـه ببيـت — منـسجم لفظـه نـضير
دولتـه كلـها علـوٌّ — أيامـه كلـها سـرور

وقال – لا زال حميد الفعال والخصال[1] – وقلت مادحاً الوزير ريحان[2]:

سجاياك إلا أنّها الروض زاهرُ — ووجهك إلا أنه البدر سـافرُ[3]
وحلمك إلا أنه الطود راسخٌ — وكفّك إلا أنّه البحـر زاخـر
ورأيك إلا أنه السهم صائبٌ — وعزمك إلا أنه الـسيف بـاتر
وأنت الحيـا جـوداً وشمـس — وليث الـشرى بطـشا وأيـن
وإنك صدر الجيش والحـرب — تموج به السمر القنا والبـواتر
وكل جميل من ندىً وسـيادة — وحزم وعزم من معاليك صادر
وأين مدى الـمثني عليـك — أيحصي مزايا كلّهـن مفـاخر
وأنّى له إحصاء وصفك والعلا — يجدّ لهـا في كـل آن مظـاهر
علاً يحصر المنطيق عن حـصْر — كما لا يعدّ القطر والغيث ماطر

٥٩/ب

يقولون لي تدعى الأديـب ولم — بحقِّ معال غرسها فيـك ثـامر
فلمْ لا تنوّه في القريض بمدح — عليك ندى كفيه بالفضل غامر
وما علموا مقدار علياك إنـها — لأرفع أن تحوي سناها الـدفاتر
ولو صـغْت أبكـار المعـالي — لنظمى من الأفـق الـدراري
ونظّمـت أسـلاك القـوافي — تعد خجْلةً منه العقود النواضـر

---

(١) – في (ج) و(د) (عليه رحمة الوال) .
(٢) – سبق الحديث عنه، الديوان ص ٨٩.
(٣) – إلا أنه : إلا أنـها ، في (ب) و(ج) و (د) .
(٤) – أين :أنى ، في (ج) و(د).

ودبّجت وَشْيَ الشعر من غرر	عليك بما تثني عليه الجـــواهر[1]
وأمليت من كـــلّ البحـــور	وَفُهْتَ بما تُمْلى عليّ الخـــواطر
لـَما كنت أقضى شأو مجدك	من الشكر إني عنـــه مـــعْ ذاك
وماذا عسى أني أفوهُ بمدْحـــة	لـــمن صـــدق الأخبـــار عنـــه
وإن لم يفه نطقى بشكر تـــهيّبًا	لقدرك إنّ الحال منّـــيَ شـــاكر
أبا أحمد دمت الحميد برتبـــة	مواردها محمودةٌ والـــمـــصادر
تقيم بـــها فخـــرًا وتنـــشي	تدوم لـــك الـــذكرى بـــــها
وتبدى بـــها (عرفًـــا بكـــلّ	يفوح بـــها عرفٌ لجدواك عاطر
وتعلى بـــها) بنيان كلّ فضيلة	حقيق بـــها بيتٌ لعلياك عامر[2]
لقد ظفرت منـــك الـــوزارة	وسرّ لها حقاً بقربـــك خـــاطر
وقد قرّ هذا الـــملك صـــدْرًا	برأيك يا عين الـــصدارة نـــاظر
وقد حسنت أيامنا بك وأنجلى	لها منظرٌ باهى المحاســـن بـــاهر
فثغر الحمـــى الـــــمكى دام	بدولتك الغراء والبشر ظـــاهر
وجدّتنا الفيحا بعزك إنـــــها	ليحسد فيها القاطنين الـــمسافر
بيمنك ظلُّ الأمن فيها علـــى	مديدٌ وكفل الخير باليسر وافر[3]
بقيت مَكين المجد مرتفع الذرى	وأنت بما يرضى السيادة ظـــافر
ولا زلت ريحان المعالي وروحها	تسود بك الدنيا وتسمو المحاضر

٦٠/أ

وقال - سامحه الوال- وقلت مادحاً المرحوم المبرور فخر السادة وعمدة القـــادة الشريف سرور بن الشريف مساعد وذلك سنة ١١٨٦هــ :

أَبَى الله إلا أنه لـــك يرفـــعُ	إذا شاء أن يُعليك مـــن لـــك
وأعطاك من فيض المواهـــب	ومن ذا لـــما أعطاك مـــولاك

---

(١) – تثني : تنص ، في (ب) و (ج) و(د).

(٢) – مابين القوسين ساقط من (ج) و(د) ، بسبب انتقال النظر .

(٣) – كفل: كفك ، في (د).

وأولاك في المجد المؤثّل رتبـــةً تفتّت أكباد العـــدا وتقطّـــع

وأعلاك في دست العـــلا يـــا محلاًّ من الجوزاء أعلى وأرفع[1]

فدم في سرور يا سرور زماننا فإنك شمسٌ والعلا لك مطلـــع

ودس في بساط الملـــك عـــزًّا فأنت لهـــذا الملـــك حـــصنٌ

وسد فوق كرســـيّ الخلافـــة ذراها بجلباب الهنا متلفّـــع[3]

وشيّدْ مباني المجد بالعزم فالذي تُشيدُ فلا يهوي ولايتضعـــضع

فأنت لبيت الله ركـــن حمايـــة وأنت لأهـــل الله في الفـــضل

نشأت من البيت الذي نشأت بيوت المعالي حيثمـــا الـــسر

فما بيت مجد أودع العز نظمه يحاكيه إلا وهو من ذاك أبدع

تسامى على صقع المعالي منارُهُ على ربوة منها المكارم تنبع[4]

ولازمه التسديد فهو مـــدبّجٌ من الله بالتأييد وهو مـــسجّع

ومكّنه فعل الصنائع والجـــدا على كرم هُمْ أصله لا التصنع

فما أشرف البيت البديع نظامه إذا كان للتمكين في البيـــت

نعم هم ذوو سعد بن زيد بن صدور العلا حيـــث المجـــامع

فسعدٌ وإحسانٌ لنـــا وزيـــادةٌ ومنّا لهم حيث الثنا والتضرع

ملوك أشادوا ما بنوه من العلا ولا أهملوا حق المعالي وضيّعوا

جـــراثيم في العليـــا تعالـــت ألا ماترى عنها العلا تتفـــرّع

ليوثٌ بيوم الكر تفترس العدا غيوثٌ بيوم البـــشر بـــالجود

فكم أرهفوا بـــيض الـــصفاح وكم أرهقوا سمـــر الرمـــاح

٦٠/ب

---

(١) – الدست : صدر المجلس . تاج العروس (دست) .

(٢) – منعة: منة ، في (ب) و(ج) و (د) .

(٣) – وسد: ودس ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٤) – على ربوة: على ربنوه ، في (ب) ، وترك مكانـــها بياضا في (ج) و (د).

(٥) – نعم هم : نعم هو، في (أ) ، والصواب ما أثبته من (ب) و(ج) و(د) ، ذوو : ذو في النسخ جميعها ، ولا يستقيم المعنى إلا بما أثبته .

٦١/أ

وكم بالجدا جادوا فسادوا على ... وصالوا فأصْلوا كــلّ قلــب

فما منهمُ من قيل فيه مفــرّطٌ ... ولا فيهم من قيل فيه مــضيّع

ولا منهمُ من سيّد في وقــاره ... ــغريزيّ إلا وهــو بــالحرب

لهم خلفٌ نعم الخليفة ماجــدٌ ... همامٌ على تقديمه القول مجمــع

مليكٌ مَليّ الــصدر بــالحلم ... على أنه في الــبطش أقــوى

فمنه لــمن والاه فضلٌ ومنّةٌ ... ومنه لــمن عــاداه حتــفٌ

عليمٌ بأحوال السيادة جــامعٌ ... لأشتاتــها من علمها متضلّع

عظيم سما في المجد أعلى مكانةً ... علت أن يباريها لــمن ســاد

أقام على استحقاقه لــمرامها ... براهين مجد ليس بالرغم تدفع

تجلّت عيانا للعيــون كأنمــا ... رأينا ضــياء الــصبح يبــدو

فلا وُسْع للمنــشى البليــغ ... ولو هو في فن البلاغة مــصقع

ولا للذكى الخنذيــذ جهــدٌ ... ولو هو في حق العناية مبــدع

علاءٌ يرد الطرف نور بَــهائه ... ومجدٌ يفوت الفكر سبقًا ويقطع

أظل الرعايا وارفٌ من سعوده ... ووافاهم من برّه الخير أجمــع

فروْض الأماني باسق الزهــر ... ونور التهاني والمسرات أينــع

ولا حَزَنٌ يعــرى الــورى في ... ولا خوف يبدو للأنام فيقرع

بل الأمن واللــذات في كــل ... له مسرح بين البرايا ومَــشْرع

مزايا اغتدى في الغرب والشرق ... بــها بلبل الأفــراح يــشدو

إليك عروس النظم يــا ابــن ... مخدّرةً ما شفّها قــط مــسمع

معطّرة الأعراف بالــــمدح ... مطرّزة الأطراف كالــشمس

---

(١) – قلب: ظب ، في (ب) و(ج) و (د) .

(٢) – ملي : على ، في (ب) و (ج) و (د) ، الصدر : الصور، في (د) ، بالحلم: بالحكم ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٣) – معطرة: مقطرة ، في (ج) و (د) .

أرجّى لهـا منـك القبـول | وحسبي بأن تـهدى إليـك
وفخري وكل الفخر لي بقبولها | لديك فإني عبـدك المتـضرّع
بقيت مكينا في علاك مؤيّـدا | بأرغد عيش في العلا تتمتـع
ولا زلت في أوج العلا سامي | تذلّ لعلياك الرقاب فتخضع[1]

٦١/ب

وقال – أذهب الله عنه الحزن ولطف به في السر والعلن[2] - وقلت أمتـدح فخر السادة الأشراف الشريف أحمد بن سعيد[3] وأذكر ما فعل الأتراك من الإتلاف :

مقامٌ بلا علياكمُ غـير قـائم | ومجد سواكم في العلا غـير دائـم
ورأيٌ بلا آرائكم غـير صـائب | وجاه وجيه غيركم غـير عاصـم
وسعدٌ يباري سعدكم غير منـتج | فضيلة ما أحـرزتمُ مـن مكـارم
وملكٌ بعليا غيركم لـيس باقيـا | ولكنّـه مـاض كأضـغاث حـالم
فإنّ الحمى الـمكّي لم يـرض | ملوكاً ولم يقبل له حكم حـاكم[4]
لهذا نراه كدّر الـصفو بعـدكم | وصار حزيناً بعد ضحك الـمباسم
أبانت به الأيـام كـلّ مـصيبة | حلا عند أدنـاهنّ سـمّ الأراقـم
وأبدت لنا من بعد إشراق عدلكم | مظالم في ليـل مـن الغـيّ عـاتم
فأصبح كلّ النـاس في لـجّة | فمن غارق في الـموج منها وعائم

---

(١) – البيت ساقط من (ج) و (د) .
(٢) – في (ج) و (د) (رحمه الله تعالى) .
(٣) – هو الشريف أحمد بن سعيد بن سعد بن زيد ، تولى شرافة مكة سنة ١١٨٤هـ بعد نزول أخيه عبدالله عنها له، وقد نزعت منه في السنة نفسها حيث تولى الشريف عبدالله بن حسين البركاتي بمساعدة قوة عسكرية قدمت من مصر ، ولكن المترجم له عاد إليها في السنة نفسها ، وبقي بـها إلى أن انتزعها منه ابن أخيه الشريف سرور بن مساعد بن سعيد سنة ١١٨٦هـ . ودارت بينهم عدة وقائع فشل المترجم له فيها من استرداد حكم مكة وانتهت بحبسه في ينبع ثم في جدة وبقي به إلى أن توفي سنة ١١٩٥هـ. خلاصة الكلام ص٢٠١
(٤) – الحمى المكي: الحبر الكي، في (د) .

٦٢/أ

وأضحت عباد الله بعد رحــيلكم ==================

فأمسك عن كلّ المسرات صائماً وقد هجر اللذات هجر الـمحارم

يراقب منكم عودةً وهي عيــده مراقبة الأعياد مــن كــل صــائم

فسوف يعود المجد في بيت أهلــه ويرجع من عاداكم غــير غــانم[٢]

وتشرق أطراف البلاد بنــوركم وتنــــزاح عنــها مظلمـــات

تجلّيتمُ عنــها وأقــصى مرادهــا تجلّــيكمُ في دورهــا والــــمعالم

فدار الـمعالي بعدكم دار غربــة وطَرْفُ العوالي بعدكم طرف نــائم

ولـمّا وجدنا منهل الجود نازحاً ونشر صبا ذاك العلا غــير ناســم

سألنا عن العلياء قالوا توجّهــت مَعَ أهلها أهل العــلا والــمكارم

نعم إن وضع المجد في غير أهلــه مقام احتقار دون كسب الجــرائم

ولا زينـــة العليـــاء إلا بأهلــها ولا الزند إلا حسنه بالـمعاصم[٤]

وما فات في سعي العلا فهو هــينٌ على أنفــس معــدودة للعظــائم

وما ذاك إلا رفع شأن لقــدركم وإظهار ما يتلو العلا مــن لــوازم

فلله في أعــدائكم كــلّ نكبــة تعدّت حدود الـمهلكات الصوارم

وأدنى خطوب الدهر فيهم عظيمةٌ وأعظمها في عزمكم وَهْــمُ واهــم

فمن أَمَّهَم يسطو كــأعظم نــاقم ومن أَمَّكُم يسعى كــأحقر خــادم

وإن أججت دار السعادة نارهــا فمن حسرة منها لفقد الـملائم[٥]

ولو كان فيها قدرةٌ لاصطحابكم لـــما احترقت بالشوق مــن غــير

---

(١) – عجز البيت بياض في جميع النسخ .

(٢) – عاداكم: عاذاكم ، في (ج) و (د) .

(٣) – مظلمات : وظلمات ، في (ج) و (د) .

(٤) – بالمعاصم : بالمقاصم ، في (د) .

(٥) – دار السعادة هي نزل ذوي زيد الذي يسكنه أمير مكة ، احترق سنة ١١٨٤هــ إبان تولي الشريف عبدالله ابن الحسين البركاتي إمارة مكة. دحلان ص ٢٠٣، السباعي ص٤٣٧

(٦) – لاصطحابكم ، ترك مكان (صطحا) من الكلمة بياضا في (ج) و (د)، احترقت: أحرقت، في (ج) و (د).

٦٢/ب

ولكن لها فيما رأيناه مأربٌ فلا يعتريها فيه تلويم لائم

يحق لها أن لا ترى ساكنًا بها لئيمًا وقد كانت محلّ الأكارم

ديار بسكنى الأسد كانت عزيزةً فهل ترتضى بالذل سكنى البهائم

وإن هُدم البنيان فالمجد ثابتٌ ولا يفقد الملزوم فقد الملازم

وإن حُجبت أنوار مكة بعدكم فقد تحجب الأقمار سحب

ولكن سماء المجد محفوظةٌ بكم فمن يرقها يُحرق بشهب رواجم

وأنتم أساس الملك بل وعماده وهل قام بنيانٌ بغير الدعائم

فأنتم نجومٌ نوركم لمسالم وطوراً رجومٌ ناركم لمصادم

وأنتم جمال الملك بل وكماله وموضعكم فيه مكان العمائم

وأحمد محمود الخلائق ليثه وضرغامه الضاري قرين

هو الفارس الصنديد والبطل الذي يرى النقع أحلى من ألذّ المطاعم

همامٌ شهامٌ همّه واهتمامه طلاب المعالي بالقنا والصوارم

مخافٌ ومرجوٌّ لضدٍّ ومجتد وسهلٌ وصعبٌ في الرضا

له همّةٌ في كل يوم كريهة وعزمٌ شديدٌ منه عزم الضراغم

ورأيٌ إذا ما جاءه الخطب زاحفاً كسيف لما يأتي به الخطب قاصم

وما تَرْكهُ حرب الذي رام حربه سوى حفظ بيت الله من شرّ قادم

يميناً به لو قابل الحرب وجهه لأبصرت قرْماً في الوغى لم يقاوَم

ولو سلّ في الهيجاء نصل مهنّد لشاهدت قبل الضرب وقع الجماجم

وإن كان ذا منه لمكّة رحمةً ففي ضرب أعناق العدا غير

فمن ظنّ سوءاً فيه قد ساء ظنه وهل يُرعب السادات مكر

(١) – سحب: شمس ، في (ج) و (د) .
(٢) – ضرغامه : ضرغام ، في (د) .
(٣) – مجتد: محتد، في (ج) و (د) .
(٤) – لمكة: لكمة، في (ج) و (د) .
(٥) – يرعب: يرغب، في (ب) و (ج) و (د) .

٦٣/أ

فذا الأمر لا يخفى على كل جاهل ... فكيف به يخفى على كل عالم

وما مكةٌ إلا براحة كفّه ... وما ملْكها إلا بسحقة صارم

وفي عرفات حجّ بتّار سيفه ... لنحر رقاب المعتدين الغياشم[1]

ولبّاه من سمر القنا كلّ أملد ... مواقعه طعناً صدور القماقم[2]

فجرّد سيفاً فعله فعل ناثر ... وهز سنانا فعله فعل ناظم

وفرسانه لمّا أفاضت لنصره ... أفاضت دما أعدائه في التهائم

وكبّر رامي جمرة البندق الذي ... تصيب العدا بالحتف قبل التزاحم

ويقذف من أفواه أقواسها الردى ... ومن ناله ذاك الردى غير سالم

فادبر عنها مذ رأى الموت ... أبو الذهب المهزوم في زيّ

رأى جحفلا تحت العجاج عرمرماً ... يموج بقاموس الظبا واللهاذم[4] [5]

وشاهد جود السيف في فقد قومه ... يفاخر بذْل المال من كفّ حاتم

فكم من صريع في بحور نجيعه ... وكم من ضجيع في صخور

وللأرض ريٌّ من سيول دمائهم ... وأجسامهم قوتٌ لوفد القشاعم[8]

وحيث رأى جيش المنايا مقابلاً ... وطير الرزايا حائماً فوق حائم

تصاغر ذُلاًّ من سطاكم وبطشكم ... وراح حقيراً بعد ذاك التعاظم

وأنقد من أيدي الردى روح فائت ... على أن حفظ الروح أقصى

---

(١) – الغشم في اللغة الظلم والغصب . لسان العرب (غشم) .

(٢) – القُماقِم من الرجال السيد الكثير الخير الواسع الفضل . لسان العرب (قمم).

(٣) – أبو الذهب هو أحمد بيك بن عبدالله أبو الذهب رئيس الأمراء الكبار بالديار المصرية، قاد الحملة العسكرية التي أرسلت من مصر لمناصرة عبدالله بن حسين البركاتي. سلك الدرر ١/٥٤

(٤) – اللهذم : كل شيء من سنان أو سيف قاطع. لسان العرب (لهذم).

(٥) – اللهاذم : اللهازم ، في (ج) و (د) .

(٦) – الصلدم : الصلب . لسان العرب (صلدم).

(٧) – نجيعه : بجيفه ، في (ج) و (د).

(٨) – القشعم : المسن من الرجال والنسور والرخم لطول عمره وهو صفة . لسان العرب (قشعم).

(٩) – وأنقد: وأنفد ، في (ب) و (ج) و (د) ، ولعلها (أنقذ) .

وأضحى وقد ضاقت بـه رحبـة يعضّ على ما فات لحم الـبراجم[1]
فهذا دليلٌ واضـح أن عـزمكم قويٌّ ومن يقوى لتلـك العـزائم
وإنكمُ الأعلون في كـل حالـة تقرر هـذا قبـل خلـق العـوالم
وإنا لنـدعو ربنـا أن يعيـدكم ويبقيكم للملك يا نـسل هاشـم

٦٣/ب

وقال – بلّغه الله الآمال[2]- وقلت مهنئاً ومادحاً لفرع الشجرة الزكيـة وطـراز العصابة الهاشمية سيدنا الشريف غالب بن مساعد[3] وذلك عام ولايته سنة ١٢٠٢هـ:

أجلّ العلا ما أنتجتـه العـزائم وأقـوى البنـا مـا شـيّدته
وأرفع مـجد الـماجدين سيادةً لها الحزم ساع والسيادة خادم
وأمنع جدّ الطّالبي الجـد بنيـة لها الحلم والرأي السديد دعائم
وأحمى حمى للملك ما قام حولـه صفاح الـمواضى والعـوالي
نعم هو ما قد شاده ماجد العـلا وما لبناء شـاده قـط هـادم
مليك هو الطود الأشمّ مكانـةً إذا طيّـشت حلـم الحلـيم
مليكٌ هو البحر الخضمّ سماحـةً إذا شحّ بالريّ الحيا والغمـائم
مليكٌ هو الليث الأشدّ شـجاعةً إذا فـرّ مـن كـرّ القـرين
كريمٌ له بيت النبـوة مـحتدٌ إذا عزّ بالأصل العريق الأكارم
عظيمٌ رفيع القدر تعنو لـمجده أكابر أعيان الورى والأعـاظم

---

(١) – البراجم : مفاصل الأصابع. لسان العرب (برجم).

(٢) – في (ج) و (د) (رحمه الله تعالى) .

(٣) – هو الشريف غالب بن مساعد بن سعيد الحسني ، من أمراء مكة ، وليها بعد وفاة أخيه الشريف سرور سنة ١٢٠٢هـ ، في أيامه قوي الإمام سعود بن عبد العزيز بنجد ، وهاجمت جيوشه الحجاز ، فقاتلها الشريف غالب، وتقهقر إلى جدة ، ثم أظهر الطاعة لسعود، حتى كان كأحد عماله ، وعاد إلى مكة، واستمر في الإمارة إلى أن زحف محمد علي باشا (والي مصر) بجيش كبير من الترك وغيرهم لقتال السعوديين، فتحول الشريف عن ولائه لآل سعود، فاستخدمه محمد علي مدة قصيرة ثم قبض عليه وأرسله إلى مصر سنة ١٢٢٨هـ فأقام أشهرا... . خلاصة الكلام لأحمد زيني دحلان ص ٢٢٥ . الأعلام ١/١١٥، أعيان القرن الثالث عشر لخليل مردم بكص ١٢٧

(٤) – طيشت : ملئت ، في (د) .

٦٤/أ

رقى ذروة الفخر القتاديّ وارثًــا علاً عهدها في بيتهم متقــادم
تسنّم نجد الــمجد يحمي ذمــاره فقرّت به أنجاده والتــهائم(١)
وقام بأعبــاء الــشرافة ناهــضاً بعزم به شأو الــشرافة قــائم
فأضحى حمى (نسَّاسة) بعد وحشة أنيسا به ســاحاته والمعــالم(٢)
وأصبح تخت الملك يزهو بغالــب جمالاً ووجه الملك بالبشر باسم
وقرّت عيــون القــاطنين بمكــة بما قرّت الدنيا بــه والعــوالم
قــراراً وأمنــاً للرعايــا بظلّــه مقيلٌ وعيشٌ أخضر الغــصن
فعطف القنا بالأمن نشوان مائسٌ سروراً وجفن السيف يقظــان
لعمرك هذا الــمجد لا مجد بعده وإن جدّ ذو جدٍّ وإن رام رائم
تــهنّ به يا غالب بن مــساعد وأنت سعيد الجد عزّك دائــم

وقال:وقلت مؤرخاً عام الولاية في بيت يحتوي على تاريخين وهوسنة١٢٠٢:

ســنة١٢٠٢ الأمــن دام والملك طاب لغالب ســنة

وقال : وقلت مستنجداً به في العام المذكور :

إليــك وإلا لا انتمــاءٌ ولا وفيــك وإلا لا اقتــضاءٌ ولا
وعنك وإلا لا نماءٌ ولا عــلا ومنك وإلا لا نوالٌ ولا جدوى
نعم أنت ينبوع الــمكارم وأنت عباب الجود والــمنهل
إذا أنا لا أشكو عليك وأنتمي إليك فمن أرجــوه إن جلّــت
أأنسب للعليا وتقعد بي الدُّنى وأرجــو أياديهــا وتقــصدني
حمى الله عليا سيدي أن يمسّني بساحتها ضيرٌ وهــى ســندي
ومجدك يأبى الــمجد يــاابن بأن أرد الــماء الــزلال ولا

(١) – تسنّم : تنسّم ، في (أ) و (ب) ، ويناسب المعنى ما أثبته من (ج) و (د) .
(٢)- نسّاسة: من أسماء مكة المكرمة .
(٣) - أنتمي: أسعى ، في (د).
(٤)- أأنسب : لانسب ، تقعدني: تقعد من ، أياديها: ابادها ، تقصدني: تقصد من ، في (د) .

٦٤/ب

فكن غير مأمور على الـــدهر فدهري عنيدي ليس لي عنـــده

أدام علاك الله عـــزًّا ورفعـــةً لك الشرف الوضّـــاح والرتبـــة

وفي الطائف طلب منّـــي ذلك طرازاً للدار الجديدة بالمثناة[٢] ببستان الباطنـــة ســـنة ١٢٠٧هـــ:

أكرم بـــها دارًا بمثنـــاة وجّ أنسيّة الـــمعهد والمفتـــرج[٣]

دار بـــها مطلع شمس العـــلا قد أشرق النور بـــها وانـــبلج

دار بـــها السعد إذا خادمـــا للملك عن طاعته ما خـــرج[٤]

بنيّـــــةٌ شـــــامخةٌ تزدهـــــى على الـــمباني بالبها والبـــهج

خورنق النعمان لـــو خالهـــا رمى سنمّاراً بـــسهم الخـــدج

والقصر لو شـــاهد إشـــراقها هوى خضوعاً للعلا واخـــتلج

والـــمجلس النادي بـــــها وهو لروّاد الهنـــا منعـــرج[٥]

روضـــتها غنّـــا وأرجاؤهـــا مطّرد الأرواح من كـــلّ فـــج

أنيقـــــةٌ زاهـــــرةٌ غـــــضّةٌ منتزه الأبصار قوت الـــــمهج

باطنةٌ وسْـــــما وفي حـــسنها ظاهرةٌ واللطف فيهـــا انـــدمج

تفاوحت أزهارهـــا بالـــشذا وغرّدت أطيارها بالـــــهزج[٦]

تنفح فيها نفحـــات الـــصَّبَا طيباً إذا هب الـــصبا أو نفـــج

تـــصافح الأغـــصان هبّاتـــه فتنثني زهواً بـــها لا عـــوَج[٧]

٦٥/أ

والـــمشرع الأعلى ضمين لها بالري مدّ الـــماء فيها ومج[١]

---

(١)- مجدك: مجد ، في (ج) و (د) .

(٢) – المثناة: منطقة معروفة في الطائف.

(٣) – وجّ: موضع بناحية الطائف . لسان العرب (وجج) .

(٤)- البيت ساقط من (ج) و (د) .

(٥)- لورّاد : لروّاد ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٦)- تفاوحت : تقاومت ، في (د) .

(٧)- زهوا بـــها : زهواها ، في (د) .

يلفظـــه مـــن فلـــج فـــاغر ... يا حبـــذا مـــشرعها والفلـــج

ترى لجين الماء يجـــري علـــى ... بساطها السندس أنَّى نـــهج[٣]

يركض من تحـــت النـــواحي ... ركض خيول الـــسبق تحـــت

تـــمَّ بـــها حسن رياض الربا ... لـــما انجلـــت فيهـــا بـــــهذا

فحسن أزهار الروابي بـــــها ... حسن الثنايا ببـــديع الفلـــج[٧]

بل حُسْن أوْجـــان بتوريـــدها ... بل حسْن أحـــداق الـــــمها

بل هي معنى الحسن ما فاتـــها ... حسنٌ بـــها الحـــسن انطـــوى

زهت بـــها المثناة فخراً على ... كلّ مغانيهـــا وكـــل الفـــرج

واغتبط الوادي سرورًا بـــها ... وقابل الأنس بـــــها وابتـــهج

أنـــشأها ســـيدنا غالـــبٌ ... لا زال سامى الفخـــر عـــالي

ودام في عـــــزٍّ وفي رفعـــــة ... وفي هنـــاء بـــدوام الحُجَـــج

فسعده أبدى على يـــــمنها ... شواهداً قامت بأقوى الحجـــج

وجـــدّه أثـــنى جمـــيلا علـــى ... منشئها أصغ إلى مـــا لـــــهج

يقول خـــذ تاريخهـــا محكمـــاً ... في بيت شعر بالقريض امتزج[٩]

دارٌ بـــها عرف العلا ناســـمٌ ... ياطيب ناديهـــا بطيـــب الأرج

وعرضت عليه ثم طلب مني أن يكون التاريخ عام أربعة ومائتين وألف فيكون بيت التاريخ كما هو مذكور هنا:

٦٥/ب

---

(١) – يقال : مج الماء ، صبّه . لسان العرب (مجج).

(٢)- المشرع: الشرع، في (د) ، الأعلى: الأحلى ،في (أ) و(ب) و(على)، في (د)،وما أثبته من (ج) لمناسبته للمعنى.

(٣)- كلمة (الماء) ساقطة من (ب) .

(٤) – الرهج : الغبار . لسان العرب (رهج) .

(٥)- يركض: تركض ، في (ج) و (د) .

(٦)- يقال : ابْلاجّ الشيء إذا أضاء . لسان العرب(بلج).

(٧)- الفلج في الأسنان : تباعد ما بين الثنايا والرباعيات خِلْقة. لسان العرب (فلج).

(٨)- أوجان: الأوجان في (أ) و (ب) ، وما أثبته من (ج) و(د) لأنه الأنسب .

(٩)- كلمة (بيت) ساقطة من (ب) .

دار بـــها ينفح عرف العـــلا   يا طيب ناديهـــا بطيـــب الأرج

وطلب من الأديب النبيل السيد الجليل السيد خضر صحره[١] كذلك ، ونظم الأبيات الآتي ذكرها، وقرئتا في مجلس واحد فاختيرت أبيات السيد خضر وكتبت في طراز المجلس المذكور بالدار المذكورة وهي هذه :

في ذمّة الـــمجد للعزّ الـــــمقيم   بيتٌ بصاحبه الأقـــدار لم تخـــن[٢]

مولى له سارت الركبان ناشـــرةً   للحمد من وطن يسعى إلى وطـــن

هو الهمام المرجّـــى في الخطـــوب   كسرى لديه ومن سيف بـــن ذي

من فضله في ملوك الأرض قاطبة   فـــضل الفـــروض علـــى الآداب

فهل بـــهم من مُضاه في الفخار   والله طهّره فـــيهم مـــن الـــدرن

ما بينهم في العلا يا صاح منتسبٌ   والفرق متّضحٌ يا صـــاح فاســـتبن

حدّثْ وقل في علاه ما تشاء تجد   في القول متّسعاً للقائل اللـــسن[٣]

الضيغم الفارس الجحجاح من حسنت   به وجوه المعاني في بني الحـــسن[٤]

الصائن العرض في يوم القرى بيد   بيضاء تزري بوبل العارض الهتن[٥]

الضارب الهام والأوهام في خطر   ما بين معترك الأحقـــاد والطعـــن

القائد الخيل جرداً وهو محتـــضن   سمر القنا زاعقاً في كـــل محتـــضن

---

(١) – هو خضر بن يحيى صحرة ، وقد ذكر الداغستاني في كتابه تحفة الدهر في أعيان المدينة من أهل العصر أنه مدح المذكور عند زيارته للمدينة ، وقال عنه: إنه(أديب صادق اللهجة، من بيت شرف....) والنماذج التي أوردها الداغستاني من شعره تظهر أنه يتمتع بشاعرية قوية . تحفة الدهر ٤٦

(٢)- (بني) كتبت هكذا في (أ) ، وجاءت كلمة (بيت) هكذا ، فلا تكون بذلك منصوبة، وهكذا جاءت في(ب) مع أن (بني) في (ب) غير منقوطة، أما في (ج) و(د) فقد جاءت (بني) هكذا(بنى) و(بيت) جاءت (بيتا) نصبها على المفعولية، وقد أثبتنا ما جاء في نسخة (أ) وضبطنا الفعل(بني) للمجهول، ويظهر أن كلمة (مولى) في بداية البيت اللاحق أوهمت الناسخ فظنها تعود على فاعل الفعل(بنى) ، وهي تتحدث عن صاحب البيت المذكور.

(٣)- قل: قال ، في (د).

(٤) – الجحجاح: السيد الكريم. لسان العرب (جحح).

(٥)- الهتن : المتن ، في (د).

٦٦/أ

لم يحتضن بالقنا في دهـــره عبثـــاً … لولا القنا ما مشت حالٌ على قنن

إن قلت لم يفتتن قال الفخار بلى … يسعى لنيل المعالي سعى مفـــتتن[١]

لو لم يكن للعـــلا أهـــلا لـــــما … له العلا خير بيت في الزمان ســـني

من حسن رونقه شمس الضحى ابتهرت … والبدر زاد به وهْناً علـــى وَهَـــن

فانظر له كيف صـــار الـــروض … من كل صوب كحـــضن الشـــوب

تخاله راقـــصاً في نفـــسه طربـــاً … كأنـــه ذو هـــوى أضـــحى وذو

لـــما تلت سورة التوحيد زخرفه … عوّذت بالطور مرآه مـــن الحـــزن

تتابع العين في مـــرآه نظرتـــــها … كمـــا تتـــابع هـــامى الغيـــث

لو لاح للشمس في أثواب رونقه … لألـــبس الـــشمس أثوابـــا مـــن

عجبت للشّمس لـــــمّا أن لـــه … وقت الزوال وقوف الصبّ ذى الإحن[٥]

لولا جواهر معناه قد انْتَـــسَقَت … ما أصبحت في الورى مجهولة الثمن

حفّت بساحته الأشجار من شَغَف … والورق غنّت له شوقاً على فَـــنَن

فانعم بسكناه بـــادي الـــــمجد … منعّماً لم تزل بـــالإلْف والـــسكن

تاريخه في انتهاء الوجد ينـــشدنا … بيتٌ بنته يد الأَحْكـــام في الـــزمن

ولـــمّا طالت إقامتي بالطائف والتمست منه العود إلى مكـــة المكرمـــة ولم يـــأذن لي أرسلت إليه هذه القصيدة:

لعمـــرك مـــا عمّـــرت إلا … ولا شـــدْت إلا الـــمكرمات

بنيت بناء قد سما بك سمكـــه … منيفاً على هام السماكين ساميا

٦٦/ب

أقمت العلا بالجـــد والجـــود … تـــسرّ الـــــموالي أو تـــضرّ

---

(١)- إن : اه ، في (د).

(٢)- ذو : ذي ، في الموضعين في جميع النسخ ولا وجه له.

(٣)- هذا البيت ساقط من (ج) و (د).

(٤)- كُتب في هامش نسخة (أ) مانصه (ما أقبح لفظة (محن) وما أشينها بالوجه الحسن، خصوصا عند ساداتنا ذوي حسن، ولو قال (أثوابا من الدرن) لكان حسن ، إذ مناسبة الدرن للثوب أحسن.

(٥)- الإحن: الإهن ، في (د).

نـــهضت بأعبـــاء الـــسيادة وكفؤاً بما يرضى السيادة كافيا

وقمت لها بالعزم والحزم حاميا حماها وبالتسديد والحلم راعيا[1]

ذخرت لها بـــيض الـــصفاح وأعددتـــها سمر الرياح عواليا[2]

وعوّدتـــها الجـــرد المـــذاكى غوائل في يوم القراع عواديـــا

حللت ذراها وامتطيت سنامها وأوليتها حظًّا من المجـــد واقيـــا

وكنت لها يا ابـــن الأكـــارم به معصم العلياء أصبح حاليـــاً

سمت بك قدراً وازدهت بك ونالت مكاناً من معاليك عاليـــا

لك الهمم اللائي مراماتـــــها تقرّب منها ما انزوى عنك نائيا

لك العزمات الراميات سهامها إلى المجد رميا ليس يخطى المراميا

لك الوثبات القاذفات علـــى ببطشك في الحـــرب العـــوان

لك النظـــرات الـــصادقات بأنوارها تعدو إلى الرشد هاديـــا

إذا عنّ خطبٌ أو دجى بـــك تضيء فتمحو منه ما كان داجيا

ولا بدع هذا فيك يـــا ابـــن إذا كان سرّ الأصل في الفـــرع

نجارك زاك محتـــداً وأرومـــةً ولا شك طيب الغرس ينبـــت

فإنك من قوم كرام نُفُوسُـــهم مطامعها في المجد ما كان غاليـــا

ملوك تساموا للمعالي وأحرزوا من المجد ما عن غيرهـــم كـــان

حموا حوزة العليـــاء بـــالبيض وحازوا أقاصيها لهم والأدانيـــا

فكانوا لها أهلا وكانت حقيقةً لهم حيث كانـــت في ســـواهم

أئمـــة مجـــد عـــزةً وسماحـــةً وكرّا وإقداما يغيظ الأعاديـــا[4]

جحاجح أنجاداً أعاظم قـــادةً أماجد أجواداً كرامـــاً أعاليـــا

---

(١)- بالتسديد: بالشديد ، في (د).

(٢)- أعددتـــها: أعدوتـــها ، الرماح : الرياح ، في (ج) و (د).

(٣)-العوان: العوارة ، في (د) .

(٤)-إقداما : اقلاما ، في (د) .

١٦٧/أ

إذا سالموا ارفضّوا غيوثاً | وإن حاربوا انقضّوا ليوثا
وإن منحوا أغنوا وإن وعدوا | وإن نقموا ذنباً أحبّوا التغاضيا[٢]
إذا احتشدت منهم محافل | رأيت شموساً للعيون بواديا[٣]
ولم تر منهم قاصراً عن سيادة | ولا غافلاً عنها ولا متوانيا
وإن شابت الدنيا فمفخر | غضيضٌ وغصن المجد ريان زاهيا
وإن سلفت أيامهم ومضوا | ففخرك أحيا فخر من كان
وإنّك في الفخر الصميم مقدّمٌ | وإن كان وافانا علاؤك تاليا[٤]
وإنك أنداهم وأبسطهم يدا | وأطولهم باعاً وأسنى مساعيا
وأرفعهم قدراً وأمنعهم علا | وأقواهم بطشاً لمن كان عاتيا
مناقب جلّت أن أقوم بحصرها | نظاماً وأتلوها عليك مثانيا[٥]
يضيق نطاق النطق عنها | ويقصرني عن منتهاها مقاليا[٦]
ولكنْ تقاضاني انتسابي | لكم في امتداحى فاقتضيت
ففُهْتُ بمجهودي اعترافا | وأين العلا مني وأين مقاميا[٨]
ثنائي عليكم عزةٌ لي ورفعةٌ | وعزكم في غنية عن ثنائيا
بعثت بها مما ادخرت لآلئاً | توافيك من كنز القريض
فحقق لها منك القبول بنظرة | (تفك بها أسري) وتنهض

٦٧/ب

---

(١)-سالموا : سالوا ، في (د) .
(٢)- التغاضيا : التقاضيا ، في (د) .
(٣)- محافل : محاقل ، في (د) .
(٤)- وإنك في الفخر: وإن في الفخر ، في (ب) ، و(وإن كان في الفخر) في (ج) و (د) .
(٥)- جلت : طلبت ، في (د) .
(٦)- يضيق : يطيق ، في (ب) .
(٧)- تقاضاني: تضاني ، في (ج) و (د) .
(٨)- لقدركم: بقدركم ، في (ج) و (د) .
(٩)- توافيك: تعافيك ، في (د) .
(١٠) – ما بين القوسين بياض في (أ) و(ب) ، اثبته من (ج) و (د).

فإنك للإحسان أهــلٌ وإنـــني   محلّ له لازال جودك هاميـــا[١]

إذا لاحظتني منك نظرة راحم   بلغت من الأيام ما كنت راجيا

ودم وابق واسلم في الـــسيادة   بثوب التهاني نافذ الأمر راقيـــا

تساعدك الأقـــدار في كـــل   ويحفظك الرحمن باللطف واقيـــا

وطلب مني بعد العود إلى مكة المشرفة أبياتاً تكون لمجلس جدده في دار الشرافة وهي هذه:

يا حسن مجلـــسك الأنـــيس   الشامخ السامى النفيس الأمنع

قامت جوانبه وعـــزّ جنابـــه   وغدا لشمس الـــمجد أســـعد

جمع الـــــمحاسن فـــازدهى   فخرا على حسن الـــمباني أجمع

وسما على فلك الأثـــير لأنـــه   فلـــك الـــشرافة بالـــــمقام

لا غرو أن يعلو ويعظم قدره   بمعظّم حاوي الفـــضائل أروع

طود الجلالة قطب دائرة العلا   جحجاحهـــا الأسَـــد الأسَـــدّ

عين القلادة من سلالة هاشم   روح الـــــسيادة نورهـــــا

ملكٌ له خضع الأعاظم رهبةً   من سطوة تغتال من لم يخـــضع

ملكٌ له عَرَف الملوك مكانـــةً   قعساء بالشرف الصميم الأنصع

ملكٌ تقاصر دون رتبة مجـــده   عزْم المجدّ ونـــاظر الـــــمتطلع

نور النبوّة مشرقٌ في وجهـــه   فانظر سنا إشراقه أو فـــاسمع[٣]

شرفٌ نمى للمجد عن جرثومة   طابـــت منابـــت غرســـها

والسعد ينشد مادحاً ومؤرخاً   تجديد مجلسه بلفـــظ مبـــدع[٥]

أنشأت مجلسك الرحيب مجدّداً   فتهنّ عزًّا يـــا أجـــل مـــــمتّع

١٢٠٨   ١٢٠٨

٦٨/أ

---

(١)- وإنني : وإني ، في (د) .

(٢)- وسمى: وشمس ، في (د) .

(٣)- أو : الو ، في (د) .

(٤)- نمى: عنى ، في (د) .

(٥)- والسعد : واستمد ، في (د) .

والتمس مني بعض الأحباب مدح السادة الأشراف الشنابرة[١]،الساكنين بالمثناة من الطائف:

سقى الربع بالمثناة والمنــــزل ... وحيّا النوادي والمعاهــد والــشعبا

سقاها الحيا غيثاً هنيئاً مُجلّـــلا ... يعم الضواحى والمنابت والهضبا[٢]

منازل أنــس ينبــت العــشق ... بكل فؤاد قط مــا تركــت قلبــا

منازل تستجلى العيون جمالهــا ... فتصبو قلوب الناظرين لهــا حبًّــا

منازل أنْسَتْنِي بلادي وآنــست ... فؤادي فكانت لي هــى الطيــب

منازل ألفيت الوفــاء لأهلــها ... شقيق الندا حازوا الثنــا بـــهما

منازل مجد للنفــوس مطــالعٌ ... تضىء وما أرْخَتْ لأنوارها حُجْبــا

منازل جود للوفــود مناهــلٌ ... وردت بــها من جودهم مــورداً

منازل أهلوها كرامٌ وجــارهم ... عزيزٌ يوالون الجميــل لــه قربــا

عيونٌ ميامين الوجــوه أماجــدٌ ... سراة علا من شاب منــهم ومــن

سَـــمَوا للمعـــالي وامتطـــوا ... إلى ذروة تعلـــو وتـــستنــزل

هم السادة الأشراف مــن آل ... فاكرم بــهم من سادة وذوي قربى

يؤمّهمُ في قبلــة المجــد ماجــدٌ ... همامٌ وهم أمّوا بــه للعــلا حزْبــا

كريمٌ يحل الوفد صــدر محلــه ... ويغمرهم بالوفر من بــره وَهْبَــا

بشوشٌ يلاقي الضيف بالبشر والقرى ... وبــسط الأيــادي والــــمكارم

٦٨/ب

---

(١) – الشنابرة: هم عقب الشريف شنبر بن حسن بن محمد أبي نمي،ومازال أفراد هذه القبيلة ينتشرون بين مكة والطائف ووداي سعيا ميقات اليمن الذي يبعد عن مكة ١٢٠كم، ومن أفخاذهم المعروفة الآن (الدخالية الذين ينسبون إلى ممدوح الجداوي هذا. انظر:كتاب (معجم أشراف الحجاز في بلاد الحرمين) للشريف ضياء قللي العنقاوي ٢/٧٥٦

(٢)- الهضبا : اللضبا ، في (د) .

(٣)- منازل أنستني : منازلايستني ، في (د) .

(٤)- للوفود: الوفود ، في (د) .

(٥)- تعلو: مقلو ، في (د) .

بخَلق هو البدر الـــمنير إذا بدا وخُلقٌ هو النشر العــبير إذا هبّـــا

سجايا صفت حسنا وشـــفّت فلا كبْر يغشاها وحاشا ولا عُجْبـــا

(فلا غرو إن لم أقض واجـــب ففضل دخيـــل الله في عـــزّه أربى

وكلهم أنجـــاد فـــضل وعـــزّة أفاضل والمعروف أضحى لهم دأبا)[1]

فلا برحوا والمكرمات شعارهم بـــها ثمرات الحمد مدحاً لهم تجبى

وداموا لنا ذخراً وركن حمايـــة بـــهم ندفع الـــلاوا ونـــستمطر

وكتبت على ظهر الغراب[2] الـــمُجدد لسيدنا الشريف غالب :

ســـفينةٌ ميمونـــةٌ ســـعدها بنوره يجلـــو ديـــاجى الحلـــك

تسمو بمن قد حازهـــا للعـــلا فخراً على الفلك وزهر الفلك

لابدع أن تعلو على غيرهـــا فسيِّد الناس لهـــا قـــد ملـــك

طالعها الـــمـــسعود يقـــضى سار بـــها باليمن أنّـــى ســـلك

ياراكبـــا في متنـــها للغـــنى فزت من الربح بأعلى الـــملك

أبشر فقـــد وافـــاك تاريخهـــا في بيت شعر نظمـــة رقّ لـــك

تجري بعـــين الله جـــلّ اسمـــه والله يحبـــوك بـــــها مأملـــك

وقلت في مسيري الطائف المأنوس متوسلاً بالحبر رضي الله عنه سنة ١٢٠٨هـــ :

سعيت بصدق القصد في نيل رجوائي وصاحبت حسن الظن في كشف لأوائي

ووجّهت وجه العـــزم نحـــوك عليك فأحـــسن منـــك نـــزلي

قطعت الفيافي سائراً متيقنـــا بأنك تدنيني وتكرم مثـــوائى[4]

ويـــممت ســـاحات الحمـــى بظلك أستشفى بقربـــك مـــن

قصدتك يا حبر العلوم وإنّ لي مطـــامع في جـــدواك تُغْـــضى

(١)- البيتان ساقطان من (ج) و (د) .

(٢) – الغراب : مركب حربي ، جمعه: أغربة. أمراء البلد الحرام لأحمد زيني دحلان ص ٢٧١

(٣)- وافدا : واندا (ج) و (د) .

(٤)- تدنيني: تديني ، في (د) .

(٥)- يممت: تممت ، في (ج) و (د) ، (متفيئا) بدون نقط ولا همزة في (ج) و(د) .

٦٩/أ

وإنك إن لم أستطع شرح متنها ... لفي غنْيَة عـن شـرح حـالي

أنط حبل تأميلى بجودك جـد ... بجودك من تنويل قصد وإسداء

أقم لي يا ذا الجـاه جاهـك ... بتيسير عـسري وانجـلا ليـل

أغثنيَ يا غوث الورى بإغاثـة ... تقرّ بـها عيني وتبرد أحـشائى

أغثني بإمداد يعم عوالـمى ... يحيط بكلّى سـره وبـأجزائى

عسى مددٌ من فـيض بـرك ... به القلب نوراً من دجنّة أصدائى

عسى لـمحةٌ تبـدو لعـين ... تفيض على سرِّي ملابس أضواء

عسى وعسى رجـوى لغـير ... وأنت جديرٌ في رجائى بإعطائى

ومن قصد الأجواد أو حـلّ ... يعد ظافراً منهم بجود ونعماء[2]

فكيف بمن عمّـت مكارمـه ... عموم ظهور للقريب وللنـائى

كرائم فضل من كرامات سيّد ... تجـل عـن استقـصاء حـدٍّ

وها أنا قد وافيت سـوحك ... ببابك استجديك بسطة معطائى

وحاشاك أن أنحو حماك وأرتجي ... نداك ابن عباس ويخفق مسعائى

وقلت هذه الأبيات بعد الوصول إلى حماه والحلول :

هذا حمى الحبر ابن عـمّ الرسـول ... ومغرس الجود وباب الوصـول

هذا حمى البحر عبـاب النـدى ... السيد الشهم الجواد الوصـول

حمى عزيـز الجـار مـن حلّـه ... صال به عزًّا على من يصول[4]

حمى عـريض الجـاه مـن أَمّـه ... نال بـه كـلّ مـرام وسـول

فلـذْ بـه وانـزل بـساحاته ... يلقاك بالبشر ووجـه القبـول

تلق القرى والرفد والـمنـزل الر ... رحب وجود الجود هام هطول

(١)- البيت ساقط من (ج) و (د) .

(٢)- أو حلّ : وحلّ ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٣)- حدّ وإحصاء : صد وإحضاء ، في (د) .

(٤)- صال: حال ، في (ج) و (د) .

٦٩/ب

فـــتحٌ وإمـــدادٌ ومَـــنٌّ بـــلا — مَنٍّ وإســعادٌ وطَــوْلٌ وطُــول

مَنْ حــاتم الجــود ومعــنٌ ومَــنْ — يطاول الحبر ومن ذا يطــول[1]

فقف بــهذا الــسوح مــستمطرا — برّ الكريم البَرّ زاكي الأصــول

قل يا ابــن عبــاس وَفُــهْ طالبــا — بــملء شدقيك وقل ما تقــول

يا ابن الكرام الغــر مــن هاشــم — عاداتك الحسنى فإنّــا نــزول

إنــا نزلنــا بــالحمى والرجــا — أحلّنا سوحك بعــد القفــول

وقـــــد وفــــدنا ولآمالنــــا — فيك بما نرجوه منك الحــصول

فحقـــق الرجـــوى بإكرامنـــا — وقم بنا إنّا حططنــا الحمــول

إن أياديــــك لَهَــــا بــــسْطَــةٌ — بالجود للوفّاد منها الــشّمول[2]

فنظـــرةٌ منـــك إلينـــا بـــــها — يخضرّ عود العيش بعد الذبول[3]

فــأَجْر عاداتــك فينــا بــــما — نرجوه فضلا يا ابن عم الرسول

وقال – كان الله له وتقبل عمله وبلغه أمله[4] – وقلت هذه القصيدة وأرســلتها لمولاي السيد إبراهيم بن السيد محمد الأمير سنة ١١٩٣هـــ :

حيِّي يا عهــد الربــا تلــك — وتعاهدْها بمُنْهَــلِّ الــسحاب

حيّ ساحات الحمى مــن ذي — والوطايا والثنايــا والــشعاب

حيّ وَعْساء النَّقا والــمُنحنى — واللوى مأوى الأخاريد الكعاب

حيّ ليلي وحمى ليلــي ومــا — حول ليلى من رباع ورحاب[5]

حيّها عنّي تــحيّات الــصَّبَا — باكر الروض بفوج مستطاب[6]

ثَــمّ مأوى جيرتي موطن أحــ — ــباب قلبي دار سرْبِي وصحابي

(١)- ومعن: ومعزه ، في (د) .

(٢)- الشمول: شمول ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٣)- الذبول : الزبول، من (ج) و (د) .

(٤)- (رحمه الله تعالى) في (ج) و (د) .

(٥)- رباع: وهاد ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٦) – فاجَ المِسْكُ سَطَعَ. لسان العرب (فوج)

٧٠/أ

٧٠/ب

ثَمّ مغناطيس أنسي واجــتلا عين حسِّي لسَنَا مرْأى طــلابي

ثَــمّ معنى بسْط نفسي مبتدا زهْو غرسي منتهى حسن إيابي[1]

كم بــها لي مــن شــجون وصــبابات وصــفْو وتــصابي

وهوىً كان طــرازاً حَــسَنا في حواشي العيش مخضرّ الإهاب

وتقاضي صبوة قــد أينعــت لي بــــها الآمــــال في روض

يا رعى الله لويلات مــضت لي بذاك الحى في أهنا اقتراب[2]

غرراً كانت بــدا لي نورهــا في جبَــاه الــدهر مــن غــير

بين إخــوان صــفاء ووفــا قد صفا لي بــهمُ كأس شــرابي

يا سكونا بــالحمى حيّــاكمُ وابل الرحمى بغيث ذي انسكاب

عمّر الحب لكم في مهجــتي معهد الإخلاص يا لبّ اللبــاب

فهو مغنى ودِّكــم دام بكــم ريّض الجانب مرفوع الجنــاب

كم لكم ياسادتي مــن منَّــة وأياد جاوزت حــدّ الحــساب

قصُرت عن شكر أدناها يدي ولــساني بافتعــال وخطــاب

لاحظتْني نظرات اللطف مــن برّكم حتى هــدتْني للــصواب

وسقتني من كؤوس الحب مــا بــرده أطفــأ نــيران التــهابي

فاهتــدى قلــبي إلى قــربكمُ بعد أن طال مع البعــد عــذابي

سادتي أنتم غيــاثي عمــدتي سندي ذخري ملاذي فتح بابي

بكمُ عزّي ومــنْكم شــرفي ولكم عقد ولائــي وانتــسابي

وإليكم مرجعي في كــل مــا حلّ من وفْد همومي واضطرابي

وعليكم نــصرتي في ملتقــى جيش أعدائي إذا حاط العدا بي

حسُنت فيكم ظنوني فعــسى حسن ظني يقتضي حسن ثوابي

---

(١) – معنى: مضى ، في (د) .

(٢) – مضت : هنت ، في (ج) و (د) .

(٣) – جباه : جياد ، في (د) .

وجواب مولاي السيد مقيد مع المراسلات .

وقال وقلت مجيباً لنجله السيد الأبر الـــمجيد السيد يوسف[١] عن قصيدة صدرت إلي منه وهي مقيّدة أيضاً:

كيف أسلو ذكر أيّام الــصبا ... وهي كانت لـــــحياتي ســـببا

كيف أسلو صـــبوةً ألبـــسني ... أنسها الــمحض ثياباً قـــشبا[٢]

كيف أسلو نـــشوةً أنعـــشني ... روحهـــا بـــل شملـــتني طربـــا

كيف أسلو خمرةً دارت بـــها ... أكؤس الصفو وراقت مـــشربا

إنما قـــوت الفـــتى صـــبوته ... فاترك السالي وحالف من صبا[٣]

يا رعاها الله أيامـــا مـــضت ... قد قضى الأنس بـــها ما وجبـــا

ذهبـــت محمـــودةً آثارهـــا ... إنما أنسى بـــها مـــا ذهبـــا[٤]

غررا في جبهة الدهر انقضت ... كل أوقـــاتي بـــــها لي قربـــا

لم تزل ســـرّاؤها في خلـــدي ... فلهذا ذكرهـــا مـــا عزبـــا[٥]

فرصا كنـــت لهـــا مختلـــسا ... نلتـــــها في غفـــلات الرقبـــا

في زمان نـــهض الحـــظ بـــه ... خدمةً قـــام بـــــها منتـــصبا[٦]

كان والوقـــت ربيـــع بالهنـــا ... أخصب الربع بـــه واعـــشوشبا

كان والـــدهر بـــه مبتـــسمٌ ... فكأنْ شـــاهدت ثغـــراً أشـــنبا

---

(١) – هو يوسف بن إبراهيم بن محمد الهاشمي الأمير، ذكره الشوكاني في البدر الطالع عند ترجمته لأخيه علي، فوصفه بأنه من المشتغلين بالعلم والزهد وسلوك طريق الخير والعبادة والاشتغال بأمر الآخرة ، ترجم له الداغستاني في تحفة الدهر بعد ترجمته لوالده وأخيه، وذكر أنه رآه في المدينة، وأورد له شعرا إخوانيا وجهه إليه. تحفة الدهر لعمر الداغستاني (مخطوط) لوحة ٣١. البدر الطالع ٤٢٢/١ .

(٢) – ألبسني: البتني ، في (ج) و (د) .

(٣) – الفتى: الفتن ، في (د) .

(٤) – صدر البيت في (ج) (ذهبت آثارها محمودة) ،وفي (د) (فهبت آثارها محمودة) .

(٥) – سراؤها : أسرارها، في (ج) و (د) .

(٦) – زمان : زمانه ، في (د) .

كان والقلــب بــه مبتــهجٌ حسنت فيه الـــمنى منقلبــا

في رياض قد زهت أزهارهــا باسقات النَّوْر في خــدّ الربــا

نصب النوء بــها ظلّ حيــا مــدّ في الأرجــاء منــه طنبــا

٧١/ب

بغمام طــرّز الــبرق حــوا شيه بــاللمع طــرازا مــذهبا

ضحك الزهر بــه مبتــسما وبكــى الغــيم لهــا منتحبــا

والصبا تــهدي لنا في ظلــها أَرَجًا ينسيك منــشور الكبــا

والأغاريد علــى أفنانـــــها تحسن السجع وتــولي الطربــا

وخيول اللهو في ميدانـــــها بعد مجرى السبق تمــشي خببــا

والهوى يقضي علينا برضــى يــسقط الجــور قبــيلا للإبــا

وأنا إلف شــجون بــالحمى بفتــاة ذات حــسن في خبــا

دونــها أُسْد شرى يحمونــها خيسها السمر وأشفار الظُّبى[1]

وهي في حصن منيــع بالبــها حسْنها أرخى عليها الحجبــا[2]

لو بدت تجلو لــك الفــرق وتريك الفــرع منــها غيهبــا

أو رنت تسطو بطرف ساحر سحر هــاروت إليــه انتــسبا

غادة تــسبي النــهى مُلتفتــا أين من لفتتها جيــد الظِّبــا[3]

حيّرت عاشــقها في حــسنها فهــو في الحــيرة أنّــى ذهبــا

هائم القلب بــــها في ولــه لم يزل يشكو الــضنا مكتئبــا

دائم الوجد طــوى الأحــشا لوعة تــذكى الحــشا ملتــهبا

غارق من حبّهــا في لـــجّة سالكًا فيهــا طريقًــا لـــجبا

٧٢/أ

قابل التعذيب منها بـــهوى فغــدا فيهــا لــه مــستعذبا

---

(١) – خيسها: حسها ، في (ب) و (ج) و (د) ، والخِيس : الأجمة ، وهو موضع الأسد، ويقال :فلان في عدد أخيس أي كثير العدد. لسان العرب (خيس).

(٢) – أرخى: أرض ، في (د).

(٣) – (الظبا) مقصور (الظباء) للضرورة الشعرية.

ليس يدري شرّق العــاذل في   عذلــه في حبّهــا أو غرّبــا[١]

ما عليــه في هواهــا تبْعــةٌ   رضى اللاحى به أو غــضبا[٢]

هذه حالة مــن ذاق الهــوى   وارتدى الحب وعانى الوصــبا

وتخلــى وتحلــى بالــصفا   وسمــا في حبــه وانتــدبا

وتــدلّي وتــملّي بالوفــا   وتلقّــى وترقّــى رتبــا

يا لعمري إن عمر الــمرء ما   عمر الفــضل وأحيــا الأدبــا

والحياة الــمحض في الــدنيا   يثبت الحسنى ويــوعى الكتبــا

والعلا كل العلا كــل العــلا   حسن ذكر عنك يبقــى حقبــا

والكمالات الجلــى أنوارهــا   ما احتواه الندب زيــن الأدبــا

الأجل الأفضل الأروع مــن   أحرز القدح الــمعلّى واحــتبى

الأديب البارع الخنذيذ مــن   ساد مجدا وترقّى حــسبا[٣] [٤]

مــحرز السبق بــمــضمار   لــمقام دونه حــل الحــبى[٥]

حائز الفضلين علمــاً وتقــى   طــاهر الأصــلين أمًّــا وأبــا

طيّب المنشأ عــن جرثومــة   أصلها نور النبيّ الــــمجتبى[٦]

يا عزيز القدر وافى نظمكــم   ببــديع القــول قــولا طيبــا

جملا أودعتــها بــالنظم مــا   يخجل البــدر ويــزري الحببــا

طلبــت مــنى مجــاراةً لهــا   أين مــنى ســيدي مــا طُلبــا

أنت أعلى أن يجاريــك فــتى   لم يجئ في الــنظم حقّــا بنبــا

٧٢/ب

---

(١) – عذله: عدله ، في (ب) و(ج) و(د).

(٢) – تبعة: بقعة، في (د).

(٣) – الخِنْذِيذُ الشاعر المجيد المُنَقِّح المُفْلِقُ . لسان العرب (خنذ).

(٤) – الخنذيذ: الخنديد ، في (ج) و (د) .

(٥) – حل : مل ، في (د). الحِبى: جمع (حبوة) وهو الثوب الذي يحتبى به، والاحتباء هو أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به على ظهره ويشده عليها. لسان العرب (حبا).

(٦)- الجرثومة : الأصل، وجرثومة كل شيء أصله ومجتمعه. لسان العرب (جرثم).

وعلى الفرض بـأني شـاعرٌ فوقـوفي عنـد قـدري أدبـا

كيف والفضل شهيرٌ كـذكا في الضحى إنك نجـل النجبـا

فاقبل العـذر فـإني قاصـرٌ وابذل العفـو تكـن محتـسبا

غاية الفخـر لمثلـي كونـه لكـمُ في ودِّه منتـسبا

وقال- صانه الله عن سلوك طرق الضلال[1]-وقلت مجيباً لسيدي السيد حسن بـن عمر البار[2] نفعني الله ببركاته :

يا خـير ماجـد سمـا قـدرًا وعـزَّ منـصبا

يا نجل الاشراف الكرا م بـني الـنبيّ المجـتبى[3]

وافى لمنسوب المحبـ ـة منك بشرى أم نبـا

أم عقـد درّ أم درا ري أم زهـور في ربـا

أم بدر تـمٍّ أم ذكـا أم وجه غيـداء الخبـا[4]

أم نظم شـعر رائـق أشجى الفـؤاد وأطربـا

بل حكمة وافى بـها لحن الفـصاحة معربـا[5]

وعبـارة بإشـارة تولي البـشارة مكـسبا

أهدت تحيـات زكـا من عرفها طيـب الكبـا

فعرفت من نفحاتـها طـبي ورحـت مطيبـا

ولـمحت من أسرارها نور الرشـاد بـلا غبـا

وفَهمْت مـن تعبيرهـا معنى فَهُمْـت بـه صـبا

قابلتـها متـشوّقا ولقيتـها متأدبـا[1]

٧٣/أ

---

(١) – (رحمه الله تعالى) في (ج) و (د) .

(٢) – حسن بن عمر البار: لم أعثر له على ترجمة.

(٣) – الأشراف : أشراف ، في (ج) و (د) ، وهمزة القطع مثبته في (أ) إلا أن القطع يورث الخلل في الوزن، لذلك يوصل الهمز للضرورة ، وما أثبته من (ب) .

(٤) – بدر تم : بدور ، في (ب) و (ج) و (د) . (ذكا) أصلها (ذُكاء) وهي الشمس، قصرها الشاعر ضرورة.

(٥) – لحن: لحسن ، في (د) .

وشكرت حسن صنيعها وحمدتـــــها متـــهيّبا[٢]
وذكرت أيــام اللقــا بالحـــب في تلــك الربــا
حيث اقتضينا في المعــا هد بالوصـــال المأربــا[٣]
حيث اتّخذنا للــصفا ســتر الخلاعـــة مــذهبا
حيث اجتلينا حـــســـ ـــــن ســـلطان الجـــآذر
حيث ارتشفنا كأســـنا في الحب يـــصفو مــشربا
لله مـــا أحلـــى التـــدا ني بالحبيــــب وأعــــذبا
لــــم أنـــسه إذ زارني كالغصن يرفـــل في قبَــا
وجـــلا لعـــيني طلعـــةً كالشمس تجلو الغيهبـــا[٥]
فشهدت نور بـــــهائه بادي السنا لـــن يحجبــا
وضممت عطفًا أهيفــا ولثمـــــت ثغـــرا أشــــنبا
وغدوت مـــن فرحـــي أوليت منـــه مـــن الحبــا
أشدو على فنن السرو ر بالادّكـــــار مـــــشبِّبا
أشدو وأنـــشد ذكــره شعرا وأنـــشد مطربــا[٦]
وأروّح النسمات شـــو قا كلّمـــا هـــبّ الـــصَّبا

٧٣/ب

وقال أيضاً: وأرسل إليّ مولاي وسيدي الغيث الهامع والغوث النافع السيد حسن بن الحبيب السيد عمر في سنة١١٩٧ هــ، وأمرني بنظم أبيات على وزنـــها فقلت :

غزال بان اللوى الـــموفور في الحـــسن ذاك الأغن اللعوب[٧]

---

(١) – متشوقا: تشوقا ، في (د) .
(٢) – حمدتها : عمدتـــها ، في (د) .
(٣) – بالوصال: بالوسال ، في (ج) و (د) .
(٤) – الجآذر: الحاذر ، في (ج) و (د) .
(٥) – تجلو : تحلو ، في (ج) ،و (تخلو) في (د) .
(٦) – أشدو : أسدو ، في (ج) و (د) .
(٧) – الأغن : الاغره ، في (د) .

قد مر يثني قوام أهيف حـــوى اللطـــف ... ريّان ناهد كعـــوب

فقلت يا منيتي هل لا ترى منك قـــسمه ... لي من وصالك تنوب

والاّ قضى الحسن لك بالصد والحـــسن ... ماضى بحكم الوجوب

فمال عنّي دلال يزهو بتيهـــه وشـــــمّه ... وازورّ جامح غضوب

وقال مه قلت قربك يا منى القلب غنمه ... للمستهام الوصـــوب

فقال أينك وَوَصْلي دونه كـــل مَهْمَـــه ... طائـــــل وملقـــــى

ودون ما رمت من لقياي تجريد عزمـــه ... ونــــهضة من وثوب

فقلت صبّك سعى في عـــشق حـــسنك ... من قلب هايم طروب

حاشاه ما يدّعى اللوعه بحبّــك بتهمـــه ... ولا وداده مشوب[٢]

وحق مجلى جمالك يا قمر حــاز تـــــمّه ... ومطلعك في القلوب

إني أحبك على قربك وبعـــدك ومَهْمَـــه ... تكون أنت الـــمثوب

وإنما الوصل جنة من محا البعـــد رسمـــه ... وأحرقته الوصـــوب

فاسمح بلقياك واعطف وانعطف لي بضمه ... وكـــــن بوصـــــلك

فكم أراعي السهى وارقب مع الـــسهد ... ودمع عيني ســـكوب

وكم يعانق على فرش الـــضنا الجـــسم ... وكم يجافي الجنـــوب

لكن عساها الـــمنى تقضى لشملي بلمّه ... وتنجلي ذا الكروب

وبالرجا تنقضى كلّ الأمور الـــــمهمّه ... وينمحى كل حُـــوْب

وقال: وقلت هذا الحميني وأرسلته مع القصيدة البائية المتقدمة لمـــولاي الـــسيد إبراهيم الأمير وأجاب عليهما وهما والجواب في المراسلات:

سقا الحيا صيّب العهد الهتـــون ... معاهد الحى من ذاك الجنـــاب[٤]

---

(١) – أينك : اليك ، في (د) .

(٢) – اللوعة: للوعد ، في (ج) و (د) .

(٣) – وكن : وهو ، في (ج) و (د) .

(٤) – الهتون: المتون ، في (د) .

٧٤/أ

منازلا كم لقلبي مـن شـجون ... إلى روابي حماهـا والـشعاب
منازها حـسنها قيـد العيـون ... وحب سكانـها لب اللبـاب
يا حـبذا السهل منها والـحزون ... وروضها المشتهى روض الشباب

هبت سحيراً نـسيمات الـصبا ... بنفحة الطيب من ذاك الكثيب
فأنـشقتني شميمـا طيبـا ... فنشرها كان لي طبـا وطيـب
وافت وفي نفحها الزاكـى نبـا ... من ساكني ذلك الربع الخصيب
أهاج الاشواق من بعد السكون ... وحـرّك الوجـد في القلـب

٧٤/ب

ما زال قلـبي المعنّـى مغرمـا ... بـحب سكان هاتيك الخيـام
أهل الحمى حبـذا ذاك الحمـى ... وأهله جـيرة البيـت الحـرام
بحبـهم للعـلا قـدري سمـا ... ونلت مـن قربـهم أقـصى
وحـزت سـرا مـن الـسر ... بـهم وما فاتني منهم طـلاب

شـمس الـمحاسن تجلـت ... منهم بكل النواحي والجهات[١]
وصرت كلـى عيونـا نـاظرةْ ... لـمّا انجلى حسنها في الكائنات
يا حسن تلك الصفات البـاهرةْ ... شهود إشراقها يحيـي الرفـات
وهم بسوح الحـشا لايبرحـون ... وما على حسنها دوني حجـاب

وقال – بلّغه الله الآمال[٢] – وأرسل إليّ الأديب النجيب العفيف عبدالله بن محمد عبدالشكور[٣] قصيدة على هذا الوزن والقافية في سنة ١٢٠٥هـ فأجبته عنها:

---

(١) – الجهات: الجبات ، في (د) .

(٢) – (رحمه الله تعالى) ، في (ج) و (د) .

(٣) – هو عبدالله بن محمد عبد الشكور المكي الحنفي ، ولد بمكة ونشأ بـها ، وشرع في طلب العلم، فأخذ عن العلماء ومنهم عبد الملك القلعي . توفي سنة ١٢٥٧هـ. نشر النور والزهر ص ٣٠٥

٧٥/أ

نفـــسٌ إلى حبِّهـــا تَطَلُّبُهـــا   من حقهـــا أن يعـــزّ مطلبـــها

ومهجةٌ حشوها الغرام فـــلا   بـــدعٌ إذا شـــاقها محبَّبُهـــا

وروح صبٍّ تصبو إلى شجن   يعذب في شجوها تعذّبـــها[(١)]

ومقلةٌ تلحظ الجمـــال فـــلا   تملك إلا الـــدموع تـــسكبها[(٢)]

يبدو لها الحسن ناظراً فترى   نظرتـــــها بالهيـــام توصـــبها

والحسن مغنطيس القلـــوب   أسرع ما للقلوب يجذبـــــها[(٣)]

وبي غزال يغـــزو بنـــاظره   حـــشاشتي فتنـــة فينهبـــها

خريدةٌ لو تبلّجـــت لـــذكا   لالتجأت للسحاب يحجبـــها[(٤)]

مليكةٌ جندها الحسان سمـــا   في الحـــسن بـــين الـــملاح

تفتن أهل الحجـــا برونقهـــا   ويبـــهر النـــاظرين موكبـــها

محبوبةٌ آثرت جفـــاي علـــى   قربي وقد ســـمّني تجنّبـــها[(٦)]

تمنّعت والفـــؤاد في شـــغل   بـــها حليف الضنا معذّبـــها[(٧)]

أطمع في وصلها فتـــهجرني   وأشـــتكي هجرهـــا فيغـــضبها

وكلما جدّ لي بـــها طمـــعٌ   تجـــدّ لي جفـــوة ترتبـــها

وكلما شمت من زيارتـــها   بارقـــــةً لا أزال أرقبـــــها

فما أرى غير عارض ضَـــنن   أنّى لـــسُحْب يـــسحّ خلّبـــها

ولم يزل مذهبي الخضوع لها   صـــبابةً والـــصدود مذهبـــها

أصابر النفس والصبابة مـــا   بين ضـــلوعي ينمـــو تلهّبـــها

---

(١) – شجوها: شجو ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٢) – (مقلة) غير واضحة في (ج) ،و (وهل) في (د) .

(٣) – ما للقلوب : فما للقلوب ، في (د) .

(٤) – البيت ساقط من (د) .

(٥) – بين : زين ، منصبها : ينصبها ، في (ج) و (د) .

(٦) – جفاي: جفائي ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٧) – حليف: طيف ، في (ج) و (د) .

والقلب ما أنفكّ في محبّتـــها … يرغب في قربـــــها ويرهبـــها
حتى قـــضى حـــسنها بـــأن … بزورة لي ما كنت أحـــسبها[(١)]
وافت ولي غبطةٌ بـــها ولهـــا … عليّ عـــتبى الـــدلال تعتبـــها
تختال في حلّة الجمـــال بمـــا … يعجـــب عـــشاقها ويعجبـــها
تيّاهـــةٌ بانعطـــاف قامتـــها … تجـــــر أذيالهـــــا وتـــــسحبها
تلهو بغصن النقا فترقـــصه … وتنـــثني للقنـــا فتطربـــــها
لـــمياء معـــسولةٌ مقبّلـــها … يسكر كأس الـــمدام أشـــنبها
لي من سنا فرقها وطرّتـــــها … صبح غـــداة اللقـــا وغيهبـــها
ومن سنا غرّة العقيق هـــدى … يرشـــــدني للعــــلا فأطلبــــها
ندبٌ جميل الصفات أحمدها … ريّـــضها ســـبطها مهذّبـــــها
زين الـــمعالي جميل منظرها … بدر سماها الـــمضيء كوكبـــها
أجلّ أهل الآداب أوحـــدها … أحقّهـــــا بالكمـــــال أنجبــــها
أجلّ مقداره الكـــريم بـــأن … أحصى لـــه مدحـــةً وأكتبـــها
معرفتي بالقـــصور أليـــق بي … عن قولة في عـــلاه أســـهبها[(٢)]
أنّى لنظمي بأن يقـــوم بمـــا … حواه مـــن للنجـــوم يحـــسبها
يا سيدي قد بعثـــت لي درراً … تنظمهـــا بالثنـــا وتعربــــــها
أهديت في ضمن نظمها غررا … أعلقهـــا بـــالفؤاد أغربـــــها
أوليتني الطيبـــات مبتـــدئاً … خالصة الـــود منـــك أطيبـــها
قصيدةٌ كلّ شعرها حكـــمٌ … يا حسنها حيث أنت معربـــها
يزهو بزهر الربيع رونقهـــا … ويزدري بالبـــديع مغربـــــها
جاءت بصدق الولاء يمنحني … لحن مباني القريض معربـــــها
وتقتضيني لـــحق منـــشئها … ذمـــة ودٍّ علـــيّ توجبـــها[(١)]

(١) – عجز البيت هكذا في كل النسخ وهو مضطرب الوزن .
(٢) – أسهبها : الهبها ، في (د) .

٧٥/ب
٧٦/أ

وأنــي بالوفــا لهــا قمــنٌ	سجيةٌ فيّ لــست أكذبــــها[٢]
محبّـــةٌ للمحـــبِّ صـــافيةٌ	رقّ شـــذاها وراق مـــشربــها
قامت بــها نــشأتي ومــا	فيّ وجسمى للروح يصحبها[٣]
يشهدها بالــصفاء ذو مقــة	وضـــدّه بالقـــذى يـــحجِّبها
فمن رأى حسنها يــصدقّها	ومن رأى قبحهــا يكذّبـــها
وأنت حاشاك لم أردْك بمــا	فهت ولكن للنفس مأربــها[٤]
كيف وقد ضمّ شملنــا أدبٌ	بنـــسبة لا نـــزال ننـــسبها
ونحن أولى بأن نكون علــى	وتيرة في الهوى نــهذّبـــها[٥]
نكون في ودّنا علــى ثقــة	لم يعْدنا في الوفاق أصوبــها[٦]

وقال - لا زال معدنا لكل كمال[٧]- وقلت مجيباً لمولاي السيد إبراهيم الأمير عن مثلها :

صبا نجد سرت والليل مدجى	ففاح عبيرهــا في كــل فــجّ
وهبّ لها ريــاحٌ مرســلاتٌ	تثير سحائب النعمى وتزجى[٨]
فأمسى الأفق منها في بــرود	وفي خُلع من الأنــواء ســبج[٩]
مطرّزة الحواشي وهي دُكْــنٌ	بوَرْق البرق وَشْيًا فوق نَــسْج
تجود بغيدق الرحمى وتَــهْمى	غمائمها بــماء منــه ثــجّ[١٠]
سقت ربعــي وحيّـــت أرض	فأحيت من رياضى كلّ مَرْج[١]

---

(١) – تقتضيني: تقتضي ، في (ب) و (ج) و (د) ، ذمة: دمة ، في (ج) و (د) .

(٢) – قمن: ممن ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٣) – فيّ وجسمي: في جسمي ، في (ج) و (د) .

(٤) – أردك : أدرك ، في (ج) و (د) .

(٥) – نكون: تكون ، في (د) .

(٦) – نكون : تكون ، في (د) .

(٧) – (رحمه الله تعالى) ، في (ج) و (د) .

(٨) – تثير : تثرّ ، في (ج) و (د) .

(٩) – السُّبْجة: كساء أسود. لسان العرب (سبج) .

(١٠) – غمائمها: نمايمها ، في (ج) و (د) .

٧٦/ب

زها زرْعي وأثمر زَهْو يَنْعــــي ... بــــــها فَغَـــدَت حـــدائق ذات

تحايا ضمْنُها تحــف الهـــدايا ... تحفّ إليّ مــــن بـــاب الترجّـــى

مواقع قطْرها تتلو مثاني الثـــ ... ـــنا شكرا لـــموليها بلـــهج[٢]

ذكرت لها وما قلـــبي بنـــاس ... عهوداً ذكرها للقلب يـــشجي

سوابق قد وثقت بـــها حفاظا ... قديماً قبل تكـــويني ومـــشجي

أهاجت لاعج الأشواق منّـــى ... بذكراها فهاج لذاك وَهْجـــى[٣]

مصونات لقلـــبي كـــان دأبي ... وشأني كَتْمها عن كلّ دَمْـــج[٤]

إلى أن هينمت من حيّ ليلـــى ... نسيماتٌ بأزكى الطيب تُفْجي[٥]

فطارت كل خافقـــة لنجـــد ... بخافقة الفـــؤاد سَـــرَتْ بـــنَفْج

وأنّى للمحبّ وقـــد توالـــت ... به الأشجان دون هواه مُلْجـــى

وكيف يكاتم الأشواق صـــبٌّ ... يجاذبه الغرام بكـــلّ مُـــشْجي

ويدعوه الهوى من كلّ بـــاب ... فينهج للهوى في كل نــــهْج

وكم للسالكى سُبُل التـــصابي ... دواع ليس تُـــدرك بـــالتَّهَجّى

تُـــحَيْعل بالفلاح لـــمن تَدَانى ... وتؤذن بالنجاح لـــمن يُرجِّـــى

وتجلو للعيون بكـــلّ معـــنى ... وجـــوه الحـــسن مـــن دخـــل

فترشد للهداية مـــن رآهـــا ... فيحمد صبحه من بعد دلْـــــج

وتترك للغوى من قد تعـــامى ... وتغريه ببحـــر منـــه لـــــجّى

٧٧/أ

أمورٌ كلّهـــا حكـــمٌ ولكـــن ... دَرَجْتُ لـــما ســـواها بـــئس

---

(١) – (أرض نجعي) كتبت بطريقة موهمة غير واضحة في (ج) و (د) ، رياضي: رياض ، في (ب) ، وبدون نقط في (ج) ، وموهمة غير واضحة في (د) ، مرج : مزج ، في (ج) و (د) .

(٢) – لموليها : لوليها ، في (د) .

(٣) – لذاك: كذاك ، في (د) .

(٤) – دمج: مج ، في (ج) و (د) .

(٥) – فاج المسك: سطع ، وفاج كَفَاح. لسان العرب (فوج)

(٦) – تجلو: تجعل ، في (ج) و (د) .

وما حصّلت منها غير حبكى — معانيها على منـــوال نـــسجى
وإنّي معْ هوى نفسي وقـــوفٌ — على ما ليس يـــنفعني وينجـــى
فيا أسفي على عمـــر تفـــانى — ضـــياعاً في جنايـــات وخـــدج
قضيت به الخلاعات اغتباطـــا — ولا أحسنت للمقصود حجّـــى
ولا لي ملجأٌ من سوء فعلـــى — إليه يكون مـــستندي وحجّـــى
سوى حبّى لأهل البيت حبًّـــا — يقيني كـــل معـــضلة وينجـــى
رجوت به الشفاعة من حبيبي — وذلك خير ما يرجو الـــمرجىّ
عليه صلاة ربي كـــل حـــين — تباكر روض تربتـــه وتـــدجى
وتغشى الآل والأصحاب مهما — أقيمت بالـــمشاعر نسك حجّ

وقال: وأرسلت إليه هذه أيضاً والجواب معها في المراسلات :

قوموا بحالي قوّموا اعوجـــاجى — حلّو قيادي من عنـــا لجـــاجى
اذكوا بنبراس الصفا سراجى — أغنوا افتقاري ارحموا احتيـــاجى

بيت

داووا سقامى أنـــتمُ شـــفائى — رمّوا انصداعى أنتمُ دوائـــى[2]
وأنتمُ طـــبيي وطـــب دائـــى — أنتم أســـاتي عـــدّلوا مزاجـــى

بيت

يا ضـــيعتي إن لم تلاحظـــوني — يا خيـــبتي إن لم تـــساعدوني[3]
يا حـــسرتي إن لم تلاطفـــوني — بلطفكم في دهري الـــــمداجى

بيت

فقد غدا قلبي حليف الأحزان — مقروح الأحشا مستهام ولهـــان
أروح أغدو لا أزال ظمـــآن — لو ردّكم معذوذب الـــمزاج[1]

٧٧/ب

---

(١) – بئس: بس ، في (ب) و (ج) و (د) .
(٢) – داووا: داوا ، في (ج) و (د) .
(٣) – يا خيبتي: يا حيبتي ، في (د) .

بيت

ياحى شعب الود من فـؤادي … إلى متى ذا الصد والتمـادي[٢]

ما كان هذا منكمُ اعتقـادي … ومنكم مـا خـاب قـط راج

بيت

فكم لقلبي يـا أهيـل ودّي … من لوعة تضني الحشا ووجـد

وزفرة هاجت بكـل وقـد … يمـدّها في مهجـتي هيـاجي

بيت

وكم أباري الورق بالسجوع … وكم أجاري الودق بالـدموع

وكـم أواري الـشوق في … وكم أنادي النجم في الـدياجي

بيت

وكم أعاني وهجة احتراقـي … وكم أقاسي لوعـة اشـتياقي

وكم أمنّى القلـب بـالتلاقي … وكم أحاجيـه وكـم أداجـي

بيت

إن ما طرا ذكري لكم علـى … ولا انثنى عطف الرضا ولا مال

ولا انقضت لي بالوصال آمال … يا طول أحزاني ويا انزعـاجي

بيت

٧٨/أ

عطفاً على الـصب الـشجي … ورحمـةً للمغـرم الـمهيّم

فالعطف منكم طبّ ابن مريم … ولـيس إلا طـبّكم علاجـي

بيت

يامن بـهم قلب الـمحب … إن كان لي حبل الوداد موصول

منكم فذا أقـصى الـمرام … لكنّ لقياكم بـها ابتـهاجي

بيت

---

(١) – معذوذب: معذودب ، في (ج) ، و(معذوب) في (د) .

(٢) – متى ذا : من ذا ، في (د) .

ماذا عليكم لــو رحمتمــوني ... ولو قــضيتم باللقــا شــجوني

بالله فــضلاً حققــوا ظنــوني ... عوجـــــوا إلي أو فاحــــــسنوا

وقال – بلّغه الله الأوطار وأذهب عنه الأخطار[2] – وقلت مراسلاً :

٥٥/ب

إلامَ أرى جنح الدجى لــيس ... وحتامَ هذا الليــل لا يتزحــزح

لقد طال حتى لا رجاء لناظر ... يلاحظ ضوءا من نــهار ويلمح[3]

أدهريَ ليلٌ كله فلأجــل ذا ... به لــست أدري كيــف أمــسى

أحاول ما لا يسمح الدهر لي ... وأكدى بما ألقاه منــه وأكــدح

وأرجو من الأيام إنجاز موعدي ... خليقٌ به التأميل ما ليس يــنجح[4]

ومن روحة الأيام أوسع خطّةً ... لذي الضيق في أرجائها متفسح[5]

٧٨/ب

تقاصرت الآجال عنها وإنــها ... لأطول للآمــال فيهــا وأفــسح

لعمريَ هــذا حــال دنيــاي ... تريني بــها ما ليس يصلح يصلح

وزهدي عمّا تطلب الــنفس ... بــها الــصون لي عمّــا يــشين

أرى كل مطبوع على طبــع ... لرشح الأماني بالــــمنى يترشــح

طموحا لــما يرضاه منها ولو ... حقيقة ما يرضى به عنه يجمــح[7]

تكلّفه اللذات عنــها بكلفــة ... يقلدها العاني بــــها ويوشّــح[8]

سلامة نفس الحر أن لايرى له ... على ذلّة في مطمع قــط مطمــح

وما العمر إلا ما يدوم به الثنا ... وإلا فما في لذّة العيش مــربح[1]

---

(١) – (انعياجي) ، غير واضحة في (ب) و (ج) ، و(ايضاحي) في (د) .

(٢) – (رحمه الله تعالى) في (ج) و (د) .

(٣) – لناظر : لناظري ، في (ج) و (د) .

(٤) – (خليق) بدون نقط في (ب) و(ج) ، و(حليف) في (د) .

(٥) – لذي: لدى، في (ب) و (ج) و (د) .

(٦) – الصون: لصون ، في (ج) و (د) .

(٧) – طموحا: طوها ، في (د) .

(٨) – بــها ويوشح ، في (ب) ، و(وبها يوشح) في (ج) و (د) .

وإني في النعمى وفي البـؤس مواقف ترضى من يـذمّ ويمـدح
أعيذك من حالي رخائى وشدّتي فليتك تدري أيّ حاليّ أصـلح[2]
أخي ما أراني أن تكون مسائلا أخالك عنّي ألـغ مـا تـتلمّح[3]
فحسبك ما شاهدت لا مـا وإن ذاعـت الأقـوال فالحـال
وحسبك مـني لـو نظـرت يصرّح عنّي مُخـبراً ويلـوّح[5]
وكم بين قول القائلين ونظرة تراني بـها لو كنـت بـالقرب
على أنني أهدي لسمعك بعض عنيت به مـما يخـف ويـرجح
عنيت بما فيه عناي وراحـتي فعين عنائى مـا بـه أتـروّح[7]
وإني بـمن لاقيت لا متضائلٌ لديـه ولا جهـمٌ ولا متقـبّح
ولا ساخطٌ قربًا ولا شـاحطٌ ولا مغلقٌ بابًا لـما هـو يفـتح
وللعقل بالفكر الصحيح رويّةٌ تجول لـمغزاها اقتناصاً وتسبح[8]
نتيجتها أن ألبس الصبر ملبسا جميلا فإنّ الصبر أنجـى وأنجـح[9]
وأسكن للأقـدار في سـاحة لـما هو أرضى لي وأرجى وأرجح
وما لي بما يزهو لعـيني غـرّةً وإن زان منـه للنـواظر ملمـح
فللعين مني نـاظرٌ متنـزّةٌ بـه ولقلـبي نـاظرٌ متـصفّح
بلوت الليالي خبرةً فمنحتـها سجيّة من يصفو إليها ويصفح[10]

٧٩/أ

(١) – الثنا : الشنا ، في (د) .
(٢) – حالي : مالي ، في (د) .
(٣) – مسائلا : سائلا ، في (د) ، ألغ : الغى ، في (ج) و (د).
(٤) – لا ما سمعته: لان سمعته ، في (د) ، ذاعت: دعت .
(٥) – (فمخبري) غير منقوطة في (ج) و (د) .
(٦) – (بين) بياض في (ج) و (قول) في (د) .
(٧) – عنائي : منائي ، في (د) .
(٨) – لمغزاها : لغزاها ، في (د) .
(٩) – أنجى: الجى ، في (ج) و (د) .
(١٠) – سجية : سيجة ، في (ج) و (د) .

وإن ظهرت مــن خلْقهــا في فصفحة خلْقى منه أسمى وأسمح[1]

أجول مع الأيام جولتها معــى موافقـــةً فيمـــا تجــدّ وتمــزح

أقاوم حرباً من تقاوم حربــه وإن جَنَحَتْ للسلم إنِّىَ أجــنح[2]

عليّ لها حفــظ الــــموالاة وإن هى تمسى بي ضياعاً وتصبح[3]

ومن لي بأن لو انتحــى غــير أأبلغ من نحوي الــمرام وأنجح[4]

ومن صحب الأيام غير مسالم لها قابلته وهى للحــرب تلقــح

وإنّى على علمــى ومعــرفتي شكورٌ لها مثن بـــها متمــدّح[5]

رأيت صفائى في قذاها بصورة سمعت صدى صوتي بـــها وهـــو

جلت غيَر الأيام مرآة خاطري فلم أر فيها ما له النفس تطمــح

كفى عبرةً كرّ الجديدين إننــا لنلهو بــها أرجوحةً فنطــوّح[7]

تجدّ بنا ســيراً وتخلقنـــا بمـــا نسرّ لـــما تــجتزّ منّــا وتقْــرح

٧٩/ب

وقال – حفظه الله من الأسوا ودفع عن ساحاته كل لأوا [8]– وقلـــت مجيبـــاً لمولاي السيد إبراهيم الأمير نفعني الله ببركته وفسح في مدته :

أهـــلا بـــمنـــشور الهـــدى ومدْرج الرشد لنيــل النجــاح

أهلا بـــمنشور أهلّــت بــه فواتح الخـــير بــــخير متــاح

أهلاً بـــمنشور شـــذا عَرْفــه فاح الصَّبا معْه ولاح الــصباح

---

(١) – من خلقها : في خلقها ، في (ب) و(ج) و (د) .

(٢) – أقاوم : اقادم ، في (د) .

(٣) – الموالاة: الولاة ، في (ج) و (د) .

(٤) – أأبلغ: ابلغ ، في (ج) و (د) .

(٥) – وإني: وإن ، في (د) .

(٦) – صفائي : صناقي ، في (د) ، (بــها) ساقطة من (د) .

(٧) – لنلهو: لنهوا ، في (د) .

(٨) – (رحمه الله) في (ج) و (د) .

وافى بيوم شَــرَحَت صــدره ذُكَاء بالإشراق أيّ انــشراح[١]

مدّت على الآفاق من نورهــا أشــعةً ضــاء ســناها ولاح[٢]

يوم سرور قــد تجلّــت بــه كأنــها الحسناء ذات الوشــاح

باكرني بــالأنس في صــبحه طرس الوفا وفقًا على الإقتراح

واستقبل القلب وفود الهنــا منفسح القالب أيّ انفــساح[٣]

واستفتح الخاطر باب الــمنى وكان لا يُرْجى لَــهُ الإنفتــاح

واستروحت روحــي لــروح فخامرتــها راحــة الإرتيــاح

وقلت أهلاً مرحبــاً مرحبًــا بوارد الإصــلاح بالإصــطلاح

ونسمة الإصــباح في طيّهــا من ضمنه نشر بفحــواه فــاح

ناجيتها لــمّا سرى نفحهــا يا نــسمات الــصبح ألا عــم

كم لي بــهبّاتك من حاجــة ما لفؤادي في سواها طمــاح[٥]

فارو أحاديث أهيــل الحمــى مسندةً للسمع وهى الــصحاح

وروّح الــروح بأخبــارهم فهي دوا دائى وطب الجــراح

هل عجت في مسراك نحو الربا مراتع الآرَام مأوى الــملاح[٦]

وهل تعمّدت بــذاك الحمــى أحبابنا أهل الوجــوه الــصِّباح

قالت نعم عرّجت في منهجي إلى حمى ليلى وتلك النــواحى

حيث الظبا ترتــع مأنوســةً في ســوح هاتيــك النــواحى

٨٠/أ

---

(١) – وافى: وابي ، في (د) .

(٢) – مدّت : بدت ، في (د) .

(٣) – منفسح: ينفسح ، في (د) .

(٤) – نفحها : نضحها ، في (د) .

(٥) – (لي)ساقطة من (ج) و(د)، بــهباتك:بــهباك ، في (د)، ما لفؤادي :ما لفؤاد ، في (ج) ،و(هما لفؤاد) في(د).

(٦) – الآرام : الاوام ، في (ب) و (ج) و (د) ، وقد تم تعديل حرف الراء في نسخة(أ) عن حرف الواو وهو ما أشكل على الناسخ.

حيث الربا روضٌ وأغصانـــها ... منابر الـــورْق ذوات الجنـــاح

حيث الأزاهـــير لهـــا نـــضرةٌ ... دام بـــــها للناظرالإنـــشراح

حيث الخدود الورد والنرجس ... ـــغض عيونٌ والثغور الأقاح[1]

حيث الربوع الغـــر مأهولـــةٌ ... آنـــــسةٌ أفياؤهـــــا والنــــواح

حيث النجوم الزهر من حيّها ... تزهـــو بـــــهم نـــورا سمــــاء

وهم على العهـــد وعهـــدي ... أضحوا نشاوى الحب نـــدمان

قالوا بظلّ الـــدار في ســـاحة ... فيحاء ما للقلب عنها بـــراح[3]

وجاوروا الجار وما جـــاوروا ... إلا كريم الجار والـــمـــستماح

لله مــــــا أمنعهـــــا حـــــوزةً ... محفوظة الجانـــب لا تـــستباح

قلت أجل ريح الصبا إنـــهم ... أحوى بما قلت من الإمتـــداح

قد آثروا القرب فأثروا غـــنى ... بمتجر القرب ونـــالوا الربـــاح

واستوطنوا أم القُرَى والقرَى ... فيهـــا اعتلـــى القَـــدْر وحـــطّ

فهـــمْ أســـاةٌ لـــشفا علّـــة ... وهمْ هداةٌ لطريـــق الـــصلاح

٨٠/ب

وقال:وقلت مجيباً لمولاي المذكور عن قصيدة وردت إليّ منه على هذا الوزن:

الحمـــد لله الأحـــــد ... الواحد الفرد الـــصمد

أحمده فإنـــه المحمـــو ... د حمـــــدا لا يحـــــد[5]

فهـــو تعـــالى جَـــدُّهُ ... في ملكـــه قـــد انفـــرد

منـــزّهٌ عن صـــاحب ... وعـــن شـــريك وولـــد

---

(١) – الثغور : النفور ، في (د) .

(٢) – سماء : لسماء ، في (د) .

(٣) – قالوا: نالوا ، في (د) .

(٤) – حط: خط ، في (ج) و (د) .

(٥) – حمدا لا يحد: حمد لا يحد ، في (ج) و (د) .

ثم الـــصلاة دائمـــاً على أجـــلّ مـــن عَبـــد

من ارتقى لـــمستوى به الحـــديث قـــد ورد

دنا به لحضرة القـــد س ولله سجـــــــــــــد

وفي بساط الأنس قد خوطب سل ليس تـــرد

فنـــال ثَـــمّ رتبـــةً مـــا نالهـــا قـــط أحـــد

محمدٌ خـــير الـــورى أهدى الهـــداة للرشـــد

وآلـــــه وصـــــحبه الـــسادة الغـــر العمـــد

وبعـــد لا يخفـــاكم أن الكتـــاب قـــد ورد

من الأمير سيدي الـــ أجـــلّ خـــير معتمـــد

الجهبذ الندب الذكي العالـــميّ الـــــمعتقد[1]

مولاي إبراهيم شبـــ ـــل البطل الفذ الأســـد

أمير أهل العلم مشــ ـــكاة الهـــدى عـــالي

جمال أهل الفضل بالـــ ـــفـــــضل العزيـــــز

أكرم بـــها صـــحيفةً قام بـــــها مـــني الأود

ألفاظهـــا جـــواهرٌ كأنـــها العقد انتـــضد

وكلّهـــــا فوائـــــدٌ تزهو على نظم الزبد[4]

زال عن القلب الصدا بـــها وعن عيني الرمـــد

واســـتكمل الأنـــس عندي وجافاني النكـــد

ففي العبارات بـــــها فوائـــــدٌ لا تنتقـــــد

وفي الإشـــارات لهـــا مقاصدٌ لـــــمن قـــصد

٨١/أ

(١) – الذكي: الزكي ، في (د) .

(٢) – السند : الند ، في (د) .

(٣) – بالفضل : لفضل ، في (د) .

(٤) – (الزبد) : الزَّباد نوع من الطيب ، و(الزُّبَّاد) : نبات . لسان العرب ، القاموس المحيط (زبد)

وكـــم لهـــا بـــشارة أضحى بــــها عيـــشي
من عـــوذة إلى دُعـــا بـــه النجـــاح يـــستمد
وإنــــــها ذخــــيرةٌ لـــمن أعـــدّ واســـتعد
ومــــوردٌ مـــستعذبٌ لـــــمن إلى الخـــير وَرَد
أهدت سلاما بـــرْدُه أطفأ منِّـــى مـــا وَقَـــد
نشقت من أنفاســـها نشر الفلاح والـــــمدد
ذكـــرتمُ في ضـــمنها ذكراي في خـــير بلـــد
شــــوقاً إلى موعـــدة تطاولت عنها الـــــمدد
دوامــــه انتظـــاركم لـــموعد مـــني انعقـــد
وقد أحال دون مـــا رمت القضا ولا مـــرد
والحـــال إنّ عبـــدكم يرجو الوفا بمـــا وُعـــد
والله يقـــضى باللقـــا فضلاً وإن طال الأمـــد

٨١/ب

وقال — أعاذه الله من كل باغض وقال[١] — وقلـــت مكاتبـــاً للـــسيدين الجليلين السيد علي[٢] والسيد يوسف ابني مولاي السيد إبراهيم الأمير، وهمـــا إذ ذاك في اليمن الميمون، وجاء الجواب من مولاي السيد علي، وهو مقيد مع الأصل في محله مـــع قصيدة والدهما المرسلة إليهما التي كانت سبباً لنظمي هذه وإرسالها :

سرت نفحات الهدي مـــن علـــم إلى نيّري أفق الـــسيادة والــــــمجد[٣]
سرت من ربا نجد ففاح شميمهـــا بأطيب مما فـــاح مـــن نفحـــة النـــد

---

(١) – (رحمه الله تعالى) ، في (ج) و (د) .

(٢) – هو علي بن إبراهيم المذكور، واعظ زاجر يماني، ولد بصنعاء سنة ١١٧١هـــ، تصدر للوعظ سنة ١٢٠٨هـــ، حبس سنة ١٢١٦هـــ ومنع من الوعظ فعمل قصائد وعظية عامية انتشرت بين العامة، فكان يقول: منعنا من الوعظ في المساجد فأدخلناه البيوت والمجامع، له تصانيف، توفي سنة ١٢١٩هـــ، وقد ترجم له الداغستاني في تحفة الدهر بعد ترجمته لوالده، وذكر أنه رآه هو وأخيه في المدينة. تحفة الدهر للداغستاني (مخطوط) لوحة ٣٠ ، البدر الطالع للشوكاني ٤٢٠/١،الأعلام للزركلي ٢٥٢/٤

(٣) – نفحات : نفحة ، في (د) .

سرت من قبا والــرقمتين وعــالج ... وبان الــمصلَّى منبت الشيح والرند[١]

سرت من عوالي ثهمد وهضابــها ... ووادي العقيق الآهل الرحب للوفد[٢]

سرت والحيا يثنى على تلعاتـــها ... ملثّـــا يحييهـــا بأثنيـــة العهـــد[٤]

سرت والغمام الجون يرفَضُّ هَمْعُهُ ... على وجنات الروض دمعاً على خد[٥]

سرت ووميض البرق يفترّ ثغــره ... إلى الزهر إعجاباً لقهقهــة الرعــد[٦]

سرت والصَّبا النجــدي ضـــميرٌ ... فيا حبذا ما في ضمير الصَّبا النجدي[٧]

سرت وهى تجتاز الـــمنازل في ... وتصدر عن أهنى الــمناهل في الورد

سرت ولقلبي طيّ منشور عرفهـــا ... هدية هاد بـــل هدايـــة مـــستهدي[٨]

إلى أن ألــمّت وهى تنفح فوغــةً ... تُضَمِّخ طيباً من شذاها الحمى الجَدِّي[٩]

٨٢/أ

---

(١) – قبا : الموضع المعروف بالمدينة الذي نزل فيه الرسول r ، وأنشأ فيه مسجد قباء ، وهو الآن حي من أحياء المدينة. الرقمتين : الرقمتان : بحرّة المدينة الغربية ،وهما نــهدان من أنــهادها ، لونــهما أحمر الى الصفرة وتلك الحرة سوداء سميا بذلك .وفاء الوفاء ١٢٢٠/٤. عالج : رمل عالج يقع في طرف صحراء الصمان الشمالي شرق الدهناء. المغانم المطابة ص٢٢٥ . المصلى: مصلى العيد بالمدينة (مسجد الغمامة). وفاء الوفاء ١٣١٤/٤

(٢) – ذكر أبو علي الهجري أن ثهمد هضبة بالحزيز حزيز غنى ، وذكر الجاسر في كتاب المناسك عند تحديده لموضع يدعى (توز) أن توز: موضع يسمى الآن (أي في العصر الحاضر) التوزي يقع شرق سميراء بميل نحو الشرق ويقع على الدرجة ٢٦/٣٥درجة و٤١/٥٠ درجة تقريبا ، وقد ذكر الجاسر قول الراجز:

يارب خال لك بالحزيز ... بين سميراء وبين توز

فمن كلام الهجري والجاسر يظهر أن ثهمد في الحزيز وأن الحزيز بين سميراء وتوز التي حددها الجاسر بدقة وذكر أنــها ما زالت تعرف بــهذا الاسم.التعليقات والنوادر لأبي علي الهجري١٣٦٣/٣، المناسك ص٣١١.

(٣) – الآهل : لأهل، في (ج) ، و (لاهل) في (د) ، للوفد: الموفد ، في (د).

(٤) – الحيا يثني: الحيانين ، ملثا: ملقا ، في (د) .

(٥) – الجون: الجوى ، همعه: جمعه ، في (د) .

(٦) – يفتر: يفر ، في (د) .

(٧) – النجدي ضمير: النجد ضير ، في (د) .

(٨) – هدية : هدمه ، في (د) .

(٩) – فوغة الطيب : أول ما يفوح منه. لسان العرب (فوغ).

ومذ أزمعت فوراً على السير نحـــو هـــما قصدها ناشدتـــها أسوة القصد

وأنشدتـــها مستعطفاً جانب الوفا عليّ لها مستخبراً عن حمـــى دعـــد[٢]

(ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد لقد زادني مسراك وجداً على وجد) [٣]

أعد ذكر سكان الحمـــى فلخـــا طري اشتياقٌ لشجوى ما تعيـــد ومـــا

وإصحب فؤادي حيث يـــمّمت ورفقاً بمـــصحوب الـــمـــسير علـــى

وإلا فهب منّي ســـلاماً عليهمـــا تحيّـــــة ذي ودٍّ إلى أخَـــــوَيْ ودّ[٥]

وبلّغْهما منّي السلام على النـــوى وإن كان لا يجدي السلام على البعـــد

وقل لهما إني أقـــيم علـــى الـــولا وعهـــد ودادي في محبـــتكم عهـــدي

وعنعن أحاديث الغـــرام إليهمـــا عن السقم عن جسمي عن الليل عـــن

عن الحب عن قلبي عن الشوق عن جوانحها انضمّت على وَهَـــج الوقـــد

وأَنّه إلى سمعيهمـــا عـــن صـــبابتي عبـــارة أشـــواقي وبثّهمـــا وجـــدي

وقفْ واتْلُ آيات الثناء عليهمـــا كما ينبغـــي وابـــدأ بفاتحـــة الحمْـــد

فانـــهما أحـــرى بكـــلّ فـــضيلة وإنـــهما في ذروة الشرف النجـــدي

وقال – لطف الله به[٦] – وقلت هذه الأبيات وأرسلتها إلى مولاي السيد زيـــن العابدين[٧] لسبب اقتضى ذلك وجوابـــها مذكور في محلها هنالك:

٨٢/ب

تطوّلت يا زين الكرام علـــى وطوّلتني يا معدن الجود والجـــدّ

وطوّقت جيـــدي بالأيـــادي وقد نسجتها مـــن مكارمـــك

---

(١) – ألـــمّت: لـــمت ، في (ج) و (د) .

(٢) – مستخبرا: مستجزا ، في (د) .

(٣) – البيت تضمين وهو لابن الدمينة .

(٤) – الوخد : ضرب من سير الإبل سريع . لسان العرب (وخد).

(٥) – (فهب) غير واضحة وموهمة في (د) ، (منّي) ساقطة من (ب) و(ج) و (د).

(٦) – (رحمه الله تعالى) في (د) .

(٧) – لعله السيد زين العابدين بن محمد الحطاب، انظر ترجمته ص ٤٧، وللشاعر معه مباسطات ومراسلات .

فلست أباريها بطوق حمامــة ولا مثل تطويق الخريدة بالعقد[١]

ولكنّما العرفان ينمو غراســه بروض الوفا مــحض الــمحبة

على أن ودّي لم يزل في حفاظه ولكنّما تجديد عهد على عهــد

أخا الفضل عذراً من محــبٍّ خطا فكره عن واجب الــشكر

فلي مقَةٌ قد وفّر الله كنْهَهَــا لحبّــك في حــال اقتــرابي وفي

ولي ثقةٌ في جنــب فــضلك مناطا من الإخلاص موثقة العقد

وقد نصّ فكــري في أرائــك فريدة منظــوم مــورّدة الخــد

معطّرة الأطراف مسْكيَّة الشذا ببابــك تــستهدي الــسماح

فقابل محيّاها الذي تمّ حــسنه بمدحك واعذرني على منتــهى

وقال : وقلت أيضًا:

خليليّ وافاني الزمــان بمقــصدي ووالى لي الحــسنى بإنجــاز موعــدي

وأسعفني في كل ما رمت من مــنى وأسعد في إلــمام شملــى الــمبدَّد[٣]

وأدنى لقلبي ما نأى مــن مطــالبي وكان على قــربي لحبّــىَ مــسعدي[٤]

ألا هنيــاني يــا خليلــيّ إنّــها توالت مسرّاتي علــى رغــم حــسّدي

ألا هنيــاني دام لي بكمــا الهنــا دواعــى التــهاني لم تــزل في تجــدّد

ألا شــنّفا سمعيكمــا بعبــارتي قصيداً بــها يشجيكما صوت منــشد[٥]

فإن تصغيا سمعــاً لقــولي تطرّبــا لتفــصيل إجمــال الــسرور المجــدِّد[٦]

٨٣/أ

---

(١) – مثل: شك ، في (د) .

(٢) – فلي مقة: فلي ثقة ، في (ج) ، و(فلو ثقة) في (د) .

(٣) – اسعفني: استعفي ، في (د) .

(٤) – أدنى: أربي ، نأى نائي ، في (د) .

(٥) – (يشجيكما)، حرف الجيم مطموس في (أ) والأقرب معنى وكتابة أنه جيم، أما في (ب) و(ج) و (د) فهي (يشذيكما) .

(٦) – لتفصيل: لتفضيل ، في (ج) و (د) .

خذاه حديثاً مسندا عن قريحتي ... عن الذوق (عن) فكري عن الخاطر

ولن تسمعا في متنه عن روايتي ... سوى شرح أشواقي وبَثّ توجدي

وإن ترويا فارويا لعاشق ... محلّى بفرط الوجد بالشوق مرتد

حليف جوىً في الحب قد أخذ الهوى ... على صدقه الوثقى بعهد مؤكّد

طروبٌ رقيق القلب يخشع قلبه ... لشدو الأغاني أو لصدح المغرّد

ولوعٌ بمعنى الحسن مطلق حبّه ... مصون الحجى في نهجه عن تقيّد

وما ذاك إلا بعد أن قد رحلتما ... إلى جدة الفيحاء رحلة مُبْعِد

أقمت على حال بساحات مكة ... أروح مع اللذات فيها وأغتدي[٢]

أقمت وأفواج الهناء تؤمني ... وفوداً على رحب الفناء بمعهدي[٣]

ووجّهت قلبي نحو قبلة حسنها ... فشاهدت مجلاها بعين توحّدي

وصلّيت في محرابها فرض صبوتي ... ====================

وطوراً ألقّيها الوفا متعهداً ... إليها فتلقى بالقبول تعهّدي

فجلت مع الأفراح في كلّ وجهة ... بكل إمام في حماها ومقتدي[٥]

ويمّمت قصدي للصفا مع رفقة ... صفا لي بهم في مشرب الحب موردي

رفاقٌ ، مياه الرفق تجري بسوحهم ... لكل رفيق حلّ معْهم بمعهد[٦]

وصحبٌ معاني اللطف يبدو جمالها ... عليهم يرى إشْرَاقها كلُّ مهتد[٧]

بنوا للصفا أسّ اصطفاء وشيّدوا ... عليه مباني حبّهم بالتودّد

وطابوا فطبّوا داء قلبي بطيبهم ... فطبت بهم في حال بعد ومشهد[١]

---

(١) – (عن) ساقطة من (أ) ومثبته في (ب) و (ج) و (د) ، الخاطر : الخطر، في (د).

(٢) – أروح: اوح ، في (ج) و (د) .

(٣) – وفودا: افواد ، في (د) .

(٤) – عجز البيت بياض في جميع النسخ ، ويظهر أن به تجاوزا شرعيا .

(٥) – فجلت: فجعلت ، في (د) .

(٦) – حل: مل ، في (د) .

(٧) – إشراقها: اشواقها ، في (ب) و(ج) و (د) .

وناهيك إني إن نظرت إليهمُ فلم أرَ إلا سيّدًا وابن سيّد
فأنّى يطول المدح في طول كذا الشمس تعلو أن تطاولها يدي
تفيأت من أكنافهم ظلّ رأفة وأحرزت من إتحافهم كل مقصد
وناهزت نجم الأفق شأوا بنسبتي إليهم وفاخرت السماك بسؤددي
وصافحت يمنى الفضل من فيض فعدت بكل الخير من بسطة اليد
وقابلت منهم أوجها يوسفيةً عليها جلالات الجمال المحمّدي
وقبّلت ثغر اللطف من حسناتهم وقد هشّ عن عقد ابتسام منضّد[٢]
وعانقت عطف العطف منهم تميسه نسيم سجاياهم كقامة أملد
وشافهت منهم كل منطيق حكمة إذا قال أزرى بالبديع وأحمد
وكم من عطايا حزتها من نوالهم يقلّ لأدناها كثير التّحمّد
وكم يوم أنس قد قضينا بقربهم وكم لظلام الليل عنديَ من يد
وما فاتني إلا فواتكما لما ظفرت به من أهل ودّي بمفردي
لعُمْرُكُما لو كان يفدي اجتماعنا بكلّ نفيس كنت بالروح افتدي

٨٤/أ

وقال – غفر الله له – ولما وصل العلامة الأجل الفهامة مولانا السيد أحمد بن عمار الجزايرلي[٣] بجدة واجتمعت به ، والتمس أن يطلع على نظم الفقير فقلت :

ما نفح غالية وندّ وشميم قيصوم ورند[٤]
وأريج أنفاس الصَّبا هبّت بنشر عرار نجد

---

(١) – وطابوا : وحابوا ، في (د) ، داء: طيب ، في (ب) و(ج) و(د) ، حال: مال ، في (د) .
(٢) – ابتسام: ابسكم ، في (د) .
(٣) – هو أحمد بن عمار بن عبدالرحمن بن عمار الجزائري ، فاضل له اشتغال بالحديث والتاريخ ، من أهل الجزائر، رحل إلى الحجاز سنة ١١٧٢هـ وجاور بمكة ،توفي حوالي ١٢٠٥هـ. كما ذكره الداغستاني في تحفته أثناء ترجمته للسيد جعفر البرزنجي، وأورد له قصيدة في مدح البرزنجي. تحفة الدهر لعمر الداغستاني (مخطوط) لوحة ٤، الأعلام للزركلي ١/١٨٥
(٤) – نفح : نفحة ، في (ج) و (د) .

وشـــذا أزاهـــير الريـــا	ض وما مـــن الأطيـــاب
ولطيف ما تجلـــو لعيـــ	ـــنك مـــن نـــضارتـــها
تزهـــو مـــن التـــدبيج في	حلل بحسن الصبغ جـــدّ
ترنـــو بمقلـــة نـــرجس	وتـــهزّ بانـــة كـــلّ قـــدّ
وتبيح وجْنـــات الـــشقا	ئق للجنا وخـــدود وَرْد(١)
وتريـــك ثغـــر الاقحـــوا	نة باسمـــا بفريـــد عقـــد
تفترّ عـــن نَـــوْر يزهـــ	ـــهد في مفلّج ثغر هنـــد
ما ذاك أطيب من ســـجا	يا السيّد الـــسّنَد الأســـدّ
الماجد السامي من الـــ	ـــمجد الأثيل أشم نجد(٢)
بدر الكمـــال المـــستنيـــ	ـــر ضياؤه في كلّ ســـعْد
جرثومة الإفـــضال محـــ	ـــتد كلّ إحسان وحمْـــد
بحر العلوم الزاخر الطـــا	مى المغـــيض بكـــلّ مـــدّ
كنـــز المعـــارف واللطـــا	ئـــف للمريـــد المـــستمدّ
علم الهداية منبـــع الـــ	ـــعرفان مَهْيَع كلّ رشـــد
عمّـــار بنيـــان التقـــى	والعلم بـــالعزم الأشـــدّ
مولاي أحمد نجـــل عمـــ	ـــار سليل أجـــلّ جـــدّ
نور العمـــود الأحمـــدي	ي الهـــاشمى الـــمـــضري
المحرز الفخـــرين بالـــشر	فين مـــن نـــسب وجـــدّ
نـــسب النبـــوة معـــضدا	مجـــد الولايـــة أيّ مجـــد
أثـــني عليـــه وقـــدره	قد جلّ عن رسم وحـــدّ
وصـــفاته الغـــر الحـــسا	ن تجل عن حـــصر وعـــدّ
أنّـــى لإحـــصائى الثنـــا	ء به ولو أفرغت جهـــدي

٨٤/ب

(١) – للجنا: للجفا، في (د).

(٢) – (من) ساقطة من (ب) و(ج) و (د)، الأثيل: الأمثل، في (ج) و(د).

شرفت بمقـدمك الـبلا | د وأهلها يا خـير وفـد
أشــرقت في أرجائهـا | بجمال وجـه مثمعـدّ[1]
إشراق شمس الأفق عمّـ | ـت كلّ عامرة ووهـد
ياسيدي خلـصت إليـ | ـك بمحـض إخلاصـي
وسَعَتْ إلى علياك تقـ | ـرأ لـوح أشـواقي
كَلَّت عن السير الذميـ | ـل وقصّرت عن سـير
والشوق يجذبـها ويحملها | علـى سـير الـمُجدّ
تـهدي إليك تحيّة الـ | ـعبد الأخصّ بك الأودّ
وتقـوم عنّـي خدمـةً | لك بالثنا عن صدق قصد
شـكراً لـسابقة التعا | رف في عوالم أخذ عهـد
وتلـذّذاً بتـآلف الْـ | أشباح في الطور الأجدّ[2]
وإليكهـا ابنـة فكـرة | عجفاء من كـدح وكـدّ
ترجو القبول لهـا وحـا | شـا أن تخيّبـها بـردّ[3]
لكنّهـا إن لاحظـت | منك الرضى عادت برفد
دامت بك الأيـام تلـ | ـحم في مفاخرهـا
يـرد المـوالي المـستفيـ | ـد حياض عرفـك أي
ويعـود وفـرا بـالفوا | ئد والعوائد غير مكدي[6]
وبقيت في عـيش هـني | ي وافر البركـات رغـد
تحيـى المعـالم بـالعلو | م تبثّها تدعو وتـهدي

٨٥/أ

(١) – المثمعد من الوجوه: الظاهر البشرة الحسن السحنة . القاموس المحيط (ثمعد)
(٢) – تلذذا: تلذدا، في (ب) ، و(تلددا) ، في (ج) و (د) .
(٣) – تخيبها: يخيبها ، في (ب) و(ج) و (د) .
(٤) – مفاخرها : مناخرها ، في (د) .
(٥) – عرفك: عزمك ، في (ب) و (ج) و (د) .
(٦) – وفرا : وافر ، في (ج) و (د) .

وقال – لطف الله به في الحال والمال – وقلت هذه الحمينية وأرسلتها إلى مولاي السيد إبراهيم الأمير وعارضها مجيباً لها بمثلها وهما في المراسلات :

صـــراط قلـــبي في الهـــوى	وحبّكم أقـــصى مـــراده
باق على عهد الوداد القديم	وإن تطاول بـــه بعـــاده
يكابد العشقه بجسم ســـقيم	ويشتكى اللوعة فؤاده[1]
هائم هواكم في ضميره مقيم	دائـــم بأجفانـــه ســـهاده

٨٥/ب

بيت

يمسى حليف الوجد بـــاكى	حيران ما يعرف ســـكونه
جنون عشقه في المحبه فنـــون	قد لذّ له فـــيكم جنونـــه
شؤون وجده قد حوتـــــها	والحب من يشرح متونه[2]
لاقى الهوى العذري بقلـــب	وتمّ للحــــــسن انقيـــــاده

بيت

جمالكم يا نزهـــة النـــاظرين	مجلى ومطمح للنـــواظر[3]
وحبّكم يا فتنـــة الناســـكين	وحقّكم قيـــد الخـــواطر
وأنا المعنّى في الهوى عن يقين	بكم وكم مثلـــى مخـــاطر
مفتون في عـــشق الجمـــال	قـــد صـــحّ في العـــشق

وقال ـ بلغه الله الأرب ورفع به معالم الأدب[5] ـ وفي سنة ١١٩٥هـــ وأنا بمكة المشرفة في شهر محرم الحرام توجهت لوداع مولاي وسيدي السيد إبراهيم الأمير في داره فلم أجده فلما بلغه ذلك الخبر صدر إلي قصيدة فريدة أولها :

---

(١) – اللوعة : لوعة ، في (ب) و(ج) و (د) .
(٢) – المتون: المنون ، في (د) ، يشرح: شرحه، في (ج) و (د).
(٣) – مجلا ومطمح: مجلا مطمح ، في (ب) و(ج) و (د).
(٤) – العشق: العشقه ، في (ج) و (د) .
(٥) – (رحمه الله) في (ج) و (د) .

يا سارياً لازلت محمود السرى

واعقبها بنثر فلما وصلت إليّ بادرت بالجواب بما صورته وهما في المراسلات :

منشور صفْو سرَّ أم نشر سرى	**أمْ هدهد الأنباء وَافَى مُخْـــبرا**
أم هاتفٌ ألقى علـــيّ بوحْيِـــه	**معنًى به طرب الفؤاد تذكّرا[1]**
أم ريـــح روْحَنَـــة الـــضمائر	**ما جـــاء قِـــدْمًا في القمـــيص**

(١) – البيت ساقط من (ج) و (د) .

(٢) – روحنة: روضة ، في (ج) و (د)، مبشرا: مبسرا ، في (ج) ، و(بسرا) في (د) .

٨٦/أ

ولوائح الأنوار أم برق الحمـــى   أم عارض الأنواء أقبل ممطـــرا

أم كنّس الزهرى تجلّت في افْقها   أم يانع الزهر ازدهى وتنـــضّرا

أم بدر تمٍّ لاح أم قبسٌ أضـــا   أم صبح يـــوم مـــسرّتي قـــد

بل نفحة الإسعاد من كنْـــــز   وافى مع الإمداد من أمّ القرى

طاف النسيم بـــها على البيت   للدين أبرزه المهيمن مظهـــرا

وسعى بـــــها يـــــمّ الـــصفا   للمـــــروة الغـــراء ثمّ محـــدّرا

وأقام في ذاك الفنـــاء مـــصلّيًا   حيث المقام مهلّـــلاً ومكبّـــرا

وتفاوحت هبّاته في كـــلّ ســـا   حات الحمى الميمـــون أيمـــن

واستصحب النـــسمات مـــن   أَرَجًا فطاب بـــــها وأزمـــع

ثم انبرى نحـــوي ولي في طيّـــه   نشرٌ يضوع شـــذاه مـــسْكا

وأفاد من فحوى شميم عـــبيره   ما عنه منطوق العبارة قـــصّرا

معنى يدقّ عن الفهوم دراكـــه   فيعزّ أن يحجى وأن يتـــصورا

فتح الكريم لـــه بقلـــبي أعينًـــا   نظرت فَـــراقَ لعـــين قلـــبي

وأتاح لي الفتاح مـــن إجمالـــه   تفصيل هـــدْي كـــان ســـرًّا

وجلا لعيني من شـــوارقه ســـنًا   بـــــهر العقـــول وحقّـــه أن

وجلا عـــن القلـــب الـــصدى   فيه الحقيقة صورة لا تمتـــرى

نعمٌ من الـــمولى عليّ ســـوابغٌ   عظُمت وجلّت أن تُعدّ وتحصرا

٨٦/ب

شملت لطائفها جميع عوالـــمي   وأحاط بي السرّ المحيط وسوّرا

دارت علـــى كلّـــي وجزئـــي   شخـــصى بـــدارة ســـورها

---

(١) – مسرّتي: سرّتي ، في (د).

(٢) – تفاوحت: تقاومت ، في (د).

(٣) – أزمع: ارفع ، في (د).

(٤) – ولي في طيّه: إلي وطيه ، في (ب) و (ج) و (د).

(٥) – منظرا: مظهرا ، في (د).

(٦) – هدي: هذا ، في (ب) و (ج) و (د).

وفُرت بـــها قـــسَمي وبـــرّ ... قَـــسَمي فـــصرت بوفْرهـــا

صحّت بـــها سقَمي وأنـــهض ... هممي فكانـــت بي وكنـــت

نعمت بـــها روحـــي فرحـــت ... مشمول راحة قدسها متبخترا

ورقت بـــها نفسي لكلّ نفيسة ... منها بـــمرقاة النفاسة للـــذّرا

وظفرت منها بالوفـــاء لـــذمّتي ... في الحب حتى أبْـــتُ موثـــوق

فالقلب يؤنس من لطائف عرْفها ... ما نال يونس وهو نبذٌ بـــالعَرَا

والعين تسرح في منازه حسنها ... في جامع للحسن أضحى أزهرا

يا حبذا النسمات عبّق طيبـــها ... أرجاء كوني في الوجود وعطّرا

هي واردات عناية وردت على ... قلب به بعد العمايـــة أبـــصرا

حكمٌ أتتْ تترى بكلّ عبـــارة ... أضحى بـــها النطق الكـــريم

ومواعظٌ حسنت بقلبي موقعـــا ... من لفظ مولاي الأمير ولا مرا

الندب إبـــراهيم نجـــل محمـــد ... وحفيد إسماعيل أجمل من ترى

عين الجلالة منتقى بيت الرســـا ... لة منتـــهى فـــرع الأصـــالة

المورد العذب الذي ازدحمت به ... ـــــورّاد يرجـــون المعـــارف

والمنـــزل الرحب الذي حلّت ... ـــــوفّاد يبغـــون المكـــارم

ماذا على مثلي إذا نال الغـــنى ... فغدا به من بعد قُـــلٍّ مكثـــرا

لاغرو فهو سليل سلسلة الصفا ... من نسل طه المـــصطفى خـــير

يا سيّدي وافت عروس نظامكم ... تختال في حلل البهاء تبختـــرا

زفّت إليّ ولست من أكفائهـــا ... قدْرا وكم بين الثريّا والثـــرى

٨٧/أ

---

(١) – كلّي: كل ، في (د).

(٢) – بر ببرها: بريرها ، في (ج) و (د).

(٣) – أبت : بت ، في (ب) و (ج) و (د).

(٤) – عين : يمين ، في (د).

(٥) – المورد: الورد ، في (د) ، الوراد يرجون: الوراد يرجود ، في (ب)، و(الواردي جود) ، في (ج) و (د) .

(٦) – المنزل : النزل ، في (د).

وافت فأدهشني بـــديع جمالهـــا **فوقفت دون مقامها متحيّـــرا**

عذراً لتقصيري فلي فيما جرى **عذْرٌ يحقّق دهشتي عمّا جـــرى**

وإليكها من فكـــرة مكـــدودة **للهمّ أوردها الزمان وأصـــدرا**

أهدت إلى البحر الحصى مـــن **وتظن أن أهدت إليه الجـــوهرا**

فانظر لها متغاضياً عن شـــينها **سترا وحقّ لمثلها أن يُسترا**[1]

ويروق حسْن القـــول حـــسْن **بمضاعف الـــصلوات حـــسْنا**

تغشى النبي وآلـــه وصـــحابه **ما نُظّم القول البديع وسُـــطّرا**

الحمد لمستحق الحمد، والصلاة والسلام على صاحب لواء الحمد، وعلى آله أولي الجد، وأصحابه ذوي المجد ، أما بعد فهذه الأبيات كلها خُزَعْبِلات، أدّعت القريحة تأليفها، وزعم الفكر ترصيفها، تظنها إشارات، وهي شهوات ، وتحسبها لبانات وهي هفوات، غير أني أســـتميح بـــها فيوض الإمداد، وأستهل بـــها شموس الإسعاد ، فأصدرتـــها إلى عالي الجناب، فسيح الرحاب، جواباً لكتاب، وإعادة لخطاب، أترجى بقبولها فتح باب مقفل، ورفع حجاب مسبل، لا عن مجاراة نظم بنظم، ولا مباراة سهم بسهم، وأنّى للسُّكَيْت أن يجاري السابق في مضمار، أو أن يلحق له بغبار، وأين ثم أين، وكيف يقابل النحاس بخالص العين، هذا المقام بعيد مداه، لايدرك مرماه، ولكن في ساحة الفضل ما يستر الخلل، ويبلغ الأمل، ويحل المعضل، ويعجم المهمل، وأما تأخير الجواب، وتراخي مد الخطاب، فشاهد الحال يغني عن السؤال، وشواغل البال لايشوب تحقيقها إشكال.

٨٧/ب

شـــعـــر

(أمّا الوداد فموثوق العـــرى **إذا دَنَتْ أو نَأَتْ من بيننا الدار**

ونستمد من الله العون،وأن يحيط الكل بالصون،وأما الوصايا،فهي من القلب في الزوايا)[3].

---

(١) – لها: اما ، في (د).

(٢) – مؤثرا: مصدرا ، في (د).

(٣) – ما بين القوسين ساقط من (د).

قد أحاطت بفؤادي واستقرت فيه حتى عمّني نور سناها

واردَات بوصايا وردت ما لقلبي سلوةٌ عن مقتضاها

وأرجو من سيدي أن تقابلوها بوجه القبول، مع ستر الخلل حتى تبلغ الأمل، وإن وقفت في مقام يحصل من دونه الملل، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وأتباعه وحزبه.

٨٨/أ

وقال : ونظمت هذه القصيدة جواباً عن أبيات صدرت لي من مولاي السيد الجليل الأيد المثيل زين العابدين بن المرحوم السيد محمد الحطاب[١] :

أنضيد دُرٍّ أم مضيء دراري أم شَذْرُ وَرْق أم نثيرُ نُضار[٢][٣]

أم ورْد خدٍّ أم ثنايا مبسم أم نَوْر زهر أم زنادٌ واري

أم لَمْع برق في خلال غمامة أم لَمْع نور أم تلهّب نار

أم نفْث سحْر أم كؤوس عقار أم بدْر تمٍّ أم شموس نهار

بل شعبة السحر الحلال غدت صور المحاسن نزهة الأبصار

جملٌ من القول البديع زهت قول البديع بنظمها المختار

جمعت تفاصيل الكلام وأجملت في طيّها سرٌّ من الأسرار

رقّت معانيها ورقّ خطابها وتبلّجت بالحسن للنّظّار

أنْسَتْ فصاحتها ابن هانئ ألفاظها حسْناً على مهيار[٤][٥]

سحبت على سحبان فضل فخراً فلم يذعن له بفخار[٦]

وافت ونفح الطيب يعبق منها فينسى نسمة الأسحار

---

(١) – سبقت ترجمته ، الديوان ص ٤٧

(٢) الشَّذْر : قطع من الذهب يلقط من المعدن من غير إذابة الحجارة. لسان العرب (شذر)

(٣) شذر : شدو ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٤) – ابن هاني هو الشاعر الحسن بن هانئ المعروف بأبي نواس ، توفي سنة١٩٨هـ.الأعلام٢/٢٢٥

- هو مهيار بن مرزويه الديلمي ، شاعر كبير فارسي الأصل من أهل بغداد ، يل يقال إنه جمع بين فصاحة العرب ومعاني العجم، توفي سنة ٤٢٨هـ. الأعلام ٧/٣١٧

(٥) – فصاحتها : نصاحتها ، في (د).

(٦) – هو سحبان بن زفر بن إياس الوائلي من باهلة ، خطيب يضرب به المثل في البيان ، اشتهر في الجاهلية وعاش زمنا في الإسلام. توفي سنة٥٤هـ . الأعلام ٣/٧٨ .

٨٨/ب

وبدا محيّاها الجميل لنــاظري بادي السنا من مطلع الأنــوار

من ماجد سامى المقام سَــمَت رتب الــمعالي شامخ المقــدار

حاوي الفضائل والفواضــل نسْل الكرام ســلالة الأخيــار

روح السيادة عين إنسان العلا قطْب الجلالة نقطــة البيكــار

روْض الإفادة والإجادة موْرد أدب الــنمير عبابــه الزخّــار

البدر زين العابدين أخو الوفا نجْل الجمــال محمّــد المختــار

السيد السند الذي أضحى به غرْس المعارف يــانع الأزهــار

الماجد الندْب الــذي آدابــه أنْس النفوس ومطمح الأبــصار

المنهل العذب الذي ازدحمــت ـــورّاد ورْداً طيّب الإصــدار

نظم القريض فرائدا بفوائــد يدري عوائدها اللبيب الــداري

نظْماً أدارته القريحة أكؤســاً يغنى بــها الذوّاق عن إســكار

ومواعظ استجلت عرائــسها لــمّا انجلت بأرائك الأشــعار

جادت وأجــدت واســتجاد قلبٌ سليم الطبع غير مــمار[(١)]

وقضت بإرشــاد الــــمريد وبدت له في النهج خير منــار

وجلت عن القلب الصدا لَمّا وجه النصيحة واضح الإســفار

بعبارة ضمنت وجازة لفظهــا ما قلّ عنه عبــارة الــــمكثار

وإشارة مدّ البنــان بيانــــها لدلالــة نجحــا لخــير مــشار

أكرمْ به من سيّد طبعت على كرم سجاياه بفضل البــاري[(٢)]

وإليك من خدن الوداد قصيدةً جمعت شقاشق قاصــر مهــذار

لم يوف قدرك مدحةً في نظمها علياك كالسكّيت في الــمضمار

فاقبل وقابل بالقبول قصورها ياسيدي وأَقــلْ- ســلمت -

٨٩/أ

وقال : وقلت مكاتباً لبعض الأصحاب :

---

(١) – مقادها: مغادها ، في (ب)، و(مغارها) في (د).

(٢) – أكرم: الرم ، في (د).

سلامٌ كما أهدى النسيم إلى شذى نفحات عرْفها طيّب

سلامٌ كما فاح العبير معطّرا يَلَنْجَجُه الأرجاء بالأرج

سلامٌ كما ناح الحمام مشبّبًا بأشجانه في ملْد أفنانه النضر

سلامٌ كما افترّ الأقاح بمبسم حلا شنبًا قد فات مفترّة الثغر

سلامٌ كوضّاح الصباح وقد ظلام الدجى من أفْقه بسنا

سلامٌ كما انهلّ الغمام على وحيّت محيّاها تحاياه بالقطر

سلامٌ كما تزهو الرياض بما قد كساها الغيث من حلل

سلامٌ كما مدّ الأصيل شعاعه من الشمس تبْرًا فوق ديباجة

سلامٌ كعقد الدرّ يكمل حسنه إذا كان من جيد الخريدة

سلامٌ كما تبدو الدراري نثارا لعرس ثم تعلن بالشكر

سلامٌ كما طاب الصفا وصفا لمن طابقت أخباره كرم

سلامٌ عليك الله يبقيك للعلا ويمتعني فيها بأخلاقك الغرّ(٤)

سلامٌ على أخلاقك الغر والثنا وإن طال نظمى فيك جلّ عن

ومن لي بأن أثني عليك مسلّمًا بقاؤك للعليا ثناءٌ على الدهر

وقال في صدر كتاب :

أرتّل آيات الثناء بحضرة عَلَتْ أن أباريها بشمس الضحى

وأهدي سلاماً لائقاً بمقامها على أنّني لم أقض واجبها شكرا

٨٩/ب

مشجّر(٦)

عسجد الخدّ أنبت الجلّنارا ومحيّاك أطلع الأنوارا

---

(١) – اليلنجج: عود الطيب وقيل شجر آخر يتبخر به. لسان العرب (لجج).

(٢) – يكمل : بكل ، في (د).

(٣) – طاف: طاب ، في (ب) و (ج) و (د).

(٤) – يمتعني: يمنعني ، في (ب) و (ج) و (د).

(٥) – أباريها: يباريها ، في (ج) و (د).

(٦) – الاسم المشجر هو : عبد الرزاق.

بأبي منك طلعةً تخجل الشمـ ـس بـهاءً وتفضح الأقمـارا

دمت يا دولة المحاسن في الـ ـعشاق بالحسن ناهياً أمّـارا[١]

آيةٌ أنت في الجمـال تجلّـى نورهـا للعيـون لا تتـوارى

لك في روض وجْنَة الخدّ خالٌ خلته في الـجنان يعبـد نـارا

رحت بالوهم أجتني الـورد فإذا الخـال يحـرس الأزهـارا

زانك الله ما أرقّ حواشيـ ـك جـمالاً ورقَّـةً وازورارا

أنا أصبا العشاق فيك غرامـا فلهذا خلعت فيـك العـذارا

قد تصابيت في هواك وألغيـ ـت وقـاري وهمـت فيـك

مشجّر[٣]

شفاء فؤاد الصب وصْل شفاء إذا لم يواصلْني أمـوت بـدائى

فيا من لقلبي في تلاقيه نعمـةٌ تـحنّنْ على قلـبي الـشجى

أجرنيَ من طـول الـصدود فصدّك دائى والوصال دوائـى

وقال – لا زال منهلا للوارد وملجأ للقاصد[٥] - : وأرسل إليّ العلامة الأوحـد الفهامة الأمجد مولاي الشيخ سعيد بن علي اليمني الشهير بالقيرواني[٦] أبياتاً يلتمس مـني ساعة جيب فتعذر وجودها فأجبته على أبياته معتذراً بما صورته :

٩٠/أ

مـولاي يـا عـين وأجلّ أرباب الـمفاخر

يا واحد العلياء يـا فرد الأفاضل والأفاخر

يا واحد المجد المؤثّـل ـمحامد والـمآثر

يا سيدا جمع الفـضا ئـل في الـموارد

(١) – أمّارا : وأمّارا ، في (ب) و (ج) و (د).

(٢) – (تصابيت)،(تصا) بياض في (ج) ، وساقط من (د).

(٣) – اللفظ المشجر هو: شفا .

(٤) – قلبي: قلب ، في (ج) و (د).

(٥) – (لازال منهلا للوراد وملجأً للقصاد) في (ب) ، وفي (ج) و (د) (رحمه الله تعالى).

(٦) – لم أعثر له على ترجمة.

يا محرزا حسن الشما   ئل في البواطن والظواهر

يا قبلة الأدب الـــتي   صلّت لكعبتها الخواطر

أعني سعيد بن الأبرّ   عليٍّ الحَسَن البوادر(١)

أسعد به من ماجـــد   قرّت بطلعته النـــواظر

جادت به الأيام جو   د الجـــود والـــسحب

فأعشوشبت بوجوده   ســـــوح الكمـــــالات

فغدت برونق فـــضله   تزهو روابيها النواضـــر

وعلت برفعة قـــدره   وعلاه أندية المحاضر(٢)

لا بدْع فهو أجلّ أن   تحصى مناقبه الـــدفاتر

أدبٌ إلى حسب إلى   نسب عريـــق الأصـــل

أنّى لـــمثلي حـــصر   دونه الوصّاف قاصـــر

يا سيّدي وافا لعبـــــ   ـــدك سمـــط منـــتظم

بل أزهرت من أفـــق   ـــــــلك لي دراريـــــه

بل أينعت بسما ذكا   ئك لي طوالعه السوافر

لله ما أبـــــهى لطـــا   ئفـــــك الجليّـــــات

لله ما أســـرى معـــا   رفـــــك المـــــصونة في

نُزَهٌ تنـــزّه نـــاظري   فيها على زاه وزاهـــر

وعـــرائسٌ جُليـــت   ـــلى حُـــسْـــنها بـــاه

بـــــجمالها أمْتَعْـــت   ق البواصر والبـــصائر

سحبت على سحبان   ـــــــل الإفتخـــار ولا

أنسى البديع بديعها   حـــــــسنا وآنـــــست

٩٠/ب

(١) – الحسن: حسن ، في (د).

(٢) – أندية: أفدية ، في (د).

(٣) – فضلك: فضلت ، في (ج) و (د).

بفصاحة بـــهرت محا … سنها المجالس والمحاضـــر

وبلاغـــــة قـــصرت … ـــراها مجاراة المناظر[٢]

فالْغ الأوائل عنـــدها … وافخرْ بنابغة الأواخر[٣]

وافت ووجه الـــود … ـــها واضح الإشـــراق

ولقد فهمت بضمنها … أمراً يسيراً غير حاضر[٤]

وهو الْتماسك ساعةً … منّي لجيب منك عاطر[٥]

ولو اقتـــدرت لَمَـــا … ت وأنت حقاً خير عاذر

وعزيز قدرك عزّ أن … أبدي اعتـــذاري عـــن

والحبّ يقضى بالسما … ح وبيت صدق الـــودّ

٩١/أ

وقال : وصل إليّ من الأجل الأوحد الشيخ سعد الدين بن الشيخ سعيد بـــن علي القيرواني[٦] كتاب يتضمن الأخبار بانتقال والده[٧] المذكور قبـــل وصـــوله إليـــه واجتماعه عليه –رحمه الله تعالى- ومعها مزدوجة مرسلة إليه من والده المذكور داعيها معتبة منه لولده في انقطاع مراسلاته عن الفقير، فلما أرسلها ولده المذكور إليّ أجبته بما هو مسطور وأصحبته مرثية في والده المزبور وصدرتـــهما إليه .

الحمـــــد لله علـــى الـــدوام … وأفـــضل الـــصلاة والـــسلام

على ختام الرســـل الكـــرام … وآلـــه وصـــحبه الأعـــلام[٨]

وبعد فالثنـــاء يهـــدى تتـــرا … شفعا يحفّـــه الوفـــا ووتـــرا[٩]

يسفر عن وجه الوداد بـــشرا … يضيء نورا ويـــضوع نـــشرا

---

(١) – أنسى: انس ، في (ب) و(ج) و (د)، وآنست: آنست، في (ب) و (ج) و (د).

(٢) – المناظر: الناظر، في (ج) و (د).

(٣) – فالغ: فلغ، في (ب) و (ج) و (د) ، افخر: امحر ، في (ب) ، وترك مكانـــها بياضا في (ج) ، وساقطة من (د).

(٤) – يسيرا: سرا ، في (ج) و (د) ، حاضر: خاضر ، في (د) .

(٥) – التماسك: التماس، في (ب) و (ج) و (د).

(٦) – لم أعثر له على ترجمة.

(٧) – في (ب) (ولده) ، وفي (ب) و(ج) و(د) (والده) ، وقد أشير إلى إضافة الألف في هامش (ب) .

(٨) – خاتم: ختام ، في (د).

(٩) – يحفه: يخصه ، في (د).

إلى عريق الـمجد والرياسه ... جمال وجه الفضل والكياسه[1]

ذي الفخر والسؤدد والنفاسه ... والحلم والعرفان والسياسه

مولاي سعد الدين خدن ... حاوي الكمال في ابتداء الطلب

نجل سعيد بن علي بن أبي ... بكر جليل القدر زاكي الحسب

أهدي إليه تحف الهدايا ... من غرر السلام والتحايا

بالفائق اللائق للمزايا ... ولكريم تلكمُ السجايا

وبعد إهداء صنوف الأثنيه ... وواجب العزا له والتسليه

وبسط كفي بمجاب الأدعيه ... لله أن يحفظه ويبقيه

٩١/ب

أنهى له ورود عقد الدرّ ... لا بل نوامى باسقات الزهر

لا بل أفانيد فنون السحر ... تكوّنت روحاً بجسم الشعر

ألوكةٌ تزهو على الزهور ... لطفًا وتزري بسنا البدور[2]

حسنا وتجلو النور أيّ نور ... صبح المعاني في دجى المسطور

أذْعَنَ باللطف لها النسيم ... ولشذاها اعترف الشميم

وقد أقرّ اللؤلؤ النظيم ... أن ليس في الحسن لها قسيم

تضمنّت معذرةً لعتبي ... وأظهرت من ودّها المخبّا

وخَلُصت لي بالوفاء حبّا ... فنزّهت عينًا وسرّت قلبا

وداهقتني للصفا كؤوسا ... جلوْتها لأدبي عروسا[3]

كأنني احتسيت خندريسا ... كانت لداء القلب طبّ عيسى

فقلت ما أحلى اعتذار حبّي ... من حيث لا موجدة لعتبي

وما جرى اعتذاره عن ذنب ... وإنما قضى بحقّ الحب

حاشا لأخلاق سعيد بن علي ... بأن تبوء بالوفا لزلل

---

(١) – وجه: وجد ، في (ج) و (د).

(٢) – الألوكة: الرسالة. لسان العرب (ألك)

(٣) – لأدبي: لأربي ، في (د).

١٩٢/أ

أو تنثني مـــن ودّه لـــــملل	فإنه نورٌ مـــن الـــصفا جلـــى
كان لعيني إن نظـــرت قـــرّه	ولفـــؤاي باعـــث الـــمـــسرّه
فكم حلا لي منه غـــير مـــرّه	جذب القـــوافي درّةً بـــدرّه[1]
فابتزّه الدهر الخـــؤون منّـــي	وحجب الـــموت سناه عنّـــي
فقدته لهفـــي لفقـــد خـــدني	بـــوّأهُ الله جنـــــان عـــــدن
أبقاك سعد الـــدين مـــولاك	تجمع بالتليد طارف الشرف[2]
مدّخراً عند الكريم من سلف	وأنت باللطف من الله تُحَـــفّ
إليكهـــــا يزفّهـــــا التأميـــــل	عذراء فكْر مهْرهـــا القبـــول
إن صـــحّ بالـــسوح لـــــها	وقُبلت تـــمّ لهـــا الـــــمأمول

وقال-صانه الله عن الإخلال[4]- وقلت هذه الأبيات وأرسلتها إلى مـــولاي الـــسيد إبراهييم الأمير معتذراً إليه عن سهو صدر مني، وأرسل لي الجواب طويلاً وهو عنـــدي في محله.

قلبي يفيدك عن سلامة صدره	حبًّا تمحّض من شوائب غـــدره
يجلو لعينك صـــدْق ودٍّ ورْدُه	صاف على حلو الزمان ومُرِّه[5]
بادي السنا يقضى بواجبه الثنا	لجميل صـــنعك عـــاجزٌ عـــن
متنصّلا من كل مـــا كـــسب	لصفائه متبـــسّطاً في عـــذره[7]
سل عنه قلبك فهو أصـــدق	ينبيك في الأخبار عنك بـــخبْره

(١) – حلا لي: ملا لي ، في (د) ، درة بدرة: ذرة بدرة، في (ج) و (د).

(٢) – التالد : كل مال قديم من حيوان أو غيره يورث عن الآباء . لسان العرب (تلد).

- الطارف: ما استحدث من المال. لسان العرب (طرف).

(٣) – مولاك: مولاي ، في (ب) و (ج) و (د).

(٤) – في (ج) و (د) (رحمه الله تعالى).

(٥) – يجلو: يحلو ، في (ج) و (د) .

(٦) – بادي : باري ، في (د) ، يقضي: يقض، في (ب) و(ج) و (د).

(٧) – عذره: غدره ، في (د).

وانظر لـــمرآة الفؤاد تـــرى صور الوفا مطبوعـــةً في ســـرّه

وأنا المحب كما علمـــت وإن باد فدع لليسر بـــادي عـــسره

والحب موثوق العرى وثمـــاره طابت مجانيهـــا لطيّـــب بـــذره

وقال أيضا: والتمس مني مولاي وسيدي السيد إبراهيم الأمير أن أتمم على هذين البيتين وهما لمولاي - العارف بالله تعالى - السيد مشيخ باعبود علوي[1] ، فقلت:

٩٢/ب

يقول أبو نور أنا قلبي صـــبور إلا على نور قلبي مـــا صـــبر

جلا لي الصبر في كل الأمـــور ومن جفا نور قاسيت الأمـــر

بشعبة النور تستشفى الصدور ومن ورد من مناهلها صدر[2]

ولم ينلها سوى العبد الشكور ومن توجّه إليها قـــد شـــكر

قد أشرقت وهي في أبـــــهى كالبدر ليلة تمامه قـــد ســـفر

بدتْ وما دون مرآها ســـتور لـــمجتلى الحـــسن إلا مـــا

أَسْتار غيٍّ بذي الدار الغَـــرور قد أحْكمتْ نـــسْجها أيـــدي

لقد تغشّت فـــؤادي بـــالغرور منها لأَنْ لا أَرَى تلك الغُـــرر

يا قلب كن من هوى نفـــسك خذ الحذر من عدوّك الحـــذر

فإن تعوّذْ من الكلب العقـــور وتتّقى تنج أو تـــهمل عقر[4]

يخاتلك في مـــسيرك بـــالفتور وينهجك في طريقة من فتـــر

ويلبسك ناصحاً ثوب القصور ويدخلك بالغوى فيمن قـــصر

وما لذنبك سوى الرب الغفور الواسع الفضل كم ذنب غفر

منه أطلب العفو يا قلبي العَثُور واسْتَقْله استقالة من عثـــر[5]

---

(١) – هو مشيخ باعبود العلوي ، قال عنه صاحب كتاب (تراجم أعيان المدينة في القرن الثاني عشر) إنه (صاحب كرامات ظاهرة ومقامات فاخرة ... ولا ينكر فضله ، له رسالة في التصوف وله غزليات نظما). تراجم أعيان المدينة في القرن الثاني عشر - مجهول المؤلف – تحقيق محمد التونجي ص٩١ .

(٢) – تستشفي: تستشفى ، في (ب) و (ج) ، و(تستشفع) ، في (د).

(٣) – مرآها : مرماها ، في (ج) و (د).

(٤) – تعوّذ: تعود ، في كل النسخ ، ولعل الصواب ما أثبته ؛ لأنه ما يحتمله السياق، ولا وجه للكلمة الأخرى.

(٥) – العثور: العتور، في (أ) و (ب) ، و (الفتور) في (ج) و (د).

قال : ولما وقف عليها السيد المذكور عارضها بمثلها وهما مقيدان معا.

٩٣/أ

وقال أيضاً: وقلت هذه المزدوجة مجيبا مولاي الشيخ محمد شـيخون[١] عـن أبيـات صدرت إليّ منه:

هذي عقود الـدر أم دراري — **أم هـذه يوانـع الأزهـار**

أم حَبّ تـبر راق للأبـصار — **أم حبب يطفـو علـى عقـار**

أم هـذه جواهر الأفـكار

لا بل هي الفرائـد النظيمـه — **الغاليـات عـزةً وقيمـه**

جادت بـها الخواطر السليمه — **مضمونـها الفوائد الجـسيمه**

رقّت بـها روائع الأشـعار[٢]

وافت وللصدر بـها انشراح — **ونـشوةٌ للـروح وارتيـاح**

كأنـها مـع الـصفاء راح — **طـاب بـها للمحتـسى**

فـضّ بـها باكورة النهـار

منظومـة عـامرة المبـاني — **بليغـة الألفـاظ والمعـاني**

تسبي فؤاد الحاذق الـمُعاني — **بـسحرها المـدمج في البيـان**

وحسْن الاسلوب في الابتكار

كلّ معانيهـا ملـوك إمْـرَه — **ألفاظها الفـصْح لهـا أَسـرَّه**

وكلمّا عاودتـها بنظـره — **أهدى لقلبي حـسنها المـسرّه**

وراوحت سرّي بسرٍّ ساري

لله مـا أحـسنها ألوكـه — **طرائق النبل بـها مـسلوكه[٤]**

٩٣/ب

لا غثّة اللفـظ ولا ركيكـة — **كأنـها الحـسناء في أريكـه**

---

(١) – لم أعثر له على ترجمة.

(٢) – روائع: رواتع ، في (ب) و (ج) و (د).

(٣) – بـها : لها ، في (ج) و (د) ، للمحتسي : للمحني ، في (د).

(٤) – مسلوكة: سلوكة ، في (ج) و (د).

قـــد أسفرت لأعـــين النظار

قد أفرغت في قالب البلاغــه وانفردت بالحسن في الــصياغه

أحسن في النظم بـــــها مــن وجازة أوفى بــــــها إبْلاغُـــه[1]

بـــجزل قول جلّ عن إكثار

زفّـــت إليّ مهرهـــا الـــوداد وحسن الإخـــلاص والاعتقـــاد

وهي من الزين كمـــا يـــراد مخطوبـــةٌ وليّهـــا العمـــاد

عالي الـــمقـــام شامخ المقدار

صنو الوفاء معـــدن النباهــه خدن الصفاء عَلَـــم النــــزاهه

إكـــسير كنـــــز اللطـــف محمد بـــن الفخـــر والوجاهـــه

قطب الكمال نقطـــة البيكار

أجاد فيها أحـــسن الإجـــاده بـــالفكرة الوقّـــادة النقـــاده

أودعها من تحـــف الإفـــاده للمـــستفيد كـــلّ مـــستجاده

وكل مـــخبوء من الأســـرار

قد جمعت أحاســـن الكـــلام ورفلـــت في حلـــل النظـــام

وانبلجت كالبدر في التمـــام وافتخـــرت علـــى أبي تمـــام[2]

واستهزأت بشعره المختار

واشتملت على لطائف الأدب واحتفلت من البديع بالنخب[3]

وجاوزت بحسنها حدّ العجب فما الأراجيز وما فنّ الخطب[4]

ومـــا قريض النظم والنِّثَار

أبياتــــها منـــازهُ النـــواظر وشـــعرها منـــازع الخـــواطر

وإنّـــها شعبة سحْر الـــساحر بقولها الجزل البـــديع البـــاهر

٩٤/أ

---

(١) – وجازة : وجاوزت ، في (ب) و (ج) و (د) ، أوفى:افي ، في (ب)، وموهمة غير واضحة في (ج)، و(اومى) في (د).

(٢) – انبلجت: ابتلجت ، في (ب) و (ج) و (د).

(٣) – بالنخب: بالنجب ، في (أ) ، وما أثبته من (ب) و (ج) و (د).

(٤) – فن: من ، في (د).

قول أديب جلّ عن مباري

فما ابـــن هـــانئ وخمريّاتـــه	ومـــا العتـــاهيّ وزهدياتـــه[1]
ومـــا التـــهاميّ ومرقـــصاته	وما ابن حمدان وفخريّاتـــه[2][3]

وما أبو الطيّب معْ بشـــار

ما أحرزوا ما حازه من نبـــل	وما انتهوا لـــشاؤه في الفـــضل
همْ دونه في شرف الـــمحلّ	وإنـــه في الحلبـــة المجلّـــى

سبقاً فما منهم له مُـــجاري

وقال _ لطف الله به في جميع الأحوال[4] _ وقلت مجيباً لمولاي وعمـــدتي السيد إبراهيم الأمير حفظه القدير عن أبيات أرسلها إليّ من مكة المشرفة ،وذلـــك عنـــد خسوف القمر ليلة الأربعاء خامس عشر ذي القعدة الحرام سنة ١١٩٣هـــ فأجبته:

٩٤/ب

حـــــمّياك دارت بـــــها	فَـــضَاءَ بلالائهـــا المجلـــس[5]
وحَـــيَّى بـــها شادنٌ أغيـــدٌ	حكى كأسها ثغره الألعـــس[6]
هو الصفو لا ريم بان اللـــوى	وســـرّك لا خمـــره الأملـــس
فأجرى بـــها الروح في ميّت	وعاد مليئاً بـــــها المفلـــس[7]
هنيئاً لـــــمن ذاق جريالهـــا	وشـــمّ لهـــا عرفهـــا معطـــس
وطوبى لـــــمن زار عبّادهـــا	وفي علـــم آثارهـــا يـــدرس
وقـــام بقبلتـــها ســـاجدا	لتقديـــسها وهـــى المقـــدس
فيلبس مـــن لطفهـــا حلَّـــةً	يَـــزين برونقهـــا الملـــبس
وبخسا لـــمتجر من ســـامها	ولم يـــشْرها ولهـــا يـــبخس

(١) – ابن هانئ هو الشاعر الحسن ابن هانئ المعروف بأبي نواس ، والعتاهي يقصد به شاعر الزهد أبا العتاهية.

(٢) – مرقصاته: من مصامه ، في (ج) و (د).

(٣) – التهامي هو أبو الحسن علي بن محمد توفي سنة٤١٦هـــ . الأعلام ٤/٣٢٧ ، أما ابن حمدان فلعله يقصد أبا فراس الحمداني.

(٤) – في (ج) و (د) (رحمه الله تعالى).

(٥) – بلألائها: بلالاتـــها ، في (د).

(٦) – حَـــيَّى: هي ، في (د).

(٧) – فأجرى: فأجر، في (ب) و (ج) و (د).

فقد جرّ خـــسراً إلى نفـــسه ... ومن خُـــسْره فاتـــه الأنفـــس
ومن دخل الحان لا يحتـــسى ... كؤوس السكارى ولا يحتـــسى
يُقَابَـــلُ بالـــصدِّ ردًّا لـــه ... ويُزجر بـــالطرد أو يعكـــس[1]
على أنـّها قد جَلَتْ حسنها ... لكلّ محـــبٍّ بـــها يهجـــس
وقد وضح الصبح للناظريـــ ... ــن ولاح لهـــم ضــــوؤه
وسيَّان للعمى إن أشرق النــ ... ــنهار وإلا دجـــى الحنـــدس
فإن لحق المحو بـــدر الـــدجى ... ولا اعتـــبروا وبـــه استأنـــسوا
فبالْمَحْق كـــان لهـــم عـــبرةٌ ... إذا رقبوا الخوف أو جَسَّـــسوا
وحتّامَ نحـــن وهـــذا العمـــى ... تمـــدّ الظـــلام لـــه الأنفـــس
وتجـــذبنا للـــهوى هـــــمّةٌ ... يثبّطهـــا عزمهـــا المقعـــس[3]
فكم عبرة للعيـــان انجلـــت ... بـــها يقمر الكون أو يـــشمس
يخاطبنـــا خطبـــها زاجـــرا ... يكلّمنـــا وهـــو الأخـــرس
ولا نرعوي عن مهاوي هوى ... لنا عن مراقي التقـــى يـــنكس
ولا ننثني للهدى من غـــوى ... لأغلـــى دخائرنـــا يـــؤكس[4]
وإنّـــا مـــن اللـــهو في هـــوّة ... وختّاســـها عنـــدها يخـــنس
نعم ذا جنى قـــبح أعمالنـــا ... فقبح الجنى أصـــله المغـــرس[5]
ولكن لنا في الرجـــا موئـــلٌ ... يرجّى به الفـــوز مـــستيئس[6]
وســـيلتنا مـــن لـــه في غـــد ... مقـــام سمـــا عـــزّه الأقعـــس
وقد نال ما نـــال في أمـــسه ... فكان له الـــمرتقى الأقـــدس[1]

٩٥/أ

(١) – (يقابل) موهمة غير واضحة في (ج)، و(يعامل) في (د) ، بالصد: لصد ، في (ج) و (د).
(٢) – المشمس: الشمس ، في (د).
(٣) – المقعس: القعس ، في (د).
(٤) – (ننثني) غير واضحة في (ج) ، (مس) في (د) ، عن غوى: من غوى، في (ب) و (ج) و (د).
(٥) – جنا: خبا ، في (ج) و (د) ، المغرس: الغرس ، في (ج) و (د).
(٦) – (مستيئس) غير واضحة في (ب) و (ج) و (د).

دنى فتـــــدلّى إلى حــــــضرة أتـــاح لـــه قربـــــها الآنـــس

صلاةً مـــن الله تغـــشاه مـــا أضاءت جواري الدجى الكنّس

وما فاح نشر الـــصبا عابقًـــا ومالت غصون الربا الـــــميّس

مع الآل والصحب من شيّدوا مباني التقى وبـــها أسّـــسوا[٢]

وقال- لا زال معدنًا لكلّ كمال - وأرسل إليّ مولاي إبراهيم الأمير بـــهذه الأبيـــات من حقها الإثبات ، وهي هذه :

أدرْ من سُـــلاف اللفـــظ كأســـا ودَعْ وصْف ذات الـــشنف أو ذات

وزفّ غزال النور في أوج فكـــرة وزحزح بـــها داجى الظلام المعسعس

تَنَفَّسَ صُبْحُ الوصل أنْفُسَ واصـــل لأنفـــسنا حقـــاً فجُـــدْ بـــالتنفُّس[٤]

تعثّرت الآمـــال في كـــل مَهْمَـــه (ودون جمال الحيّ أسوار حندس) [٥]

(وتاه بـــها الخرّيت في تيه وهْمه) ترامى بـــه الأفكـــار غـــير معـــرِّس

على أنه جلْسٌ لبيـــت ثـــوى بـــه ولكن وقاك الله شرَّ الـــــموسوس[٧]

يسوم بأرجاء الـــمحال عـــواملا ويبني بأحجار الـــمنى كـــلّ مـــدْرس

ويشرب من بحر السراب أجاجـــه ويلبس بـــالتلبيس أثـــواب ســـندس

ويصغي إلى ما صاح كي يسمع الصدا ويطرب للإفصاح من كـــل أخـــرس

على أنه لم يخلُ طرفةَ لـــمْحَـــــة عن العذل والتأنيب في كـــلّ مجلـــس

أَفقْ أيّها اللاحى ولو قَيْد لَـــحْظة عسى لحظةً أحظى بـــها غير مُبْخس

قال : فامتثلت الأمر وأجبته :

---

(١) – (في) ، ساقطة من (ج) و (د).
(٢) – ولها أسسوا: وبـــها انسوا ، في (ج) و (د).
(٣) – (الشنف) غير واضحة في (د) ، ذات كنس: ذا كنس ، في (ج) و (د).
(٤) – تنفس: فنفس ، في (ب) و (ج) و (د).
(٥) – عجز البيت ساقط من (ج) و (د).
(٦) – صدر البيت ساقط من (ج) و (د).
(٧) – لبيت: لبيب ، في (أ) و (ب) ، ويناسب المعنى ما أثبته من (ج) و (د).

٩٥/ب

ألا فاسقنيها خمرة الحبّ واحتس ... سلافة ذكر حانها بيت مقدس

ألا فاسقنيها خمرةً أوليّةً ... قديمة عهد قبل عيسى وهرمس[١]

ألا فاجتليها واجْلها لي فإنها ... حياةٌ لأرواح وقوتٌ لأنفس

تطوّرْ لها أطوارها (واغْش دارها ... وجسْ حول مغناها هوى وتَجَسَّس[٢]

وشاهدْ بَهَا أنوارها) واغْش ... ولا تعد زهدا عن حماها المقدّس[٣]

وغنّ على مزمارها في مدارها ... وأنشد على أوتارها بالمخمّس

وهيّج شجى مهيارها بادّكارها ... وأوقفْ على إيثارها النفس واحبس[٤]

عليك ترى آثارها أنت جارها ... إليك انتهت أخبارها فارو وادرس

وفيك انجلى إظهارها وانتشارها ... ومنك بدت أخبارها بالتنفّس

فسر بي إليها واهدني لجمالها ... وقل لي لك البشرى فطبْ واصف

وشنّف بها سمعي لتجلو بذكرها ... غشاوة قلب بالجفا متلبّس

وحيعل عليها بالفلاح عسى أرى ... بهديك مَجْلى صبْحها المتنفّس

وقل لي هنيئاً أسعد الدهر بالمنى ... عفى الله بالإحسان عن دهْرك المُسى

مدامٌ زكت عرفاً وشفّت لطافةً ... وطابت مذاقاً يا هنا كل محتسى

لها أبدا في كلّ قلْب مسرّةٌ ... ولم تجتمع معْها الهموم بمجلس

لها في النهى الإشراق أشرق نورها ... بأفْق النّهى يمحو دجى كلّ حندس

تجلّت لأهل العشق في كلّ مظهر ... بكلّ جمال جلّ في كلّ ملبس

فهامت بها الألباب في كل ... على حسب المرأى وفي كلّ مؤنس

ولا وحشةٌ معْها لمأنوس ... ولكنها تهدي النفيس لأنفس

٩٦/أ

---

(١) – هِرمس : اسم علم سرياني يعنون به إدريس عليه السلام ، وهُرمس بالضم اسم لذي القرنين على أحد الأقوال . تاج العروس (هرمس) .

(٢) – تطوّر: تطوّل ، في (د) ، اغش: اعش ، في (ب) و (ج) و (د) ، .

(٣) – مابين القوسين ساقط من (أ) و (ج) و (د).

(٤) – بادكارها : باكارها ، في (د) ، إيثارها: اثارها ، في (ج) و (د).

(٥) – وآنس: واس ، في (د).

يطوف بـــها الساقي وللـــشّرب	بـــها عن كلا وصفي غـــنيّ ومفلـــس
وللكل ربـــحٌ فالـــصفاء بأنْـــسها	وكلٌّ لديها في الوفـــا غـــير مـــبخس
إذا ارتشف الظمآن سلسالها ارتوى	وعاد بـــها نشوان بالسكر مكتـــسى(١)
وإن شمّ ريّاها العليل شفي بـــــها	وكم لشذاها صحّ أحيـــاء مـــرمس(٢)
فأطرب بـــها سمعي وقوّ نـــواظري	وطيّـــب بـــــها ذوقـــي ولـــمْـــسي
وعمّ بـــها كلّي وجزئي وسائري	وأشمل بـــــها كـــوْني بنـــور مقـــدّس

٩٦/ب

نفعني الله بك وأسعفني بأدبك ، صدرت امتثالاً لأمرك واحتفالاً بمحل قدرك ، فإن عدت من الكلام وحسبت من الشعر على أهل النظام، فهي درة من عبابك وقطرة من سحابك، وأنت فاتحة بابـــها وإمام محرابـــها، على أنـــها ما برزت مني عن أدب، لا ولا اعتلقت مني بسبب حسب ، فإني صوفي باللسان مقصر بالجنان؛ لأنـــها تصورت في الخيال، وأبرزها الحال من البال ألفاظ خوال ، لا أدري ما خلف أستارها من أسرارها، ولا أشهد ما دون أخدارها من أبكارها ، وإنما رميت سهماً إلى غرض ، وعلى الله شفاء هذا المرض ،وأطلب لها منك نظراً يفتح مقفلها ، ويوضح مشكلها ، ويجمع شواردها ويقيد أوابدها ؛حتى تتوفر بـــها الفوائد، وتنمو بـــها الصِّلات والعوائد ، وبك يستقيم أودها، ويفيض مددها، فإنـــها يرفع إليك سندها والسلام .

وقال :وقلت مراسلاً لبعض الأصحاب :

لقد أشرقت من أفق عرفانكم	فَضَاءَ بـــها قلبي وزال دجـــى
وقد بـــسمت لي مـــن محيّـــا	مباسمُ رحماكم فقابلني أنـــسى
وقد راوحـــتني روح نفحـــة	فكانت حياة الروح لي وغـــذا
وقد قام حظي من حضيضٍ إلى العلا	بكم فعَلا قدري وطاب بكـــم

(١) – إذا: اذي ، في (أ) ، وأثبت ما ورد في النسخ الأخرى ، نشوان: نسوان، في (ج) و (د).

(٢) – كم: كد، في (ج) ، و(كذ) في (د).

(٣) – فأطرب: فاضرب، في (ج) و (د).

(٤) – إذا: غدا ، في (ج) و (د).

(٥) – وقد قام: وقدوم ، في (ج) و (د) ، حضيض: حضض ، في (ج) و (د).

٩٧/أ

فهنّيتُ نفـــسى حيـــث لم أك هــــــواكم أُحَيْبـــــابي ولم أك

ويا فوز قلبي باللقا بعد فرْقــة ويا سعْد جدّي بعــد الايحــاش

حمى الله ما أوليتموني وصـــانه عليَّ لقد أضحى جديدا به لبْسي

أروح بما أغدو به من رضاكمُ وأصبح في مـــحْض الهناء بمــا

وما دام معهـــود الـــــمكارم عليّ مُفاضٌ دمْـــت في حـــضرة

وأنــــتم مرامـــى لا ســـواكم صَبوح الحشا سامى البناء على

وقال :وأجبت بـــهذه القصيدة بعض الأصحاب عن بيتين صدرا منه :

خطرت بأهيف قدّها الْميَّاس ورنت بمرهف لَحْظها النعّـــاس

وبدت بطلعتها وطرّة شـــعرها فجلت محيّا الشمس في الأغلاس

حسناء قد بـــهر العقول جمالها عوّذت بـــهجتها بربّ النـــاس

لـــمياء يـــزري بالـــسلاف ســـكرا وإن رقّـــت ســـلاف

مفترّةٌ عن لؤلـــؤ في ثغرهـــا باهى النظام معطّر الأنفـــاس[3]

درٌّ مغارسه العقيـــق وســـقْيه ريق الرحيق مطيّب الأغـــراس

عجباً لها تسبي الأسود بطرْفها وهمُ الضواري وهي ريم كناس

جمع الأحاسن خدّها ، وقوامها أبدى الجنـــان علـــى قـــضيب

أزهار جنَّات على وجناتـــها تفويفهـــا متنـــوّع الأجنـــاس

٩٧/ب

جذبت محاسنها القلوب لحُبِّها جذبا يرقّق كلّ قلـــب قـــاس

جاذبتها طرْف الحديث تملّيًـــا من لطْفها بلطـــائف الإينـــاس

متطلبا منها تـــسهّل صـــعبها فنأت جماحا وهي ذات شمـــاس

فأنطت آمالي بـــها طمعاً إلى ـــلقيا فقابلت الرجـــا باليـــاس

(١) – فهنيت: فنهيت ، في (د).

(٢) – رقت: رمت ، في (د).

(٣) – مفترّة: مفتر ، في (ج) ، وغير واضحة في (د).

(٤) – خدها: خدرها ، في (د).

فطفقت أشـــهدها شـــواهد … فيها وأبعث نحوها هجراســـى[(١)]

وأبثّها شغفى غرامى صـــبوتي … لَهَفى هيامى عشْقي وسواســـى

وغدت تعاملني على وَلَهـــى … وجْدًا معاملة العصيّ القاســـى

ما زال هذا شأنـــها في مغرم … شاعت محبّتــه لهـــا في النـــاس

وغدوت من وَلَهى أروم دنوّها … معْ ما أنال من الهوى وأقاســـى

أترقّب الغفلات من حرّاســـها … متخوّفاً من ناسها أو ناســـى[(٢)]

حتى عرفت بحسنها إن لم يكن … للحسن غير الحسن من حرّاس

فوقفت وقْفة حيرة ما احتارها … مـــن يـــضرب الأخمـــاس في

وكذا المحبّ مع الهـــوى مـــن … يـــبني مطامعـــه بغـــير أســـاس

والصبر أليق بالمحـــب وإنّـــه … -وسلمت- للمكلوم أكرم آس

يا أيها الحبّ الذي غرس الوفا … لك في رياض القلب خير غراس

يا أيها البدر الذي أبدى سنى … عرف به استذكى سنا نبراســـى

يا أيّها الحبْر الشهير ذكـــاؤه … بين الأنام ولا ذكـــاء إيـــاس[(٤)]

قد وافـــت البيتـــان منـــك … شجني ووقّر حسنها استئناسي[(٥)]

وطربت من شـــجْو بمـــا في … مـــن رقّـــة وبلاغـــة وجنـــاس

ورشفت سلسال الفـــصاحة … ســـكري بنظمـــك لا بخمـــرة

وبسكرتي عن سلسبيل بديعها … شـــغلت عـــن الإدراك بعـــض

ولقـــد عهـــدتك لا تـــزال … هل أنت ناس ذاك أو متناســـى

٩٨/أ

---

(١) – (لوعتي) ساقطة من (ج) و(د) ، لهفي: نـــهفي ، في (ج) و (د) ، عشقتي: عشقي، في (د).

(٢) – حراسها: حسراسها ، في (د).

(٣) – (حيرة) موهمة في (ج)، و(جرة) في (د).

(٤) – البيت ساقط من (ج) و (د).

(٥) – البيتان : التبيان ، في (ج) و (د).

(٦) – سكري: سكر ، في (ج) و (د).

(٧) – وبسكرتي: وسكرتي ، في (د).

إنّا إذا لم تلتــق الأشــباح لم		نمنع لقاء ترسّــل القرطــاس[١]

مع أنني حقــاً أقــرّ بــأنني		قصّرت في من لا يزال مواســى

أبدي القصور لــه وأعتــب		لأقوم رأسا في العتاب براســى

والودّ مهما طــال أو قــصر		أعلامه مثل الجبال رواســى[٢]

إن أوحشت أشباحنا ببعادنــا		أرواحنا بــالقرب في إينــاس[٣]

فليَ الهنا بك حيث كان لــك		بي لاتزال وما بنــا مــن بــاس

وقال – حفظه الله من الأسواء[٤] - وقلــت هــذه القصيدة مجيباً لمــولاي الــسيد إبراهيم الأمير عن قصيــدة صــدرت لي منــه سنة ١١٩٤هــ :

تبسّم ثغْر البرق عن شَنَب الــومض		بلالاء لــمع غــير وان ولا بَــضِّ[٥] [٦]

يلوح على نسْج الغمــام وينجلــى		فلامعــــةٌ في إثْـــر لامعــــة تمــضى

فوشّي حواشي مطرف الجو فاغتدت		مذهّبــــةً أطــــراف مطرفــــه الغــضّ

يفوح الصبا في نشرها نــشر عنــبر		يفوق غوالي الطيب بالأرج الــــمحض

وقد عبّق الأرجــاء نفحــا أريجــه		وهبّ على طــول البــسيطة والعــرض

فهــاج بقلــبي عنــد ذاك صــبابة		بمركز ســرّي لم أشــعها ولم أفــض[٧]

هوى كان في شرخ الشبيبة طالــما		بــمــضماره أنــــهى الغــرام لــه

عهدت به روض المنى يــانع الجنــا		ووجه الهنا طلق المحيّــا بــلا مَعْــض[١٠]

---

(١) – (نمنع) ، غير منقوطة في (ب) ، و(يمنع) في (ج) و (د).
(٢) – أعلامه: أعلام ، في (د).
(٣) – أرواحنا: اوراحنا ، في (د).
(٤) –في (د) (رحمه الله).
(٥) – الومض: الوهن ، في (د).
(٦) – بض : قليل. لسان العرب (بضض)
(٧) – بقلبي: لقلبي ، في (ب) و (ج) و (د) ، ذاك: فاك ،في (د).
(٨) – شَرْخُ الشباب أَوَّله ونَضارته وقُوَّته. لسان العرب (شرخ)
(٩) – شرخ: شرح ، في (ج) و (د) ، الشبيبة: اشبيبة ، في (د).
(١٠) – طلق: صق ، في (د) ، معض: ممض ، في (ب) و (ج) و (د) .

وظلّ الصبا ظـــلاً مديـــداً وعيـــشه ... رغيدا وربع الأنس في الخصب والخفض[(١)]

زمانٌ مـــضت لذّاتـــه غـــير أن أرى ... لشجوى بذكراها كأن لم تكـــن تمـــضي

فيا حبّذا العصر الذي وفـــضت بـــه ... إليّ التهاني حيث قابلـــها وَفْـــضي[(٢)(٣)]

لقد مرّ ذاك العصر أحلى من الطـــلا ... وألطف بل أزهى من الغـــصن الغـــضّ

وأشهى من التخميش في خدّ غـــادة ... مُـــمنّعة عن مطمـــح اللـــثم والعـــضّ

وما زال ذاك السرّ بـــين جـــوانحي ... أكاتمه بعضي مدى العمر عن بعـــضي[(٤)]

ولَمّا شرى برق الحمى وسرى الصبا ... وقد أنـــهيا إبرام كتمي إلى الـــنقض[(٥)]

شممت الصَّبا النجدي طيباً وخلْتـــه ... طبيباً لداء القلب جـــسّ لـــه نبـــضي[(٦)]

وشمت لذاك البرق لـــمْعا فأغـــدقت ... عيـــوني بمنـــهلٍّ مـــن الـــدمع مـــرفضّ

فأبديت مـــا أبديتـــه مـــن صـــبابتي ... وقمت لـــمرضاة الغرام بمـــا يرضـــي[(٧)]

وأمسيت لا بالوافديّ عـــن الهـــوى ... ولا يرعوي عن حبّ ليلى إلى البغض[(٨)]

أبيت الدجى سهدا بمقـــروح مقلـــة ... جفا وَكْرَهُ من جفنها طـــائر الغمـــض[(٩)]

تطارحني الورقاء حزنـــاً ومـــا لهـــا ... على مضض الأحزان صبري على المضّ[(١٠)]

وساجل قطر الغيث دمعي وما درى ... بما قد قضى وجدي عليّ وما يقضي[(١١)]

هو الحب ما استولى على قلب عاشق ... بما يقتضي إلا استكان إلى الـــمقضي[(١)]

٩/أ

---

(١) – الخصب:الحصب، في جميع النسخ ، و(الخصب) هو ما يناسب المعنى ،حيث العيش الرغيد والخفض.

(٢) – وفضت : أسرعت . والوفض :العجلة . لسان العرب (وفض).

(٣) – (العصر) كتبت موهمة غير واضحة ،في (ب) و(ج) و (د) ، وكذلك (وفضي) في (ج) و (د).

(٤) – بعضي: بعض ، في (د).

(٥) – ولما : ولا ، في (د) ، شرى: شر، في (ج) ، و(سر) في (د).

(٦) – جس: حسن ، في (د).

(٧) – لمرضات: بمرضات ، في (د).

(٨) – (الوافدي) أهملت نقطة الفاء في (ب) و (ج) ، وفي (د) (الواحدي) .

(٩) – الدجى : الرجا ، جفا: حفا ، في (د).

(١٠) – مضض: حفض ، المض: المضي ، في (د).

(١١) – دمعي: وهي ، في (د).

وحـــبي لليلـــى قـــلّ عنـــه كُثيّـــرٌ … وعزّ هوى ليلى على الكلّ والــبعض[٢]

أهيم بـــها وجداً ولا عار في الهـــوى … على هائم في حبّهـــا أبـــيض العـــرض

وطاب لقلبي في هواهـــا تـــــهتّكي … وأوجبت عن حبّ السوى أبدا رفـــضى

أراقـــب أن يجلـــو الجـــلال جمالهـــا … لعيني بنور البـــسط في مظهـــر القـــبض

ومن دون ذيّاك الحمى من مطـــامعي … موانع قد غادرن كالأُسُـــد الـــرُّبْض[٣]

موانع تستقصى القريب مـــن العـــلا … وتستقرب الْمُقصى عن الْخَفض للخفض

شـــواغل نفـــس كلـــهنّ قواطـــعٌ … فكم قطعت وصـــلى وكـــم أقعـــدت

فيا ويح نفسى كلما ارتفعت بـــــها … شؤونٌ رماها الزيغ في هـــوّة الــــحَضِّ

ويا ويحها يا ويحها طوّحت بـــها الــ … أمـــاني في وهْـــد خـــلاء مـــن الأرض

ومن لي بأن ألقـــى لليلـــى وســـيلةً … ألّم بـــها شـــعْثى وأوفي بـــــها قرْضـــى

لعلّيَ في حال الـــشهود لـــحـــسنها … أقيم لها نفلى وأحْيى بـــــها فرْضـــى[٤]

ولا ثَـــمَّ إلا مـــن دعـــاني لحبّهـــا … وأرشدني هديا لـــمنـــهلها الـــمرضى[٥]

ومن لم يجب داعـــى هواهـــا وقلبـــه … رهين ســـواها لم يقـــم فيـــه بـــالفرض

إليك نسيج الـــمجد قرّيـــع شـــأوه … خبيئـــة ودٍّ تجتـــديك وتـــسترضى[٦]

فكن غير مأمور لهـــا خـــير ســـاتر … لتقصيرها وانظر لها نظر الـــمغـــضى[٧]

٩/ب

وقال : وأرسل إليّ مولاي السيد إبراهيم المـــذكور هـــذه الأبيـــات فـــصدرتـــها وعجزتـــها حسب الطاقة وهي كما ترى :

تَعارَض الـــمانع والـــمقتضى … معنى به ما رمـــت لا ينقـــضى[٨]

---

(١) – المقضي: العض ، في (د).

(٢) – هوى: هون ، في (د).

(٣) – مطامعي: مطامع ، في (ج) و (د) ، موانع قد غادرن: قد قادرت ، في (ب) ، وفي (ج) و (د) (قددت).

(٤) – أحيـــي: أحبـــي ، في (د).

(٥) – لمنهلها: إلى لمنهلها ، في (ب) ، و(إلى نـــهلها) في (ج) و (د).

(٦) – (نسيج) موهمة في (ب) و (ج) و (د) ، وكذلك (قرّيع) في (ج) و (د).

(٧) – المغضي: المغض، في (ج) ، وفي (د) (الغض).

(٨) – ينقضي: ينقض ، في (د).

أشـــتاق للحـــيّ ولكـــنّني ... لم تـــدنني الـــدار ولم تـــرفض

جفاني الوصل وصـــدّ الوفـــا ... عنّيَ صدّ الهاجر الـــمجهض[١]

وصرت في الحبّ على حالـة ... الوصـــل طبـــى والـــجفا

وعارض مـــمطر جفـــني وفي ... هتونه وكْفُ الحيا الـــمنبض[٢]

أعرّض الشكوى به حيث في ... عروضه كشْف هـــوى المعـــرض

على شفا عدْت بعيد الـــشفا ... أرجو اللقـــا للمقبـــل المعـــرض

واستخدم الحبّ له نـــاظري ... في حبّ سهد وكـــرى مـــبغض[٣]

أذهل من صَبٍّ القلا في الفَلا ... لم أُمْهـــل الـــسير ولم أوفـــض

أحْير من ضـــبٍّ علـــى أنـــه ... لم يفـــتح الجفـــن ولم يغمـــض

لا ميّتٌ أُنعـــى وأُنـــسى ولا ... حيٌّ أَفي الْـــحبَّ بما يرتـــضى[٤]

بحالة قد أوهمـــت خـــاطري ... فـــيّ ولـــم أرج ولـــم أنـــبض

تشعّبت منّى مُـــنى أشـــعب ... لخُلّب من برقها الـــمومض[٥]

أمانيًا صرت بـــها عالقًـــا ... لم أبـــرم الأمـــر ولم أنقـــض

حدٌّ على الرسم ووقفٌ فلـــم ... أعرف بي التعريـــف لم ينـــهض[٦]

لازمني فيهـــا ســـكونٌ فلـــم ... أرفع ولم أنـــصب ولم أخفـــض[٧]

١٠٠/أ

توجّهاتي في جهـــاتي دجًـــى ... قد طال في ظلمائـــها مركـــضى

فأنتهى سيرًا لـــما أبتـــدي ... لا أستـــضى النـــهج فكيـــف

ومذْ حَظى لَـــحْظى بلَحْـــظ ... فنيت من دون ســـناه الـــمـــضى

---

(١) – جفاني: جناني ، في (د).
(٢) – ممطر: ممرض ، في (ج) و (د) ، المنبض : المبغض، في (د).
(٣) – (سهد) في (ج) و (د) موهمة وغير واضحة .
(٤) – يرتضي: يرتض ، في (د).
(٥) – منّي منى: من من ، في (د) ، المومض: الومض ، في (ج) و (د).
(٦) – الرسم: رسم ، في (ج) و (د).
(٧) – و لم انصب: وأنصب ، في (ج) و (د).
(٨) – سيرًا: السير ، في (ب) و (ج) و (د).

أَدْحَضَنِي حَظِّي وما حَــضَّنِي ... ما زال حَظِّي مــنكم مدحــضى

رحّبت بالــمكروه حبــاً ولم ... أدْرِ أيرضى ســيدي أم رضــى[(١)]

ما قمت بالواجب معْ أنــني ... أســــنّ باللـــــهو ولم أفــــرض

وبي قــريضٌ يرتجــي قرْضَــةً ... تستنجز الــموعد للمقــرض[(٢)]

وقرضة الإحسان في غرْســها ... حسناء من حَسَن فمَنْ مقرضى[(٣)]

ثم طلب مني مولاي المذكور تضمين الشطر الأول في أبيات،فقلت :

إن تدنُ من قرْبِيَ أو تعــرض ... فالود منّى لــك لا ينقــضى[(٤)]

وإن بدا نقضٌ لعهدي فلــي ... روابــطٌ للحــب لم تُــنْقَض[(٥)]

فإنّ حبّى يقتضى العطــف لي ... منك وحسناك لــه تقتــضى[(٦)]

لكنني ما حُــمْتُ حول الحمى ... لخلسة عــن جــدّ مــستوفض

إلا وصــــدّتنيَ مــن دونــه ... موانــعٌ كالأُسْــد في مَــرْبض

دلٌّ وإعجــــابٌ وواش لــــه ... إذا وشى بــهْ فعْلَــة المقــرض

ما حيلتي إن رمْتُ وصلاً وقد ... تَعَارَضَ الــمانع والــمقتضى[(٧)]

وقال : ووصلت من الكامل الشيخ محمد رضا البغدادي قصيدة إلى مولاي الشيخ سالم المنوفي[(٨)] يمتدحه بــها فأجبته بالنيابة عنه :

١٠٠/ب

أهلاً بما للرضا في الفضل من ... وما له من تلامــيح وملتمــع

وما له في خبايا سعْد أخبيــة ... مكنوزة في زوايا الــسعد مــن

---

(١) – رحبت: رحيت، في(أ) ، وموهمة غير منقوطة في (ب) و (ج) و (د) ، ويُلاحظ تعديل في الكلمة في (أ) حيث إن الراء معدّلة عن الواو، ولعل الصواب (رحبت) إذ لا يحتمل السياق غيره، رضي:رض، في (ج) و (د).

(٢) – تستنجز: نستنجز ، في (أ) وما أثبته من (ب) و(ج) و (د).

(٣) – مقرضي: مقرض ، في (ج) و (د).

(٤) – لا ينقضي: لا ينقض ، في (ج) و (د).

(٥) – لعهدي: لعهد ، في (ج) و (د).

(٦) – تقتضي: مقتضي ، في (د).

(٧) – المقتضي: المقتض ، في (ج) و (د).

(٨) – لم أعثر لهما على ترجمة.

ومرحبا بقــصيد في بلاغتــها　　فاقت علــى خطــب الأعيــاد

وافت وقد خلُصت من كـــلِّ　　إخلاص ناظمها مـــن وصـــمة

وأقبلت تتهادى في محاســنها　　كالخود في حسنها تختال في خلع

حازت بدائع فاتت كــلّ ذي　　بنظم مبتدع للقــول مختــرع

وأعْوَصَتْ في الــمعاني وهي　　فأعجبْ لسهل لهــا في اللفــظ

أمّت إليّ لودٍّ من أخــي مقَــة　　أهـــدى لي الـــدرّ تـــشنيفاً

فقلت يا حبّذا محبوبةً وصلت　　بمطمع لم يكن من قبل في طمعي

أوليتها حظّها منّــي مقابلــةً　　لها وأنزلتــها عنــدي بمرتفــع

جعلتها سلّمي للإطّلاع علــى　　غوامض سرّها للعين لم يــذع(٣)

كانت بــها راحتي في كــلّ　　لها إيــابي لحاجــاتي ومرتجعــى

رفضت معْها ضــلالي وهــى　　للْهَدْي حتى رأيت الهَدْيَ مــن

طريقة أوضحت للــسالكين　　بنهض همَّة ندْب أَرْوَع وَرِع(٤)

ما حام حول حماها في حمايتها　　على وفــاء ولا الــسودي ولا

لاغـــرو في حـــسنها إن راق　　بناظم مستطيل البــاع مطّلــع

فكيف لا ولقد كان القريض　　ملْكاً له ينفق الأقوال من وَسَع

فكم له من عبــارات بـــها　　لسالك وإشــاراتٌ لـــمنتفع

وكم يصوغ الثنا ودًّا ويدْمجه　　في نظم شعر من الأزهار مقتطع

ويجمع الحسن حتى إنه أبــدا　　لم يبق إن قال مـــن حـــسن ولم

أوصافه الغرّ لو أني أشــبّهها　　بالأنجم الزهر إنّى غيْر مقتنــع

١٠١/أ

---

(١) – في : من ، في (ب) و (ج) و (د).

(٢) – إليّ لودّ: إلى الود ، في (ج) و (د).

(٣) – لم : يذع: لم يزع ، في (ج) و (د).

(٤) – أوضحت: اضحت ، في (د).

(٥) – السودي: هو محمد بن علي بن محمد السودي ، متصوف شاعر، توفي في تعز باليمن سنة ٩٣٢هـ. الأعلام ٦/٢٨٩

- البرعي: هو عبد الرحيم بن أحمد بن علي البرعي اليماني،شاعر متصوف،توفي سنة ٨٠٣هـ. الأعلام٣/٣٤٣

(٦) – قال: طال ، في (ب) و(ج) و (د).

إن القصيدة روضٌ زاهرٌ أدبًا | حمائمٌ طربًا فانظر [إليها] وع[1]
تقدّمت فغدت متبوعةً فلــها | في الشعر تقديم متبوع على تَبَع
تــــهجّن الـــــمتنبي مـــن | والـــسيد المرتـــضى ترميـــه
أهدى إليّ الرضا فيها الهــدى | ولم يكن في الرضا هذا من البدع
جاءت ومحض الوفـــا والـــود | مدحاً إلى سالم من سالم الطمـــع

وقال ـ صانه الله عن كل خلل[4] ـ وقلت هذه الأبيات أيام الحجب الذي حصل في سنة١٢٠١هـــ، و لم يمكن إرسالها لـــمن هي من أجلهم :

نسيم الصبا عجْ على مربعـــي | وعرّج على جـــيرة الأجـــرع
وبلّـــغ ســـلامي لـــسكّانه | وحيّـــي حمـــى ذلــك المجمـــع
وقـــل لهـــمُ إنـــه موثـــقٌ | أســير الهـــوى ضـــيّق المربـــع
مَشُوقٌ إليكم علـــى بعـــده | بقلـــب بأشـــواقه مولـــع[5]
يهـــيّج لوعتـــه للحمـــى | إذا لَعْلَعَ البرق من لَعْلَـــع[6] [7]
يـــسابق خفّـــاق لـــمْعانه | بـــخفْق الجـــوانح في الأضـــلع
ويربو على هـــمْع نوء الحيـــا | بـــهمع الـــمدامع من أربع[8]
فمهجته قد كواهـــا الجـــوى | ومقلتـــه قـــطّ لم تـــهجع[9]
نسيم الصبا وانّه للحـــى مـــا | بـــمرآك منّـــى وبالـــمـــسمع
وخصّ سلامي بشمس الخبـــا | وحيّ بـــــه قمـــر الـــــمطلع

١٠١/ب

(١) – ما بين المعقوفين بياض في جميع النسخ.
(٢) – المتنبي: المبتني ، اللكعي: الدكعي، في (د).
(٣) – هو الشريف المرتضى علي بن الحسين أخو الشريف الرضي.
(٤) – في (ج) و (د) (رحمه الله تعالى) .
(٥) – مشوق: شوق ، في (د).
(٦) – لعلع : جبل قرب المدينة .المغانم المطابة ص٢٦٤
(٧) – التلعلع : التلالؤ . كتاب العين (لع) - لعلع:اسم جبل كانت به وقعة . مختار الصحاح (لعع)
(٨) – بـــهمع: بـــهم ، في (د).
(٩) – مقلته : فعلته ، في (د).

هما نور عـــيني وإنـــسانـــها ... وريحانتا قلــبي الـــموجع[1]

وأهديَ للجمع منّي الـسلام ... وعُمَّهُـــمُ بالثنـــا واجمـــع[2]

وجئني بأخبـــار ذاك الحمـــى ... وشـــنّف بـــذكراهمُ مـــسمعي

شـــفا داء قلـــبيَ ذكـــراهمُ ... وهيهات لو كان قلـــبي معـــي

وقال : وقلت أيضا في أيام تلك النازلة:

كتمتُ عن اللاحى الصبابة والولعْ ... وموَّهْتُ وَجْدي بالتسلّي لــه خــدعْ

وأظهرت من حالي ســوى مـــا ... وأضمرت ما أشـــكوه مـــن مَـــضَض

ولكن طما شوقي فـــضاقت بـــه ... وكنت أرى في القلب للشوق متّـــسع

ففاضت دمَا العبرات مـــن ذوْب ... وقلبيَ من فرط الغرام قد انـــصدع[4]

وطال زفيري من لهيب جـــوانحي ... فطار مع الأنفـــاس وهْجـــي وارتفـــع

وألبسني الـــبين الـــضّنا فلبـــسته ... سقاماً كأنّ الـــبين ألبـــسني الخلـــع[5]

فـــأظهر مـــا أخفيتـــه وكتمتـــه ... وصرت بمـــرأى للعيـــون ومـــستمع

فـــشاهدني اللاحـــى ونمّ بحـــالتي ... وذاع من الأشواق مالم يكـــن يُـــذع

صبرت على مُـــرِّ البعـــاد وإنمـــا ... صبرت ولا أجـــدى اصـــطباري ولا

فها أنا من طول النـــوى في يـــد ... يقلّـــبني في راحتيـــه علـــى الهلـــع

رعى الله لي ربْعاً بجـــدّة عـــامراً ... وحيّاه مـــأوى للأحبّـــة قـــد جمـــع[7]

تشوّقني الذكرى إليه فلـــي بـــه ... حمـــىً ليَ مـــصْطافٌ إليـــه ومُرْتَبَـــع

قضى الله لي بالبين عنه بما قـــضى ... ولله مـــا أعطـــى ولله مـــا منـــع

١٠/أ

---

(١) – هما: حما ، في (د).

(٢) – وأهدي: وهدى ، في (ب) ،للجمع : إلى الجمع ، في (ب) و (ج) و (د).

(٣) – مضض: فضض ، في (د).

(٤) – ففاضت: ففات، في (ب) ، وفي (ج) و (د) (فعات).

(٥) – (ألبسني) موهمة في (ج) و (د).

(٦) – أجدى: أجذى ، في (ج) و (د).

(٧) – (لي) ساقطة من (د) ، مأوى: ثاوي ، في (ب) و (ج) و (د).

عسى من قضى بالبين يقضى | يعود بها مع ذلك الحيّ مجتمع
يعيد بحسْن العوْد روحى لذاتها | ويدْنىَ به وصْلى ويوصل ما قطع

وقال – صانه الله عن الخطوب الهائلة[١] - وقلت أيام تلك النازلة :

جرى صرْف الزمان بشتّ | وحجْزي عن حمى وطني
وبالغَ في مغالبتي اعتداءً | وشافهني بتأنيب ورَدْع[٣]
وأولع بي متاعبه غلاباً | وأوقع بي الحوادث أيّ وقْع
وكان بيَ الحمى في جمع شمل | يحيّي أنسنا في شمل جمع[٤]
ففرّقنا وكان العيش خصبًا | وروض الإجتماع ذوات ينع[٥]
وقد طال النوى ونما | وعنّ الإصطبار وضاق ذرعي
فلا شخصٌ لهم وتراه عيني | ولا خبرٌ لهم ويراه سمعي
بكيتهمُ إلى أن ذاب قلبي | وسال بمدمعى إذ جفّ دمعى[٦]
وزادتني الحمامة وهي تشدو | جوى يربو على طوقي
تغنّت وهي تمرح في ذراها | وتصدح والفؤاد حليف صدع
حمامة ما لقلبي معْك شجوى | ولا طرب لترجيع وسجْع[٨]
حمامة ولْولي نُوحي لنوْحي | وولولتي أسى وابكي وأنعي
أنا الصبّ الحزين أنا المعنّى | أنا المقصيّ عن حيِّي وربعي
أنا الناعي لمفقودي وإني | لديهم بالحياة كذاك منعي

(١) – في (ج) و (د) (رحمه الله تعالى).
(٢) – منعي: منع ، في (د).
(٣) – مغالبتي: مقالبتي ، في (ب) و (د).
(٤) – كان بي: كان في ، في (ج) و (د).
(٥) – (ففرقنا) غير منقوطة في (ب) ، وفي (ج) و (د) (فصرفنا).
(٦) –بمدمعي: بمدامعي ، في (د) ، إذ: إد ، في (ب) و (ج) و (د) .
(٧) – تشدو: تشذو ، في (ج) و (د).
(٨) – في (أ) ورد آخر البيت هكذا (تسجيع ورجع) وكُتِب فوقه بخط صغير ما يفيد التأخير والتقديم ، وهو ما التزمناه وأثبتناه ، إلا أن النسخ الأخرى لم تلتزم به.

١٠٢/ب

فللرائى غنى عن بثّ حـــزني | بما يبدو له لو كنـــت مرعـــى
جوىً وضنًا وأشواقٌ وحـــزنٌ | وباعث ذاك تـــشتيق وقطعـــى
ولكنّـــى ظهـــرت لغـــير راء | وقلت لغير مصغ لي بـــسمع[1]

وقال – حرسه الله من كل ما أهمّ [2]- وقلت هذه الحمينية أيام الحادث الذي ألـــمّ :

سمعت ورقاء الربوع تـــسجع | والقلب مـــن ذاك الـــسجوع
ناحت ولـــو نـــاح الـــشجى | ينـــوح عـــن عـــشقه ووجـــد
ما عندها مثلى فـــؤاد مولـــع | بحرّ نـــيران الهيـــام مولـــوع[5]
ولا مدامع تسكب أربع أربع | ولا وداد صافي وحبّ مطبوع[6]

ست

ورقاء يا ورقاء كم تنـــوحين | هيّجت منّـــى لوعـــة المحبـــه[7]
كم تظهرين الـــشجو كـــم | ولا معك في الحبّ قدْر حبّـــه[8]
إلْفك معك تغدين أو تروحين | أما أنا نـــائى عـــن الأحبـــه[9]
حيران عاني مستهام موجـــع | محزون في أسر الغـــرام ممنـــوع

ست

ورقاء مـــا شـــجواي مثـــل | ما نسبة الخالي لصبّ مشتاق[10]
أنت أنيسه في ظلال مغنـــاك | وأنا فريد في وحشة التفرّاق[11]

١٠٣/أ

---

(١) – لكنّي: لكن ، في (ج) و (د) ، مصغٍ: وصفه ، في (د).
(٢) – في (ج) و (د) (رحمه الله تعالى) .
(٣) – السجوع: السجود ، في (د).
(٤) – الشجي: الشجعي ، في (د).
(٥) – بحر: ببحر ، في (ب) و (ج) و (د).
(٦) – حب: صب ، في (د).
(٧) – تنوحين: تتوحين ، في (د).
(٨) – تظهرين: تظهر من ، في (د).
(٩) – إلفك: الفلك ، في (د).
(١٠) – مشتاق: مشاق ، في (د).
(١١) – مغناك: مضناك ، في (د).

معناي في العشقة خلاف   إن كنت ذات الطوق كم لي

مفتون في عشقة غزال الأجرع   جسمى معى والقلب معْه

وقال : وقلت أيضاً :

هو الحبّ فلتنهض لمنهله   لتروى به غَرْفًا إذا تمّ أو رشفا

هو الطبّ للداء العضال به الشفا   فما شفّ سقمٌ من بسَلْسَله استشفى

توجّهْ إلى تلقاء مدْيَنه تنل   من المورد الأهنى صفا الصَّدَر الأوفى

ترى ثَمّ نار الهدْي جذوة مصطل   على أنها نور الصفاء لمن

أجب أيها المدعوّ داعيك   ولا تك عن أصغائه ثانياً عطفا[٢]

أنادي وما غير الفؤاد مخاطب   بهذا الندا لكنّه دام في الإغفا

فؤاداً هو الفولاذ طبعاً وقسوةً   كأن لم يكن في اللطف كالجوهرالشفّا[٣]

تعامى وذا التغيير ملء عيونه   وصمّ وكان الوعظ في أذنه شنفا[٤]

على أنّ فيه للتبصّر أعينا   ترى كلّ ما يبدو وتعرفه عرفا[٥]

وفيه لإصغاء المواعظ مسمعٌ   به يسمع الصوت الأبحّ بل الأخفى[٦]

لحى الله قلبي يدّعى الحب شرعةً   له وهو لم يصدق على شخصه وَصْفَا

فهل لا بدت شمس المحبة وانجلى   سناها وجلّت عن بصيرته الكشْفا

وهل لا رآها وهي في حلل البها   ولا ستْر يستغشى سناها ولا كسفا[٧]

فماذا التعامى عن سفور جمالها   سوى حسرات تتبع الأسف اللهفا[٨]

١٠٣/ب

---

(١) – جذوة: جلوة ، في (د).

(٢) – عن: من ، في (د).

(٣) – الفولاذ طبعا: الفولاد طبعا ، في (ب) و (ج) و(الفولا وطبعا) في (د) .

(٤) – التغيير: التعبير ، في (ج) و (د).

(٥) – تعرفه: يقرنه ، في (ج) و (د).

(٦) – يسمع: سميع، الأبح: الأبحر ، في (د).

(٧) – حلل: طل ، ستر : تر ، في (د).

(٨) – التعامي: التسامي ، في (د).

فيا ويح قلبي لم يـــزل في عمائـــه … على الطمس لم يطرف بتبصرة طَرْفــا

وما دأبه إلا السباق إلى الغـــوى … كمن يطّرد في مدّ مـــضماره طرْفــا[١]

ومهما رأى من حـــادث الـــدهر … لدنياه جارى الريح سبقا لـــه ســـخفا

ولو أقصرتْه السعي للبغـــي قـــوةٌ … تدانى لـــه حبـــوًا وأمّ لـــه زحفــا[٢]

فما لي وقلبي كلمـــا مـــرّ واردٌ … يقوّيـــه زادتـــه عنوّتـــه ضـــعفا[٣]

إلى إن عَفَت منه رســـوم بقائـــه … وما عاف ما يوليه هـــضما ولا عفّــا

ولا وَكَفَتْ منه العيـــون بعَبْـــرة … على عَبْرة كلاًّ ولا عن هوى كفّــا[٤]

وكفّ الفنا مـــمدوةٌ لاصـــطفائه … تراقب مقـــضياً فتخطفـــه خطفــا[٥]

وليس لقلبي ملجأٌ مـــن مـــصابه … سوى اللطف ممّن يمنح الملتجى اللطفا[٦]

واستمنح البَرّ الـــرؤوف بخلقـــه … سوابغ فضل تقتضى ستره الأضـــفى[٧]

واســـتغفر الله العظـــيم فإنـــه … عليمٌ بما أبدى الضمير وما أخفـــى[٨]

١٠٤/أ

قال: فلما وقف عليها سراج الأدباء وفخر النجباء الأخ عمر بن محمود حيدر المدني[٩] أرسل إليّ قصيدة مثلها قيدتـــها في المراسلات أيضاً.

وقال ـ بلغه الله الآمال[١] ـ وقلت مجيباً لمولاي وسيدي السيد إبراهيم الأمـــير عـــن قصيدة وردت إليّ منه في سنة ١١٩٧هـــ :

---

(١) – إلى : على ، في (د) ، مد: حد ،في (ج) و (د).

(٢) – أقصرته: أقعرته ، في (د).

(٣) – عنوته: عفوته ، في (د).

(٤) – هذا البيت ساقط من (ب) و (ج) و (د).

(٥) – الفنا: القنا ، في (أ) و (ب) ، ولعل الصواب ما أثبته من (ج) و (د) ، تراقب: نراقب ، في (ج) و (د).

(٦) – اللطفا: الأصفى ، في (د).

(٧) – الأضفى: الاصفى ، في (ب) و (ج) و (د).

(٨) – أبدى: ابرى ، في (د).

(٩) – هو عمر بن محمود حيدر البغدادي ولد سنة ١١٤٤هـــ ، قال عنه الأنصاري (إنه رجل حاذق أديب ذو لسن، وله نظم ونثر بديع حسن ، وهو الآن موجود) أي وقت تاليف كتاب الأنصاري . تحفة المحبين والأصحاب ١٩٥.

قد صفا الراح وراقا   فاسقني الكـــاس

زفّها بكراً عروســا   واقْبــل العقــل

زفّها واقض بـــــها   ـــر اصــطباحا

زفّها وأنْسَ بـــــها   ــــــر ازدواجــا

زفّها واشرح بــها   ر اجتماعـــــــاً

زفّها وانعش بـــــها   ح التثاما واعتناقا

زفّها وارم بـــها الهم   م لــــمن عـــقّ

زفّها وامـــل علـــى   ـــــب معانيهــا

زفّها مستبقاً للأنــ   ــس بالــصفو

واجْلها يا بدر شمسا   لا تخــف معهــا

وانطلق بالعزم معْها   للمــــــــسرّات

واسْر بالصدق إليها   واركب الشوق

وارقَ بالقصد لديها   واخرق الــسبع

واجعل الحبّ رفيقا   وســـق القلـــب

واجْمـــع الـــشمل   ولَهَـــا اســـتهد

فهي روح الـــروح   لفتى ذاق فتاقـــا

وهي معنى الأنـــس   لشج وافى فلاقى

وهي سرّ السرّ سورا   دار بالكون نطاقا

خمرة راؤوقها مـــدّ   من النور رواقا[٥]

وسناها ضاء حـــتى   نـــاهز الـــشمس

١٠٤/ب

---

(١) – في (ج) و (د) (رحمه الله تعالى) .

(٢) – العقل: الفعل ، في (د).

(٣) – البيت ساقط من (ب) و (ج) و (د).

(٤) – المحاقا: انمحاقا ، في (د).

(٥) – الراؤوق: الشراب يتروق من غير عصر، وقيل هو الكأس بعينها. تاج العروس (روق).

وشذاها عبــق الأر	جـــاء بالطيـــب
وصـــــــفاها راوح	ح وجـــــــــدا
ووفاها ملأ الألبـا	ب ودًّا ووفاقـــا
ولقاها نسق الأحبا	ب بالوصـــــــل
يتلقاهـــــا فـــؤادٌ	غـــسلت عنـــه
كشطت عين الصدا	رقّه راق فراقا(٤)
وسرت فيـــه بـــسرٍّ	طـــاب نفْحـــاً
وتجلّت فيـــه مجلـــى	هيّج القلب وشاقا
وأذاقتـــه رحيقـــا	راق واحلـــــولى
فهي سرٌّ وهي نـــورٌ	يعلـــق القلـــب
ولها عهـــدٌ قـــديمٌ	جـــلّ عبئًـــا أن
نـــسأل الله تعـــالى	حفظ ذي العهد

١٠٥/أ

وقال : وقلت:

شكوت لكم ودّي فجئتم بمثله	فأضـــرمتمُ في وهْجـــتي وَهْـــجَ
وقابلتمُ ودّي بإخلاص ودّكم	وراعيتمُ بالحفظ عهْدي وميثاقي
وقلتم لنا فرْط اشتياق لـــصبّنا	صدقتم ولكن ذاك من بعـــض

وقال : وقلت في أثناء كتاب :

---

(١) – ضاء : ضاد ، في (د).

(٢) – راوح: راح ، في (ب) (ج) و (د) ، الأرواح: الاواح ، في (ب) و (ج) و (د) ، وجدا: واجدا ، في (أ) ، وما أثبته من (ب) و (ج) و (د) ؛ لأن المعنى والوزن لا يستقيمان إلا به .

(٣) – ولقاها: ولها ، في (ب) و (ج) و (د).

(٤) – عين: عني ، في (ج) و (د).

(٥) – عبءًا : عباء ، في (ج) ، و(عباد) في (د).

(٦) – فأضرمتمُ: فاضربتم ، في (ب) و (ج) ، وفي (د) (فاصربتم) ، في وهجتي: ووهجتي ، في (ج) ، وهج: وهجة، في (ج) و(د).

نحا لاقْتنَا القول البديع مسالكا	يعـــزّ علـــى أهـــل القـــريض
وأبرز من كنـــز القوافي لآلئاً	تُظنُّ عقودا من نضار سلوكها[٢]
معان بألفاظ تراءت كأنّـــــها	أسرّة مُلْك قد علتْها ملوكهـــا

وقال – لطف الله به في جميع الأحوال[٣] - وقلت مجيباً لمولاي السيد إبراهيم الأمير :

خطـــرت محجّبـــة	تختـــال في حُلــــل
هيفاء مائس عطفها	فـــاق الغـــصون
كحلاء فاتر لحظهـــا	نفثاتـــه الـــسحر
ترنو بأجفان الظبـــا	فتـــصيد أفئـــدة
وتصول في عـــشّاقها	بلواحظ ترمى النبالْ
وإذا تبـــسّم ثغرهـــا	أزْرى بمنتظم اللآلْ
لجمال طلعة وجهها	أدبًا لقـــد ســـجد
ما الشمس إلا فلذةٌ	من كنـــز هـــذاك
فلنا بغرّتـــها الهدى	وبليـــل طرّتـــــها
ولنا بمبسمها شـــفا	ولنا بناظرها اعتلالْ
ولها علينا في الهـــوى	ألاّ سلوّ ولا مـــلالْ
وقلوبنـــا في حبّهـــا	دامت بعشق لايزالْ
ومرادها فينا الجفـــا	ومرادنـــا منـــــها

١٠٥/ب

وقال - بلغه الله أمله وأحسن عمله[١] - وقلت في أثناء كتاب أرسلته وأنـــا بالمدينـــة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام لمولاي السيد إبراهيم الأمير سنة ١٢٠١هـــ :

---

(١) – نحا :نحن ، في (ج) و (د).

(٢) – تظن: نظن ، في (أ) و(ب) و (د) ، وما أثبته من (ج) ؛ لأنه الأبلغ.

(٣) – في (ج) فقط (رحمه الله تعالى) ، أما في (د) لوحة (٧٣) فوردت نفس عبارة (أ) و (ب)، ويظهر أن الناسخ بدءاً من هذا الموضع صار ينقل مباشرة من النسخة (ب) حيث يؤكد ذلك تغيّر نمط الأخطاء التي كانت مترتبة على رسم الكلمات في النسخة (ج) ، أما من بعد هذا الموضع فلا نجد ذلك.

(٤) – أدبا لقد: والقد ، في (ج)، وفي (د) (او بالقد).

نلت يا سيّدي مرامى وسولي كلّ يوم أزور قــبر الرســـول

زال كربي وقرّ نـــاظر عـــيني بـــحبيبـــى وتـــمّ لي مـــأمولي

زال كرّ الترحال والعقد والـــ ـــحلّ لأثقالنا وشـــدّ الحمـــول

زال ما أشتكيه من ألم السيـــ ـــر مع السفْر وَخْده والذميل[٢]

زال عنّي صدى الهموم بإشرا ق سنا طلعة الجمـــال الجميـــل

أفضل الخلق أكرم الرسْل طه سيّد الكائنات زاكى الأصول[٣]

جئت مستمطراً أياديَهُ الغـــز ر ففاضت أنواؤهـــا بالـــسيول

آنسَ القلب بعـــد وحـــشته ـــس بقربي لسوحه ووصولي[٤]

حقـــق الله مـــا أرجّيـــه،أولا نـــيَ نعمى إمـــداده بـــالقبول

وتجلّى للـــسرّ ســـرّ الجـــذابي لـــحماه بعد الـــمسير الطويل

و(سرورٌ) أهدى إليّ ســـرورا ببلـــوغي مـــواطن التنويـــل[٥]

فجزاه الإلـــه عنّـــى جمـــيلا وحباه فـــضلاً بـــأجر جزيـــل

وقال: وأرسل إليّ الندب الفاضل، والإنسان الكامل الـــشيخ محمـــد بـــن أبي بكـــر شيخون[٦] قصيدة فريدة في سنة ١١٩٨هـــ، فأرسلت إليه هذه جوابا :

وَرَدَتْ أيها الجمال الجميـــلُ وارداتٌ منكم عليها القبـــولُ

روْحنتْ روح قابـــل لتلقّـــى روحهـــا فارتياحـــه مـــأمول[٧]

أنشقتْني طيباً فـــآنس قلـــبي من شذاها الشفاء وهو العليـــل

وتحيّرتُ قائلاً حـــين وافَـــتْ نَفَحَ الطيب أم أديرت شمـــول

١٠٦/أ

---

(١) – في (ج) فقط (رحمه الوال).

(٢) – (وخده) في (ج) و (د) كتب منها الواو ترك باقي الكلمة بياضا.

(٣) – أكرم: وأكرم ، في (ج) و (د).

(٤) – وحشته: وحشة ، في (ب) و (ج) و (د).

(٥) – ببلوغي: ببلوغ ، في (ج).

(٦) – لم أعثر له على ترجمة.

(٧) – روحنت: روحت ، في (ب) و (ج) و (د).

أم وشى نفْح عطْر ليلى بليلى — أم شذى الزهر صافحته القبول
ثم راجعت فكـــرتي لـــصوابي — وفؤادي بسكْرها مـــشمول[1]
وتحقّقْتُ أنّـــها الروض تزهو — بزواهيـــه أســـطرٌ لا الخميـــل
نشأت عـــن خـــواطر لمجيـــد — للمعـــالي بفـــضله التكميـــل
عمدتي الأمثل العزيـــز جمـــالا — وكمالا وأين منـــه الـــمثيل
لست أطريه بالـــمديح وفيـــه — ما يردّ البليغ وهـــو كليـــل[2]
أدبٌ زاهـــرٌ وخلـــقٌ كـــريمٌ — ووفاءٌ نام وفـــضلٌ جزيـــل[3]
وهو أعلى من (أن) أعدّ معـــا — ليه بنظمـــي وإنـــه لجليـــل[4]
وردتْ لي منْه فرائـــد نظْـــم — غررٌ عندها تـــــهيم العقـــول
كل حـــسناء منطـــق ببيـــان — ومعـــان ألفاظهـــا سلـــسبيل
رفلت في مطارف الحسن تختا — ل بـــهاء كأنـــها عطبول[5](6)
من بديع الكلام تـــهزأ زهوًا — بكلام البـــديع فيمـــا يقـــول
جملٌ من بلاغة قولهـــا الجـــز — ل بفحـــواه يفهـــم التفـــصيل
فأضاءت شمساً بمطلع فكـــري — وتجلّت ومـــا اعتراهـــا أفـــول
وبـــها ارتاض القلـــب بعـــد — وانتفى عنه بالـــصفا التعليـــل
قد أشرتم فيها إشارات هـــاد — يهتدي للعلا بـــها الـــضِّلّيل[7]
فاستمدّيت هـــدْيها فأمّـــدت — مدداً وهـــو للرشـــاد دليـــل
تحـــفٌ زفّهـــا إليّ رضـــاكم — والرضا منكمُ هـــو المـــأمول[1]

١٠٦/ب

---

(١) – فكرتي: فكري ، في (ج) و (د).
(٢) – بالمديح وفيه: بالمدح فيه ، في (ج).
(٣) – نام : تام ، في (ب) ، وفي (ج) و (د) أثبت الميم من الكلمة وترك مكان الحرفين بياضا.
(٤) – (أن) ساقطة من (أ) و(ب) و (د)، وأثبتها من (ج).
(٥) – عطبول: جميلة فتية ممتلئة طويلة العنق. لسان العرب (عطبل)
(٦) – مطارف: ثياب ، في (ج) ، وفي (ب) و (د) تُرك مكانـــها بياضا.
(٧) – إشارات: إشارة ، في (ب) و(ج) و (د) ، يهتدي: يهدي ، في (ج) و (د) ، الضليل: التضليل، في (ج).

لم أكن كفؤها قصوراً ولكـــن ... حـــــسنٌ فيّ ظـــنكم وجميـــل

ولبيت القصيد منكم قـــصيدٌ ... ضمن أبياتـــها له التبجيـــل[2]

حسنت موقعاً ولاقت قبـــولا ... من عزيز على الوفـــا مجبـــول

دام في مجده مكـــين المبـــاني ... بـــــهناء ونعمـــــة لاتـــزول

وهو لاشك روح جسم المعالي ... وله في الكرام طـــوْلٌ وطـــول

وجهه البدر دائم البشر فيـــه ... يترجّـــى التـــأمين والتأميـــل

واحدٌ عزّ عن نظـــير عـــلاه ... دونـــها كل ذي علاء ضـــئيل

سمْح نفس لنا به سَمَحَ الدهـــ ... ـــر على أنّـــه بـــذاك بخيـــل

١٠٧/أ

وإذا جـــاد وقتنـــا بكـــريم ... فكثيرٌ حيـــث الكـــرام قليـــل

إن عتبنا على الزمـــان فمـــا ... ـــب بمجد إنّ الزمان جهول[3]

قابَلَ الـــدهر غيرنـــا بعيـــون ... نظرتنا بجانب وهـــي حُـــول[4]

هكذا خلْقها الليالي وإنّ الفـــا ... ضل الشهم عنـــدها مفـــضول

وطريق العلاء صعبٌ على من ... ساد ، وَعْرٌ به اللئام نـــزولُ[5]

فنـــزيلُ اللئيم فيها صَـــعُودٌ ... وصُعُودُ الكريم فيها نُـــزُول[6]

---

(١) – زفها : حفها ، في (ج) ، وعجز البيت مضطرب الوزن.

(٢) – ولبيت: وليست ، في (د).

(٣) – العتب: العنب ، في (د) ، بمجد: مجد ، في (ب) و(ج) و (د) .

(٤) – عيون: غبون ، في جميع النسخ، ويستقيم المعنى بكلمة (عيون)،لاسيما أن كلمة (الحول) تستدعيها، وهو ما يتفق مع معجمه الشعري إذ نجده يقول: وإنـــّما الدهر ترى عينَه ... كمثْل ما ينْظرك الأحول

(٥) – (وعر به) موهمة غير واضحة في (ج).

(٦) – البيت هكذا في جميع النسخ، وقد أشكل عليّ ، فقد تكون كلمة (نزيل) (نزول) المطابقة لكلمة (صعود) ، ويكون المعنى بذلك أن شيم اللئيم التي من المفترض أن تنـــزل به صارت في هذا الوقت سببا في علوه وصعوده، كما أن شيم الكريم التي من المفترض أن تنهض به وتعليه صارت في هذا الوقت سببا لنـــزوله وتأخر مرتبته ، لكن ما يحتمله المعنى هنا هو أن النـــزيل الذي ينـــزل على اللئيم ويقصده هو من يصعد ويرتقي ، وأن صعود الكريم يعد نزولا عند هؤلاء اللئام ؛ لأن الوقت متحكم فيه اللئام، وقد تكرر هذا المعنى عند الجداوي في أكثر من موضع ، مثل قوله: **ويسفل قدراً فيه كلّ مبجّلٍ ... ويعلو ادّعاء العزّ فيه هضيمه** (ص٢١٠)

ومغانيه أقفرت بعـــد أنـــس وحشةٌ [مجدبات] وهي طلول[١]

أنت أدرى منِّي بـــهذا اختبارا وغـــنيٌّ بـــالخبْر عمّـــا أقـــول

وأنا لم أفهْ بـــــها لاعتـــراض وانتقاض حاشا علاك الجليـــل

إنّما الكأس فاض بعد امـــتلاء لدواعِ عقلي بـــــها معقـــول

ولصدري من حسنه نفثـــاتٌ ضاق عنها والحزن داءٌ دخيـــل

صدرت نحوكم بثوب قـــصير وعليها مرْطُ الحيـــا مـــسدول

وقال : وأرسلت إلى الجمال المذكور أيضاً :

إن فصّل الـــمادح أو أجملا لم يوف حقـــاً قـــدرك

وإن تلا الـــمثْني عليـــك ما قام بـــالبعض وإن

يا سيدا قد ساد في رتبـــة سمت مزاياهـــا بـــأوج

وحائز المجـــد بفـــضل لـــه يزهو بـــهاءً لعيـــون

ومحرز الـــسبق بمـــضماره في حَلْبَة كان بـــــها

وافى إلى عبدك طِرْس الوفا أَمْنًا بلا مَـــنٍّ بوَجْـــه

وافى عليه منـــك [ســـيما كأنه نـــور الـــصباح

تضمّنت أســـطره روضـــةً غنّا بمـــا يُجـــنى ومـــا

شاهدت منها رونق الحسْن أبـــهى مبانيهـــا ومـــا

فهُمْتُ صبًّا بمعان بـــــها فهمْـــتُ منـــه الأدب

وارتشف السمع بألفاظهـــا سلافةً قـــد مازجـــت

واغتبط القلـــب ســـرورا لـــما حوت ممَّا غـــلا

١٠٧/ب

---

(١) – ما بين المعقوفين بياض في جميع النسخ .

(٢) – وافى: وفا ، في (أ) ، وما أثبته من (ب) و(ج) و (د).

(٣) – ما بين المعقوفين بياض في جميع النسخ.

(٤) – غنا : بـــها ، في (ب) و (ج) و (د) ، و(يجنى) و(يجتلا) موهمة غير واضحة في (ج) و (د).

(٥) – (ما) الأولى ساقطة من (أ) و (ب) و (د) ، وأثبتها من (ج).

وقال - سلك الله به أحسن المسالك[١]- وقلت أيضاً مادحاً المرحوم السيد أحمد خليل[٢] ومجيباً له بالنيابة عن قصيدة على هذا الرويّ أرسلها لبعض معاصريه فأهمل جوابها:

كم أعاني الهوى صدودا	وأداني الغرام حَزْنًا وسهلا
وفؤادي إلف الصبابة صبٌّ	ليس ينسى الصبا ولا يتسلّى
فلعمري ما الحبّ إلا شجونٌ	هي شجوي بها أموت وأبلى
والجمال المصون قبلة قلبي	نحو محرابها له القلب صلّى[٣]
آه ما أعذب الهوى لمحبٍّ	ذاق كأس الهوى من الشهد
نهل العاشقون منه وإني	أرتوي من طلاَهُ نهلاً وعلاّ
فعلامَ العذول يدهق لي العذ	ل كؤوساً وأكؤس الحبّ تملا[٤]
يا لصحبي ما عاذلي غير غمْر	لم يصادف منه الملام محلا[٥]
لم يذق ما أذوق بل صحب	ـر غبيًّا وأنفذ العمر جهلا
كيف لا أحتسي مدامة صفوي	وهي في حالة الخلاعة تجلى[٦]
ومدير الكؤوس لاح لعيني	ومحيّا جماله قد تجلّى[٧]
وقفت بي صبابتي موقف الحير	ة في الحسن منه لمّا استهلا[٨]
همت وجداً به وحقّ لمثلي	بثياب الهيام أن يتحلى[٩]
غير بدْع في عاشق هام وجدا	بحبيب في سوح أحشاه حَلاّ[١]

(١) – في (ج) (رحمه الله تعالى).
(٢) – لم أعثر له على ترجمة.
(٣) – (محرابها) موهمة في (ج) ، (صحرابها) في (د) .
(٤) – أكؤس: كوس ، في (ب) ، و(كؤس) في (ج) و (د) .
(٥) – ما عاذلي: يا عاذلي ، غمر: عمر ، في (د).
(٦) – الخلاعة: الخالعة ، في (ب) ، وفي (ج) و (د) كتب من الكلمة (الخا) وترك بقية الكلمة بياضا .
(٧) – البيت ساقط من (ب) و (ج) و (د).
(٨) – استهلا: اسهلا ، في (ج) .
(٩) – وجدا: واجدا ، في (ج).

١٠٨/أ

وأنــا الهــائم المعنّــى بحــبٍّ	لرضـــاه قلـــبي دنـــا فتـــدلّى
لتدانيه قد غرســـت الأمـــاني	فسقاه بخلا من اليأس وَبْـــلا[2]
وعجيـــــبٌ بـــأنني أتـــداني	لقصيٍّ عنِّـــي خـــضوعاً وذُلاّ[3]
إنما سنّة الغرام لـــــمنْ هـــا	م اجتلاء الجمال في كلّ مَجْلَى
كم خبايا مخبوءةٌ في الزوايـــا	ولهـــا مـــن بحـــسنها يتملّـــى
ولكلٍّ من الأحاســـن شـــكلٌ	ينتمـــى حـــسنه إليـــه ويـــدلى
والمعالي لها الشهاب عزيز الـــ	ـــقدر عـــالي الجنـــاب فخـــراً
روح جسم العلا هيولا الكما	لات جمال الآداب فهمًا ونبلا[5]
هو عين الأعيان (نادرة الدهـــ	ـــر بديع الزمان بل هو أعلـــى
الأديب الأريب) ذوقًا وحذقًا	الحسيب النسيب فرعاً وأصلا[6]
أحمد ابن الـــمكرّم ابن خليل	من لـــه القـــدْح في النـــضال
أيها البارع المجيد أَجـــزْ مـــن	أَوْجَزَ القول في علائك جـــزلا
مدَحاً رقّ نظمها في معاليـــــ	ـــك ثناءً أضحت بناديك ثُمْلا
ما لفكري فيها ادّعاء نظـــام	إنما هي آيات فـــضلك تتلـــى
وابق واسلم في سؤدد وارتقاء	دمت في أوْجه الأعـــزّ الأجـــلاّ

١٠٨/ب

وقال ــ لا زال معدنا لكل كمال[1] ــ وفي سنة ١٢٠٣هــ أرسل إليّ مولاي وعمدتي وملاذي وبركتي السيد إبراهيم الأمير حفظه القدير قصيدة فريدة تشتمل علـــى

---

(١) – بحبيب: بخبيب ، في (ج) ، (بحيب) في (د).

(٢) – لتدانيه: لقد انيه ، في (د) ، الأماني: الأفاني ، في (ب) و (ج) و (د).

(٣) – بأنني: بأني ، في (ب) و (ج) و (د).

(٤) – الشهاب: شهاب ، في (ب) و (ج) و (د).

(٥) – في القاموس ، الهيولا : ضوء الشمس. لسان العرب (هيل).

(٦) – ما بين القوسين ساقط من ، في (د).

(٧) – (ابن) الأولى ساقطة من (ب) و (ج) و (د).

محاسن عديدة،وتحتوي على خفايا رموز ،وخبايا كنوز سلك فيها مسلكاً غريباً، ومنهجاً عجيباً، مطلعها : **سؤال خيالٍ في الفؤاد تحصّلا**

فأجبته بـــهذا الجواب طمعاً في استنتاج رمزه ، واستخراج كنـــزه ، فمـــا أوضح لي رمزاً ولافتح لي كنـــزاً ، وها أنا أرجو الله أن يسخره لنيل المطلوب ، فإني إليه منسوب.

لقد جاد مولانا بـــها وتطـــوّلا ... وأوسعنـــى عزًّا بـــــها وتفـــضّلا

وقلّدني الإحسان عقداً منضّدا ... وألبسني الحسنى وشاحاً مفـــصّلا[٢]

وأوردني منها مـــوارد عذبـــةً ... وأرشفني منها رحيقـــاً وسلـــسلا

أميريــــةٌ علْميّـــــةٌ عَلَميَّـــــةٌ ... إمامية تدعو إلى رشدها الـــــملا[٣]

يمانيةٌ كانت فـــآنس لفظهـــا ... حجازاً وعن صنعاء ما قبلها سلا[٤]

لها حَرْجَفُ النكباء في ســـاحة ... وما نسيت فيه جنوباً وشمـــألا[٥] [٦]

بـــها بزّ مَنْ يبتزّ منطقه الحجى ... بنظم بـــه في كأسها تسكر الطِّلا[٧]

غريبة سحْر القـــول لا فُـــضّ ... بـــها فاه أو شاد بـــها قد تمـــثّلا[٨]

بدا سرّها الـــــمكنوز بعـــد ... ولاح بـــــها الـــــمرموز للعـــين

رأينا لها شخصاً عشقنا جمالـــه ... فلمّا دنونـــا منـــه عـــاد تخـــيّلا[١]

١٠٩/أ

---

(١) – في (ج) (رحمه الوال).

(٢) – عقدا : عقلا ، في (د).

(٣) – رشدها : رعدها ، في (د).

(٤) – (قبلها) ، لعلها (قلبها) ، إذ هو أقرب للمعنى المراد.

(٥) – الحرجف : الريح الباردة الشديدة الهبوب. لسان العرب (حرجف)

(٦) – (حرجف) موهمة في (ب)،وبياض في (ج) و(د) ،(نسيت) موهمة في (ب) ،و(نبتت) في(ج) و(نيت) في (د) ، والنسيان هنا بمعنى التَّرْك.

(٧) – (بز من يبتز) موهمة في (د) ، (يبتز) غير منقوطة في (ج) ، به: بـــها ، في (ب) و (ج) ، و(بما) في (د) .

(٨) – شاد: شاذ ، في (ب) و (د).

(٩) – للعين: العين ، في (د).

وأبياتــها ضمّت عباراتــها لنا سؤالاً عن الربع الذي صار ممحلا[٢]

يجيب على هذا السؤال مُبَــرَّزٌ تفوه بما في الصدر أشداقه الــملا[٣]

ولايلزم الدهقان ذاك لجهلــه كما يلزم القرن العظيم المجلــلا[٤]

إذا كان لايدري القران فعذره بمن لا درى أين القــران تحــوّلا[٥]

على أنه يدري الجواب وأنــه جليٌّ من الآيات يتلــوه مــن تــلا

فجاذبة الجذب ارتكاب محــرّم وأكل حرام حيث ما حلّ أو حلا[٦]

ويكفى خليل الـــمكرمات بأنَّ أباه كـــان أعلـــم أجهـــلا[٧]

وحسبك منّي علمــه بكريمــة رماه اللقا منها بفادحــة القــلا[٨]

وعلمــى بتعليــل الــــمزاج لكلّ عليل الطبع أمّا الخــصوص لا

أننكر تعليل الزمــان وكلّنــا علمنا بــأنّ الكــل صــار معلَّــلا

أننكره والحال شــاهدةٌ لنــا بتحقيقه فيمن تصابى ومــن ســلا

فإن مزاج الكون قد زاد خلطه وقد غصّت الأهواء أجرامه امــتلا

ولا حميةٌ تحمى النفــوس مــن ولا دافعٌ يُنْقى البواطن مُــسْهلا[٩]

وداء الهوى أعيَى الأساة علاجه وحيّــر مــن عــانى الــــمريض

١٠٩/ب

---

(١) – شخصًا: شخص،في (أ) و(ب) و(د)، ولعل الصواب ما أثبته من (ج) إذ لا أرى للإعراب وجها غير النصب.

(٢) – سؤالا: سولا ، في (ج) و (د).

(٣) – كلمة (مبرز) ، بياض في (ج) ، و(جر) في (د) ، وكلمة (تفوه) غير منقوطة في (ب) ، و(يفوه) في (ج) ، وموهمة في (د) ، وكلمة (أشداقه) (اشراقه) في (ج) و(اشرافه في (د) .

(٤) – (القرن) ، غير منقوطة في (ب) و (د) ، ونصف موهم وبياض في (ج) .

(٥) –بمن : عن ، في (د).

(٦) – فجاذبة: فجذبة ، في (د).

(٧) خليل: قليل ، في (د).

(٨) – بفادحة: بمادحة ، في (د).

(٩) – (ينقي) موهمة في (ب) و (ج) و (د).

(١٠) – عانى: عان ، في (د).

إذا استحكم الداء العضال فلا | يساغ ولا يجدي الضماد ولا الطلا
وكم من طبيب جسّ نبض | فأنساك جساساً به ومهلهلا[1]
وعلمك علمي بالزمان وأهله | ومن شك في جهلي زمانيَ ابتلا
وأما دمشق الشام قد شُمْتُ | فلا ستْر يغشاها ولا لبْس مسبلا
ومخرج خان الباز يذكرنا حمى | به ضاعت العكاز ممّن تمعقلا[2]
وقد طنّ شعر ابن الحسين | على أثر قد رنّ شعر أبي العلا
وملحمة الأبيات أفهم نظمها | كنوز رموز كالعرائس تجتلى
بدائع يتلوها روائع بعدها | زوابع شرٍّ تملأ الدوّ قسطلا
روادف ما حلق الرؤوس | لها وقد اعتادت لها الأسد مأكلا
لعمرك قد أغمضت رمزك لي | كأنّك تنحو فيه ناحية الألى[3]
إذا رمت إخبارى أفدني بسرّها | (بقيت مفيدا مجملا ومفصّلا
وإن كان موضوع السؤال | كرمز ابن بسطام لديّ وقد خلا
إذّا شئت إفهامي بما في | أبجنيَ منها مالديك تحصّلا[4]
وإن كنت إفحامي أردت فإنني | إذا عدت عنها القهقرى لست أوّلا
وعذريَ في التقصير أوضح من | لدعواي في الفهم الهبوط إلى العلا
وجدة داري موطني مولدي | جنَى غرسها ما طاب قطٌّ وإن

١١٠/أ

وقال - لطف الله به[6] - وأرسلت هذه القصيدة لمولاي وسيدي السيد إبراهيم الأمير ومعها نثر وأجاب الفقير عليها ،وهي مع النثر والجواب في المراسلات :

تجلّت بهاء فاجتليت | وأبدت حياء فاجتليت دلالها[1]

---

(١) – مهلهلا: مهللا، في (أ) و (ب) ، و(جهللا) في (د) ، ولعل ما أثبته هو الصواب من (ج).

(٢) – الألى : الأولى ، في النسخ جميعها ، وهو مما يخل بالوزن ، ولا يستقيم به المعنى ، ولعل ما أثبته هو الصواب.

(٣) – ما بين القوسين ساقط من (ب) و (ج) و (د) ، منها: بها ، في (د) .

(٤) – ما بين القوسين ساقط من (ب) و (ج) و (د) ، منها: بها ، في (د) .

(٥) – مولدي: وهو ، في (ج) ، وفي (د) (هو لدى).

(٦) – في (ج) (رحمه الله تعالى) .

ومادت تــهادى بانةً في خميلة مهفهفــةً تـــهوى الغـــصون

يرنّح في أعطافها الزهو قامــة إليها استمال القلــب لــــمّا

خريدة حسن مــا لهــا بــين نظيرٌ له من قسمة الحسن ما لها

منعّمةٌ ما أحرز الروض لطفها ولا حاز بدْر التمّ حاشا كمالهــا

ممنعّةٌ لايــستبيح حجابـــها مرامٌ ولا يعدو الحفاظ حجالهــا

فما نال مــن يهــوى جميــل دنوّا إليها حيــث رام وصــالها

ولي مثل ما للــهائمين بحبــها فؤادٌ ولكن هام في حبّهــا لهــا

ولي مهجةٌ حرّاء مــن فــرط رأت في طريق الحــبّ هــدْيًا

مخالفةٌ في طبعها كلّ عاشــق تخالف منه حالة الحــبّ حالهــا

وما زال قلبي وهو في ربْقــة إذا ذكر العشاق وصلا تبا[3] لها

وها أنا أهواها على البعــد لا سواها ولو أبــدت إليّ ملالهــا

وما رمت منــها الوصــل إلا وقد منع التسهيد عنّي خيالها[4]

وإن صدّقتني في هواها محــبّتي بلغت الــذي فــوق الوصــال

وإني لسار في دجى ليل صبوتي إلى ما سيقضيه عليّ الهوى لهــا

على أنــني راج بــأن أحمــد صباحاً وتقضى الــنفس نجحــا

ولا نُجْح في نــهج لساع ولم لغايتــــه هـــاد يريـــه مآلهــــا

ولا مثل من ضاءت به شرعة منار هدىً يدلي بـــها من سعى

هو العَلَمُ الفرد الذي اتّضحت مناهجهـــا للمبـــتغين نوالهـــا

هو الجهبذ الفذّ الذي بعلومه تفيأ من روض الكمال ظلالها[5]

أجاد مفيدا للعلوم وإن يقــل أفاد مجيدا صحّ من فيــه قالهــا

١١٠/ب

(١) – (فاجتليت) الأولى : فاختليت ، في (ب) و (د) ، و(اجتليت الثانية) : اختليت ، في (د).

(٢) – هديا: هدي ، في (ب) و (ج) و (د).

(٣) – تبا : غزا وغنم. لسان العرب (تبا)

(٤) – إلا: لا ، في (أ) و (ب)، ولعل الصواب ما أثبته من (ج) و (د) ، (منع) موهمة في (ب) و (د).

(٥) – (تفيأ) موهمة في (ج) ،و(تضاء) في (د).

مناطاً لأسرار الهداية مركـــزاً — لأنوارها فاشْهدْه تشهد جلالهـــا

أميرا يمير الوفد خـــير إفـــادة — بساحته الوفّاد حطّت رحالها[1]

سليل الكرام الغـــرّ مـــن آل — همامٌ إذا عدّ الكـــرام رجالهـــا

وإن عيّن الأعيان صدرا لرفعة — تَعَيَّنَ إبراهيمهـــا واحـــتبى لهـــا

فكان لها عند افتخار أثيرهـــا — وكان لها عند ازدهـــاء جمالهـــا

وقال - زاده الله من الكمال[2]- وقلت هذه القصيدة وأرســلتها للعلامـــة الجليـــل والفهامة النبيل السيد محمد بن هاشم اليمني[3] عمت بركاته، وذلك في سنة ١١٩٦هـــ:

أقبّل بالـــمعنى يديك وألـــثمُ — إذا لم يَنَلْ بالحسّ إدراكه الفـــمُ

وأثني على علياك ذكراً علـــى — إذا عزّت اللقيا وباسمك أقـــسم

ثناءً وإنّي دون مجـــدك بالثنـــا — عليك وإن شطّ الـــمزار أسلّم

أزفّ تحيـــاتي إليـــك عقـــائلاً — تقوم مقامى في عـــلاك وتخـــدم

وأبعث أشواقى بضمن رسالتي — لتبدي لك الحب الذي كنـــت

ومن لي بأن تقضى لحبك حقّه — لـــديك وتحظـــى بالـــــمثول

وتلقى بملقاك القبول وإنـــــها — لأجدر أن تأوي إليك وتكـــرم

إلى حيث مأوى الرشد والنبل — ومغنى الغنى حيث الفضائل مغنم

إلى شامخ القدر الأعزّ محمـــد — سليل الكرام الأمجدين المكـــرّم

إلى واحد الدهر الأجـــلّ ابـــن — جمال المعالي والنـــسيب المقـــدّم

إلى ظاهر الفضل الأجل سيادةً — ومجدا له هام الـــسُّها متـــسنّم

إليك وإلا ما القريض وفـــضله — إذا لم يكـــن إلا إليـــك يُـــيَمِّم

وفيك وإلا ما القوافي ونظمهـــا — إذا لم يكن في ذكر فضلك تنظم

١١١/أ

(١) – البيت ساقط من (ب) (ج) و (د).

(٢) – في (ج) (رحمه المتعال) .

(٣) – لم أعثر له على ترجمة.

(٤) – (تقضي) غير منقوطة في (ب) ، و(يقضي) في (ج) و (د) ، بالمثول: بالنوال ، في (ب) و (ج) و (د) .

وعنك وإلا مــا الـــــمكارم إذا لم تكن عنك المكارم تُعلــم

علاً عزّ في كــلّ الـــــمظاهر لها عَلَمُ الإفضال بــالعز مُعلــم

تقاصر عنها كلّ مثن ومــادح وطالت فأنّى يدرك الـــــمتكلم

إليك انبرت تــهدي الــسلام لتخبر عن وجدي وعنّي تترجم

رسالة مشتاق على البعد طال يسائل عنك الوفد أو يــتعلم[١]

وما صدرت إلا عــن الحـــب وصدق الولا والشوق والله يعلم

سعت حيث حسن الظن فيك تغاضيك عمّا يقتضيه التجهّم[٢]

١١١/ب

وأمّت على استحيائها منـــك وأنت جــدير بالــذي تتــوهّم

توسّمت الإقبــال منــك وأن يقوم لها سوقٌ لديك وموســم

فإن لاحظتــها الــــمكرمات فإنك أجدى بالطلاب وأكــرم

وقال وأرسل الجواب واستولت عليه أيدي الضياع و لم يصلني .

وقال - أعاذه الله من كل شانٍ[٣] - وأرسل إليّ العلامة الشيخ سعيد بن علي اليمني القيرواني قصيدة على وزن قصيدتي هذه ورويها ،فأجبته :

تراءت وفود الليــل فينــان ووجه السما بالزهر روضٌ منمنم

ووافت وصدر الأفق صــدر دراري الثريا فيه عقــدٌ مــنظّم

وقد مــدّ للغــرب الــدجى ذراعا به الكفّ الخضيب مخــتّم

توارى لها البدر احتشاما ولو بدا وهو فيهــا بالحيــاء ملــثّم

تألّق من مجلى محاسنها ســنا بَوَاديــه لا تخفــى ولا تتكــتّم

عكاظيةٌ حــسناء تــستوقف أباديّةٌ فصحى بــها القول مفحم

جَلَتْ في منــصّات البــديع تجلّ عن الأكفاء عــزًّا وتكــرم

وجادت بأغلى ما يرام لذي وأبدع ما يستامه الــمتوسم[١]

---

(١) – رسالة: رسائل ، في (ج) ، وغير واضحة في (د).

(٢) – تغاضيك: لعاصيك ، في (ج) و (د).

(٣) – في (ج) (رحمه الله تعالى).

أقامت لأرباب الحلوم مواسماً   بـــها تُنْجـــد الأفهـــام علْمـــاً
فكان بـــها للمبتغى الفـــضل   به تغْنم الآداب والفضل مغْـــنم
ولا بدْع فالــــمنشى طـــراز   أريبٌ به ثغـــر العـــلا متبـــسّم
أديبٌ بـــه الآداب تـــسمو   إلى فـــضله الإفـــضال وهـــو
أجلّ مجيد منطقـــاً وبلاغـــةً   بمقْوَلـــه فـــنّ البلاغـــة يختـــتم
حكيمٌ له حسن الفعال وقوله   لنا منه أسلوب الحكيم وأحكـــم
أمير الــــمعالي والــــمعاني   بعيدٌ على من ســـاد أو يـــتكلم
إمامٌ حوى المجدين إرثا وإنـــه   لفى الحلْبَتَيْن السابق الــــمتقدّم
فمن حَسَب جـــمّ الفـــضائل   له فوق هام الفرقدين تـــسنّم(٤)
إلى أدب غضٍّ يشفّ لطافـــةً   على الـــروض يزهـــو والـــصبا
معال بـــها ضـــاء الوجـــود   هى الشمس لولا نورها الكـــون
مسوّرة الأطراف بالنـــسب   ================
فأين لراق في معارج ســـؤدد   يباري بـــها مقدارها وهى أعظم
فلا نفقٌ يدني وحاشا لفخرها   ولا في السما يرقـــى لهـــا قـــطّ
وحسْبك يا نجـــل الكـــرام   علاً يقصر الـــــمنطيق عنـــها

وقال : ثم جادت القريحة بقصيدة على هذا الوزن والروي وأرســلتها إلى معـــدن الآداب وزينة أولي الألباب مولاي السيد علي بن السيد إبراهيم الأمير:

---

(١) – لذي: لدى ، في (ج).
(٢) – تتهم : سهم ، في (د).
(٣) – أديب: أريب ، في (ج) و (د).
(٤) – حسب جم: حسيم ، في (د).
(٥) – البيت ساقط من (ب) و (ج) و (د).
(٦) – كأنما: كأنـــها ، في (ب) و (ج) و (د).
(٧) – عجز البيت بياض في جميع النسخ.
(٨) – فلا نفق: فلا تفق ، في (د).
(٩) – بأنـــها : بابـــها ، المنطيق: النطيق ، في (د).

١١٢/ب

إليك ابن إبراهيم منّى قصيدةً	تشير إلى إخلاص ودّي وتُعلـــم
قصيرة باع عن مديحك إنمــا	قضت بعض ما للمجد والحـــبّ
تحلّت قوافيها بذكرك واغتدى	بأوصافك الحسنى عليها توسّـــم
عليها بـــهاءٌ من علاك وبُردُها	بمدحك يا عين الأماجد مُعلم[١]
لها أمـــل الـــــمثني عليـــك	وداد محبٍّ وهى عنه تتـــرجم[٢]
بقيت لأهل الفضل والنبـــل	يـــحجّ إلى عرفانـــها الـــمتيمّم
ودامت بك الأيام تتلو علـــى	مثاني الـــمعالي عنك أو تترنّم[٣]

وقال- صرف الله عنه صروف الأكدار ، وأعاذه من طوارق الليل والنهار[٤]- وقلت لما أزعجني الشوق إلى وطني وذكرني بإلفي وسكني، وكان الداعي لذلك والباعث على ما هنالك كتاب صدر من بعض الأصحاب أشغل البال وهيج البلبال، وذلك في شهر رجب الفرد سنة١٢٠٢هـــ:

سقا جدّة الفيحاء صوب غمام	بأنواء مـــزْن بـــالغيوث هـــوام
سقاها الحيا غيثاً هنيئاً مجلّـــلا	وأطفأ منـــها حـــرّ كـــلّ أوام
سقى الله أهليها مواطر بـــرّه	بـــها وسقا الأوغاد كأس حمام
سقاها وحيّاها وساق بـــلاءه	لـــمن في حماها من حثالة (حام)
بلاد قراري مـــوطني ســـكني	به نشأتي من حين قـــام قـــوامي
بلادٌ بـــــها أهلـــي وحيّـــي	وأهل ودادي الحافظين ذمـــامي

(١) – هذا البيت ساقط من (د).
(٢) – أمل: اهل ، في (د).
(٣) – دامت: حامت ، في (د).
(٤) – في (ج) (رحمه الله).
(٥) – في نسخة (أ) مكان الكلمة بياض فكأن المدوّن تركها عمدا لتعمية صفة المهجو، وفي نسخة (ب) وردت(حثالة أقوام) وكأنه اجتهاد من الناسخ، ولكنه لا يستقيم، وما أثبته من نسخة (ج) لأنه يستقيم به الوزن ويرجح صوابه ماعرفناه عن مهجو شاعرنا في أبيات أخرى حيث شبهه فيها بالغراب، أما نسخة (د) فقد ترك فيها مكان الكلمة بياضا.

نَبَتْ بِيَ عنها الدار والجار إنّما   فؤادي على عَوْد بــها متــرام

وما صدّني عنها سوى أن عَتَا   دعيٌّ رمى بالإفك كلّ همــام(١)

ترفّع طغياناً على كلّ ماجــد   وسام ببخْس قدْر كــلّ شــهام

١١٣/أ

ولي نفس حرٍّ لا تقــاد بذلّــة   إليــه ولم يؤخــذ لهــا بزمــام

أَبَتْ أن ترى ذلّ الرفيع وعزّة   ــوضيع ودعوى المجد عند لئام

فإن لجّ بي شــوقٌ لــــجدّة   لواعج شوقى النفس أيّ خصام

لها نَفَس الــــمرتاح للحــى   ولكنّ لي أنفاس نفس عصام(٢)

قضى الله لي فيها بأن لا أرى   رقيعاً وضــيعاً في أجــلّ مقــام

طلبت ومولايَ جديرٌ بمطلــبي   وغير كبير في عطــاه مرامــى

وبعد فأُهْدي للصديق تحــيّتي   وأشفعها منّــى بطيب ســلامى

وأتــْحفَه بالطيّبات من الثنــا   تقوم لديــه بــالبلاغ مقــامى

وأنــهى له بعــض اشــتياقى   وأشواق قلبي للحمى وهيــامى

وأخبره أنّى مقيمٌ على الوفــا   ولا أنْفَكّ عن عقْد الإخاء لحامى

أقاســى مــرارات النــوى   جوانحهــا في وهْجَــة وضــرام

على أنني في ســاحة الجــود   نزيل كــريم في جــوار كــرام

أراني كما يهْوَى الصديق بمكة   عزيزاً بذاك الحيّ غير مُــضام(٣)

سليماً معافى لا عناء ولا جفا   سوى البعد عن صــحْبى ودار

وأمّا سوى هذا فكلّ شواغل   جوارح منهنّ القلوب دوامــى

حواجز دون القصد كــم رُدّ   بــها لوراء عن بلــوغ أمــام

فتظهر للنظّار في كل رونــق   فتصرفهم عن نَيْل كــلّ مــرام

١١٣/ب

تراءى لعيني في مظاهر حسنها   ولكن لها في القلب وقْعُ سهام(١)

---

(١) – عتا بــها : دعى بــها ، في (ج) ، و(عربــها) في (د).

(٢) – لي : بي ، في (د).

(٣) – بذاك: بلاك ، في (د).

ينال الـــمنى مـــن لا يراهـــا | لها صـــحبةً في رحلـــة ومقـــام
وما أنا من ذاك الطراز ولـــو | جواهره مـــن منطقـــى بنظـــام
وما أنـــا إلا قاعـــدٌ متثـــبّطٌ | ولا أنا إلا زاهـــدٌ بكلامـــى[٢]
ونفسيَ أحرى مـــن ســـواها | ويااليت شعري هل يفيد ملامى
ولكنني أرجو من الله ربّـــــها | سلامتها من هوْل كـــلّ مـــلام
وإني وإن قصّرت في كلّ حالة | لفي نعَـــم مـــن ذي الجـــلال
يعاملني بالفضل جوداً ورحمـــةً | ويحفظـــني في يقْظـــة ومنـــام[٤]
هو المبدئ النعمى عليّ تفضلا | وأرجوه أن يقضى بحسن ختام[٥]
وكم منّـــة لله تقـــصر همـــتي | وناهضتي عن شكرها وقيـــامى
فإني رأيت الـــمنع عن ذلك | عطاء حفيظ مـــن رمايـــة رام
حمانـــيَ من كيـــد الأعـــادي | على أن قصد الكلّ رضّ عظامى
صبرْت لها مستسلماً لقـــضائه | إلى أن مضى عامٌ أُضيف لعام[٦]
إلى أن أزال الله ظلْمَة لـــيلتي | بصبري وإن طالت ببدر تمـــام
على أنّ بدْر التمّ مـــسْراه في | وإن ضاء نوراً في سدوف ظلام
ويعْقب هـــذا الليـــل صـــبحٌ | محيّا ذُكَا فيـــه بغـــير لثـــام[٧]
وما خَفيَتْ عنْك الأمور وإنما | دعاني لبسط القول فرْط غـــرام
ووافاني الـــمرقوم منك وإنني | رأيت بما فيـــه شـــفاء ســـقامى
رأيت رقوم الطـــرس روضـــاً | وألفاظه عقدًا بـــديع نظـــام[٨]

١١٤/أ

---

(١) – حسنها: عنها ، في (د).
(٢) – ولا أنا إلا زاهد: ولا أنا زاهد ، في (د).
(٣) – نعم : نعمة ، في (ب) و (ج) و (د).
(٤) – جودا : جوادا ، في (د) ، (يقظة) موهمة غير واضحة في (ج).
(٥) – النعمى: النعم ، في (ج) و (د).
(٦) – (مستسلما) موهمة في (ب) و (ج) و (د).
(٧) – تجتلي: تتجلى ، في (ج) و (د) ، (فيه) ساقطة من (ب) و (ج) و (د).
(٨) – رأيت: رتب ، في (ب) و (ج) و (د) ، روضا: رمصا ، في (ج) و (د) .

وصرت به في نشوة فكــأنني   رشفت بــسمعى منــه كــأس
هديت به أرشــدت أيقظــت   هـــززت قنـــاتي وانتـــضيت
فعذراً وأرجو مـــن صـــديقى   إذا ظنّني عن قــصْده متحـــامى
فإنّي أرى ما لا يرى كلّ ناظر   ولكنني عمـــا يـــرى متعـــامى
إذا أنت صـــدّقت القيـــاس   رأيتَنـــىَ اليقظـــان بـــين نيـــام
تأملْ أخى فالدهر بالناس قُلَّبٌ   وما أحدٌ مـــستوثقٌ بـــدوام(٣)

وقال وضممت إليها شيئا من النثر وهو مقيد مع الأصل في المراسلات .

وقال (– صرف الله عنه صروف الردى وحرسه من كيد العدا – وقلت) (٤):

أرى الدهر لا ينحطّ إلا كريمهُ   ولا يطلب العليـــاء إلا لئيمـــهُ
يُعنّى به الـــشهم الحـــسيب   حليـــف الـــــهنا مذمومـــه
ويسفل قدراً فيه كلّ مبجّـــل   ويعلو ادّعاء العزّ فيه هـــضيمه
مشى القَهْقَـــرى بـــالأمثلين   بـــهم من عـــلاء للحـــضيض
فتبــّـاً لأيام بـــها كلّ ماجـــد   ضئيلٌ وســـامى القـــدر فيهـــا
يسود بـــها في النـــاس غـــيرُ   فيزعم فيها ســـؤدداً لا يقيمـــه

---

(١) – بسمعي: سمعي ، في (ب) و (ج) و (د) .
(٢) – للعلا: لعلني ، في (ج) .
(٣) – بالناس: بالباس ، في (ب) و (ج) و (د) .
(٤) – ما بين القوسين ساقط من (ج) .
(٥) – يعنّى:يعض ، في (ج) و (د) ،(حليف) غير منقوطة في (ب) ، وساقطة من (ج) و (د) ، (الهنا) موهمة في(ج) ، و(لهنا) في (د) .

١١٤/ب

يظن العلا للكبر منه نتيجـــةً ... وهل ينتج الـــــمجد الأثيـــل

ومن نكد الدنيا زيادة نـــاقص ... على كامل بالبخس فيها يسومه

وما الـــمجد إلا حَلْبة السبْق ... وأين الثنا عن من بنقص يرومه

لقد أصبح السكّيت فيها مجلّيًا ... وعاد مجلّى السبق وهو لطيمـــه

فيا حزنا للمجد أين دعاتـــه ... وأين رواسيه وأين عظيمـــه[٢]

فلا منـــزلٌ يرجـــى لـــــمنٍّ ... ولا معقلٌ يلجا لأمـــن زعيمـــه

تداعت مبانيه وأقفـــر ربعـــه ... وقد جاوبت أصداؤها فيه بُومَه

وأَمْـــَحَلَ واديـــه وغاضـــت ... وقد مُحيت آثـــاره ورســـومه

ولم يبق من لذّاته غير ذكـــره ... فتطربنـــا أخبـــاره وعلومـــه[٣]

تلاشت به أيدي العواصـــف ... عهدناه معموراً يهبّ نسيمه[٤]

وسال به قحط الرجال كأنـــه ... لوادي سبا في النائبات قسيمه[٥]

فيا حسرة الرائى الزمان الذي ... مضى وهو طلْق الوجه بـــشراً

رأى فيه خيم اللطف حـــسنا ... فصار وخيمًا قد تغيّـــر خيمـــه

وما عيشة الأحرار فيه ســـوى ... فـــيلقحهم بالــــــمزعجات

فكم من وضيع أنـــهضته إلى ... حظوظٌ وأقصاه عن الــــمجد

عميّ عيون العقل عن طرْقها ... به خصّ لكنّ للأنام عمومـــه[٧]

وحسب أخ الحلم اصـــطبار ... لخطب دهـــى حـــتى أدلهمّـــت

---

(١) – ينتج: يفتح ، في (د) .

(٢) – (أين) الثانية (أنى) في (ج) و(اني) في (د) .

(٣) – فتطربنا: فتطير بنا ، في (ب) و (د) ، و(تطير بنا) في (ج).

(٤) – بعدما: بعد ، في (أ) .

(٥) – قحط: محط ، في (ب) و (د) .

(٦) – الرائي: للراي ، في (ب) و (د) ، و(الراي) في (ج).

(٧) – العقل: الفضل، في (ب) و (ج) و (د) .

(٨) – دهى: وهي ، في (ج) .

١١٥/أ

فصبرًا لها والصبر أليق بالفتى على حالة فيهـــا عنـــاه غريمـــه

وفي عَرَض البأســـاء عـــارض وللّطف فيها لـــمْع برْق تشيمه

وما بعد هذا الحزن إلا مسرّةٌ لها روح أنس فاح طيباً شميمـــه

وقال _ لطف الله به البر الوال[1] _ مجيباً لمولاي العمدة السيد إبراهيم الأمير عن قصيدة وردت إلي منه على هذا الوزن وكلاهما مقيد في محله :

محبٌّ في الغرام لـــه شـــجونُ إليهـــا لا يـــزال لـــه حـــنينُ

بقلب فوق نار الوجد أضحى تقلّبـــــه الكآبـــــة والغبـــــون

تـــميل به الصبابة للتـــصابي كما مالت بفوج صبا غصون[2]

وتجذبه يد الأشـــواق حـــتى يحرّك مـــن محبّتـــه الـــسكون

ويُكسبه الهوى هونا، وقلـــبٌ يغالبه الهوى عقبـــاه هـــون[3]

ويُبكيه الغرام دمـــا فيـــسقى محاجر خدِّه الـــدمع الهتـــون[4]

وهل يشفى الغليـــل لـــمن صبابته بـــأن تبكـــى العيـــون

وهل يجدي المحبّ إذا تـــشكّى ســـــوى أن يبـــــدوَ الـــــسرّ

وها أنا ذاك لم يبرح فـــؤادي بأيدي الحب وهو لهـــا رهـــين

فوا أسفى على قلبي وحـــزني ولم يستـــشف بـــالألم الحـــزين

على أنّي أغادر حـــبّ ليلـــى يهيّج لي به الوجد الكمـــين[6]

يحنّ إلى الحمى قلـــبي غرامـــا لحيٍّ في حمى قلـــبي ســـكون[7]

---

(١) – في (ج) (رحمه الله تعالى) .

(٢) – فوج: فوح ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٣) – يغالبه: يقالبه ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٤) – دما : وما ، في (د) .

(٥) – يجدي: يجذي ، في (ب) و (د) .

(٦) – في (ج) (أغادر) موهمة ، و (حب ليلى) غير منقوطة .

(٧) – (قلبي) الثانية (ليلى) غير منقوطة ، في (ج) .

أحنّ إلــيهمُ شــوقاً وبــيني ... وبــين منــاي للرّقبــا عيــون

مناي ومقــصدي الــشعب ... فـــأبطح فالــمحـــصّب

فلعْلَع فالنقــا فــشظا فغلْــقٌ ... فوعساء الأجــارع فالحــصون

مغان لم يزل غــرس الأمــاني ... بــها دان ومنظرهــا حَــسين

وساحات كــساها الله نــورا ... تعاهد مهدها الــروح الأمــين

فما هب الصبا النجــدي إلا ... نشقت بــها الشفا وهو الضمين

ولي مَعَ روْحه من حيّ ليلــى ... شذا العرفان والخــبر الــيقين

وكم لي في صبا نجــد معــان ... يراقب عندها الفتح الـــمبين

تذكّرني ومــا قلــبي بنــاس ... عهود الحيّ وهو بــها ضــنين

ولكن لي بــه تجديــد عهــد ... على عهد لــه أبــداً أصــون

وإن قصّرت فيه عــن وفــاء ... فهــذا الــسرّ مــورده معــين

وما ســرّ الوفــا إلا يقينــا ... لإبراهيم وهــو بـــها قمــين

وأحجم عند قدري عن مديحي ... لذا القدر الرفيع ومــن أكــون

فدونكها شــقائق لم يقابــل ... بــها من لفظك الدرّ الثمين[2]

وقد وافتْك تستجديك عرْفًــا ... إجازة مــن بعرفــك يــستعين

وتنشد بالحمى للحــيّ عنّــي ... جنــوني في محبــتكمُ فنــون[3]

مشجّــــــر

شمــــس المحاســــن ... من قــدّه في غــصن بلّــورْ

فاعجــب لعطــف ... أضحى عليه الحسن مقــصور

أَرَأَت عيونك قبلــه ... في الروض غصناً يثمر النور[4]

١١٥/ب

١١٦/أ

---

(١) – مناي ومقصدي: منائي مقصد ، في (ب) و (ج) و (د).

(٢) – (لفظك) غير واضحة في (ب) وبياض في (ج) و (د) .

(٣) – للحي: الحي ، في (د) .

(٤) – أرأت : أرأن ، في (ب) و (ج) و (د) .

أفدي محاسنه الــتي	خضعت لها الولدان والحور[1]

لفتاته بالجيد يغــدو	ــى منـــها وهـــو مــــسحور

قد حاز أوصـــاف	ل فكل قلب منـــه مــــسرور

لاتعذلوا من هــام	ـــه فكلّ من يهواه معـــذور

والقلب مجـــذوب (	ل يدور معْه وهـــو مقهـــور

بالحسن تنجـــذب)[2]	ب وحــــــسْن ذا المحبـــــوب

وقال – بلغه الله الآراب[3] – وقلت مجيباً لبعض الأصحاب :

أعربت في هديلها عن شجوني	وتغنّـــت في أيْكهـــا بلحـــوني

صدحت في أفنانــها فأثــار	ح منها صدوع قلـــبي الحـــزين

ذات طوق والَــتْ ســجوع	لولوعي وَوَلْوَلَـــتْ لغبـــوني[4]

شأنـــها شجْوها ولكنها نــا	حت حناناً من لطفهـــا لحنـــيني

ياحمام الحمى ســقى ربعــك	ـــمى مفيض الرحمـــى بغيـــث

أنـــت هيّجـــت بالـــسجوع	أنت أجريت بالدموع عيوني[6]

أنت أدميت بالصدوع فؤادي	أنت أسهرت في الهجوع جفوني

أنت أحرقت بالولوع حشائي	أنت حرّكت للربوع ســـكوني

أنت أذكرتني ولست بنـــاس	عهد حيّ النقا وشعْب الحجون
١١٦/ب

يا رعى الله عهْد أنس تقضّى	لم أزل ذاكراً لـــه كـــلّ حـــين

كان لي فيه من مرابع ليلـــى	نيل قصد ما كـــان في تخمـــيني

---

(١) – الذي: التي ، في جميع النسخ ، وليس له وجه ، ولعل الصواب ما أثبته .

(٢) – مابين القوسين ساقط من (ب) و (ج) و (د).

(٣) – في (ج) (رحمه الله تعالى) .

(٤) – غناها:فناها ، في (ج) .

(٥) – الرحمى: الرحمن ، في (د) .

(٦) – رسيسي : ريسي ، في (د) .

كنت فيه أجني ثمار الأمـــاني ... في ريـــاض التأميـــل والتـــأمين
كنت بالصفو لابـــساً حلـــل ... ـــو سروراً واللهو طوع يميني[1]
شاهداً فيه وجه أنسي جليًّـــا ... كارعاً فيه ماء قدسى الـــــمعين
كيف أَنسى أُنـــسى وكعبـــة ... ودواني غرسى وعـــين يقـــيني
كيف أنسى أمـــسى وكـــان ... بسط نفسى به وقبض شـــؤوني
كيف أنسى جـــسّي لأوتـــار ... وتغنّي حسى بشعر جنـــوني[2]
مرتعى مربعى بـــها ومصيفي ... منـــــــزهي منــــــزعى لهـــا
عندها إنجلى بمـــرأى حيـــاتي ... عـــين ذاتي وصـــبوتي تجتلـــيني
كم تدانيت دونـــها فتدلّيـــ ... ـــت رقيًّا فجاوزت بيَ دوني[4]
كم تعاطيت كأسها فكـــساني ... نوره ثوب حسنها الـــمزيون[5]
وتجلّـــى جمالهـــا فتجلّـــت ... عن عيوني به ســـتور غيـــوني[6]
أهل عـــذلي مـــا الحـــب إلا ... في الـــمحبين والـــصبابة ديـــني
فاعـــذلوني إن تعـــذلوني وإلا ... فدعوني فلست بالــــمغبون[7]
وانسبوني إلى الجنون ولا عـــا ... ر إذا ما دعيـــت بالــــمجنون
فأنا عذري الغرام ومـــا عـــذ ... ري إذا همْـــت في الجمـــال

أ/١١٧

آه لو ذقتمُ الهوى مثل ذوقي ... لتفتّنـــــــتمُ بـــــه تفتـــــيني
آه لو همتمُ هيـــامى بليلـــى ... لاهتديتم إلى ضلالي الـــمبين

---

(١) – الزهو: الزهر ، في (ج) و (د) ، اللهو: للهو، في (أ) و (ب) و (د) .
(٢) – جسي: جس ، حدسي: حدس ، في (ج) و (د) ، حسي: حس ، في (د) .
(٣) – مترعي: فترعى ، في (ب) و (د) ، وغير منقوطة في (ج) .
(٤) – فتدليت: فتدلت ، في (ج) .
(٥) – تعاطيت: حاطيت ، في (د) .
(٦) – الغين : السحاب ، وقيل: غين على قلبه ، غُطي عليه وألبس. لسان العرب (غين)
(٧) – بالمغبون: بالغبون ، في (د) .
(٨) – همت: هممت ، في (ب) و (ج) و (د) .

فبلـــيلاي أهتـــدي لـــضلالي | في هواهـــا ونورهـــا يهـــديني
وبـــها أحتسى رحيق وفاقى | من رفاقى ونشوتي تـــسقيني[1]
أتعاطى في سوحها راح ذكرا | ها اغتباطا بـــسرّه الـــمكنون
بفنون تنشى لنـــا نـــشوات | أسكرت بالقريض راح الدنون
بين صحب هم صحّتي مـــن | وشفائى من داء قلـــبي الـــدفين
هم أساتي هم ســـادتي هـــم | هم سراتي هم قادتي هم عيـــوني
قد أفادونيَ الجميل وجـــادوا | وبإعطا الجزيل قد غمـــروني[2]
وأفاضوا عليّ نـــور ســـناهم | وارتضوني لهم كمـــا يرضـــيني
وأقاموا حالي بـــهم فاستقاموا | لي صـــفاء وبالوفـــا عـــاملوني
وأحلّوني المحلّ الـــذي ســـد | ت به رفعـــةً ومـــا وضـــعوني
سيّما منـــهمُ الأخـــصّ وداداً | من عليه سيما الجمال الرصـــين
شمس أفْق الإفضال منتجـــع | آمال بدر الكمال نور الـــدين
منبع النبل معدن الكرم الـــ | ـــمحض إمـــام الآداب ربّ
حائز السبق في مـــدى كـــلّ | لنهايات نـــهجه الـــميمون
هو سرّ العلوم والسرّ جـــار | في مسمّاه باسمـــه عـــن يقـــين
مَنْ عَلا مـــن ذرا الـــمعالي | قد رقى فيه بالـــمكان الـــمكين
عَزّ قدراً من أن أوفّيه مـــدحا | مـــحْصيا بـــالإملاء والتبـــيين
يا أخا الفضل أنت أوليـــتني | ـــل بما لم أكن لـــه بقمـــين[3]
قولك الجزل جـــاء بـــالمنطق | ـــل نظاماً من درّك المخـــزون
لفظه الـــسهل راق في العـــلّ | ـــل مذاقاً فاق ابنة الزَّرْجُون[4]

(١) – أحتسي: احسي ، في (ج) و (د).
(٢) – بإعطا: بإعطاء ، في (ب و (ج) و (د).
(٣) – بقمين: بضمين ، في (ج) و (د) .
(٤) – الزرجون : الخمر. لسان العرب (زرجن)
(٥) – العل: العلى ، في (د) .

١١٧/ب

أين منّى بأن أباريـــك نظْمــا ... من يباري الغالي بقدر الـــدون
إن أبياتك الحـــسان بإحـــسا ... نك عزّت بالـــحُسْن عن تحسين
كل ألفاظها زهـــور ريـــاض ... كل نوناتـــها حواجـــب عـــين
كل حرْف منها فريدة عقـــد ... كل معنى منـــها كعقـــد ثمـــين
والقوافي في سبْكها بالـــمعاني ... أُفرغت في قوالـــب الـــتمكين
سيّدي أستمدّ منك اغتفـــارا ... لقصوري فـــاسمح ولا تقـــصيني
فعسى أن يراش منك جناحي ... بنجاحي ولا تـــخيّب ظنـــوني

وقال : وقلت هذه القصيدة وأرسلتها لمولاي السيد الأكمل والأيد الأمثل مولاي محمد بن هاشم اليمني، وسلكت فيها هذا المسلك طمعاً في وصوله والاجتماع عليه والتماس بركته ولثم يديه، وذلك في سنة ١١٩٩هـــ :

١١٨/أ

سقاها الحيـــا ســـاحات ليلـــى ... وأهدت إليهـــا الـــــمرسلات
سقاها ملثّ الجود غيثاً مجلّـــلا ... يروّي روابيها العلا ووطاياها(٢)
سقاها بميمون الغمـــام مبـــاركٌ ... هنيٌّ هموعٌ بالرضـــا يتغـــشّاها
سقاها بمسدول المطارف نـــاثرٌ ... على الجوّ من دكْـــن الـــستائر
سقاها بمزن طرّز البرق بالـــسنا ... حواشـــيَها الـــديباج لـــــمْعًا
غمامٌ لصوت الرعد في جنباتـــه ... حنين حُداة الركـــب تـــشجى
تؤمّ به رسْل الريـــاح لواقحًـــا ... لساحات ليلى بالغيوث لسقياها
إذا ما بكى الغيم انتحابا علـــى ... بـــها ضاحكت منها الـــبروق
معاهد ليلى لا عدا ربعها الحيا ... ولا فقدت سكّانـــــها أنـــس
معاهد معهود الوفا منبع الصفا ... مقام الـــصبا مغـــنى الخلاعـــة

(١) – حياها: حيها ، في (ب) و (ج) و (د) .
(٢) – (ملث) بياض ، في (ج) و (د) ، روابيها: رويـــبـــها، في (د).
(٣) – لمعا: لعا ، في (ج) و (د) .
(٤) – ربعها: رابعها ، سكانـــها : لسكانـــها في (د) .

ربيع قلوب العاشقين ربوعها ... ومصطافها الأهنى الألذّ ومشتاها

مجال الهوى مثوى المحبين مجتلى ... وجوه الحسان الغيد مأثر

فيا حبذا تلك الربوع فكم ... لقلبي أمان طال ما أتمناها

وكم لي بها من لذّة قد ... بأيام أنس بالحمى أتقاضاها

وكم بزواياها خبايا مسرّة ... فلله ما أغلى خبايا زواياها

حمى يزدهي منه أريض رياضه ... على الزهر بالأزهار حتى

حمى ناهز الأفلاك فخراً أديمه ... وجاز بمجراها اعتلاءً وجاراها

حمى تسحر الألباب غزلان حيّه ... جمالاً فما العشاق إلا أساراها

١١٨/ب

حمى مكة الغراء والبلد الذي ... تفوق على عقد الجواهر حصباها

أنيس المغاني بالغواني فكم فتىً ... صريع غوانيها قتيل عذاراها

على أنها الأرض المقدسة التي ... توالت بها تترى عنايات

دحاها وأعلاها وأظهر فضلها ... على كل أرض وارتضاها

قضاها بحقٍّ قبلةً فتوجّهتْ ... إلى وجهه القصاد نحو مصلاّها

مهابط وحي الله مغرس جوده ... مطالع أنوار الهداية مجلاها

مآثر إحياء العلوم منارها ... مشاعر أعلام الشريعة مبناها

ومنشأ خير الرسل أكرم مرسل ... أجلّ الورى أزكى الخليقة

بلادٌ بها ميلاده ومعاده ... وبعثته للعالمين ومبداها

بلادٌ أقام الله فيها لدينه ... مظاهر جلّت ليس يحصر إملاها

بلادٌ حرامٌ تربها وهواؤها ... وكل ضواحيها وسائر أنحاها

بلادٌ إليها الحج من كل وجْهة ... فتُقْصد من أدنى الجهات

وماذا على ذى اللب إن هام ... بها حيث أشجان النفوس

وماذا على الصبّ المشوق إذا ... إلى الساحة الفيحا وآثر

---

(١) – الصبا: الضبا ، في (ج) و (د) .

(٢) – أريض: ايض ، في (ب) ، و(أرض) في (ج) و (د).

إلى حيث ميقات الـــميمّم محرما ... إليها بنسك للحلول بـــمغناها

إلى حيـــث ملقـــى الوافـــدين ... وحيث بلوغ الهـــدْي إن عـــزّ

إلى حيث يأتي الموقف النـــاس ... وشعثا بـــها غبرا إلى الله ملجاها

إلى حيث إلظاظ الملبّين في الدعا ... إليه بالاستغفار حين ملبّاهـــا[٢]

إلى حيث جمعٌ حيث مزدلـــف ... وخيف مـــنى حيـــث الجمـــار

إلى حيـــث ظـــلّ الـــــمنحنى ... مقيل الهنا للنـــازلين بأعلاهـــا

إلى حيث تعظيم الشعائر بالحمى ... وحيث مرامات القلوب بتقواها

إلى حيث مجْلى النور بالبقعة التي ... (أفاض عليها الله نورا وزكّاهـــا

إلى حيث نيل الفوز بالحـــضرة ... تنال بـــها الوفّاد ما تترجاها[٤]

إلى حيث باب الفـــتح ملتـــزم ... وحيث يد المولى تقبّـــل يمناهـــا

إلى حيث ملجا المستجار للاجئ ... وحيث مطاف الزائرين ومسعاها

إلى حيث ميزاب الفيوضـــات ... يعمّ الـــورى بـــالفيض فـــضلا

إلى حيث ما بين المقام وزمـــزم ... مـــساجد عـــز الـــساجدين

هناك نـــهايات الـــمنى مبتغي ... وغايـــات قـــصد الـــسائلين

هناك مفاض الجود مـــستنـــزل ... وحسن مآب المخلصين وزلفاها

إليك جمال الدين منّي قـــصيدةً ... يناجيك عـــن إخـــلاص ودّيَ

عروس نظام زفّها الفكر مهرُها ... رضاك فقابل بـــالقبول محيّاهـــا

وأسْبلْ عليها السترْ فهي ضئيلةٌ ... إذا لم تلاحظْها قبولا وترعاهـــا

نظمْت بـــها درّ الصفات لبلدة ... منـــزّهة بالحـــسن عـــن قـــول

---

(١) – انتحى: انتحا ، في (د).

(٢) – الإلظاظ: لزوم الشيء والمواظبة عليه. لسان العرب (لظظ) .

(٣) – منى : ومن ، في (ج) .

(٤) – ما بين القوسين ساقط من (ب) و (ج) و (د) .

(٥) – مساجد: مساعد ، في (ج) .

(٦) – البيت ساقط من (ج) .

قصدت بـــها استدعاءك القصد	فشبّيت تشويقاً إليها بـــذكراها
فإن منح الرحمن فهـــي غنيمـــةٌ	من العمر في الدنيا وأجرٌ بأخراها
وإن قام من دون الــــمقاصد	فحسْبك منها نيّة الخير عقباهـــا
ولكنني أرجو الكـــريم بفـــضله	يـــمنّ بلقْيا بالـــحمى نتلاقاها
ويجمع شملاً فيه يجمـــع شملنـــا	بلطف على الحال الـــذي هـــو

١١٩/ب

وقال والتمس مني بعض الأصحاب هذه الأبيات تـــهنئة بمولود فقلت :

أهلاً بوافد خير كان مولـــده	مفتاح باب التهاني والـــمسرات
قد سرّنا حيث وافانا وأكسبنا	مـــن الـــمـــسرات غايـــات
فانْعمْ به قادما وَافَى يبـــشّرنا	بـــمثله في الزمان الطيّب الآتي
الله يحفظه مـــن كـــل حادثـــة	مع الترقّي إلى أعلى الـــمقامات
ويصلح الله عقباه كما صلحت	فيه من الله أحـــوال البـــدايات
أبشر لك الخير ما يحيـــى فإنك	ســـعد ونجلـــك يحيـــا في
الله يبقيك في عـــزٍّ وفي ســـعة	حتى ترى منه أحفاد الـــمبرّات

وقال وقلت مهنئاً لمن التمس مني :

بُلْبُل اليُمْن في مغانيك غـــرّد	بالتهاني وصادح الأنس ردّد(٤)
وبشير السرور وَافَى مـــشيرا	لك بالسعد والقبول الـــمجدّد
ووفود الإيناس حلّت بناديـــ	ـــك تـــهنّيك بالـــمنى يـــا
وبدا طالع الـــسعادة والفـــا	ل يناجيك منـــه إنـــك أســـعد
وتجلّى وجه الزمان بمرأى الـــ	ـــحسن بادي السنا بأشـــرف
مجلسٌ حافـــلٌ بكـــل مجيـــد	من ذوي الفـــضل والـــمآثر

١٢٠/أ

(١) – در: دار ، في (د).

(٢) – غايات: غياث ، في (د).

(٣) – (يحيا) ساقطة من (ج) و (د).

(٤) – صادح: صاح ، في (د).

(٥) – بالمنى : بالهنا ، في (د).

تــمّ فيه نظام عقدك حــسنا فهو أبــهى من كلّ عقد تنضّد

ومعاليك أحسنت فيه إنــشاء ــمعاني ومطرب الصفو أنشد[١]

عَقْد عقْد من المحاسن قد صيــ ــغ بــــهاءً لا مــن لُجــيْن

قال وقلت أيضاً :

لاح بدْر السعود والإســعاد بـــــمحيّا القبــول والإمــداد

فهنيئاً أبـــا الــسعود هنيئــاً فمحيّا الهنــاء بالبــشر بــاد[٢]

بزواج قــد تمّ فيــه ازدواجٌ للتهاني طبْق الــمنى والــمراد

لك فيه حسنى العواقب والــ ــحسْنى يقينــا دلّــت عليــه

دمت معْها مبلّغاً كــلّ خــير ومعانــــاً موفّقــــا للرشــــاد

قال وقلت مؤرخاً بناء دار لبعض الأصحاب سنة ١١٨٩هــ:

بشراك هذي الدار مأنوســةٌ مخدومــــةٌ بالجــــدّ والمجــــد

والحظّ قــد أرّخهــا قــائلا قد نــشأت في طــالع ســعد

قال وقلت مهنئاً لفخر السادة الأشراف ونخبة آل عبد مناف الشريف غالب بن مساعد بالدار التي بناها في (أم عابدة) [٣] ، ومؤرخاً عام بنائها سنة ١٢٠٢هــ :

هى الدار إلا أنــها دارة البدر ومغْنَى الغنى لكنّها روضة الفخر

هى الدار دار الفضل والبــاس وبيت العلا والعز والنهى والأمر

هى الدار أعلــى الله بنيانــــها ذرى نَجْد مجد قــام بــالبيض

هى الدار ينــسيك الخورنــقَ وتسلو به عن ذكْــر غمــدان

١٢٠/ب

(١) – فيه: فيها، في (د)، المعاني: المعالي ، في (ب) و(ج) و (د) ، وفي (أ) معدّلة عن (المعالي)، الصفو: الصنو ، في (د).

(٢) – فهنيئا: فهينا ، في (ب)، و(مهينا) في (ج) ، (هنيئا) الثانية (هيناء) في (ج) .

(٣) – لعلها ما يعرف اليوم بـــ (المعابدة) ، وهي منطقة طالما تحدث عن بساتينها مؤرخو مكة . انظر (تاريخ مكة) لأحمد السباعي ص ٣١، ٣٦

(٤) – بالبيض: البيض ، في (ج) .

(٥) – غمدان : عمران ، في (ج) و (د) .

تراءت بما يزهى النواظر رونقـــا　　كما تتراءى الخـــود في الحلـــل
محاسنها قيد اللحاظ فما تـــرى　　لها من نظير قطّ في سالف العصر
على هامة الجوزاء قرّ أساســـها　　وقامت مبانيها على قمّة النصر
حماها منيعٌ ظلّها العذْب وارفٌ　　فناها رحيب السَّوْح منفـــسح
لها مرتقى النجم الأثير ومنتـــهى　　ثبير ولطف النور في ترف الزهر
تعالت علـــى كـــل الـــمباني　　لواحدةٌ قد شادها أوحد الدهر
بناها عظيم القدر فارتفعت بـــه　　سموًّا وعزّت فهى سامية القـــدر
أقام بناها غالب بـــن مـــساعد　　شعاراً لـــما أولاه مولاه من برّ
فكانت له عنوان شـــكر لربّـــه　　فيا حبذا البنيان يعلن بالـــشكر
أدام لنا الـــمولى عُـــلاه مهنـــأً　　بسؤدده السامى الذرى الحسن
لقد نطق الفـــال المـــؤرّخ داره　　بتاريخها في ضمن بيت من الشعر
يدوم بعـــون الله قـــائم مجـــده　　وطالعه باليمن والعزّ والنـــصر

(قال:وقلت هذه الأبيات)[٢] مُلتمسة للدار الجديدة بمكة المشرفة للحاج إبراهيم الجيلاني[٣]:

١٢١/أ

هذه الدار فما أسمـــى وأعلـــى　　في الـــمباني قدرها شأوًا وأغلى
هذه الـــدار تنـــاهى حـــسنها　　فهى مثل الشمس نـــورًا حـــين
كملت أوصافها واســـتكملت　　من معاني الحسن ما دقّ وجلاّ[٥]

---

(١) – (رحيب) ساقطة من (ب) و (ج) و (د) ، غير واضحة في (أ) .

(٢) – ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) – لم أقف له على ترجمه، ويظهر أنه له وداره هذه من الشهرة نصيب، إذ يذكر الجامي في كتابه نوافح الزهور(مخطوط) قصيدة يذكر أنه نظمها بالتماس من بعض الإخوان لتوضع في ديوان المكرم الخواجا إبراهيم الجيلاني التي بناها في مكة المشرفة. نوافح الزهور، لوحة ٩٤

(٤) – نورا: نورها ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٥) – جلاّ :حلاّ ، في النسخ كلها ، غير أن ما يناسب السياق هو (حلا) ، كما أن (حلا) سترد بعد أبيات، معاني: مغاني، في (د).

هي أزهى مــن أزاهـير الربـا وهي أسنى من سنا الزهر وأجلى

يتمنّى البـدر أن يغـدو لهـا شَنَفًا لكـنْ بـه لا تتحلـى[1]

والثريّا تـشتهي لـو أنـها عَقْدها ظنًّا بأنّ الـدار عَطْـلا

وهي مـن رونقهـا في غنيـة عن سواها بحلاها وهي أحلـى

حسنت مبنى وراقـت منظـراً وعلت مغـنى أنيـسا ومحـلاّ

وصفت أرجاؤها وانفـسحت بالهنا ساحاتـها فيًّـا وظـلاّ

تسحر الألباب حـسناً وسـنى تبهر الأنظار إشـراقاً ومجلـى

إنـما الدار بـمَنْ شـيَّدها وبـمن قرّ بـها السكنى وحلاّ

هو إبراهيم مـن حـاز العـلا وحوى في مجده القدْح الـمعلاّ

الذي وفّى الـمعالي حقّهـا ناهض الجد بـها فرضًا ونفلا[2]

دامت الـدار بـه مأنوسـةً وهو في عزٍّ جديد ليس يبلـى

نظـم الـيُمْنُ لنـا تاريخهـا زانت الدار بـمن شاد وعـلاّ

١٢٠٧هـ

قال : وقلت مهنئاً لمولاي السيد زين العابدين بـن الـسيد عبـدالله بـاعلوي السقاف[3]بعقد نكاح في سوح جدهم العارف بالله تعالى السيد أبي بكر بن أحمد:

جَلَت منظراً في الحسن أبـهى من وأبدت سنا في اللطف أزهى من

فجلّى السنا منها دجى الهمّ فانجلى وأهدى الشذى منها لنا نفحـة

١٢١/ب

عروس نظام زفّها الحسن فاهتدت إلى كفئهـا مبـسوطة اليـد

---

(١) – شنفا: سنفا ، في (ج) ، شنفا لكن به: شنفا به لكن به ، في (د) . والفعل (يغدو) من حقه النصب إلا أن ذلك يخل بالوزن وتجاهلة مما لا تبيحة ضرورة الشعر.

(٢) – كلمة (المعالي) من حقها ظهور النصب عليها،لكن ظهوره يخل بالوزن،وتجاهل ذلك لا تبيحة الضرورة الشعرية.

(٣) – لم أعثر له على ترجمة. وللجداوي مرثية فيه ، انظر ص١٩٨

(٤) – دجى الهم: دجالهم ، في (ب) و (ج) .

(٥) – فاهتدت: فاتصدت ، مبسوطة: بسوطة ، في (د) .

تـــهنّيك بالعقد الذي انتظمـــت ... عقود التهاني مثل منتظم الـــدر
فلا زلت زين العابـــدين مهنّـــأً ... بأشرف عقد في السرور مـــدى
فللّه عقدٌ حلّ طيـــب الهنـــا بـــه ... وقد حفّه الرحمن باليُمْن واليسر
ولا سيما إذ تمّ مظهـــر حـــسنه ... بساحة فخر الأولياء أبي بكـــر
وقد جمع الأعيان شملاً بـــسوحه ... لـــمشهد هذا العقد جاذبة السرّ
فعمّهمُ الفيض الجزيل بـــــمحفل ... به يستمدّ الفيض من مدد الفخر
فلا بدْع هـــمْ آل الـــنبي محمـــد ... ولا نكْر همْ أهـــل الـــــمظاهر
نرجّيك يا مولاي تجمـــع شملنـــا ... بزمرتــــــهم والآل في ضـــنكة
وتشمل هذا الجمع منك عنايـــةٌ ... ومنٌّ ولطفٌ من مواهبك الغُزْر

وقال : وقلت أيضاً :

أولي العلم أنتم للزمان حياتـــه ... وأنتم لدين الله حزبٌ وأنـــصار
بكم أيّد الرحمن شـــرع نبيّـــه ... فلولاكمُ ما كان للدين إظهـــار
بكم يهتـــدي مـــن يقتـــدي ... إلى الحقّ إذ أنتم شموسٌ وأقمـــار
ومن يقتفي آثـــاركم بعنايـــة ... تخلّق بالتقوى وللعلـــم أســـرار
ورثتم علوم الأنبياء فأشرقت ... علينا بكم من ذلك النور أنوار
فكم شـــهدت آي الكتـــاب ... ودلّت أحاديثٌ عليه وأخبار(١)

١٢٢/أ

قال : وقلت أيضا بالتماس بعض الأحباب :

ومجلسٌ جلّت العليا مفـــاخره ... فأبرزت بالهنا حقًّـــا مظـــاهره
قد تمّ فيه لهذا العقد مجتمـــعٌ ... أضحى بمن فيه بـــاهى الحـــسن
أغنت عن الروضة الغنّا محاسنه ... وعن شـــذا طيبـــها اعتـــضنا
حوى من الأفق معْ ما فيه من ... معنى يروق بفرط الحسن ناظره
فكيف لا نجتلى فيه الـــضياء ... خلنا كواكبـــه فيـــه أكـــابره

(١) – أحاديث عليه: عليه أحاديث ، في (د).
(٢) – (اعتضنا) بياض في (ج) و (د) .

قد أنشدت أَلْسُنُ الأفراح فيه	**يشجي ويطرب فوق الغــصن**
أكرمْ به محفلِ العقــد الــذي	**أيدي السرور به عقداً جواهره**

وقال : وقلت مهنئاً للخدن الوفي والخل الصفي كوكب الكمال الأزهر، ومعدن الفضل الأشهر جعفر أفندي بن المرحوم أحمد أفندي[١] مناسكجي[٢] بمباشرة الإمامة والخطابة في المسجد الحرام المكي، ومؤرخاً عام المباشرة وهو سنة ١١٩٧هـــ :

سمت المحافل والمحاضــرْ	**بك واســتدام صــفا**
وتطاولت رُتَب العـــلا	**بعلاك ياربّ الـــمفاخر**
وبك أزدهت فخراً على	**أقران أعواد الــــمنابر**
وبـــك اســتقام لـــدى	**م نظام إحياء الــــمآثر**
وبك انجلى وجه الــسِّيا	**دة في مجالي الحسن باهر**
وبك استقر المجد قلــــ	**ــبا بالــسرور وقـــرّ**
يا جعفر الفضل الــذي	**بحر السماحة منه زاخر**
يا مطلع النبـــل الــذي	**بدر الصباحة فيه سافر**
يا معدن الأدب الــذي	**كنـــز الفصاحة عنــه**
يا مغرس الكرم الــذي	**روض النباهة فيه زاهر**
يهنيك رتبتـــك الــتي	**بـــــــهرت محاســـنها**
أنـــت الحقيـــق بـــها	**ــق لهـــا وإنّ الفــضل**
هي رتبةٌ تـــسمو بـــذر	**وتـــها الأماثل والأكابر**
قعساء ينتخـــب المقـــا	**م لها الأفاضل والأفاخر**
ويزيدها شـــرواك مـــا	**تزهو بنضرة كلّ ناضر**
ويزين رونقهـــا بمثـــــ	**ــــــلك في المـــوارد**

---

(١) – لم أعثر له على ترجمة.

(٢) – (مناسكجي) غير موجودة في (أ) .

(٣) – وقر: قر ، في (د).

١٢٢/ب

١٢٣/أ

قم غير مـــأمور بــــها وانــــهض لهــا عزمـــاً

وأقم لها القـــسطاس في كلّ البواطن والظواهر

وأدم لها شـــكر الإلـــه ولا تخف ما دمت شاكر

أبدت بك الأيـــام مـــن مكنونـــــــها غــــرر

ظهرت بحسن ســـاطع أنوار مجلوّ الــمظاهر[٢]

حسنت مواقعها من الــ أعيان في كل الخـــواطر

وسرى لها ســـرّ المـــسرّ ة في قلـــــــوب ذوي

وبـــها حـــوى الـــزمن لا في الأصـــــــــائل

فأتـــت أعـــزّ نتيجـــة عزّت بــــها افتخـــر

وذخيرة جـــاد الزمـــا ن بـــها جمالا للمعاصر

لابـــدْع إنـــك للعـــلا كفؤٌ وما لك من مناظر

والمجـــد أنـــت كفيلـــه رغمـــاً علـــى أنـــف

مجدا يـــدوم بـــه الثنـــا وعليه تنعقد الخناصر[٤]

وإليكهـــــا منظومـــــةٌ تزري بمنظوم الجـــواهر

تـــهدي التحية من أخي عجْز قليل الفكر قاصر

في طيّها نـــشر التـــها ني طيّب الأنفاس عاطر

نظّمتها وبشير سعْـــــ ـــــدك جـــاء يعلـــن

وأفـــــادني تاريخهـــــا بنظامه في بيت شـــاعر

عـــزٌّ يؤيـــده الهنـــا ولك الثواب عليه وافر

قال : وألحقت إليها شيئاً من النثر وأرسلتها إلى المذكور دام له السرور .

---

(١) – الذخائر : الدخائر ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٢) – الأنوار : أنوار ، في (ج) و (د) .

(٣) – الزمن: الزمان ، في (ج) و (د).

(٤) – مجدا يدوم به: مجدا به يدوم به ، في (أ) ، و لعل الصواب ما أثبته من (ب) و (ج).

وقال : وقلت مهنئاً لمولاي :

أطلع المجـد طـالع الإقبـال فانجلى في سماء أوج الـمعالي

واجتنى الجدّ من رياض الأماني بالتـهاني أزاهـر الآمـال

١٢٣/ب

وامتطى السؤدد الرفيع مكانا ذروة العزّ بالـمزايا الأعـالي

وأماط الحجاب بـدر التقـى ـفضل عـن زهـرة الحجـى

واجتلى الفخر منظر الحـسْن ـحسنى جلى الـسنا بـديع

فهنيئـاً وحـق لي أن أهـني سيدي الفخر معدن الإفـضال

بانتظام لعقْـد محفـل عَقْـد حافـل للأعيـان والأمثـال

تمّ حسناً ورونقـاً وبـهاءً واكتسى بالوقار والإجـلال(٢)

في رحاب الولي سيدنا الحبـ ـر الوفي ابن أحمد الـمفضال

لا نكيرٌ لـمظهر السر منـه فهو كالشمس في ظلام الليـالي

آل طه همْ مركز السرّ حقًّـا ويقينـا مَنـاط كـلّ كمـال

وقال ـ بلغه الله الآمال - وقلت أيضاً بالتماس بعض الأصحاب :

نعْمة الحفظ للكتـاب الكـريم عظُمت في الورى لـمولى كريم

إنـها عمّت الأنام بفضل الـ ـله واستأثرت بفيض عمـيم

فلتقابل بالـشكر منّتـه الـ ـعظمى بمحـض التنـزيه

رحمـة الله للعبـاد تجلّـت وانجلى حسنها بمـرأى وسـيم

عـروة الله بيننـا سـرّه الـسا ئر فينا بفـضله الـمـستديم

هى آي الكتاب أنزلها الرحـ ـمن وَحْيًا على النبيّ العظـيم

١٢٤/أ

محكماتٌ دلّت علـى الوعـ ـد والإسعاد أيـضاً والحـلّ

فهنيئاً لنا بـها الفضل في الـد نيا مع الفوز بالثواب الجـسيم

---

(١) – والحسنى: الحسنى ، في (ج) .

(٢) – بالوقار: بالعقار ، في (ج) و (د) .

قال : وقلت هذه الأرجوزة بالتماس بعض المشايخ المقرئين :

الحمد لله الكـــريم الــــمانح مفيض جود الجود بالـــــمنائح

الـــــمنعم البَـــرُّ الــرؤوف القادر الـــمصوّر الـــمهيمن[1]

نحمده حمـــداً علـــى آلائـــه نرجو به الـــمزيد من نعمائـــه

وَالَى علينا من سحائب الكرم فيوض رحمى مستهلات الديم[2]

أكرمنـــــا بخـــاتم الرســـاله نبيّنا الهـــادي مـــن الـــضلاله

محمــــد مختـــاره المحمــــود مظهر سرّ الـــملك الـــــمعبود

أرسله للعالـــــمين رحْمــــه خصّصنا منـــها بـــأوْفى قـــسْمه

وقد هدانا للرشـــاد سـُــبْلنا بـــهديه وأكمــل الـــدين لنـــا

دامت عليـــه صـــلوات الله ما قـــرأ القـــاري كتـــاب الله

وآلـــه الأماثـــل الـــسراة وصــــحبه الأئمــــة الهـــداة

وبعـــد فـــالقرآن نـــور الله والزين كل الـــزين للمبـــاهى

وإنه كنـــز الغـــنى للحـــافظ وبغية الـــمصغى إلى الـــمواعظ

وإن ذا الابن اللبيب قد عـــلا بحفظه القـــرآن في أوج العـــلا

فالحمــــد لله الــــذي أولاه مزيّـــةً يـــسمو بـــــها مرقـــاه

لقد تحلّى بالجمـــال البـــاهر وازدان كالروض البهيج الزاهر

لأنـــــه تعلّــــم القرآنـــــا تعلّمًـــــا فـــاق بـــه الأقرانـــا

فليتـــــهنّ أهلـــه والأقربـــا وليبشروا فإنـــه قـــد نجبـــا[3]

ولْيشكروا الله على ما نالـــه وسَيَروا مـــن بعـــد ذا كمالـــه

علّمه الشيخ الفقيه الفاضـــل الكامل الندب النبيه الــــماثل

أحـــسن في تعليمـــه تأديبـــه نرجو مـــن الـــرحمن أن يثيبـــه

١٢٤/ب

---

(١) – البر الرؤوف: البرؤف ، في (ج) ، المصور: المصون ، في(د) .

(٢) – والى: ولي ، في (د).

(٣) – فليتهن: فليهن ، في (ج) و (د) .

فأبسطوا لــه يــد الكرامــه وأجزلــوا بــبرّكم إنعامــه[1]

فالاعْتنَا بشأنه مــن القــربْ لكونه في الخير قد كان السببْ

ونجلكـــم هـــذا بـــهذي يسمو إلى العليــاء أي مرتبــةْ

أعظم بــها من صفة عظيمــةْ آثارهـــا شـــاملةٌ عميمـــةْ

حسبك بالقرآن عزاً وشرفْ وحسب قاريه جمالاً (وترفْ)[2]

فنـــسأل الله لــــه الهدايــةْ ومـــدد الألطـــاف والعنايـــةْ

وأن يعـــمّ جمعنـــا برحمتـــه فضلا ويولينـــا جزيـــل نعمتـــه

ويجمـــع القلـــوب بالإيمـــان منّا علـــى التعظـــيم للقـــرآن

وأن يمـــــــــــــدنا ================

وقال : وقلت : هذه القصيدة أرثي بــها العلامة الشيخ سعيد بــن علــي القــيرواني اليمني،وأرسلتها إلى ولده الأجل الشيخ سعد الدين باليمن والوفا سنة ١٢٠٢هـــ:

١٢٥/أ

هوى من سماء المجد بدْر عُلاء وأظلم أفق الجدّ بعــد ضــياء

وغاض معين الـــمكرمات غياض الــمعالي بعد حسن نماء

وجلّ بربع الفضل فاجع فادحٍ تداعى به للفضل كلّ بنــاء[4]

أقامت به أم الفضائل مأتــما لــــمفقودها الــسامى علــى

حياة الــمعالي روحها عــين إمام الــمعالي أوحــد البلغــاء

حلاحلها جهباذها من سما إلى سماء العلا فخراً سمــوّ ذكــاء

جمال بـــني الآداب بـــالأدب جلا مثلاً في الناس كابن جــلاء

أديبٌ كسا شخص البلاغــة فلاح لنا في بــهجة وبـــهاء

أريبٌ شهدنا من كريم صفاته رويّــة حــسّان وحــسْن رواء

---

(١) – أجزلوا : جزلوا ، في (ج) .

(٢) – مكان الكلمة بياض في (أ) و (ب) ، وأثبته من (ج) و (د).

(٣) – بياض في كل النسخ ، وفي (أ) ترك بعد هذا البيت فراغ لثلاثة أبيات وضع لها ما يفصل بين الشطرين .

(٤) – البيت ساقط من (ج) ، جل: حل ، في (د) .

١٢٥/ب

جليلٌ تسامى قدره أن يفى به … بليغٌ بإطراء وبسط ثناء[1]

أبرّ على قس الأيادي بلاغةً … وجرّ على سحبان فضل رداء[2]

وسفّه بالحلم المؤثّل أحنفا … وردّ إياساً بالذكا لوراء

قضى ففقدنا من صباحة وجهه … ومن مجده فجريْ سنا وسناء

ثوى الترْب محجوبا وما تمّ … بأن تحجب الدهماء بدْر سماء[3]

نعاه ليَ النجل المبجّل نجله … أخو النبل سعد الدين

نعاه فوا لَهْف الفؤاد لماجد … جلوْت به قدْمًا وجوه صفائى

رجوْت من الأيام إمْتاع … به فنظرت اليأس دون رجائى

ولكنّني استخلفت عنه لفقده … نتيجةَ إخلاصى له وولائى

أخى خلّةً خدني وفاءً وصحبةً … قسيمى أسىً للنازح

قضت صلة الأصل اتّصالي … لنسبة ودٍّ سالف ووفاء

فلا غرو إن شاطرته الحزن … وقاسمته في فجعة ورثاء

أعزّيك سعد الدين فيه وإنني … لفجعته حزنا شفيع عزاء[6]

تأسّ ولا أمرٌ عليك بمن مضى … فما هذه الدنيا بدار بقاء

تحلّ بأثواب الرضا واصطبر … عناك فكل الحيّ ركب فناء

لك السلف المبرور حق به … من الله بالزلفى وحسْن جزاء

سقى قبره الرحمن ديمة رحمة … تعاهده في بكرة وعشاء

وأبقاك ملحوظ العناية بعده … رفيق التقى في غبطة وهناء

---

(١) – قدره أن يفي به: قدر دان بغى به ، في (د).

(٢) – جر: جه، في (د).

(٣) – الترب: التراب ، في (ب) ، و (د) ،تحجب: يحجب ،في (ج) و (د) وغير منقوطة في (ب) ،بدر: بد ، في (أ).

(٤) – نعاه: فعاد ، في (د).

(٥) – قسيمي: نسمى ، في (د).

(٦) – شفيع: شنيع ، في (ج) .

وقال وقلت أرثي العلامة الأوحد (والفهامة الأمجد السيد الجليل والندب المثيل)[(١)] مولاي السيد حسين بن السيد جعفر بامدهر[(٢)] نفع الله ببركاته ، وكانت وفاته بحضرموت سنة ١١٨٩هـ سبعة وثمانين ومئة وألف:

بكى الزمان لهذا الرزء وانتحبا ... وضاق ذرعاً بهذا الخطب
واسترجع الدهر حزنا بعد صدمته ... وحوقل المجد لـمّا أن به نَشَبَا[(٣)]
فيا له من مصاب قد أقام بنا ... لا بُعد ينفعنا منه ولا هربا
ليس التصبر يجدينا وقد ملئت ... أحشاؤنا من دواعي حزنه
خطبٌ عظيمٌ ذوى غرس العلوم ... وانهدّ ركن المعالي عندما
دهى فعمّت أولي الألباب فجعته ... واستاصلت بالنهى سلْبا
وأوْقدت في طوايانا بجذْوتها ... لظى التأسّف إحراقا وملتهبا
وأَنْهلت من مآقينا نجيع بكا ... من حرّ أكبادنا قد ذاب
حقٌّ على كلّ قلب أن يذوب ... على فقيد به طرف الحياة كبا
فقيد مجد نعاه المجد من جَزَعٍ ... وحقّه إن نعاه المجد أو ندبا
وسيّد كان في أفق العلا قمرا ... وقد عراه خسوف الموت
واستنزلته المنايا من مطالعه ... إلى الغروب فأمسى غرْبه التربا
وطود فضل تسامى راسخاً وعلا ... قد ضعضعته يد الأقدار

١٢٦/أ

---

(١) – مابين القوسين غير موجود في (ج) .

(٢) – لم أعثر للسيد حسين هذا على ترجمة، وإنما وجدت الشيخ محمد سعيد كمال يذكر من شيوخ العباس الموسوي صاحب كتاب (نزهة الجليس) السيد عبدالله بن جعفر باعلوي الملقب بمدهر، فلعله جد المذكور.نزهة الجليس ٦/١، وعبدالله هذا ترجم له عبدالله مرداد أبو الخير في كتابه نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة، وذكر أن السادة آل مدهر الموجودين بمكة من نسله ص٣١٩، كما ترجم له الجبرتي في تاريخ عجائب الآثار ١/ ٤٤٢

(٣) – حوقل: موتل ، في (د).

(٤) – يجدينا :يجذينا ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٥) – دهى فعمت: وهي نعمت ، في (د).

(٦) – مآقينا: أماقينا ، في (د).

عباب علم تفيد الـدرّ لـــجّته ... للمستفيد وتولي الفــضل مـــن

منار هدْي لـــمن أضحى يراقب ... نــهْج السلوك ســلوكاً يبلــغ

وشرْعَةٌ بسنا التوحيـــد مــشرقةٌ ... أنوارها من نحاها كان مقتربا[٢]

حاز المقامين من علم ومن عمــل ... وأحرز السؤددين المجد والأدبــا

ونال من سنن التجريـــد مرتبــةً ... أبدت له من خبايا الــسرّ مــا

فكم أماط قلوب السالكين بأنــ ... ـــوار اليقين وكم أدنى وكـــم

وكم أحلّ بأصداف النــهى دررا ... من العلوم وأوعـــى الــصحف

أحيا الــمدارس تدريسًا وأحكم ... مجالس الذكر تأسيساً لـــــمن

وخالط الجمع تقديسا وشاهد في ... حال التفرد تأنيساً به اقتربـــا[٣]

إمام أهل التقى علماً وأورعهـــم ... نفساً وأكرمهم أصلاً ومنتـــسبا

الفاضل الكامل النــدب الــذي ... به الــمحافل قدراً والعلا رُتَبَا

العالِم العامل النحرير قرّة عيــــ ... ـــن الدهر روح المعالي أوحــد

السيد الهاشميّ الــمنتمى نـــسبا ... إلى الـــنبيّ وللفـــضل الجلـــي

هو الحسين بن مولانـــا وســـيدنا ... السيد العلويّ الجعفـــريّ أبـــا

فاوضت فكـــري بـــأن يقـــضى ... في مدحه فانتحى عـــن شـــأوه

وعاد معترفا بالقصر عن شـــرف ... عال واحجم عن إدراكه أدبـــا

لقد رثاه لسان الــدهر مبتكـــرا ... فيه بما يرخص الأشعار والخطبا

معظّمٌ لا يفـــى فكـــري بمرثيـــة ... لفقده لا ولا يقضى الذي وجبا

ولا القرائح تستقـــصى مناقبـــه ... ولا تقوم بإطرا مدحـــه الأدبـــا

١٢٦/ب

---

(١) – تفيد: يصدر ، في (د) ، وغير واضحة في (ب) و (ج) .

(٢) – (مقتربا) في (ج) و (د) بياض عدا الباء والألف.

(٣) – (تقديسا) بياض في (ب) و (ج) و (د) عدا الحرفين الأخيرين .

(٤) – للفضل: الفضل ، في (ج) و (د) .

(٥) – فاوضت: فوضت ، في (ج) . الفعل (يقضي) من شأنه النصب ، وهو مما يخل بالوزن، والضرورة الشعرية لا تبيح تجاهله.

سقى ثراه من الرضوان غاديةٌ وطفاء يزري حياهـا القطـر

وهبّ في روض لَحْد ضمّ أعظمه روح القبـول شـذاها عبـهرٌ

وبـوّأ الله في دار النعـيم لـه مثوى وأعلا بذرْواها له الرتبـا

أرّخت عاماً لقد عمّ الأنـام بـه لفقده ما أهاج الحزن والوصـبا

فجاء تاريخه بيتـاً يوضّـح مـا أولاه مولاه من حـسن الجـزا

حل الحسين بفردوس العلا ولقد أناله الله فيها جـلّ مـا طلبـا

١٢٧/ب

وقال: وقلت أرثي مولاي وعمدتي (وأستاذي وبركتي الغيث الهامع والغوث النافع)[3] السيد حسن بن السيد عمر البار[4] نفعنا الله ببركاته، وكانت وفاته بالطائف الميمون في سنة١١٩٩هـ:

لعـين الـمعالي أن يطـول وأن يتوالى بالدموع انـسكابـها

وآن لها أن تُـصْحب الأَسَـفَ وأن يتوالاها عليـك اكتآبـها

وأجدر بالعلياء نعيـك إنـها إذا انتسبت يُنمى إليك انتسابـها

ولا غرو إن قامت مآتم حزنـها وقد غشيتها للحداد ثيابـها[5]

فحسْب العلا إن جـلّ منـك (وحـسب التقـى ان تمّ فيـك

لقد فقدت إنسانـها وعزيزها وفي فقده إيحاشها واضطرابـها

لقد فقـدت طـبّ القلـوب فيـا حزنـها وهـى العظـيم

نعم قد فقدنا سيدا طابت الدنى بـه فانقـضى لـمّا انقـضى

---

(١) – العبهر: الياسمين وقيل النرجس.لسان العرب (عبهر) ، أما (كبا) فهي مقصور (الكباء) ومعناه: الرائحة الطيبة للند، ولكن يتحول معناها إلى معنى مضاد عندما تقصر، فكلمة (كبا) في اللغة تعني : الرائحة الكريهة من روث وشبهه، وهي تتكرر عند الشاعر في أكثر من موضع. لسان العرب (كبا) .

(٢) – جبا : حبا ، في (ج) و (د).

(٣) – ما بين القوسين غير موجود في (ج) .

(٤) – بينه وبين الشاعر مراسلات شعرية يظهر منها أنه تربطه به علاقة جيدة، وقد نعته الشاعر بالأستاذ، وهو ما لم يصف به غيره.

(٥) – مآتم : مأتم ، في (أ) ، والنقط غير واضحة في (ب) و (ج) و (د) ، ولا يصح المعنى إلا بما أثبته .

(٦) – ما بين القوسين ساقط من (ج) .

فقدنا جليل القـــدر بالحـــسب (مراماته في المجد عـــزّ طلابــــــها

فقدنا جلي الفخـــر بالنـــسب به كل علياء يعـــزّ جنابــــــها[2]

هو الحسن الآثار في كل مظهر هو الجامع الأسرار وهو عبابــــــها

هو العلويّ البار صفوة صـــفوة زكا أصـــلها الـــــمختار وهـــو

فقدناه إنساناً من اللطف كاملاً مجاليه بالأنوار شـــفّ حجابــــــها

فقدناه محبوباً حبيبـــاً وإنـــــها لفادحةٌ خان الظنون حسابـــها[3]

وما هي إلا فجعةٌ تَـــمَّ رزؤهـــا وقد باين الأحلام منها صوابــــــها

ألـــمّتْ فعزّ الصبر منها لخطبها فراراً وعزّانا عليهـــا خطابــــــها

فلا رزء أدهى من فقيد حياتـــه تسرّ ويُطوى بالفناء كتابــــــها[4]

مصيبة فَقْد قد أصابت قلوبنـــا بصادعة أهل القلوب تصابـــها[5]

على أنه فاضت إلى الله روحـــه وفازت بمولاهـــا وعـــزّ مآبــــــها

إلى الملأ الأعلى سَمَتْ مطمئنـــةً وطاب لـــدى الـــرب الـــرحيم

وما هذه الـــدنيا مقـــرّ وإنمـــا طريق عبور الحـــى والـــــموت

فلا جـــزعٌ والـــــموت حـــقٌّ وإن عظمـــــت بالـــصبر يُطفـــى

وأولى بنا من حزننا الصبر للقضا وحـــــسن التأسّـــــى والرضـــــا

عزاءٌ لآل البار بل كـــلّ ســـيّد يعزّى به إذ ناب كـــلاًّ منابــــــها

وتسليةٌ بالـــمعربات عن العزا قوافي مراث راق فيه انتخابــــــها

لهم عن أماليها غنى غير أنــــها إليهم لودٍّ فيّ كـــان انتدابــــــها

لسابقة في الحب كان اقتضاؤها وفاءً وبالإخلاص كان اقتضابـــها

سقى قبره الرحمن ديمـــة رحمـــة يروّيه بالغيث الـــملثّ سحابـــها

---

(١) – هذا البيت ساقط من (ب) و (ج) و (د).

(٢) – ما بين القوسين ساقط من (ج) .

(٣) – خان: حان ، في (أ) و (ب).

(٤) – تسر: سر ، في (ج) و (د) .

(٥) – فقد: لقد ، في (د) .

وأعلاه في روض النعيم بفضله مراتب منصوب عليها قبابـــــها

١٢٨/أ

وقال : وقلت هذه المرثية لانتقال السيد الجليل والندب النبيل قرة العين وروح جثمان الزين السيد زين العابدين بن السيد عبدالله بن السيد محمد السقاف بـــاعلوي رحمـــه الله ونفعنا بأسلافه، وكانت وفاته ليلة الأحد الخامس والعشرين من شـــهر رجـــب ســـنة ١١٩٣هـــ :

ملمٌّ حكت سود الليالي غياهبـــهْ فـــامطرت الخطـــب الجـــسيم
دهى فاستطار الصبر عن كـــل وطارت له الألباب مـــذ نـــاب[1]
بفادحة حلّت فجلّ مـــصابـــها توالت بنا تترى وعمّت مصائبه
فضاق لها صدر الحلـــيم تأسّـــفا وضاقت على الـــصبّار منـــها
أهاجت لظى الأحزان في كـــل وفاضت لها مـــن كـــل جفـــن
هى الصدمة العظمى وما كـــلّ تلين إذا حلّت من الصبر جانبه
تكشّف عنها الستر عن فَقْد سيّد تجلّ عن التعداد حصراً مناقبـــه
قد اخترمت أيـــدي الـــمنون وقد نشبت للموت فيه مخالبه[2]
وقد كان بدراً في مشارق حسنه ومذ تَمَّ أهوته إليهـــا مغاربـــه
وقد كان غصناً في نضارة زهْوه فاجـــدب هاتيـــك النـــضارة[3]
(وقد بلغ الغايـــات في الفـــضل وتّمت له قبل اكتـــهال رغائبـــه
فأحرز سبقا في مداه فمـــا لـــه قرين يباري فضله أو يقاربه)[4]
جليلٌ تسامى في الـــمعالي وقـــد على هامة الجوزاء فخرًا مراتبه
أثيلٌ عريق الأصل فرع أرومـــة زكا غرسها طيباً فطابت أطائبه

١٢٨/ب

صقيل مرائى الفكر أما ذكـــاؤه ذكاءٌ بـــها يهدى إلى الرشـــد

(١) – طارت: طاب ، في (ج) ، ناب: نائب ، في (د) .
(٢) – نشبت: انشبت ، في (ج) .
(٣) – (نضارة) غير واضحة في (د) .
(٤) – البيتان ساقطان من (ب) و (ج) .

جميل الثنا المنسوب للنـــور قـــد ولاحـــت كوضّـــاح الـــصباح

عظيم مزايا القدر يسمو مقامـــه كريم سجايا النفس تزكو أسالبه

شهير الجلالات التي لاح نورها عليه فضاءت من سناها قوالبه[(١)]

حميد مبادي الـــسعي في مهْيَـــع وقد حمدت عند انتهاء عواقبه[(٢)]

حليف الوفا خدن النباهة والذكا أليف الـــصفا صـــنو الكمـــال

شمائله الروض الأريض وخلقـــه لَلُدْنَيَّةٌ للمـــستفيض مواهبـــه[(٤)]

بكتْه العلا قبلي وما بكت العلا سوى عينها فليبكه اليوم نادبـــه

وإنّ فؤاد المجـــد يبكـــي جمالـــه وألسنة العليـــاء هـــنّ نوادبـــه

حقيقٌ بأن تبكى العيون معظّمًـــا به انـــهدّ من مبنى الـــــمعالي

وحقّ بني السقاف أن يلبسوا له من الحزن ما تبدو عليهم غرائبه

وحقّ بني الزهراء في زينهم بـــأن يوفّوا علاه بالرثا مـــا يناســـبه

وحقٌّ على أهل الكمالات نعْـــي تغشّاه من نسْج الكمال جلابيه

وحقّ علـــى الآداب أن تُمْلـــيَ بخاطرها نعيًـــا فـــإنِّيَ لكاتبـــه

فيا حرّ أحشائي على فقد ماجد لواء العلا في كفّه وهو ناصـــبه

ويا لهف أكبادي أسى لـــمصابه فقد أسهمتها عن قسيٍّ صوائبه

وما حزن ذي حزن لثكل محبّب كحزني لثكل لا أطيق أغالبـــه

ولاحول لي في ذا الـــمـــصاب سوى عصمتي بالله فيما أراقبـــه

على أن زين العابدين قد ارتقى بـــمقعد صدق والـــــمهيمن

ولاشك في تحقيق توفير أجـــره فقد مات والحـــصن الحـــصين

سقى قبره غيث الرضا كلّ ديمة تروح وتغدو حولـــه وتواظبـــه

١٢٩/أ

---

(١) – شهير: شهيد ، في (ب) و (ج) و (د).

(٢) – مهيع: واسع واضح بيّن. لسان العرب (هيع)

(٣) – حليف: طيف ، في (د) .

(٤) – للدنية : للمدنية ، في (د) ، و(للدنيّة للمستفيض) موهمة غير واضحة في (ج) .

بوطفاء لاينفك غيـــداق وبْلهـــا يفيض من الفيض اللَّدنّيّ ساكبه

وقال:وقلت هذه المرثية لانتقال الإنسان الكامل حاوي الفضائل والفواضل مـــولاي السيد عبدالرحمن بادشاه[1] وكان انتقاله سنة١١٩٦هـــ:

قليل عليها إن جفاها هجوعها وإن هــــــمعت حزْنـــا عليـــه
ولم يكْفها وكْـــفْ الـــدموع ولو أن جرى عنه اعتياضاً نجيعها
عيونٌ بكته وهى كانت قريرةً به فرأته اليوم وهـــو صـــريعها
فقيدٌ نعاه الفـــضل والنبـــل وحسن الوفـــا والــــــمكرمات
وندبٌ رثاه المجد والجدّ والعلا وحقّ بأن يُبكى ويُرثى قريعهـــا
لقد عظمت فيه الـــمـــصيبة وجلّ على قـــدر الـــمـــصاب
وقد شملت في فقده شفعة العزا وعمّت فـــراح الكـــلّ وهـــو
وأصبحت العلياء مـــن بعـــد خلاءً مغانيها وقفـــرا ربوعهـــا
وكم مهجة ذابت عليه تحرّقا وداومها من فقده ما يروعهـــا
وكم من حشا مقروحة الـــبين يؤججه أوصابــــــها وولوعهـــا
تكنّ على الأحزان منها جوانحا براها جوى تحنو عليه ضلوعها
فتصبح وفاد الهمـــوم تؤمهـــا علـــى حَـــرَج منـــها اقتـــضاه
وتـــمسى وما غير التأســـف ســـمير سهاد والأنين ضجيعها
لفادحة وافت طلائع كربـــها كتائب يتلوها اقتفـــاء جموعهـــا
ألـــمّت فأصْمت وادلهمّت فيا ملمّة خطب لا يقـــرّ فجيعهـــا
تدكْدكَ طود الـــصبر عنـــد وغبّر في وجه النهار نقيعهـــا[4]

١٢٩/ب

(١) – ذكر السباعي في (تاريخ مكة) بيت بادشاه، وذكر أنه اشتهر منهم جدهم صادق بادشاه صاحب الحاشية على البيضاوي. تاريخ مكة ص ٤٦٩

(٢) – (العزا) بياض في (د) ، فراح: صراخ، في (د) .

(٣) – (الهموم) بياض في (ج) و (د) عدا الحرف الأخير ، حرج: جرحه ، في (ج) و (د).

ـــ هموعها : همع الدمع ونحوهما إذا سال. لسان العرب (همع).

(٤) – غبر: غير ، في (د) ،نقيعها: فقيعها ، في (ب) و (ج) و (د) .

وطاش لها جاش الحليم فما لها من أولي الألباب من

ركامة رزْء عيْثها الطيش عليه ولا غير الهموم هموعها[1]

كسا الأفْق منها غشْوةٌ ما عن الجوّ إلا كان منه قشوعها

فاكرم به من ماجد جلّ رتبةً به أمنت بالمجد وهو رفيعها

عزيزٌ نمى عن دوحة طاب نجَاراً وطابت في السمعالي

سقى قبره الرحمن سقْيا كرامة يعمّ ثراه بالقطار هموعها

وحيّاه بالرحمى الرحيم تحيّةً ================

وقال : وقلت راثياً لأخي وشقيقي وعمدتي وصديقي إبراهيم قابل[3]، وكنت إذ ذاك بمكة المشرفة محجوباً وذلك أيام الحادثة المذكورة سنة ١٢٠١هـ:

١٣٠/أ

يحقّ لطرفي أن تسحّ دموعه وأن يجفو الجفن القريح هجوعه

يحقّ لقلبي أن يصاحبه الجوى وتألفه أوصابه وولوعه

يحق لمثلي أن يطول بكاؤه لفقد حبيب أين منّي رجوعه

فهل نظرت عيناك مثلي فاقدا فقيداً نعته بالحياة ربوعه

نعاه الحمى والجار حيًّا وقد شقيقاً له قد مات وهو فجيعه

فها أنا للوصفين للعين ظاهرا بحزنين مفجوع الفؤاد مروعه

أسير مصاب يُتبع الأسف لمصرع ناء غاب عنه صريعه

له كبدٌ مصروعة البين جرحها جُبَارٌ وقلبٌ ما خفاك صدوعه

فما الحَرّ إلا ما علا من زفيره ولا النار إلا ما احتوته ضلوعه

أأبكي لفوتي خدْن روحي قرين فؤادي منشأً وقريعه

رضيعَيْ لبَان ضَمَّنا حجْر ثاكل لنا فهي تبْدي حزْنها وتذيعه

أخي عدّتي ظهري جمالي مؤازري يدي نظري ذخْري الذي لا

(١) – عيثها: حيثها ، في (د) ، وموهمة في (ج) .

(٢) – عجز البيت بياض في جميع النسخ .

(٣) – لم أعثر له على ترجمة.

وإلا فأبكى لانقباضىَ عن حمى لقلبي بــه مــصطافه وربيعــه

وإلا فأبكى لاحتمــالي متاعبــا يزلزل لبّى كرْبُـــــها ويروعــه

وإلا فأبكى أهل ودّي وفقدهم لشمس وبدر كان فيهم طلوعه

لأي مصاب أمزج الحزْن والبكا فهل ثَــمّ خطبٌ مــا عنــتني

مصائب يتلو بعــضها الــبعض عنانيَ وثْــرٌ يقتفيــه شــفيعه[(٢)]

تخـــــاطبني بالـــــــمفزعات أسى وهي تشْري خاطري وتبيعه

أقابل ملفاها مــسالــمةً لهــا على أنّ أدناها فــلا أســتطيعه

أعلّل نفسى في مصابي تأسّــيًا بصبر وإنّ الصبر قلّت جموعــه

على العلم منّى بالزمان وفعْلــه بأهليه هــذا شــأنه وصــنيعه

ولله فينـــا رحمــــةٌ وعنايــــةٌ يزول بــها هذا العناء جميعــه

فأدعوك يــا الله تجمــع شملنــا فأنت مجيــبٌ للــدعاء سميعــه

وقال : وقلت مؤرخا بالتماس بعض الأصحاب تاريخاً يتضمن عـــام وفـــاة بعــض المخدرات ذوات الحجاب :

بشراك فاطمة السنا بُــشراك قد فزت بالغفران من مــولاك

جاورت أمّ المــؤمنين وإنــه نعم الجوار بــه الإلــه حبــاك

فلك الهنا بوسيلة فيها الــمنى في دار دنيـــــاك وفي أخـــــراك

قد أفصح التاريخ عنها قــائلاً بشراك جنات العــلا مــأواك

سنة ١١٨٧هــ

وقال : ونظمت هذه المرثية في العارف بالله تعالى (والدال عليه وموصــل الــسالكين بـــهمته إليه قطب المحققين الأعلام وعمدة المدققين ذوي الأفهام مــولاي)[(٣)] الــسيد

١٣٠/ب

---

(١) – مصاب: مصباح ، في (د) .

(٢) – يقتفيه: يقتضيه ، في (ج) و (د) .

(٣) – ما بين القوسين غير موجود في (ج) .

عبدالله ميرغني[1]، وكانت وفاته بالطائف في أوائل شهر محــرم الحــرام افتتــاح ســنة ١١٩٣هــ رحمه الله رحمة واسعة، وأفاض على ضريحه سحب الديم الهامعة :

١٣١/أ

تضعضع ركن المجد وانصدع النُّبْلُ … وعبّس وجه الجَدّ وانقبض الفــضلُ

وغاضت ينابيع العلوم فلا يُــرى … بــها عَلَلٌ للــواردين ولا نَــــهْل

فكم بيت فضل كان بالعلم آهــلا … فأصبح حتى قيل كــان لــه أهــل

معالم كانــت للفهــوم مــشاعراً … لحجّاجــها الترحال ثَمّــة والحــلّ

فأضحت خــلاءً والـــمدارس … دوارس والعليــا معاصــمها عُطْــل

بــهذا بــنى الــدنيا قــضى الله … إرادتــه فينــا ولازمهــا العــدل

قضى وطوى تحت القضاء بحكمــه … لنا حكَماً ما للقياس بـــها دَخْــل

بَوَاد جليات الظهور بــلا خفــا … ولكن كأنّا عــن مظاهرهــا غُفْــل

فتعسا لدنيانا وزخرفهــا الــذي … كــثير الأمــاني في مطامعهــا قــلّ

وسحقاً لهــا داراً تخاتــل أهلــها … فيهوي بــهم في دَوّها ذلك الختل[2]

زخارف تستدعى النهى بغرورهــا … إلى تُرَّهات كالهبا مــا لهــا أصــل

وكم أظهرت للمبصرين مواعظــاً … لها في قلوب الشاهدين لهــا شــغل

---

(١) – هو عبدالله بن إبراهيم بن حسن بن محمد أمين بن علي ميرغني ، ولد بمكة وأخذ عن علمائها،فاضل، من فقهاء الحنفية ، لقب بالمحجوب للزومه العزلة في داره نحو ثلاثين سنة، له تصانيف، توفي بالطائف سنة ١١٩٣ هــ. الأعلام ٦٤/٤ ، وقد ترجم الزركلي في الأعلام بعد مترجمنا لميرغني آخر يتطابق معه في الاسم وسلسلة النسب ولكنه يختلف معه في أسماء المصنفات وسنة الوفاة وحددها بسنة ١٢٠٧هــ ، والمترجم الأخير نجده عند البيطار في حلية البشر (١٠١١/٢) حيث يتطابق مع مترجمنا في الاسم والصفات ويختلف معه في اسماء المصنفات وسنة الوفاة حيث حددها البيطار بسنة ١٢٠٧هــ أيضا . وقد نوّه المشرف على طباعة الأعلام - في الحاشية - على أن الترجمة الثانية للميرغني هي مما أعده المؤلف لتضاف للطبعات السابقة ، ويغلب ظن المشرف – كما ذكر – أنــها تتناول الميرغني نفسه المترجم له أولا . وقد ذكر دحلان في خلاصته عبدالله ميرغني آخر كان مفتيا عند دخول الإمام سعود بن عبد العزيز آل سعود مكة سنة ١٢٢٣هــ . خلاصة الكلام لأحمد زيني دحلان ص٢٧٦ ، كما نجد الجبرتي في عجائب الآثار يذكر في وفيات ١٢٠٧هــ عبدالله بن إبراهيم بن حسن ميرغني ويتطابق اسمه وصفاته مع المترجم له . ٢ / ١٤٧

(٢) – تخاتل: تخامل ، في (ج) و (د) . الدو: المفازة. لسان العرب (دوا).

وكم عبرة تبدو عياناً وتنجلـــي وكم نتعامى عن سنا نورها الكلـــي

نشاهد ما ينسى الوليــد وليـــده ولا نتناسى عن هوانــا ولا نــسلو

إلامَ التوانِي والتمادي على هــوى تبهرج منه في بــصائرنا الــشكْل[1]

على أنه عودٌ يعــود إلى الخـــوى ولو هو غضٌ في حلى الزهر مخضلّ[2]

وحتّامَ تستصحى النهى من خمارها ولم نصحُ من خَمْر سقاها لنا الجهــل

كرعْنا لها كأساً مريــراً مكــدّراً وقلنا حلا كذْبا على ما جنى النحــل

على أننا ندري ولا شــك أننـــا على لــذّة تفــنى ويعقبــها الــذُّل

كفى الــمرء من دنيــاه بــالموت ومن لم يعظْه الموت ليس لــه عقــل

١٣١/ب

فكم آية تبــدو لنــا إثْــر آيــة تدلّ على أنّــا بــدار الفنــا نُــزْل

وأيدي الــمنايا مرسلاتٌ سهامها إلينا ولم يخطــئْ لهــا أبــداً نــصل

وكم فجعة حلّت بنا بعد فجعــة يشتّ بــها من كون أشباحنا الشمل

إلى أن ألــمّــت فجعــةٌ عمّــت بلاءً وخصّت من به عمّنا الثكــل[3]

بلاءٌ قد استولى علـــى كــلّ ذي فكان لأرباب العقــول بــه خُبْــل

ورزءٌ عظيمٌ حل فانفــصمت بــه عُرا الصبر عن ذي الصبر أثقله الحمل

لقد ضاق جاش الحلم ذرعاً لخطبه وقد غصّ صدر العلم مورده الطَّحْل

إمام الهداة الحبر من شــهدت لــه عدول الــمعالي أنه العمدة العــدل

منار الهدى للسالكين إلى الهــدى من اتّضحت للسالكين بــه الــسُّبْل

عباب الإفادات الخضمّ الذي لــه على كل ذي فضل ولا منكرٌ فــضْل

وسرّ الإشارات التي من سرى لهــا تجلّى لــه بالــسرّ منظرهــا المجلــو

لقد كان طودًا للعلوم فكم غــدا لأهل النهى في سوح ســاحته ظــلّ

وكان رحيب الصدر والدار وفْده على سعة من فضله حيث ما حلّــوا

---

(١) – التمادي: للتمادي ، في (د) .

(٢) – الخوى: الحرى ، في (د) .

(٣) –الثكل : الشكل ، في النسخ ما عدا (د) ، وقد أثبته لأنه الأنسب .

وقد كان بحراً كم أنـال مريـده ... فرائد علْم عندها قـلّ مـا يغلـو

وكان لأهل الفضل شمس نـهارهم ... إذا اسودّ خطـبٌ عنـده أحجـم

وكان يمير الوفـد ميْـر غنـيّهم ... إذا حلّـت الـلأواء أو شـمل

فزعزع ذاك الطود بعد رسـوخه ... ملمٌّ لكلٍّ منه في الـمنتهى كفْـل

١٣٢/أ

فحلّت شعوب ريثما ارتحلت بـه ... لجنّات عدن طاب فيها لـه الحـلّ

سقى قبره الغيث الـملثّ بديمـة ... بـها وابل الغفران يهمـي وينـهلّ

وحيّاه من روح الرضا رُسُل الرضا ... بأعطر مما أهدت التّحـف الرسـل

رثته العلا واستخدمت منطقي لـه ... بنظم تبدّى فيه قول العلا الفصل[٢]

وقد جلّ قـدراً أن أَفـي برثائـه ... ولو أن لي في مدحه الـمنطق الجزْل

وأرّخت عاماً كـان فيـه وفاتـه ... ببيت لأبيات القصيد هـو القفْـل

هنيئًـا لعبـدالله عـزّ مكانـه ... بمقعد صدق في العلا وبـها تعلـو

وقال ـ أطال الله بقاءه ـ معزّياً ومسلياً لمولاي السيد عقيل بـاعلوي[٣] في ولـده السيد مشيخ سنة ١٢٠٦هـ:

لك الأجـر العظـيم علـى ... فلذْ بالصَّبْر يحلو طعم صـابكْ

تأسّ بـسنّة الآبـاء يعظـم ... جزاؤك والـمـضاعف مـن

وَسَلِّمْ للقضاء فسوف ترضى ... بما يعطيـك ربّـك في مآبـك

وكن فيمن فقدت قرير عـين ... بربك وادّخرْ مَحْض احتسابك

ولا تيأس فـروح الله يـأتي ... بلطف ليس يخطر في حـسابك

سيخلفه عليـك الله فاصـبر ... فإنّ الصبر أجمل والرضـا بـك

تسلّ أبا مُـشَيَّخ اسـتطابت ... له الجنات فاخلُ عن اضطرابك

وكلْه لأرحم الرحماء واسـأل ... وقل يارب هبه إلى جنابـك[١]

---

(١) – اللاواء: اللأوات ، في (د) .

(٢) – رثته: ورثته ، في (ج) و (د) .

(٣) – لم أعثر له على ترجمة.

١٣٢/ب

وسقْ لضريحه مـدرار عفـو — ومتّعه بكشْف من حجابـك[٢]

ونعّمْـه بريحـان وروح — وروّيه بكـأس مـن شـرابك

وقال – لا زال معدنا لكل كمال- وقلت معتذراً لبعض الأصحاب ومعاتباً :

تغالبني وصحّ لـديك غلـبي — وتبعدني وبـين يـديك لبّـي

وتضرب عن مرامـي منـك — وتلقى وجه مطلوبي بـصعبي[٣]

أفاوضك العتـاب فتبتـدئني — بعتب منك يكفح وجه عتبي[٤]

وأومي في مـحادثتي لـشيء — حقيق موجـب تـأتي بـسلب

وتعرف أنني إن صنت سـرّي — حياءً منك حـالي عنـه يـنبي

وتـدري أنّ ودّى لا يُبـارى — بودٍّ فيك من قـومي وسـربي

وإني في الصداقة خدن صدق — وقلبي في المحبة قلـب صـبّ[٥]

وإن أودعـتني سـراً أصـنْه — وإن نـاديتني جهـراً ألبّـي

وحبك قد تمكّن في فـؤادي — ومَازَج سائري أربـا بـأرب[٦]

يطارد في ودادك فرْطُ وجدي — خيول الشوق في مضمار قلـبي

وأعجـب إذ أرى لـك في — خبايا معْ سواي وأنت حبِّـي[٧]

ومـا ودّي بمنكـور ولكـن — حـصول الحـظّ في الأشـياء

---

(١) – من بعد هذا البيت يبدأ الخرم المعوّض عنه في النسخة المخطوطة (أ)، والذي نرجح أن التعويض منقول من النسخة المخطوطة (د) قبل أن تتعرض للخرم ، وسنعتمد في التحقيق على المخطوطة (ب) التي نرى أنـها منقولة من المخطوطة (أ) مباشرة، بينما النسخة (د) هي النسخة الرابعة من نسخ الديوان المخطوطة حسب ترتيبنا، إضافة إلى أنـها تعاني من خرم أفقدها هذه الصفحات المعوضة .

(٢) – متعه: منعه ، في (د) .

(٣) – منك: فيك ، في (أ) المعوّض ، وما أثبته من (ب) و (ج) ؛ لأننا قررنا- كما سبق – اعتماد (ب) نسخة أولى لأنـها منقولة مباشرة عن النسخة (أ) الأصلية .

(٤) – يكفح: يكفي ، في (أ) المعوّض .

(٥) – قلب صب: صدق قلب، في (أ) المعوض .

(٦) – سائري: ساري ، في (د) .

(٧) – إذ: أن ، في (أ) المعوض .

١٣٣/أ

أتحسب أن ودّي غــير بــاق وأن مدى الزمان يزيــل حــبي

فلا والله مــا هــذا بطبعــي ولا شــأني ولا هــذا بــدأبي

ومثلـــك لايــزال لــه وداد ولو طال الــمدى عن كلّ قلب

فكيف بمن تضافر بالــــمعالي بنسبته إليك وذاك حــسبي[٢]

أليس وإنــي عبــدٌ منــوطٌ بمجدك سيّدٌ بك عنــد حــزبي

ولا فخرٌ كفخري باختصاصي بودّك بــين أحبــابي وصــحبي

فإن يك ذاك عن سبب فأعْلن بـــه لي لا تُكَـــنِّ ولا تُغــبِّ

وإن هو منْك لا عن موجبات فزد منه على ســعة ورحْــب

وهب أني هفوت فكن غفورا وقابل بالسماح عظيم ذنــبي[٣]

وهبني من رضاك إلى التغاضي وعــاملني معاملـــة المحــبّ[٤]

وقــرّبني إليــك ولا تــدعني وخذني إلْف ودٍّ واختــصص بي

وحقّق ما ترى منّي اختبــاراً ليظهر من ضميري مــا أخبّــي

فإن أك صادقاً أجني غراســي وإن أك كاذبــاً فعلــيّ كــذبي

وقدرك ما يليق بــه حقيــق بغفْر ذمــيم فعــل لم يلــق بي

وقد انــهيت سَمْعك شــرْح لو استكتمته لازداد كــربي[٥]

ولــمّا لم يطق نطقى كلامــا أتتك رسائلى تــسعى بكــتبي

فلفظى في الــمحبة لي دليــلٌ بأنك يا حبيــب لُبــاب لُبّــي

وإن محـــــبّتي في آل طـــــه تجلّت للعيــون بغــير حجــب

أيا آل النبيّ بكــم فخــاري بكم عزّي على بعدي وقــربي

١٣٣/ب

تربّــى في محبــتكم فــؤادي علـــى الإخـــلاص ســـبحان

---

(١) – الأشياء: الامليناء ، في (د) .

(٢) – إليك: إليه ، في (أ) المعوض و (ج) و (د) .

(٣) – غفورا: عفوا ، في (أ) المعوض .

(٤) – عاملني: ماملني ، في (ج) ، و(عامله) في (أ) المعوض .

(٥) – استكتمته: استمسكته ، في (أ) المعوض .

وزدت بالاكتساب خلــوص — لكــم والــودّ [مــن] وهــبي

وقمت بفرض حبّكم وهــذا — شروعى في الوداد الــمستحب

وها أنا سادتي لكــم عُبيــدٌ — وأنتم ملجأي إن جــلّ خطــبي

تبرّأَ خاطري عــن ودّ ســوء — أؤول بــــه إلى ذمٍّ وســـبّ

فإني أرتجى بــصحيح حبّــي — لكم حسن الختــام وعفــو ربي

وأحظى بالفضيلة يوم حشْري — إذا حُــشر الـــمحب مــع

وقال – لطف الله به في جميع الأحوال - وقلت معاتباً لبعض الأصحاب :

أخا الودّ قد أوْرَدْتك الــمشْرَع — من الودّ فاستدعيت للصَّدَر العــتبى

وَوَاليْتُكَ الحبّ الذي اتّخذ الصفا — خدينا له واختار صدْق الوفا حبّــا

فأوليتني منك الجفــا بعــد ألْفــة — وأَلْوَيْتَ عن نــهْج الإخا آخذا جنبا

وودّي الوداد المحض لا ودّ من له — دفينة حقــد يــدّعى معهــا الحبّــا

وصدْق إخائى صانه الله أن يــرى — لعينك صدْقا تــارةً ويــرى كــذبا

إذا لم يوال القلب منّــي صــديقه — وفــاءً وإلا لم يكــن ذاك لي قلبــا

وإن هو لم يــرْم العــدوّ ببغــضه — جزاءً فلم يعرف له أبــدا طبّــا[3]

ولكنني أوفي الــمحبّ مـــحبّةً — وأجزي البغيض الــبغض لا جانيــا

وأوسع من داجاني الحبّ مبغــضا — مصانعةً صوني لعرضــي أو ذبّــا[4]

وما أنت عندي غير إلفي فكاهــةً — وصنوي وداداً صاحبي أبــدا حبّــا

صديقى اعتمادا بل رفيقى صداقةً — شقيقى اعتقاداً بل شقيقى أخي قربا

نعم نسبة الآداب أوصل للفــتى — بصاحبه من نسبة الأخ ذي القربى[5]

١٣٤/أ

---

(١) – ما بين المعقوفين ساقط من النسخ جميعها أضفته ليستقيم الوزن .

(٢) – البيت ساقط من (أ) المعوض .

(٣) – أبدا: أحد ، في (أ) المعوض.

(٤) – داجاني: ذاجاني ، في (أ) المعوض و (ج) .

(٥) – الآداب: الآباء ، في (ب) و (ج) و (د) ، وما أثبته من (أ) المعوض ؛ لأن السياق يتطلبه .

أليس وقد كنّا رضيعي لبانــــها حديثين يستمرى لنا دَرُّها الــشربا

ربيبين في مهدَي صبًا من حجورها وكان لنا مرعــى مرابعهـا مَــرْبى

نشأنا بــها أتــراب ودٍّ وضــمّنا أوَانُ الصبا في ســلك أصحابــــها

إلى أن قــضيناها وفاقــاً وألفــةً ولا بيننا ما يوجب الغمْط والثلبــا

لنا قرب أشباح وإن حكم النوى لنا قرب أرواح تناجى بــه الكتبــا

وكم قد ركضنا للفكاهة مركضا على مذكيات للذكا تُفحم الــشهبا

أثرن بنا نقعاً قضين بــها هــوى وسطن به جمعاً حوين به كــسبا[1]

بلغنا بــها من أنسنا كلّ فرصــةً نــهبنا بــها اللــذات في عمْرنــا

ولا بيننا إذ ذاك ما يوجب القلى ولا كان منّا نَبْــوةٌ تقتــضى النَّبّــا

ولازعزعت فينــا شمــال تنــافر ولا نكبتنا قط في شملنــا نكبــا[2]

فكيف التنائى بعد حسن اقترابنــا أترضى لهذا البعد أن يمحو القــربى

أبت همّتي استبدال قربك بالنوى وهمتك العليا لأحرى بــأن تــأبى[3]

إذا خلْتَ منّي هفوةً ألتمسْ لهــا طريقاً وعدّلْها إذا كانت الحــدبا[4]

لعلّ لهــا داعٍ يروقــك وجهــه إذا رفع الإنصاف عن حسْنه الحجْبا

وإلا فقد تبدو من الــمرء زلّــةٌ تصادف من قلــب الأخ المنــــزل

وقد تتــراءى زلّــةٌ غــير زلّــة كآل غدا الظمآن يحسبه شــربا[6]

وقد تتغالى زلّــةٌ مــا توجّهــت لها نيّةٌ تنشى عن الحَــرَب الحربــا

على أنك الحبّ الذي سَجْــسَجَ يعرّف لي عرفان طبعك ما هبّــا[7]

١٣٤/ب

(١) – بنا نقعا: بنانتها ، في (د) ، (أثرن بنا نقعا قضينا) موهمة وغير واضحة في (ج) .

(٢) – (زعزعت) بياض في (ج) و (د) .

(٣) – لأحرى: لعمري ، في (أ) المعوض ، و(لأحوى) في (د).

(٤) – التمس: فالتمس ، في (أ) المعوض .

(٥) – (الأخ) ساقطة من (أ) المعوض.

(٦) – الآل : السراب. لسان العرب (أول)

(٧) – السجسج: الهواء المعتدل بين الحر والبرد. لسان العرب (سجج)

فقابل بعفو ما بدا لـــك واغتفـــر　　فعذري بدا فاقبل وإلا لك العـــتبى

وقال – (حفظه الله تعالى)[1] - وقلت لسبب جرى وأمر طرا :

أتُدْنى ذا العداوة لاقترابـــكْ　　وتحْرم أهل ودّك مـــن ثوابـــكْ

وتسقى مبغضيك الغيث ريًّـــا　　وترســـل لي الـــصواعق مـــن

وكنت أحقّ منك على احتفالي　　بشأنك بالـــمصفّى من شرابك

ولكن هكذا جرت القـــضايا　　لسرٍّ لم يكن هـــو في حـــسابك

على أنّـــى بناطقتي وفكـــري　　حسام عند خطبك أو خطابـــك

بذلك قد عرفت مقام نفـــسى　　لديك وقد نسبت إلى جنابـــك

وما نفسى تـــهون عليّ لكن　　مروءتـــها قضت بالاغتنا بك[2]

تحمّلت العنا صـــبراً فعـــزّت　　وقـــد عرفـــت خطاهـــا مـــن

لعمرك إنّ نفسى نفس حـــرٍّ　　================

أراك منحت ودّك غير مبـــق　　لودّك تصطفيه هوى لبابـــك[5]

تمحـــضّه محبتـــك اصـــطناعا　　لنفسك وهو من أعدى صحابك

وترحمه ويرقب فيـــك حينـــا　　إذا يلقاه بـــالغ في عـــذابك[6]

يكاتم بغضه عنك احتراسًـــا　　ويظهر بالوداد إذا التقى بك[7]

ويمنحك النصيحة وهي غشٌّ　　إذا يوما ألـــمّك والتوى بـــك

بنى لك من نـــصائحه بنـــاءً　　وشـــيّده لكيـــدك واســـتلابك

١٣٥/أ

(١) – ما بين القوسين غير موجود في (أ) المعوض و (ج) .
(٢) – بالاغتنا : بالاعتنا ، في (أ) المعوض .
(٣) – فعزت: فضرت ، في (ج) و (د).
(٤) – عجز البيت بياض في جميع النسخ .
(٥) – مبق: سبق ، تصطفيه: نصطفيه ، في (د) .
(٦) – يلقاه : بلقاه ، في (أ) المعوض.
(٧) – البيت ساقط من (ج) .

وحاول من تغاضبه ولـــمّا رأى بابا لـــمقصده سعى بك[1]

سعى بك قاصداً لي كلّ سوء ولم يك قصده غير اغتصابك[2]

وها هو بعدما أشفيت أضحى إمام الشامتين علـــى مـــصابك

وقال : وقلت أيضاً :

الـــدهر مـــرآة العجائـــب فانظر ترى فيها الغرائـــب

واحضر بـــذهنك لا تكـــن عن ما بدا لك منه غائـــب

لاتـــخـــضعنّ لـــــحادث فيها ولا تـــشكُ النوائـــب

أمـــرٌ يمـــرّ بـــــها يمـــر ر ولا يعود إليـــك آيـــب

فـــزن الأمـــور إذا عـــرت فيها على مَرّ الـــسحائب[3]

وقال : وقلت أيضاً :

غرس الحب في رياض فؤادي لك غرساً نما بـــصدق الـــوداد

وسقاها سحاب قربـــك مـــن ـــيب رحماك رائحاً إثر غـــادي

ولها هبّ من رضـــاك نـــسيمٌ فاح كالعبهر الشذي والجـــادي

فلذا أثمرت مغـــارس قلـــبي ثمـــر الاختـــصاص والاتحـــاد

١٣٥/ب

وقال : وقلت أيضاً :

أخا الود كم تخفى هوى قام لي عليك دليلٌ لا يناقض بـــالنكر

أتكتم حبًّا أظهر الحال ســـرّه لعمرك إنّ الحبّ جلّ عن السرّ

فإنّ رياض الحب منك منيعـــةٌ وقد طاب مجناها بأيدي الهـــوى

ولا بدع أن يحلو جناه وقـــد روابيه وسمىّ الصبابة والقطر[4]

وقال : وقلت أيضاً :

(١) – من تغاضبه: تغاضيه ، في (ج) ، و (ما تغاظ به) في (أ) المعوض .

(٢) – لي: لك ، في (أ) المعوض .

(٣) – عرت: أعرت ، في (ب) ، و(أمرت) في (أ) المعوض و(د) .

(٤) – وسمي : وينتمي ، في (ج) .

دام لكم سرّ الهنـا والـصفا ... ودمتمُ في نـسق الاصـطفا[١]

والله ما التـاخير لي عـنكمُ ... عن ملل كلاّ ولا عـن جفـا

وإنما وجه اعتـذاري انجلـى ... كالشمس ما ثَـمّ عليها خفا[٢]

فقابلوا العبد بوجـه الرضـا ... وسـامحوني يـا أهيـل الوفـا

وقال : وقلت أيضا:

يا مزعجا بالصدود عاشـقه ... كفى فؤادي في الحب ما لاقـى

إن يرضك الـصد لي علـى ... زدني صدودا أزدك أشـواقا[٣]

وقال : وقلت أيضاً :

إن كثّـر النـاس أو قلّلـوا ... أو قصّروا في القول أو طوّلوا[٤]

وإن أشاعوا عنك ما لم يكـن ... وفـصّلوا بـالزور أو أجملـوا

فما قصيرٌ طال مـن قـولهم ... ولا بـه قـد قَـصُر الأطـول

وإنمـا الـدهر تـرى عيْنَـه ... كمثل ما ينظـرك الأحـول[٥]

هذا على العلم بمـا قـرّروا ... في الخبر الـمحض وما مثّلـوا

إذ عرّفوا الأخبار في نفـسها ... محتمـل الحـالين يـا أمثـل

فإن روى العدل (فلا مريـة ... فهو لغـير الـصدق لا يحمـل

وإن سوى العدْل) رواها فلا ... تشكّ فى الكذب لـما ينقل[٦]

وقال : وقلت أيضاً :

القلـب منّـى يـوم بَيْنـكْ ... قد ضاع مـا بـيني وبَيْنَـكْ

وأنا الـمقيم علـى الـولا ... لك في الهوى وحيـاة عينـك

١٣٦/أ

---

(١) – الهنا: الوفا ، في (أ) المعوض.

(٢) – اعتذاري انجلى : اعتذار جلى ، في (أ) المعوض .

(٣) – هذان البيتان ساقطان من (ج) .

(٤) – قصروا : تصرفوا ، في (ج) .

(٥) – ينظرك: ينظر ، في (ب) و (ج) و (د) ، الأحول: الأطول ، في (ج) و (د).

(٦) – ما بين القوسين ساقط من (ب) و (ج) و (د) .

وِدّى بمحْض صداقة ... لكن أراك بغير ذينك[١]

وعْد الكريم وعهده ... ديْنٌ عليه فَف بدَيْنك

وحديد صدّك لم ينل ... حظّ التماثل من لجينك

ما ذاك منك بلائق ... إذ زيْنُ ذاتك ذات زيْنك

وقال : وقلت أيضاً :

حال دون المرام منك أمور ... ربما أشتكى الظلامة منها

كلما رمت بثّها لك قامت ... بىَ حالٌ تصدّ نطقىَ عنها

فإذا ما أقمت قسطاس ودّي ... رجحت كفّتي وراقتْك كنْها[٢]

وَزن إن شئت زينها فهى زين ... لم يشنْها الجفا بما لم يزنْها[٣]

١٣٦/ب

وقال : وقلت أيضاً :

رويدك لاتجنح إلى أذن من ... لأنّك لا تدري بقبح الذي نوى[٤]

ولا تطع الأعداء في نقض ... ولا تصْغ للواشى الكذوب وما

فإني على حفظ المودّة واثقٌ ... وباق وأمّا ما لديك قد انطوى

وإني وإن أخلفت عهد مودّتي ... صبورٌ على ما لايطاق من الجوى

لعلّ الوداد المحض إن كان ... يردّك بالإرشاد عن مسلك

فتفرق ما بين الإصابة والخطا ... وترجع عمّا تطلب النفس

فإن عدت فالودّ الصحيح مخيّمٌ ... وإن لم تعد يعوجّ عندي ما استوى

وعندي لسلوى القلب منك ... ولم يرضني من ألفيَنَّ بلا ارعوا[١]

---

(١) – ذينك: دينك ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٢) – راقتك: راصك ، في (د) .

(٣) – زينها : زمنها ، في (د) .

(٤) – غوى: نحوى ، في (د) .

(٥) – ولا تطع: وتطع ، في (ج) .

(٦) – مسلك: منهج ، في (أ) المعوض .

(٧) – الهوى: اللوى ، في (ج) و (د) .

وأحقر أسباب التسلّي تلزّمي ... بأدنى انقلاب عن ودادك للسوى

ولي عفّةٌ لــو أن داء محــبتي ... يريد دواء منك كانت هي الــدوا

أزيد الهوى مدًّا وأقصر مــدّه ... وأكفح مقــصور الغــرام عــن

وألوي عنــان الحــب بعــد ... وأسلو الذي عن موثــق العــشرة

وأنظر ما يرضى بما إرتــضيته ... ومن ذا الذي يقوى لما يــضعف

ولست أهين الــنفس وهــي ... بصحبة من قــد أردف الــنقص

ولا أقبل الودّ الذي بتملّــق ... مداهنةً عمّا بقلبــك قــد ثــوى

فتظهر صدق الــودّ إظهــار ... وربّك أدرى بالضمير وما حــوى

ومن هذه بين الأنام خــصاله ... ففي القرب والإبعاد أحواله سوا[٤]

١٣٧/أ

وقال : وقلت أيضاً :

سلامٌ على أحباب قلــبي ذوي ... خلاصة أترابي القديم بــهم عهــدي

سلامٌ على أخدان صفوي أحبّتي ... جلا نور عيني منتهى طلــبي قــصدي

سلامٌ على حيّ الحمى لا عــدا ... عهاد الحيا يَهْمــي بــصادقة الرعــد

سلامٌ على صحبي ودادا وسادتي ... ــتقاداً وعزّي للعلا شــرفي ســعدي

سلامٌ على تلك الوجوه الــتي ... أضاءت شموس الفضل من أفق المجــد

سلامٌ عليكم ماســرت نــسمة ... معطّــرة الأردان بالــشيح والرنــد

سلامٌ عليكم ما شذا من أريجها ... إذا نسنست نفْحاتــها من ربا نجــد

سلامٌ عليكم ما تفاوح منــدلٌ ... رطيبٌ وفاحت فوغة العنبر الوردي[٥]

---

(١) – عجز البيت غير واضح في (ب)، وموهم غير واضح في (ج)، و بياض في (أ) المعوض،وأثبته بالتقريب من (د).

(٢) – أزيد: أريد ، في (ب) و (د) ، و (وأريد) في (ج) .

(٣) – وألوي: ولوي ، في (ج) .

(٤) – بين: من ، في (ج) و (د).

(٥) – فوغة الطيب : كفوعته، أول ما يفوح منه . لسان العرب (فوغ)

سلامٌ عليكم مازها الروض ثانيًا ‏ ‏ ‏ معاطفــه لينًــا بأغــصانه الــــمُلْد

سلامٌ عليكم ما رنــت عــين ‏ ‏ ‏ لسالفة الريحان في وجْنــة الــورد[٢]

سلامٌ عليكم ما الأقاح تبسّمت ‏ ‏ ‏ على نظرة السوسان بالأعين الرمــد

سلامٌ عليكم ما صــفا الــودّ ‏ ‏ ‏ وطاب مــذاقاً للمحــبين في الــورْد

سلامٌ عليــكم والثناء مــرتّلٌ ‏ ‏ ‏ بنــاطقتي يتلــى بفاتحــة الحمــد

سلامٌ على بُعد الجــسوم وإنمــا ‏ ‏ ‏ لأرواحنا قربٌ تنــزّه عــن بُعــد

سلامٌ ولا يجدي السلام علــى ‏ ‏ ‏ إذا عزّ تقبيــل الــمباسم والخــدّ

١٣٧/ب

تحيــة نــاء قلبــه متوجّــةٌ ‏ ‏ ‏ بكم بصلاة القرب في قبلــة الــودّ[٣]

أحبّاي قلبي عالقٌ عشقه بكــم ‏ ‏ ‏ فياليت شعري عندكم مثل ما عندي[٤]

وللروح منكم جاذب يستفزّها ‏ ‏ ‏ يهيج به شوقي وينمــو بــه وَجْــدي

على أنّنــي والحمــد لله لم أزل ‏ ‏ ‏ معافى ســليماً مــن مزايلــة الجهــد

وإنّيَ في نعمى مــن الله رافــلٌ ‏ ‏ ‏ بثوب الهنا في كلأة الــصمد الفــرد

ولم أشكُ إلا فَقْدَ ما قد شهدته ‏ ‏ ‏ بحضرتكم يا حــرّ قلــبيَ مــن فَقْــد

مجال عيوني في مجــالي جمــالكم ‏ ‏ ‏ إلى الحسن والإحسان والجود والجــدّ

وتأنيس فكري باللطائف منْكُمُ ‏ ‏ ‏ وتقديس ذكري بالرواتــب والــورْد

وإشجاء سمعي بالأناشيد والغنــا ‏ ‏ ‏ على هــزج الأوتــار في ضرْبــــها

وأُنْسيَ بالألحان مهما شدا بــها ‏ ‏ ‏ غريدٌ يعيد الشجو فيّ بمــا يبــدي[٦]

وسيريَ مع ركب الحجاز وقــد ‏ ‏ ‏ بما يطرب العشاق حاديه في الوخد[٧]

---

(١) – تفاوح: تضاوح ، في (ج) و (د) ، فوغة : فوحة ، في (أ) المعوض .

(٢) – وجنة: جنة ، في (د) .

(٣) – ناء: اناء ، في (ج) و (د) .

(٤) – أحباي: ااحباب ، في (ج) و(احباب) في (د) .

(٥) – هزج: مفرح ، في (د) .

(٦) – شدا :شذا ، في (د) .

(٧) – ركب: الركب ، في (ج) .

ولي رملٌ في ضرْب دُوكاه قــد ... ورقّ به طبعى لسيكاه والرصْد[١] [٢]

ونــشوة روحــى بالغنــا قــد ... بضرب الــمثاني والـــمثالث مــن

فيا حبّذا جَمْع السلامة والهنــا ... وكلّ الــمنى والسؤل في الحلّ والعقد

به قد حويت الأنس في كل حالة ... كأنّي بكم قد كنت في جنّــة الخلــد

أعادت به الأيام لي نشوة الصبا ... فــصرت بـــــها أهــدي الــسرور

فلله ما أحلــى ليــاليَ أنــسنا ... بكم إنــها لاشكّ مسعودة الـــجَدّ

ترحّلتُ عنكم والفؤاد لــديكمُ ... مقيمٌ فمــا أهنــاه عنــدكمُ بعــدي

ولكنني لاقيت سرْبي وأســرتي ... وشَعْبى الذي فــيهم درجــت مــن

وألفيتهم شــرواكمُ في نزاهــة ... وأنس ولذّات تجــلّ علــى الحــد[٥]

وللكل شوقٌ بانتظامىَ سلكهم ... فكنت لهم في السلك واسطة العقد[٦]

أقمت على ما هم عليــه مــن ... وآخيتهم فيه على الغــيّ والرشــد[٧]

وشاطرتــهم في أنسهم مع أنّني ... تَميّزْت عنهم بالذي تمّ لي وحــدي[٨]

وبلّغتهم عنكم تحايــا مُــسَلّم ... بأفضل ما يهدي إلى حبِّه الــمُهدي[٩]

وأنشد كلٌّ منــهمُ لي مــسلّما ... سلامٌ على نجد ومن حلّ في نجــد[١٠]

١٣٨/أ

وقال: وقلت أيضاً:

---

(١) – الرمل والدوكا والسيكا والرصد من المقامات الموسيقية المعروفة عند أهل الفن.

(٢) – لي رمل: في رمل ،في (ج) و (د) ، دوكاه: كار، في (ب) و (ج) و(د)، سيكاه:سكاد ،في (ب) و (ج) و (د)

(٣) – المثاني: الثاني ، في (د) .

(٤) – فصرت: قصرت ، في (د) .

(٥) – شرواكم: سرواكم ، في (ج) .

(٦) – شوق: سوق ، في (ج) و (د).

(٧) – وآخيتهم: وواخيتهم ، في (ج) .

(٨) – مع: معنى ، في (د) .

(٩) – يهدي: هدي ، في (ج) و (د).

(١٠) – مسلّما: سلما ، في (د) .

طرّز البرق حُلَّة السحب بطراز يلوح كالذّهب
حلّةٌ وُشِّعث مطارفها الدكـ ـن بإيماض لمعة اللهب[1] [2]
نسجتْها الرياح فانْسَدَلَتْ في ظلام الدجى على الشهب
ومحيّا السماء في خجل خلْف تلك الستور والحجب
طال مَحْل الربا فليس بها نَوْر زهر ولا جنى رطب
بعد أن كان في منابتها ثمرات النخيل والعنب
ثم لمّا أقْوت مغارسها وانتهى عودها إلى العطب[3]
وجّهت للسما مفارعها بأكفّ التوبيخ والعتب
فارتدت بالسحاب واحتجبت عند عتب الرياض والكُثُب
فكساها الحيا لخجلتها بُرْد نوء مفوّف العذَب[4]
نثرته على الربا بردا مثل حبّ الجمان والحبب
وأسالته في مشارعها جارياً للعطاش كالضرب
أكسب الأرض ريّها وسقى حيّها بعد لوعة الوصب[5]
فغدت تزدهي ببهجتها واخضرار الأزهار والقضب
وتغنّت بها بلابلها فشجت قلب كلّ مكتئب
واستمال الصَّبا الغصون بها فانثنت في ثيابها القشب[6]
وزهور الرياض قد بسمت بثغور الأقاح عن شنب

١٣٨/ب

(١) – التوشيع : يقال وشّع الثوب أي رقمه بعلم ونحوه، والوشيعة : الطريقة في البُرْد. لسان العرب (وشع).
(٢) – مطارفها : في مطارفها ، في (د) ، بإيماض: إيماض ، في (أ) المعوض .
(٣) – أقوت: أفوت ، في (ب) و (ج) و (د) .
(٤) – عذبة كل شيء طرفه. لسان العرب (عذب)
(٥) – ريها: ربـها ، في (ب) و (د)، و(رباها) في (ج) ، حيها: فيها ، في (ج) و (د)، و(حبها) في (أ) المعوض.
(٦) – واستمال: وأمال ، في (ج) و (د) .

وقال : وقلت متمماً على البيتين الأولين وهما لمولاي السيد إبراهيم بن السيد محمـــد الأمير[1] والتتميم بإشارته لموجب اقتضى ذلك :

أسعد الله صـــباحكْ	كمّل الـــمولى انشراحكْ
في رياض إن تبـــاكى	ـــغيم فيها تتـــضاحك[2]
وشّح الزهر رباهـــا	بالكمـــالات اتّـــشاحك
زانـــها الزهر كما زا	نت ســـجاياك سماحـــك
بمقام وفَّـــر الأنـــــ	ـــس بناديه ارتياحك[3]
مجلسٌ فيـــه التـــهاني	وافقت منـــه اقتراحـــك
غازلتني فيـــه غـــزلا	ن النقا أعـــني ملاحـــك
ســـحرتني بعيـــون	أســـكرت بالـــصحو
قلت لـــما نـــاح ذو	ق به اخفضْ جناحـــك
نحن في روضة أنـــس	لم تنل فيهـــا صـــلاحك
غرّدت فيه القماري	طرباً فاترك نواحـــك[5]
واطّرح ذا النوح هذا	ح ما يـــبري جراحـــك
إن تكن معْنا تمعـــنى	بالهوى تبلـــغ نجاحـــك
أو تباري أنْسنا حـــز	نًـــا فاعملْنـــا كفاحـــك
أو تفاوتْنـــا وتـــؤثر	بُعدنا فاحمـــد ســـراحك
حبّذا ما نحـــن فيـــه	فاغتنم معْنا اصـــطباحك

١٣٩/أ

(١) – في نسخة (ب) لوحة (٨٥) كتب في هامش الصفحة تعليقا على نسبة البيتين للأمير ما هذا نصه: " البيتان لإسحاق بن يوسف بن المتوكل على الله ، لا لمن عزاهما إليه، فليتأمل الواقف على ديوان إسحاق الموسوم بـــ(حسن الأخلاق). كتبه أحمد بن محمد الشرواني عفا الله عنه".

(٢) – (تتضاحك) في (ج) بياض عدا الحرفين الأخيرين ، وموهمة في (د).

(٣) – وفّر: وافر ، في (ج) .

(٤) – راحك: أرحك ، في (ب) و (د) .

(٥) – غردت فيه: فيه غردن ، في (أ) المعوض ، فاتركك: فاتر ، في (أ) المعوض .

طارح الأطيار سجعًا	فهي تستدعى طراحك[١]
واقْتدحْ زنْد الــشجا	ــك بشجواها اقتداحك
لا تنحْ إلْفًا تنــاءى	عنك واسْتبْق طماحــك
أترى إلْفَــك هــذا	ك إذا ما نُحْت ناحــك
آه لو ملْتَ كما ملْنا	وســــهّلت جماحـــــك
كنت لاتــبرح عنّــا	يـــا معنّـــى لا براحــك

وقال - لازال معدنا لكل كمال- ووجدت في (بدائع البدائه) لابن ظــافر[٢] أبياتاً لأبي على القرمطي[٣] في وصف الشمعة قالها في مجلس بديهة[٤]، فأعجبتني فمالــت النفس إلى تحريك الفكر لتتميمها على طريقته بالبديهة تجريباً لها ، وهذه الأبيات :

١٣٩/ب

ومجدولة مثــل صــدر القنــا	تعـــرّت وباطنـــها مكتـــسى
لهـــا مقلـــةٌ هـــى روحٌ لهـــا	وتاجٌ على الـــرأس كـــالبُرْنُس
إذا غازلتها الــصبا حرّكــت	لساناً من الذهب الأملــس[٥]
وإن رمقـــت لنعـــاس عـــرا	وقُطّت من الراس لم تــنعس[٦]
وتنتج من وقــت تلقيحهـــا	ضياءً يجلّـــى دجـــى الحنـــدس
فنحن من النـــور في أســـعد	وتلك من النـــار في أنحـــس[٧]

---

(١) – تستدعي: ستدعي، في (د) ، طراحك: لراحك ، في (ج) و (د) .

(٢) – هو علي بن ظافر بن حسين الأزدي الخزرجي ، وزير مصري من الشعراء الأدباء المؤرخين ، ولد في القاهرة سنة ٥٦٧هـــ وتوفي بـــها سنة ٦١٣هـــ ، له عدة كتب منها بدائع البدائه. الأعلام ٢٩٦/٤.مقدمة بدائع البدائه لابن ظافر، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

(٣) – هو الحسن بن أحمد بن أبي سعيد القرمطي ، من أمراء القرامطة ، وهو من الشجعان الدهاة وله شعر ، توفي بالرملة سنة ٣٦٦هـــ . الأعلام ١٧٩/٢

(٤) – بدائع البدائه ص ١٦٠

(٥) – حركت: تحركت ، في (ج) و (د).

(٦) – في كتاب بدائع البدائه لابن ظافر (رنّقت) وكلااللفظين يحمل معنى الضعف. لسان العرب (رمق) (رنق).

(٧) – أنحس: الحس ، في (ج) .

قال ابن ظافر وأجازها ابن كشاجم كاتبه فقال:

وليلتنـــــا هـــــذه ليلـــــةٌ　　　تـــشاكل أشـــكال إقليـــدس
فيا ربّة العـــود حثّـــي الغنـــا　　　ويا حامل الكاس لا تحبس[١] [٢]

وقال الناظم فقلت مجيزاً لهما:

ويا بدر حيّي بكـــاس الطِّـــلا　　　نجـــوم نـــداماك بـــالمجلس
فما البدر والشمس في أفْقنـــا　　　ولا نوْر زهر الدجى الكنّس[٣]
لنا فلك الأنـــس نبـــدو بـــه　　　ونزهو على الفلك الأطلـــس[٤]
فزفّ عـــرائس أكوابـــــها　　　لأكفائها واسقهم واحـــتس[٥]
ومل نَحْونا وانعطف ما لنـــا　　　وللغصن مـــعْ قـــدّك الأمـــيس
وخذها وهات وآنسْ بـــــها　　　محبّيك واطرب لهـــا وأنـــس[٦]
فقـــد عمّنـــا بـــك إيناســـها　　　فلست تـــرى غـــير مـــستأنس
ومنّـــا القيـــام بحـــقّ الـــصبا　　　وفاء وما لـــك مـــن مـــبخس
فإنك قطـــب مـــدار الـــصفا　　　ونقطـــة دائـــرة الأكـــؤس
وحبـــك جـــاذَبَ أرواحنـــا　　　إلـــيـــــــــــــك وداداً
وإنّـــا بحـــسنك في روضـــة　　　زهـــت للعيـــون وللأنفـــس
لنا من جمالـــك مـــا نجتلـــى　　　ومـــا نجتنيـــه ومـــا نحتـــسى
فمن جلّنـــار علـــى وجنـــة　　　شهيّ الجنا طيّب الـــمغرس[١]

١٤٠/أ

---

(١) – في كتاب ابن ظافر (فيا ربّة العود غنّـــي لنا　　ويا حامل الكأس لا تجلس) .
(٢) – حامل الكأس : ربة العود ، في (أ) المعوض .
(٣) – الدجى: الربا ، في (د) .
(٤) – (فلك الأنس) ، غير واضحة في (ب) ، و(ذلك الأنس) في (ج) و (د) ، وما أثبته من (أ) المعوض.
(٥) – أكوابـــها : ألوانـــها ، في (د) .
(٦) – محبيك: محبك ، في (ب) .
(٧) – كمغنيطس: لمغنيطس ، في (ب) ، و(لغنيطس) في (د) ، وموهمة غير واضحة في (ج) .

وسوسان ســالفك العبقــري | وريحان عارضــك الــسندسى
ونحن بسكْرين مــن راحنــا | ومن ظلم مبسمك الألعــس[2]
وخامرنـــا مـــسكرٌ ثالـــثٌ | لناظرك الأدعــج النرجــسى
هنيئـــاً لنـــا بـــك في ليلـــة | غفت دونــها أعين الحــرّس[3]
وأعْجب ما قد شهدْنا بـــها | سنا البدر والشمس في مجلــس
فيا حبـــذا فرصـــة أمكنـــت | بديجورها القمــر الــمـــشمس
أهل غفل الدهر عنها كمــا | تعوّد في مثلــها أم نــسى[4] [5]
وإلا فأَحْسنت فينـــا بـــها | وكـــم لـــك مـــن حـــسنات
وكم لليالي علـــى بــــخْلها | هبات قضت بغنى الـــــمفلس

وقال – لطف الله به - وقلت أيضاً :

سال من مقلتيّ وَبْلُ دمـــوعى | وانتفى عنهما لذيـــذ هجـــوعى
وأثار الغرام جذوة وجـــدي | في فؤاد أهاج فيـــه ولـــوعى[7]
وأذاب البعاد وجديَ لــــمّا | شغل الحبّ فيـــه بـــالتقطيع[8]
وبجسمى قد احتوى عـــرض | ـــم فأضحى في غاية التوجيـــع
وهجير الجفـــا أذاب جليـــد | ـــر منّي وكان أقوى دروعـــى

---

(١) – المغرس: الغرس ، في (د) .
(٢) – الألعس: الأملس ، في (ج) و (د) .
(٣) – غفت: غضت ، في (د) .
(٤) – أهل : فهل ، في (أ) المعوض.
(٥) – إلى هنا انتهى موضع الخرم في (أ) المعوض عنه من (د)، والذي اعتمدنا خلاله نسخة (ب) نسخة أولى ؛ لذا نعود إلى جعل نسخة (أ) النسخة الأولى الأصلية ، وتعود نسخة (ب) النسخة الثانية كما كانت.
(٦) – فأحسنت: فأحسن ،في جميع النسخ ،إلا أنه يظهر تعديل للكلمة في(أ) لكنه غير واضح، ولعله ما أثبته؛لصوابه.
(٧) – جذوة: جدوة ، في (ب) و (ج) و (د).
(٨) – أذاب: أداب ، في (د) .

ألذا البعد والقلا من ذهــــاب ولذاك الوصال هل من رجـــوع

أم ترى هل يعود ماضى زمان كنت فيه بالوصل غير منوع[١]

زمنٌ كان وهو غــــير عبـــوس وأنا من جفاك (غير جـــزوع[٢]

زمنٌ قد ظفرت بـــالحظّ فيـــه ظفر الخير حيث) كان ربيعى[٣]

حيث ما كنت يا حبيب قريبا كيف ما اشتهى وكنت مطيعى

حيث شمسى كـــاس المـــدام حـــسن مـــرآك ذي الجمـــال

حيث زهر الرياض زاه ووجه ــــــحبّ بـــاه والـــوُرْق ذات

حيث ثغر الأقـــاح يـــضحك ـــب سروراً تبكى بطرف هموع

حيث نشْر الصَّبا يعلّم أفنـــا ن غصون الربا لذيذ الخـــشوع

تتثنّـــى أغـــصانـــها فنراهـــا في سجود وتـــارةً في ركـــوع

وخطيب الحمام في منبر الدَّوْ ح يشجى القلوب بالتسجيع[٥]

في مقام يزرى بكـــل مقـــام وجناب على الجنـــاب الرفيـــع

قد حويناه في السرور اغتباطا وعيون الرقيب ذات هجـــوع

ورفلنا نختال في حلل الأنــــ ـــس افتخاراً بنيل ذاك الصنيع

وغدونا نجرّ ذيـــل التـــصابي في روابي الهنا بتلك الربـــوع[٦]

نتعاطى فيه سلاف الأحاديــ ـــث ونأتي منها بكـــل بـــديع

ومداماً يبدو شـــعاع ســـناها فترينـــا غرائـــب التنويـــع

شمس راح تضيء من أفق الكأ س كـــشمس الـــصباح عنـــد

واستماع الأنغام من رنّة العو د بضرب محكّـــم التوقيـــع[١]

١٤١/أ

---

(١) – زمان : وزمان ، في (د) .

(٢) – جفاك : كفاك ، في (ب) و (ج) .

(٣) – ما بين القوسين ساقط من (ج) .

(٤) – كأس : كاهل ، في (ج) و (د).

(٥) – الدوح : الروح ، في (د) .

(٦) – نجر: بجر ، في (ج) .

ولحونٌ ما لابن إسحاق ذكـــرٌ	عند تلحين شدوها الـــمسموع
وأناشيد مطـــرب إن تَغَنَّـــى	مدَّ بحر الشجى بـــمدٍّ طبيعى[٢]
ليس يرضى بمعبد عبـــد رقٍّ	تابعاً يبتغي رضـــا الـــــمتبوع
في رياض قد وشّـــعتها الأزا	هير بوشـــى مطـــرّز التوشـــيع
وظلال من الخمائل والأثـــــ	ـــل مديد لا زائل ولا مقطوع
ومغان بـــهنّ غرس الأمـــاني	متـــداني الجنـــا بزهـــو ينيـــع
فكأنّ المكـــان جنّـــة عـــدْن	وكأنّ الزمان فـــصل الربيـــع
قد ملكنا فيه زمـــان التـــهاني	وأوينـــا لـــركن أنـــس منيـــع
وقطعنا بالوصل قلب حسود	غير راض بشملنا الـــــمجموع
فلمَ الهجر منك للهاجر النـــو	م حليف الجوى غزير الـــدموع
أنا راض بالقرب منك خيـــالا	مع أنّي في الحب غـــير قنـــوع
فغريمى عليك فيـــك غرامـــى	وشفيعى إليك منك خـــضوعى
لـــمْ أبان العذول عنك كلاما	وســـعى بيننـــا بقـــول شـــنيع
وتداني فكنت غـــير بـــصير	ثم نادى فكنـــت غـــير سميـــع
رام سلواي عن هواي ولكن	رام ما كان مستحيل الوقوع[٣]
كلما قد كتمت عنه غرامـــى	نـــمّ دمعى بـــما تكنّ ضلوعى

وقال – أطال الله بقاءه - وقلت معارضاً :

إن كنت تقضي للصبا حقوقه	وتعترف له جميـــل
يا صاح فاسلك للهوى طريقه	واقـــصد فهـــذا
كاس الهوى يحلو لـــمن يذوقه	أحلـــــى مـــــن
أما ترى الروض ازدهى أنيقه	والأثـــل دوحـــه

١٤٢/أ

---

(١) – رنة: رتة ، في (ب) ، وموهمة غير واضحة في (ج) .
(٢) – مد بحر الشجى بمد: مدلج الشجاعة ، في (ج) و (د) .
(٣) – سلواي: سلوى ، في (ج) و (د) .

والغيم نشر في الجو من رقيقه ... رواق ظله ظليـــل
قد ضاحكت زهر الربا بروقه ... بلمعهـــــــــا في
وللصبا نفـــحٌ شـــذا عبيقـــه ... عاطر نسيمه عليل
يجسّ نبض الغصن في خفوقـــه ... جـــسّ الطبيـــب
وفي الـــمقام للصب ما يشوقه ... فـــــلا عــــــداك
وكل أنـــس عنـــدنا وفيقـــه ... مـــــن جـــائز أو
وعندنا خدن القمـــر شـــقيقه ... ساجى اللحـــاظ
يمزج طـــلا راحاتنـــا بريقـــه ... مزاجها الزنجبيـــل
فما ألذ الـــسكر في غبوقـــه ... مع الصبيح الجميل
هلمّ نطفى القلب من حريقـــه ... ببرد وقت الأصيل
واقطع معانا الهم من عروقـــه ... بأنـــــــــــسك
فموسم اللذات قـــام ســـوقه ... ومتجـــره للنبيـــل
ما ثـــمّ للمشتاق ما يعوقـــه ... عن قصد ما لـــه

وقال : وقلت أيضاً :

فاح نشْر الصَّبا فطاب الـــمشَمُّ ... وتجلّى الصباح فانجـــاب نجْـــم
أقبل الصبح وهو وجْهٌ جميـــلٌ ... يطرد الليل وهو وجْـــهٌ أغـــمّ
فكأنّ الـــدجى ويقفـــوه نـــور ... ـــر زنجٌ لها من الروم هـــزْم[(٢)]
وجرى أشهب النهار فلم يبـــ ... ـــق لـــمجراه بالهزيمـــة دُهْـــم

---

(١) – (ازدهى) بياض في (ج) و (د) .
(٢) – زنج: نـــهج ، في (ج) .

١٤٢/ب

فابتكر للمدام بـــاكورة اليـــو م فإن ابتكار[ك]الأنس غُنْم[1]

واصرف الهمّ بارتياحك للــرا ح اصطباحاً فما مع الراح هـــمّ

أوَمـــا تنظـــر الريـــاض زواه بزهور يزهو شـــذاها وينمـــو

وعليل النسيم آس يجسّ الــرو ض لطْفا وما به قـــطّ ســـقْم[2]

فاصطف المصطفى لها فهي صفْوٌ وصـــــفاها بغـــيره لا يـــتمّ

واجل كاساتـــها على الشرب فهي روح الـــسرور والكـــأس

مثل لون العقيق يطفـــو عليـــه لؤلؤي الحبـــاب يزهيـــه نظْـــم

لا تفوتنْكَ نَشْوَة الصبح معْهـــا وإذا فُـــتَّها فما لـــك حَـــزْم[4]

وقال- سامحه الله - وقلت أيضاً :

نَجَمَ البدرُ وانجلى لك نـــجْم واستفاض الضيا فَرَاقَكَ وَسْم[5]

وتوارت شمس النهار حيـــاءً لـــمحيّا بدر الدجى وهو تـــمُّ

ليلنا صدْرُه طوى الـــشمس لم يذعْه والليـــل للـــسرّ كـــتم

وكأنّ النهار يتلوه جنح الليـــ ـــل رومٌ لها من الـــزنج هـــزم

وعدا الأدهـــم الأغـــرّ ومـــا ـــب إذا ما عـــدت لنـــصرك

فانتهز يا أخا الـــصبا فرصـــة ـــو بليل فالصفو بالليل ينمـــو

واصبُ للراح فارتياحك للرا ح اغتباقاً هـــو الـــسرور الأتمّ

فهي قوت الأرواح في بـــرزخ ـــو ونشوى النـــهى وللحلـــم

أوَ ما تنظر السما وهي تزهو بالـــدراري علـــى الريـــاض

---

(١) – لا يستقيم الوزن هنا إلا بإضافة الكاف .

(٢) – عليل: عليك ، في (ج) و (د) .

(٣) – السرور: الروح ، في (ج) و (د) .

(٤) – إذا فتها: أذاقتها ، في (د) .

(٥) – انجلى: انحكى ، في (ج) .

(٦) – وعدا : وعلى ، في (ج) .

(٧) – حلم: حكم ، في (ج) و (د) .

١٤٣/أ

لا عيونٌ لنرجس ترقب الأنـــ ـــس وليس النمّام فينـــا يـــنمّ

فأدرها روحا من الخمر قد قا م بـــها مـــن بلّـــور كأســـك

مثل ذوْب النضار مدّ علـــى س لراؤوقهـــا رواق أشـــمّ[٣]

إنما الحزم أن يسامرك الليـــ ـــل عليها وليس للشمس علْم

نشوة الليل لا تـــذاع وأمّـــا نشْوة الصبح قد يعيها الأصـــمّ

وقال عفا الله عنه[٤] :

يا صاح قـــد رقّـــت العُقَـــارُ وقد صفا كأســـها الـــمدارُ

وارتاح للراح كـــلّ صـــبٍّ لـــه إلى حانـــــها ابتـــدار

حيث الصبا فاح منـــه نـــشرٌ فوّاحـــه الـــشيح والعـــرار

حيث الربا روضـــها نـــضيرٌ والأرض حـــصباؤها نُـــضار

حيث ازدهى روضها فأضحى يزهـــو بأكمامـــه النـــوار[٥]

حيث ثغور الأقـــاح هـــشّت بمبـــــسم زانـــــه افتـــرار

حيث حمـــام الحمـــى تغنّـــى شجْوًا وقـــد غـــرّد الـــهَزار

وصبغة الليـــل قـــد جلاهـــا بالنور لـــمّا انجلـــى النـــهار

والنَّوّ أزجـــى لنـــا غمامـــا للشمس عنّـــا بـــه اســـتتار[٦]

ونحـــن في مجلـــس أنيـــق لـــه علـــى الزهـــرة افتخـــار

ظـــلّ الأمـــاني بـــه مديـــدٌ والأنـــس فيـــه لنـــا شـــعار[٧]

وشمسنا الـــراح لا كـــسوفٌ والبـــدر ســـاق ولا ســـرار

---

(١) – بالدراري: بالم ارى ، في (ج) و (د) .
(٢) – روحا: روما ، في (ب) و (ج) و (د) ،قام: مام ، في (ج) .
(٣) – مد: قد ، في (ج) ، الكأس: الكا ، في (د).
(٤) – في (ج) (رحمه الله) .
(٥) – بأكمامه: بأكمام ، في (ج) و (د) .
(٦) – النوّ: النور ، في (ب) و (ج) و (د) .
(٧) – فيه لنا: لنا فيه ، في (ج) .

١٤٣/ب

يزفّهـــا عانـــسًا عروسًـــا كـــأنّ راؤوقهـــا خـــــمار
ولم نـــزل عنـــدها ســـكارى صرعى، كؤوســـاً لنـــا تـــدار
نمـــوت في حانـــــها ونحيـــا ولا لنـــا دونـــــها اختيـــار[1]
وكـــــل حـــين لنـــا إليهـــا بعثٌ مـــن الـــسكْر وانتـــشار
يا صـــاح بـــادرْ إلى حماهـــا واحرص فقد أمكـــن البـــدار
وعـــذّر الناســـكين عنـــها فما لهـــم بالـــصبا اختبـــار[2]
وإن تراءت لـــك العـــذارى فـــلا يكـــن عنـــدك اعتـــذار
وهـــمْ مـــع الهـــائمين فيهـــا فمـــا علـــى الهـــائمين عـــار
واصبُ إلى الحب أو تـــصابى فمن صـــبا حقّـــه الوقـــار[3]

وقال غفر الله له :

إنّي إلى الاجتمـــاع أشْـــوقْ فـــــلا تـــــوانَى ولا تعـــــوّقْ
قد طال يا صاحبي انتظـــاري أحرقَ قلـــبي النـــوى وأقلـــق
صلني فحتـــام ذا التمـــادي عنك وباب الوصول مغلـــق[4]
ولاعج الشوق مـــن فـــؤادي أرعـــــد في أفْقـــــه وأبـــــرق
والقلب بالـــصدّ والتجـــافي غـــرّب في وجـــــده وشـــرّق
فجـــد بلقيـــاك يـــا حبـــيبي واجمع بـــها شملي الـــمفرّق[5]
ما زلت من لوعتي ووجـــدي والجفن بالـــسهد قـــد تـــأرّق
أراقب الوصـــل كـــل حـــين منتظراً وعـــدك الـــــمحقق[1]

١٤٤/أ

وقال سامحه المتعال :

---

(١) – حانـــها: خانـــها ، في (د) .
(٢) – عذّر : اعذر ، في (ب) و (ج) و (د) .
(٣) – اصب: احسب ، في (ج) و (د) ، فمن: فما ، في (ج) و (د) .
(٤) – فحتام: محتما ، في (ج) .
(٥) – المفرق: الفرق ، في (د) .

أحسنت صـــنعا يـــا … في صـــــنعة الهــــزج

ناغيت عودك بالأنـــا … مل منك والـــصوت

وغدوت توقع نغمـــة … ـــــوتر الأرنّ علـــى

تشدو بشقشقة الغنا … ء عليه تعـــرب مـــا

تفشى لنا الإحـــسان … ألحان تولينا الـــمنن

وصدحت تطربنا فما … صدح الحمام علـــى

يا حسن عودك حيث … ن له فـــؤاد الـــصب

رقص الـــمقام بنا له … طرباً وأبرز ما استكن

هيّجت للقلب الشجا … جـــــدّدت للقلـــــب

لو كان ميّـــز نفـــسه … ما كـــال قـــط ولا

حرّكت بالحركـــات … ت منهُ مـــا ســـكن

مـــــا معبــــدٌ مـــــا … ي وإن زهى بـــهما

ما كل من عرف الغنا … ء وبزّ فيه بكل فن[٩]

إلا رواة الحـــــسن في … هذي الفنـــون عـــن

والـــصيرفيّ بنقـــده … للأشرفيّ قد افـــتتن[١٠]

---

(١) – كل حين: على كل حين ، في (ج) .

(٢) – الهزج: النرج ، في (ج) و (د) .

(٣) – الأرن: الأرر ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٤) – بشقشقة: بشفشفة ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٥) – تطربنا: تطرحنا ، في (ج) و (د) .

(٦) – (حنّ) الأولى: من ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٧) – كال: كان ، في (ج) ، والبيت في (أ) مثبت في الهامش ، وساقط من (د) .

(٨) – معبد :هو معبد بن وهب المغنّي ، نابغة الغناء في العصر الأموي توفي سنة ١٢٦هـــ . الأعلام٧/٢٦٤

والموصلي: إسحاق بن إبراهيم ابن النديم ، كان عالما باللغة والموسيقى ، توفي سنة٢٣٥هـــ. الأعلام ١/٢٩٢

(٩) – بز : بر ، في (ج) و (د) .

(١٠) – هذي: هذا ،في (ج).

إن المحاســـن كلـــها جمعت وأحرزها حسن

وقال وأطلعني[٢] بعض الأصحاب على هذين البيتين وهما :

ولـــما رأوني بالعيون تغامزوا يقولون هـــذا شـــافعيٌّ تزيّـــدا

فوا الله ما بعت الهدى بضلالة ولكنني بعت الضلالة بالهـــدى

وطلب مني أن أجيب عليهما فقلت :

أقول لشخص شافعيٍّ تزيّـــدا وأقسم أن باع الضلالة بالهدى

خسرت وقد بعـــت الهـــدى خسارة من قد ضلّ من بعد ما

ثم طلب مني تعجيزهما وتصديرهما فقلت :

ولـــما رأوني بالعيون تغامزوا عليّ وقالوا ضلّ هذا وما اهتدى

رمـــوني ببـــهتان أســـاؤوا يقولون هـــذا شـــافعيٌّ تزيـــدا

ووالله ما بعت الهدى بضلالة ولا اخترت غـــير الـــشافعيّ في

وقد زعموا أني خسرت تجارةً ولكنني بعت الضلالة بالهـــدى

....

... ...[٣]

يعمّى علينـــا حالـــه بمقالـــه تقيّـــة زيـــديٍّ بلـــى فتـــشردا

حقيقته باع الهـــدى بـــضلالة وفي زعمه باع الضلالة بالهـــدى

وقال – لطف الله به[٤] - وقلت أيضاً لمن التمس مني ذلك :

ملكت قلب صَبِّها بالتعـــدي وسبت لبّـــه بلحـــظ وقـــدّ[٥]

---

(١) – للأشرفي: للأثر في، في (ج) و (د) ، قد : هذا ، في (ج) .

(٢) – (وأطلعني): وطلب معي، في (ب)، و(وطلب مني) في (ج) و(وطلب معي) في (د) ، والسبب التعديل في (أ).

(٣) – ترك في (أ) مكان بيت بياضا، وقد وضعت الفاصلة التي بين الشطرين .

(٤) – في (ج) (رحمه الله تعالى) .

(٥) – صبّها : حبها ، في (ج) و (د) ، (سبت) موهمة في (ب) ، وسبت لبه: وسلبه ، في (ج) و (د).

١٤٤/ب

[145/أ]

قامرتْـــه بحـــسنها فارتـــضاها	وتناهى في وَصْفها بالتحـــدّي[1]
بسمت عند وجهه فتلاشـــى	فكره عنـــدما تعيـــد وتبـــدي
واســـتمالته فاســـتمال لهـــا	ـــب عُدي بـــالهوى فأصـــبح
ليتهُ لم يذكر هواهُ لـــشخص	بل غدا يمزج الــــمزاح بجـــدّ
هو يهـــوى جمالهـــا بـــانفراد	وهي قالـــت أنـــا الـــــمليحة

وقال - عفا الله عنه - وطلب مني بعض الأصحاب أبياتاً فيمن تعذّر[2]:

الحسن طيفٌ مـــضى في نومـــة	والذقن ضيف أتـــى في ســـاحة
لايحزننّك نبْت الخد حين بـــدا	ولا تأسّف على ماض من العمر
ولايروّعْك شعر العارضين فكم	بدت لـــموسى يدٌ بيـــضاء في
أبشر فوجهك قد زادت محاسنه	وهل يُرى البدر إلا في دجـــى
ليلٌ حباك جمالاً لست تعهـــده	وكم لجنح الدجى فضلٌ علـــى
قد زان مرآك ما قد كنت تأنفه	وكم ترى غايةً للنفع في الضرر
كأنّ خـــدّك يهـــواه فَوَاصَـــلَه	أو كان محتاجه فأتى على قـــدر
لقد تجدّد في قلبي الغـــرام بـــه	وازداد شوقي لهـــذا العـــارض
نبات حُسْن رياضُ الخدِّ مطْلعه	كم قد جنى منه طرْفي أعْـــذَب
حاشا وحقك لا أسلو هواك ولا	لخاطري مطمحٌ عنه ولا بصري
لكنّ هاتيك أيامٌ وقد ســـلفت	كأنـــها في جبَاه الدّهر كالغرر
قضيتها بين صـــبٍّ في الهـــوى	مـــمنّع القدر أن تـــهجر وإن
وبين مُضْنى براه الحب من دَنَف	ومغرم قرّح الأجفان بالـــسهر

[145/ب]

(١) – قامرته: فامرته ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٢) – هذا الغزل بالمذكر مجون يرفضه الدين والفطرة السليمة والذوق .

(٣) – الصغر: الصفر ، في (أ) ، وما أثبته من النسخ الأخرى ، ولا يستبعد أن تكون (الصّفر) الصواب، لأن التصفير نوم الغداة عند أهل البادية ، سمعته منهم ، ولم أجد ذلك في المعاجم ، كما سمعتهم يطلقون (الصّفْرة) على وقت اصفرار الشمس عند الغروب.

مضت كـــأمس فـــلا ترجـــو وهل يعود زمان الصفو بالكدر
فهذه عوضاً عنها فكـــن فطنـــا ولا تقس خرز الأيـــام بالـــدرر
ما الدهر بـــاق ولا الأحـــوال فانظر لنفسك يا هذاك واعتبر[١]
واصبر فدنياك هذا حال ساكنها ولا تخض في بحار الهمّ والفكَـــر
ولا تكن من سواد الـــشعر في فالشيب لم يبق مُسْودًّا ولم يذر[٢]
هذا الذي اختـــاره الـــمولى ولا فرار لإنسان مـــن القـــدر

وقال - سامحه الله - وقلت أيضاً [٣]:

يا باخلاً بالوصـــال في زمـــن كنت بثوب الجمـــال تفتخـــر
تتيه عجْباً في ثـــوب عاريـــة قد أصبح الآن مـــا لـــه ثمـــر
وإن وَعَدْتَ الـــمحبّ تخلفه وهو لما قد وعـــدت ينتظـــر
ومذ تعبّثـــت زرتنـــا عبثـــا بغـــير داعٍ وأنـــت محتقـــر
فما لنا فيـــك رغبـــةٌ أبـــدا ولا لنـــا حاجـــةٌ ولا وطـــر
فانظر لـــــمرآك في مرايتـــه واقبل فإن العـــذار يعتـــذر[٤]
كم عاشق فيك كان ذا شغف فـــؤاده مـــن جفـــاك يـــستعر
واليوم أضحى بـــضدّ حالتـــه لـــمّا بدا في خدودك الشعر[٥]
وصـــار إن مـــرّ في محادثـــة ذكراك منـــه الفـــؤاد ينفطـــر
وإن تكلمـــت مـــا لـــه أذنٌ وإن تراءيت ما لـــه بَـــصَرُ[٦]

وقال - عفا الله عنه - وقلت أيضاً :

١٤٦/أ

---

(١) – هذاك: هذا ، في (ج) .
(٢) – مسودّا: سوادا ، في (ج) و (د) .
(٣) – هذا أيضا من الغزل بالمذكر الذي تأباه الفطرة السليمة وتمجه الذائقة،وهو مما يرفضه العرف والدين.
(٤) – مرايته : مراتبه ، في (ب) و (ج) و (د) .
(٥) – بضد: بصد ، في (ج) و (د) .
(٦) – بصر: بطر ، في (ج) و (د) .

إن بَحْــــر الغــــرام صَـــعْب | كم أعاني فيه الهـــوى وأقاســـى
هذه حالة الـــمحبّ ولكـــن | هى في الحب غايـــة الإينـــاس
يا عذولي ما لـــمْتني فيـــه إلا | بفـــؤاد مـــن الـــبلادة قـــاس
أنت لو ذقـــت كـــأس ودّي | لي حواشيك من سلافة كاســـى
ولو اشـــتقت مثـــل شـــوقي | في الهوى بيننا بـــديع الجنـــاس
ولو اعتدْت ما تعـــوّد قلـــبي | فيه يا صاح لأتَنَسْت ائْتنَاسى[1]
إنما أنت ما سلكت ســـلوكى | في التـــــصابي ولا اقتبـــــست
فلهـــذا يـــا عاريـــاً وخليّـــا | منه تلحي فيـــه مليّـــا وكـــاس

وقال : وأرسل إليّ بعض الأصحاب ثلاثة أبيات على طريق المداعبة فقلت :

يا روح جسْم المجد والإفضال | وضــــياء عـــيْن الـــــمجْد
يا أوْحد الأمثال دمْت وأنت | ـــعلياء تدعى أوحد الأمثال[4]
وافى إلى خدن المحبة ما جلـــى | باللطف منك صدى وجوه جمالي
أبيات شعر بل رياض نزاهـــة | بل روح راح للفهـــوم حـــلال
إن قلت رقّ نظامها فزهـــا لي | أو قلت راق مدامها فحلا لي[5]
نزّهت فيهـــا القلـــب نزهـــة | في حسنها وكلاهما شـــكرا لي
ورشفتها سمعا كمرتشفي لهـــا | ذوقا فبالسكرين سرّك حالي[6]
جاءت ثلاثاً كي يقابل عـــدها | شمسي وبدري والسراج التـــالي

---

(١) – إئتناسي: إيناس ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٢) – اقتبست: اقتبت ، في (د) .

(٣) – روح: ورح ، في (ج) .

(٤) – يا أوحد: يأوحد، في (أ) و (ب)، و(واحد) في (ج) ، و(ياوحد) في (د) ، ويستقيم بما أثبته، إذ الاختلاف في الرسم الإملائي .

(٥) – فزها لي: فزهى الي ، في جميع النسخ ، ويستقيم بما أثبته.

(٦) – كمرتشفي لها:كرشفي لما،في (ج)، و(كرتشفي لما) في (د)، فبالسكرين: فبالسكرني، في (د)،وموهمة في(ج).

١٤٦/ب

جلّت وإن قلّت مباني لفظهـــا وعلت ومنشؤها العزيز الغــالي
بـــهرت براعتها بمظهر قولها ظهر الجمال مقنّعاً بكمـــال[1]
في ضمنها سحر البيـــان قــد وكساه نور السر ثوب جمــال
فوقفت وقفة حائر أترقب الـــ ـــمرمى فتخطى أسهمى ونبالي
والسحر ينشد ما طواه السر فعلى وفعل السحر غير فعالي[2]
ووجدت ما أكديت في إظهاره فكري من الـــمعنى بعيد منـــال
أَخْفَى من السرّ الـــمـــصون وأدقّ من طيف الكرى لخيـــالي
فرجعت أمشي القهقرى عـــن رَهَباً لتقصيري وضـــيق مجـــالي
يا سيّداً وقفت بميدان الثنـــا والـــمدح دون عـــلاه خَيْـــل
وبأيّما أثني على عليـــاك مـــا زال الثناء لهـــا قنـــاع كمـــال
قنّعْتني بكمال مـــا بـــرْقعْتني بجماله فاشـــهد كمـــال جمـــالي
فأنا الــــمقنّع والــــمبرقع دمتم وكان جمـــيلكم ســـربالي

وقال – بلغه الله الآمال[4] - وقلت مخبراً عن واقعة حال :

لقلبي ما بين السلامة والــــمثنى فرادى شجون يقتفي إثرهـــا مـــبنى
وبالسفح مـــن ذاك الحمـــى لي صَبَا نحوها قلبي هوى ولهـــا حنّـــا
بواعث وجْد تستحثّ حشاشتي لساحتها الفيحا وروضـــتها الغنـــا
يمينا لقد مدّت إليّ من الجـــوى يمينا تلاها بالحـــشا يـــسرةً يمـــنى
على أنني ما طُلتُ منها بطائـــل ولا نلت فيها لا قرارا ولاســـكنى
ولا بلغت نفسى مناها ولا قضت بـــها مشتهاها لا شهوداً ولا معنى
ولا غازلت غزلانـــها مقلتي ولا سمعتُ بمغناهـــا نـــشيداً ولا مغـــنى

١٤٧/أ

---

(١) – بـــهرت: أبرت ، في (ج) ، و(لبرت) في (د) .
(٢) – طواه: طوه ، في (ب) و (د) ، فعالي: فعال، في (أ) و (ب) و (د) .
(٣) – خيل: خبل في (أ) ، و(حبل) في (ب) و (ج) و (د) ، ويصح المعنى بما أثبته .
(٤) – في (ج) (رحمه الله تعالى).

ولا خلت للـــشجوى خلـــيلاً بـــها لا ولا أَلْفيْت إلفاً ولا خـــدْنا

حللـــت بــــــهاتيك النـــوادي عيوني ما فيهنّ من روضـــة غنّـــا[1]

ووافيت ساحات الحمى وربوعه وجزت اختبارًا للحمـــى الـــسهْل

وحسبيَ منها عتْب بانات روضها وأطيارها إذ كل طير رقى غصنا[2]

عتاباً من الأغصان يوقد زفـــرتي وزجرا من الأطيار يـــورثني حزْنـــا

تقول وقد مالت بما خامر الصَّبا معاطفها لمْ لا تميل كمـــا ملنـــا[3]

ألم تر نفْحات الـــصَّبا تـــستميلنا فكن معنا واحذر تكون بلا معنى[4]

وخذ لك من أعطافنا بعض رقّـــة وللرقص خذْ من خَزّ أوْرَاقنا ردْنا[5]

وتزجرني وُرْقُ الرُّبا بلحونـــــها وتعرب بالتغريد عن سجْعها اللحنا

مُعاتبةً إنّا نـــراك بـــلا شـــجى ألم يشْجك الـــــمغنى ألم يـــدْعك

دعتْك دواعى سكْرنا لـــمقامنا فَدَعِ عنْك هذا القيْد يا صـــاح أو

أما لك قلبٌ يعرف الحب مثلنـــا أما لك أذنٌ ثَمّ تـــسمع مـــا قلنـــا

عجيبٌ تـــرى ســـيما الخلاعـــة عليك وما تبديه إنّ لـــذا شـــأنا[7]

فما زادني في الزجـــر والعتـــب سوى حسرة يزداد قلبي لها غبنـــا

ولو علم الروض النضير شكايتى وأيقن طير الروض ذلـــك أو ظنّـــا

لـــما مال غصنٌ في الربا ســـيل لحزني ولا الطير الغريد بـــها غنّـــى

ولـــمّا انتهى عتـــب الريـــاض بدا لي جوابٌ لا يُـــدس ولا يكـــنى

فقلت صه يـــا روض طوّلـــت فعتبٌ بلا داعى له يوجب الـــشحنا

١٤٧/ب

---

(١) – حللت: طلت ، في (ج) و (د) .

(٢) – كل: كار ، في (ج) و (د) .

(٣) – خامر: ضامر ، في (د) .

(٤) – فكن: فكني، في (أ) ، و ما أثبته من (ب) و (ج) و (د) .

(٥) – للرقص: للروض ، في (ج) و (د) ، خز أوراقنا: خز أورافنا ، في (د) ، وبياض في (ج).

(٦) – المغنى: الغنى ، في (ج) و (د) .

(٧) – تبديه: نبديه ، في (ج) .

وعتْبك عتْبٌ لم يطـــابق دلالـــةً ... معى لا التزاما يستفاد ولا ضـــمنا

فسل عن شـــؤوني قبـــل عـــتبي ... وجـــوه شـــؤوني واختـــبر حالـــة

ومـــا ذاك إلا أنّ لي أخ صـــبوة ... رقيق حواشى الطبـــع في الحـــسْن

رقيقٌ رفيقٌ بي على كـــل حالـــة ... صديقٌ يواليني المحاسن والحـــسنى[١]

دعاني وإيـــاه رفـــاقٌ لنـــــزهة ... بذات الربا (المثنى) عليها الحيا أثنى

فجئنا إلى روض الطويلة حسبما ... دعونا إليه حيث مجلسها الأهنـــا[٢]

ومن حين وافيناهم كان حظّنـــا ... لديهم بأنـــا لا نقـــيم بكـــم هنّـــا

ولكنما نمضي إلى الصافح الذي ... بشهرته في الحسن عن وصفه أغـــنى

محلٌّ أنيقٌ جـــامعٌ كـــلّ رونـــق ... به تريا أضعاف ما حوت الـــــمثنى

وقوموا بنا لا نـــستهلّ براعـــةً ... لنـــــزهتنا إلا بأجملـــها حـــسنا

هلمّا بنا نجلو قـــذى مقلتيكمـــا ... بما ليس تحْوي بعضه الغادة الحـــسنا

فقلنا نعم قوموا بنا حيث شـــئتمُ ... أنا ورفيقى لا إلى حيث مـــا شـــئنا

تقـــدّمنا منـــهم نبيـــلٌ وكلّنـــا ... تبعْناه كالعميان في الليلـــة الـــدكْنا

وقالا انظرا هذي خرابة أحمـــد ... وآثار ما فيهـــا مـــن الحـــسن في

وهذا محلٌّ كان في الأصل قاعـــةً ... فلا سقف أبقى الدهر منها ولا ركنا

وهذا أغان كم أقام بـــه الهنـــا ... مظاهر أنس واستقام بـــه مغـــنى[٤]

وهذي أساطين لقد كان فوقهـــا ... مشيّد إيـــوان ومـــا مثلـــه يـــبنى

وهذاك بابٌ للـــصعود وســـلّمٌ ... به ينتهى الراقى إلى المجلس الأســـنى

وفي المنظر المذكور آثار بركـــة ... بشَاذَرْوَان نشْـــره يخْجـــل المزْنـــا[٥]

١٤٨/أ

---

(١) – رقيق رفيق: رقيق رقيق ، في (ب)، و(رفيق رفيق) في (ج) و (د) .

(٢) – حيث: ميث ، في (ج) و (د) .

(٣) – وقالا: وقال ، في (ج) ، هذي: هذا، في (ج) و (د) ، في المبنى: والمبنى ، في (ب) و (ج) و (د).

(٤) – (كم) ساقطة من (ج) ، (أغان) هكذا ، وقد أشكل عليّ معناها و لم أجدها في المعاجم، فلعلها كلمة أعجمية أو عامية، أولعله أراد بـــها (مغان) جمع مغنى .

(٥) – الشاذروان : بناء قصير يحيط ببركة الماء في أعلاها من خارجها ، ومنه شاذروان الكعبة.

مرخّمةٌ قد كان يزهو رخامهــا ... على الروض في تفويف ألوانه حسنا

وما زال يكدي الــسمع مــن ... بــهذا وهذا ما أصمّ ومــا عنّــى

كأنا دخلنا جنّة الخلْد وارتقــى ... بنا جنّة الفردوس نلْنا بــها الحسنى

على أنــّها دارٌ دهتْها يد الــبلا ... وحـــطّ بـــــها أقــصى الــدوائر

محا رسْمَها طول الزمان وخطْبــه ... وأسكنها من بعد إيناســها الجنّــا

غدت طلــلا في بلقــع الأرض ... وقد كان ما أعلا ذراها وما أسنى[2]

خرجنا ومنّا الحال ينطــق إننــا ... خرجنا وإنّا ظالــمون إذا عــدنا[3]

رجعنا وفي آمالنا بعــض علقــة ... لــما وعدونا وانحــدرنا وســنّدنا

١٤٨/ب

وعجْنا على سفْح بجانب جدول ... من الماء يستهزي بنا عندما عجنا[4]

يقهْقهُ لــــمّا أنْ رآنــا جماعــةً ... عدمْنا الــذكا والــذوق والفهْــم

وقال تركتم ما استتمّ لجمعكــم ... به الأنس والشجوى وجئتم لـــما

فقلت مجيباً أيها الجــدول اتّئــد ... ودع عنك ذا اللوم الصريح وعذّرنا

لنا رفقةٌ قــد قلّــدونا صــنائعاً ... من البرّ ما قد أعقبوهــا لنــا مَنّــا

أشاروا إشارات فقمنــا بحقّهــا ... لهم تقتفي الآثــار حــتى توصّــلنا

دعونا أجبناهم فقــاموا بحقّنــا ... وساروا وسرنا مقتــدين وقلّــدنا

فإن يك قد صارت فضيعة مذنب ... فهم أصلها والله ما صــدرت عنّــا

هُمُ عَهَدوا هذي الربا غير مــرّة ... أقاموا بــها أنْسًا وهــاموا بــــها

ونحن جهلناها ولم يكُ قبــل ذا ... لنا بالحمى عهدًا فانــصفْ وســلْ

وهذا الذي قد صار منّا ومنــهمُ ... ولا نحن زخْرفنا عليهم وموّهنــا[1]

---

(١) – (دهتها) موهمة في (ج) و (د) .

(٢) – (في بلقع) بياض في (ج) وموهمة في (د) .

(٣) – ظالمون: الظالمون ، في (ج) .

(٤) – اقتضى الوزن تسهيل همزة (يستهزئ) .

(٥) – (هذي) موهمة في (ج) و (د) .

(٦) – عهدا: عيدا ، في (ج) و (د) .

فلما رأوا من جدول الماء ما رأوا أقاموا لنا البرهان إن الغـــوي منّــا

وقام جدالٌ بيننـــا لم نقـــف لـــه على طرف حتى استقاموا وبرهنّــا

فلمّا انجلى للروض صبْح مقالنـــا وصحّ لدى أطيارها صدْق ما قلنا(٢)

تـــهادت أماليد الربا رأفةً بنـــا وعطفًا وإشفاقًا علينا لـــــما نلنـــا

وناحت ذوات الطوق من كـــل حنانًا لنا رفقـــاً بنـــا حُزُنًـــا معنـــا

فهذي تسلّينا الهموم بـــسجعها وهذي تناسينا بتغريـــدها الحُزْنـــا

وهذيك تشجينا بحسْن هديلـــها وتلك تناجينا بأشجانــــــها لحنـــا

فعمّا قليل أقشعت عـــن قلوبنـــا سحابة همٍّ وانجلـــى غمّهـــا عنّـــا

وعدنا إلى طبع الخلاعة والـــصِّبا وما قد عهدنا من عوائدها الحـــسنى

وملنا إلى الشجوى إلى حيث مـــا يميل بنا حيث الشجون وقد همْنـــا

١٤٩/أ

وقال سامحه الله تعالى(٣) :

ما ادّكارٌ لمَنْ نأى واشتياقٌ لمَـــنْ رحـــلْ

ووقوفٌ بالانتحـــا ب على الرسم والطَّلَل

مجـــديًا ذا صـــبابة خطبُه في الهوى جلـــل

مغرم القلب هائمًا لبّه بـــالجوى اشـــتغل

شـــاحب الجـــسم شفّه السقم فانتحـــل

شاخص الطـــرف بالكرى قط ما اكتحل

ها أنا ذلك المعنـــ ـــنى وعنّي فلا تـــسل

وحبيبي الذي ثوى في الحشا حبّه وحـــلّ

شادنٌ طال هجره وتمادى وما وصـــل(٤)

---

(١) – قد: ساقطة من (د) .

(٢) – أطيارها: الأطيارها، في (د) .

(٣) – في (ج) (رحمه الله تعالى).

(٤) – شادن: شاذن ، في (أ) و (ب) و (د) .

كلّما رمت قربــه	طوّح الوعد للأجــل
صـــرت مـــضنى	وفؤادي علـــى وجــل
أشتكي لوعةً بــها	وهج القلب واشـــتعل
قلّ صبري وحيلتي	مـــا بقـــى فيّ محتمــل
لــــست أدري إلى	ذا التواني وذا الـــمهل
آه يا صاح لو ترى	مقلتاك الذي حـــصل
آه لو أن نظـــرْتني	آه مـــا تـــبرد الغلـــل
منذ فارقت ربعكم	وتناءى بي الـــمحل[1]
أنا في جنة الـــمنى	ورفيقى بـــها الأمـــل
قوتي الجود بالـــمقا	ل وبالغمز بالـــمقل[2]
وزوال الظما بمـــا	(في التّعلات من بلـــل
والأمـــاني تظلّـــني	بـــرواق لـــه ظلـــل
هي لابـــدّ ربّمـــا)	وعسى بعدها لعـــل[3]
روضتي غرســـها	ريّـــها ماطر الحيـــل[4]
كلما جادها الحيـــا	وبـــــــها انـــــــهلّ
أثمرت لي يوانـــع	ـــحدج ريان كالجعل
وأنا شاكر النـــوا	ل الذي قـــطّ لم ينـــل
أجتني داني القطـــو	ف مـــــن الكـــــدّ في
وإذا قلت ليس لي	في المثوبات من عُمـــل

١٤٩/ب

(١) – (تناءى بي) موهمة في (ج) ، ،(تنانى بي) في (د) ، المحل: امحل ، في (ج) و (د) .

(٢) – (قوتي) موهمة في (ب) و (ج) و (د) .

(٣) – ما بين القوسين ساقط من (ب) و (ج) و (د) ، لانتقال النظر .

(٤) – ريها: ربـــها ، في (ب) و (د) وغير منقوطة في (ج) ، الحيل: الحبل ، في (ب) و (د) وغير منقوطة في (ج).

(٥) – في العمل: والعمل في (ج) .

وهبوا لي من العدا ... ت الغزيرات بالنحل[١]

وإذا قلت لم يكـــن ... لي قليــــل ولا أقــــل

حوّلوا لي على الخيا ... لات بالحَلْي والحُلَل

وأفاضوا وأفضلوا ... بالتفاصــــيل والجمـــل

وأداموا فيوضـــهم ... عللا يعقـــب النـــهل

تخذوا الجود ديدنا ... لم يملّـــــوا ولا أمــــلّ

شهدوا لي ســـوابقا ... وهموا أنــــها عقـــل

عقلوها بلا حجـــا ... نظروهـــا بـــلا مقـــل

وهي ضرب مـــن ... ن إذا حققوا اضمحل

في زمان قد انقضى ... بمـــــساويه وانخـــــزل

زمن الكيد للكـــرا ... م والاعـــزاز للـــسفل

زمن القهر للأكـــا ... بر والفخـــر للخـــول

هي أيام جمع بـــهرا ... م والشمس مع زحـــل

حيـــــث ضـــــاقت ... دارة الحوت والحمـــل

والنحوسات قابلت ... منهم عضلة العـــضل

جذبته إلى الحضيـــ ... ـــــــض مــــن الأوج

فعلت فيه بـــالعكو ... س الذي فيه فانفعل[٣]

كلما رام يرتقـــي ... بـــسفاهاته ســـــفل[٤]

وهو في ورطة الخيا ... لات في الـــــشكل في

يجتني الذلّ والصغا ... ر بأفعالـــــــــه الأول

١٥٠/ب

---

(١) – (الغزيرات) موهمة غير منقوطة في (ج) و (د) .

(٢) – جذبته: حذبته ، في (أ) ، وموهمة غير منقوطة في (ب) و (ج) و (د) ، ويستقيم المعنى بما أثبته.

(٣) – انفعل: انفصل ، في (ج) .

(٤) – بسفاهاته: سفاهاته ، في (ج) .

(٥) – ورطة: روضة ، في (ج) ، و(روطة) في (د) .

بذر الشرّ فــاجتنى	غرسه وفق مــا فعــل
لم يزل من فــساده	نجس العــين لم يــزل
مارقٌ عـــن يقينـــه	ومن الدين قد نصل[١]
وصل البغي بالفجو	ر وفي غيّــــه اتــــصل
زهدت نفسه الهدى	طلبت نفسه الــضلل
ضلّ عن رشده وما	ضلّ إلا وقـــد أضــل
أين إبليس منه إن	قام للـــشر وانفتــل[٢]
يفتل الريح بالدها	يصبغ القول بالعمــل
قد تحلّــى بكذبــه	وبإعجابـــه اشـــتمل
وتعـــالى بكـــبره	وهـــو مـــن أســـفل

١٥١/أ

وقال – سامحه الله تعالى[٤]- والتمس مني بعض الأصحاب هذا الحميني :

حرمت من مــدخلي القاعــه	وصرت جــالس ورا البـــاب
أعطيت من اعــشق الطاعــه	ولا أبــــالي بأصــــــحابي[٥]
والـــنفس بالـــصد ملتاعــه	ولا درى هـــاجري مـــا بي

بيت

كم مر لي مــن لقــا حــبي	ســـاعات أنـــسى وأفراحـــى
وكم تعاطيـــت مـــن شـــربي	أجلـــو بـــه شمـــس أقـــداحى
وكم وصـــال وكـــم قـــرب	في غفلـــة الأشـــنع اللاحـــى

---

(١) – مارق: طارق ، في (ج) و (د) .

(٢) – أين: أدنى ، في (ج) ، انفتل: اتصل ، في (ج) و (د) .

(٣) – بعد هذا البيت فراغ لخمسة أبيات وضعت فواصلها في (أ) ، كذلك ترك بقية الصفحة بياضا في (ب) و (د) ، وترك كذلك بياضا نصف الصفحة التالية في (أ) و (ب) و (د) .

(٤) – في (ج) (رحمه الله تعالى) .

(٥) – أعشق: أعشقه في جميع النسخ ، وهو ما لايستقيم به الوزن ، إذ يستقيم بما أثبته ، أو (أعشقه طاعة) .

١٥١/أ

لابس مـــن العـــشق درّاعـــه　　والطّرمخـــــه نـــــسج أثـــــوابي

بيت

لو شفتني ماســـك التّبُّـــوت　　بعد العـــشا رايـــح الـــسمْرَه
وخلتني في الزقـــاق مبْهـــوت　　أختال مـــن بوخـــة الـــسكْرة
والوجه مني شـــبيه التـــوت　　والـــمخ قطره علـــى قطـــره
عرفت في الحـــين والـــساعه　　إني طريــــد الهـــوى صـــابي

بيت

حب المليحه ضـــنى جـــسمي　　هـــــذا نـــــصيبي ومكتـــــوبي
وقـــد محـــا بعـــدها رسمـــي　　ولا قـــــضت لي بمطلـــــوبي
وحـــسنها منتـــهى علمـــي　　وذاك نقلـــــي ومـــــشروبي
لو خلتها حين تقـــول عاعـــه　　لصار لـــك في الهـــوى مـــا بي

وقال سامحه الله تعالى :

تَاقَتْ قلوب العاشقين إلى اللقا　　ففنوا غراماً في الجمال المنتقـــى
فتفيّأوا ظـــلّ الوفـــاء بقربـــه　　حبًّا فكان فناؤهم عـــين البقـــا
ياحسْنه والحسن يشهد أنّـــه　　ملكٌ على تَخْت الكمـــال قـــد
ملك القلوب جَماله بمحبّـــة　　أخذت على كل القلوب الموثقا
هو واحدٌ في الحسن حقّ أولي　　أن يعشقوه وحقّـــه أن يعـــشقا

١٥٢/أ

من ذاق طعم الحب لم يعـــدل　　بدلا ومن يعدل به لقي الـــشقا
دارت حُميَّـــــا الحـــــب في　　ملأى على العشاق والـــساقي

وقال أيضاً:

أفديه ممشوق القوام معـــشّقا　　أزهى من الغصن الرطيـــب
يثني معاطفه الـــدلال فينـــثني　　قلبي إليه تلـــهّفًا وتـــشوّقا

أرأت عيونك قبل قامة قـــدّه   بلّور غصن بالمحاسن مورقـــا
أو أنّ أمْلود الرياض وإن زَهَا   هلاَّ يثمِّر قطّ بدرا مشرقا[1]
فلقد جلا لك مـــن مطـــالع   وجهًا به ماء الشباب ترقرقا
قمرا يروقك بـــهجةً ونضارةً   ويـــضيء إشـــراقاً ويزهـــو

وقال أيضاً:

جَلَتْ صبْح مرآها بليْـــل شـــعور   وقد تركت لبِّى بغير شـــعور
أرانيَ منها الحـــسن كـــلّ غريبـــة   تـــوفّر لي أنـــسى بـــــها
بدت فأرتني الضدّ قابـــل ضـــدّه   سدوف ظلام حول باهر نـــور
وماست تـــهادى في غلائل حسنها   كأملود بان ماس بين زهـــور
يرنّح منـــها الـــدلّ أيّ مهفهـــف   ويعطف منها الزهو أي نضير
تغازلني لحظًـــا بأجفـــان جـــؤذر   فينفث منـــها الـــسحر نحـــو
وتبْسم لي بـــشْرا بثغـــر مـــنظّم   به الدرّ في الـــــمرجان بـــين
علـــى أنـــــها جـــادت بوصـــل   تمادت على هجري بطول نفور
صبرت لها إذ ذاك مـــستعطفا لهـــا   وإن كنت في العـــشاق غـــير
فوافت ويثنيها عن الوصل عجبها   ويعطفهـــا في الحـــسن وهـــو
وآثَرَت البقْيـــا علـــيّ بوصـــلها   لأني لها في الحب غير كفور[5]
كلفت بـــها والقلب من نـــشوة   تـــميل به الـــشجوى لكـــلّ
وهمْتُ بـــها والعمر غضٌّ وصبوتي   تطالبني في حبّهـــا بغـــروري

١٥٢/ب

(١) – هلاَّ: هل، في جميع النسخ ، وقد كتب العجز كله بخط واضح لا لبس فيه، خاصة في (أ) و(ب) ، ولا يستقيم الوزن بذلك ، ولعل الصواب ما رأيته فأثبته ، مشرقا: شرقا ، في (ج) و (د) .
(٢) – يضيء: يفيء ، في (ج) و (د) .
(٣) – توفر: توقر ، في (د) .
(٤) – (يثنيها) غير منقوطة في (ج) ، عن: على ، في (ج) .
(٥) – (وآثرت البقيا) موهمة في (ج) .
(٦) – تميل: يميل ، في (ب) و (ج) و (د) .

وقمت رضًى في حبّهــا لجمالهــا لغيْظ عذول أو لبسْط ســـرور

وأهوى هواها إن تناءت وإن دنت بقلْب عليها من سواه غيـــور

أغار عليها أن يلمّ بــــــها الــصَّبا ويعْلق من أرْدانـــــها بعـــبير

وأغشى لـــها الغمرات إن حـــال شجَارُ عَوَال أو مَثَـــارُ مغـــير

وأعشو حماها طالـــــبًا لوصـــالها بباع لـــما قد رمت غير قصير

وإن حكم الحسن الـــمدلّ بصدّها وحجّبـــــها الإدلال خلـــــف

رضيت بما ترضى ولم أك في الهوى لـــما يقتضيه الحـــسن غـــير

فقلبيَ مأواهـــا وعـــين ضـــمائري تشاهدها في غَيْبـــة وحـــضور

وقال رحمه الله تعالى :

أيها الجامح عنِّـــى مُعْرضـــا نابذًا عهْد مـــوالاتي انتبـــاذا[٢]

هات قلْ لي ما عدا مـــمّا بدا يا حبيبي ما الذي أوجب هذا[٣]

جفوةٌ منك ولا ذنـــب لهـــا تركت قلْبيَ بالـــصدّ جـــذاذا

أنت آثرت القلا بعـــد اللّقـــا فعلى ماذا التجافي ولـــــماذا[٤]

حالف الـــشوق الجـــوى في والنوى قابلني منـــك وحـــاذا

طارت النفس شعاعاً شـــغفا وانبرى سهم الضنا فيّ نفـــاذا[٥]

ونأى صبري وعزّت ســـلوتي بعد أن كـــان لـــــيَ الـــصبر

وأنا اليـــوم مـــشوقٌ مغـــرمٌ بك أهمى الدمع وبْـــلاً ورذاذا

ساهدٌ أرعى السها مـــسترعيا لي من حسنك جـــاراً ومعـــاذا

لائذٌ بالحسن من صـــدّك يـــا كامل الحسن ادعُ من بالحـــسن

---

(١) – المدل: الدل ، في (ج) و (د) .

(٢) – موالاتي: مولاتي ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٣) – مما بدا: عما بدا ، في (ج) ، و(من بدا) في (د).

(٤) – آثرت: آثر ، في (ج) .

(٥) – (انبرى) موهمة في (ج) و (د) ، الضنا: الفنا، في (ج) و(د) ، نفاذا : نفادا ، في (ب) و (د) .

(٦) – نأى: نار ، في (د) .

أدرك أدرك مهجةً ذابت أسى بعد أن طابت بلقياك الْتــذاذا
وتدارك ما بقى مــن رمقــى وانتقذني من يد البعد انتقــاذا

وقال أيضاً:

وبغْيَة لم أزل أرعى الزمان لها وأرْقب الحظّ أن يقضى تنوّلهــا[١]
تــمّت بلا طمع منّــى بــلا لها بنوع احتيال أن أحــصّلها[٢]
في ساعة قد صــفا للــروح وبُلِّغَتْ من هواها النفس مأملــها
بخلسة خلصت لي فاغتبطــت غاب العواذل عنها والرقيب لهــا
لله ما كان أغلاها عليّ وأحـــــلاها لديّ وأصــفاها وأجملــها
ما كان أنفسها عندي وآنسها بجمع شمــل مــسرّاتي وأشملــها
حيث اتصلت بمن أهوى وقــد إليّ يــا حبــذا منــها توصّــلها
تــسهّلت بعــد أن كانــت يا حسنها عندما أبدت تــسهّلها
وأقبلت والصبا يثني معاطفها بقامة جلّ مــن بالحــسن عــدّلها
فقمت مــستقبلا بالــشوق علــيّ ملتثمــاً منــها مقبّلــها[٣]
مــمتّعا ناظري من وجههــا لو لاح أو لــــمحته الــشمس
فضاع ما بيننا عقلــى وقــد روحى بــها شغفا والقلب طار لها
وغبت عنّي وعنــها ذاهــلا ما تــمّ لي عند لقياها فأذهلــها[٥]
ولست أدري وقــد وافــت أهل تدلّت لقربي أو سمــوت لهــا

وقال سامحه الله[٦] :

١٥٣/ب

---

(١) – بغية: بقيت ، في (ب) و (ج) و (د) .
(٢) – تــمّت: تــحت ، في (ج) و (د) .
(٣) – ملتثما: ملثما ، في (ج) و (د) .
(٤) – ناظري: ناظر ، في (ج) ، و(ناظره) في (د) ، لو لاح: ولو لاح ، في (د) ، لمحته: لمحة ، في (د) .
(٥) – فأذهلها: فأدهلها ، في (ب) و (د) .
(٦) – في (ج) (رحمه الله تعالى).

حمارنا يا بلال   قـــــدّ   وفـــك كـــل   واصبح
ما الرأي مــا   هــــذا   ماضـــل هـــذا   لو لـــه
مالـــه مـــن   إلا   وصـــيحته في   والناس
ولا حموله ثقال   في   وفي البلد مــا   ظهـــره

بيت

دايم عليقـــــه   بين الحمير   رابض وياكل   مثل البقر
ما الفيل معـــه   إلا حقير   واسأل بـــهذا   عنده الخبر
ظهره كأنـــه   مثـــــل   وفي مـــسيره   عـــون
هذا شـــروده   والاّ ملال   أصابته لا محال   عـــين

١٥٤/أ

بيت

قد كـــان في   هـــو   أقـــضى بـــه   إلى
تزهـــو بـــه   في   ســـــريع في   مابـــــه
فاعتبـــــه في   لا   وعامله بـــالتي   في ذا
ألـــن لـــه في   قل لـــه   هذي حبالك   علّــــه

بيت

ورغّبـــه يـــا   بما تجيد   قل له جعل لك   الحْـــقْ
أَكْلهْ ولـــو في   ما هـــى   فما على ذا مزيد   أســـرع
وإن تـــــأبّى   حـــضّر   واضربه ضـــرباً   واكـــرم
نوّع عليـــه   ولا تبال   واشمـــت عليـــه   حـــتى

وقال وقلت أيضاً :

وربّ إكديش ضنا جـــسمه   برد جفا الأكل وحرّ الشعير(٢)

---

(١) – ملال: طال ، في (ج) و (د) .

(٢) – الإكديش : نوع من الحمير هجين.

نحيل جسْمه قد براه الهـوى — يكـاد مـن رقّتـه أن يطـير
حليف أشـواق لـمخلاته — لكنـه يكتمهـا في الـضمير
لو محّص السائل عـن حالـه — لقال سقمى من فراق الـشعير

وقال وقلت أيضا :

١٥٤/ب

نظرت لإكديش الحبيب محبّةً — بعين انتقاد في حلاه وتفتيش[1]
فشاهدت منـه مـا يـروق — شهود شجىٍّ بالمحاسن منعـوش
أراني فـصوص التـبر في رقّ — منقّشةً في ظهـره أيّ تنقـيش
جواداً يجاري الـريح سـبقاً — يخيّل ركضا أن يطير بلا ريـش
يهيم بمخلاة العليـق صـبابةً — إذا وصلته في المساء بمجـروش
وأعجبني إشراق تلوين جلده — فشبّهته في الحال تشبيه مدهوش
فعذرًا لتشبيهى لـه متـهاونا — برقعة شـطرنج علـى ظهـر

وقال غفر الله له :

يا صاحبي يا عـديم الـذوق — الله يحيـى الـذي يفـرق
أجيك من أسفل تجى من فوق — تروح مغـرب وأنـا مـشرق
سقْتْ البلاده لنفسك سـوْق — تظـن أنـك بـها تـسبق
وتـدّعى إن عنـدك شـوق — وأنـت بالحـب متخلـق

بيت

فعنك قـد أعيـت الحيلـه — عجـزت والله في طبّـك[3]
زرعـت في الطبـع ذا نيلـه — أو لـحْست السلحفا قلبـك
فتّش لقلبـك مـداوي لـه — وريّـح النـاس مـن سـبّك

---

(١) – حلاه: طلاه ، في (د) وبياض في (د) .
(٢) – فعذرا: معذرا ، في (ج) و (د) ، (لتشبيهي) مهمة في (ج) ، متهاونا: منها ومنا ، في (ج) و (د) .
(٣) – فعنك:معنك، في (ب) و(د)، و (تعبت فيك) في (ج)،عجزت: أعجزت،في (ب) و (د)، طبك:طلبك،في (د).

١٥٥/أ

لو كان لاذان راسك روق ... كنا نقول ثور متنهق[١]

بيت

صاحب كريم يلبسك حسنه ... وسرّ حسناه يسري فيك

وتعرّف الفن من فنّه ... وهو إلى طرقه يهديك

أما اللئيم ما عليك منّه ... فإنما صحبته تزريك[٢]

اسرق لطبعك بحسب الطوق ... رقّه فطبع الكريم يسرق[٣]

وقال – عفا الله عنه[٤] – وقلت أيضا :

هَرْوَلَتْ عند مصرع الهروال ... فجعةٌ ضعضعت بناء احتمالي

يا لها فجعةً تناثر منها ... عقد صبري انتثار عقد اللآلي[٥]

كنت من قبْلها أظنّ بأنّي ... لا أراه مُجنْدلا في الرمال[٦]

فدهاني فيه الزمان بيوم ... كان للخيل فيه ضيق

وجرى الدهر بالرزيّة فيه ... راكضاً مثل ركضه في النزال

قبضت روحه بأيدي المنايا ... قبضة الذئب في يد الأشبال

فتنهدت حسرةً لعياني ... رزء نَهْد مسربل بالجمال[٨]

وجنيب يفاخر الريح سبقا ... من جنوب في عَدْوه أو شمال

وحصان حصنٌ لمن يمتطيه ... لاقتحام الأبطال بالأبطال[٩]

---

(١) – روق: ذوق ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٢) – فإنما: فإنها ، في (ج) .

(٣) – الطوق: الطرق ، في (د) .

(٤) – في (ج) (رحمه الله تعالى) .

(٥) – انتثار: انتشار ، في (ج) و (د) .

(٦) – مجندلا: منجدلا ، في (ج) .

(٧) – المحال: المجال ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٨) – (لعياني) موهمة في (ب) و (ج) و (د) .

(٩) – (يمتطيه) بياض في (ج) و (د) .

١٥٥/ب

وقال - سامحه الله تعالى[١] - وقلت :

صبرا فقد عـمّ الأنـام بـلاءُ شملت به البأسـاء والـضراءُ
وتجلدا قد قـام أعظـم مـأتمٌ عظمت به الـلاواء والأرزاء[٢]
وتحمّلا قـد أمّ أفجـع فـادح شفع الجميع لـمقتضاه عـزاء
وتقاضيا عن سوء ما افتخـرت في وقتنـا أعيانـه الرؤسـاء
قاموا وقد قعد الزمان بمن لهـم شرفٌ يقوم بـهم وهم سفهاء
طلبوا الرئاسة في ملابيس الغنى بئس الـملا فعلا وبئس غناء[٣]
جعلوا التفاخر بالقبيح شعارهم راموا به العليا وهـم سـفلاء
وتظاهروا بـالودّ ودّ مخـادع كمنت بقالب قلبه البغـضاء[٤]
وتقدموا للمجد كبْرا وهـو لا يرضـى بـهم تبعـا فـآب
عجبٌ تقدّمهم ولكنْ نكـسةٌ فيهـا تقـدّم للأمـام وراء
ونكايةٌ لبني الكرام وجـودهم وبمثل هـذا يُنْتكـى الكرمـاء
إياك تـستثني لفعـل صـنيعة من جمعهم أحدًا فهم بخـلاء[٦]
أَعْمل حروف العطف فـيهم لا ولْينفَ عطْفٌ منك واستثناء[٧]
فهمُ الوجوه ولا جمال علـيهمُ وهم العيون وفي العيون عمـاء
قرنـاء في آثـارهم خلطـاء قرنـاء في أطـوارهم رحمـاء
الخير منهم ليس يعلقه الرجـا والشرّ مفعمـةٌ بـه الأرجـاء
سحْقاً لأيّام بـها بيت العـلا خربٌ ولـلأرذال فيـه بنـاء

---

(١) – في (ج) (رحمه الله تعالى).
(٢) – مأتم: ما الم ، في (ج) .
(٣) – الملا فعلا: الأفعال ، في (د) وموهمة في (ج) ، غناء: ذا الغناء، في (ج) .
(٤) – كمنت: كنت ، في (ج) و (د) .
(٥) – يرضى: يؤمن ، في (ج) و (د) .
(٦) – أحدا فهم: أصدافهم ، في (ج) و (د) .
(٧) – حروف: حرف، في (ب) و (ج) و (د) ، ولينف: ولينق ، في (ب) ، وموهمة في (ج) ، و(ليبق) في (د) .

بعداً لها لا مقتني حمـــداً بـــــها — يُغشى بـــه للمعـــتفين فنـــاء[1]

لا موئلٌ يلجا إليـــه ولا نـــدى — يرجى لـــه نيـــلٌ ولا إعطـــاء

أبكي على العلياء من أسف كما — تبكي علـــى أمجادهـــا العليـــاء

أتنفّس الصعدا وهـــل يجـــدي — نَفَسٌ تصاعده حشا حــرّاء[2]

أدعو ولم يَسْمع دعـــاءً ســـامعٌ — لكنْ يحاكي صوتي الأصـــداء[3]

فأظل أنعي والصدى ينعي معي — هيهات ما يجدي النعـــيّ بكـــاء

فأقول أين الفضل والفـــضلاء — فيقول أين الفضل والفـــضلاء

أين المعالي أين من سادوا بـــها — مجداً وكان على الزمان بـــهاء

اين المعالي أين من تسمو بـــهم — بين الأنـــام الرتبـــة القعـــساء

مات الجميع وليس من آثارهم — باق سوى الذكرى لهم وثنـــاء

أين المعالي أين مـــن حـــسنت — دنيـــاهمُ وتوالـــت النعمـــاء

واليوم من قبح الزمان وأهلـــه — شـــغلت بـــــهجو دعاتـــه

وقال رحمه الله تعالى :

يقولون لي مـــا تحتـــسى راح — مشعشعةً في الكأس كلّلها الحبب

ولا تجتني باللثم ريحان عارض — ولا وَرْدَ خدَّيْ أغيد أَلْعَس الشنب

فقلت لهم لا إنما حزْت فـــوق — شرحتم من اللـــذات لي فقـــضوا

وقالوا : لقد ذمّيت ما شـــاع — وهدّيت ما قـــد شـــيّد العجْـــم

فبـــيّن لنا ماذا الذي فاق لذّةً — على وصفها من أن يسطّر بالذهب

---

(١) – مقتني: معتني ، في (ج)، به: بـــها ، في (ب) و (ج) و (د) ، للمعتفين: للمتعتفين ،في (أ) ، و(للمعتنين) في (ب) و (ج) و (د) .

(٢) – يجدي: يجذي ، في (ب) و (ج) و (د) ، حشا: جشا ، في (ج) و (د) ، حراء: ضراء، في (ج) و (د) .

(٣) – دعاء: دعائي ، في (ج) .

(٤) – دعاة : جمع داعي ، وهو الذي يدعو الناس ، والشاعر أراد بـــها هنا (أدعياء) جمع (دعيّ) .

(٥) – حزت: حزن، في (ج) ، و(صرت) في (ج) ، و(صرن) في (د).

(٦) – شاع: ساع ، في (ج) ، هديت: حديت ، في (د) ، وموهمة في (ج) ، ما قد: قد ، في (ب) و (ج) و (د).

فأنشدتـــهم بيتيْ نظـــام قـــد ... لهم بـــهما وجه التباين في الرتب

لكم قهوة الإنـــشا وريحانـــة ... ولي قهوة الإنشا وريحانـــة الأدب

هما قهوتا سكْر وريحانتا جنـــا ... وسكْري ومجنائى يجلّ عن الريب[١]

وقال – عفا الله عنه[٢] – وقلت أيضا أيام الحجب الذي حصل سنة ١٢٠١هـــ:

ألا هل لصحبي علم ما ابتـــزّني ... وهل عندهم عنّى بـــما نالني ذكرُ[٣]

وهل بلغ الأحباب مـــا بي مـــن ... وما بفؤادي بالنوى والنوى جمـــر[٤]

وهل حقّقوا ما لاعتقالي عنـــهمُ ... وما ذاك لي حبسٌ ولكنّـــه ســـتر[٥]

كأن شاع عنّى دلسةٌ بانتـــشارها ... شققت عصا الإســـلام أوْ ظُـــنّ بي

أعوذ بربي إنــــما هـــى منّـــةٌ ... عليّ لربي عندها انـــشرح الـــصدر

فهل تسمح الأيـــام لي بلقـــائهم ... فيغنيهمُ منّـــى عـــن الخـــبر الخُبْـــر

لقد زحفت نحـــوي الخطـــوب ... وما دونـــها عنّى حجابٌ ولا ستر[٧]

لقد كافحتني بالحوادث تنتحـــى ... لحـــربيَ أرســـالاً وأفواههـــا فُغْـــر

لقد أسهمتني بـــالهموم ســـهامها ... كأنّ لـــمرماها الحشا غرض وثْر[٨]

لقد طفحت أمواجها بي كأنـــها ... هَمَتْ بل هَوَتْ نحوي السما وطمى

أقابلها فـــرْدا ومـــا لي ناصـــرٌ ... ولا عاضدٌ عندي يُـــشدّ بـــه الأزْر

أقابل منـــها مـــا أقابـــل لاقيـــا ... لـــما لو نحـــا للـــصخر لانـــصدع

أبيت أعاني الهمّ حزنًا ووحـــشةً ... ومنْع صديق عاقه عنِّـــى الحجْـــر[١]

---

(١) – قهوتا: قهوة ، في (د) ، مجنائي: مجناه، في (ج) و (د) ، يجل: يحك ، في (د) وبياض في (ج) .

(٢) – في (ج) (رحمه الله) .

(٣) – عني: عين ، في (ج) .

(٤) – بالنوى: بالنون ، في (د) .

(٥) – ما لاعتقالي: ما لا اعتقالي ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٦) – بي الكفر: بالكفر ، في (أ) و (ب) و (د) ، وما أثبته من (ج).

(٧) – (زحفت) موهمة في (ج) و (د)، جموعها: جرعها ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٨) – غرض: فرض ، في (ج) و (د) .

[١]

أسامر لَيْلى حائراً وهــو حــائرٌ ... معى أَيُرى للّيل من حُزني شــطْر[٢]

أبثّ له مــا بي وأسمــع عنــه لي ... فيسري لقلبي مــن توجّعــه ســرّ

واعذره في صمته وهــو باهــتٌ ... لــحزني والــمبهوت قام له العذر

فاشكو اكتئابي وهو يشكو تسليا ... له السر في الشكوى ومنّي له الجهر

كأنا امتزجنا ألفةً ضمّها النــوى ... فقلبي له قلبٌ وفكــري لــه فكــر

وأما نــهاري جامحٌ لم أكن لــه ... رفيقاً ولا لي معْه عُرْفٌ ولا نكْــر[٣]

جنوحٌ لزهو فيــه عنّــي أخالــه ... كمن تاه عن حــسٍّ يمازجــه كــبر

يقابلني من وجهــه صــلفٌ لــه ... ويرمقني من عينــه النظــر الــشزْر

يفاجئني بالــمزعجات صــباحه ... وأرقب ما يأتي به الظهر والعــصر[٤]

ولكن له عندي أياد وإن جفــا ... مواصلتي أنسا يحقّ لــه الــشكر[٥]

أمدّ عيون الفكر فيمــا أرى بــه ... بباصرتي يا حسْن ما ينظــر الفكــر

أرانيَ في حبسي منيــت بقولــة ... مــموّهة عني كما موّه الــسحر[٦]

رميت بزور القول زخرفه العــدا ... عليّ فطال القول واتــسع الهجــر

بدا الــمين شخصاً للسماع كما ... لعينك فجرٌ كاذبٌ بعــده الفجــر

أراد عدوّي أن أضــام بــزوره ... ولم يدر أن الزور يعقبــه الــوزْر[٧]

صبرت لها صبر الكرام وكلمــا ... وَهَى بيَ صبرٌ عزّ لي بعــده صــبر

قطعت به الأيام قطعــاً لــشرّها ... إلى أن تجلّى نورها وانجلى الأمــر[٨]

---

(١) – (حزنا) موهمة في (د) .

(٢) – حزني: ضربي ، في (د) .

(٣) – معه: منه ، في (ج) .

(٤) – صباحه: صياحه ، في (ج) و (د) .

(٥) – أنسا: منها، في (ج) ، و(انــها) في (د) .

(٦) – منيت: ضيت ، في (ج) و (د) .

(٧) – أراد عدوي: ارا وعدوي ، في (ج) و (د) .

(٨) – به: بــها ، في (أ) ، وما أثبته من (ب) و (ج) و (د).

١

فيا حبذاها لي ويا قبحهـــا لـــه ... لي الأجر فيما قد جنى وله الخـــسر

فإن عشت لم يعلق بعرضى ريبـــةٌ ... وإن متّ يبقى لي بـــها وله ذكر[١]

على أنني أرجو مـــن الله أنـــني ... سأحْمد عقباها ويَمْتـــدّ بي العمـــر

وما هو لي كفـــؤٌ أكافيـــه إنـــه ... لأحقر قدراً أن يكـــون لـــه قـــدر

وما هو إلا فـــاجرٌ طـــال باعـــه ... بوقت كباع القـــرد قبّحـــه قـــصر

زمانٌ به يـــنحطّ قَـــدْرُ حليمـــه ... ويعلـــو إلى مـــا لا يناســـبه الغـــرّ

به الليث مقع وهو ضار مقـــذّفٌ ... وينهض فيه الكلب يردعه فهْـــر[٢]

ولكن أرى فيما يلوح لخـــاطري ... فلاح هدى يقـــضى لكـــسري بـــه

سراية ألطـــاف ســـرت لعنايـــة ... من الله فيمن شاء فيهـــا لـــه وفـــر

(بذا جرت الأقدار فيه) مظـــاهر ... لنا قد قضاها من له الخلق والأمر[٤]

رماني بـــها الرامى اعتداءً بمكره ... ألا كل ذي مكر يحيق به الـــــمكر

حوت كل مَسْخ ذاته وانطـــوت ... قبـــائح أدناهـــا الغَوايـــة والغـــدر

وما قلت كفراً إنما هـــو مفعـــمٌ ... بكل الـــمساوئ وهو مـــن دينـــه

وقال – غفر الله له[٦] – وقلت أيضا :

لي صاحبٌ مغْرى بغَمّ جليسه ... أبداً يراقب منه قَلْـــعَ ســـروره

آلَى على ألاّ يكون بمجْلـــس ... إلا على طرْد الهنـــا بحـــضوره

ما زال يَجْهد في عَنَا أصحابه ... بقليل مـــا يـــؤذيهم وكـــثيره

١٥٨/أ

طوراً يهدّ عليهمُ من شـــعره ... من كلّ بيـــت زاد في تـــدميره

ويصمّهم طوراً بكل قـــصيدة ... تفضى إلى سلْب الحجا ونفوره

---

(١) – ذكر: الذكر ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٢) – ينهض: ينهر من، في (د) ، وموهمة في (ج) .

(٣) – لخاطري: لناظري ، في (ج) و (د) .

(٤) – ما بين القوسين بياض في (أ) و (ج) و (د) ، ومثبت في (ب) بخط مخالف.

(٥) – مفعم: مفعهم ، في (د) .

(٦) – في (ج) (رحمه الله تعالى) .

طالت وقصّر فاغتدت أسماعنا ... معتلة التطويل مــن تقــصيره

يهذو وينشدها بغــير طبيعــة ... ويزيل رونق نظمها بقصوره[(١)]

إن راح ينشد شــعر أربــاب ... ترك السميع له بغــير شــعوره

أو راح ينشئ بيت شعر واحد ... أنشا الــمصائب كلها لسميره

أو جسّ في الطُّنْبُور بين رفاقه ... رقص الــبلاء بـــــهم علــى

وقال – سامحه الله تعالى – وقلت أيضا :

مــا رأينــا بجــدّة لغــراب ... قطّ مــأوى بــشؤمه نتــنغّصْ

هكذا عــادة الــبلاد قــديما ... فلماذا هذا الغــراب تخــصص

قيل لا تعجبوا فهذا غــرابٌ ... أشبه البــوم لونــه إذ تــبرّص

حيث لا مانعٌ إذا وجد البــو ... م بــها واستكان فيها ونغّــص

وقال عفا الله عنه :

إذا سبّ هذا العصر أهلوه إنما ... بأوصافهم سبّوه وهى لها وصــفُ

وما هو إلا كالزجاجة لونــها ... بلون الذي فيها يريه لك اللطــف

ولا بدْع في ذمّ الزمان بأهلــه ... وبالضد فالــمظروف يقذى بــه

فهم خلْقه والسيّء الخلــق في ... جديرٌ بأن يبدو به العسف والعنف

بأخلاقهم دام التغيّــر بينــهم ... وحسّنها فيهم على قبْحها العرف

منكّــرةٌ لــولا عنايــة ربنــا ... لــما يتخطّانا بـــــها الرجــف

خلائقنا تقضى بــذمّ زماننــا ... قضاء التــزام ليس ينقضه خلف

لقد طويت صحف الوفا ونما ... وقد ضلت الأحلام واستحكم السخف

ولا ذمّ للأيام فــاليوم تــابعٌ ... لأمس على آثــاره غــده يقفــو

وقال – عفا الله عنه[(٣)] - ولما وقفت على هذين البيتين أحببت الزيادة عليهما فقلت :

---

(١) – يهذو: يهذي ، في (ج) ، وكلاهما صحيح.

(٢) – جس: حبس ، الطنبور بين: الطنبورين ، في (د) .

(٣) – في (ج) (رحمه الله تعالى) .

حجابٌ وإعجـــابٌ وفـــرط ومـــدّ يـــد نحـــو العـــلا بتكلّـــف

ولو كان هذا من وراء كفاية عـــذرنا ولكـــن مـــن وراء تخلّـــف

تحجَّبْتَ كالعذراء عنّا، هـــل قـــضت لـــك حتمًـــا بالحجـــاب

وتـــهتَ علينا أيّ فضل بلغته تـــــميّزت فيـــه بادّعـــاء تـــشرّف

وأيّ كمال يقتضي ما ادّعيته من الزهو ما لو رمت تخفيه ما خفي

وأي مقام قمت فيه لنخـــوة ومكرمة أو جدت فيها لـــمعتف(٢)

فماذا الذي أدركته من سيادة تعطّفت فيها بالقبـــاء الـــــمفوّف

أأنت ورثت الفخر مـــن آل فكنت إذًا في الـــمصطفين به صفي

أأنت الأمين بن الرشيد خلافةً أم الـــمقتفي بالله أم أنـــت مكتفـــي

أأنسيت من أغنيت بـــالجود وسفّهت بالحلم الجلي حلم أحنـــف

أقامت بك الدنيا أحلّت لـــك أحفّت لك العليا بـــهذا التـــصرف

أأسمعك الشكر الصدى بجميل تجود به بـــالقول في كـــل موقـــف

سموت لـــمجد كان قـــدرك وسُمْت ذويه سومة الـــمتعـــسّف(٣)

زهـــوت افتخـــاراً في العـــلا فتهت بوهد من غرورك نَفْنَف(٤) (٥)

وما كنت إلا تدّعيـــه تكبّـــرًا بأجوف جسم في إهاب مـــــجيّف

إلامَ التناهي في الغرور أما تفق لنفـــسك مـــن ســـكر الـــضلال

(أقلْها انتقذها مـــن غواهـــا وأنظر لها بالنصح نظرة منـــصف(٧)

لقد غبْت عن مـــرآك حـــتى فسلْ عنك مـــن يـــدري بوصـــفك

---

(١) – حتما: ضما ، في (ج) و (د) .

(٢) – جدت: حدت ، في (ج) و (د) ، لمعتف: لتعرف ، في (ج) و(لعتف) في (د) .

(٣) – المتعسف: بالتعسف، في (ج) ، و(التعسف) في (د) .

(٤) – النفنف : المهوى بين جبلين. القاموس المحيط (نفنف).

(٥) – نفنف: تقتف ، في (ج) .

(٦) – المسدف: المردف ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٧) – بالنصح: النصح ، في جميع النسخ ، وبذلك يختل الوزن والمعنى، ولا يستقيم إلا بما أثبته .

وإن لا تسل فانظر بعين بصيرة تجد كلّ فضْل عنك لا شكّ مُنْتَف

وقال وخمستهما أيضاً فقلت :

أخي لاتكن فيما أقول معنّفي إذا قلت هجواً في ملوم ولم أف

فإني بما قد قيل فيه لمكتفي حجابٌ وإعجابٌ وفرط تصلف

ومدّ يَد نحو العلا بتكلّف

يرى أنه في المجد سبّاق غاية ويحسب أن قد جاء فيه بآية[٢]

وما الزهو فيه غير محض غواية ولو كان هذا من وراء كفاية

عذرنا ولكن من وراء تخلف

وقال:

دع الزهو عنك ودع ذا لأهل الجمال وأهل الترفْ

فلا خُلْق فيك ولا خلْقةً ولا أنت ذو تُحف أو طُرف

وأقبح ما فيك عجْبٌ على قباحة ذات تلاشت عجف

فإن كنت منك على غرّة بمن مات فيك بما قد وصف

تأمل لوجهك في عينة ترى شنعةً ما لها من طرف

ترى منك ما لو رأى ماردٌ لفرّ لما قد رأى وانصرف[٣]

ترى صورة لك تأتي لها الشـ ـشناعات من كل فجٍّ زُفَف[٤]

تحجّ إليها وفودا وما يرى قبحها الوفد إلا وقف

فها هي كل قبيح بها تحالف مع شكله وائتلف

فوجهك كالخثْى لكنّه عراه الهجير بلفْح فجف[٥]

وعيناك عين الجراد اعتلى بها نونها مثل حبّ الخزف

(١) – البيتان ساقطان من (ج) .

(٢) – فيه: فيها ، في (ج) .

(٣) – لفر لما: لعز لما، في (أ) و د) ، و(لغر بما) في (ج) ، وما أثبته من (ب).

(٤) – لك: المسك ، في (ب) و (ج) و (د) ، الشناعات: السناعات، في (ب) و (د) .

(٥) – الخثي : روث البقر. لسان العرب (خثا)

وأنْفُــكَ كــالكير في نفْخــه | وإن عُدم الكير فهــو الخلــف
وأذنــاك بالوجــه شــبّهتها | كحفرتي الطين حول الرُّصَــف
وجسمك هولٌ عظــيمٌ فلــم | يشبّه بـــشيء إذا مــا اتّــصف
فما سبب العجْب فيما تــرى | ومن ذا أقــرّ بــه واعتــرف

وقال سامحه الله تعالى[١] :

عجبت لكبّار هــذا الزمــان | وما لاح من ســوء أخلاقهــم
يعــدّون أن الثــرا مفخــرٌ | وذاك الثرا عــيْن إملاقهــم[٢]
ولاينظـــرون لـــذي فاقــة | وإن عــــزّ إلا بأرمــــاقهم
يــرون الفقــير فقــيراً لهــم | علــى أنــه عبــد رزّاقهــم
أمــا يعلمــون بــأن العبــا | د جميعاً على فــضل خلاّقهــم
وأرزاق كــلٍّ علــى خــالق | بَــرَاهُم وقــام بــأرزاقهم
أما يعرضون على زعم أنــــ | ـــنهمُ أهل حــذْق لحــذّاقهم
عسى ينجلي عنهمُ ذا العمى | وتظهــــر قلّــــة إفــــراقهم[٣]
صــــنائعهم بــــين أمثــــالهم | على الــميْن تطويل أعنــاقهم
وإنّ وفــاهم لــذي ودّهــم | وفــاء الـــملاح لعــشاقهم

وقال – عفا الله عنه [٤]– وقلت أيضا :

أقول لشخص قاد لي من أحبه | ولــمّا اجتمعنــا لجّ في اللــوم
تقرّب من أهوى وتنهى عــن | فكيف ألفت القطع يــا أَلــفَ

وقال – غفر الله له[٥] – وقلت أيضا :

وذي ضَنَن ظننت به جمــيلا | فأخلف بالإساءة حُسْنَ ظنّي[١]

---

(١) – في (ج) (رحمه الله تعالى).
(٢) – إملاقهم: أخلاقهم ، في (ج) و (د) .
(٣) – الإفراق: البرء من المرض، لسان العرب (فرق) .
(٤) – في (ج) (رحمه الله تعالى) .
(٥) – في (ج) (رحمه الله تعالى) .

سعيت إلى التماس الخير منـــه فخلْت الـــشرّ منـــه يلتمـــسني

وجئت لداره ووَلَجْت فيهـــا فجئت لخيبتي ووَلَجْت سجني[2]

دخلت إليه من باب الترجّـــى فقطّع من يدي حبْـــل الـــتمني

وأجلسني هناك وقـــام ظنًّـــا بـــأني لم أكـــن إيـــاه أعْنـــى

قعدت وفي يدي خفّا حـــنين وأعطـــاني قفـــاه وراح عنِّـــى

٥

وقال أيضاً عفا الله عنه :

سَمَحَ الدهر بالـــــمنى للعـــوين وأتـــــاه مــــسلّماً بـــــاليمين

وسعى نَحْـــوه الزمـــان انقيـــادا ليْته لو سقاه كأس الــــــمنون

غـــير بـــدْع إذا ترقّـــى لئـــيمٌ هذه عـــادة الزمـــان الخـــؤون

بئس شخصٌ حياته موت فـــضل وبقاه للنـــاس مَحْـــض غبـــون

رفعتـــه الأيـــام وهـــو وضـــيعٌ وأمـــدّت غـــواه بـــالتمكين[3]

فتعالى كبْرا علـــى النـــاس حـــتى شهد الناس رفعـــة الـــــمأبون

لبس العجْب وازدهى وهـــو أدنى في علوق البلاد من كـــل دون

فهو عارٌ مـــا مثلـــه قـــط عـــارٌ وهو عار من الحجـــا والـــدين

وهو إبليس صـــورةً لـــو تبـــدّى لم تفاوتْـــه صـــورة الملعـــون

ويْلها صـــورةً قبائحهـــا الجمـــــــمة تعمـــى القلـــوب قبـــل

تنفر الجن عنـــد رؤيتـــها الـــشو هاء فتغدو من قبحها بـــالجنون

إن بدت تُسْقط الحوامـــل منـــها فجْعـــةً أو تمـــوت أمّ الجـــنين

قـــبّح الله ذاتـــه فهـــي ذاتٌ هي للقبح منْـــشأٌ عـــن يقـــين

هي مخلوقةٌ ولاشـــك مـــن ســـر جين لا من نار ولا من طـــين[5]

---

(١) – (وذي ضنن) موهمة في (ج) .

(٢) – (ولجت) موهمة في (ج) ، (سجني) بياض في (ج) و موهمة في (د) .

(٣) – (غواه) موهمة في (ج) و(نحواه) في (د) .

(٤) – الجمة : الحجة ،في (ج) .

(٥) – السرجين : هو الزبل تدبل به الأرض. تاج العروس (سرجن)

٥

طُبعت في قوالب الشين والـــميــْ ـــن فتمّت بالنقص في التكوين

كـــره الله كنـــهها مـــذ براهـــا فكساها بالخزي ثـــوب الهـــون

هي عيب الدنيا ومثلبـــة الدهـــــ ــــر ومقت الأيام في ذا الحـــين

وهي شينٌ بـــها قذى كـــلّ عـــين وصدى كـــلّ خـــاطر محـــزون

عـــضْلةٌ داؤهـــا دخيـــلٌ وبـــالمو ت شفاها من كـــل داء دفـــين

ليته مـــات قبـــل هـــذا ولكـــن عـــاش لا عـــاش الكلـــب إلا

ما كفى أن يعيش حـــتى تعـــاطى ـــب بين الورى بصدغ مـــتين

يعرف الـــداء في الـــسقيم بمـــرآ ه وبالصوت والبكـــا والأنـــين

رُتْبَةٌ دونـــــها أرســـطو وبقـــرا ط وأمّـــا داؤد دون الـــــدون

يتحامى عن جسّ نبْض وينقضّ(م) لقـــبْض الإيـــور كـــالمجنون[١]

حفظ الله نـــبْض كـــلِّ مـــريض من يديه شُلَّت يـــد المحـــون

طَبْعُه أن يـــسكِّن الـــداء طـــبًّا وهو علْـــقٌ محـــركٌ للـــسكون

ادّعى الطـــب والـــــمهارة فيـــه وهي دعـــوى جـــاءت بغـــير

زاحم العالـــمين بالطـــب جهـــلا رام مـــا لم يكـــن لـــه بقمـــين

كان ما كان منه واليوم أضـــحى منه ما لا يكـــون في الـــتخمين

قد علمناه فاجراً ظـــاهر الفـــســـ ـــق قريناً للـــشر شـــرّ قـــرين

شؤْمُ كَوْن غُـــرابُ بَـــيْن عنـــاءٌ علَّـــةٌ كرْبـــةٌ غَثَـــا مبطـــون

ما دواها مع الأنام سوى الصفْـــ ـــع على أخدعيه بـــالزربون[٣]

صـــفعاتٌ لهـــا عليـــه طـــنينٌ في القفا والقذال أيّ طـــنين[٤]

ضَرْبُ سيكَا وبَنْجَكَا وحُـــسَيْني ضَبْطُها في الايقاع والـــتلحين[١]

---

(١) – هذا البيت من حقه أن يحذف لقذارته ، فقد أفحش الشاعر في هجائه أيما إفحاش، وقد أثبته لأمانة التحقيق، وليكون شاهدا على شعر العصر، وكذلك البيت اللاحق.

(٢) – المهارة: المبارة ، في (ج) و (د) .

(٣) – الزربون: ما يلبس في الرِّجْل. تاج العروس (زربن)

(٤) – من هنا يبدأ الخرم الثاني المعوّض عنه من النسخة (د) وسنعتمد في التحقيق على النسخة (ب) .

وهـــو لا زال في ضـــلال مـــبين　　　وإذا مــــــات في العـــــذاب

وقال أيضا عفا الله عنه[٣]:

هل ظننتم بأن تكون العلا لَهْ　　　وهو في النـــاس مـــن حُثـــال

هل علمتم بأن يكون رفيعــاً　　　من يُربّى في حجْر أهل النذاله[٥]

هل سمعتم بأن يطول إلى المجــ　　　ــد ضئيلُ حقارة أو ينالــه[٦]

هل رأيتم بأن يـــسود ســـفيهٌ　　　حاز وَصْفَيْ ســـفاهة وســـفاله

هل جرى في القياس أن يعلو　　　س عديم الإحسان بادي الجهاله

صعد الوغد للعـــلا وتنـــاهى　　　لـــمقام نظيره ما انتـــهى لـــه

وترقّى لـــه بـــسلّم بـــــهتا　　　ن وزور فناله واحـــتبى لـــه[٧]

ساد بالكذب والسيادة بالكذ　　　ب سقوطٌ إلى حضيض الرذاله

جعـــل الـــــميْن والتلـــبّس　　　ـــن لصيد النقدين منه حباله[٨]

زاعما أنـــه جـــديرٌ بمـــا قـــا　　　م به من كفـــاءة أو كفالـــه[٩]

ناظرا ما سمـــا إليـــه ادّعـــاءً　　　أنّ أعلاه دون ما يبتغي لـــه[١٠]

ما رأينا عليـــه رونـــق مجـــد　　　قط حاشا ولا بـــــهاء جلالـــه

لم نشاهد إلا قبائح ما ينفـــك　　　ك دأباً يطيل فيهـــا مجالـــه[١١]

---

(١) – السيكا والبنجكا والحسيني مقامات موسيقية معروفة عند أهل الفن .

(٢) – لا زال : لا يزال ، في (ج) .

(٣) – في (ج) (رحمه الله تعالى) .

(٤) – تكون: يكون ، في (أ) المعوض .

(٥) – يربى: تربى ، في (أ) المعوض .

(٦) – (ضئيل) موهمة في (ج) و (د) .

(٧) – (بسلم) موهمة في(ج) ، و(بمسلم) في (د) ، وزور: زور ، في (ج) .

(٨) – المين: المبنى ، في (د) .

(٩) – من: عن ، في (أ) المعوض .

(١٠) – أعلاه: علاه ، في (ب) و (ج) و (د) ، وما أثبته من (أ) المعوض .

(١١) – فيها: منها ، في (ب) و (ج) و (د) ، وما أثبته من (أ) المعوض .

٥

شأنه يصدع القلوب ويفريـ ـــــــها بـــنقص في فعلـــه
ثاقـــب الفكـــر في الخديعـــة ـــر يصيب الـــمرام مهما رمى
واسع الرأي في التلبّس بالغد ر لـــمن قد أحبه وصفا لـــه[٢]
حَرِجُ الصدر عن موالاة مـــن لاه بالحبّ والوفا وانتمـــى لـــه
وهو صفر اليدين من كلّ خير مفعمٌ بالشرور في كلّ حالـــه[٣]
عجبٌ للأيام ما أرغب الأيـ يام فيه كأن قضت عشقها لـــه
العزاء العزاء في المجد قد مـا ت ومن لي بأن يكون العزا لـــه

وقال عفا الله عنه[٤] :

سَمْسَمَنى ما قلْتَ يا صـــاحبي في هامش الطِّرْس من البَرْجَمَهْ[٥]
وعمّنىَ الأخلاط لـــما بـــدا ـــتخليط في لفظك والدَّمْدَمَه[٧]
ما حيلتي في أحـــرف أُلّفـــتْ مهملـــةٌ ألفاظهـــا معجمـــه[٨]
قد حيّرتْني حين أبـــصرتـــها غليظةً في الـــسمع مـــستجهمه
وصـــيّرتني تـــارةً ذاهـــلا وتـــارةً في حالـــة موهمـــه
وحار فكـــري مـــذْ تأمّلتـــها ولم أجد معنى لكـــى أفهمـــه[٩]
قد أكمن القائـــل معنـــاه في خندق است القول واستكتمه[١٠]

---

(١) – يفريها: يغريها ، في (أ) المعوض، وموهمة في (ب) ، و(معريها) في (ج) و (د) ، وما يناسب السياق ما أثبته .

(٢) – التلبس: التدبير ، في (أ) المعوض ، (قد) ساقطة من (ب) و (ج) و (د).

(٣) – مفعم: منعم ، في (أ) المعوض ، و(معصم) في (ج) و (مقصم) في (د).

(٤) – في (ج) (رحمه الله تعالى) .

(٥) – الطرس: الصحيفة أو الكتاب الذي محي وكتب عليه. البَرْجَمَة: غلظ الكلام. لسان العرب (طرس)،(برجم)

(٦) – البرجمة: الترجمة ، في (أ) المعوض .

(٧) – وعمني: عمني ، في (ج) . والدمدمة: الغضب. لسان العرب (دمم).

(٨) – مهملة: ميماته ، في (ج) و(مهماته) في (د) .

(٩) – حار: صار ، في (ج) و (د) .

(١٠) معناه في: في معناه في، في (ج) .

١

فكيف استخرج ما أدخل القا   ئـــل أو أعــــرب مـــا أعجمـــه

شقشقةٌ مـــا تحتـــها حاصـــلٌ   شفشفةٌ مـــن فوقهـــا هندمـــه[١]

كطبلـــــة باطنـــــها فـــــارغٌ   أو عجمـــــة ظاهرهــــا بلظمـــــه

أو رصّ أحجار على بعـــضها   من غير أســـلوب ولا هندمـــه[٢]

لو أنـــني كلّفـــتُ في مثلـــها   لاخترت عنه وصْـــمة التمتمـــه

ولو أطيلت كنـــت شـــبّهتها   بـــسيرة البيـــبرس والدهمـــه[٣]

لكنّـــــه قــــصّر أذيالـــــــها   خيفــــة أن تأخـــذني البرســـــمه

ما قصّر الـــصاحب في فعلـــه   وليتـــــه أخّـــــر مـــــا قدّمـــــه

صغيرةٌ قد سلّمت قلبي الـــــ   ـــكبير للاعيــــاء فاســـتخدمه[٤]

أهدتْ إلى الناظر مـــن نتنـــها   في ساعة التحقيق مـــا ورّمـــه[٥]

وحرّكت في العين أوجاعهـــا   حتى غدت عيني بـــها مـــسقمه

وسدّتْ الآذان حـــتى لقـــد   حسّيت في أذنـــيَ كالدَّرْدَمـــه[٦]

وأودعت في جسمي الـــسقم   ذور والباســــــــور والبلغمـــــــه

وخفت أن يذهب عقلي بـــها   لكنّمـــا الـــرحمن قـــد ســـلّمه

وقد دعـــوت الله أن يـــذهب   جا ع عن جسمي وما أســـقمه[٧]

فجـــــبر الله انكـــــساري ولا   خيّب ظنّـــي فيـــه مـــا أعظمـــه

وزال عنّي كلُّ مـــا أشـــتكى   من لطْف خلاّقي فمـــا أكرمـــه

---

(١) – من فوقها: ما فوقها ، في (أ) المعوض . والهندام: الحسن القد. لسان العرب (هنم).

(٢) – رص: رمي ، في (ج) و (د) .

(٣) – يقصد سيرة الظاهر بيبرس السلطان المملوكي ، وهي من السير الشعبية التي يرويها القصاص، كقصة عنترة والزير سالم.

(٤) – هذا البيت بياض في (أ) المعوض عدا كلمة (صغيرة) .

(٥) – (أهدت) موهمة في (ج) ، و(اصرت) في (د) ، نتنها: فتنها ، في (أ) المعوض .

(٦) – سدّت: سرّت ، في (ج) و (د) .

(٧) – عن: من ، في (ج) و (د) .

فعندها ثَبَّــتُّ نفــسى الــتي ... قد حــمّلتني وزْرَ ذي الــمظلمه

والسمع قــد عاهدتــه إنــه ... لا يسمع الــهيتوم والـــــهيتمه

وناظري عاهدت أن لا يعــد ... إلى قبـــيح غـــير مـــا قدّمــه

٥

ما هذه الحالــة يــا ســيدي ... لقــد تلطفْــتُ بــذي الترجمــه

وقد تجمّلت بمعروفــك الــــ ... ــــــمعروف والـــــــمكرمة

كم سائل يسأل من ذا الذي ... أنشأ هذا القــول مــن نظّمــه

من صاغ هذا اللفظ في موضع ... خال من الــمعنى ومَنْ أحكمــه

يا ليتنــا نعلــم مــن قالــه ... حــتى نكافيــه بمــا أجرمــه(٢)

نحكِّــم الحــلاق في ذقنــه ... بالـــــــموس والـــــــمقراض

ونصلب الإسكاف في رأســه ... ونصفع الــنعلين بالجمجمــه(٤)

وقال – سامحه الله تعالى(٥) – وقلت معجّزاً ومصدّراً لهذين البيتين :

لقد وضعوا قدر هذا النعــال ... برجْليـــه إذ ألحقوهـــا بـــه

وقد عهدت جلــده طــاهراً ... وقـــد دنّـــسوها بأثوابـــه

ووالله مــا صــفعوه بـــها ... وقد كان ذلــك أحــرى بــه

ولا رفعوهــا علــى رأســه ... ولكنـــهم صـــفعوها بـــه

وقال : والتمس مني البعض تخميساً فقلت :

شكت نعْله رجلــه للقــذال ... وأنــهت إلى رأسه عرض حال

فــأنكر تــسفيلها ثم قــال ... لقد وضعوا قدر هــذا النعــال

وقــد دنّســوها بأثوابــه(٦)

---

(١) – تجملت: تحملت ، في (أ) المعوض .

(٢) – بما : ما ، في (أ) المعوض .

(٣) – ذقنه: دقنه ، في (ب) .

(٤) – نصفع: نصقع ، في (ج) و (د) .

(٥) – في (ج) (رحمه الله تعالى) .

(٦) – هذا البيت المخمس ساقط من (أ) .

أضـــاعوا النعـــال بتعذيبـــها برجليه في الأرض يمشي بـــــها

فما ضرّ لو عمّمـــوه بـــــها فـــوالله مـــا صـــفعوه بـــــها

ولكنهـــم صفعوهـــا بـــه

وقال – سامحه الله تعالى – وقلت :

٥

لقد عظمت ببلـــدتنا البليـــةْ وعمّت بالعنـــا كـــلّ البريّـــةْ

بفاقرة جرت ما قـــد رأينـــا قديماً مثلـــها في الـــــماجريّه[1]

ذكرت بـــها البَسُوس كأنّما أعيـــد لنـــا زمـــان الجاهليّـــه

خصامٌ بين مـــأبون وحَمْقَـــا قد اقتسما الصّقاعة بالسويّه[2]

كفاحا لم يزلْ في كـــلّ حـــين وحرْبٌ في الغداة وفي العـــشيّه

وتلطيشٌ وتخمـــيشٌ وعـــضٌّ وضرْباتُ الكفوف تـــــهوّريه

فيلطمهـــا ويـــصفعها بنعـــل شكت من ثقله الأرض الدحيّه

وتضرب رأسه بالخف حـــتى تَـــحُتّ الشعر من تَحْت الكفيّه

وطال الشرّ بينـــهما زمانًـــا ولم تطرقْهمـــــا أبـــداً رزيّـــه

وعُمْر السوء طال فلم يموتـــا وشابا والهموم بـــــهم صـــبيّه

وداعية التخاصم بـــين هـــذا وهذي جمْعُ أقـــبح مزوجيّـــه[3]

تزوّجهـــا هـــوى وتبعّلتْـــه ================

وقد علقت بحمل فاســـتمرّت به حبلى لحـــين الـــــمولديّه[5]

فـــتمّ نتاجـــه ولـــداً قبيحـــاً تربّـــى بـــين ثعبـــان وحيّـــه

وشـــــبّ علـــى القبـــائح وأخـــلاق تخلّقهـــا دنيّـــه[6]

---

(١) – (جرت) ساقطة من (ج) .

(٢) – مأبون: قرنا ، في (ج) ، وبياض في (د).

(٣) – داعية: داعته ، في (ب) و (د).

(٤) – عجز البيت بياض في كل النسخ .

(٥) – المولدية: الوالدية ، في (ج) ، و(الولدية) في (د) .

(٦) – دنية: ذنية ، في (أ) المعوض .

٠

تجمّعت الـمعايب فيه حـتى أحاط بكـل مثلبـة رديّـه[١]
يقول لها أبـوه دعيـه عنّـا لنقـصيه إلى بلـد قـصيه
وإلا أمِّنـي لـدعاء ربّـي عليه عساه تقـصفه الـمنيّه
لقد أزرى بنا في الناس عـارًا فكم ذا العار منه وذي الرزيّـه
فتزعق أمـه حاشـا وكـلاّ تريد بعـاده عنِّـي نكيّـه[٢]
تعاقبه وتقصد كـسر قلـبي بـه وأنـا ضـعيفتك الوليّـه
فأفـضى ذا النـزاع إلى إلى حكـم الإمـام أبي هديّـه
هو القاضى الأجلّ فما ليحيي ولا ابن قريعـة معـه مزيّـه[٣]
وقد فاق القضاة قضاة حمص بمعرفـة وتجربـة قويّـه
فأمّا نحو حـضرته اختيـارا لـما يقضى بـه لا مكرهيّـه
وقد وقفا عليه على احتـشام وقـاراً للمعـالي القاضـويه[٤]
وما ابتدءا السلام عليه حـتى يكون له البدايـة بالتحيـه[٥]
وأومـأَ في تحيّتـه مـشيرا بحاجبـه ولـحْيته البهيّـه
فصارا يثنيـان علـى عـلاه لواجب قـدر رتبتـه الـسنيّه
وقالا نشتكى أمـراً دهانـا وعنّانـا بـدنيانا الدنيّـه[٦]
فقال:ومن تكون؟ وتلك مـن وما الداعى إلى هذي الـشكيّه؟
فإني لم أكن أقـضى بحكـم إذا لم أسْمع الـدعوى جليّـه
فقال الزوج إني بعـل سـوء لهذي وهـى زوجـتي الغويّـه

(١) – المعايب: المصايب ، في (ج) و (د) .
(٢) – عني: مني ، في (أ) المعوض .
(٣) – قريعة : قريصة ، في (ج) و (د) ،(فريعة) في (أ) المعوض ، وهو محمد بن عبد الرحمن ،قاض من أهل بغداد ، اشتهر بسرعة البديهة في الجواب على جميع ما يسأل عنه، توفي سنة ٣٦٧هـ . الأعلام لزركلي ٦/١٩٠
(٤) – على احتشام : باحتشام ، في (أ) المعوض .
(٥) – البداية : البداة ، في (ج) ، و(البداءة) في (أ) المعوض .
(٦) – عنانا: عنابا، في (ب) و (د).

ولي ولدٌ رماني الـدهر منـها … به يا سـيدي بـئس الرميّـه

شرودٌ سارقٌ عـاص بليـدٌ … حقودٌ مـائقٌ غـرٌّ بَليّـه[١] [٢]

جحودٌ فـاجرٌ غـاو عنيـدٌ … كنـودٌ غـادرٌ بـاغ عتيّـه[٣]

فإن يصمت فعن عيٍّ ومكْـر … وإن هو فاه فوهتـه رديّـه[٤]

تصوّر من دناءة كـلّ عيـب … وذاك الأصل طينتـه الرديّـه

فلو أبصرته أبصرت شخـصا … شنيعاً غـير شـخص الآدميـه

تفـر الجـن منـه إذا رأتـه … وتكره قـبح صـورته وزيّـه

وإبليس اللعين علـى غـواه … كـذلك رطلـه معـه وقيّـه

وأما الفسق منه فغير خـاف … وأفـواه الأنـام بـه مليّـه

فكل نـهاره في بيت خـضرا … وكلّ الليـل عنـد مخرفـشيّه

وأما بيت عَيْشَة فهـو بيـتٌ … لـه فيـه الغديـة والعـشيه

وأما حـوْش محفـوظ ففيـه … (جماعته النـصارى العيـسويّه

وأما حـوْش مالطـة ففيـه) … له أقوى هوى وأشـد غيّـه[٥]

لـمشروبين من خمر ومـزْر … ومانوسـين بـاغ أو بغيّـه

وأمّا في الحشيشة يا أفنـدي … له فيهـا الـمفاعيل القويّـه

أفانيـد إلى شـقف لحـقٍّ … إلى زبديـة والـمطبقيّه[٦][٧]

---

(١) – المائق : الأحمق . لسان العرب (موق).

(٢) – عاص: غاو ، مائق: عائق ، في (ج) و (د) .

(٣) – عتية: عنية ، في (ب) و(ج) و (د) ، وما أثبته من (أ) المعوض .

(٤) – مكر: كبر ، في (أ) المعوض ، فوهته: فهوته ، في (ج) .

(٥) – مابين الأقواس ساقط من (ب) و(ج) و (د) .

(٦) – أفانيد : أفانيذ ، في (أ) المعوض ، وغير منقوطة في (د) .

(٧)الفند: الخرف وإنكار العقل من الهرم أو المرض، وفنّد في الشراب: عكف عليه. لسان العرب (فند). ويظهر من الأبيات والمعنى المعجمي أنـها نوع من المخدرات التي تحجب العقل. الشقف: الخزف المكسّر. لسان العرب (شقف) ويظهر أنـها نوع من الآنية. الحُقّ: آنية تنحت

٥

ومن حلوى يـــصفّيها بيـــالى   ومعجـــون ينـــدق بندقيّـــه[١]

ولكْـــديٍّ وملعـــوق وســـفٍّ   ومنـــــــــشوق وأخـــــــــرى

وأنواع من الحلـــواء شـــتّى   ومعدنـــــها ببيـــت بـــساونيّه

وكم من ذاك شغل ميَا علـــيٍّ   ولا تنسى الحلاوة الطاهريّـــه[٤]

ومن حزَم ينقّى البـــزْرَ منـــها   ويُحرْقـــــه بنـــــار فارســـــيّه

فتحْسبه إذا مـــا مـــزّ منـــها   كمن يقْلى الفشار أو القليّـــه[٥]

وميخاناتـــها لم تُحْص عـــدًّا   وما هي من عيونك بالخفيّـــه[٦]

ولكن مكتف بالبعض منـــها   لدفْع الخصم في الدعوى الوهيّه

مسلاياتـــها والغار واعطـــف   قهاوي البنط عطف الناسقيّه[٧]

ولاتنس السمرجيّات واضمم   إليهـــا الربـــع ثم الخاســـكيه[٨]

وفي سوق الندا كم من مكان   وقهوة عابد بـــن الـــــموصليّه

وكم في باب مكّة من مكـــان   وكم لك في الزوايا من خبيّه[١]

من الخشب والعاج وغيره.لسان العرب(حقق).الزبدية:وعاء من الخزف المحروق المطلي بالميناء. المعجم الوسيط ٣٨٨/١ ، والمطبقية وعاء سمي بذلك لأن له غطاء يطبق عليه، وما زال معروفا بـــهذا الاسم.

(١) – يبندق: ببندق ، في (أ) المعوض .

(٢) – منشوق: نشوق ، في (ج) و (د) ، أخرى : آخر ، في (أ) المعوض ، (خمصية) موهمة في (ج) و(جميعه) في (د) و(حمصية) في (أ) المعوض .

(٣) اللكدي : يقال : لكد الشيء بفيه لَكَدا ، إذا أكل شيئا لزجا فلزق بفيه.لسان العرب(لكد).ويظهر أنه مخدر من طبيعته الالتصاق. الملعوق والسف والمنشوق، يظهر أنـــها أسماء لأشياء نسبة إلى طريقة استعمالها أو تناولها، والحمصية كأنـــها تنسب للتحميص.

(٤) – (شغل ميا علي) بياض في (ج) ، شغل: شنطر ، في (د) .

(٥) – كمن: لمن ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٦) – ميخاناتـــها: ميخاتـــها ، في (أ) المعوض.

(٧) – مسلاياتـــها: مسلايتها ، في (ب) و (أ) المعوض ، و(سلا) والباقي بياض في (ج) ، و (سلايتها) في (د).

(٨) – الخاسكية: الخاصكية ، في (ب) .

وهـــذا كلّـــه فيـــه قليـــلٌ ... وكـــم فيـــه عيـــوب باطنيّـــه

وراحة خـــاطري أن لا نـــراه ... وتبقـــى دارنـــا منـــه خليّـــه

ففـــي إبقائـــه عـــارٌ علينـــا ... ويأبى العار ذو الـــنفس الأبيّـــه

فقالت أمّه مـــا كـــان هـــذا ... على ولدي ومـــا منـــه أذيّـــه

ولم أر فيـــه مـــن شـــين وإني ... لأعرفـــه ومـــا أنـــا بالغبيّـــه

ولكنّـــي أقـــول ولا أبـــالي ... عيونك عـــن محاســـنه عميّـــه

كتمت عن الأفندي ما تـــراه ... لبغضك فيه من قبح الطويّـــه[٢]

[١] نعم وَلَدي بديع الحسن حـــاو ... لأوصاف الجمـــال اليوســـفيّه

محيّـــاه الجميـــل إذا تَجَلَّـــى ... تفوق البدر طلعتـــه البهيّـــة[٣]

ويخجل عطفه الأغصان لينـــا ... ويزري بالرماح الـــسمهريّه[٤]

وعيناه الـــتي عـــيني فـــداها ... عيونٌ في الـــملاحة نرجسيّه[٥]

بأحـــداق فـــواتر ناعـــسات ... وألحـــاظ ســـواحر بابليّـــه[٦]

وخدّاه الـــــملاح وســـالفاه ... بـــها الأزهـــار يانعـــةٌ جَنيّـــه

ومبسمه الشهي لا عيب فيـــه ... ســـوى أن الثنايـــا لؤلؤيّـــه

وهيكل ذاته حـــسنٌ جميـــلٌ ... يروقـــك في خلائقـــه الرضـــيّه

أديبٌ عاقـــلٌ حـــرٌّ لبيـــبٌ ... أريبٌ كامـــلٌ نـــدبٌ شـــفيّه

رصين العقل قرّة كـــلّ عـــين ... كريم الطبع محمـــود الـــسجيّه

ودودٌ صـــادقٌ واف وقـــورٌ ... وصولٌ حاذقٌ نفـــسٌ زكيّـــه[٧]

---

(١) – هذا البيت ساقط من (ب) و (ج) و (د) .

(٢) – لبغضك: لنفعك ، في (ج) ، و(ينفعك) في (د) .

(٣) – تفوق: يفوق ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٤) – يخجل: تخجل ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٥) – فداها : قذاها ، في (ج) .

(٦) – بأحداق: بأحذاق ، في (ج) و (د) .

(٧) – واف: واق ، في (ب) و (د) .

حوى كل المعارف والمعــاني   وسوف ينال وصــف العالميّــه
يريد بعــاده عــني ويهــوى   عناي ببعده عــن ســوء نيّــه
وقد أنــهيت أمري يا أفندي   إليك وقد شرحت لك القــضيّه
وأهوت بالخضوع له وباست   تراب مقــام حــضرة مولويّــه
ولــجّت بالبكاء لــه طلابــا   لنصرتــها تقول أنــا وليّــه[1]
وأوحت بالعيون إليــه رمــزا   بموعدة تكون بـــها وفيّــه[2]
فزيّنــها لــه إبلــيس حــتى   رأى مــن وجهها الــشمس
وخامر حبّها قلب الأفنــدي   وحلت عقد شــهوته الخفيّــه
فقام لهــا ابتــدارا لانْتــصار   وزَمْجَرَ باللــسان الأعجميّــه
وصاح (قواصُ جت شــندي   أَشَــكْ اُوغــلانْ) حــضوري
(فَنَادرْ بُو أَضَمْ ظــالْمْ مكــابرْ   زوالي قادنْ بــو مظلميّــه) [4]
فأسرعت السعاة إليه عــدوًا   مــع القــوّاص ثم المحــضريّه
وراحو للمــساجد والزوايــا   وكل مكــان علْــم أو بَنيَّــه
ولم يجدوا له أثــرا ولا مَــنْ   يــدلّهمُ علــى إبــن الدعيّــه
وقد شاخ النهار وهم حيارى   من القاضى لذلك مــستحيّه[5]
وقد أيسوا وخاب الكل منهم   لعــودهمُ وأيــديهم خليّــه
وقالوا كيف نرجع للأفنــدي   بأجمعنـــا ولم نـــدرك لُقيَّــه
إذا جئنـــا إليـــه إذًا ثَقُلْنـــا   عليه إذًا رجعنــا خاســريّه[6]
إذًا فُتْنا أبا غيثــان حُــمْقًا   وزدْنا عن حُنَــيْن في الــسعيّه

(١) – طلابا: طويلا ، في (أ) المعوض ، تقول : وقالت ، في (ب) و (ج) و (د) .
(٢) – أوحت: أومت ، في (ج) ، و(أوصت) في (د) .
(٣) – ترجمة البيت (أيها الخدام أحضروا هذا الولد الحمار حالا).
(٤) – ترجمة البيت (هذا الرجل سيء وظالم ومكابر يظلم هذه المرأة المسكينة).
(٥) – من: مع ، في (أ) المعوض .
(٦) – (ثقلنا) موهمة ، في (ج) ، والبيت كله ساقط من (أ) المعوض .

إذا عُدْنا لقينا الْهُــون منــه ... ولا تبقــى لنـــا معـــه بقيّـــه
فادركهم أبو كردوس عــدوًا ... لغيرتــــه علـــيهم والحميّــــه
وأنكر فيهمُ التقــصير منــهم ... وقـــال خـــسرتمُ يـــا باطليّـــه
قضيت العمر بالتعليم فــيكم ... برأيي في الفساد وفي الرويّـــه[1]
أغذّيكم بوسوســتي غــذاءً ... وأسقيكم بنــــزغاتي ســقيّه[2]
ولم يك فيكمُ أحــدٌ زعيمــاً ... إذا مـــا غبـــت في أدنى قـــضيّه
لقد خبتم وخاب الظن فيكم ... وجهدي ضاع كلهمُ هفيّـــه[3]

وقال – عفا الله عنه - متغزلاً بالتماس بعضهم :

بُرْءُ دائي من خلْطَــة الــسوداء ... اتّـــصالي بالحبّـــة الـــسوداء
شـــهد النـــاسُ الحُـــسْنَ في ... ـــر حـــووا في الكمـــال كـــلّ
يا لصحبي أهـــل فتنـــتم بظـــبي ... حَسَن في الـــملاح أو حسناء[5]
تمّ حُـــسْنًا إلا بأســـود خـــال ... فوق خدٍّ أو مقلـــة ســـوداء[6]
أو سواد الشعور تحـــت دجـــاه ... بَدْر تـــمٍّ يزري ببدر الـــسماء
نـــزّهْ الطرف منك في كلّ لـــون ... وتغزّلْ في الـــسُّمْر والـــسمراء

وقال أيضاً :

كلما زدْت من مُـــحبّك قربا ... زاد قلبي على الـــصبابة حبّـــا
هكـــذا هكـــذا الغـــرام وإلا ... لم يكن مدّعيه فيـــك مُـــــحبّا

---

(١) – برايي: براي ، في (ج) و (د).
(٢) – أغذيكم : أغديكم ، في (ج)، بوسوستي : بوسوس ، في (ج) و (د)، بنـــزغاتي: بنـــزعاتي، في (ج) ، (بنازغتي) في (أ) المعوض .
(٣) – هفية : حفية ، في (د) ، وموهمة في (ج) ، ويبدو أن القصيدة لم تنته عند هذا البيت، إذ كُتب في هامش نسخة (ب) ما نصه (وهنا بياض نحو ستة أسطر) .
(٤) – في البيض: بالبيض ، في (أ) المعوض .
(٥) – أهل : هل ، في (أ) المعوض .
(٦) – خال : خالي ، في (ج) و (د) .

كلّ حُبٍّ بلا شواهد وَجْـد ... لـمحبٍّ كان افتراءً وكـذبا

أنـا والله في هـواك مُحـبٌّ ... لم أزل مغرمـاً بحُبِّـك صـبّا

لا تقس بي في الحب قلب خَليٍّ ... آخذا عن طريقة الحـب جنبـا

ليس يدري الهوى ولم يدْره من ... لم يمسّ الهوى بأحـشاه لُبّـا[١]

لست أهواك لانقضاء غـرام ... أو لإطفاء مـا بقلـبِيَ شـبّا[٢]

غير أنّي أهـواك ودًّا بقلـب ... ما له غير منهل الحب شـربا[٣]

٥

وقال - عفا الله عنه - وقلت :

رنا فانْتضى من لَحْظه صارماً ... غزالٌ غدا سَلْبُ النفـوس لـه

دعا حُسْنُه كلّ القلوب لحبّه ... فلم تَرَ إلا كلّ قلب به صـبّا[٥]

هَدَى للهوى العذْري بنـور ... لذا كلّ ذي لُبٍّ لدعوته لبّى[٦]

ألا أيها العشاق هبّوا لقربـه ... فإنّ نسيم الحب من حيّه هبّـا

بلى واشهدوا أنّي على صيت ... شغفت به وجداً وهمت به حُبّـا

نعم واعلموا أنّي وإن كنت لم ... محيّـاه إلا مـرّةً مـنكمُ أَرْبَـا

كلفت به شوقاً كشوقكمُ لـه ... ويَمَّمْتُ ما يَمَّمْتُموه ولا عـتبى

رجوت اتّباعي في الهوى سنّةً ... قد استن أحبابي لألتحق الركبـا

يقول لسان الحال منّي محبّـةً ... لكم حـبكم فـرضٌ فاتبعتـه

وقال _ سامحه الله[٨] _ وقلت :

---

(١) – يدره من : يدر ومن ، في (ج) و (د) .
(٢) – بقلبي : لقلبي ، في (أ) المعوض .
(٣) – بقلب : بقلبي ، في (أ) المعوض .
(٤) – فانتضى: فانقضى ، في (ج) و (د) .
(٥) – به : له ،في (أ) المعوض .
(٦) – هدى : هدوا ، في (أ) المعوض .
(٧) – الندبا : ندبا ، في (أ) .
(٨) – في (ج) (رحمه الله تعالى) .

دَعْ في المحبـــة تعنيفـــي وتـــأنيبي ... واعذر إذا لم يكن منك التأسّـــي

لو كنت تعلم ما لي فيه من شـــجن ... ما كنت تؤثر تَغريبي وتُغري بي[٢]

يا لائمي في الهوى إنّ الهوى خلقـــي ... طبعاً جبلت عليه غـــير مجلـــوب

سجيةٌ نشأتي قامـــت بــــها ولها ... سراية السر في كوني وتركيبي[٣]

ما همت بالحسن يا لاحي ولو نظرت ... عينـــاك حـــسْن الأعاريـــب

ماشقّ قلبك ماشقّ القلوب هـــوى ... ولا استمالك شوقٌ نحو محبـــوب

قلب جفاه الهوى مـــا رقّ حاشـــيةً ... ولا احتظى في تصابيه بمرغوب[٥]

ومقلةٌ لا يكون الحـــسن مطمحهـــا ... فكل ما نظرته غير محـــسوب[٦]

ومهجةٌ ما لها في الحـــبّ مطّلـــبٌ ... تنْحو إليه عَدَاها كلّ مطلوب[٧]

يا عاذلي في غرامي عَدِّ عن عَـــذَلي ... فإنني في الهوى استعذبت تعذيبي

ظننت أنك بالترهيـــب تـــصرفني ... عنـــه فمـــا ازددت فيـــه غـــير

إن قلت إن الهوى بَحْرٌ نعـــم وبـــه ... سَفينُ وجْديَ بالاشواق تجري بي

أو قلت فيه ضنى جسم وطول عَنَا ... (زخرفت فيه بقول غير مكذوب

ما الحب إلا هناء في بلوغ مـــنى) ... ما فاته غير محروم ومـــسلوب[٩]

وبـــالفؤاد صـــبابات أكابـــدها ... أمضى بـــها لـــمرامات وتمضى

ولي بواعـــث لا ينفـــك واردهـــا ... يروح بي للصبا دأبا ويغـــدو بي

---

(١) – (يكن) ساقطة من (ج) .

(٢) – تغريبي وتغري بي : تعذيبي وتغريبي ، في (ج) و (تغريبي تغربي) في (د) .

(٣) – سراية : مراية ، في (أ) المعوض .

(٤) – بالحسن : بالحب ، في (أ) المعوض ، عيناك : غيناك ، في (ج) .

(٥) –بمرغوب: لمرغوب ، في (أ) المعوض .

(٦) – فكل ما : فلما ، في (ج) .

(٧) – إليه : إليها ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٨) – تصرفني: تعرفني ، في (أ) المعوض .

(٩) – ما بين القوسين ساقط من (أ) المعوض ، هناء : حصنا ، في (ج) و (د).

(١٠) – لمرامات: لمرمات ، في (ج) ، و(لمراماتي) في (أ) المعوض .

ولي شجونٌ تناجيني الظنون بـــــها … قد رقّ لي غزلي فيها وتـــشبيبي

حاجات صبٍّ إليها كل ذي ولــه … يصبو بقلب حليــف الــشوق

وهل سوى الحسن للعشاق جاذبــةً … وهل ترى ربّ عشق غير مجذوب

وبي هوى رشــأ أحـــوى يغــازلني … بناظر فاتر الألحـــاظ مرهـــوب

أغرّ باهي الـــمحيا قد حوى جُملا … من الجمال زهت في كلّ أسلوب

يزري الغصون انثناءً والقنــا هيفــا … والبـــدر تـــــمًّا بحـــسن غـــير

إنّـــي تفقهـــت في أوصــافه أدبــا … فتمّ بالحسن منه حـــسن تــأديبي

لي من ثناياه درّ الكنــــــز منـــتظمٌ … ومن مقبّله لي خير مطلـــوب[٢]

ريحانتي مـــن عذاريـــه ومقتبـــسي … من وجنتيه ومنها نفحة الطيـــب[٣]

ومن سجاياه لي روض الحيا أَنــفٌ … نزهـــــو بـــــشمّة خُلْــــق ذات

ومن محاسن فيـــه زانـــــها خَفَــرٌ … لي وقْفَةٌ بين ترغيب وترهيـــب[٥]

يجلو لنــاظرتي حـــسنا ويَمْـــنحني … حُسْنا فيا حُسْن ما قـــد حـــاز

وليس يحسن بالإصْــغا إلى عَـــذَل … فيه ويقبح بـــالأنس التـــسلّي بي

ما حُمْت حوْل حمـــى الـــسلوى … بي فكرةٌ عنه في فرضي ومندوبي

هو الحبيب كما يهوى ودمت لـــه … أنا المحب على بُعْـــد وتقريـــب

وقال – غفر الله له تعالى[٧] - وقلت لمن التمس مني ذلك : [٨]

وَمُغْــــرَبِيٍّ راقــــني حُــــسْنَه … لاح لعيني ســـاعة الــــمغرب

---

(١) – انثناء : انثنات ، في (ج) و (د) .

(٢) – ثناياه : ثنايا ، في (ج) و (د) .

(٣) – (مقتبسي) موهمة في (ج) و (د).

(٤) – (نزهو بشمة) موهمة في (ج) ، و(تزهو بشيمة) في (أ) المعوض.

(٥) – محاسن: في سن ، في (د) ، وبياض في (ج) .

(٦) – فيا حسن : ويا حسن ، في (أ) المعوض .

(٧) – في (ج) و (أ) المعوض (رحمه الله تعالى) .

(٨) – هذا من الغزل بالمذكر الذي لا يرتضيه عرف ولا دين، وتأباه الفطرة السوية والذائقة،وهو مما ابتلي به الشعراء.

٥

أذهلني لـــــمّا بـــدا وجهـــه   بالحسن عن حـــسّي وعقلـــي

عـــنّفني العـــاذل لـــــما رآ   ني شاخـــــــصاً في خــــــدّه

وقال كفّ العـــين لا تفـــتتن   كم نظرة جـــرّت إلى مُتْعِـــب

لا تصبُ يا شيخ ولا ينبغـــي   أن يصبو الشيخ لحبّ الـــصبي

فقلت مهلا يا أخا العـــذل لا   تنه عـــن الحـــب ولا تعتـــب

وما على مكتهلي من هـــوى   أصـــبو إليـــه بفـــؤاد صَـــبيّ

أهيم بالحـــسن غرامـــا بـــه   فاذهبْ إذا شئت لـــه مـــذهبي

لا أسمع العـــذل ولا انتـــهي   عن مورد في الحب مـــستعذب

لا سيما إن هام قلـــبي صـــبا   بحسن هذا الشادن الربـــربي[٣]

أَبْلَج صبحيّ الـــمحيّا زَهَـــا   على محيّا البـــدر في الغيهـــب

أَفْلَـــج دُرّي الثنايـــا فـــوا   شوقي إلى مبْـــسمه الأشـــنب

أَدْعَج ساجي العين مكحولهـــا   بناظريـــه للنـــهى يـــستبي[٤]

قامته تُخْجل غـــصْن النَّقَـــا   وجيدُه يفـــضح جيـــدَ الظـــبي

يا حبّذا الغـــرب بـــلاداً لـــه   والحسن فيها غـــير مـــستغرب

في كلّ يـــوم لي بـــه نـــشوةٌ   راق بـــها لي في الهوى مـــشربي

أرْقبـــــه كـــــلّ أصـــــيل إذا   عاد إلى البيت من الـــــمكتب

أنتظـــر الـــساعة في وقتـــها   وتطلـــــع الـــــشمس مـــــن

وقال – سامحه الله تعالى[٦] - وقلت :

عذاب النوى إن كان يرضـــيك لي   وسَهْل التسلّي عنك يا هاجري

---

(١) – أذهلني: أهلني ، في (ب) و (د) ، و(أهالني) في (ج) ، وما أثبته من (أ) المعوض .

(٢) – العاذل : العادل ، في (ج) .

(٣) – إن: إذ ، في (أ) المعوض ، الشادن: الشاذن ، في (ب) و (د) .

(٤) – بناظريه : بناظر به ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٥) – تطلع: مطلع في (أ) المعوض .

(٦) – في (ج) (رحمه الله تعالى) .

بطلعتـــك الغـــرا يمينـــاً أبـــرّه ... بأن فؤادي عن ودادك لا يصبو

دع الناس وافعل ما تريـــد فـــإنني ... أحبّ بطبعى كلّما اختاره الحب

إذا مـــحَّض الإخلاص ودَّ قلوبنـــا ... تساوى لدينا في الهـــوى البعـــد

لعمرك لو تـــهوى الصدود يلذّ لي ... ولكن دواه الوصل يشفى بـــه

رميت سلاحى في مقاومة الهـــوى ... لديك لعلمى أن غايتها الغُلْب[١]

زيادة أشـــواقى إليـــك تزيـــدني ... ولوعـــاً فمـــا هـــذا التـــدلّل

ألا فترفّـــق بالمحـــب تفـــضّلا ... وإلا فـــلا حـــقٌّ عليـــك ولا

قد اتّضحت منّي إليـــك ســـريرتي ... فجد لـــمحبٍّ فيك لذّ له الحبّ

وقال – غفر الله تعالى له[٤] – وقلت:

هَجْرُ الـــمحبِّ مع انعـــدام ... جورٌ يزيد القلب من تعذيبـــه[٥]

والخلْف في وعْد الكرام ظلامةٌ ... لا سيّما للصبّ مـــن محبوبـــه

فعلامَ تـــهجر عبْدك الـــرق ... رقّ الجليـــد تـــشفّقاً لنحيبـــه

يا زيْن ما شيْن البعاد بلائـــق ... بكمال هذا الـــزين في أســـلوبه

وقال سامحه الله تعالى :

حَمَى حمَى خدِّه بتّارُ مقلتـــه ... لـــمّا أردت بطرفي قطف وردته

وساعدته نبالٌ من لواحظـــه ... لـــــمّا جنحـــتُ إلى تقبيـــل

يفاخر البدر إشراقاً بطلعتـــه ... ويفضح الظبي إذ يرنو بلفتته[٧]

وينثني فتخال الغصن في خجل ... من لين قامتـــه الهيفـــا ورقّتـــه

---

(١) – الغلب: القلب ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٢) – التدلل : التذلل ، في (أ) المعوض .

(٣) – غصب: غضب ، في (د) .

(٤) – في (ج) (رحمه الله تعالى) .

(٥) – يزيد: يد ، في (ج) ، ومعدّلة من (يزيد) إلى (يذيب) في (أ) المعوض .

(٦) – (جنحت) موهمة في (ج) ، إلى تقبيل: لتقبيل ، في (ج).

(٧) – يفاخر : بفاخر ، في (د) .

أسابق الفكر في أوصافه فأرى ... له التقـدّم قبْلـى في مَحَبَّتـه

وقال – عفا الله تعالى عنه[1] - وقلت :

خذوا رواية ليلى عن ذوائبها ... واروووا حديث الضحى عن خدّها البهج

دعوا الـمدام ففى مُفْتَرِّهـا ... وقَرْقَفٌ قد حلا في منْهل الفلج

يا خجْلة الـدرّ مـن مفتـرّ ... والظبي من طرفهـا المكحـول

جلّ الذي صاغ مرآها وأبدعه ... ودلّ مقلتـها الكحـلا علـى

هي التي إن تجلّى نور طلعتـها ... لم تلـق إلا معنّـى في الهـوى

وقال - غفر الله تعالى له - وقلت :

نقْش هـذا الحبيـب يـشهد أني ... في طريـق الهـوى لـه نقـشبندي

أنا صـوفيّ صـبوة فيـه قلـبي ... في مقام الشهود في حـال بعـدي

صـار للقلـب كعبـةٌ فلهـذا ... وَجَّهَ الحبُّ نحوها وَجْـهَ قـصدي[3]

راتبي في الهوى مراقبـة القلـ ... ـب له لاسواه والـذكر ورْدي[4]

وقال –رحمه الله تعالى – وقلت :[5]

جاد بالوصل وأسـعد ... بعد أن صـدّ وأبعـد

رق لي عطفـا فأحيـا ... روح صـبٍّ بـات

رشأٌ شاد لـه الحـب ... ـشائى مقعـد

ولـه في القلـب ودٌّ ... من قديم العهد مَعْهَـد

يوسفيّ الحسن أحوى ... جؤذريّ الجيـد أغيـد

بصفا حـب الثنايـا ... يخجل العقد الـمنضّد

---

(١) – في (ج) (رحمه الله تعالى) .

(٢) – (إلا) ساقطة من (ج) و (د) .

(٣) – وجه : نحو ، في (د) .

(٤) – راتبي: رابني ، في (ج).

(٥) – هذا من الغزل بالمذكر الذي لا يرتضيه عرف ولا دين، وتأباه الفطرة السوية والذائقة،وهو مما ابتلي به الشعراء.

وبلين العطف يــزري	ــبان والرمح الــمبنّد
ما القنا والغصن إذا قا	م اعتــدالا أو تــأوّد[2]
زارني والليـــــل داج	وعيون النـــاس هُمّــد
حيث لا واش رقيــبٌ	لا ولا أعـــين حـــسّد
فرأت عـــيني جمـــالا	============
وتنـــزّهْت بـــروْض	ـــــــن في الخــــدّ
وجنيت الــورد مــن	نه الزاهـــي الـــمورّد
بشهودي لتجلّي الشــ	ــشمس في وجْه محمّد
وفّر الله بــها أنــسى	وللأفــــراح جـــدّد
حفـــظ الله محيّـــا	ه وأبقـــاه وأســـعد
أبلج الطلعــة أســنى	من سنا البدر وأســعد
باسم الثغر ضـــحوكٌ	سلسلى الريق الــمبرّد
أدعج الــمقلة أمضى	من شبا السيف الْمُهنّد

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

---

(١) – صب : حب ، في (أ) المعوض .
(٢) – إذا : إن ، في (أ) المعوض .
(٣) – عجز البيت بياض في جميع النسخ.

سلوت وإنِّي مغرمٌ يا أخا الــودِّ　　　ألِيف التصابِي لا أزال على عهدي
عهدتك مثلي فانتبذت مُجانبــا　　　وخلّفتني يا صــاح في سَــكْرتي
فبالحب هل في سَلْوَة الحبّ لذّةٌ　　　رغبت إليها أو ظفرت بــها بعدي
أراك تركت الحبّ عــن غــير　　　وفرّطْت فيه بــل وأفرطــت في
فما لَكَ يا خدْن اللطافة والصبا　　　جنحْت إلى الغيّ الــصُّراح عــن
أَلَسْنا اتّخذنا الحــبّ نـــَهْجاً　　　وهمْنا بمَنْ نــهوى على القــرب
وملْنا مع الــشجوى إلى كــلّ　　　بلغْنا بـــها في ميْلنــا منتــهى
فما ميل أعطاف الغصون علــى　　　وقد صافحتْها من نسيم الصَّبا أيد
بأميل منّا حيث يجذبنا الهــوى　　　لنيل لبانات الصِّبا بيــد الوجــد
فما كان ظنِّي فيك سلْواي عن　　　وَرَدْنا به في ورْدنا أَعْذَبَ الورْد(٤)
فأمسيت مَحْلول العقال وإنــني　　　أسير الهوى لم أثْــن عــن عبْئــه
على أنني من ذاك لست بجازع　　　لشيء سوى أنْ ليس عندك مــا
فهلاّ ترى العَوْد الحميد لــمبدأ　　　كلفنا به والعَوْد مسْتلزم الحمد(٦)
فإن كــان عــذري في جفــاك　　　لهذا الهوى العــذري فالعــذْر لا
وإن كان برًّا عن يمــين فإنمــا　　　يكفّره عدّ الخلاص مــن النقــد
وما هي إلا رغبةٌ فيك أن تــرى　　　بمَرْآي فيما استكنّ ومــا أبــدي
ولا بدْع أن يهوى الفتى لصديقه　　　نفيساً كما يهــوى وذا مقتــضى

---

(١) – أفرطت: أفرط ، في (ج) .
(٢) – الصراح: الصريح ، في (ج).
(٣) – ميلنا: ليلنا ، في (ج) و (د) .
(٤) – وَرَدْنا : وزدنا ، في (أ) المعوض .
(٥) – (عبئه) بياض في (ج) .
(٦) – فهلا ترى: فهل لا ترى ، في (ب) ، و(فهل ترى) في (ج) و (د) .
(٧) – عذري: عذرٌ ، في (أ) المعوض .
(٨) – ذا : إذا ، في (ب) .

وها أنا في النهْج الغراميّ سالكٌ ... وإنّى بنار القلب للحبّ استهدي

حليف الشجى إلْــفُ التولّــع ... سمير الدجى خدْن البكــا دائــم

كساني الهوى بُرْدَ السقام مطرّزًا ... بوَشْي الضَّنا قد أحكمته يد الصدّ

وما ثَــمَّ لي جسمٌ يُرى لنحوله ... ولولا أنيني لم يكن لي من وُجْــد

وكيف يُرى جسمٌ عفــا رسمــه ... وقد لُفّ من نسْج الصبابة في بُرْد

وبي رشأٌ يبدي النفــارَ وضــدَّه ... ويمزج لي حُسْن الــمجون مــع (١)

ويطمعني بالوصل وَعْدًا وإنــني ... على طمعــي غلَّبْــت يأســيَ في

أهاج بقلبي وهْجةً قد تــسعّرت ... وقد زادها بالصدِّ وقْدًا على وقْد

ولم يُبْق لي فرْط الغــرام بحبّــه ... سوى الروح أهواه بــها وبــها

أموت ويحيا في هــواه تــولّعي ... وأَفْنَى ويبقى في مَحبّتــه وَجْــدي

تجاذبني الأشواق يمنًى ويــسرةً ... فطوْرًا إلى غور وطــورًا إلى نجــد

وتبعثني الشجوى إلى بانة الحمى ... وحينًا إلى نَوْر الــشقائق والــوَرْد

غراماً إلى عطْف الحبيب وضمِّه ... وشوقاً إلى مَجْناي من ذلك الخــدّ

مليحٌ يريني وجهــه وجعيــده ... غريبةَ جَمْع الضدّ فيه إلى الــضدّ

فأصبح في صبْح مــن الفــرْق ... وأمسى بديْجور من الشَّعْر مسودّ

غزالٌ له لطْف الظبا في التفاتــه ... ولكن له في فتْكه صوْلة الأُسْــد

إذا ما رنا باللحظ أرسل أسهمًا ... مريّشةً من مقلتيــه إلى كبْــدي

وإن ماس أزرى بالأراك انثناؤه ... وهل لأَرَاك الروض رقّة ذا القــدّ

له مبسمٌ يفترّ عن نَبْــت لؤلــؤ ... مغارسه الــــمرجان في منــهل

وما البدر إلا نقطةٌ مــن جمالــه ... ولا الزهر إلا مــن جنــا خــدِّه

ولا الطيب إلا من شمائله الــتي ... عَلَتْ أن يُباهى طيبها بشذى الندّ

حَوَتْ ذاتُه جمعَ المحاسن فاغتدى ... فريد جمال ما له قــط مــن نــدّ

---

(١) – طمعي: طمع ، في (ج) و (د) ، يأسي : باسي ، في (ب) و (د) .

وماذا على مثلى إذا هام في ... بحبّ الذي أهوى وأَمَّ إلى قصدي

وقال - رحمه الله تعالى - وقلت أيضاً :

يا جوهري الثغر يا حالي ... يا زاكي العرف ياصافي البديدْ

يا ريم الأخدار يا زيْن العرب ... يا واضح الفرق يا ليلى

بالله يا ظبي رامه ما سبب ... طول الجفا منك والهجر

غيري بلقياك قد نال الأرب ... وراح بالوصل في عيش رغيد

إلا أنا دون ما رُمْتُه شعَب ... ما حيلة المستهام [التي]

فلا عتب يا حبيبي لا عتب ... عليك يا صاحب الحسن الفريد

بالحظ نيل الأماني يقترب ... وهكذا الحظ يستدني البعيد

وعادم الحظ أحواله عجب ... لا سيما هائم القلب العميد

كم أستميلك وأستجلى ... عنّك وأستعطفك يا ذا العنيد

كم أشتكى نار قلبي والوصب ... كم فيك أبدي غرامى كم أعيد

أسري توقّعْ لقاك سير الخبب ... وأَرْجَع القهقرى عمّا أريد(٤)

وأمدّ للوعْد كفّى بالطلب ... وأعود والوعد منّك لي وعيد

ولا أرى منك رحمة من يحب ... على محبٍّ وُلُوعه في مزيد

فوا حَرَبْ من صدودك وا ... وا شوق قلبي لوصلك وهو عيد

بالله يا حيلتي يا للحسب ... كيف العمل في جفا هذا الخريد

أمسيت مَسْبى الحجا حيران ... قلبي مع الشوق في جهد

وليت أني لما بي من نصب ... من لوعة الحب والوجد الجديد

أسلم من اللوم فيّه والعتب ... ممن يزخرف ملامه أو

---

(١) – ريم : زين ، في (ج) ، الأخدار: الأخدان ، في (أ) المعوض .

(٢) – سبب : السبب ، في (ج) .

(٣) – ما بين المعقوفين ترك مكانه فراغ في النسخ جميعها .

(٤) – أسري توقّع : أسير أتوقع ، في (أ) المعوض .

(٥) – صب: ضب ، في (ج) و (د) .

كم قلت يا عاذلي خذ لــك عني وقصّر ملامــك لا تزيــد
جعلت سمعي لتلويمك رجــب هذا ربيع المحاســن مــا تحيــد
الحسن آية ومن حسن الأدب شــهودها في محيّــاه الــسعيد
كم للمحبين في هذا النخــب مقاصدٌ دونــها مسرى وبيــد
يناهــا مــن تــأدّب أو دأب وفات إدراكها الفظّ البليــد[1]
واختم بذكر النبي عالي الرتب الــمــصطفى صــفوة الــرب
خير الورى المجتبى عز العرب نور الوجود الجلى بيت القصيد
صلى عليه الــــمهيمن مــا ================

وقال - عفا الله عنه[3] - وقلت :

ما أودع الله هذا الحسن فيك بل صاغه لضلال العاشقين هــدى
حسبي الجمال المفدّى منك يا بأن تكون له روح المحبّ فــدا[4]
محاســنٌ جمعــت في طلعــة بدر الدجى فكست شمس النــهار
دلّت مظاهر هذا الحسن أنك أصبحت بــين الــورى بالحــسن

وقال – رحمه الله - وقلت لمن التمس مني ذلك :

رقَّة الجسم أيْنَها من فــؤادك ثم أين الوفــاء مــن ميعــادك
كم توهّمْــتُ والتــوهّم إثمٌ أنّ قلبي ســلاك مــن إبعــادك
يا منى القلب لا تــمُلْ عــن قطّ ما مال قلبــه عــن ودادك

٥

(١) – تأدب : تأب ، في (ب) و (ج) و (د) .
(٢) – صدر البيت ساقط من (ج) والعجز بياض في (أ) المعوض و (ب) و (د) .
(٣) – في (ج) (غفر الله تعالى له) ، وفي (أ) المعوض (بالتماس بعض الأصحاب) .
(٤) – هذا البيت أثبته من (أ) المعوض ، أما في (ب) و (ج) و (د) فقد ورد مختلفا :
حسن يضيق نطاق الوصف عنه كما يقصّر البدر خطْوا عن سناه مدى
(٥) – هذا البيت أثبته من (أ) المعوض ، أما في (ب) و (ج) و (د) فقد ورد صدر بيت مختلف وهو:
ما نسبة الشمس إشراقا لطلعته ===============
(٦) – هذا البيت أثبته من (أ) المعوض ، ولم يرد أي شيء في النسخ الأخرى ، ولم يترك بياضا.

هل أقمت الدليل منك على ما … قد توهّمْته بحسن اجتهادك

بل أنا الهائم الذي لك قلبي … موطنٌ لا يليه غير اعتيادك[١]

نَقْضُ عَهْد الهوى يجوز وعندي … مستحيلٌ وإن تزدْ من عنادك

تَبَّ قلبٌ يسلو هواك وطرفٌ … ينتهي لَحْظُه إلى حسّادك[٢]

حيث أيقنت أنَّك الوَرْد في … ـن لهذا أوْجبت سَقْيَ قتادك[٣]

ما صبا القلب عن هواك سلوًّا … لا وحاشا فاسْتَفْت صدْق

دَعْ مقال الوشاة وابق على ما … يقتضى الحب من صحيح

وقال - رحمه الله تعالى – وقلت أيضا :

عَقَدَ الجمال لك اللواء وأيّدك … فامدد فديت إلى مبايعتي يدك

بك يا مليك الحسن قد صال … في عاشقيك وبانتصارك

دام العلا لك في الحسان فهل … ترعى رعايا الحبّ فيما قلّدك

أنت المؤزّر بالجمال فجيشه … أضحى على سلب النفوس

لك غنيةٌ بالحسن عن أن … للفتك في مهج الأنام مهنّدك

وكفاية عن أن تهز مثقّفًا … للعاشقين فلا ترنّحْ أملدك

هذا هو النصر العزيز فجلّ من … أولاك في دسْت الكمال

وقال غفر الله تعالى له[٧] :

أوّاه كم زفرة أردّدها … وحسرة من جفاك أجهدها

ولوعة في هواك نامية … ولاعجي والهوى يجدّدها

---

(١) – اعتيادك : اعتبادك ، في (ج) و (د) ، وغير واضحة النقط في (ب) .

(٢) – طرف: طرق ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٣) – سقي: شقي ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٤) – عن : من ، في (أ) المعوض .

(٥) – صال: صار ، في (ج) و (د) .

(٦) – النصر : النصل ، في (د) .

(٧) – في (ج) (رحمه الله تعالى) .

ومهجة نار وَجْدها اســـتعرت وإن خَبَتْ فالشجون توقدها[١]

وصـــبوة في الغـــرام جاذبـــة قلبي بكـــفّ الهيـــام مقْوَدهـــا

والشوق بين الضلوع لاعجُه يُتْهمُهـــا تـــارةً وينجـــدها

تدعو فؤادي إلى الربا وبـــها حبّي ولولاه لست أقـــصدها[٢]

وا طول شوقي إليه وا أسفي لفرقـــة شـــقّتي توعّـــدها[٣]

لهفي على فرصة ظفرت بـــها مـــن قربـــه لا أزال أحمـــدها

في برهة للزمان قد حـــسُنت ساعاتـــها والسرور يعـــضدها

آونةً للوصال قـــد غفلـــت عنها وشاة الهوى وحـــسّدها[٤]

وقال – غفر الله تعالى له[٥] - وقلت :

على بانة مـــن قـــدّه طلْعـــة البـــدر وفي روضة من خدّه يانع الزهـــر[٦]

بـــديع جمـــال أن تثنّـــى وإن رنـــا يقول الحلا ياخجلة البيض والـــسمر

دعـــتني دواعـــي حبّـــه إذ نظرتـــه فهمتُ به وجدًا وحار بـــه فكـــري

أرى نظرتي في حسن مرآه قد حَلَـــتْ ولكنها في القلب أذكى من الجمر [٧]

لذاذاتـــها في عجْب من قـــد هويتـــه ولو هجْره أضحى يعلّمـــه هجْـــري

رشا قد رشا نون اصـــطباري بجفنـــه فما وَقَت القلـــبَ الـــمعنّى مـــن

حوى الحسن حتى شارك الـــشمس في وفاق عليهـــا بالبـــشاشة والبـــشْر

مُنحت بوصـــل منـــه لـــيلا وبيننـــا مُدامان لا أدري بأيّهمـــا سُـــكْري

٥

---

(١) – الشجون: السجون ، في (ج) .

(٢) – بـــها: ها ، في (ج) و (د) وموهمة في (ب) .

(٣) – (شقتي توعدها) موهمة في (ب) و (ج) و (د) .

(٤) – عنها: عنا ، في (أ) المعوض .

(٥) – في (ج) (رحمه الله تعالى) .

(٦) – خده : خدها ، في (ج) و (د) .

(٧) – حلت : قلت في (ب) و (د) ، موهمة في (ج) ، وما أثبتناه من (أ) المعوض .

(٨) – بجفنه: بخفته ، في (ب) و (د) ، الكسر : السكر ، في (ب) و (ج) و (د) .

نظام كلام رقّ من دُرِّ لفظه … وريقٌ رحيقٌ راق في ثغره الدُّرِّي

إذا هشّ مفترّاً بكيت صبابةً … فيُظهر دمع العين ما صنتُ من

لمنظوم فيه خلْتُ منثور مقلتي … يعلّم فكْري رقّة النظم والنثر[٢]

مليحٌ يروم الوَرْدُ تشبيهَ خدّه … فهل لنظير الوَرْد روضٌ من النضر[٣]

أقول له يامالكي إنّ شافعي … محيّاك فارحم من تشفّع بالبدر

لكل محبٍّ فيك جزءٌ من الهوى … وكلّ الهوى عندي ومنه الهوى

كفاني وصْل الجسم بالسقم والضنا … وهجْر الحشا والطرْف للنوم والصبر

يجدّد قلبي فيك قلبا ومهجة … تذوب اشتياقاً فَادْر إن كنت لا تدري

وقال – عفا الله تعالى عنه[٤] – وقلت :

عَسْجَدُ الخدّ كيف أنْبَتَ زهْرا … وَرُدَيْني القوام أطْلع بدْرا

بل وكيف الشفاه تمزج راحا … رائقاً والعقيق يثمر درّا

دلّ هذا على كمالك في … ـن ورقياك في الملاحة قدْرا

أنت في الحسن ليس تُدرك … ومعانيك ليس تُدرك حَصْرا

لم ير العاشقون وجهك إلا … خضعوا سجّداً لربّك شكرا

كَلَّف البدر نفسه أن يضاهيـ … ـك كمالاً وأنت يا بدر أحرى

رام تشبيهه بحسنك لكن … أين ذاك المرام حتى تجرّا

يا غزالاً غزا محبّيه حتى … عمّ أهل الغرام قتلاً وأسرا

من لقلبي من مقلة وقوام … مكّنا فيّ منك بيضاً وسُمْرا

وقال عفا الله تعالى عنه[٥] :

---

(١) – صنت: حسنت ، في (د) و بياض في (ج) .

(٢) – (خلت) موهمة في (ج) و (د) .

(٣) – لنظير : ينظر ، في (ج) و (د) .

(٤) – في (ج) (رحمه الله تعالى) .

(٥) – في (ج) (رحمه الله تعالى) .

أَوَجْهُ من أهوى بدا مـــشرقا ... أم أشـــرقت في الليـــل شمـــس

حيَّر فكْري وهو بادي الـــسنا ... وهل على أن هُمْتُ في الحـــسن

ما رقّ نظم العقد حـــتى رأى ... من ثغْـــره الـــــمنظوم زَهْـــوَ

دلّت ثنايـــاه علـــى أنّ مـــا ... لم يغلُ في اللؤلـــؤ إلا الكبـــار

إذا انثنى يَفْري بسُمْر القنـــا ... وإن رنا يسطو ببيض الـــشفار

لـــه التفـــاتٌ والحيـــا زانـــه ... منه استعار الظبي حسْن النفـــار

خذ عنه ما ترويه عن خـــدّه ... أجنَّةٌ في التـــبر أم جُـــلٌّ نـــار

ينبئـــك الخـــدّ علـــى أنـــه ... ياقوتـــةٌ قـــد أثمـــرت جُلّنـــار

انظر إلى رقّة مـــا رقـــم الـــر ... يحان فيه من ســـطور العـــذار

٥

طاب به خلـــع عـــذاري ولم ... يكن لعذريّ الغـــرام اعتـــذار

وقال – غفر الله تعالى له[٣] – وقلت :

نـــهى عَلَيَّ هوى هـــذا الرشـــا ... لله في الحسن ما أحلى الهـــوى

أمسى وأصبح في قيْد الغرام بـــه ... أكابد الشوق فيه لوعةً وســـهر

صاغ الـــمهيمن مرأى وجهـــه ... على قضيب يفوق الغصن حين

رياض وجنته تزهو نـــضارتـــها ... قد جال زهوا بـــها ماء الحيـــا

أبدى لنا الحسن من ألحاظه عجبا ... آيات سحْر تلاهـــا العاشـــقون

لا سحْر هاروت سحْرٌ عند مقلته ... ـــكحلا ولا لعيون الغيد حُسْن

حاشا ولا البدر معْ إشراق طلعته ... بدرٌ ولا العقد معْ ثغر الحبيـــب

بديع حسْن كسا الرحمن منظره ... ـــمعشوق ثوب بـــهاء للعقول

يا خجلة الغـــصن إن ماســـت ... وحيرة الظبي إن أوما له ونظـــر

---

(١) – أشرقت: شرقت ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٢) – ثغره : نضره ، في (ج) و (د) .

(٣) – في (ج) (رحمه الله تعالى) .

(٤) – بـــها : به ، في (أ) المعوض ، و(ها) في (ج) و (د) .

(٥) – ألحاظه : ألحاظها ، في (أ) المعوض .

بالحــــب أقــــسم إني في محبتــــه قد استطبت غرامــى مــوردًا

وقال – أحسن الله تعالى إليه - وقلت :[1]

زها منظرا نَبْتُ هذا العــذار لعيني على خــدّك الجلّنــاري

يريه من الحـــسن في زهْـــوه رياحين تزهو على جُلِّ نــار[2]

نــهاية صــبوة قلــبي بــه بأن طاب لي منه خلْع العذار[3]

أدام الإلـــه عليــك البـــها إلى أن كساك ثيــاب الوقــار

لـــك الله حبّـــك لي ملّـــةٌ أدين بــه وغرامى شــعاري[4]

علـــى أنّ مـــرآك لي كعبـــةٌ لعزّتــها في مقــام انكــساري

بـــها طاف قلبي وصلّى بـــها ضميري وكان حماهــا مــزاري

دعاني إليها اختيــار الإلـــ ـــه لـــحبـــــى لهــا فأجــاب

يحقق أنَّـــىَ عُـــذْريْ الهـــوى وأنك في الحسن قطب الــمدار

نُمُوُّك عـــن مغـــرس طيّـــب وإنّـــك فـــرع خيــار الخيــار

وقال- رحمه الله تعالى- وقلت مصدّرا ومعجّزاً :

حجبوك عن مقل الأنام مخافةً أن يعتـــريهم لحظـــك البتـــار

وكسوك من أنوار وجهــك كى لا تخمّش خدّك الأبــصار

وتوهّموك فلم يروك فأصبحت تدميك في وجناتــك الأفكــار

وهواك أثّر في القلوب ومثلــه من وهمهـــم في خـــدّك الآثــار

وقال – رحمه الله تعالى- وقلت مصدّرا ومعجّزاً :

وجهٌ عليه من الحياء ســكينةٌ ومن الحياء لطــائف الإينـــاس

وله بأرجاء القلـــوب مـــودّةٌ ومـــحبّةٌ تـــجري مع الأنفاس

---

(١) – هذه القصيدة ساقطة من (ج) كاملة .

(٢) – في جميع النسخ (يريه إلى الحسن في زهوه) ، ولا يستقيم المعنى إلا بما أثبته.

(٣) – نــهاية : هام ، في (د) ، وغير منقوطة في (ب) .

(٤) – أدين : ادنى ، في (د) ، به : بــها ، في (أ) المعوض .

وإذا أحب الله يومـــاً عبـــده ... أضحى بـــأنوار الـــــمحاسن

سكنت محبته القلوب وربـــه ... ألقى عليـــه محبـــةً في النـــاس

وقال أيضاً أفاض الله عليه فيوضاته فيضا[٢]:

أحبك سيدي حبـــاً تـــسامى ... بأن أحـــصيه حـــداً أو أقيـــسه

ولكن في الحقيقة أنت عنـــدي ... أعزّ عليّ من نفـــسى النفيـــسه

وقال بلغه الله تعالى الآمال :

فتور مآقيها على مهجتي سطا ... وبالغ في تفتيت قلبي وأفرطـــا[٣]

أصاب ولا أخطـــت فـــؤادي ... إصابة من في القلب يستـــصوب

طربت لربّـــات الظبـــا مـــن ... بقلب لها في سوحه موضع الخُطـــا

مُفَتَّرَةٌ مُفْتَرَّةُ الثغر قد حـــوت ... شمائلها حُسْناً على البدر مفرطا[٥]

تغازلني باللحظ واللفظ رقّـــةً ... فكان احتفالي بالسرورين أحْوَطـــا

وقال- رحمه الله تعالى- أيضا :

يا عيوني اجعلى لقلْبىَ حظّـــا ... عندما تـــرمقين حبّـــك لَحْظـــا

أنت تحظين بالجمال اجـــتلاء ... وفؤادي معذّبٌ لـــيس يحظـــى

كيف تجنين ورد خـــديك يـــا ... ـــن اقتطافاً ومهجـــتي تتلظـــى

حـــسبك الله قـــد نقـــضت ... وأنـــا واثـــقٌ بعهـــدك حفظـــا

وقال غفر الله تعالى له[٦]:

يا هاجري عذّبت قلبي الولِعْ ... كم أطلب الوصل وكم تمتنـــعْ

طال الجفا أشمتّ بي حـــسّدي ... فرّقت عنّي شـــــملى المجتمـــع

---

(١) - الصواب: كاسيًا، وهذا مما اضطر إليه الشاعر، ولا تبيحه قاعدة الضرورات الشعرية.

(٢) – في (ج) (رحمه الله تعالى) .

(٣) – مآقيها: أماقيها ، في (ج) و (د) .

(٤) – يستصوب : يستوصب ، في (ب) و(يستوجب) في (ج) و (د) .

(٥) – حوت: خوت ، في (ب) ، شمائلها : شماملها ، في (د) .

(٦) – البيت ساقط من (أ) المعوض .

لا عطفةٌ منــك ولا ســلوةٌ ... منّي فــلا أســلو ولا تنخــدع

تــهوى القلا عنّي وأهــوى ... يا ليت شعري فمــتى نجتمــع

ميّلك الواشي بتنميــق مــا ... ينشي من الزور وما يختــرع[1]

أشاع عنّي أَنْ سلوتُ الهــوى ... وحَمَّل السمع بما لا سَــمع[2]

فملــت للــهجْر بتزويــره ... صدّقت ما عن غــيره لم يُــشع

وعاذلي يلقى على مــسمعي ... زخارف العذل فــلا استمع

يــزعم إرشــادي وإرشــاده ... للغــيّ بــاللغو فــلا أتّبــع

وكلما أَنْــهَضَ مــن عزمــه ... على انتصاحى حجَّــةً تنــدفع

يزهــدني عنــك ولكــنّ لي ... عن التسلى عنــك قلبًــا وَرِع

لا نال خيراً من وشى بيننــا ... وقاتــل الله عــذولي قطــع

وكيف أســلوك ولي مهجــةٌ ... حبّــك في مرآتــها منطبــع

حسبك ما شاهدت يا فــاتني ... من سقْم جسمى وفؤادي الوجع

لجفــوة منــك لأوصابــها ... يضيق صبري وهــي بي تتــسع

وصبوة فيك لقلــبي بــها ... حبّ الصبابات بــها قــد زُرع

وشقّة طــال عــذابي بــها ... وكلّمــا مزّقتــها ترتقــع

وزفرة من حرّ نــار الجــوى ... حاشاك أنفاسى بــها ترتفــع

ولوعــة للــبين لا ذقتــها ... أخشى على الأحــشا بــها

ما لي سوى التامیل في وصلتي ... منك فحققْ وصْلةَ الــمنقطع

أَنَطْتَ آمــالي بحبــل الرجــا ... وكلمــا وصّــلتها تنقطــع

والروح لولا أنسها بالرجــا ... تكاد مــن وحــشتها تنتــزع

سهّل لها الوصل وجد باللقــا ... بالروح أفدي سهلك الــممتنع

وقال - رحمه الله تعالى - وقلت لمن التمس مني في ذلك :

---

(١) – في (ج) (رحمه الله تعالى) .

(٢) – (أن) ساقطة من (ب) و (ج) و (د) .

أفديه مَن فضح القنـــا هَيَفـــا وَسَبَا غصون البـــان منعطفـــا
بأبي مليحـــا قـــد أقـــرّ لـــه غصن النقا بـــاللطف واعترفـــا
راقت محاســـنه لنـــا نظـــرا رقّـــت شمائلـــه لنـــا ترفـــا[1]
أبـــهى من البدر الـــمنير ضيا وأجلّ من شمس الضحى شـــرفا
هامت بعشقته القلوب هـــوى وتـــــهتّكت في حبّـــه شـــغفا
يرنـــو فيوســـعها بنـــاظره فَتْكا فيوردهـــا بـــه التلفـــا[2]
متبسّمٌ عن مرشـــف عطـــر فاق الـــسلافة نكهـــةً وصـــفا
أحلى من السلـــسال ريقتـــه وبـــها التثاما للعليـــل شـــفَا[3]
غضّ الخدود بـــها الـــورود لـــمن اجتنى منها ومن قطفـــا
الله أمّـــن روضـــها أبـــدا لا نـــمل دبّ بـــها ولا وَقَفَا[4]

وقال – عفا الله تعالى عنه - وقلت :

ما لبدر التمام في الإشـــراق فتكات الجفـــون والأحـــداق
لا ولا للقضيب لـــين قـــوام قد تـــجلّى من البها بنطـــاق[5]
يبعد الجمع في محاكاة هذيـــــن بـــهذين بُعْدَ هاو وراق[6]
إنّ بدْر الدجى وغصن الروابي للخوى أوْلُ ذا وذا للمحـــاق
عرِّفوا البدرَ نبِّهوا الغصنَ ممَّا بـــهما من غوى ومن إغـــراق
لو تكن نسبة التماثل صحّت لهما في الجمـــال باســـتحقاق[7]
ما اختفى البدر في الغمام حياءً واكتسى الغصن سندس الأوراق

(١) – محاسنه: في سنه ، في (ج) و (د) .
(٢) – فيوردها: فيورده ، في (أ) المعوض .
(٣) – للعليل : للغليل ، في (أ) المعوض .
(٤) – دبّ: دبت ، في (ج) و (د) .
(٥) – تجلى : تحلى ، في (ج) .
(٦) – بعد هاوٍ وراق: بعدها وولاقي ، في (ج) و (د) .
(٧) – التماثل : التمايل ، في (د) .

هذه طلعـــة الحبيـــب وهـــذا   عطفه فاعجبوا لذا الاتفـــاق[1]
فهي في الحسن روضةٌ لشهود   فوق إبريـــز قامـــة لعنـــاق[2]
رامت الـــشمس قبـــل ذا أن   ـــه فـــردّت بـــالعجز عـــن ذا
أيقنت بالقصور فيما ادّعتـــه   وانثنت حسرةً بنوع احتـــراق
إنه في الجمال سلطان حُـــسْن   نافذ الأمر في نـــهى العـــشاق
جمع الله في الحبيب الـــمفدّى   شَمْسَ حُسْن الذوات والأخلاق

وقال – غفر الله تعالى له [3]– وقلت: (مشجر) [4]

نَفَحَتْ من روض خدّيه الأنيقه   نفحةً أَزْرَتْ مـــن الـــمـــسك
أسكرتني من شذاها وعجيبٌ   أنّ سُكْري طيب من لا ذقـــت
صاغه الله بأفق الحسن شمـــسا   أطلعتها بانة القـــدّ الوريقـــه[5]
رام بدر التمّ إشراقا وَزَهْـــوا   أن يضاهيه وأن يدعى شقيقه[6]

وقال غفر الله تعالى له[7]:   (مشجر) [8]

ساق أدار لنا سلاف رحيقـــه   ليلا وخامرنـــا بخمْـــرة ريقـــه
لثم الزجاجة فاستعار حَبَابـــها   من فيه رونقه ولـــون عقيقـــه
متبسّماً بأقاح ثغـــر أَلْعَـــس   عن لؤلؤ قـــد رقّ في تنـــسيقه
أبدى لنا الشمس الـــــمنيرة   وأنالنـــا مَـــرْآهُ نَـــوْر شـــقيقه
ناهيك قد شهد الجمال بأنـــه   بدرٌ يرينا الشمس من إبريقـــه

---

(١) – لذا : لهذا ، في (ج) و(لنا) في (د) .
(٢) – (إبريز) موهمة في (ج) .
(٣) – في (ج) (رحمه الله تعالى) .
(٤) – الاسم المشجر هو : ناصر .
(٥) – (بانة) كُتب منها الباء والألف وترك الباقي بياضا.
(٦) – الفعل (يضاهي) من حقه النصب ، وهو مما يخل بالوزن ، وإهماله لا تبيحه الضرورة الشعرية .
(٧) – في (ج) (رحمه الله تعالى) .
(٨) – الاسم المشجر هو : سلمان .

وقال - عفا الله تعالى - عنه :

ماسَ تيها ففاق غصن الأراك ... وتجلّى كالشمس في الأحلاك[1]

ثملاً من سلافة الحسن فخـرا ... ليس للحور مَعْهُ نوع اشـتراك

قَدَّ قلبي مـن قَـدِّه بـسنان ... وبسيف من لحظـه الفتـاك[2]

إنه في الجمال آيـة حُـسْن ... هـام فيـه أفاضـل النـساك

لـمحيّاه كلّ وَصْف جميـل ... ليس يحـصى بغايـة الإدراك[3]

رقّ شهد الطلى على عقد درٍّ ... في عقيق بثغـره الـضحّاك[4]

ما تـمنّى المحب من فيـه إلا ... بعـض شـيء مـن خدمـة

ضلّ لـمّا اهتديت منه لوصل ... عاذلي فيـه إذ يريـد هلاكـي

أَتْعَبَ الأرض بالترقّب فينـا ... ومكان الوصال فوق الـسماك

نلْتُ قصْدي حيث العيون نيامٌ ... وتحمّـدت أعـين الـشبّاك

وقال - غفر الله تعالى له[5] - وقلت :

سهْد جفني وسـقْم جـسمي ... يكفياني أن أبتـديك وأشـكي

لك طرْفٌ أراق مـن طـرفيَ ... ـع فأضحى لشاهديّ يزكّـي

مَلَكَ الحبّ مهجتي لك حـتى ... لذّ للقلـب في ودادك هتكـي

أنـا والله عاشـقٌ مـستهامٌ ... مذهبي عشْقة الجمال ونـسْكي

نَوِّع الهجر لي بما شـئت إني ... لم أبـدّل يقـين ودّي بـشكّ

طاب لي كلّما تريـد ولكـن ... كم تريني صدًّا يذيب وينكـي

بالذي زان درّ ثغـرك نظْمـاً ... بين خَمْر اللمى بأحسن سلْك[6]

٥

---

(١) – الأحلاك : الأفلاك ، في (ج) و (د) .

(٢) – وبسيف : وسباني ، في (ج) ، و(سبني) في (د) .

(٣) – (كل) ساقطة من (ب) و (ج) و (د) .

(٤) – (الطلى) بياض في (ج) و(اللا) في (د) .

(٥) – في (ج) (رحمه الله تعالى) .

(٦) – (در) ساقطة من (ب) و (ج) و (د) ، خمر: زهر ، في (ج) .

يا غنَّى الجمال قد حُــزْت في ـــن نصاب الكمال فــاعطف

لاتطع زخرف الوشـــاة فــإني لم أطع فيه عــاذلاً رام هلكـــى

هو مثلي لكنّـــه بـــــملامى يدفع الوهم من أليم التشكّى[(١)]

وقال ـــ رحمه الله تعالى ـــ وقلت :

وجفناي قالا عنــدما أشْــرَك لقلبي شــبَاكاً كيــف صــادك

فقال لقد أغريتماني وصــرتما خليّـــان مـــــما بي مـــن الألم

وأنكرتـــما ما كان في الأصل وبعد وقوعي جئتمـــاني بــــما

وقد كان ظنّـــي فيكمـــا إذ على حالتي أني أقول قفا نَبْــك

وقال – غفر الله تعالى له[(٢)] - وقلت :

ذوائــــب فينـــان الجعيــــد أذبن الحشا مني بشعر مسلـــسل

وقيَّدْنَ قلْبـــي إذ تسلْــسلْن وأطْلقْـــــن دوْر الـــــشوق لي

وأَهْملن عين الدمع من نـــون حليف البكا مـــن نقطـــة النـــوم

وأرسلن من وفْراتـــهنّ دجنّةً على صبح وجه بالجمال مـــسربل

وأطلعن من فود الغدائر طلعةً تغيب بـــها شمس الضحى حـــين

على بانة من عـــسجد الخــدّ على دعْص كافور عـــن الخـــصْر

تفوق الردينيّات عطفاً ولم يكن كمعتـــــدل الأعطـــاف عطْـــف

فما شاهدت من قبـــل هـــذا بنانة حسْن فوق غـــصن مخـــضّل

يميس انثناءً في مطارف حسنه ويختال في حلل المحاسن والحلـــي

ويفترّ عن ثغْـــر تـــنظّم درّه بسلك عقيق في مناهـــل سلـــسل

ويرنو بطرف أكحل اللحـــظ وقرضـــــابه أصـــــمى فـــؤادي

---

(١) – هذا البيت ساقط من (ب) و (ج) و (د) .

(٢) – في (ج) (رحمه الله تعالى) .

(٣) – قيّدن : قيدني ، في (ج) و (د) ، و(قيدت) في (أ) المعوض .

(٤) – النوم: النور ، في (أ) المعوض .

(٥) – ينجلي : تنجلي ، في (أ) المعوض .

فما بابليّ السحْر عند فتـــوره ... سوى نفثة من سحْر طرْف مكحَّل

رشا رشّ وَرْدَ الخدّ منه نـــدى ... وسال مذاب الحسن فيه بجدول[٣]

وأزهر نوْر الزهر في وجناتـــه ... بـــهاءً على فرط الحياء الـــمؤثّل

ولكن حماه اللحظ من كـــل ... بمقلته الكحلا وعن كل مجتـــل[٤]

غزالٌ غزا عـــشاقه بجفونـــه ... فأغمد في أحشائهم كلّ منـــصل

وصال على جيش القلـــوب ... أرانا بـــها للغيد صـــولة أشـــبل

وغازلني هاروتـــه بلـــواحظ ... مفتّرة قـــد رقّ فيهـــا تغـــزّلي[٥]

وكلّمـــني بتّـــاره فأبـــان لي ... طريق كلام (فيه حسّنْت مقْـــولي

درى أنّ قلبي في هواه متـــيّمٌ ... بخلقي ودّ) فيه غـــير مـــسوّل[٦]

وأيقـــن أني هـــائمٌ في جمالـــه ... وأنّ فـــؤادي عنـــه لم يتحـــول

فعاملني بالصدّ منـــه تـــدلّلا ... وقـــال اصـــطبر فالحـــسن عـــين

وعلّق آمالي بـــزَوْرَة طيْفـــه ... فلـــم يَغْـــفُ طـــرْفي للخيـــال

وهل من طباق للجفون بغفلة ... إذا فرّ نومي فـــرّة الـــــمتجفّل

وأَوَّلَ قصدًا زورتي بـــازوراره ... فقلت له يا حسن هـــذا التـــأوّل

ولـــمّا تمادى في تجافيه وانثنى ... وحسَّن إتلاف الفؤاد الـــمبلبل[٩]

رفعـــت أحاديـــث اشـــتياقي ... وعنعنـــــت وجـــــدي بـــــالغرام

وأدمجت في شكواي موضوع عشقتي ... بمسند شوق في حشا غير معـــضل

٥

---

(١) – القرضاب : السيف القاطع. لسان العرب (قرضب).

(٢) – (قرضابه) موهمة في (ج) ، و(قر جنابه) في (د) .

(٣) – وسال: رسال ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٤) – حماه: حاكا في (ج) و(حكا) في (د) ، من كل : عن كل ، في (أ) المعوض .

(٥) – غازلي : حاربني ، في (ج) وموهمة في (د) .

(٦) – ما بين القوسين ساقط من (ب) و (ج) و (د) بسبب انتقال النظر .

(٧) – التدلل : التذلل ، في (أ) المعوض .

(٨) – لم يغف: لم يغن، في (أ) المعوض .

(٩) – ولما: ولا ، في (ج) و (د) .

وقلت له رفقاً بمن عمّر الهوى ... لحبك في أحشائه خير منـــــزل

وعطفا على من شبّ طفْــل ... عن الطوق لـــما شـــاب كهْـــل

فراح نفاراً في خمـــار دلالــه ... وزاد جماحاً بعد ذاك التـــسهّل(١)

فأجّج نيران الجـــوى بنفـــاره ... وأوهجها في سوح قلبي الـــمعلّل

فما كان هذا الصد في حسن ... بأليق من فعـــل الجميـــل وأجمـــل

وما كان هذا حقّ مثلـــى في ... على مثله في الهجر لا في التمثـــل

ولكنّ لي قلبًا يرى كلّ فعلـــه ... جميلاً وأن يقطع حبـــال التوصّـــل

ولي مهجة حرّى تـــرى مـــن ... أجاج التجافي منه أعذب منهل(٢)

فيا أيها الحبّ الذي قصّر اللقا ... ومَدَّ النوى عمداً ومَدُّ اللقا جلـــى

ترفّقْ بمظلوم تحمّلـــت ذنبـــه ... أما خفت مـــن هجـــر الحبيـــب

أما تدر أنّ الحب لا بد آخـــذٌ ... عليـــك بإبعـــادي وإن يتمهّـــل

وأن جزاء الـــمرء من جنس ... ومَنْ غَرَسَ الـــمعروف يجـــني

فلا تنكر الهجران مـــمن تحبه ... وذق مثل ما قـــد ذقتـــه وتحمّـــل

ودع شَيْنَ هذا الهجر يا زَيْـــنَ ... فماذا على هذا الجفا من معـــوّل

وخلّ اشتغال القلب عمّا ثوى ... من الودّ فيمن عنك خاطره خلـــى

وملْ عن هوى يهوي به مدمن ... معاجلـــةً مـــن مرتقـــاه لأســـفل

فجوهر هذا البحـــر صـــعبٌ ... فـــلا تقـــتحم تيّـــاره بالتحيّـــل

ولـــجّة بحر الحـــب أعظـــم ... وما البحر من بحر الغرام بـــأهول

وإنّ الهوى حلو الـــمبادي ... عواقبه حاشا هـــواك كحنظـــل(٤)

فما لك فيما لم يفد من فوائد ... كما لم يفد شيئاً حصول المحـــصّل

---

(١) – التسهل: السهل ، في (د) .

(٢) – أجاج : أجيج ، في (ج) .

(٣) – (يجني ويجتلي) في (ب) و (د) (يجني .....) وفي (ج) (لا شك يجتن).

(٤) – (وإنما) ساقطة من (ج) و (د) .

فجد لـــمحبٍّ ما له عنـــك وَصلْ مستهاماً قلبه بالهوى ملى[(١)]

يراقب منك الوصل في معهد بيقظـــة إينـــاس ونومـــة عـــذّل

فها أنا قد أبديت سرّ محـــبتي فإن شئت كثّر في الهوى أو فقلّـــل

وحسْبك ما أبرزتُه من صبابة وحسْبيَ منك القرب غاية مـــأْملي

وقال سامحه الله تعالى[(٢)] :

٥

يا مرسلاً من طرفه الأكْحَـــل سهامه رسْـــلاً إلى أَكْحَلـــى[(٣)]

حسْب فؤادي لوعـــةً مـــنكمُ يقوهـــا القلـــب ولم يحمـــل[(٤)]

يا يوســـف الحـــسن الـــذي مصرٌ له فاحكم بـــه واعـــدل

يهواك قلبي وهـــو مـــأواك لا تصدع به مغنـــاك يـــا مـــأملي

الله في صـــبٍّ لـــه صـــبوةٌ فيك (لقلب بالتـــصابي ملـــي

لـــيس بـــــميّال إلى ســـلْوة عنك) ولا مصغ إلى عـــذّل[(٥)]

سهران يرعى بالسهاد السها وجداً وقد نامت عيون الخلـــي

يطـــارح الـــوُرْقَ لأشـــجانه شَجْوا فيربو بـــالغرام الجلـــي

رفْقاً بمصدوع الحـــشا قلبـــه لا يرعوي عنـــك ولا يـــأتلي

جمالك الأسنى حقيـــقٌ بـــأن تولى جميل الفعل لي فاجمـــل[(٦)]

إنّ بقلـــبي وهْجـــةً مـــا لهـــا إلا التثامى ثغرك السلـــسلي[(٧)]

نعم ومن لطْف ســـجاياك لي ما عزّ من وصلك فامنحه لي[(٨)]

---

(١) – فجد: وجد ، في (أ) المعوض.

(٢) – في (ج) (رحمه الله تعالى) .

(٣) – أكحلي : الاكحل ، في (ج) .

(٤) – منكم : فيك لم ، في (أ) المعوض، وغير واضحة في (ب) وبياض في (ج) و (د) .

(٥) – ما بين القوسين ساقط من (ب) و (ج) و (د) بسبب انتقال النظر .

(٦) – بأن : بأنه ، في (ج) .

(٧) – وهجة: مهجة ، في (ج) و (د).

(٨) – من : عن ، في (أ) المعوض .

يا برد أحشائي ومن لي بـأن ... يحلّ بـدر الـتمّ في منـزلي

وقال - رحمه الله تعالى - وقلت :

بدت فانجلى لي رونقٌ وجمـال ... لها وازدهاني صـبوةٌ ودلال[1]

ولاح صباح الفـرْق في ليـل ... فحيّرني منها هـدى وضـلال

غزالة خدر راح قلبي أسـيرها ... ولا غرو كم يـسبي الأسـود

مفتَّرة الألحاظ سـحّار طرفهـا ... له في حلوم العاشـقين مجـال

بديعة حسْن جلّ مقدار حسنها ... بأن يصطفى- حاشاه - معْـه

لها منظرٌ قد كلّف البدر نفـسه ... به شبهاً إن الـمحال مـحال

تكبّر بالوصف الكمالي فأشرقت ... بـهاءً فعاد البدر وهو هلال[2]

على أنّ شمـس الأفـق منـه ... لباهر نـور مـا اعتـراه زوال

مُحَيَّا يفـوق النيّـرين بطلعـة ... عليها بـهاءٌ فائقٌ وكمـال[3]

ترى الروض يزهـو في حمـى ... عليه لأهداب الجفـون ظـلال

وحول الحمى من مقلتيها موانعٌ ... بـواتر تحمـى دونـه ونبـال

وقال – غفر الله تعالى له[4] - وقلت :

الغـصن يطـرب ... طرب الـمـشُوق إلى

والظبي يعشق طرفـك ... جى ويفْرق من نبالـك

والبدر يسجد خاضـعاً ... حال الشهود إلى كمالك

والشمس تدّرع الحيـا ... ء إذا رأت مجْلى جمالـك

ما الـشمس إلا نـور ... ـهك حين تبـدو مـن

ما النار والأزهـار إلا ... وجنتيك ومـا هنالـك

---

(١) – ازدهاني: ازدها في ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٢) – الكمالي: الكمال ، في (أ) المعوض و (ج) .

(٣) – بطلعة: بطلعته ، في (ج) و (د) .

(٤) – في (ج) (رحمه الله تعالى) .

ما الـــمسك والريحان ـــلا عارضيك ومـــسْك

تفديك روحي يا حيـــا ة الروح فاقبـــل بعـــض

لم يبقهـــا فيّ الجـــوى والوجد إلا روح هالـــك

فارحم بقيّـــة مهجـــة فَنيَـــت ســـقامًا مـــن

وتَلافَ قلبًـــا لم يـــزل في حبّه لرضاك سالك[٢]

ما غبت عنه ولا ســـلا ك ولا تغيّر مـــن مـــلا

باق على حفظ المحبـــــ ـــبة لاتّصالك وانفصالك

ماغيّرتـــــه الحادثـــا ت ولا الــــــــملمّات

راض بما ترضـــى لـــه فاســــــلك بـــــه أيّ

فإذا عطفت عليه بالـــ ـــــلقيا فـــذلك مـــن

وإذا جنحت إلى الصدو د فلا ملام على دلالـــك

والحبّ يقضى للحبيـــ ـــب على المحب بكـــل

حسبي رضاك وإن يمـــر ر اسمي على خطـــرات

لكن لحسنك مفزعـــي وإلى الكرائم من خصالك

أن لا تطيع هـــواك في بعدي كـــأنّي لم أوالـــك

فاسمح بوصلك لي وَقُلْ إنّـــي أجبـــت علـــي

وقال – غفر الله له[٧] - وقلت :

٥

---

(١) – سقاما : سماها ، في (ج) و(سقاها) في (د) .

(٢) – وتلاف : وتلاق ، في (ب) و (د) .

(٣) – تغير: تعين ، في (د) وموهمة في (ج) .

(٤) – إلى هنا انتهى موضع الخرم المفترض المعوض عنه في نسخة (أ) ، لذلك نعود من بعد هذا البيت لجعل النسخة (أ) النسخة الأولى في التحقيق، وتعود النسخة (ب) نسخة ثانية كما كانت .

(٥) – باللقيا: باللقا ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٦) – أجبت : أجيب ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٧) – في (ج) (رحمه الله تعالى) .

على بدور التِّمِّ مـــا ... وفي ملوك الحسن مـــا

بدا محيّاك الـــمضى ... بنوره الشمسىّ منـــه

أذهلني حسنك لـــمّا ... فقلت هـــذا بـــشرٌ أم

سبحان من سوّاك لي ... ومَنْ بأسلوب البـــها

هام فؤادي فيك إذ ... فيك غرامي والجفا لذّ

وقال – لطف الله به- وقلت :

بين فتْك الرنا وطَعْن القـــوام ... أَدْمَجَ الحـــبّ لي كـــؤوس

فتنةٌ أصلها العيـــون ولكـــن ... عاد تأثيرهـــا إلى الأجـــسام

تبلغ العين في الجمال مناهـــا ... والحشا يعتريه رشق السهام

هكذا يا أولي الهوى مـــذهب ... ـــحـــب وهل هكذا سلوك

٥

سالمٌ من جنـــا الجنايـــة فيـــه ... وتـــصيب النـــصال غـــير

وقلت مصدراً ومعجزاً :

حجبوا وجه من أحب وقالوا ... دع هواه فما الهـــوى بعظـــيم

أرح القلب من سليم وعنـــه ... عش سليماً فقلت غير ســـليم

كيف أحيا وقد تغيّب عـــني ... بدر تـــمٍّ علـــى قـــوام قـــويم

فارفقوا بي لأنّ ســـرّ حيـــاتي ... وجه من كان لـــذّتي ونعيمـــى

وقال :وقلت أيضا :

للناس في الحب أشـــجانٌ ولي ... وَحْدي وطُـــرْق صـــبابات ولي

وللمحبين في عشْق الجمـــال ... لكن هواي بفرط الوجد مُقترن

ولي فنون غرام معْ مزيد جوى ... في مهجة ما اعتراها في الهـــوى

---

(١) – المضي: المعنى ، في (ج) و (د) .

(٢) – هذا : عقد ، في (د) .

(٣) – تصيب: نصيب ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٤) – طرق : طرف ، في (ج) و (د) .

ناهيك دوحة أشواقي مفنّنــةٌ … شوق المحبين من أفنانــها فــنن

تفاوت الحب ما بيني وبينـــهمُ … وهل يقاس برطْب الـــــملمس

أهل المحبة لم يـــدروا بغايتـــهم … في الحـــبّ إلا ذكـــيّ الخـــاطر

ظنّوا بأن هوان الحب عزّتـــه … وأن معظم لذّات الهوى المحـــن

وأُوهموا أنّ هجر النوم غايتـــه … فما دروا بتعاطيه ولا زَكَنُـــوا[٢]

ما كلّ من قال أهوى كان ذا … ولو جفا جفنه الإغفاء والوسن

ولا الذي قد صفت للنـــاس … خال ولكنّـــه للـــسرّ مـــؤتمن

وإنما الحب سرٌّ ليس يحفظـــه … من استوى عنده الإسرار والعلن

فإن فيه اختبارًا للنـــهى وبـــه … يجرّب الـــمرء في الأشيا ويمتحن

وإنه لَمَحَـــكٌّ يـــستبين بـــه … بالانتقاد كريم الطبع والهجن[٤]

وهو النفيس وما كلّ النفوس … ميلٌ إلى أنفس الأشيا ومـــرتكن

وكل شيء له في أهله شـــرفٌ … ومنتمـــى ولـــدى الأغيـــار

كالدرّ يعلو ويغلو عند عارفه … وفي يد الغير مبخوسٌ له الـــثمن

تقاسم العاشقون الحبّ مـــن … فكنـــت أرجحهـــم حبًّـــا إذا

فكل صبٍّ له إلفٌ يهيم بـــه … وجدا وإلف فؤادي فيهم حسن

أغنّ أحوى فريدٌ في محاســـنه … بمثله أبـــداً لم يـــسمح الـــزمن

مرهّف الطرف إلا أنه دنـــفٌ … مثقّف العطف إلا أنـــه لَـــدن

منظّم الثغر إن يفترّ مبتـــسماً … فالبرق مفتضح والعقد مفتتن[٧]

---

(١) – في الحب إلا ذكي: في إلا ذكي ، في (ب) و (د) ، و(إلا ذكي) في (ج) .

(٢) – الزكن : هو الظن الذي هو عندك كاليقين. لسان العرب (زكن)

(٣) – زكنوا : ركنوا ، في (ج) .

(٤) – بالانتقاد: بالانقياد ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٥) – (منتمى) بياض في (ج) .

(٦) – شغف: مشفق ، في (د) .

(٧) – العقد: البدر ، في (ج) و(القدر) في (د) .

لا بــدْع إن قــلّ نظمـــي في   أوصافه عجزت عن حــصْرها

في حسن طلعتــه مــا لا رأى   وفي خلائقه ما لا صغت أُذُن[2]

له منازل في ودِّ الفؤاد علــى   مهد الوفــاء لــه في ســوحها

وروضةٌ في الحشا غناء ناظرةٌ   لغيره في رباها حُــرّم الــسكن

لا عار إن هام قلبي في محبّتــه   سرًّا ولا بلّ خدي عارضٌ هــتن

لأنني صنت سرّ الحب معتقداً   أنّ النهاية في إظهاره الحُــزُن[4]

ومذ علمت بأني فيه مــصطبرٌ   على النــوى وفــؤادي فيــه

خبّأت فرط الهوى في القلــب   به لأن افتــضاحي في الهــوى

وقلت من شــغفي بالحــب   للناس في الحــب أشــجانٌ ولي

وقال – سامحه الله[7] – وقلت أيضا :

فصوص فيروزج صيغت على   أم الزّمُرُّد من ألْــواح عقيــان

أم خــضرةٌ أثّرتــــْها عــين   أم شامةٌ ركّبت في خدّها القاني

طالت بــها فكرتي وَهْمًا فما   إلا وأنْبَتَ فيهــا وَرْد نيــسان

مخضرّة الدقّ في مُحْمرّ وَجْنَتها   مبيضّة الفرق في مسودّ فينــان

تفترّ عن مبْسم ذاب النضار به   على الجواهر في أسلاك مرجان

فريدة الحسن فاقت كلّ غانية   وفاخرت بحلاها حُورَ رضــوان

سحّارة الطرف يُبْدي ســحْرُ   سرَّ الصبابة فيها بعــد كتمــان

تسطو سطا الأسْد في عــشّاق   بكسْرة الجفن من أحداق غزلان

---

(١) – قل: قال ، في (ج) و (د) .

(٢) – خلائقه: موهمة في (د) .

(٣) – الوفاء: الرقاد ، في (ج) و (د) .

(٤) – إظهاره: إظهارها ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٥) – مذ: من ، في (د) .

(٦) – لأن افتضاحي: لا افتضاحي ، في (ج) .

(٧) – في (ج) (رحمه الله تعالى) .

سهام ألحاظها الكحلا مظفّرةٌ ... في معْرك الفتْك تــصْمى قلـــبيَ
وقد تفرّدْت فيها وهى مفردةٌ ... عزيزةٌ ما لها في حــسنها ثــاني
لذّ الغرام لقلبي في مـــحبّتها ... وطاب لي في هواها فرْط أشجاني
منّـــى لها عهـــد ودٌّ لـــست ... أن لست أسمع فيها قول بـــهتان

وقال : وقلت مصدّراً ومعجّزاً :

زارني عائدي فلم يـــرَ مـــنيّ ... جسداً شفّه الــضنا فمحـــاه(١)
صار مثل الهبا فلم يبـــق منـــه ... فوق فرش الضناء شـــيئاً يـــراه
قال لي أين أنت قلت التمسني ... قال حيث الأنين قلت: أنا هـــو
ثم أهوى نحوي يديه التماســا ... فبكى حـــين لم تجـــدني يـــداه

وقال - عفا الله عنه - وقلت :

بروحى من أفدّيه بروحى ... ومن لي[كى]تكون هى الفدى
مليحٌ في محاســـنه مليـــكٌ ... تلوح عليه أبّـــــهة الجلالـــه
تجلّى للعيون ولا كبـــدر ... فدع بدر الدجى وانظر جماله
يرنّح عطفه غصناً نـــضيرا ... تبختر في المحاسن في غلالـــه
بطلعة وجهه والجيد لـــمّا ... بدا فضح الغزالة والغزا لـــه
له بالحسن سلطانٌ لهـــذا ... تصرّف في القلوب كأنـــها له
يغازلنا بألحـــاظ مـــراض ... ويرسل من رناه لنـــا نبالـــه
غدا يستاسر الألباب حبًّا ... وتنجذب الخواطر كلها له(٣)
فكم لطيور أنفسنا شـــباكٌ ... لديه من الجمال وكم حبَالَـــه
فلا قلبٌ هناك ولا فـــؤادٌ ... يحبّ الحـــسن إلا واســـتماله

وقال : والتمس منّي بعض الأصحاب مواليا فقلت :

---

(١) – (ير منّي) موهمة في (د) .
(٢) – ما بين المعقوفين ساقط من النسخ جميعها .
(٣) – تنجذب : يتخذ ، في (ج) .

جلّ الــمليح في الزقاق كالبــدر   بحسن طلْعَه تعالى من وهبْها له[1]

وحين رأى كل عين ألفت نظرها   خرج عن الصحب والألباب في أسره

عجبت كيف القمر يخرج عن الهالة

وقال - رحمه الله تعالى - وقلت :

لــما رأيــت الـــمليح في   شبّهت وجهه ببدر التمّ في هاله

فقال قــصّرت حــسني مــا   وقام نافر وقال ضيّعت تشبيهك

لو كنت أنا بدر ما أخرج عن الهاله

وقال - غفر الله له - وقلت :

بــهر النيّــرين إشــراق ذاتــك   إذ تجليــت في مجــالي صــفاتك

حفــظ الله لي محاســنك الغــر   ر وأبقى للــصبّ طــول حياتــك

مرسلٌ أنت للقلوب بآيات جــما   ل وهــــنّ مــــن معجزاتــــك

جمع الله الحسن فيــك فأضــحى   كلّ حسن يعــدّ مــن حــسناتك

آيةٌ في الجمــال أبرزهــا اللـــ   ــه افتتانــاً للغانيــات العواتــك

ما عقول العشّاق في الحسن إن لا   ح لأحداقهم ســنا لــــمحاتك[2]

قد سبيت النهى بــهاءً وحــسنًا   فغدا العاشــقون أســرى شــباتك

يا غزالا غــزا فــؤادي بلحــظ   الأمــان الأمــان مــن غزواتــك

حبذا منك أعيناً ينفث الــسحــ   ــر رناها بالقلب مــن لحظاتــك

فوّقت نحــوي الــسهام فرضّــت   في فؤادي النصال مــن لفتاتــك[3]

ما صنيع الهيــام فيــك إذا مــت   ت قتيلا من ناظريــك الفواتــك[4]

---

(١) – جل : زل ، في (ب) و (ج) و (د) ، لعله (جل) من (الجلال) أو (التجلي) ، ولكن يظهر أن معنى الكلمة أشكل على الناسخ فظنها (زل) الذي لا أرى أنه يناسب السياق، فكلمة (زل) في العامية تعني الخطأ أي الزلل، ولا أراها تحتمل معنى المرور، إلا إن كان هذا ما تعنيه في عامية ذلك الوقت.

(٢) – (إن) في الأصل (بأن) وهو لا يستقيم .

(٣) – فوّق السهم: وضعه في الوتر ليرمي به . لسان العرب (فوق) .

(٤) – هذا البيت ساقط من (ج) .

قـــد تـــلا لي احورارهـــا بيّنـــات | هى عندي في الحسن من آياتــك[١]
أفأقضى نحـــبي ولم أحـــظ بـــالقر | ب ولا تنثنـــــى بحـــسن التفاتـــك
هكذا شأن من دعاه لك الحــســـ | ــــــــــــــن فلبّــــــــــــى
قيّدتـــه الأطمـــاع فيـــك إلى أن | صار رهنـــا بالحـــب في شـــبكاتك
ها أنا في الهـــوى حليـــف غـــرام | ما شفا لـــوعتي ســـوى نظراتـــك
فـــأجرْني مـــن الـــصدود فـــإني | لك في دولة البـــها مـــن دعاتـــك
وانعطف لي بالوصل يا غصن بـــان | فـــبقلبي شـــوقٌ إلى عـــذباتك
واطف نار الجـــوى بلـــثم ثنايـــا | ك اللآلئ ورشف خـــمر شـــفاتك
وأَبحْـــني جنـــا أزاهـــير خدّيـــ | ـــك وقطْف الورود من وجناتك[٣]
إن أردت البقيا علـــيّ فجـــد لي | بوصال واجْعله لي من صـــلاتك[٤]
وإذا لم تـــرضَ الوصــــال فـــإني | صـــابرٌ ثابـــتٌ علـــى مرضـــاتك

وطُلب منّي تاريخ وفاة أحد الأصحاب بالطائف :

انتقلت روح الصديق الحميم | لرحمة الله الـــرؤوف الـــرحيم
فأعقبتنـــــا حَزَنًـــا بعـــده | فيـــا لـــه رَزْءٌ لـــدينا عظـــيم
نـــستوهب الله تعـــالى لـــه | مدرار رحمى فيـــضها مـــستديم
لقد عهـــدناه أخـــا صـــادقا | ذا خلُق عذب وخلْق وســـيم[٥]
فاختـــاره الله نـــزيلا لـــه | فحلّ في سوح جـــوار الكـــريم
وخـــتم الله بخـــير لـــه | فلقـــىَ الله بقلـــب ســـليم
خاتمـــةٌ قـــد صـــحّ تاريخهـــا | لـــسالم القرشـــيّ دار النعـــيم

---

(١) – (احورارها) بياض في (ج) ، ومن بعد هذ البيت سقط من (ج) بمقدار لوحة كاملة من (ب) المنقولة نسخة (ج) عنها.، وليس ذلك سقطا في الأوراق، ودليل أن القصيدتين الواقع بينهما السقط في صفحة واحدة.
(٢) – فلبى : قلبا ، في (د) .
(٣) – أبحني: بحني ، في (ب) و (د) .
(٤) – البقيا: البغيا ، في (د) .
(٥) – خلق : فلق ، في (د) .

مشجّر [١]

عوّذت وَجْنَةَ خدّك الناديه   بالله من عين الشياطين
بـــها أزاهير البها زاهيـــه   تزهـــو علـــى روض
دولة جمالك آمره ناهيـــه   وأنـــــت ســــلطان
الحكم لـــك في مهجـــتي   فارفق بـــها يا ظـــبي

بيت

لله مـــا أغـــرى بـــسلب   لحظيك يـــا ســـاجى
رنا عيونك تسترقّ الدعج   منّا لحيّك كل خـــاطر
حزت الـــملاحة والبـــها   فما رأينا لك منـــاظر
ما الحسن إلا رقّة الحاشيه   منّك وهى في النـــاس

بيت

نبّهـــت قلـــبي بالجمـــال   إلى الصبا مـــن بعـــد
حرّكت لبّـــى للـــشجى   شــــوّقت مهجــــه
سلبت عقلـــى بالـــــملق   جدّدت لي أشـــواق
ناهيك أضـــحت نفـــسى   للحبّ في سلك المحبّين

٥

وقال – غفر الله له ، وبلّغه أمله – وقلت لمن التمس مني ذلك : [٤]

نفحة الخدّ الـــــمذهّب   منك تزهو بالغوالي وهـــى أطيـــب
آنـــــست قلـــــبي   راوحت روحى أهاجت لوعة الصبّ

---

(١) – الاسم المشجر هو : عبد الرحمن بن حسن .
(٢) – يبرين: بيرين ، في (د) .
(٣) – لبّي : لي ، في (د) .
(٤) – هنا تشجير لاسم : ناصر بن مثقال .

صنعها من صـــبغة	جلّ من أهدى إلينا النفح الاطيـــب
روحهـــا بـــاللطف	عـــن ســـجايا خلقـــك الـــسهل
	بيت
أنت يانور الأماكن	قد أعرت البدر فلذه من كمالـــك
بي عليـــك لوعـــه	ليس يطفـــى لـــوعتي إلا وصـــالك
نزهتي هذي المحاسن	من جمالك خالقك يحفـــظ جمالـــك
منظرك يا عـــذب	قبلة العشّاق مـــن حبّـــك تقـــرّب
	بيت
ثـــق بأنـــك في	آيةٌ كبرى وما لـــك مـــن منـــاظر
قد كسيت ثـــوب	وازدهى حـــسنك علـــى الـــروض
الرشاقه والرجاحه	أطلعت ممشوق قدّك غـــصن ثـــامر
لا عجب يـــا مـــن	أنّ في الإمكان ما يبـــدو ويحجـــب

١

وقال أيضاً غفر الله له :(٢)(٣)

حويلي الثغر النظيم الأشـــنب	دُرِّي الثنايـــــــا
سلب فؤادي ســـمّني تسبّب	في فَقْـــد قلـــبي
يا حُـــسن مَجْلـــى وجهـــه	حـــسنا بـــــماء
نـــما به وَجْدي عليّ تغلّـــب	والعـــشق حرْبـــه
بيت	
أفديه مـــمشوق القوام أهيف	يـــزري القنـــا
باهي الـــمحيا بالجمال أشرف	كالشمس وقـــت

---

(١) – السهل : السهال ، في (د) ، المهذب: المهدب ، في (ب) و (د).

(٢) – انتهى سقط نسخة (ج) .

(٣) – هنا تشجير لاسم : حسين بن مبارك .

(٤) – العشق: الشق ، في (د) .

نعسان لحظه بالفتور مرهــــف   قلبي لسهمه هدف

محاسنه تسبي النهى وتنــــهب   بالزين أيّ انتهاب

بيت

بالله يا حاوي الجمال والــــزين   ويا زويهي الخدود

اعطف على مضناك قصّر البين   قد طـــال عمـــر

راقب إلـــهك يا سويجى العين   وارعـــى المحـــب

كفاه منك الصد يا محجّـــب   اسمـــــح برفــــع

وقال أيضاً غفر الله له[1] :

سَلَّ سيف الجفون للعـــشاق   ورنا بالـــدعج[2]

وأرانا من ســـطوة الأحـــداق   ما يذيب الـــمهج

وابتسم عـــن نظـــام درٍّ راق   نظّمه بـــالفلج[3]

فشذا من رحيقـــه الـــدرياق   نــــشر عطـــــر

توشيح:

لاح من مشرقه   وجه من أعشقه   قلت ما أرشقه

تقفيل:

عندما مال عطفـــه الخفـــاق   قاصد الـــمفترج

فغدا الغصن منه في إطـــراق   واعتراه العـــوج

بيت:

قلت له يا مليح صل صـــبّك   لا تطيـــــــــــــل

---

(١) – في (ج) (رحمه الله تعالى) .

(٢) – سيف: زين ، في (ج) و (د) .

(٣) – درّ راق : دراق ، في (ج) .

(٤) – الدرياق: الدرق ، في (ج) .

(٥) – لا تطيل : ولا تطيل ، في (ب) و (ج) و (د) .

إنّ فعْل الجميل يحــــسن بــــك		والوفا بـــالعهود

هكذا إن رحمت مـــن حبـــك		يـــــا زويهـــــى

أو تحسن لديك في الـــمشتاق		هجره لا حرج[2]

توشيح:

فالتفت لي وقال ان طبعي الدلال **والجفـا والمطال**

تقفيل:

فاصـــــطبر إن غــــدت بـــك		كى تنال الفـــرج

واتّبع من مضى من العـــشاق		والـــــــــمواضى

وقال أيضا :

صاح كم تؤثر علـــى الحـــب		والتواني غير ممدوح

كم تجانب بالجفا عشق الغواني		كم تجـــافي نـــشوة

للمحبه شأن يدريه الـــمُعاني		والغــــبي عــــن ذاك

والهوى معـــنى حـــوى كـــل		متنه بالعشق مشروح

بيت

صاح أطلق في ميادين المحبـــه		بالهوى العـــذري

وانطلق فالقيـــد مـــانع كـــل		جاوزه تبلغ أمانك

فعسى تظفر من العشقه بحبّـــه		وبـــــــها يعلـــــو

فالـــمعنّى بالهوى في عـــيش		لو يكن بالبـــاب

بيت

صـــــاح إن الحـــب مـــأهول		والهـــــوى عـــــذب

والـــمجال الـــمحض مجلـــوّ		في الـــمــــــــــــشاهد

---

(١) – من حبك : من صبك ، في (ج) و (د) .

(٢) – المشتاق: الساق ، في (ج) ، و(الشتاق) في (د) .

(٣) – يدريه : يريه ، في (ج) و(يديه) في (د) .

لاتقل يا ليت واطرح قــول — واجتلـــى فالحـــسن
وتعنّى بالحبيب فالحـــب داني — ذنب مـــن يهـــواه

وقال أيضاً:

٥

دع مقالة اللاح — واعشق فــإن العــشق قــوت
وانعكف على — وارشف طلاها من ثغور الأقداح
كـــم أقامـــت — وكم شفت لوعه وذات أجراح
قهوة لها ارتاح — من لازم الحـــان في الـــمـــسا

بيت

جل مجال مـــن — جريالـــها تسبق بكل حلبـــه[٣]
وانـــــــتظم — في العاشقين تصفو لك الـــمحبه
إن كل مشتاق — لـــه بقـــدر الاشـــتياق رتبـــه
والحضور يـــا — لفتح أبواب الـــسرور مفتـــاح

بيت

اغتنم لنفـــسك — ساعات صـــفوك قبـــل فـــوت
وانتهز لأنسك — فرصة تكن معها صريع الأدنان
خل من تنسّك — عنها ومـــن جـــافى الـــــمدام
عرف طيبها فاح — فطب بـــها واسكر وجانـــب

بيت

والحبيب حاضر — وحسنه بـــاهى الجمـــال بـــاهر
قرّت النـــواظر — به وحامـــت حولـــه الخـــواطر

(١) – واحد: واهد ، في (ج) و (د) .
(٢) – تعنى: تغنى ، في (ج) و (د) .
(٣) – جل: بل ، في (ج) و (د) .
(٤) – جافى : جاء في ، في (ج) و (د) .

هم به وخــاطر		في حبه واكمد بــه الـــــمكابر
فاليقين قد لاح		وقد توضّح لك أتمّ إيــضاح[1]

وقال أيضا: [2][3]

نزّه عيونــك في ريــاض		واترك ملامــك أيهــا
الحبّ من أخــلاق أهــل		والحـــسن مغنـــاطيس
صاح اطّرح عذلي فمــا		عن سكرة في الحبّ يا
ردْ موردي فالحب يا صاح		يكسوك مثلى ثــوب

توشيح

لو خاطرك مال كما خاطري   وهمت مثلى في هوى ناصري   لكنت في دعوى الهــوى

نبّهتك استيقظ ودع مــا		فالفدم قال الحــب
إن كنت من فرسان هذا		عرفت إنــك فيــه

بيت

نصيحة الــمغرى بحــبّ		محمــودة تـــــهديك رشــدا
الحسن قبله لا يزال الجنان		يـــسجد لهــا قربــا وبعــدا
صف مهجتك بالحــب في		لا ســيّما حــب الــــــمفدّى
ريم النقا الأهيــف جميــل		من فاق حسنه شمس الأصــباح

توشيح

أحوى حوى من كلّ معنى حسن   ففاق في حسنه ملاح الزمن   من حاد مرآه الجميل افتتن

صبا بقلبه للهوى واستمال		كما استمال المحتــسى الــراح

---

(١) – أفرطت: أفرط ، في (ج) .
(٢) – هذه الموشحة ساقطة من (ب) و (ج) و (د) .
(٣) – هنا تشجير باسم : ناصر .

رقّة حواشى طبعه والدلال	ونـــور وجهـــه عنـــدما لاح

وقال أيضاً:

قم وهات الشمس يا بدر	حيــث قــد طــاب
وأدر في راحتـــــك راح	واســـق نـــدمانك
ثم منيني بتقبيـــل الوشـــام	واسقني منهل أقاحك
ثم عاطيني فنون درّ الكلام	مـــن مجونـــك أو

بيت

أنت أنسى أيها الـساقى	أنـــس أنـــسى
إن صبك قد بـنى ركـن	إن يكـن ذا الحـال
بس دع ميلـك إلى قـبح	وعـــسى الـــرحمن
إن حسن الفعـل لائـق	وبه غاية صـلاحك

بيت

هاتـــها حيـــث اســـتترنا	واجلــها يــا قــرة
قد توارت شـمس يومـك	مـــذ رأت نـــور
إن ذا مـــن حـــسن أوقـــات	والعتاب لا غير اثنين
واصطبح واعكف على شرب	يـــسعد الـــمولى

وقال أيضا :

أفدي بديع	حـــالي	أحوى جميـل	زاهـــــي
شقيق بدر	خـــدن	بلفتته لايـزال	يـــــسبي

(١) – قَرَاحك: فراحك، في (ب) و(ج) و (د)، و(قراحك) معدّلة في (أ) بما يحتمل أن يكون (قداحك) وهو ما يتناسب مع ذكر المدام والمعنى والسياق يتقبلانه، لكن هناك ضبط للقاف والراء بالفتح مما يمنع أن تكون (قِدَاحك).

(٢) – استترنا: استتر ، في (ج) .

(٣) – بلفتته ، في (ج) و (د) .

مهفهـــــف	ريقـــه	ثغـــره بـــنظم	فاق العقود
فما تثنّـــى	حـــتى	قلبي لعـــشقه	هـــــــذا

بيت

هذا الجمال	ما لـــه	فـــلا تراعـــي	واجل النظر
الخد روضه	خالـــه	إلى محاسن كثير	منها الخفر
فلا تقل ذا	ما انـــا	اعــــــشق ولا	كلي غـــرر
أما مـــرام	مـــا لا	فلا ترجّي المحال	طبعـــــــي

بيت

فقلت يـــا	ما بغـــيتي	منّــــــــك	إلا الوصال
حسنك نعم	وملـــــتي	هواك يـــا	بلا مـــحال
وصـــــلك	هو عـــزتي	فاجعله من	لو في الخيال
فقال اصبر	مني اتصال	بقربي بغـــير	معها تسود

٥

بيت

(فقلت أدنى	هـــــائم عميـــــد	صـــبابته في	فـــــامنح
القلب مـــا	كـــــــم ذا	قطعت حبل	قصّر جفاك
تريد ما لا	فكم تزيـــد	من الجفا يا	روحــــــي
فازورّ عنّي	والفـــــت	عزّك بـــذلّ	والــــمنع

بيت

هذا طريـــق	فـــــانف	واسلك وهـــم	إلى
امّـــل فـــإن	إن أمّلوك	يرضـــوك مـــا	فيما يراد
وانـــهض لما	قد أهّلوك	وكـــــن لمـــــا	ملقـــى

---

(١) – وقال : وقا ، في (د) .

(٢) – مابين الأقواس ساقط من (ب) و (ج) و (د) .

واخلـــع ردا　　　بالاحتيـــال　　　وجـــل فهـــذا　　　عـــين

وقال أيضا :

طالع ســعودي لاح　　　وحقق الحقـــائق　　　والأنس قد تجـــدد

وجاد لي محبوبي المفارق　　　وصار لي موافـــق　　　بعد البعاد والصد[٣]

واجتمعنا في مقام فائق　　　زهت به الحدائق　　　والطير فيـــه غـــرد

هل كان مثلي في الأنام　　　وفي الغرام صادق　　　قد نال كل مقـــصد

توشيح:

لمـــا أتـــاني　　　وقد تلاقينـــا　　　بتنا علـــى　　　وأي أشـــيا

تقفيل :

ورحت أجـــني الـــورد　　　في غفلة الروامق　　　من خده المعـــسجد

وارتشف شهد الرحيق رائق　　　وللأقاح ناشـــق　　　مـــــن ثغـــــره الـــمنـــــــــــــضد[٤]

بيت :

نلت الـــمنى من أغيـــد　　　وقد رثا لـــشاني　　　وبالوصال أسعف[٥]

وحزت كل الـــسعد في　　　ورحت في التهاني　　　مذ زارني وشرف[٦]

وقد أكـــدْت الحـــسّد　　　بالوصل والتداني　　　مـــــن فـــــاتني

واجتمــــع معــــشوقنا　　　بـــين العـــذيب　　　في سفح ربع ثهمـــد

توشيح:

السعد وافا والهنا تجـــدّد　　　والـــتمّ شملـــي　　　وقرّ حبّـــي بالوفـــا

---

(١) – أهلوك : أضلوك ، في (ج) و (د) ، يشملوك : يشملك ، في (ج) .

(٢) – عين : غير ، في (ج) .

(٣) – المفارق: الفارق ، في (ج) و (د) .

(٤) – شهد : مشهد ، في (ج) و (د) .

(٥) – بالوصال : بالوصل ، في (ج) و (د) .

(٦) – رحت: رمت ، مذ: قد ، في (ج) و (د) .

(٧) – (قر حبي) موهمة في (ج) ، و(خرجي) في (د) .

تقفيل:

وصار لي بعـــد الجفــا وأنا بذاك واثق لايختلف إن أوعـــد

وأنا مقر بالولا ونـــاطق ولست بالمنافق عبدٌ ولست أجحد

وقال أيضا :

يا حـــاوي	يابـــــاهي	يـــا حـــالي	يــــــادرّي
طوّلـــــــت	طاوعـــــت	مـــــــا آن	كم هـــذا

بيت

يـــا حـــالي	يا ســـاجي	ما تـــرحم	عشقه لك
مـــا قلـــبي	كم صبري	مـــــــا آن	كم هـــذا

بيت

ما أطـــول	مـــا أكثـــر	ما أيـــسر	ما أصـــعب
ما لي معك	مطلــــــوبي	مـــــــا آن	كم هـــذا

وقال أيضا:

خـــل عنـــك العتـــاب يـــا نـــديم

واعد لي حـــديث مـــن مطلـــــــبي

وارو لي يـــا نـــديم في شـــــــعرك

غني تغنني به شـــجوا (١) عند جـــس

توشيح:

هات لي من فنون حسنها واللحون كلها لي شجون

تقفيل :

---

(١) – تغني: تفتني ، في (د) ، شجوا: الشجوا ، في (ب) و (ج) و (د) ، جس: حبس ، في (د) .

أنا مـــسحور لحظهـــا ‏ ‏ الـــــملى

أنا مخمـــور كأســـها ‏ ‏ اللذيـــــذ

بيت

يـــا نـــديمي اشـــجني ‏ ‏ وأفد مسمعي[1]

فهي أمـــا ســـنحت ‏ ‏ وجفت مربعي

فعيون الفؤاد ترعاهـــا ‏ ‏ وهـــي بـــين

وصميم الحـــشا لهـــا ‏ ‏ ولهـــا مـــستقر

توشيح:

حبـــها ‏ ‏ حسنها ‏ ‏ وصلها

تقفيل :

وأنا عبدها ولا دعوى ‏ ‏ وإليها النظـــر

وهـــي أدرى بموقـــع ‏ ‏ ولديها الخـــبر

بيت:

يـــا نـــديم لاتـــضيع ‏ ‏ وتفـــــوت

البدار البدار للـــذات ‏ ‏ واغتنام الفرص

مجلسك وهوللـــصفا ‏ ‏ بالـــــسرور

فاغتنم لـــذتك كمـــا ‏ ‏ فالتواني غرر[3]

توشيح:

اطو صحف الجفا ‏ ‏ واستقم بالـــصفا ‏ ‏ تلق منها الوفـــا

تقفيل:

(١) – أشجني : الشجن ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٢) – يا نديم : يا نديمي ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٣) – لذتك : لذاتك ، في (ج) و (د) .

وابسط الكف منك بالرجوى مــن رجاهــا
وتمــسّك بحبلــها الأقــوى تقــض منــها

وقال أيضا:

هتفت بي هواتــف الأفكــار بلسان النظــر
أن أرى ما بدا من الأطــوار واخــــتلاف
وأعاني الأمــور باستبــصار مايراه البصر
و أمــط المكــروه والمختــار عينه بالأثر[1]

توشيح :

فتراءت شــؤون هي قيد العيــون جدّها والمجــون

تقفيل:

فتأملت مخبر الأخبــار وأجلت الفكر
فوجــدت الأعيــان كلــها معتــبر

بيت:

كلمــا امتــد نــاظر نــحو مهمــا
رجعت فكــرتي مــع لفــــــؤادي
قد تحالــت لذوقــه وهواه طموح
حيث لم ينتفع بــذي من نظر واعتبر

توشيح:

كم بدت لي أمور في خفاها ظهور ظلمة حول نور

تقفيل :

(١) – (أمط) موهمة في (ب) و (د) و بياض في (ج).
(٢) – مهما : مها ، في (ج) و (د) .

أبـــرزت كنـــهها لي　　　في مجـــــالي

الأقـــــــــــــدار　　　الفكـــــــــــر

بيت:

طوحـــت بي طـــوائح　　　في مهـــــــاوي

وانتحـــت بي بـــوازل　　　عـــن طريـــق

ورمـــتني عواصـــف　　　في بحار الغوى

وسرت بي في يمة التيار　　　بسفين الخطر[(٢)]

توشيح:

إنمـــا لي　　　وهو أقـــوى　　　لبلـــوغ

تقفيل:

حب طـــه المقـــدس　　　النبي الأبـــر[(٣)]

منبع الجـــود مطلـــع　　　الأعز الأغر[(٤)]

بيت:

حب هـــذا الحبيـــب　　　لحـــــــصول

وصلاتي عليه معراجي　　　لـــــــــمراقي

وهو غوث اللـــهيف　　　وهـــو داعـــي

صفوة الله عبده المختار　　　من خيار البشر

توشيح:

الـــرؤوف　　　الرســـول　　　الشفيع الكريم

٥

---

(١) – انتحت: التحت ، في (ج) و (د) .

(٢) – بسفين: بفسين ، في (ب) و (د) ، وموهمة في (ج) .

(٣) – الأسرار : الأسرى ، في (ج) و (د) .

(٤) – الأعز الأغر : الأغر الأغر ، في (ج) و (د) .

تقفيل:

صلوات المهيمن بالثنا
يتغشاه وبلها المدرار والصحاب

وقال أيضا :

يا على تصبّر كم كربة جلّت وحلّها
وارضَ بالمقدّر فإنّ ربّك قد قضى وقدّر
كم منح ووفّر عليك نعمى لا تكاد
اصطبر لتؤجر قد فاز بالمطلوب من

بيت

في صروف حكم طواها خالقك
خلّ عنك واختر لما يرضاه لك
فالشؤون آثار سرّ اسمه النافع واسمه
واللبيب من بالله عينه إن نفع وإن ضرّ

بيت

لذْ بربّ بمحض فقرك وانطرح على
فالكريم وباب فضله ما عليه بوّاب
لا تكن كمن عن المسبّب في شهود
الحضور موارده تحلو بكلّ مظهر

وقال أيضا :

أصغ إلى رقّة الرقِّ واطرب على نغمة الأوتار
واستسق في الحان من شمس الطلا في دجا
واستجلب الطيب واشمم شذا يانع الأزهار

١٩٣/أ

فذاك للـــهمّ لايبقـــى ولايـــــذر شـــــى مــــن

بيت

واســـتجل في ظلمـــة شموس رحات أدنانـــك[٢]

وتيه في المعهد المـــاثور بالصفو ما بين خلانك[٣]

واســــــتلطف الله في وقول يا رب غفرانـــك

فهكذا مبدأ العـــشق وهيم واعشق فما ذا عار

بيت

فؤاد في هواكم على ووجــــدي والجوى للحـــشا

فبالله يا منى القلب تواصـــــوا حـــالف الـــسقم

معنّى فـــيكم حبـــه وودّه في طواياه واستقر

رأى في الهوى فخر واتـــــهم في تصابيه وابتدر

بيت

أحيباب قلـــبي ها أنا الهـــائم فراعوا المعنّـــى وارحمواالمدنف

لقد صح غلبي في هواكم وذا علـــى صـــبّ وجه حبّه بكم

وإن فـــــات مسلك المذهب فقد فات معنى في الهوى حظّه

وما كلّ مقلـــه ـــمحبة لها نظر ولا كل مـــن يحتظـــي فيـــه

بيت

لكم في فؤادي موضعٌ عـــامر فسيح الجوانب واسع الـــسوح

(١) – للهم : المهم ، في (ج) .
(٢) – رحات : راحات ، في (ج) .
(٣) – تيه : تبه ، في (ج) و (د) .
(٤) – تجدد : تجد ، في (ج) .
(٥) – صح غلبي: حجر قلبي ، في (ج) و (د) .
(٦) – وما كل: وكل ، في (ج) .

٩

١٣٦/ب

رفيع العمـــاد	واضح النـــور	عليّ المراتـــب	حقه الـــشكر
ومحض الوداد	فيكمُ غاية المنى	أجلّ المطالـــب	إذ به يحـــصل
وهـــو خــــير	واعتصامٌ لمـــن	بحبّ الممجّـــد	طه والـــسادة

وقلت لمن التمس مني ذلك :

ياطلعة البـــدر المـــنير	يا كامل الأوصاف يا
حسنك سبا قلبي جماله	لـــما تجلى له وأسفر
يا مخجل الغزلان لفته	بالثغر والعقد الجوهر
اسمح بلقيا منك لقياك	للمغرم المشتاق توجر

توشيح:

سرْتُ مـــن وجـــدي بحـــب　　لجنى الخدين منه سَيْرُ　　أترى أني بـــهذا السَّيْرِ

تقفيل:

لي قلب شوقه كـــل يـــوم في	إليـــك إن أمـــسى وبكّـــر
سهران باكى العـــين مـــضنى	أطرب لذكرك حيـــث تـــذكر

بيت:

يا هاجري كـــم ذا الـــصلف	منّك على الصب
رفقاً بمن أضناه طول المطـــال	وأنحلـــه صـــدّك
جد له بوصلك يا بديع الجمال	فالوصل للمكلوم
اسمح بلقيا منك لقياك عيـــد	للمغرم المـــشتاق

توشيح:

بلغـــت روح معنّـــاك　　أضرمت أحـــشاي نـــيران　　ما لداء الصدّ إلا أنت

تقفيل:

---

(١) – لكم : كم ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٢) – معناك : مضناك ، في (ج) و (د) .

نظرة جمالك يا حبيب من بعيد   تــهيج في الاحــشاء مــا قــرّ
يحيى بوصلك يا حويلي البديد   قلبي فجد بالوصل يــا أصــغر

وقال رحمه الله تعالى :

مر بي عذب اللمى ريم   الرشا ساجى النواظر
بالتثّني قد سبا غصن   عطفه مذ زلّ خاطر
فرآني باهتاً متعجّبــا   في بديع الحسن ناظر(١)
وتحقّـــق مقـــصدي   ورآني صب حــائر

توشيح:

فرنا نحوي بمقلــه   ورمـــى قلـــبي   من رنا لحظه بنبله

تقفيل:

ولوى الجيد فما جيد   وغدا الفتان نافر
ليت شعري أي ذنب   هجر يعـــسوب

بيت:

قلت يا من قد سبا بــدر   بالذي أبدى جمالك
ما السبب تــهجر معنّــى   صـــار في رقّــك
إنّ حبّك في فؤادي قد أقام   وبـــرى جــــسمى
واتخذ قلبي ودادك مــذهبا   واغتدى فيه يخــاطر

٠

توشيح:

فرثى لي مــذ   ناحلا في الحب   والتجافي قــد

تقفيل:

---

(١) – متعجبا : معجبا ، في (ج) .
(٢) – معنى : مغنا ، في (ج) و(مضنى) في (د) .

ثم قال اصـــبر تنـــال | قلت إنّ القلب
سوف تقضيه زمانـــا | ليس يخطر لـــك

بيت

وأتاني في الدجا ظبي الـــصريم | خاف إنّ السرّ يسري
وغدا في حان أنسى لي نـــديم | وعذولي ليس يـــدري
نسمع الألحان مـــن صـــوت | بـــين أوتـــار وخمـــر
ورفلنا في جلابيـــب الـــصبا | نجتلى روض الأزاهر[1]

وقال بالتماس بعضهم :

من هام في عشق الجمال يعذر | وذنب من يهوى الجميل يغفـــر
حسبي غرامـــى في الغـــزال | حاوي البها بدر التمام الأزهـــر

بيت

مزري غصون البان باعتدالـــه | ومخجل البدر المـــضى كمالـــه
درّي الثنايـــا قـــبلتي جمالـــه | هلّل فـــؤادي عنـــدها وكبّـــر

بيت

أحوى بديع الحسن ســـاجى | وما على ذا الزين فيه من زيـــن
بدا بطلعه تخجل الـــمـــضيئين | في سمط عقد من حلاه جـــوهر

بيت

نديم فكري في هواه وجـــدي | وخدن قلبي لـــوعتي وجهـــدي
عوداً على بدء ولست أبـــدي | من لوعتي إلا[العظيم الاشهر]

بيت

بالله يا عـــذال صـــبوتي فيـــه | كفّوا فما في القلب فيه يكفيـــه

(١) – بعد هذا البيت فراغ لثلاثة أبيات في (أ) و (ب) .
(٢) – ما بين المعقوفين بياض في جميع النسخ .

٥

دعوا ملامى وتــهتّكى فيــه   لينجلى عذري لكـــم ويظهـــر

بيت

وا فوْت من لا يعرف الصبابه   ولم تمـــازج لبّـــه الكآبــــه

هل فات إلا منهج الإصـــابه   وخالف أرباب الهوى وقـــصّر

بيت

أوّاه من جور الحبيب قد جار   عليّ كم أجري الدموع مدرار

لا حول أشكو الجور بي مـــن   أهكـــذا إكـــرام مـــن تجـــوّر

بيت

١

جعلت حبك منهجى لرشدي   وعشقتي لك منـــهلي لـــوردي

الحب قبلى قد قضى وبعـــدي   بمثل هذا وهـــو غـــير منكـــر

بيت

روحى وإن قلّت فهى فدا لك   لم يبق منها غير ما بـــدا لـــك

بقيةٌ قد صانـــها الهوى لـــك   لعلها حيـــث القبـــول تـــذكر

وقال أيضا :

ما على من هـــام في عـــشق   في الهوى مـــن

همْ بمن تـــهواه واترك مـــا   ودع

الهوى يـــا صـــاح منـــهاج   مـــــــــدرج

والمحبة حال أرباب الكمـــال   واسأل أنـــت

توشيح:

خل عنـــك الهـــم   وانتظم في سلك من   وادخـــل الحـــانــــــات

تق   واحتسى من خمرها الـــصافي   عـــــــاطر

سر مع الندمان في هذا المجال   حيـــث دار

بيت

١

كن مع العـــشاق موصـــول لـــــــتكن

واطرح التقييد واحفظ للأدب في هــــوى

من صدق في القـــصد عزمـــه احــــــرز

من صحب حسن الوفا نـــال ولقـــــــى

توشيح

انتهز فرصـــة اغتـــنم لـــذة اجتلي أنـــوار

تـــة بالصفا تشهد أنوار الجمـــال ويـــزول

وبـــها أوقات دهرك لا تزال كلـــــها

وقال أيضاً:

يا عقيـــدي في ونديمي في التصابي والخلاعـــه

ونـــسيبي مـــن دعوة الحب بناديهم مطاعـــه

وقـــــسيمي في قد صفت لي معه مـــن حـــين

قم بنا نـــدرك بقيت من عمرنا قبل الإضاعه

بيت

قم بنا نلهو ونرتـــاح للتصافي وبمغنى الأنـــس

نـــــنعش الأرواح ونـــــداهقها بـــأكواب

لاتدع عقلي بـــــها واسقنيها ذاهباً بي كـــل

واطف مـــن قلـــبي فهي للقلب المعنّى بـــرء

بيت

حانـــها بـــالأنس بيتها المعمور بالأفراح ماثور

كأسها بـــاللطف يا هنا من كان به يا صـــاح

---

(١) – للتصافي: للصافي ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٢) – قلبي: القلب ، في (ب) و (ج) و (د) .

يا نديم انـــــهض	لا توانى عن مطـــالع ذلـــك
اســـرع اســـرع	قد دعا الداعى فقل له ألف

وقال أيضاً:

يا صاح صـــدح	أشجى فؤادي في الربـــا
نكـــى علــــى	ما انرمّ في الأحـــشا مـــن
فهاج مني الغرام	وازداد في قلب الـــشجى
لحيّ تلك الخيـــام	مأوى ربيـــع القلـــب في

بيت

يا صاح قلـــبي	دايم معنّى بالهوى متيّم
شـــوقه لتلـــك	يهيجه الحادي إذا ترنّم
يبكـــى بطـــرف	يساجل الأنوا بدمعـــه
مضنى حليـــف	حنا على نار الجـــوى

بيت

يا صاح كم لي مـــن	في ذلك المغـــنى وكـــم
ســـجع الحمــــام في	لي فيه عنـــها في الهـــوى
والحب سرّه مـــصون	تـــضيق عـــن إدراكـــه
ودون ذاك الـــــمرام	لـــمن يرومه كـــلّ مـــا

وقال أيضاً:

لـــو ســـعى	ونمّ فيمـــا بيننـــا وأرجـــف
عنـــك مـــا	ولا أنكـــر حبـــك المعـــرف
كم له نقول	بـــهرج بـــها فيمـــا نقـــل
ما لها أصول	وإنمـــا دينارهـــا مزيـــف

١٠

بيت

قد نـــست	الـــك فاحـــسبني علـــك
إن منعــــــت	منـــك الرضـــا وإن نأيـــت
في هــــــواك	جميع تعذيبي سوى التغـــرب
جد ولا تطيل	جفاك غربه والمحب مـــدنف

بيت

أنجــــــــــد	نجده تفكه من قيود الأشباح
لـــمّ ما تفرق	اجمع شتاتي زج بي في الأفراح
آه كم تنشّق	نسمات لطفـــك في المـــسا
مطلــــــــبي	في حضرة من حلّها تـــشرّف

بيت

جد بـــــها	عليّ قـــابلني بخـــير مقبـــل
لـــــــيس لي	في كل ما أرجوه منك واسأل
غـــير خـــير	محمد الهادي النبي المفـــضل
خصه الجليل	أدناه أرضاه اجتباه شـــرّف

وقال أيضاً:

الرشـــــــا	الـــريم ممـــشوق الغـــرام
بالرنا يصول	على أجفانه بسيف مرهف
ريقـــــــه	والـــروض زاهـــي خـــده
أرهقـــــت	حوله وقـــام الـــسمهري

بيت

---

(١) – (احسبني) موهمة في (د) ، و(اسبني) في (ج).

(٢) – نأيت : ناديت ، في (ج) و (د) .

(٣) – (الريم) ساقطة من (ب) و (ج) و (د) .

هام فيه قلبي — لـمّا تجلّى لي وبان غلبي[1]
يا ضـياع — في حب من حسنه قـضى
ما عرفـت — معه وقلبي في هواه مـسبي
ما له مثيـل — وصبوتي فيه بـها القلـم
بيت
حـــلّ في — وصار حبّه في القلوب نازل
بدر تـمّ — له القلوب العاشقه منـازل
والـــذي — في عشقته يحظـى بـذي
بالبها يجول — وبالمحاسن في النهى تصرف

وقال أيضا :

ضـــلّت — عـن رشـدها في عـشقة
شفّها ذهول — لـما انثني منـه القـوام
عنه لا تحول — وإن به ضلت إليه تصرف
ما لها سبيل — إلا بمن فيها هواه تـصرف
بيت
يـا غـزال — يا مخجل الأقمار بالوسـامه
ذا الجفـا — حتام هذا التيه والزعامـه
طالـت — جد باللقـا قـل لي لـك
كـم لـك — يا غصن بان قلبي عليـك

وقال أيضا :

ما بدا باهي جمالـك — يا مليح إلا سبا قلـبي وشـوّق
حسب عقلي في الهوى — فتنته مما حويت في حـسن يـا

٥

---

(١) – لما : لا ، في (ج) و (د) ، (تجلى) موهمة في (ج) .
(٢) – يا : ما ، في (ج) و (د) .

ما لبدر التمّ ما لــــك | من معاني الحسن الا بعض رونق
دمت تزهو في كمالك | وهو في مسراه يكمل ثم يمحــــق

بيت

بالذي عدّل قوامـــك | وكسا عطفيك أثواب الملاحـــه
نحّ عن ثغرك لثامـــك | وأبح لي لثم هاتيك الاقاحـــه[1]
حبذاها في ابتـــسامك | من رحيق فيه للأرواح راحـــه
سيد أبي قل لي جَبَا لَكْ | فعسى يطفي لـــماك لي قلـــب

بيت

نافسوني فيك يا اشنب | لوّمي لـــما رأوا بالحب شـــغلى
شرّقوا والقلب غرّب | لـــمعان فيك فاتت أهل عـــذلي
راق لي ما قد تحجّـــب | منك عنهم فلذا قـــالوا بجهلـــى
يا حبيب والله ما لك | في العواذل قط من حبه محقـــق

بيت

كيف يسلو القلـــب | وهو قوت القلـــب مغنـــاطيس
إن من لا يفتتن بـــك | في الهوى ماجاء في العـــشقه ولا
تـــمّ لك يـــا أنـــس | في الملاحة شأن يسبي كل طمّاح
يا هنا عاشق جمالـــك | بجمالك وعنا من ليس يعـــشق

وقال أيضا :

خطر حبيبي في قوام أرشق | أرق من غـــصن الربـــا وأوْرَق
خطر يريني منه بدر أشرق | بطلعـــة غـــرا وفـــرق أفـــرق

يهتزّ مثل الرمح في غلالـــه | ويلتفـــت لي لفتـــة الغزالـــه[2]

---

(١) – أبح : ابحر ، في (د) .
(٢) – يهتز: يهتف ، في (ج) و (د) .

له محيّا يخجل الغزاله ... عليه ماء الحسن قد ترقرق

بيت

فقلت أهلا يا حبيب أهلا ... يا مرحبا بك عندنا وسهلا

كم رمت طول العمر منك ... عسى لي الآن الرضا تحقق

بيت

فقال حاشا الله ما طرا لي ... وصلك وذكرك ما خطر ببالي

بعيد ما قد رمت من وصالي ... ما نال وصلي كل من تمعشق

بيت

فقلت حسنك يا مليح يا ... يقضي بإحسانك لساهر العين

قد طال بي منك الصدود ... فاجمل جميلك بالجمال أليق

بيت

فازورّ عني بالدلال والتيه ... ولا رعى وجدي وصبوتي فيه[1]

الله يحفظ حسنه ويبقيه ... ماضرّه لو كان بي ترفّق

بيت

فقلت دع ذا الإزورار ... وارحم محبّك يا مهفهف القد

الحسن حسنك والهوى له ... والرفق في كل الأمور أرفق

بيت

أما فؤادي مفتتن جمالك ... قد قيّده في أسره الهوى لك

وما يفيد الحسن من مطالك ... تمام حسنك أن ترى فوفّق

وقال : غفر الله له وعفا عنه[2] :

قف بالمطايا يا حويدي ... وارفق بمن خلفك تعوق

رفقا بمن قلبه بذاك الجناب ... موثق ودمع العين مطلق

---

(١) – فازور عني : فأوزعني ، في (ج) و (د) .

(٢) – في (ج) (رحمه الله تعالى) .

خذني رفيقك نحو تلك القباب ... إلى حمـــى اليعفـــور الأبـــرق
أو اصـــطحب لي في زمالـــك ... لـــمن بـــهم قلـــبي تعلـــق[1]

هم في سويدا مهجتي والسواد ... من ناظري الـــممزوج بالـــدم
قضى إلهـــي بيننـــا بالبعـــاد ... إن القـــضا أمـــره محـــتّم
لـــمّا جفوني قد جفاني الرقاد ... والقلـــب مـــني قـــد تـــألّم
الله يجمعني بتلك الـــصحاب ... في مجلـــس بـــالأنس مونـــق

يا هل تـــرى بعـــد القلـــى ... يجـــود لي عـــذب الثنايـــا
وهل لويلات الأمـــاني تعـــود ... لي بالهنـــا قبـــل الـــــمنايا
أنا أرجّـــى والمهـــيمن يجـــود ... وكـــم خبايـــا في الزوايـــا
لا خاب من يرجـــو فـــسيح ... من باب جـــود لـــيس يغلـــق

يـــا ســـادتي كـــم ذا الجفـــا ... كم شا احتمل ما ليس يحمـــل
وكلمـــا ذلّيـــت زدتم دلال ... فهـــل علـــى هـــذا معـــوّل
فعل الجميل لايق بأهل الجمال ... والـــصفح عمّـــن زلّ أجمـــل
حققت ظني فيكم والصواب ... عفـــو الخطـــا عمـــن تحقـــق

يا ساكني سفح الحمى والحرم ... يا جـــيرة البيـــت الـــــمكرّم
ســـألتكم بـــالركن والملتـــزم ... والحجـــر والـــــمنبر وزمـــزم
أن ترحموا مضنى وجوده عدم ... مـــن بعـــدكم قلبـــه متـــيّم
وتسلكوا بي في طريق العتاب ... ليظهـــر الباطـــل مـــن الحـــق

---

(١) – لمن : لن ، في (د) .

وقال أيضا :

حبيب قلبي كم تطيل صدّك ولا تراعي يا حبيب مضناك

وكم تخالف موثقك وعهدك ولا تراقب ذا الجلال مولاك

فها عُبيدك منتظر لوعدك حاشاك تخلْف ما وعدت

ارحم بوصلك مغرمك وعبدك واعطف على الصب الشجى

بيت

يا من سبى بدر التمام طلعه وأخجل الأغصان بالتثنّى

هل لي إلى ماضى لقاك رجعه ويشتفى قلبي من التجنّى

فمهجتي لم تكتحل بهجعه وفرّ صبري مذ نأيت عنّى

ارحم بوصلك مغرمك وعبدك واعطف على الصب الشجى

بيت

أنا أسأل الله الذي بلاني بعشقتك يعطف علىّ قلبك

ويلهمك تكذيب من رماني بالزور عندك والمراد قربك

فبالذي قد أسلمك عناني واختار لي أني أعيش بحبك

ارحم بوصلك مغرمك وعبدك واعطف على الصب الشجى

وقال : وقلت على وزن (اشربوا الشمس من يد الشمس) :

أشرقت في مطالع القدس في دياجى الحلك

شمس راح تزهو على في مدار الفلك

قد أقام الوفاء لها كرسى في نهى من

وهى تعلى الأنيس بالأنس لمقام الملك

توشيح :

(١) – الصب : الصبي ، في (د) .

(٢) – نهى: نهض ، (د) .

مبتـــداها خمـــور منتهاها ســـرور وهي لا شك نور

تقفيل :

وهي قـــوت الحـــواس	وهي أغلـــى
حبذاك النفيس للنفس	حبـــــــــذا
بيت	
إن شـــرخ الـــشباب	طيّـــــــبٌ
هاتـــها فالزمان إمكانه	مثـــل مـــرّ
هات كاســـا عليـــك	لاح قبـــــل
خمرةٌ من مجرد اللمـــس	ســــــكرها

توشيح:

فاطّرح كل حيـــف عنك فالعمر طيف والهنا خير ضـــيف

تقفيل :

أكرم أكرم ضـــيف الهنـــا	واحترم محفلك
قبل يدنو الحلول في الرمس	أو يحل الهلـــك
بيت	
صاح عـــرّج بحـــان ذي	فهـــى شمـــس
لا تفوّت من كأسها سكره	واجتلبـــــــها
فعسى أن تلاحظك نظـــره	مـــن مـــدير
وليكن بالصفا لها مكـــسى	وانـــف مـــا

ب

(١) – أغلى : أعلى ، في (ج) .
(٢) – حبذاك: حبذا ، في (ج) .
(٣) – اجتلبها : اجتليها ، في (ب) و (ج) و (د) .
(٤) – ميلنا: ليلنا ، في (ج) و (د) .
(٥) – أشغلك : أسفلك ، في (د) .

توشيح:

زفّهـــا يـــا نـــديم   فهي عـــين النعـــيم   ودواء الكلـــــــــيم

تقفيل:

صاح حيّى بـــذكرها   واجْلـــــــــها لي

ثم وفّر لها مع حـــسّى   حـــــــــــسّك

وقال أيضاً:

ما نوح المطوّق   في الأغـــــــــصان إلا

لو أنه تمعشق   مثلى كـــان نوحـــه

لكن ما تحقّق   معنى الحب حتى يميل

بل غنى ورقّق   في ظل الرياض الظليل

بيت

ب

ما لـــه مـــن   إلا النـــــوح فـــوق

ما عنده هيامى   في حـــــب الجمـــــال

ما شفّه سقامى   ما يدري الهـــوى مـــا

ما له طـــرف   وأضحت له الخمايـــل

بيت

كـــم أبـــدي   والورقـــاء تبـــدي

كـــم تـــسهر   وهـــى الهاجعـــه في

---

(١) – حيي بذكرها : حين يذ كرها ، في (ج) ، و (حين يذ ، كرها) ، في (د) .

(٢) – وفر : وحر ، في (ج) و (وخر) في (د) .

(٣) – هديل : هذيل ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٤) – (له) الثانية ساقطة من (ب) و (ج) و (د) .

(٥) – تبدي: بعدي ، في (ج) و (د) .

(٦) – تسهر : سهرت ، في (ج) و (د) .

أمـــسى مـــن	باكى العـــين مـــسبي
في حـــــــب	وسْـــنان اللحـــاظ
بيت	
مهلاً يا حمامه	مـــا الأحـــزان مـــا
كم في شعب	من أشجان للعاشقين
مـــا إلـــف	يحكـــى إلـــف قلـــبي
إلفـــى بـــدر	من أفق الـــــمحاسن

وقال أيضا :

أفديك يـــا مخجـــل	بطلعـــــة المنظـــــر
قوامك الغـــصن في	إن جاذبته الـــصبا
ولفتتك لفتة الغزاله	ونـــــاظرك بالرنـــــا
وثغرك الدر لا محاله	وريقـــك العـــذب

ب

توشيح :

سبحان من زان منْظَرك وصـــــاغ حـــــسنك وأودع السحر أحورك

تقفيل :

فراح يستخدم الهوى	قلـــــبي بعـــــشقه
مسكين أصـــبحت في	هائم أسير الهـــوى
بيت	
بالله يا باهي المحاســـن	يا زاهـــى الخـــد

---

(١) – غبوني: عيوني ، في (ج) و (د) .

(٢) – اللحاظ : اللحاظ ، في (ج) ، و(النحاط) في (د) .

(٣) – ما تدعين : ماله عين ، في (ج) و (د) .

(٤) – بطلعة : بلطلعة ، في (ب) و (بلطفه المنتظر) ، في (ج) و (د) .

(٥) – بعشقه : يعشقه ، في (ج) و (د) .

مـــتى تـــشرّف لي   بالوصل يا نــاعم
تـــشرق بإشـــراقك   وينجلـــى غيهـــب
ونغنم الحب واتّصاله   في معهد الأنـــس

توشيح:

طال انتظـــاري إلى   والحب قـــد زاد في   وعامَـــل الـــصب

تقفيل:

لكن عـــسى الله ذي   يعطِّف القاسى البخيل
ويشمل الجمع بالجماله   ويجمـــع الـــشمل

وقال أيضا :

ما على عذب المقبّل   لو سَمح للصب باللقيا وأجمـــل
حرّم الرحمى وحلّـــل   منه حرماني وذا الحرمان ما حلّ[٣]
ما رحم قلب المعلل   ما رثى لي ما انعطف لي ما تجمّل
دام هجرانه ولا ملّ   كيف شا أعمل في هـــوى هـــذا

بيت

بان عن عينى فقلـــبي   دائماً في الحب يشكو لوعة البين
ناحل الجثمان مسبي   مستهام القلب مضنى ساهر العين
حيرتي في الحب تنبي   عن غرامى في هوى الموصـــوف
ســـاجى الطـــرف   ليّن الاعطاف حالي التيه والدل[٦]

---

(١) – نغنم : تغنم ، بالمقيل : بالقيل ، في (ج) و (د) .
(٢) – (يشمل) بياض في (ج) ، وموهمة في (د) .
(٣) – الرحمى: الرحمن ، في (ج) و (د) .
(٤) – مل : حل ، في (د) .
(٥) – تنبي: تسبي ، في (ج) و (د) .
(٦) – الدل : الدلال ، في (ج) و (د) .

بيت

نلت يا زين السوالف　　منك ما يبـــدو مـــن الـــشكوى

شـــــنّع الواشــــــى　　بيننا زخرف مقالاته لوهمـــك[2]

رقّ لي وارحـــــــــم　　قلب مضنى قيّده حسنك برسمك

يفتــــديك بــــالروح　　منه ما أبقى هواك فيه وإن قَـــلْ

بيت

كلما لاحـــت ليـــالي　　عنك فكـــره هيّجـــت شـــوقى

أنت حالي أنت مـــالي　　أنت دائى أنت طبّى أنت قصدي

ته فتيهك قد حـــلا لي　　واقض ما تختار من قربي وبعدي

ب

وقال أيضا :

نسنست من صبا نجـــد نـــسيمات　　عابقـــــــــــــة

نفحها بالشذا أهدى إلى السر أسرار　　أرخصت كـــل

سار منشورها سير البريـــد يحمـــل　　طيّها لي أمـــالي

أخبرت عن حبيب القلب معـــسول　　ريم تلـــــــــك

بيت

هات لي يا نسيم أخبار حلو الشمائل　　لؤلـــــــــــؤيّ

قال عهدك بعطفه قلت له عطـــف　　دمت به صـــب

قال علمك بوجهه قلت لـــه بـــدر　　قبلة القلب دائم

قال ما له معك ناديت قلبي لـــه دار　　عشقه قد حـــلا

بيت

---

(١) – نلت : قلت ، في (ج) و (د) .

(٢) – شنع : مشنع ، في (ج) و (د) .

(٣) – نسيمات : سيمات ، في (ج) و (د) .

(٤) – الاوشار : الاستار ، في (د) .

قال ماذا القلق من جور سيد الغواني — أنت آمن مـــن
ما الخَـــرَق والأرق إلا لـــــمهجور — بـــاكى العـــين
قلت قد حلّ في قلبي ولكن ســـباني — بالمحاسن وقيّد[1]
علّ نظرة بـــــها يجلـــو همـــومي — واطعم العـــيش
بيت
علّ نظرة بـــــها يخـــضرّ عـــودي — في رياض التهاني
وبفقري إليه أحوي الغنى بعد إملاق — بالـــــــــمنى
وألاقى حيـــاة الـــروح في ثـــوب — ينجلى في عياني
وأقول انقـــضت حاجـــات قلـــبي — فاتني قد صفا لي

وقال أيضا :

قولوا لساجى العيون — يقضى لعبده ما اقتضى جماله
يرحم أسير الجفـــون — مفتون حسنه مرتـــهن دلاله
كم في فؤادي غبون — من طـــول إبعـــاده ومـــن
وكم وكم لي شجون — تـــهيّج أشواقى إلى وصاله
بيت
ما ضرّ باهي الجمال — لو كان أسعف باللقا محبّـــه
وجاد لي بالوصـــال — عطفاً وسهّل للمحب صعبه
لكنّ طبـــع الغـــزال — ينفر على من حـــام حـــول
فما عسى ما يكـــون — إن طـــال بي في ذا الجفـــا

(١) – حل : مل ، في (ج) و (د) .
(٢) – عل : علي ، في (أ) و (ب) و (د) .
(٣) – الغنى : الفن ، المنى : المن ، في (ج) و (د) .
(٤) – غبون : عيون ، في (أ) .
(٥) – طبع : طبعه ، في (د) .
(٦) – محاله: مطاله ، في (ج) و (د) .

بيت

حلا لقلبي الهيام — في حبّ هذا الأهيف
وصرت به مستهام — أسير في قيد الغرام موثق
محزون بادي السقام — أكاد في بحر الغرام أغرق
وما لوجدي سكون — أما فؤادي زاد به اشتغاله

بيت

يا ناس كيف السبيل — إلى تلاقى منية الخواطر
أميل أو استميل — أو اصطبر في الحب أو
لكنّ وجه الجميل — أولى به الحسنى لكلّ خاطر
وكلّ صعب يهون — إذا قضى الرحمن لي

وقال أيضا:

يا رشيق القوام يا فتّان — يا رطيب البنان
يا فريد الظبا والغزلان — والملاح الغوان[٢]
هل سها عنك حارسك — مذ تركت الجنان
أو سبيت الحسان يإنسان — بالجمال

توشيح :

يا غزال الخبا — لو تكن في الربا — بين سرب الظبا

تقفيل :

ورأوا حسن وجهك — لغدوا في
ذا معنّى شجى وذا — ذا سليب

بيت

(١) – الصدر غير واضح في (أ) .
(٢) – الغوان : العنوان ، في (ج) و (د) .
(٣) – معنى : مضنى ، في (ج) و (د) .

قد ملكـــت القلـــوب   يـــا فريـــد
جل من صاغ وجهـــك   مثل شمـــس
وأنبت الدر مع ســـلاف   في ثغـــــــور
وأســـال الطـــلا علـــى   والثنايا الجمان

توشيح:

إن شوقي قـــديم   لـــك وجـــدي   وعذولي اللئـــيم

تقفيل:

هل يطاع إن دعـــا إلى   وعـــــــذلني
في جمال قد صانه الرحمن   من شـــرور

وقال أيضا :

أراش سهم الجفون   لـــما رنا نحوي بلحظ وسْنان
حسبي رأيت المنون   من مقلة كحلا وطرف فتّان
مَنْ منـــصفى مـــنْ   سهامها ما قطّ أخطت العان
دلّـــــوا حليـــــف   على نجاته من سهام الاعيان
بيت
أما كفاني الـــسقام   حتى تغازلني لواحظ الغيـــد
بي من دواعي الهيام   ما كَلّ عن أدناه كل صنديد
نـــهايةٌ في الغـــرام   لها بقلبي كل حين تجديـــد[٢]
مفتون عشقي فنون   كما حبيب القلـــب حـــسنه
بيت
ناديت كم ذا العناد   ما لي على حرب الكميّ طاقه

---

(١) – وجدي : ووجدي ، في (أ) و (ج) و (د) .
(٢) – بقلبي : بقلب ، في (د) .
(٣) – حبيب : طبيب ، في (ج) ، (القلب) ساقطة من (ج) و (د) .

صـــدع الهـــوى في — لم يبق من روحى سوى علاقه

والوجد باحـــشاي — في حـــبّ حـــاوي اللطـــف

راعـــــى الجمـــــال — حبيب قلبي إن قسا وإن لان

وقال أيضا:

يا ساقي المدامـــه — كم لي في كؤوســـك

عندي للإقامـــه — نـــشوة حـــول تلـــك

والسكرة كرامه — ترفع للعلا كـــل دون

والخلوة ســـلامه — في الحان مـــن جمـــع

بيت

لا تصرف كؤوسك — عنّي يا مدير الكؤوس

اجعلـــني أنيـــسك — واجلـــى راحتـــك لي

ما أهنى جليـــسك — في هذا الزمان العبوس

ما يعـــرف ندامـــه — (دائم بك جنابه مصون

بيت

أمسي باكي العـــين — ما لي غير طول الأنين

أشـــكو وحـــشة الـــبين — آه من وحـــشة العاشـــقين

من يكشف قـــذا الغـــين — من يرحم فـــؤادي الحـــزين

أنـــــــتم للزعامـــــــه) — في تحريكهـــا والـــسكون[3]

بيت

أفعمـــت النـــواحى — من فرط الهوى بالنواح

---

(١) – باحشاي : باحشائي ، في (د) .

(٢) – الخلوة : الحلوة ، في (ج) و (د) .

(٣) – ما بين الأقواس في البيت السابق وهذا البيت ساقط من (ج) .

ما يأسو جراحـــي | إلا إن أرشتم جناح[1]
مـــا أدرك فلاحـــي | إلا إن منحتم نجـــاح[2]
يا ســـكّان رامـــه | جودوا باللقا وارحمون

بيت

يا أهل الـــمكارم | رحمـــــاكم علـــــى
ما للصب راحـــم | إلا أنـــتم يـــا كـــرام
منّـــوا للمـــلازم | وارعوا حفظه للذمام[3]
قولوا لـــه كرامـــه | منا أنت مهما تكـــون

ب

وقال أيضا :

نصر الله دولة الحـــسن | بـــمليك الحـــسان
أهيف القـــد مرهـــف | مخجـــل الزبرقـــان
زاهر الخد عاطر الردن | الرطيب البنـــان[4]
عذب ريـــق المراشـــف | لؤلـــؤي الثمـــان

بيت

أبّد الله هـــذه الدولـــه | فهـــو سلطانـــــها
كم له في عشاقه طولـــه | شاع إحـــسانـــها
كم له في القلوب مـــن | تـــمّ إمكانـــــها
يقتضيها بالفتك والطعن | لحظه والـــسنان[5]

بيت

قد رقى تخـــت ملكـــه | تائهـــا في الـــدلال

---

(١) – أرشتم : أشرتم ، في (د) وموهمة في (ج).
(٢) – (إن) ساقطة من (أ).
(٣) – منوا : عنوا ، في (ج) و (د) .
(٤) – الردن : الورد ، في (ج) .
(٥) – يقتضيها : يقتفيها ، في (ج) ، بالفتك : بالضنك ، في (ج) و (د) .

وازدهى في مقامه الأهنى   بين جند الجمال

وجلا وجهه لنا حسناً   في مجالي الكمال[1]

فاجتلينا شمساً على   وشهدنا الجنان

ب

وقال:

فاتني يا حسن   على محبّك تحسّن

ما لقلبي شجن   غيرك ولا غيرك

والحشا لك وطن   حبّك بها قد

والفؤاد مرتهن   والحب مني تمكّن

بيت

كم بهجرك تذيب   قلبي فيا حرّ قلبي

كم بكاكم نحيب   ولا انقضى منك

واللقا يا حبيب   منك شفائي

بيت

كم جفا كم بعاد   وكم تجافي وهجران

قد ألفت السهاد   أبات حيران سهران

طال حبس الفؤاد   بالصد في سجن

شف قلبي الحزين   فقال من حب

بيت

قلت مالي عليك   من حق حتى أريده

وأنا في يديك   والعبد في حكم

كل أمري إليك   فافعل معي ما تريده

كل فعلك حسن   وأنت أحسن

---

(١) – وجهه : وجه ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٢) – (منك) ساقطة من (ج) .

وقال أيضا :

عقد لك الحـــسن اللـــوا	فأنـــــت ســــلطان
بديع حسنك يا قمــر في	لا زال مـــــــسعود
دوله عليـّــــه عزّهــا في	تخـــضع لدولتـــها
أنت الأمير فيهـــا ونحــن	وليس فينا قط شاني
بيت	
لا زلت مشرق في سمــاء	يا صاحب الوجـــه
قد فقت بـــالأنوار بـــدر	برونـــق الحـــسن
أما عيونك كم لها من قتال	وكم لها مثلى قتيل
دعج رناها سحر يـــسبي	لاهْل الهوى فيـــه
بيت	
رياض خدك نزهة الناظرين	ورودها والجلنار
جل الذي أنشاك للعاشقين	فتنه ولا عنـــها
الحسن فتنه طاب للناسكين	في حبها خلــع
ربي يــــديم إشــــراقها في	بحـــسن إنـــسان

وقال أيضا :

يـــا نــــسيم	بالله اسألك باللّـــهْ	مـــر بـــالحى إن مرّيـــت في أرض نعمــــان
في ريــــــاض	بين الغصون المظلّـــه	تحت ضال الحمى والشيح والرند والبـــان[(١)]
واقصد أهل	سكان تلك المحلّـــه	واختبر هل نسوا عهدي وإلا كمـــا كـــان
وأعدْ لي نبـــا	عن ما تقول الأخلّه	هـــل يجيبـــوا بـــسخط والا برضـــوان
	بيت	
يـــا رســـول	بلّغ لأهل المنـــازل	فـــرط وجـــدي وإن لم يكـــن ذا طريقـــك

---

(١) – الضال : السدر البري . لسان العرب (ضيل) .

واهد مـــني إن كنت تـــــهدي للأحبـــــه وإلا أنـــــت خـــــذني رفيقـــك

إنني مستهام مولع القلب ذاهـــل فاكسب الأجر واجعل من طريقى طريقـــك

قـــال ريـــح يا ذا الرفيق المولّـــه معهد السفح هو قصدي ولي فيـــه أشـــجان

بيت

يـــا رفيـــق أسر بنا للحبايـــب وابذل الجهـــد تبلـــغ بـــه جميـــع المقاصـــد

قل لحـــادي يحث سير الركائب نحو أخدار هاتيـــك الربـــوع والمعاهـــد[١]

فـــــــالمرام محجوب عن كـــل مضربه بين أهل الحى كـــم لـــه شـــواهد[٢]

إن ذاك الخبا أنـــواره مـــستهله والحسب بين الاستار والحجـــب منـــصان[٣]

وقال أيضا :

عـــوذّت أزهـــار وســـــحر فتّـــــر

مـــن حاســـدك ثم وكـــــل مـــــبغض

ربي يـــديم لأهـــل حـــسنك وتـــسلم

الحـــسن لـــك تمّ ما الشمس حتى

بيت

بـــدائع الحـــسن تجمّعت في محيّـــاك

ناهيـــك حـــتى تخـــضع لإشـــراق

فالله يا قرّة العـــين يحفـــظ جمالـــك

ترعـــاك في كـــل عناية الله تـــصونك

بيت

---

(١) – الربوع والمعاهد : الربوع المعاهد في (ب) و (د) ، و(الربور المعاهد) في (ج).

(٢) – فالمرام : فالمراد ، في (ج) و (د).

(٣) – الحسب : الحب ، في (ب) و (ج) و (د).

(٤) – (فتر) موهمة في (ج).

(٥) – لإشراق : لأشواق ، في (ج) و(الأشواق) في (د).

(٦) – يحفظ : يحفظك ، في (د).

حـــزت البـــها … واللطف يا فـــايق

أنا رأيت الرجاحه … ألقت إليك المقاليد

لـــو رام معـــك … بدرالسما قلت له

ما البدر في الحسن … ولا يضاهي جبينك

بيت

قـــد رام تـــشبيه … غـــصن الربـــا

دعوى وما حـــاز … ولا حـــــوى ذي

ايش قدره عنـــد … ما طال مـــن ذاك

ما للغصون ميـــل … ولطـــف عطفـــك

ب

وقال أيضا :

ملكـــــــت أرواح … بحـــــسن تيهـــك

وزاد مكـــــــسور … على المحبين قد عانك

وروح صـــــــبك … أذقتها كاس هجرانك

تبارك الله خلاقـــك … من البها والحلا زانك

بيت

يا منيتي يا حياة سـرّي … يـــا أنـــس صـــحبك

قاسوا محيّـــاك بالبـــدر … وذاك من جهل مـــن

ما للقمر ثغرك الـــدري … ولين ذا القد ميّاســـك

أم هل له حسن أخلاقك … أم عنده سحر أعيانك

بيت

فكيف ينسب لذا عبدك … والحسن والزين لـــك

إن الـــمنيرين من جندك … وأنت من بينهم مفرد

---

(١) – تشبيه : تشبيهه ، في (ج) ، و(شبيه) في (د).

رقيت تخــت الجمــال وحولك الغيد والخرّد

لا زال في الـــــــسعد ودام في العز سلطانك

وقال – بلّغه الله الآمال[1] - وقد تطفلت على تذييل هذه الأبيات التي من نظم الأستاذ الجمال محمدبن خليل السمرجي [2] ،وذيلت كل بيتين من نظمه ببيتين مع المناسبة بينهما وبين ما قبلهما على حسب الطاقة كما ترى :

حبيب شا أشق لك فـؤادي وشا أورّيـك شـعبك

وشا أزرع لك نخيل وكادي ورمان يا حبيب تجنيـه

وشا أغرس فيه ورد نـادي له من وجنتيك تـشبيه

وشا أجري النون من سوادي وشا انـــهل مـدمعي

بيت

حبيــب لــك في الحــشا وغرفة مشرفه ومنظـر

وروضــه فائقــه أنيقــه وكرســى كــسروي

ولك في موضع الحقيقــه مراتب في مقام أكــبر

ولــك في حبــة الفــؤاد محبــةٌ لاتــزال تحييــه

بيت

حبيب شا أمد لك سرادق مفرش في وسط حشايا

وشا أقطع دونك العلايق واهب لك في الحــشا

وروحى وهى روح عاشق فداك يا طيّب السجايا

---

(١) – في (ج) (رحمه الله تعالى).

(٢) – الجَمَال محمد بن خليل السمرجي الجداوي: ذكره البيطار في كتابه حلية البشر في معرض ترجمته للقاضي محمد ابن أحمد مشحم ، حيث أورد قصيدة للقاضي مجيبا بــها السمرجي ويصفه فيها بالفاضل الأديب وينسبه إلى جدة. كما ذكر الدكتور عبدالله الحامد في كتابه الشعر في الجزيرة في قرنين أن السمرجي من شعراء أواخر القرن الحادي عشر وممن أدركوا القرن الثاني عشر ، وأن له ديوان شعر مخطوط في مكتبة عارف حكمت. حلية البشر ١٢٠٨/٣، الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين ص ٨٥

(٣) – كسروي: كسرى ، في (د) .

٢١٠/ب

فإن تقبل فـــذا مـــرادي وأقصى مطلبي ولي فيــه

بيت

حبيب ها مهجتي تفــضّل فشرّف مهجتي بسكناك

تجمّل يا حبيـــب تجمّـــل وجمّل مربعك ومغناك(١)

وأقبل نحـــو مـــن تأهّـــل لاقبالك وجد بلقيـــاك

ودع ذا الصد والتمـــادي فما في القلـــب منـــك

بيت

حبيب أمسيت في بـــلادك غريبك خاطرك نزيلك

وضـــيفك يبتغـــى ودادك دخيلك تحترم دخيلـــك

وقاصد يرتجـــى اعتيـــادك بمحض الود ينتمى لك

فلاقى الضيف بالأيـــادي وأكرّم وافدك وحييـــه

بيت

حبيب إن شئت أقول لك لغيرك ما عطفت قلـــبي

ولكن الـــــمليح يعـــشق وغـــصبي إن عـــشقت

فوصلك إن سمحت أليـــق بحسنك يا حبيب قلـــبي

وإن تبخل فما اعتقـــادي دلالك للمحب والتيه(٢)

بيت

حبيب كما شا أذكـــرك وأمسح دمعتي بكفـــى

وكم منّك عليك أشـــكى وأكتم عشقتي وأخفى(٣)

وكم أصبر وكـــم تنكـــى وتقطع وصـــلتي وأرفي

وكم توعد وكم تمـــادي وكم تبدي الرضا وتخفيه

---

(١) – مغناك : مضناك ، في (د).

(٢) – دلالك: ولالك ، في (د).

(٣) – عشقتي: عشقي ، في (د).

بيت

حبيب أشمت بي الأعادي ... قبيلك خالقك قبيلك[١]

وحقّك يا ثمــر فــؤادي ... جمالك يقتضى جميلــك

فخـــاف الله في بعـــادي ... وارحم باللقـــا قتيلــك

فعيني حرمـــت رقـــادي ... وقلبي حل فيه ما فيــه

بيت

حبيب ما اقــدر أطيــق ... كفاني في هواك غلــبي

سلامة خـــاطرك وقلبـــك ... على مه قـــد كـــسرت

فإن يغضبك هتك حبـــك ... فهجرك كان أصل ذنبي

وعنوان الغـــرام بـــادي ... على جـــسمي فكيـــف

بيت

حبيب إن زدت في عنادك ... فشا أدعى من صميم فــؤادي

يهب لك خالقك مـــرادك ... وهب لي إن تشا مرادي

وإن أوهنت في اعتقـــادك ... وقد شكّيت في ودادي

حبيب شا أشق لك فؤادي ... وشا أوريـــك شـــعبك

ب

وقال أيضا :

خلصت مـــن شـــوايب ... صـــبوتي في

صبوتي في الهـــوى بمـــن ... هى لـــدائى

لا تظنّوا محـــبتي دعـــوى ... أو تروهــــا

شفّ قلبي هوى الرشـــأ ... ريم بــــــان

بيت

---

(١) – خالقك : خالك ، في (ب) و(خالعك) في (ج) .

(٢) – على مه : علام ، في (ج) و (د).

(٣) – (غوى) موهمة في (ج) و (د) .

فتنتني محاسن الرعبـــوب　　　يا لها مـــن

وسبتني معاطف المحبوب　　　أيـــن منـــها

وسطا فيّ لحظه المرهوب　　　بحسام المنون

ورماني بسهم ما أشـــوى　　　بل لقلـــبي

بيت

يوسفيّ الجمال ما أبـــدع　　　حـــــــسنه ذا

يخجل الـــشمس ســـاعة　　　بالجمــــــــال

ريم أضحت حشاشتي له　　　له ومرعـــى

وفؤادي أضحى له مأوى　　　في حمـــــــاه

وقال أيضا :

قد جـــاد يعـــسوب　　　بالوصل مـــن بعـــد

ولاح مثـــل البـــدر　　　في منــــزله ســـعد

فقلت هـــذا أنـــس　　　يا قلب فـــاغنم ذا

قرّت بمـــا تـــــهوى　　　لـــمّا انجلـــى هـــذا

بيت

أباحني المحبوب وصلا　　　بعد التجنّي والنفار

وافى إلى ربعي وحلاّ　　　وما له إلا القلب دار

فقلت أهـــلاً بـــك　　　أهلاً بمن وافى وزار

مجـــلاك يـــا ســـؤل　　　لـــــمغرمك آيـــة

بيت

يا فرحتي بـــك يـــا　　　يا أنـــس روحـــى

القرب منّك يا طبيبي　　　يشفى مـــن الـــداء

وذاك يا طبّى وطيبي　　　نوال ما فوقه نـــوال

---

(١) – لمغرمك : لغرمك ، في (د) ، سجود : السجود ، في (ج) و (د).

هنّيت بـــك يـــا ريم　　　سعدي بقربـــك في

وقال : على وزن (أمسيت عاني في وثاق الأشجان) :

ورقاء قد هاجـــت لي رســـيس　　　تسجع على أملـــود

وتذكر العهود

غنّت فاشجتني فصحت يا دان　　　ياليت من أهواه دان

مجانب الصدود

ما زلت أكتم لوعتي والأحزان　　　في حب مخـــضوب

الشادن الشرود[٢]

قضيت عمـــري في الغـــرام　　　رهين في أسر الهوان[٣]

مثقـــا . القـــه د

واليوم أبدت لوعتي الحمامـــه　　　لـــــــما تغنّـــــت في

مع إلفها الغريب

ها دمعتي تنـــهلّ كالغمامـــه　　　قد ضرّجتني بالدما[٥]

من فيضها العجيب

يا ليت شعري تحسن الإقامـــه　　　بقرب معسول اللمى

الأهيف الربيب

وأطرب كما يطـــرب حمـــام　　　وأقول قد طاب الزمان

وتم لي الشهود

---

(١) – سعدي : شعري ، في (ج) و (د).

(٢) – الشادن : الشاذن ، في (ب) و (د).

(٣) – في (ج) (رهين مجانب الصدود في أسر الهوان).

(٤) – اليوم : الو ، في (د).

(٥) – ضرجتني : مزجتني ، في (ب) و(جرحتني) في (د).

متى يواصلني حبيـــب قلـــبي وينكـــــشف هـــــذا

وأجتلى سناه

فإنّ قلـــبي في هـــواه مـــسبي وبالـــضنا جـــــسمى

وطبه لقـــاه

بالله يا ريح الوصـــال هبّـــي عليّ من ذاك الجناب

(وحقّقى رضاه

عسى الذي في خبايا الإمكان تقضي تكونه في العيان

طوالع السعود

وقال : أعراض على (هل عندكم من سعاد لي خبر) [٣] :

أشجى فؤادي السبيب وأطربا

ورقق اللحـــن بالغنـــا وأعربا

توشيح :

غنّى بـــصوت أصـــيل رخـــيم مترنمـــا

ولاح بوجـــــه جميـــــل يفوق بدر السما

وقال شفاك يا عليـــل شدْوي بـــذكْر

تقفيل:

فطاب من نـــشوتي بـــــه إذ شـــبّبـــا[٦]

---

(١) – مسبي : حسبي، في (ب) و (د).

(٢) – ما بين القوسين ساقط من (ج).

(٣) – في (أ) (أعراض هل عنكم من سعاد لي خبر) وفي (ب) و (ج) و (د) (وقال رحمه الله تعالى وقلت أعراض على هل عندكم من سعاد لي خبر) .

(٤) – اشجى : السجى ، في (د).

(٥) – شدوي :سدوي ، في (ج) ، بذكر: تذكر، في (أ) و (ب) و (د) ، وفي (ج) (بدكر)،ولعل الصواب ما أثبته.

(٦) – نشوتي : شوقي ، في (ج) و (د).

والتذّ من السماع والنظـــر   بـــما حبـــا[١]

أحيا موات بالحسن والـــنغم   جلا القذى[٢]

يا حسن أنسى به ومغتنمي   وحـــبـــذا[٣]

توشيح:

يــــا حبــــذاه حبيــــب   في القلب بالحب

جمالــــــه لي طبيــــــب   غنـــاه يـــشفى

يسجع كمــا العنــدليب   فيرتقــــــص بي

تقفيل :

لــم لا أميل بالــشجا   إلى

وقد صفا الورْد معه   لي مشربا

سمعته فاستفزّني الطرب   وشـــــوّقا

فرحت أبكـــى شـــوقا   إلى اللقـــا

توشيح:

ذكرت عهدي القـــديم   بالسفح والمنحنى

أيّـــــام عيــــــشي نعــــــيم   داني القطوف والجـــنى

واليوم أمسيت عـــديم   بين العنا والضنا

تقفيل:

لكــــن عـــسى أن القـــدر   .....

---

(١) – التذ : القذ ، في (ج) و موهمة في (د).

(٢) – بالحسن : بالجس ، في (ج).

(٣) – (به) ساقطة من (ب) و (ج) و (د).

(٤) – غناه : غنا ، في (ب) و (ج) و (د).

(٥) – بي : في ، (ج) و (د).

(٦) – ابتدر : ابقدر ، في (د).

ويمنحون الوصال من هجروا تحببا

وقال : غفر الله له:

ب

يا فخــر حــرّك لنــا	وامزج به نغمة الوتر
وقم لنا بالغنا خطيــب	للأنـــس في جمعـــة
وكن لأحشائنا طبيــب	فانـــها شفّها الكدر
واجل صداها بما تصيب	في الشعر من كـــل
بيت	
إن الشجا يبعث الشجا	وكم لنا في الـــشجا
اغنم بنـــا الأنـــس في	فالليل أهنـــا لـــما
واتّـــخذ الصفو مدرجا	للـــشجو بالـــشدو
وكن لنا الداعي المجيب	فأنت في جمعنا الأبر[٣]
بيت،	
يافخر ما سلوة الحزين	ولا خلاصه من الحزن
إلا إذا استحكم الطنين	وقابله صوتك الحسن
وكم لقلـــب الـــشجى	ســـيما إذا شـــاهد
عذب اللمـــى حـــالي	من ثغره يفضح الدّرر
بيت،	
مهفهف المعطف الوريق	ذو التيـــه والـــدل
ريم النقـــا الأهيـــف	ساجى الرنا أدعـــج
أخـــو القمـــر صـــنوه	لكنّه فاق بالـــملق
الله بجاه النبي الحبيـــب	يا فخر يحفظ لنا عُمَر

---

(١) – بياض في جميع النسخ.

(٢) – من بعد هذا البيت سقط خرم في (ب) و لم يُتنبه له عند الترقيم .

(٣) – الداعي : الراعي ، في (ج) و (د).

(٤) – (حنين) موهمة في (ج) و (د).

وقال أيضا :

بالله يا مانع وصـــالك   كـــــم ذا التجـــــافي

أطلـــت يـــا هـــاجري   وأنـــت بالوصــــل مـــا

من ذا الذي بالجفا قضى   عليّ يا باهى الخـــدود

كم لي وكم لي أرتقب   يلوح في مطلع الشهود

ست

أمسيت بك في الهـــوى   ســـهران مـــا أعـــرف

باهت حليف الـــسقام   ما لي سواك في الهـــوى

مـــتى أرى ذا الجمـــال   واجتلى وجهك الحسن

كم لي وكـــم أرتقـــب   يلـــــوح في مطلـــــع

ست

مسكين أنا ضاع فيك   على تماديك والبعـــاد

ظمآن ولهـــان طـــول   ولا انقضى منـــك لي

ما حيلتي فيـــك عيـــل   وبحر شوقي طما وزاد

كم لي وكـــم أرتقـــب   يلـــــوح في مطلـــــع

ست

وا لوعتي فيك واغرامى   في عشقـــتك أيّها الحبيب(٦)

وقال أيضا : وهذه الأبيات حصلت بالاجتماع عليها من الجماعة المذكورين – رحمهـــم الله تعالى – قال الأخ عبدالله عليان استدعاء لبعض الأصحاب :

أيها الفخر تفضّلْ ساعةً

---

(١) – هاجري : هاجر ، في (ج).

(٢) – (بك) ساقطة من (ج).

(٣) – كم لي وكم ارتقب : كم لي وكم لي ارتقب ، في (ج) .

(٤) – ظمآن : ظلمان ، في (د) ، ولهان : ولها ، في (أ) .

(٥) – يلوح في مطلع : يلوح ومطلع ، في (د).

(٦) – بعد هذا البيت فراغ لثلاثة أبيات في (أ) و (ج).

فقال الفقير :

ابتدر واطلع إلينا قمرا — **صل إلينا نغنم الأنس معك**

فقال الشيخ محمود علي :

أسعـــد الله زمـــاناً أطلعك

فقال الشيخ عثمان بن سلمان :

وانعطف يــا غـــصن — **جلّ يا غصن النقا مـــن**

فقال الفقير :

نحن في أنـــس فـــتمّم أنـــسنا — **كلنا يا بـــدر نـــــهوى طلعتـــك**

لك في كل فـــؤاد منـــــزلٌ — **مـــن محبّيـــك فـــآنس مربعـــك**

انتظم في ســـلكنا وانـــحَ إلى — **نحونـــا يحمـــدْ لـــدينا موقعـــك**

قد صفا مشرعنا في الصفو هل — **لك تـــستعذب معْنـــا مـــشرعك**

وقال هذا الحميني :

قلـــبي الـــشجى — **مـــازال في أســـــر الهـــوى**

كم فيـــه مـــن — **من وحشة التفريق والتغـــراب**

والـــــــــمدمع — **يساجل الغيث الهتون تسكاب[٢]**

والبارق اللموع — **مـــسامري شـــجوي بـــذكر**

ياجيرة الحمـــى — **يا ساكنين الشعب من فـــؤادي**

هذا الجفا لــــمَ — **حتّام هذا الـــصبر والتمـــادي**

عيني بكت دمـــا — **ولا قضت لي باللقا ســـعادي[٣]**

قـــد طـــال بي — **إلى لقاها والفؤاد قـــد ذاب[٤]**

---

(١) – من هذا البيت انتهى الخرم في نسخة (ب).

(٢) – الهموع : هموع ، في (ب) و (ج) و (د) .

(٣) – عيني : دعيني ، في (ب) ، و(وعيني) في (ج) و (د).

(٤) – النزوع : الزوع ، في (ج).

طمى بي الغـــرام — وساقني شوقي وجـــدّ وجـــدي

وشفّني الـــسقام — وقد محا رسمى الضنا وجـــدّي[١]

والقلب مستهام — مشتاق عاني في ربـــوع نجـــد

يا حبذا الرجوع — إلى الحمى من بعد ذا التغيّاب[٢]

٢١٧/أ

يــــــا قلـــــبي — محّض صفاك من زيغ كلّ صحبه

واستأثر اللحوق — بالعاشـــــقين تـــــصفو لــــك

واعـــشق لكـــي — من كأس عشّاق الجمال شربه[٤]

[تـــــــــــحلّ — ولازم الباب ينفتح لك الباب[٥]

يا هل ترى يجود — بعد الجفا والصدّ بالوصـــال[٦]

وتصدق الوعود — بنظرة مـــن بـــاهي الجمـــال[٧]

وتحكم الـــسعود — بنيـــل آمـــالي ورفـــع حـــالي

وتشرف الربوع — بقرب معسول اللمى والأنياب

ســــــــــافر إلى — فالربع آهلٌ والـــمرام حاصل[٨]

وحثحث الرحال — يا حبذا الوخّـــادة البـــوازل[٩]

---

(١) – (شفني) موهمة في (د).

(٢) – (إلى الحمى) ساقطة من (ج) ، التغياب : النقياب ، في (د).

(٣) – استأثر : التأثر ، في (ج).

(٤) – واعشق : واسق ، في (د) ، لكي : كي ، في (ب) و (ج) و (د).

(٥) – ما بين المعقوفين بياض في جميع النسخ.

(٦) – بالوصال : والوصال ، في (د).

(٧) – بنظرة : لنظرة ، في (ج) و (د).

(٨) – المرام : الرام في (د).

(٩) – الوخادة : الوخاذة ، في (ج) و (الوفادة) في (د).

أسرع لكى تنال قصدك بجمع الشمل والمنـــازل
ذا منتهى الجموع احضر ولا تحفـــل بكـــل مـــن

تـــمّـــــــت[٢]

(انتهى ما وجد مجموعا له -رحمه الله تعالى- وله في ديوان المراسلات أشياء لم تثبـــت هنا، ومن رامها فليراجعها هنالك. وقد تم تحريرا على يد أسير شهواته متخوم هفواته من أخطا رشاده وحالف العاده (حسن بن مصطفى قيم زاده) [٣] لتسع ليال مضت من ربيـــع الأول عـــام الفـــتح الأعظم، ورفع المدلهم الذي أهم ولـــمّ عام ثمانية وعشرين بعد الألف والمائتين مـــن هجـــرة ســـيد الكونين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم). [٤]

(انتهى ما وجد من كلام الأديب محمد بن يحيى قابل رحمه الله تعالى ، وقد تم على يد أسير ذنبه فقير ربه (حسن بن مصطفى قيم زاده) جعل الله التقوى زاده، والملجي إلى الاشـــتغال بـــــهذا الزمن ترادف المحن ، ووثوب ليث الهموم، مع كساد العلوم بنساخة الدواوين قلت الدواوين وعـــدم المعين،وكان الفراغ منه لليلة بقيت من شهر شوال عام الأربعين بعد المائتين وألف من هجرة صاحب العز والشرف صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه وشرف وكرم آمين). [٥]

---

(١) – احضر : واتحضر ، في (ب) و (ج) و (د).
(٢) – اقتصرت النسخة(أ) الأصلية على كلمة (تمت).
(٣) – سبقت ترجمته، الديوان ص ٤
(٤) – نـــهاية نسخة المخطوطة (ب).
(٥) – نـــهاية نسخة المخطوط(ج).

زيادة نسخة (ج)

١٥٣/أ

وقال - رحمه الله تعالى - معتذراً ومعاتباً على لسان بعض أصحابه :

أنهيت أمري وليس الشأن
وإنما الشأن أن تقضى[1] بإشكائي

ولا أبثّك شكوى قد علمت
وليس يخفاك لا مسّتك ضرّائي

لعل إحسان ظنّي فيك يوجب لي
إحسان صنعك في عَوْدي

يا أنبهَ الناس مقداراً وأنت كما
يجلّ فهمك عن سهو وإغفاء

إليك كان انتسابي وهو لي شرفٌ
من دونه كل أمّار ونهّاء

ناهيك بالآمر الناهي الأجلّ علا
وأنت ذلك حطّ الدهر أعبائي

فما وجدت سبيلاً كي تلاحظني
منك المراحم في كلّي

ولا شملت مهمّاتي بما اشتملت
عليه ذاتك من تسديد آرائي

ولم تصن ماء وجهي عن سؤال
علياك في كشف لأوائي وبأسائي

ومذ تقاعد حظّي عن قيامك بي
اطْلعْت غيرك مضطرًّا على دائي

ما فضل نسبتيَ الغرّا إليك إذا
لم يصبح الدهر عبداً من أرقّائي

وما مزيّة تعويلي عليك إذا
لم تكْفني شرّ إصباحي وإمسائي

أما أتّخذتك لي حصناً ألوذ به
من جور دهر على الأحرار عدّاء

ومنذ آثرت ما فيه رضاك على
رضى البرية من دان ومن نائي

رهنت عندك قلبي واللسان على
ودٍّ وشكر بتمكين وإخلاء

هبني أسأت أما في الحلم يا سندي
عذرٌ لمثلي ولا عذرٌ

لولا الإساءة لم يثمر بمغفرة
ذنبٌ ولم يُعفَ عن أَوْزَار خَطَّاء

والآن قد جئتُ من باب السماح
تسمح فحسْبك بعد السموت

وأنت أكرم من أن أستجير ولا
تجيرني من تلظّي نار أعدائي

حسبي رضاك فإن تصفح فأنت
يؤمّل الناس من صفْح وإبقاء

(١) – الفعل من حقه النصب، لكن بنصبه ينكسر الوزن، فيلزم التسكين ضرورة.

١٥٣/ب

وإن تقاصر حظّي أو تخلّــف بي	ســعْيي فــوا ظمئـــي للمـــاء
هذا وأعجب من هـــذا وأغربـــه	تصميم عزْمك في طرْحي وإلغائي
لعلّ جُرْميَ من قـــدْري حقارتـــه	وكان ذلك من أسباب إقــصائي
نعم عفا الله عن إغضاء ســيّدنا	قَدْري حقير وحظّي دون أكفائي
وإن أكن مذنباً فالعفو أعظم من	ذنبي إليك وهذا جلّ إنــــهائي
لكنّ في الظن بالــمولى ومنقلبي	إليه ما يقتضى رفعي وإعلائـــي
وعمدة النظر الإكسير دام عُــلاً	جبرٌ لكـــسر وتنويـــلٌ لنعمـــاء
فانظر إليّ بعين لو نظرتَ بـــــها	إليَّ قرّبْتَ منِّي حظّـــيَ النَّـــائي

وله أيضاً - رحمه الله - تعالى وأرسلها إلى الفقيه إسماعيل النهمي[٢] لموجب اقتضى ذلك :

يا مالكاً بالودِّ عقْــد وَلائـــي	ومُـــمَلَّكاً رقِّي وحـــرِّ ثنـــائي
ومُقلِّماً أظفـــار كـــلّ مُلمّـــة	بفواصــــــل مــــشحوذة الآراء
ما لي إذا اســتنْجحْتُ بـــيضَ	وكشفتُ عن وجْه النداء غطائي
عَبَسَ الزمان ولـــست أدري	إضحاك حظّي منك أم إبكـــائي
وإذا دعوتُ النّجْح قال أزمَّتي	بيَد الـــمشيئة والضيا مـــولائي
أو ما سبقتُ إلى ذراك مصلّياً	ومـــسلّماً في حَلْبـــة العليـــاء
ولقيتُ منك مع القبول كرامةً	حَلاَّ مَحَلّ الروح من حوْبـــائي
وشَرِقْتُ عندك بالسرور ومن	حَرّ الظما يَشْرَقْ ببَرْد الــــماء
وظننت أن ألقى غريماً واحداً	وإذا الزمان وأهلـــه غرمـــائي
فمُنيت بالداء العضال وحال	دون الدواء كُفيتَ شرّ الـــداء
عجباً لخُلْف الدهر ميعـــادي	أنشط ببابك من عقال رجـــائي
ولكَرِّ أفراس الزمان وفرّهـــا	ما بين إســعاف وفَـــرْط إبـــاء
حيناً إليّ وتارةً عنّـــي وطـــو	راً لي وآونـــةً علـــى إرجـــائي

---

(١) – (للماء) رسمها غير واضح وتكاد تكون موهمة ، ولم يتضح لي معنى التكرار هنا.

(٢) – لم أجد له ترجمة.

ومن العجائب والحوادث إفراغها في قالب الإنشاء
صبري إذا لم يغن شيئاً والأسى من عذّلي وشَماتة الأعداء
فارحم تعثّر غربتي وتعطّفي واغنم إقالة عثرتي وندائي

١٥٤/أ

وقال - رحمه الله تعالى - متشوقاً لأصدقائه:

هي المدامع إلا أنها كتب تنوب عمّن دهته فيكم النُّوَب
عجما معرّبة الألفاظ تعرب عن عبارة الشوق إلا أنها عُرُب
أرسلتها تتقاضى الوصل إن بالإذن منكم وتقضى بعض ما
فإن رأيتم لها حق الوصول ففى جاه القبول قبول الجاه محتسب
يا صاحبي وأنا الصب الكئيب رفقاً بمكتئب فالرفق مطّلب
دعني ووجديَ فالأشواق لي إليهم ولقلبي في الهوى أرب
لا تنهني عن مناجاة الغرام وعن إصغاء سمعى لما يأتي به الطلب
فلو ترى بعيوني حسنهم وتعى بمسمعى لفظهم ما فاتك الشنب
همُ أحبّة قلبي لا عدمتهمُ شطّوا كما زعم الواشون أو قربوا
بذكرهم أنتدي بادي الهوى إملاءه ولداعى الوجد أنتدب
وأحتسى الحبّ خمراً في محبّتهم أرجو ثوابهمُ فيها وأحتسب
يا حبّذا حبّ والدمع المجّب لي سلافة الحب تطفو فوقها الحَبَب
همُ ربيع فؤادي والملام محرّمٌ وبسمعى في الهوى رجب
وما طلبت الرضا كوني أهلاً ولكن لينفى عنهمُ الغضب
فاصرفْ إذا شئت عنّي وجه وإن أسأت فلا يُستنكر العتب[1]
يا سادتي وارتياحى إن دعوتكمُ يا سادتي وبهذا يحسن الأدب
لم يخل من سبب حبّى لكم وبه يصحّ متّصلاً ما بيننا النسب
فلمْ فَصَمْتُمْ عُرا ودّي بميلكمُ إلى الوشاة وما قالوا وما كذبوا
إن كان يرضيكمُ هَجْري بلا يا حبّذا الهجر إن كان الرضا

(١) – العتب: التعب ، وما أثبته هو الأنسب للمعنى.

الله في رحمة الودّ الذي وصـــلتْ به الصِّلاتُ قريباً منكم القــرب

وقال أيضاً :

١٥٤/ب

وصالُك أشْهى مــن محادثــة تجاذبُ قلبِي في الهــوى طَــرَفَ

وهجْرك لي ذنبٌ لعلّي جنيتــه فكن ولك الحسنى مُصرًّا على

إذا لم أكن في حالتيــك مــن على ثقة لا كرْبَ أعظــم مــن

وإن لم أصن عهــد الـــمودّة عهود الهوى لا ذنبَ أكبر مــن

سلامٌ على مضنى الهوى وتحيّةٌ مباركـــةٌ تُـــهدى إلى جــيرة

أعبّر عن مغْنَى وشعْب ولم أكن عَنَيْتُ سوى قلبِي ومن حَــلَّ في

على أنَّنِي في الحبّ راض عــن إذا كان راض في المحبّة عن سلْبِي

وعن عَبَرَات لا تــزال كمــا به عادة الـــمهجور وقفاً علـــى

إذا الـــمرء لم يُسْعفْه حظٌّ على فما ذنبه إلا التوسل في الحـــبّ

وقال رحمه الله تعالى : وأرسل إليّ مولاي السيد عبدالرحمن العيدروس[1] هذه الأبيات ومعها من النثر لموجب اقتضاه الحال :

يا معشر العشّاق هبُّوا غَيْــرةً غضْبى سرَاعاً في خَلاص الربْرب

ذاك الرشا طاوي الحشا مــن من جُمْلة في أسْر كلب أكلــب

نحمى حمانا لا يبــاح مــصونه ذلّ النفوس وعزّها في الأصعب

علمى ودأبكمُ الإباء ودأبــه سفك الــدما حــول الــدمى

حب التداني في الغواني مورثٌ عارَ الفوات مكدّرٌ للمــشرب

قصّوا سفاسف ما نظمت لمن حبِّى له بين الأخــلاَّ مــذهبِي

أغْنى الجمال وذا الكمال بلا فعسى وأن أظفر لديه بمطلــبِي

(١) – هو عبد الرحمن بن مصطفى بن شيخ بن مصطفى بن زين العابدين بن عبدالله العيدروس، فاضل من أهل حضرموت، ولد بــها سنة١١٣٥هــ، وارتحل إلى مصر ، ثم قدم دمشق سنة ١١٨٢،ثم عاد إلى مصر ، وارتحل بعد ذلك إلى القسطنطينية سنة ١١٩١هــ، ثم عاد إلى مصر وتوفي بــها سنة ١١٩٢هــ، له تآليف وديوان شعر. سلك الدرر للمرادي ٣٢٨/٢ الأعلام للزركلي ٣٣٨/٣

ولعلّه ينفي المتاعب من فـؤا **د مات عن حبّ الـــمداعب**
وأظنـــه حقًّــا يقينـــاً أنـــه **سترٌ على عوراء رسمى لا غـــبي**
فأنا أرجّى من وفـــاه ولطفـــه **غضّ الكرام وقوله صبٌّ ســـبي**

بعد لثم الأيدي الكرام ونظم أنواع التحية والسلام، أيهذا الأديب الألمعي اللبيب

١٥٥/أ

أنا على مجراك في فرط الغبون ،ويكفيك اعترافنا بأن هذا منا نوع من الجنون، وهو كمـــا قيل فنون، ونـــهاية ما تراه من المكنون حرره القلم على وجه الشحاة، فـــإن اســتجاده الفكر الثاقب والا فضلا محاه، والسلام عليكم دوام، والصلاة على خير الأنام وآله الغـــر وصحبه الكرام.

فأجابه وقال هاك الجواب ، .... ، ....، المستحق لركاكته أن لا يرمقه الناظر، ولا يكدر بأقذائه معين الخواطر، الحقيق بقولي مستعيناً بقول الشاعر :

(أحسنت ظنــك بــالوزير **ــف شــعرك قلــت فــاتر)**

فقلت:

خطـــرت عقيلـــة حـــيّ ذاك **حـــسناء ترْفـــل في الطـــراز**
غضْبَى تقول قد أستبيح حماكمُ **أيبـــاح مثـــل اليـــوم كنْـــــز**
يا للصبابة والحميّة في الهـــوى **هبّوا كراماً فالحميـــة مـــذهبي**
كيف التخلّص للدفاع ورأينا **يا قوم بين مـــشرّق ومغـــرّب**
إن قال حازمنا الحفاظ يريبنـــا **من حزبنا من سار سير الكوكب**
فالقـــصد نحـــو الـــمـــشرق **والسير رأي العين نحو المغـــرب**
فترى صديق الودّ منبوذ الإخا **حيران بين مـــصدّق ومكـــذّب**
الآن عودوا يا بني الجلاّ على **بدء وحزماً يا كـــرام المنـــصب**
وخـــذوا ســـلاحكمُ هنـــاك **من غاصب أو ظـــالم متغلّـــب**
واكفوا مؤونة مـــن تكفّـــل **لكمُ تنالوا منه أَوْفَـــى مـــأرب**
هذا وعين القـــوم أعلـــى في **عيناً وإن يغلب فغـــير مغلّـــب**

بعد تقبيل مواطيء أقدام الجود والكرم ، ومآثر إحسان الأخلاق وعلو الهمة ولطف الشيم، فنتطفل عليه بقبول ما أهداه من تحياته ، فإنّا لا نجد ما يليق بمقامه إلا ما طوقنا به من حسناته، ونفيدها أنه ورد إلينا ما نتج من الريح العقيم من درّكم النثير والنظيم ،فعجبت للروض يدبجه البيان ويحمله البنان ،وأنفت للحور دون مغازلتها من الكحل ،وللأحداق عند ملاحظتها من الملل قطعة من الفلك تحمل إلى مترلها نجوما، وأظنها للمحبين سعوداً وللحساد الشياطين رجوماً، فركع في محراب وصفها القلم، وسجدت لها العيون شكراً ،وهكذا التحدث بالنعم .

١٥٥/ب

وقال - رحمه الله تعالى - معاتباً بعض الأصحاب :

هل المرء إلا لبّه وخطابه	فإن عَزَبَا عنه تولّى صوابه
ولو لم يكونا فيه أشرف جوهر	لما كان يوماً للكمال انتسابه
فيا حسرتا والجهل تُنشر	ويا رحمتا والفضل يُطوى كتابه
ويا عجباً للعقل طال بربّه	توحّشه بين الورى واغترابه
وأعجب من هذا انتسابي	إليك وحظّي في التراب ترابه
أبا السعد والإقبال دعْوة	إليك كما شاءت علاك مآبه
عفا الله عن علياك أين مزيّتي	لديها وحبّي فيك أين ثوابه
أينبحني دهري بقرْع كلابه	لقد هان من هرّت عليه كلابه
وما أربي إن لم يكن لي مزيّةٌ	وفضلي إذ ما سُدَّ بالنقص بابه
كفى خطَّةً بالأرذلين حقارتي	لديهم ولي قَدْرٌ عزيزٌ جنابه
ووالله لو ترضى الهجاء	لصبّ عليهم سوطه وعذابه(١)
فإن أنت لم تُكْرِم مُحبًّا ولم تُهن	عدوًّا فكلٌّ فيك ضاع حسابه
وإن لم تحل ما بيننا ضاع بيننا	وبينك في هذا المجال عتابه
ولمتُ صفا هذا الزمان	إذا ما تساوى بازه وعقابه
ولست أبالي إن صفت لي	إذا عَثَّ عَيْشى أو عَلاَه ذبابه

---

(١) – في المخطوط ، سوطه :سوطه .

حنانيك ما شكوى الأراذل ولكنّ سوح الصبر ضاقت

وله أيضاً - رحمه الله - تعالى صورة إجازة في الخط لعلي بن عبدالله عساف :

قل لمن ضمّنت فيه شطر بيت المتنبي[1]

١٥٦/أ

أنت في الخط مُجازٌ ناجزٌ فيه وربي

واستمع هاتف شعري لك يا أكرم صحبي

خطّك الوهبي قد آذن أن تُدْعى بوَهْبي

وله أيضاً :

إن المحبّ وإن تأخـ ـخر عن زيارة من

فوداده لا يستحيـ ـل أيستحيل الدرّ

وله أيضاً :

سألتك بالله خفِّفْ عذابي فقد قلّ صبري وزاد اكتآبي

أيرضيك يا قبلتي قتْلتي وحُزْني وسقْمي وطول انتحابي

مضى عُمُري وانقضى في هوا ك زماني ولم يعلم الناس ما بي

أغالط فيك جميع الصحا ب وأغلق في وجههم كلّ باب

وأوهم أنك غير المنى وأنت المنى يا رفيع الجناب

فبالله بالطاهر المنتقى وجدّك شيخ الشيوخ العرابي

أجرني من الصد يا سيّدي وخذ بيد الفضل واكسب ثوابي

وله أيضاً :

أرى الليل أعداه طباعك رقّةً فليس عجيباً أن ترقّ غياهبه

---

(١) – في هامش المخطوط : البيت المضمر فيه شطر بيت المتنبي هو :

يفْدي عليّ بن عبدالله حاسده بِجبْهة العيْر يُفدى حافر الفرس

أما البيت في ديوان المتنبي فهو:

يفدي بنيك عبيد الله حاسدهم بجبهة العير يفدى حافر الفرس

ديوان المتنبي:شرح الواحدي ص ٨٨ ، شرح العكبري ١٨٨/٢، شرح البرقوقي ٢٩٨/٢

ومهما اختطفت البرق وهـــو فغير بعيد أن تـــسيل كواكبـــه

وله أيضاً :

هل لديكم خبرٌ عـــن غَيْــرَة لي عليكم من عجيب العجـــب

صيّرتني أسوأ النـــاس بكـــم في الهوى ظنًّـــا وبالنـــاس وبي

ما لهذا غيركم مـــن ســـبب وإذا مـــتّ فـــأنتم سببـــــي

وقال أيضاً :

طباعك لن تغيّرهـــا الليـــالي لتوجب لي على الأيـــام عُتْبَـــى

فكيف أَحْلَتَها بدوام هجـــري وأَوْرَثْتَ الحشا هَمًّا وكرْبـــا[1]

١٥٦/ب

وما حـــسنات ودّي ســـيئاتٌ لتحسب أجْر حبّى فيك ذنْبـــا

خف الرحمن في إتلاف نفْـــس يكلّفها هـــواك نـــوى وقُرْبـــا

وله أيضاً في صباه :

خطرٌ عليك إذا وليتَ جنايـــةً بتعطّف وَلَوَيْتَ عطْف تـــجنّب

إني لأحسب أنّنى متمـــسّكٌ من حـــسْن حبّـــك في عُـــرًا لم

فأعيذ حلْمـــك أن يـــُمَوِّهَ ويرى ذميم مقالـــة لـــــمؤنب

ولئن صددت فـــإن صـــدّك حكْم الـــمؤدب راق للمتأدّب

لا نلت صبراً من جفائـــك لي لم أسْلُ من سلوى رضاك وأعتب

أتسومني نار الـــمسوّم بالعلا حفظ الذمام وذلّة الـــمستعتب

وتعى مقالة كاشح لجفـــائكم يسطو عليّ بصوْلة الــــمتغلّب

مهلاً ففى طول السماح تحمّلٌ إن كنت قد أذْنَبْتُ أو لم أذنب

والحلم والإغضاء برّ تكـــرّم والصفح أوسع خطّةً للمهـــرب

أَوَلَسْتَ من مَن قـــد سمـــت أصلاً وفرعاً في النجار الطيّب[2]

(١) – في المخطوط ، أورثت : أورث.

(٢) – في المخطوط هكذا (ولست مِنْ مَنْ قدست أخلاقهم) وذلك لا يستقيم وزنا ولا معنى، ولعل الصواب ما أثبته.

قومٌ إذا ذكر السماح تخـالهم   جعلـوا سمـاحهمُ اعتـذار

فإذا جنى الجاني ورام سماحهم   متوسّلاً ألفاه كنـز الـمطلب

وكفاك من علم الذكاء تطلّعا   لغيوب سرٍّ عنـك لم تتغيـب

وقال أيضاً :

نـصبت للفـضل في العليـا   لـمّا مددت له جـسراً مـن

تجرى .... في حافتيه فما   جري اللجين على لـوح مـن

وله أيضاً :

سأقضى حقوق الحب إن شئت   أولو العذل مضنى مهجة تتفتّت

وإن شئت طارحتُ الغمام وإنما   أخو الحب من ينفـى الغـرام

وله أيضاً :

١٥٧/أ

سقاك ما شاء أن يسقى ومـا   نوء الغمائم بل حيي وحييـت

يـا دار لهـوي ومـصطافي   وحلـبتي ومـجاري سـبّق

وله أيضاً :

أيها الناسـى محبًّـا ذاكـرًا   لك ما هب نسيم من جهاتـك

وإذا فاح شذا مـن حـاجر   عطّرته نفحـةٌ مـن عطراتـك

حمـد الله كـثيراً وغـدا   يشكر الله على صـحة ذاتـك

وله أيضاً :

أرى الأنـصار أهـل   عيونـاً في وجـوه الكائنـات

وأرسل إليه الجمال المرحوم محمد فضلي أفندي الأبيات الآتية يستنجزه إرسال شـيء من النظم والنثر إليه، فأرسل إليه مطلوبه والجواب ،وقـال : مخـدوم الأدب ومالكـه،

---

(١) – مكان النقط موهم و لم أستطع قراءته ، أو تقريبه .

الـــمتّضحة به فجاجه ومسالكه، اللطيف ذاتاً وشيماً، المتدفق بطبعه جوداً وكرماً، شامة خد الدهر، ونكتة عطارد الفخر ، أنموذج الفضل والكمال المتبحبح في الرئاسة بين العـــز والإفضال:

من لا أســـمّيه إجلالاً وتكرمةً　　　وقدره المعتلى عـــن ذاك أغنـــاني

ملك البيان فسحره ، وبويع له من أدبه الغض تحت الشجرة، أتحفني بحسنات أسأت بـــها ظني في النجوم، وغيّرت خاطري على الروض فلا أعرّج عليه ولا أحـــوم، كلها أنـــهار ينكسر اللطف على شاطئ مدّها، وتلتمس العذراء منـــها حبـــات ثغرهـــا وعقدها، وهي هذه الدرة اليتيمة التي ليس لها غير بذل الأرواح قيمة، وهي هذه :

وَعَدْتُم تبعثون بمـــا نظمـــتم　　　من الدرّ النـــضيد ومـــا نثـــرتم

من الأزهار في بـــاهي المحيّـــا　　　شبيه البدر هـــلاّ قـــد بعثـــتم

أعادكمُ السرور وقد نـــسيتم　　　صدوق الود غبتم أو حـــضرتم

بأَيْمَـــان الهـــوى آليـــت أني　　　على تلك العهود ولو بـــرحتم

وأُقْسم بالثنايا مـــن حبـــيبي　　　وثغْر منه أحلى مـــا ارتـــشفتم

وقَدٍّ قَدْ حكى الأغصان لينًـــا　　　وعطْفـــاً أنّكـــم والله جُـــرْتم

فمهلاً أيهـــا الأخـــوان إنّـــا　　　هوانا بالهوى من قـــد علمـــتم

فإن أُبْتُم وواصـــلتم حبـــالي　　　بمعسول الشفاء فقـــد عـــدلتم

أبيتم غير بعدي عـــن جفـــاء　　　سأصبر شاكراً مهمـــا صـــنعتم

وما لي منجدٌ إلا الـــذي قـــد　　　حبانـــا لطفـــه لـــمّا منعـــتم

جمال الدين أفضل من تحلّـــى　　　كمـــالاً فاســـألوه إذا أردتم

وهذا الجواب:

قلوب بالـــمحبة قد عمـــرتم　　　وبالإفضال منكم قـــد غمـــرتم

ومن حسناتكم وَافَـــى نظـــامٌ　　　لـــمؤتَـــمر ينفّـــذ مـــا أمـــرتم

فـــصار وقوفنـــا لا زال منّـــا　　　علينا تحت لَمْحة مـــا أشـــرتم

١٥٧/ب

يميناً بالوفا منكم يميناً ... لقد شكر المهيمن ما شكرتم

حناناً منكمُ بل مَحْض فضل ... تزكيكم لنا فيما ذكرتم[1]

ولا سيما شقيق البدر حسناً ... أسير الود غبتم أو حضرتم

وإلا نحن مَنْ ومَن المفدّى ... إذا قسناكم مع من أشرتم

وحقك أنت لا أنسى مقاماً ... على تشريفنا فيه اقتصرتم

فإن يحرز كمال الحظ وافٍ ... مبشّركم بزورتنا وزرتم

وإن ظفرت لُيَيْلتنا بوصل ... ملكتم رقّنا وبنا ظفرتم

وعفواً إن أسأنا يا موالي ... وظنّ عُبيدكم أن قد غفرتم

وقال - رحمه الله تعالى - ومما قلته في مجلس السيد النبيل السيد مقدام :

لله بل للأنس مجلس ماجد ... يجلو الهموم به صفا أَوْقَاته

لم أدْر حين غدوت مسروراً ... طربي لحسْن حديثه أَوْ قَاته[2]

١٥٨/أ

وله أيضاً :

الله في عونك ما دمت في ... عوني وهذا اللفظ معنى الحديث

فافعل معي ما أنت أهلٌ له ... وهل من الطيّب يأتي الخبيث

وله أيضاً رحمه الله تعالى :

سمير دراري النجم يرجوك ... فقد بات في لجّ المدامع

تلاعبه الأشواق فالوجد وجده ... وعيناه تنبي عن هواك وتفصح

محبٌّ كما تهوى فإن رجح ... عليه فميزان الملاحة أرجح

بدعواه في صدق المحبة صادقٌ ... فهل تقبل الدعوى بذاك وتصلح

فلا الذل عندي خير ما اختاره ... لمن ظن أن العز للصب

تناءت ليالي الوصل عني ... ليالي صدود بالبعاد تُلمّح

---

(١) – في المخطوط ، تزكيكم : تذكم .

(٢) – القات : نبات يزرع لأوراقه التي تمضغ خضراء، قليله منبه ، وكثيره مخدر. المعجم الوسيط (قات)

فها أنا في رقّ الغرام وكلّمـــا أصرّح في عتقى إليهـــا تلـــوّح

ثوى الحزن في قلبي لبعد أحبتي فلي مدمعٌ دام وجفـــنٌ مقـــرّح

ونبّه وجدي بعدما كان غافلاً وميضٌ بأعلى حـــاجر يتطـــوّح

أصخ أيها الـــبرق الخطـــوف كعهديَ روضٌ ناضرٌ أم مصوّح

وهل عَذَبات البان فيه يوانـــعٌ إذا انقشعت ريح الصبا تتـــرنّح

وهل للظبا ملهى به ومراتـــعٌ فعهدي بـــها في سفحه تتفسّح

وهل من نأوا عـــن نـــاظري فؤادي رووا عـــن حـــالتي أم

فلله ما هـــذا الـــصدود وذا ولله ما هذا الغرام الـــــملوّح

دوائى أنتمْ أنتمُ الـــداء أنـــتمُ حياتي مـــــماتي فامـــسكوا أو

وحاشاكمُ ترضوا هوانـــيَ في وكلِّي بكم بل كل كلِّي مـــبرّح

وقال رحمه الله تعالى :

إن أهل القريض للفضل ذاتٌ والشريف البـــيتيّ كاليـــافوخ

١٥٨/ب

جمع الله فيه شمـــل الـــــمعاني مـــن لـــدن آدم إلى التـــاريخ

وقال - رحمه الله تعالى - مكاتباً للعلامة القاضي محمد بن أحمد مشحم[(١)] والي الوقف :

عيونٌ كما تبدو الظباء من الغمْد وخدٌّ كما التفّ الشقيق على الورد[(٢)]

وثغرٌ كما يزهو الفريـــد وإنـــه لأوضح من درٍّ نظـــيم ومـــن عقـــد

وجسمٌ كما شفّ النسيم غلالةً تكوّن بـــين الـــدرّ والعنـــبر الـــورد

وقدٌّ دع الأغصان تـــهتزّ غـــيرةً لديه وخبّـــر عـــن مرنّحـــة الـــــملد

هو الحب والأســـباب تعتـــرض جليًّا وداعى الحـــب يكـــبر عـــن ردّ

---

(١) – هو محمد بن أحمد بن جار الله مشحم الصعدي ثم الصنعاني ، كان خطيبا لإمام اليمن المنصور بالله الحسين بن القاسم ، ثم ولاه القضاء ، أديب له شعر ، توفي سنة ١١٨١هـــ . البدر الطالع للشوكاني٢/١٠٢، حلية البشر للبيطار ٣/١٢٠٨، الأعلام للزركلي٦/١٤ .

(٢) – في المخطوط ، الظباء : الطباء .

وما لي عذرٌ في الغرام فإن يكن ملاماً فما لي في التصبّر من بدّ
أردت انقسام القلب حبًّا وسلوةً فبالله هل أنبئت بالجوهر الفرد
نذرت له باللؤم من حيث تجتلي وجوه المنايا الحمر في حلل ربد
كأنك ما شاهدت طرْفاً مسهّداً غدا ناظراً من جفنه ناظر السهد
ولا نظرت عيناك عضْباً على نقا بعيد مجال الشنف والشعر الجعد
يمور سحاب الحسن في روض فيعقد أنداءً على ورق الورد[1]
لآل على صحْنَيْ عقيق فإن تكن زواه فقل في زهو درٍّ على خد
فغصنٌ ولكن غير محتجب الشذا وروضٌ ولكن شفّ عن جنّة الخلد
يريك إبتسام البدر فوق جبينه وضوء ذُكا بين الترائب والعقد
به وبأمثال ابن أحمد سيّد أشق بماء الوجد أو فلك المجد
وإني متى بالوهم زرتهما معاً لأخطر بين الظبي والأسد الورد
فأنظر من هذا وهذاك منظراً تكوّن بين الشمس والقمر السعد
وأسقى بماء الورد ريحانة الوفا وأمطر أسّ الشكر غادية الحمد
ويؤنسني من غير ودّ محمد ومدحيه أني لا أروم سوى الودّ
محمدٌ المعقود فضل ردائه بكفَّيْ عفاف في البرية أو زهد
عفافٌ يريك الزهد في جنباته طرازاً كما يزهو القتير على السرد[2]
وفضلٌ كما تجلو الكواكب في وحلمٌ كما تبدو الشوامخ من نجد
على منكب المجد الرفيع وإنما تزاحم منه يذبلا هضبة المجد
إذا ما قضى أو ناب عنه يراعه فقل في مضاء العضْب أو في القنا الملد
فلو تلبس الأيام حلّة عدْله لما نشرت سربال حرٍّ ولا برد
به علقت كل العلوم وإنها لأعلق من غضّ الكمائم بالورد
وضمّت به العلياء وهو ربيبها شواردها ضمّ النيابق للبرد[1]

١٥٩/أ

(١) – في المخطوط ، يمور : تمور.
(٢) – القتير : مسامير الدرع، والسرد: الدرع. لسان العرب (قتر)،(سرد) .

وجاءت به الأيام عينا يجـــول في   محاجرها كـــالبرء في الأعـــين الرمـــد

وقد تنتج الأيـــام مثـــل محمـــد   إذا اخضر عود الـــمزح مـــن شـــرر

عليه سلامٌ يملأ الكـــون نـــشْره   وغايتـــه فـــوق الطبـــاق بـــلا حـــدّ

يليـــه ثنـــاءٌ مـــا ثنـــاءٌ نقولـــه   ثناءٌ كجمـــع النـــار والعـــود والنـــدّ

فأجابه القاضي المذكور بقوله :

أزهر الربا أهديْتَ أم لؤلؤ العقـــد   أم الزهر جاءت في بديع من الرنْد

أم الروض لا فالروض ماءٌ وتربـــةٌ   وعشبٌ وذا شيءٌ يَجلّ عن الحدّ

أم النسمات العـــاطرات تأرّجـــت   بأعبق من مسك فتيق ومـــن نـــدّ

أم الخمر في كاس الطروس أدرْتـــَها   أم الشهد أم أحلى مـــن الخمـــر

أم الريق من فتّانة الثغـــر والرنـــا   بعيدة مهوى القرط ميّاسة القـــد

أم الطرس وافى أم بدا قمر الدجى   أم الشمس قد لاحت على شرف

أم الغادة الهيفاء في الحلى أقبلـــت   تميس بأزهى من مرنّحة الـــــملد

وجـــاءت لخـــلٍّ لا يخـــلّ بـــودّه   ولا يرتضى إلا الثبوت على العهد

بثغر كما يزهـــو الأقـــاح ملاحـــة   وخدٍّ كما التفّ الـــشقيق علـــى

وجيد كما تزهو ظبا السفح لفتـــةً   وطرف كما تبدو الظباء من الغمد

أم الـــسحر لا أســـتغفر الله إنـــه   حرامٌ وذا حلٌّ فيا طيب ما أهدي

وما هي إلا بنـــت فكـــر خريـــدةٌ   تبختر في وشى البلاغـــة في بـــرد

نفائس أفكار أتـــت لم أجـــد لهـــا   جزاءً سوى الـــشكر الـــــمكلّل

ودرٌّ قريض رمـــت إدراك شـــأوه   فقصّر عنه في طلابتـــه كـــدّي(٤)

حُلاً صاغها من حاز كلّ فـــضيلة   بـــها قد حلا جيد المكارم والمجد

١٥٩/ب

---

(١) – نبيق القميص : نيفقه ، وهو ما اتسع منه. تاج العروس (نيفق)

(٢) – المزح: السنبل. تاج العروس (مزح)

(٣) – في المخطوط ، تنتج : نتج .

(٤) – في المخطوط ، طلابته: طلبه ، إذ لا يستقيم الوزن إلا بما أثبته .

أخوالأدب الغض الذي جمعت بــه ... ــمحاسن حتى صار يعرف بالفرد

أديبٌ أريــبٌ ألــــمعيٌّ مهــذّبٌ ... ذكيٌّ سجاياه تجــلّ عــن الحــد

له خلقٌ أزهى من الروض باسمــاً ... وذهنٌ دقيق الفكر أمضى من الحد

أعيذ سجاياه التي طاب ذكرهــا ... بآي المثاني السبع في سورة الحمد

لأنفاسه في الطــرس أيّ تــضوّع ... تصعّد منه دائمــاً عبــق النــدّ

فلله ما أهديت يا بــدْر مــن يــد ... وكم لك أيضاً قبلها من يد عندي

أياد توالت منك عجلا كأنــــها ... شرارٌ أطارته الأكفّ على الزنــد

وإنّيَ في عجزي عن الشكر ســائلٌ ... مسامحتي فيما أعيد ومــا أبــدي

بما لك في سمعي وطرفي وخــاطري ... من الصيت والــمرأى الــمعظّم

فودّك في قلبي ألذّ مــن الــــمنى ... وذكرك أحلى في لساني من الشهد

فدم زينــة الآداب بــدر كماهــا ... ودرّة تاج العصر واسطة العقــد

وله جواب عن قصيدة :

أقطر الندى أم هذه نفحة الورد ... أم الروضة الغنّا سقاها حيا العهد

وباكرها الوســمى بــــهتّان ... صباحاً فروّى كل ظام من الوهد

وفتّح من أزهارها كــلّ يــانع ... من الآس والنوّار والشيح والرند

رياضٌ بــها غنّى الهزار مردّدًا ... فذكّر بالترديد ما جال في قصدي

وغنّت بمغناه القماري فحرّكت ... معاطف أغصان القلوب إلى الوجد

فهام فــؤادي للغــرام فتــارةً ... يميل إلى سعدى وطورًا إلى ســعد

وحيناً إلى شمسيّة الحسن والبها ... نباتيــة الأريــاق ورديّــة الخــد

إلى حسنها أشكو قبيح عواذلي ... لقد سلقوا قلــبي بألــسنة لــدّ

تريك إذا افترّت عقوداً تفردّت ... جواهر معناها عن الجوهر الفــرد

أخا الفضل والمجد الأثيل ومن له ... فصاحة نطق عند هزل وفي جــدّ

هو الواعظ الــمُبري بترـيــاق ... قلوب أولي الأغــراض والزيــغ

يذكّر من يعشو بتفصيل وعظه ... وإن قال أما بعد يا أزْمة اشــتدّي

١٦٠/أ

هو العالم العلاّمة اللوذعى الذي | يحضّ على التقوى ويأمر بالزهد
ومن قد حوى إرث الكمالات | وأحرزها بالفرْض جمعاً وبالردّ
أيا جامعًا أشتات كلّ فضيلة | من الحَسَب الوضّاح والعلْم والمجد
بعثتَ إلى نحوي بدرٍّ منضّد | من الجوهر الشفّاف بُورك من
وروضاً بديعاً بالبيان مدبّجٌ | شميم الذّكا من نشره أبدًا يبدي
ففي كلّ بيْت روضةٌ طاب | فأطيب روض البان والشعب
وأرسلت من صافي القريحة | تتيه كمالاً باللطافة والودّ
عكاظيّة الإفصاح عطريّة الشذا | حساميّة الأجفان فاحمة الجعْد
فحقّ لفكري أن يجلّ صداقها | ويمهرها مهراً بريئاً عن النقد
ولكنّ أنّى لي بذاك وأين لي | فلا البطّ كالبازي ولا الشهب
فهاك اعتذاراً عن مكافاة مثلها | بما لا يفي بالقصد يا منتهى القصد
وخذها على قدر المحبة والوفا | مقصّرةً حال الذميل وفي الوخد
تنوّه بالود الأكيد ثبوته | وتخبر أرباب الصدور بما عندي
فلا زلت يا بدر الكمالات | إلى الأوج والشأن المبعّد في الوفد
بحرمة طه الطهر والآل كلهم | وأصحابه والتابعين إلى الرشد
عليهم صلاة الله ثم سلامه | صلاةً وتسليماً من الصمد الفرد

وقال- رحمه البر الوال - جواباً على لسان الأستاذ الكامل والقطب العارف الواصل مولانا السيد علي القناوي[١] على الفاضل عبدالله خليل الزبيدي[٢] في قصيدة بعثها إليه تهنئة في زواج:

١٦٠/ب

هبّت نسائم لطْف تُرْشدُ | فاصبح الكون طرًّا بالثنا غردا

---

(١) – هو الشيخ علي بن محمد القناوي المصري الشافعي الخلوتي، كان يتردد على زبيد وصنعاء اليمن، توفي سنة ألف ومائتين وزيادة، ذكر البيطار أنه لم يقف على تعيينها. حلية البشر ٢/١٠٦٨

(٢) – لم أقف له على ترجمة.

وصرّحت بيد الأفكـــار عـــن   يترجم الدهر معنى حسنها أبدا

بدائعٌ في طـــراز الله تبرزهـــا   يد المشيئة من غيب النهى قُصُدا

مطبوعـــةٌ أفـــرغ الإحـــسان   في قالب السحر لم ينفـــث لهـــا

أبرادها يتمنى الأفق مذهبـــها   للشمس بردا وللبدر الـــــمنير

أهدت من الـــشيم اللائـــى   تفاوحت نور روحانية الـــسعدا

وسلسلت من صحيح الـــودّ   وجهاً وأعلاه في ترتيبه ســـندا

تحكى وجوه معانيهـــا وقـــد   بيضا أياديك تسديها يداً فيـــدا

لله علياك ما أسرى كواكبـــها   فكلما غاب نجمٌ لاح بدر هدى

وهاهنا نكتةٌ جوّزت منك على   بحثى عليها الرضا ظنًّا ومعتقـــدا

أَنُزِّل الفلك الأعلى إليك لأن   نظمت ما لاح في حافاته بـــددا

أم حطّ رجلك فوق الـــنجم   فصغت عقـــداً مـــن الجـــوزاء

أم طرسك الروضـــة الغنـــاء   سحاب فكرك درًّا أم همى بردا

نعم هى الغوطة اللاتي حدائقها   جاءت تزفّ إلى الأحداق زهْر

فاهتْ قماري معانيها مصرّحةً   بصدْق توحيد من لم يتّخذ ولدا

وهينمت بأناشيد الوفا فَجَـــلا   إيقاعها نَغَمَ الإخلاص منفـــردا

وهلـــهلت بأغـــاني الحـــب   معاطف القلب من ترحيبها ميدا

هـــذي رقـــائق طبـــع رقّ   به رقائق ماء اللطـــف فاتّحـــدا

لله أبياتك اللاتي رأيت بـــــها   تاج الوفا في عبير العطر منعقدا

زفّت حسان التهاني في أرائكها   عرائساً في منصّات الهنا نُـــدَدا

فدم مدى العصر في أوج العلا   وعش كما شئت ياشمس الهـــدى

أزكى الصلاة على أزكى الورى   طه وعترته والصحب والـــشهدا

وله أيضاً :

---

(١) – في المخطوط ، مدى : هدى .

١٦١/أ

ولقد دعوْتك ناحلاً وعذرْتُ
عدم الجواب ومن يـصيخ إلى

خفّض عليك فأنت منّي يا فتى
بمكانة تجلو عن القلب الـصدا

وله أيضاً :

لاتحسبوا أنّ ودّي يـستحيل
ثَنَتْ عنانيَ عنكم للخطوب يد

فالنهر إن قابلته الريح منحدرا
تخاله في انعكاس وهـو مطّـرد

وله أيضاً :

يا غائبـاً وسـويدا القلـب
لولاك ما بات طـرفي يـشتكى

إني أحبك حباً لـو أقـسّمه
على الخلائق نالوا رتبة الشهدا

وله أيضاً :

يا راحـلاً وشخـصه
في الـروح وفي الفـؤاد

شوقى إليـك سـيّدي
يَـمْلأ ألـف واد

وله أيضاً :

يا غريمى وأنـت عـين
ومرادي وأين منّى الإرداه

لاتسلْنى وسَلْ فـؤادك
فهو فيما يقـول عَـدْل

وله أيضاً :

شرّفتْ مـنكم عقـودٌ
أكّدت حبْل الـمودّه

معـى آيـاتٌ ولكـن
كلّها موضـع سـجْده

وقال أيضاً :

فخارك بيـتٌ سـقتْه
حباك به الله ربّ العبـاد

وحُسْن البلاغـة مـا
لـمثْلك عن غرَّة الانقياد

وقال أيضاً :

نعم لو أظلّته الظبـا لرأيتـه
إلى الأفق يعلو فوق صرْح

ولو ناوشته السُّمْر في معْـرك
لطار شعاعاً بـين نـسْر

١٦١/ب

وقلت مجيباً عن كتاب وهدية وقصيدة بالتماس بعضهم :

لعمْرك سحْب العهْـد مُمْطـرة بروْضة صدْقي وهـي مثْمـرة

وسرّ ودادي مذ نَمَا الذِّكْر فيكمُ ففجَّر ينْبوعاً يُرى صافي الـودّ

وبارق شوقي مذ تألّق لَـمْعُه أجاد بوسْميِّ التعاهد والعهـد

ونـهْر الرضا لـمّا تسلسل فغادر غُدْران الوفا زائد المـدّ[1]

لذَكْركُمُ وَافَى بريـداً مبـشِّراً يشقّ عصا التـسيار في غـارب

وأسبغ نيل الفـضل مـستعْذب مصادره فانـهلّ بالورْد والرِّفْد

بطرْس به استأثرت مـدْح ذوي تضمّن نشْر الفضل في طيِّه الفرد

يروق ولا تُرقى أرائـك بَدْعـه لقصوى معانيه السليمة عن نـدٍّ

فلا زلت أهل الفضل والفـضل بعليا مساعيك المقارنة السعد[3]

عليك مدى الأيام أنمـى تحيَّـة وأزكى سلام ليس يحصر بالعـدّ

ودمت لهذا الدهر إنسان نـاظر وجوباً كما أضـحيت واسـطة

وله أيضاً :

نَصَبْتُ شبَاك الحلْم أقْتـنص فما مفْخرٌ إلا وحلْميَ صـائده

ومـا روْض حلـمْ يزدهـي وأمّيتُـه إلا وفهْمـيَ رائـده

شعار الفتى بالفضل أوْضـح وإن جُهلت في النـاس يومـاً

ألا إنما سعيي إلى كلّ سـؤدد وصدق مقـالي قـام بالفـضل

وله أيضاًمؤرخاً مقامات السيدأبي بكربن السيدمحسن باعبود[5]سنة١١٦١هـ نفع الله به:

بحقّك قف تَلْقَ الفصاحة هـا أتت بمقامات الهدى ذات إرشاد

مؤلّف من حَلْى البراعة لفظه وأحلى ينابيع اليراعة للـصادي

إذا طار تاريخ المحرر لم يـزل يقول له حطِّي برقم أبي جـاد

---

(١) – ما بين المعقوفين بياض في المخطوط.

(٢) – في المخطوط ، مبشرا : بسرا .

(٣) – في المخطوط ، زلت : رلت.

(٤) – في المخطوط ، سعيي : سعي.

(٥) – لم أجد له ترجمة .

١٦٢/أ

وله - رحمه الله - مضمناً :

يا سالب النوم مـــن جفـــوني ... اجعل لهــذا الــصدود حــدّا
واشـــرح بطيـــب الوصـــال ... نقداً وإن شـــئت كـــان عــدّا
لا بدّ لي منـــك يـــا مفـــدّى ... فاعقد [لي] الوصل أو تصدّى[١]
أنت لـــروح المحـــبّ قـــوتٌ ... وطالب القـــوت مـــا تعـــدّى

وله أيضاً :

إن كان يرضيك موْتي في الهوى ... يا حبّذا لرضاك الموت بالكمـــد
وكيف تقْتلني ظلْماً بلا سبب ... وأنت أنت أمير الحسن في البلد
تركتني ويدي ممَّا أَحَسَّ بـــه ... صدري كأنِّـــيَ مخلوقٌ بغير يد

وله أيضاً رحمه الله تعالى :

إذا ما اختطفت البرق وهـــو ... وسلسلت من عذب البيان نميرا
فتقْتَ لنا الجوَّ الرقيق بعنْـــبر ... وحـــمَّلْتَ أعطاف الرياح عبيرا
فلو كنْت مذ شاد السما رافع ... وأجرى شموسا للهدى وبـــدورا
لكنتَ- تعالى الله عمَّا أقوله- ... وزيرا لو استصفى الإله وزيرا[٢]
ولم تـــرض بـــالأفلاك إذ ذاك ... ولو صيغ منها منـــبرا وســـريرا
ولا البدر مرآةً ولا الـــشمس ... ولا الأفق روْضًا والصباح غديرا
ولا البدر أقلامًـــا ولا البـــدر ... ولا أنجم الشعرى العبور سطورا

وقال أيضاً رحمه الله :

أ أطيق صبراً بعد ما جُرّعـــت ... وشربت كأس هـــواكمُ حلـــوًا
لا والذي جعل الصبابة قبْلـــةً ... لرضيع حبّكمُ ومُسْتلمًا وحجْرا
ولئن دهاني بالـــسلوّ لعـــزَّة ... بغْض الوشاة أقول اللهمّ غفـــرا
أحبابنا ما للتجنِّـــي مـــدّ مـــا ... بيني وبينكمُ من الأيّـــام ســـتْرا

(١) – عجز البيت في المخطوط (فاعقد للوصل أو تصدى) وهو مختل ، ولعل الصواب ما أثبته.

(٢) – في البيت مبالغة قبيحة لا تنبغي ، بالرغم من الجملة الاعتراضية التي استعان بـــها الشاعر.

١٦٢/ب

أعددتمُ ساعات وصْلكمُ وها — أنا ذا أعدّ مــن الجفــا شـــهرا

أو ما علمتم ما أقاســـى مـــن — لن يستطيع معى عليه الـــصبر

وكشفتمُ عن حـــالتي أعلـــى — والبعد يا أهل الحمـــى خَبَـــراً

لا خير في الدنيا إذا كان اللقا — يوما يطيل فراق من أهواه شهرا

وقال أيضاً :

بحسنك تاه الحسن وافتـــضح — فأنت سليمان الزمان ولا فخْـــر

فإن تـــهْتَ فينا بالجمال تعزّزاً — فحسبك أنّا لا يعزّزنـــا الكـــبر

لأنّا خُلقنـــا للوفـــاء وميْلنـــا — لأهل الوفا والحمد لله والشكر

فمن جاءنا يبغى الوداد فعندنا — له الودّ والإكـــرام والرحـــب

ومن رام منّا ما ينافي طباعنـــا — فمن دونه الـــصدّ الـــــمبرّح

ودونك فاختر ما تشا يا أخـــا — ويكفيك منّـــى في جوابـــك ذا

وله أيضاً :

إلى كم أنت تحرقنـــى — وترضى هتْك أســـتاري

إذا ما رحت تظلمنى — فربِّـــى آخـــذٌ ثـــاري

وله أيضاً :

يا ناقضاً عهد الـــــمودّة بيننـــا — ومهاجري عمْداً بطول نفـــار

ما هكذا صنْع الصديق إذا جفا — وتبـــدّلت أخلاقـــه بطـــوار

والدهر أقصر أن تُمـــزّق بيننـــا — أيامه بالعتب وهـــى عـــواري

لكنْ لـــمصدور النكاية نفثـــةٌ — مأثورةٌ ولها ســـمومٌ ساري(١)

ومصاحب الدنيا علـــى طـــول — سيرى تقلّبها بما هو جـــاري

لا كانت الدنيا إذا هى لم تفـــد — إسداء معروف إلى الأحـــرار

وله أيضاً :

أمّا نظرت إلى الزمان وأهلـــه — لم تلـــق إلا راحـــلاً مـــن داره

---

(١) – في المخطوط ، لمصدور : لمصدر.

فاركب من التقـوى مطيّـة حتى تنال الصفو من أكـداره

وقال أيضاً :

حـمّلتموني منّةً قد أوسـعت ذات يدي في سـاعة العـسره

فالشكر أضحى في لساني لكم أغْلق من عـشْق بـني عـذره

ومن ثبات الجاش يوم الـوغى والحـزم في آل أبي صـفره

وقال أيضاً :

هذا اللِّوا فاعقد لواك لنـصره وانْقذه من أمْر الغرام وأمْره

أو لا فقد أولاه كـامنَ وَجْـده نشْر الهوى فَصَبَا لطيّب نشره

حيَّى جفونَ البيض أفتكُ بيـضه وحِمى قدود الـسمر أثقـفُ

أسرت به الغـزلان أسـرته ولم تق بيضةً من فتـك بيـضة

عينٌ سلبن الروض حلّة زهـره ودُمىً غصبْن الأفـق حلْيـة

رَوْحٌ حياة الروح في خطراتـه بل نشْر طيّ صبابتي في نشْره

ما للأسى وَشَج أضرَّ به الأسـى فانقاد في أَسْر الغرام بأسـره

طَرَقَ الحمى فهوى ولم يك قـد غرٌّ بما فعلت لواحظ غُـرّه

ودنا ودون مناه كـلّ مُنـازل غُمْر دعاه الـموت خائض

لاق بعارضه الـمنايا عارضـاً ومقبّلاً ثغر الـمنون بثغـره

وخطيب خطب أرخصت فتكاته مهر الـمعالي فوق صـهْوة

يفتـى، وعـيد الدارعـين نـحرُ العـدوّ إذا رعـاه

حيّ القباب وحيّ رامة والتـثم عن سالف الأيـام سـالف

وأعيد لحظك من غرار غريـره مهما رنا وسما سماوة فخـره

فلبدره وقعات بـدر في الهـوى وبه الشهيد شهيد مـصرع

وقال أيضاً :

يا صاحب القدر العليّ الذي أعلاه فينـا صـاحب القـدره

---

(١) – (يفتي) موهمة في المخطوط.

لا تـــذهب الـــسوداء إلا إذا بيّــــضتها بـــابن أبي صـــــفره

وله أيضاً من قصيدة :

١٦٣/ب

أسكرتني بنظام جـــلّ ناظمــه كأنّ في كلّ بيت حان خـــمّار

وله أيضاً :

يا مالكاً رقّـــى ورقّ ـــقلب منّى والسرائر

ما شأن حسنك لم يَزُرْ طرْفي وبدْرك لم يبادر[١]

علّمْتنى سحْر الكلا م بأحور للسحر ساحر

وتركْتنـــى والقلـــب ـــير من دمـــوعى في

مُتلفّـــت القلـــب ـــــن إلى جمالـــك

أتروم منِّـــى ســـلوةً غيري على الـــسلوان

وله مخلّص من قصيدة :

فيك التهتّك للمحب وحلى الـــمديح لـــمعتلى

وله أيضاً :

إن كنت أنساك لا بلّغت منـــك قلبي وليس منى قلبي سوى النظر

لأنت منّى ومن روحى بمنـــــزلة ـــحياة منيتها والسمع والبـــصر

وله أيضاً :

يتمنى أن لايراني ولو في الــــ ـــفكر من لايزال شغلة فكري

إن تلاقت روحى وروح الذي ـــواه وفّيت للطّيـــف نـــذري

وله أيضاً :

جعلت له محلاًّ وســـط لأنّى لم أجد لي عنه صبرا

وصيّرت السواد لـــه لأجل جلوسه والهـــدب

وله مفرد :

موجب البعد ما علمت وودّي لك باق كما عهـــدت وأكثـــر

---

(١) – في المخطوط ، لم يزر : لم يزل.

وله أيضاً :

أصدّ إذا أمْلوا عليّ حديثـــه بوجهي كأني لا أحبّ له ذكـــرا

وأصغي إذا أملوا حديثاً لغيره بأذني ولكنّي أذوب بـــه فكـــرا

١٦٤/أ

وله أيضاً :

سؤالٌ لأهل الفضل من أهـــل سؤال محبٍّ زال عنـــه التـــصبّر

ملخّصه ما قـــولكم في متـــيّم له سائل من دمعه ظـــلّ يُنـــهر

ترامى به العشق المجازيّ للذي له في حمى الحسن الحقيقى مـــأثر

يموت به في كل حين وســـاعة مراراً ويحييـــه الغـــرام فينـــشر

لقد أعجز الآسى معاناة طبّـــه وأنكره الداء الذي ليس ينكـــر

وله أيضاً :

لقد جاءني العذر الـــذي قـــد فعذرك مقبولٌ وذنبـــك مغفـــور

وما لك ذنبٌ غير أنك قاتلى وأنك في قتـــل المحـــبّين مـــأجور

وله أيضاً هذا المثل:

رب حبيب مهجـــور ومخطـــــئ مــــــأجور

وله أيضاً :

تنقّل يا حبـــيبي مـــن إلى قلبي فما لـــك مـــن

فإن تفعل فما نقلـــت بك الأقدام إلا في ديارك

وقال - رحمه الله تعالى - مجيباً للجمال الوزير محمد سعيد بن سليم[1] عن أبيات :

كلامك عنـــدنا أعلـــى ونظمك عنـــدنا أحلـــى

شممت به شذا عـــرف فما أدري عبير أم عبـــاره

قرأت به الهـــوى جـــلّ وكلفني فلا زال المكلف

---

(١) – ذكر الجداوي في ص ٤٣٠ اسم الوزير الشاعر كاملا وهو: محمد سعيد بن سليم الكناني المكي، ويؤكد الأنصاري أنه من سكان جدة لا محالة، وأنه أحد وزراء أمراء مكة على جدة. انظر تاريخ مدينة جدة للأنصاري ص ٦٠٦

وإن كان الهوى يـــضني فإني قد نصبت القلـــب

فيا بدر الزمان ولا أبالي بأهل الـــمشرقين إذا صفا

أتاني منك نظمٌ كاللآلي ولكن فيه يا خلّي حجاره

فما أدري وخلاق العباد أعن قصد قصدت بـــها

وهبه كـــان يـــا جـــمّ فـــإني قـــد دخلـــت ورا

١٦٤/ب

وله أيضاً مؤرخاً مقامات السيد أبي بكر بن محسن باعبود[1] سنة ١١٦١هـــ :

انظر إلى الكتب وما قد حوتـــ ـــه من تآليف بني الـــدهر(٢)

فهل ترى ضـــمن تواريخهـــا شـــكل مقامـــات أبي بكـــر

وقال - غفر الله له - مكاتباً للسيد زين العابدين الحطاب[3] ومداعباً :

لولا النسيم الذي من نحـــوكم لم يسْر مركب شوقي في الهوى

يا سادةً أسَرُوا قلـــبي بـــــهم يحيون بالأنس آناء الدجى سَمَرا

هل عنـــدكم أنّ قلـــبي حيـــث داعي السماع ينـــاغي العـــود

أم هل دريتم بأنّ النأي أطربـــه حتى أحالتْه أحكام الورى سفرا

وكنت من قبل أن تغلى مراجله بجـــذوة الـــشوق لا مـــاءً ولا

واليوم من شرفات العـــشق في صبابةٌ لو رآها يَـــذْبُلٌ فطـــرا[5]

أفرغتموا ملء ثوبي رقّةً وهـــوى فصرت لا ملكًا أدعى ولا بشرا

لو شئت زرتكمُ في وسْط لؤلؤة من الندى لم يحط به علمها خبرا

لا شكّ هذا قصارى من يضاجعه هوى الأحبة طـــال الـــدهر أو

---

(١) – سبق أن ذكر تأريخ الشاعر لمقامات با عبود هذا في ص٣٤٧ بنفس التاريخ، لكن مع اختلاف الأبيات.

(٢) – البيت في المخطوط: انظر إلى الكتب وما قد حوت من تاليف بنـــي الدهر

وبذلك ينكسر الوزن في عجز البيت، ولعل الصواب ماأثبته.

(٣) – سبقت ترجمته، الديوان ص ٤٧

(٤) – (قبل)، موهمة في المخطوط.

(٥) – يَذْبُل بالفتح ثم السكون والباء موحدة مضمومة هو جبل مشهور الذكر بنجد في طريقها ،وله ذكر في شعر امرئ القيس : وأيسره على الستار فيذبل.معجم البلدان ٤٣٣/٥

فمن لصبٍّ مشوق يرتمى شـــررا شوقاً إليكم وحيناً يغدق الدررا

لو أنه سالم الأشواق ما شـــعرت به ولو رزق التأديب ما شـــعرا

فهل مواس بحفظ العهد منه أخا يحنّ للعهد مـــشتاقاً ومـــدّكرا

يذيبه الشوق لـــولا أن تجـــسّمه ريح الصبا لم يلح عيناً ولا أثـــرا

يبكى عهـــود ليـــال أشـــرقت بكم عقود لآل أشرقت زهـــرا

مولاي مولاي زين العابدين ومن أمسى حديثى بعليا مجده سمـــرا

أبلغ سلام أخي شـــوق يؤرّقـــه برقٌ بساحتكم بـــاع الكـــرى

عليك ثم على الـــمولى الشريف حوى المقام من الأمثال والنُّظَرا

وقل لهمُ إن سألتم عن صديقكمُ فما طرى ذكـــركم إلا قـــضى

١٦٥/أ

لولا تشاهدكم عيني بكل نـــوى عيناً لآثرت أن لا تطلق النظـــرا

فلا برحتم وعـــين الله نـــاظرةٌ لكم بعين الهنا والأنس يا فقـــرا

وله أيضاً :

يا موقد النار في قلبي بلا سبب خفّفْ عذابيَ لا عذّبت بالنـــار

وبارك الجسم منِّى جـــلّ مـــا عيناك فينا وجلّ الصانع الباري

جـــاورت قلـــبي وأجريـــت الله في حفظ ذاك الجار والجاري

وله - رحمه الله تعالى - ناظماً فرائض الصلاة وواجباتـــها وواجبات الوتر والعيدين:

فرائضك اللاتي تؤدي وينتهى بـــها للمـــصلى في الكمـــال

فتكـــبيرةٌ ثم القيـــام قـــراءةٌ ركوعٌ سجودٌ قعْدةٌ وخروجـــه

وفاتحةٌ معْ سورة واجباتـــــها رعاية تكريـــر المكـــرّر فعلـــه

وعدٌّ وتعديلٌ قعـــود تـــشهّد ولفظ سلام هكذا شئت نقلـــه

وفي الـــوتر والعيـــدين عـــن أجب سائلاً عن ما هنالك قرّروا

قنوتٌ وتكبيرٌ وجهـــر إمامـــه وإسراره فيما يُـــسر ويُجهـــر

وله أيضاً :

يقولون لي في صبر مثلك راحةٌ وفي الصبر أجرٌ ليس يعقبه خسْر

إذا ساءنا من نبتغيــه يــسرّنا فسيّان محمودٌ من الخير والــشرّ

صبرنا على حلم وما العجــز ولكنّ دون العــرض لا يحمــد

وله على لسان بعض العرب:

إلامَ أُلامُ الدهر في حبّ أحمد وحتّامَ حتّــامٌ يقــرّعني زَجْــرَا

و[قد]كنت أحجو أنّ ودي يكون لنا أزْرًا فكان لنا وزْرا(١)

وله أيضاً :

يا أيها الرشأ الذي ألحاظــه تنهى القلوب بما تشاء وتــأمر

نظر العيون إلى محيّاك الــذي سَلَبَ البرية نعْمــة لا تكفــر

وله أيضاً :

١٦٥/ب

من مبلغٌ عنّي الأمين نصيحةً أعْنِى أمين الشرع بين النــاس

أنت الأمين وللخلافة أعــينٌ فحذار من مأمونــها العباســي

وله أيضاً :

نجوت من الهوى رأساً بــرأس وكان عليّ أمثــال الرواســي

فلا أصــبو لغانيــة وغــان ولا أكسو يدي بشعاع كــاس

ولا آسو بأسّ الصدغ جرحى ولا تحسو الهوى كاسا حواسى

ومن يك في بحار العشق أجرى سفاينه وخانتــه الـــمراسى

فإني قد طويت بــه شــراعى فما وأبيك تخفق فــوق راســي

وله أيضاً :

يا سالكاً في مجــاري الــروح منّي ومبْدل نطْقى فيه بــالخرس

ما كان حسْنك إلا فوق مــا نفــسى إليــه وقــدري دون

درستُ فيك مثــاني الوصــل حلا بآيات صدٍّ غير منــدرس

ما زلت توسعني مطلاً علــى بالوعد منك إلى أن قيل عنــك

لست المسيء وحاشــا حــسن شين ولكنّ حظّى لا يزال مسى

---

(١) – ما بين المعقوفين ساقط في الأصل.

وأرسل إليه المرحوم أبو بكر الزفتاوي[١] :

أبدرٌ على غصن وغصنٌ علـــى ... أم الشمس حلّــت في الغلائـــل

أم الليل يغشاني إذا ما تبرّجت ... سُليمى وأرْخَت للظفائر والعقْص

فللّه خدٌّ أحرق القلـــب نـــاره ... وثغرٌ يدير الشهد من لؤلؤ رخْص

وفي ضمْنه ترياق لَسْع مُجَرَّبٌ ... لـــــمثلى فمـــن لي أن أعلّـــل

أَلفْتُ هواها قبل قَطْع تَمـــائمى ... ومن قبل ما يبدو لهـــذا الـــورى

فألفيتُ منها الغدر والهجر شيمةً ... فإن يَنْأَ بى زهدي يقرّبني حرصى

ولم ترني في هجرها قطّ عاتبـــاً ... لأني ألفتُ الهجر مـــن دهـــري

يباعد أمثالي ويـــدني زعانفـــاً ... ويتركني في القطر أحير من دلص

ويوقع بي من خطْبه كلّ فـــادح ... وينظرني شزْراً بأعينه الـــرمْص[٣]

ويقرب آمالي ويبعـــد مطلـــبي ... ويعكس أحوالي ويجهد في نقصى

وما ليَ ذنبٌ غير فضل عدمته ... فمن لي بإرث الحمق عـــن حمقـــا

غفرت له ما قد جناه تكرّمـــا ... بلقيا كريم [قد أنخت له] قلصى[٤]

حمدت السرى لـــما شـــهدت ... وشاهدت معنى البـــيض والـــسمر

بلاغة قسٍّ في فـــصاحة خالـــد ... وحلم ابن هارون وعدل أبي حفص

أقول وقد أهـــدى إليّ فرائـــداً ... من النظم لا يحصى مناقبها محـــصى

أمـــولاي يـــارب الـــــمعالي ... ومن لا يفـــى في بعـــض فـــضلك

١٦٦/أ

---

(١) – لم أقف له على ترجمة، وقد نعت في موضع آخر بأنه صاحبه. انظر ص ٣٧٧

(٢) – الدعص:قِطْعَةٌ من الرَّمْلِ مُسْتَديرةٌ أو الكَثِيبُ منه. القاموس المحيط (دعص)

(٣) – الرّمص والغمص: وسخ يتجمع في العين فيلصقها. لسان العرب ، تاج العروس(رمص)

(٤) – ما بين المعقوفين ترك مكانه بياضا في الأصل ، وكُتب في هامش المخطوط (لعله: قدأنخت له قلصي)، فأثبته.

(٥) – يقال أقلص البعير إذا ظهر سنامه شيئا وارتفع، والقَلْص والقُلُوص: أول سمنها، والقلوص الفتية من الإبل. لسان العرب (قلص)

(٦) – الدِّلاصُ من الدُّروع اللّيّنة ودِرعٌ دِلاصٌ برّاقة ملساء ليّنة بَيِّنةُ الدَّلَصِ والجمع دُلُصٌ. لسان العرب (دلص)

قنصت من الأعجاز كل شريدة | وتلـــك وأيم الله لم تعـــن للقـــنص
وعمّرت ربع الفكر بعد خموله | كما عمروا شمّ الــمساكن بالجصّ
فعش سالماً ما أنشدت لقبولهــا | أبدرٌ على غصن وغصنٌ على دعص

فأجابه رحمه الله تعالى :

يمثّل مرآة العتاب له شخـــصي | فيقتصّ منّي بالحجاب ويستقـــصي
إذا الحب لم يدن المحب ويُقْصه | دلالاً فمن يدني المحب ومن يقـــصي
وإني علـــى إخلالـــه بمـــودّتي | لأطوع من جيد الــمليحه للـــنصّ
أأبرز في خلق العميد وخلقـــه | وأبدي له طوع الــمبرّ واستعصي
لقد كذّبتني في المحبـــة صـــبوتي | إذن وعداني في حفاظ الوفا حرصي
على أنني لولا معادلـــة الهـــوى | لأعجز فضلي أن يلمّ بـــه محـــصي
وما كلّ ذي لبٍّ يحصّنه الهنـــا | عن الجهل أيّ الناس عار من النقص
دعوا مغرماً ذابت حشاه صبابةً | فمدمعه يرفضّ بـــاللؤلؤ الـــرخْص
يهيم بربّات القلائـــد والحلـــي | ويصبو إلى ربّ القراطق والخرص[1]
ويستعذب التعذيب عشقاً فإن | إلى راحة السلوان لم يعصَ إن يعصى
ومن يرد العذب النمير زلالـــه | على ظمأ لايكتفى منه بالــــمصّ
أعاذل هذا الحب يدرك بالصفا | وبـــالطبع لا بالبحـــث عنـــه ولا
لكلّ امرئ منه نصيبٌ بقدر ما | له في اقتنا الآداب واللطـــف مـــن
ألا فـــردي مـــاء الــــملامة | وعمّي الورى إن شـــئت بـــاللوم أو
إذا الــمرء لم يغنم من العمـــر | ألـــمّت فلا يجزع إذا ريع بـــالغصّ
وهل ينعم الإنسان من صـــرف | سوى أنه يـــدني وآونـــةً يقـــصي
فوا الله لا أهجو الزمان وقد سما | به العارف العـــاري عـــن العـــار
أخو الأدب الغضّ النضير الـــذي | معارف لم يبلغ مدى حصرها محصي
تخللت منه دون صحبي ماجداً | به انتظمت شمل المكارم في شخص

١٦٦/ب

(١) – القرطق: القباء، (ضرب من اللباس). لسان العرب (قرطق)

وأنموذج الفضل الذي عـنعن حديث عـلاه بالرواية والـنصّ
وصفوة عزٍّ قد علوا أشـرف وجاءوا ببنيان العلا مُحْكم الـرصّ
فلو وفت الأيام أبدت بفضله على الناس زهو الغُر فخـرا علـى
ومن نكد الدنيا كريمٌ جناحـه تراش به العليا ويـوهن بـالقصّ
فصبراً لها فالحرّ في الناس لم يزل له صبر جـان في جنايـة مقـتصّ
فقد تستوي الأحـوال عنـد كما يستوي الـمقلوب نقشاً من
وفي الناس من يوفي الـصداقة وآخر أزهى في الصداقة من لـصّ
إذا لم يكن أس الثنا محكم البنا تداعى فلا يغررك شعشعة الجـصّ
أمولاي بل ربّ المعالي وربّـها ومن هو بالعليـاء أكـرم مختـصّ
سبقت إليّ الـمالكيّ أخا العلا بودٍّ طليق لم تغلْـه يـد الـنكص
فلا غرو فالصدّيق نحو محمـد حوى قصبات السبق قبل أبي حفص
ودبّجت في تنويه فضلى قوافيا حساناً علـى الإطـراب تنـشد
حكت حسن صادات العيـون وأوجان غيد لا تخمّـش بـالقرص
فلو أن ما نَظَّمْت يتلى لرُتّلـت معانيه تجويـداً لنـافع أو حفـص
فدم في سرور ليس يبلى جديده وسابغ نعمـى لا تكـدّر بـالغصّ

١٦٧/أ

وله - سامحه الله تعالى - مجيباً لصفي الدين بن الحسين اليمني سنة ١١٥٩هـ :

أما الصفيّ بن الحسين علـى مـرّ الزمـان فحبّـه فـرْض
تُبدي بـه الأيّـام رونقهـا وعلى السما تزهو بـه الأرض
خلقٌ له مثل النـسيم شـذا عـرضٌ لـه كـالنور مبـيضّ
أتـراه إن أُهـدي لـسدّته بكـرٌ لعليـا مجـده بـضّ
عذراء تزْري بالبدور بَـهَا فيكاد يعشق بعـضَها الـبعض
لا تأتلي بالرشـج وَجْنَتُهـا بلآلـئ الأنـداء يـرفضّ
يفترّ عنها البرق إن بـسمت وعن الحلـيّ يغـامز الـومض
ما الشهب في وجه الـصباح إلا العقـود ونَحْرهـا الغـضّ

يتطلّع الحسن البديع بـــــها	نــهضاً له بقوامهــا نـــــهض
ويكاد بدر الأفق من كلــف	لو نَحْوها يَـــــهْوي ويـــنقضّ
أيجـــار مهـــديها لــه كرمًـــا	ودٌّ صفا لا العـــسجد الغـــضّ
وبــــدائعٌ يلتـــذّ منــــشدها	كـــالجفن إذ يعتـــاده الغمـــض
يا من به الآداب قد بـــسطت	كفًّا غدا مبـــسوطها القـــبض
مشحوذ ذهني كَلَّ منذ غـــدا	ثلم الضّراب ومـــا بـــه فـــضّ

وقال - رحمه الله - يمدح الإمام محمد بن الحسين[1] صاحب (كوكبان على)[2] :

دع اللوم من صبٍّ يرى الحبّ مـــا	كئيب على وخز الشفا في الهـــوى
به من هوى لـــمياء ثغـــرٌ مفلَّـــجٌ	من الوجد للضعف المضاعف مـــا
تداعت به الأيام حـــتى تناهبـــت	سبيبته نـــهْب الصوافن للرّكض
كأنّ هواها فـــرْض عَـــيْن لذاتـــه	فليس يقوم البعض فيـــه عـــن
كـــأنّ بـــروداً جـــرّرت وحليّهـــا	يغامزها في بيّ معصمها الغـــضّ
رقيـــق ســـحاب يرتديـــه تـــألّق	خفيّ بروق لا تكفّ عن الومض
كأن بـــها في وجنتيها وما بـــــها	وقد خجلت خَمْش اللـــواحظ
تقوّم قـــدًّا خـــفَّ فيهـــا نـــشاطه	فيقعدها الردف الثقيـــل عـــن
أيا مدّع وصـــلاً لليلـــى وحبّهـــا	ومن دون ليلى والتواصـــل مـــا
ولست إلى ما تدّعى مـــن وصـــالها	هناك وقـــد كحّلـــت عينيـــك
دع الحب للصبّ الذي سامه الهوى	ومذ جسّه أشفى بحـــبس علـــى
وليل كأن قد زيد في العمر بـــسطةً	فكان عديم الوصـــف في الطـــول

١٦٧/ب

---

(١) – هناك تراجم تحمل هذا الاسم لأئمة اليمن ، في الأعلام وخلاصة الأثر والبدر الطالع لكنهم متقدمون عن المترجم، ويستحيل معاصرتـــهم لشاعرنا، إلا أن هناك ترجمة للسيد عيسى بن محمد بن الحسين الكوكباني، المولود سنة ١١٣٠هـــ، يذكر أنه صار أميرا لكوكبان إلى أن مات سنة ١٢٠٧هـــ. ومن المرجح أن يكون عيسى هذا ابن صاحب الترجمة. البدر الطالع١/ ٥١٩

(٢) – كوكبان: جبل بالقرب من صنعاء. معجم البلدان ٤/٤٩٤ ، كلمة (على) هكذا غير منقوطة ، فقد تكون (علي) العلم ، وقد تكون (على) الحرف ، وكأن الشاعر أراد أن يقول أنه نظم القصيدة على كذا.

يسامر فيه النجم عيني ومن ذكـــا	**يراقب ورْد العين من عـــسجد**
كأنّ الثريـــا إذ تلـــوح وتختفـــي	**من الــموج مرفـــوعٌ بمنحـــدر**
وبدر السما نونٌ بنحـــر غياهـــب	**تكاد شباك النجم ترديه بالقبض**
إلى أن بدا الإصباح ينقضّ بالـــضيا	**قوادم باز جدّ في إثـــر مـــنقض**
وأسفر(١)	

١٦٨/أ

وأرسل إليه العارف بالله ــ تعالى ــ مولانا السيد عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس(٢) – نفعني الله به - هذه الأبيات مع ما بعدها من النثر :

أهلاً بأبيات الجمال الألـــمعي	**خدن البلاغة والذكاء الـــمبدع**
بحرٌ حلا والدرّ فيـــه منـــوّعٌ	**أكرم بـــدُرٍّ بالجمـــال منـــوَّع**
ولَكَمْ بما أبداه بنْت معـــارف	**لم يدْرِها غير الفهيم اللـــوذعي**
يا وَحْدةً في كثرة بل كثـــرةً	**في وَحْدة لـــمعت بسرٍّ أرفـــع**
أنا مذ شربت بكأس هديك لم	**متمتّـــعٌ بـــــــمعمّم ومقنّـــع**

أيها الذائق طلا حان الشهود ، والمشير بألحانه إلى مشارب أهل الوجود، وافت أبياتك الأبيات التي هي [ر]قم(٣) على وجنات الحسان حريات ، فنـــزهنا الطـــرف في محاســـن أبكارها البضّة، وألثمنا خدود ورودها الـــجَنِيَّة الغضّة ، وحمدناك بعد المدح، وقلنا عنـــد ورودها لقد جاء النصر من الله والفتح ، لا برحت تشنّف الأسماع بأمثال هذا الدرّ الثمين ،ودامت سطورك تستدعي شفاه اللاثمين ، هذا وأياديكم مقبّله، والسعودات إليكم مقبلة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فأجابه رحمه الله تعالى :

إبْـــزيم سرّي نور باصرتي جـــلا	**صدري مناط غرام قلبي الـــمولع(٤)**
اشهد بنا تلك الـــمشاهد حافظاً	**بين الـــمعاهد عهد ذاك الـــــمجمع**

(١) – ترك ما بقي من الصفحة فراغا بما يعادل نصفها.

(٢) – سبقت ترجمته، الديوان ص ٣٣٣

(٣) – الحرف الذي بين المعقوفين بياض في الأصل.

(٤) – الإبزيم : القفل. تاج العروس (بزم)

(٥) – في المخطوط ، صدي : صدري ، وهو ما يناسب المعنى والوزن .

أوّاه ملء فمي على قلبي فقد — أمست ضلوعي منه صفْر الأربع
سَلَكَ المحبة لست أدري هل — بضياعه أم راح غير مضيّع
مولاي وافاني نظامك حائزاً — ملْك البيان من الجهات الأربع[1]
فوقفت في حرم الفصاحة أجتلي — خال الملاحة من وراء البرقع
وقضيت نسك تلذذي وتضلّعت — من ماء هاتيك اللطافة أضلعي
إن دام لي هذا التجلّي بالرضا — فلسوف يحمد في البراعة مطلعي
ولسوف ينشدني لسان الكون بي — (هبطت إليك من المحل الأرفع)

١٦٨/ب

وقال - رحمه الله تعالى - هذه الأبيات لموجب اقتضى ذلك :

يقول لِيَ الأمير نعمت بالاً — يكاد يطير للّقيا شعاعا
ويذكُرني جزاه الله خيرا — بصالحة ويثني ما استطاعا
كذاك عهدته خلاًّ وفيًّا — وأوفى الخلق أكرمها طباعا
ولكن دون أسباب التلاقي — أمورٌ ما استطعت لها دفاعا
ويمنعني ولا كبْرٌ عليه — حياءٌ ما كشفت له قناعاً

وقال أيضاً :

قنوعاً عن الحبّ كشْفي القناعا — غداة غدا الودّ منّا وذاعا[3]
وكنت أظنّ اشتياقي نزوعا — فأضحى بتوديع صحبي نزاعا
وما كنت أحسب يا عمرو — أصبّ نجيعاً وأصبو انتجاعا
ترى في حشا الأرض منّي — وفي هامة الدهر مني صداعا
وتنظر في كلّ واد شروعاً — لسيري وفي كل لجٍّ شراعا
ومن كان عزماً كعزمي له — يرى الأرض باعاً به أو ذراعا

---

(١) – في المخطوط حائزا : حائرا ، لا وجه له ، ولعل الصواب ما أثبته.

(٢) – صدر البيت تضمين من عينية ابن سينا المشهورة:

هبطت إليك من المحل الأرفع — ورقاء ذات تعزز وتَمنّع

(ابن سينا) عبقري يتيم وتاريخ حافل ، تأليف الشيخ محمد رضا الحكيمي ص٩٨

(٣) – في المخطوط ، وذاعا : وداعا ، ولعل الصواب ما أثبته ؛ لأن الناسخ طالما أهمل (الذال) وأعجم (الدال).

[وله أيضا]:

ولم اكتحل بعد الحبيب لزينـــة ... ولكن خشيت اللوم من لائـــم

فكحّل عينا سال ماء سوادها ... ليحسبه كحلاً تشرّب بالـــدمع

وله أيضاً :

دعَة الله وهو حفْظ الودائـــع ... بانُ بان اللواء ريم الأجـــارع[2]

ما سروري إذاً معمّـــرُ دهـــر ... بل هو الطفل نـــهنهته المراضع

مبتدا البين يا ابن ودّيَ أمضى ... خبر الصدق دون كل مضارع

إنّ إسْم النـــوى لَـــــحَرْفُ ... طرفــــاه وفعلـــــه فيّ واقـــــع

أيها الربع أنت مـــمّن تنـــائى ... كفـــؤاد مـــن الـــسلوّ بلاقـــع

لا مَحا الله منك للعهد رسْما ... وسقتْك الأنوا عهاد الـــمدامع

١٦٩/أ

وقال - رحمه الله تعالى - مكاتباً لمولانا العلامة القاضي عبد الملك القلعي[3] ومداعباً :

لقد عطّرتني نسمةٌ من مقامكم ... أتت بسجايا اللطف تسأل عن

وأخْفت سؤالاً عـــن فـــؤادي ... سويداه عن سرٍّ تلقّاه من سمعى

غداة توسّمتُ الحجى وتعرّفتْ ... إليّ دواعيه التي طابقت وســـعى

وقابلني منكم أشـــعّة عـــارف ... أنار بـــها طبعـــى ورُمَّ بـــــها

لطائف صلّى نحو قبْلة حسنها ... نظامي وأوما بالـــسجود لهـــا

فكدت -ولم أسطع- أطير من ... ولو شاء طرفي سال بي نحـــوكم

فيا نسمةً أهدت إلى القلـــب ... تنازعه شـــوقاً لـــذلكمُ الربـــع

---

(١) – الجزع : الجزعا ، لأن الناسخ ظن أن البيت تابع لما سبقه.

(٢) – يقصد بـــ (اللواء) (اللوى) وهو من باب مد المقصور للضرورة الشعرية.

(٣) – هو الشيخ عبد الملك بن القاضي عبد المنعم بن القاضي تاج الدين محمد القلعي، فقيه الحنفية بمكة المكرمة، ولد في مكة سنة ألف ومائة ونحو الخمسين، ولي الإفتاء بمكة وكانت له الصدارة في العلوم. توفي سنة١٢٢٩هـــ. (حلية البشر ص١٠٤٤). ذكر دحلان في كتابة خلاصة الكلام أن الشيخ عبد الملك القلعي كان مفتي مكة عندما دخلها الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود . خلاصة الكلام لأحمد زيني دحلان ص٢٧٧

بحسْب فؤادي من مناجاة ربّه — على طور سيناء الهوى ما حكى
ويا نوم ما أسراك عن مهـــد — ويا سهد ما أرســـاك في لجـــج
ويا طيف من أهوى تجافيـــت — ومنذ ليال ذدْت عنّي الكـــرى
أفي الحق أن لا جمع مـــا بـــين — وبينك أم ذي الحال مانعة الجمع
ليهنك قلبي جيرةً من أضالعي — ورعْيك في وادي الشبيكة ذي
لئن طار قلبي واستطارت بـــه — فما حام إلا فيـــك يـــا حومـــة
أخي أدبًا روحي هوىً ومودّةً — خليلي صفاءً ناظري في الهـــوى
تكلّفت عنك الـــصبر جـــدّ — على أن أميـــل الطبـــع نحـــوك
جزى الله أســـباب التلاقـــي — تعدّ بـــهذا الدهر من أشـــرف
فإن يأمر الله الزمـــان بجمعنـــا — لأحْفي قفا اللاحي بسوط مـــن

وقال - رحمه الله - وقلت مجيباً عن أبيات الرقيحي (ذهبت)؟:

هذا بـــديعٌ هـــازئٌ بالبـــديع — وروْض حسْن مستطاب مريـــع
أهداه ربّ الفضل مَنْ دونـــه — ـــفضـــــل ربيع الجود زهري
هو البها ذاتاً ولكنّـــه الـــــ — ـــعفيف فضلاً ذو فخار منيـــع
عين الكمال المحـــض آدابـــه — وشعره عـــين جمـــال البـــديع

١٦٩/ب

فإن ترم نيْـــل العـــلا فأتـــه — فهو إلى العلياء أقـــوى شـــفيع
ناهيك مـــن شـــخص هـــو — في الفضل والمجد وفعل الـــصنيع

وقال-رحمه الله تعالى-من قصيدة أولها(سلا مقلتي أنّى استقل هجوعها) و لم أقف عليها:

سقا جانبيْ صنعاء درّ ســـحابة — ترشّف من ثدي الهناء رضـــيعها
منازه لم تستوف أقسام حسنها — منازل بدْر التمّ لـــولا ربوعهـــا
إذا ما تمشّت فكرتي في رياضها — بكت واستهلّت بالبديع دموعها
أثاب بـــها ذهـــني ودمّـــث — شموسٌ يعير النيّـــريْن طلوعهـــا
جمعت بـــها شَمْل الليالي بفتْية — تنظّم في سلْك الثريا جموعهـــا
وإخوان أنْس ما تكلّفـــت في — لهم خلّةً غير الوفـــا أســـتطيعها

أراجعةٌ أيــام روضــة حــاتم وغربيّ صنعا أم عزيز رجوعهــا
معاهد لم يعثر بــها لـــمْح على وَجْنَة إلا وســال نجيعهــا
شغفت بــها حبًّا فإن لا تعدّني صريع غوانيها فــإني صــريعها
يمازج أهواء القلوب هواؤهــا ويحيي اقتراحات النفوس ربيعها
وتخطر أنفاس الصبا لا أعدّها لها وولوعي يقتــضيه ولوعهــا
لقد جلّ عنــدي رزْء كــل إذا هان عندي حقّها وصــنيعها
فيا أُفْقَ صنْعا لا عدتْك بوارق يطرّز موشيّ السحاب لــموعها
[و]سرَّحت الأنــواء فيــك من الــدرّ في مــتن الــسحاب

وله أيضاً رحمه الله:

لايخدعنْك بسحر في مخادعــة فإنــها شعبةٌ في الفكر مبتدعــه
ففي يمينك يابن الأكرمين عصا إن تُلْقها تتلقّفْ كلّ ما صــنعه

وله أيضاً رحمه الله :

مــا لي إذا رمــت الوصــال من أن تطاول بالــمنى أبواعــه
فكأنّ قربك حين عــزّ منالــه أَمْسى الــذي أعْيَــى الــورى

وقال أيضاً :

بـــئس الزيـــارة إن لم يكن لها الحـــبّ داعــي

وقال أيضاً :

إنّ شعراً أرسلْته نَحْو سَــمْعي لبليـــغٌ يحــار فيـــه البليـــغ
كنت في دهـــشة فجــدّدت كاد عقلى مــا بينــهنّ يزيــغ
وحبيب حلو الفكاهــة مــرّ ــر يلــوي بوعــده ويــزوغ
أخجل الورد منه ديباج خــدٍّ رائق النسج من دمى مــصبوغ
مستطاب الحديث كالــسحر لا مُــــلاك الــــمَعْنَى ولا
ملَح الشّعر والــملاح أطالا فكرتي فهى تلتــوي وتــروغ

(١) – الواو التي بين المعقوفين ساقطة من الأصل.

١٧٠/أ

غزلٌ كالنسيم ضمّن شــعراً وغزال بــه الفــؤاد لــديغ[1]
راق ديباجهُ البديع بـــهذا وبــهذا ديباجه الــمــصبوغ
أنا ما بــين ســلْوة وغــرام واجتماع الضدّين أنّى يــسوغ
فبإيّاهــما يــروق التــسلّي وبإيّاهــما الهــوى يستــسيغ
هات قل لي وأي فكر لــه في منهل الصحو بين ذين ولــوغ
يا إمام الآداب في كــلّ فــنٍّ وبليغــاً لايقتفيــه بليـــغ
وكريماً أقلامه تنظم الــشهــــب الدراري قلائداً وتــصوغ
لا نجاريك في البلاغــة لكــن لــك منّــا الثنــاء والتبليــغ
حُزْت فــضل العــلا وأنّــى فضل شيء فيه اللقــاء يــروغ
فلشمس الآداب منك شروقٌ ولبدر الكمال منــك بــزوغ

وقال - رحمه الله - لموجب اقتضى ذلك :

إن لم تكن تفرغ لشغلي ساعة أشغال يا هذا فلــست بفــارغ
فإذا فرغت فلــيس تنفعــك وهناك ليس الإعتــذار بــسائغ
ولسوف تجمعك المجامع حيث تسمع سوى القــسم الأكيــد
من كاذب ومخادع ومنــافق ومــداهن وممــاذق ومــراوغ
هذا يقول أصبت فيــك وذا منه تلهّف من أصيب بلادغ[2]
ويريك رحمة شامت متلــبّس بالودّ أنفذ حيلةً من وابغــي[3]
فأولئك الأقــوام أدْنــس في عرْضاً وأنتن من ثياب مــدابغي
إذ ذاك تعلم أنّ صدق مودّتي أحلى مــن الـــماء الفــرات
فاغرس صنيعك في القلــوب لتميس في برد الثنــاء الــسابغ
وانظر لــمن جَمَع الكنــوز متحيّزاً عنــها بكــفٍّ فــارغ

١٧٠/ب

---

(١) – في المخطوط ، شعرا : سعرا ، ولديغ: لذيغ.
(٢) – في المخطوط ، بلادغ : بلاذغ.
(٣) – يقال : وبغ الرجل : عابه وطعن عليه.لسان العرب (وبغ)

هل كان إلا مثل أكْلة آكـــل تفريق أجْمعها ومضْغة ماضـــغ
ولقد أردت نصائحاً مـــملوءةً حكماً فدارت وهى غير فوارغ
وسبكتها في قالب الإحـــسان لفظى ولايخفاك سبك الـــصائغ
فلئن تقابل بـــالقبول فحقّهـــا أو لا فهبها لدغـــةً مـــن لادغ

وقال - رحمه الله تعالى - وسامحه وعفا عنه وغفر له:

أحمدٌ نظمه كنـــهج البلاغـــه معجـــزاتٌ وحكمـــةٌ وبلاغـــه
أتراه أوحـــى إليـــه فـــوافى بقران للـــشعر يبغـــى بلاغـــه
تستطيب الأفهام منه مـــذاقاً يتمنّى حجا البليـــغ امتـــضاغه
فهو كالـــماء رقّـــةً وصـــفاءً ساغ في السمع فاستلذّ انسياغه
صاغ للشعر غرّةً وقفاه الـــــ ـــقوم حيناً فحجّلوا أرســـاغه
ثم وشّـــى بـــصبغة لم يجـــدْها غيره فهى نكتـــةٌ في الـــصباغه
إن يكن أخلص القريض بسكٍّ فلقد صاغه أجـــلّ صـــياغه[1]
وأرانا تيجـــان فكـــر يحلّـــى كلّ فكر صفا بـــهنّ دماغـــه[2]
يا إمام القريض هـــاك نظامـــاً فيك لم استجز حـــيًا إبلاغـــه
يتوارى كباطل ما رأى الـــــ ـــحقّ جلياً إلا تـــمنّى اندماغه
أو كعين رأيـــن ربّ عـــذار عارضيه قد زرفنت أصـــداغه[3]
وأجزني عنـــها بـــدائع نظـــم أحكمتْ قالب النهى إفراغـــه
وأجبني بما يراض به العقـــــ ـــل إذا حاول الجموع انزياغه
فهي يا صاح دونـــها حجـــر ـــذ إذا كَلَّ ذهن ربّ البلاغـــه
أنت في الدهر واحـــدٌ شـــغل ـــر لديه فلست أهوى فراغـــه
فاطّرحني من انتقاد الـــمعاني لا يـــوازي العـــزوم طفـــل

١٧١/أ

(١) – في المخطوط ، صياغة : صباغة .

(٢) – في المخطوط ، دماغه : دفاغه .

(٣) – الزُّرْفِينُ بالضم والكسر : حَلْقَةٌ للبابِ . وقد زَرْفَنَ صُدْغَيْه : جَعَلَهُما كالزُّرْفين. القاموس المحيط(زرفن)

وقال -رحمه الله تعالى- وقد أهدى حصاناً لـــمحمد بن علي المهدي سنة ١١٦٢هـــ، فرد الحصان بعد ثلاثة أشهر من قبوله، وهكذا فلتكن الكرام:

مولاي عزّ الهدى رُدّت هديّتنا ... ردًّا أخال عُلاكم لن يــسوّغه
إنّي ليبلغ بي علْمي إلى أمــد ... في الجود محتسباً إيّــاك مبلغــه
هلاّ اعتذارٌ وفي الأيام متّــسعٌ ... والعذر فضلٌ فهلاّ كنت مسبغه
ما إن يسفّه عذرٌ من أخي كرم ... إن قيل في قالب الإحسان أفرغه

وقال أيضاً :

للشّوق فيك قوادمٌ لخَــوَافي ... ولكلّ عضو منــك نَــــهْض
فحنين قلبك رنّــةٌ وزفــيره ... قبسٌ كرعد حثّ برقــاً خــافي
لا شكّ أنّ سحاب جفنــك ... ودليله دون الــشواهد كــافي
رعياً سوام الوجد ترعــى في ... نَوْر الغــرام بروضــة مينــافي
أعقيلة الأحــداج بــل بــدر ... الله في دم عقلة الصفصاف (؟)
يكفيك سحرٌ للعقــول فمــا ... سلباً لــدلّ جــآذر الأســياف
ما كنت أحسب أنّ من سيم ... أَوْدَى فليت الحادثات كفــاف
ما كنت أحسب قبلها شمــس ... تجتاب في زلف من الأســداف
حــتى نــــهلت إنائهــا ... ما أول للرعد لا الأعــراف(؟)
وعلمــت أنّ الــبين يَخْتــرم ... وتفلّ غرّتــه بنعْــب غــداف
أمّا بنو الزهراء في شرف العلا ... زهْر النجوم أشمّ في الأكنــاف
[و]مقلدو جيد الزمان مفاخراً ... حَكَم الثناء لهنّ علْم الكــاف[1]
لو لم يكن منهنّ إلا ذو النهى ... ختم الكرام إذا ابتدأت فكــافي
حسبٌ أضا من (كوكبــان) ... لا كوكبان،الأفق والاشعاف[2]

---

(١) – الواو التي بين المعقوفين ساقطة في الأصل.

(٢) – كوكبان: جبل بالقرب من صنعاء. معجم البلدان ٤/٤٩٤، كوكبان الثانية مثنى كوكب ، وقصد بالإشعاف العلو، إذ شعْفَة كل شيء أعلاه لسان العرب (شعف)

١٧١/ب

وقال - رحمه الله - تعالى مجيباً للمرحوم الوزير محمد سعيد بن سليم الكناني المكي(١):

جاء الـــمشرّف لا عدمت مفوّفه ... وأتى بمُعْجزة لـــديّ مـــشرّفَه

أحيا به زهْر القـــريض إصـــابةً ... وسَمَا لها أذن الزمان فـــشنّفه

فلَوَ انَّني شبّهت سحْر بيانـــــها ... بالسحر قالوا لم تزدنا معرفـــه

أو قسْتُه بالروض ســـال معينـــه ... شهداً وكاد فـــم الـــصبا أن

فوقفت وقفة ذاهل لم يـــدر مـــا ... موصوف زَيْد في الكلام مـــن

وارتجّ ذهني والفهاهـــة ألجمـــت ... نطقى فملت ضرورةً للفلسفه

وطفقت لا أنا من مشدّدة علـــى ... حدة ولم تظفر يدي بمخففـــه

أخذتْ عَلَيَّ الطرْق حيرة فكرتي ... حتى اشتملت مـــن الزهـــور

وقرعت بـــاب الـــصمت دون ... ورأيت رأياً ترْكه عيْن الـــسَّفَه

ماذا أقول وأنت فـــوق مقـــالتي ... قدراً وكيف تنكّري للمعرفـــه

فبأيّ نافلـــة تقـــوم مـــن الثنـــا ... بفروضه عبدٌ لـــربّ المعرفـــه

ماشئت لا يـــأتي ومـــا لاشـــئته ... يأتي ومن لي بالنكات المتحفـــه

وإليكهـــــا عربيـــــةً لكنّهـــــا ... روميّةٌ لكـــنّ فيهـــا عجرفـــه

جاءتك تطلب بالكساء وأهلـــه ... منك القبول فهل تراها منصفه

فارحم خضوع تمسّكي بـــذيولها ... شوقاً لوجهك ما أعزّ وأشرفه

مراكب فضل برز فيها الجمال ، وكواكب فضل طرز بـــها سماء المجال، سلمت لها في عقودها الجواهر ، وصلّت إلى قبلة حسنها النجوم الزواهر، فهي الجـــوهر ومـــا ســـواها العرض، وهي السهم وبعد مرماها وصيتها الغرض ، تحسدها للطفها النسمات، وتتشرف لرقة انسجامها القسمات، فكم لي إلى مثلها من لفتات، وعن غيرها من تشرد وفلتـــات، أقسم يا أهل النقول، ويامن زكت فيهم العقول، أني لا أرى عندها لنظم البها بـــــها ، فمن قاس شمس الظهيرة بنجم السُّها سَهَا، فيا أيها المسترق حرين؟ برقيق نفثاته، ويا أيها المستدر؟ عارضين؟ بالتباس كلماته، إليك خراعات حكتها، وخزعبليات نسجتها، طنابات

١٧٢/أ

(١) – سبق الحديث عنه ص ٣٥٢ من هذا الديوان.

الخرز ينفق في سوق الجوهر ،وإن نقيع الخمر يقوم مقام شراب النوفر، هيهـــات ميـــزت بينهم المزايا، وتفاوتت المواهب والعطايا، فانشر لها ستر قبولك الناشئ عن كرم أصولك، والأيادي الكرام مقبلة على الدوام، وشريف السلام والتحية تخدم بـــها تلـــك الحـــضرة العلية، كل حين وبكرة وعشية.

وله أيضاً ملغزًا في ....[1]:

ما اسم شيء إذا نظرت إليه	ترى حسناً يعلوه حسنٌ لطيف
يملأ العين وهو مهما قلعنـــا	عينه تطّيـــــبْهُ منّـــا الأنـــوف
ثُلُثاهُ بالكسر اســـمٌ وثلـــثٌ	منه في الأرض والسماء يطوف
فهو في طرده جليسٌ أنـــيسٌ	وهو أمرٌ إذا عكست مخـــوف
إن تصحّفْه فاســـم وَحْـــش	شـــرطه إن أردتـــه التحريـــف

وله أيضاً ، وأرسلها المرحوم العلامة الشيخ عمر المالكي القاري رحمه الله تعالى[2] :

شـــققت سَـــمَاء مـــرتكض	إلى دَرَك العلوم فحزت ســـبْقا
وما طوّحْت غاية كلّ مَجْـــد	بـــها حتى اكتـــسيت الفـــضل
لعمري لو رأى العُمَران ما قد	خصصت به وكنت به الأحقّـــا
لطارا فيك من فرح شـــعاعاً	وطالا بـــالوداد إليـــك رفقـــا
لقد صوّرت من علم وحلـــم	وما استشعرت غير اللطف حقّا
وقد ألقت أزمّتها الـــــمعالي	إليك وعاد منـــها الحـــرّ رقّـــا
فسدْ واكرمْ وطـــلْ وافخـــرْ	ودمْ واسلمْ وعشْ لا زلت تبقى

١٧٢/ب

فأجابه:

تبسّم عـــصرنا وأنـــار حقّـــا	وجمّلـــه جمـــال الـــدين حقّـــا
جمالـــه بالجمالـــة قـــد تجلّـــى	وحاز محاسن الأخلاق صـــدقا
وقرّت أعـــين الأحبـــاب فيـــه	ورقّ المدح فيـــه فمـــا أحقّـــا

---

(١) – فراغ في الأصل.

(٢) – لم أعثر له على ترجمة.

وحقّ القول إذ وصفوه بل قـد   تعـزّز مجـده غربـاً وشـرقا
ولم يوفوه إذ وصـفوا عـلاه   فما أزكـى معاليـه وأرقـى
حبا مـن درّه الأسـنى محبّـا   على بعـد المسافة فاسترقّا
جـزاه الله عـني كـلّ خـير   وبلّغـه مقاصـده وأبقـى

وله أيضاً :

يا أسـعد النـاس وأحظـاهمُ   متى بكم يسعد حظّي الشقى
تـركتني بـالهجر في ظلْمـة   حتى ظننـت النـور لم يخلـق
كأنّني وحـديَ في الـمغـ   ـرب الأقصى وكلّ النـاس في

وله أيضاً - رحمه الله - وأرسلها لبعض الفضلاء من أهل صنعاء وقال [١]:

نعـم الحـيّ فإيـاك طروقـه   إنه اللاعج والوجـد حقيقـه
لايغرّنْـك ارتيـاحى أَطَـوت   لوعة القلب زفيري وشـهيقه
إنّما ميعاد قلبي والجـوى   فيه إلا أن ترى العـين
يا لُقُوِّي والهـوى نيرانـه   لم تزل بالـمُهج الحرّى
أتقاض عن فؤادي عنـدما   عقّ واستحلى أخو اللوم
فانـشدوه في اللـوى أو   عنه لا روّعه البين عقيقه
تجدوه حيث ما الجوّ هوى   وحصا الجرعاء أكبـاد
حيـث هبّـت نـسمات   حدق نرجسها الغـضّ
آه للحـبّ وإن دلّهنـي   ولقلب في الهوى ضـلّ
أخذ الشوق عليه طرْقـه   وتمشّى تحته الوجد وفوقه
أملامٌ ورحيـق الحـبّ في   مهجتى تسعر أشـواقى
كيف يصغى لسماع اللوم   عشقه للعـشق طبـعٌ

١٧٣/أ

---

(١) – كتب في هامش المخطوط ما نصه(إن بقيتها ذهبت وإذا وجدت أثبتت).

(٢) – اللُّقُوّ : البخور الذي تظهر رائحة بوضعه على النار، ولعلها من إلقاء الطيب في النار،أو لأن المتطيب يضعه فيتلقى دخانه ويتطيب به. انظر لسان العرب (لقا)

أبلبٍّ عدم الرشـــد ومـــا عدم السالك رشـــداً في

أم بنفس قدحت جوهرها فكست نار الهوى نـــور

أيّها الـــمولى الذي أوراقه بثمار الفضل قد أضحت

وبأبكار معـــان زوّجـــت بالمعالي وهـــي بـــالكفو

وله أيضاً متشوقاً :

دون الـــمنى وتواصل المكـــسال ينضى الـــمشوق ركائب الآمال

يا من نأت عن مقلتيّ وغـــادرت قلب الـــمتيّم عقلـــة الأهـــوال

ما الظن بعد البين إنّ مكامن الــ آجال طـــيّ ثـــوائر الترحـــال

خلّفت رسْمًا في الفـــؤاد نظـــيره لك واستننت سرىً مطى الآبال

وتركتنى متضاعف الزفـــرات في سجْن الغرام مضاعف الإعـــلال

ما ذاك من نقص الـــسعادة إنّمـــا كثْرُ التكـــرّم علّـــة الإقـــلال[1]

وله أيضاً :

سُموط جَمال في عقود كمال وطلعة بدر فوق جيـــد غـــزال

ونشْر دلال في بديع فكاهـــة وطيّ ملال لالتمـــاس معـــال

هو الحسْن يغنيـــك الجنـــاس إذا اقترنا الزوجين مثْل هـــلال

عشقنا فمنّا سابحٌ في دموعـــه غراماً ومنّـــا في المحبّـــة صـــال

وجرّدَت الأشواق فينا سيوفها بـــمعْرك وَجْد في شجار وصال

فلست تـــرى منّـــا هنالـــك عن الحبّ أو بعد التحرّق سال

أخلاّي منّوني عـــسى ينـــتج لكم بوصال في الهوى وعسى لي

ولا تنسبوني للذي راض سَمْعه فاصغى لقيل في الـــملام وقال

فلي رقّةٌ تأبى انتزاحـــي عـــن وإن أكُ سال مـــن أودّ وقـــال

فإن وردت بي مـــورد الـــرق فلا صافحت كفى اليمين شمالي

ولا هبّ لي من صوب جـــدّة تـــهيّجني شوقاً بريح شـــمال

١٧٣/ب

(١) – في المخطوطة ، كثر : كثرة ، وهو مما يخل بالوزن ، ولا يستقيم إلا بما أثبته.

وله أيضاً ملغزاً في .... :

ما اسم شيء كلّه بعضٌ ... شئت فاعكس بعــضه في

وإذا ألغيت ثانيه فمــا ... خفر الخود سوى في ظلّه

وله أيضاً :

وفراق الأحباب أعظم ... أيّ خطْب سوى الفراق

أيّ حالاته سرابا لدمع ... وهو يجري على الخــدود

أم بتوديــــع مهجـــتي ... نازحٌ والـــــمقيم بـئس

يا كحيـــل العيـــون إنّ ... بعـــد فقْـــدي إيّـــاك لا

وله أيضاً في الأستاذ الشيخ محمد الحفني(١) نفع الله به :

فوزي بحُبّ سَميِّ المــصطفى ... فوزاً بمثْل علاه يُضرب الــمثل

فانظر إلى حظّ هــذا الإســم ... به الأواخر منّا ما لقــي الأُوَل

وله أيضاً صورة سؤال :

إن الــمروءات لفى أهلــها ... وأنت عندي عين ذي الــمسأله

فانظر بعين الله يـــا ســيدي ... في فصْل دعوى هذه الأرملــه

والجواب هذا له رحمه الله تعالى:

وجدتــــها أرملــةً لم تَمــل ... للحقّ في الدعوى ولــن تقبلــه

والشرع لا يعدل عنه ســوى ... من لايـــساوي دينــه خردلــه

والله يجزي بالجميــل امــرءاً ... قامت به أحكامه الــمنـــــزله

فهاك منّــى مدحــةً صــغتها ... عذراً ومــا لي غيرهــا مــسأله

واقبل رعاك الله عذري وجدْ ... ولا تقـــل لي هـــذه أوّلـــه

١٧٤/أ

وله أيضاً بالتماس بعض الأصحاب :

---

(١) – هو الشيخ محمد الحفني الأزهري، الأستاذ العلامة، اشتغل بالعلم حتى تصدر للتدريس سنة ١١٩٠هـ، كان حسن السمت جميل الهيئة طلق اللسان، نال حظوة عند العلماء والنبهاء ، فزادت ثروته ونمت شهرته، وكان له عند الفرنسيين عندما دخلوا مصر جاه عظيم،، توفي سنة ١٢٣٠هـ. حلية البشر ٣/١٢٦٤

انـــهض بحَقّك غير مـــأمور إلى حيث انتهى حكْم النَّدا لسليله

حيـــث الـــوزارة زان سَـــمْتُ قمرٌ يُحاكى الطرف في إكليلـــه

واصعد إلى الفلك الأثيروخاطـــب ـــبدر الـــمنير تفز بمُحْكم قيله

فهناك أبّـــهة الجلال على فتًـــى يهب النـــوال لطـــالبي تنويلـــه

مأوى الفخار وملتقى سبل العـــلا ومحطّ رحْل الدهر وابن ســـبيله

حيث الزمان وما وراء ضـــميره من بعض معلومات سيّد جيله(١)

وإذا الفتى جعل الفراســـة عيْنــه كانت لكشْف الغيب عين دليله

ولقد خبرت بني الزمان فلم أجد من ترتضيه الـــنفس في تأميلـــه

حتّـــى ظفـــرت بواحـــد لكنّـــه في المجد ثاني عطفـــه لـــــمقيله

بأخي الندا وشـــقيقه وصـــديقه وحبيبـــه ونَجيِّـــه وخليلـــه

وله أيضاً :

أرى ليل انتظارك يا خليلـــي نفى صبْح الوصال عن الوصول

فدع عنّى فضول اللـــوم إني نـــهيت الـــسمع عـــن تلـــك

وله أيضاً :

لئن جاذبت عطْف الصبا نسْمة لقد جاذبت عطفـــي فـــؤادي

تطير بقلبي إن يهبّ هبوبـــها كأن قُدّ من شوقى عليها غلائل

وله أيضاً :

إن الحديث كما رويـــ ـــت وشـــرْح حـــالي في

لكنني استحييت منْـــــ ـــك فخذ جوابك مـــن

وله أيضاً :

يـــا ســـائلاً متجـــاهلاً عنّي وعيْب الـــمرء جهْله

أنا ذلك الرجل الـــذي لم تسعَ قطّ إليك رجْلـــه

١٧٤/ب

وله أيضاً رحمه [الله] تعالى مادحاً بعض الأمراء :

(١) – في المخطوط (سيدي جليله) وهو لا يستقيم معنى ووزنا، انما يستقيم ما أثبته (سيد جيله).

هو الحظّ يغني عن نداء كريم ... ويسرع خَطْوًا نَحْوَ كلّ لئــيم
ومـــا كنـــت أدري أنّ كـــلّ ... أغرّ يعاني الدهر حـــظّ لطـيم
تسلّ فما كل الليالي كما ترى ... ولـــودٌ ولا أمّ العـــلا بعقـــيم
فعهْدي بـــهذا الدهر أحْـــول ... رنا قلبت جفناه طرْف رثـــيم[1]
فاضحى غضيـــضاً كلمـــا زرّ ... عرا حورٌ أبدى رمـــوز حلـــيم
بشاميّها جرثومـــةٌ هاشـــميّها ... زعيم المعاني فخر كلّ زعـــيم
بأحمد مصدار النهى خير كائن ... سرار جهول أو سرور علـــيم
بعيد مجال الفخر قلّد جيـــده ... وشاح علاً هـــاز بكـــل تميـــم
إذا استبقت في حلْبة العلْـــم ... جيادٌ عدتْ للسَّبْق عَدْوَ ظلـــيم
أتى من وراء الحمـــد شـــأوُ ... إلى غاية ما طوّحـــت بـــشكيم
لقد أفعمـــت منـــه الأيـــادي ... أيادي حميد السعى غير ذمـــيم
مكارم وافاها الزمان مُـــشوَّهًا ... فأجرت على خدّيه ماء نعـــيم
تزحزح عن وجه الـــــمعالي ... فيلوي إليها المجد صدْغ وســـيم
فهنّ أكاليل العلا ومناطق الثـــ ... ـــثنا وخلاخيلٌ لكـــل حمـــيم
فيا أيها الحبر الذي قد تكفّلت ... يداه رضاع الجود كلّ فطـــيم
إليك خفرن المـــدح هـــوج ... من المدح عوصٌ للورود وهـــيم
وما قطعٌ من عنْبر قد تأجّجت ... فبرْقعَ منها الأفق سحْب شَميم
بأعبق نشراً من ثنـــاء معظّـــم ... تضمّخ منه مجـــد كـــلّ كـــريم

وله أيضاً - رحمه الله تعالى - وأرسلها إلى السيد ابن عبد الجواد الجمـــازي صـــاحب الرباط سنة ١١٦٩هــ :

الودّ ما رســـخت في شَـــرْعه ... والحبّ ما نـــسخت منـــسوخه
وما علمت للفْظ الحـــبّ يـــا ... معنًى ســـواك وإن ظنّـــوا وإن

١٧٥/أ

(١) – في المخطوط نقط الثاء موهمة في كلمة (رثيم) كأنـــها تاء ، ولعل الصواب ما أثبته ؛ لأن كُلُّ ما لُطِخَ بدَمٍ وكُسِرَ فهو رَثيمٌ. القاموس المحيط (رثم)

يا نور روضـــة تنـــويري ولا ورو ح روحنتي إن مسّني السأم

رحلتمُ فربـــوع القلـــب مـــا أبوابـــها بوفود الشوق تزدحم

وكان للصبر رسمٌ فـــانْمحى كأنْ طوته على أخفافها الرسم

وكنـــــت آوي إلى صـــــبري ممَّا رثى لي فيه قبلـــه الـــسقم

والآن قد صرْت لا صـــبرٌ ولا ولا وجودٌ ولكـــن ذاتي العـــدم

ولا أنا الآن من فرْط الـــسقام وإنَّما أنا في جفْن الهوى حلـــم

يمرّ بي الطيف لم يشعر بمنقلبي وليس تعثر بي إن مرّت النـــسم

أوّاه من زفرة يكـــني المحـــب عن زفرة وهيَ النيران تـــضطرم

أوّاه من لوعة لـــولا أســـتّرها بأضلعي يبست من لفحها الديم

أوّاه من عبرة لولا أكفكفهـــا صوناً لكم لاتّقت طوفانـــــها

لا وَاخَـــــذَ الله أحبـــابي وإن دمي ببعدهم عنِّي وما علمـــوا

ما بال مـــن شـــرّف المـــولى بوصـــله صـــدّعوا الأحـــشاء

(إن كان يجمعنا حبٌّ لعزّتـــه فليت أنّا بقدر الحب نقتسم)[1]

وقال رحمه الله لموجب اقتضى ذلك :

تنكّرْتَ لي لــــمّا تَحقّقـــتَ عليك ومـــا أمـــري لـــــديك

فلو كان لي حظٌّ لَمَـــا فَـــاتَ بأنّ غيور الطبع ليس بـــمذموم

أروح لقرْب الغير منك وليس -وحقّك- عضْوٌ بالأسى غـــير

ألست الذي لم تُبْق منِّي بقيَّـــةً لغيرك من مجهول حبٍّ ومعلـــوم

ألم أتنكَّر للـــصِّحاب تقرّبـــاً لقلبـــك يـــا ريْحـــان قلْبـــي

أَلَمْ أرْعَ في حبِّيك كي أجلب لنفسك طابت كلّ مولى ومخدوم

أئنُّ من البلوى أنين معـــذّب بزفرة محموم ونفثـــة مـــسموم

إذا كان هذا فطرتي وجـــبلّتي فما حيلتي هذا نصيبي ومقسومي

أرى الغير في الـــماء الـــزلال كأن زلال الـــماء جرعة يحموم

١٧٥/ب

(١) – ما بين القوسين تضمين لبيت أبي الطيب المتنبي من قصيدته الميمية المشهورة في سيف الدولة.

وأذكرهم والزاد أطيب مـــا فيثنيه ذكْر الغير أخبث زقّـــوم

ولولا بقايا طيب أخلاقك التي بـــها طاب عيشى لم ألذّ بمطعوم

لئن يك قـــد ســـاءتك منّـــي لقد سرّني أن صـــرت أطـــوع

وله أيضاً :

كنت أهوى بأن تكون جليسا وأنيـــسى وقـــدوتي وإمـــامى

فأنا الآن لست أرضاك أهـــلاً لـــمقامى كلا وحاشا مقـــامى

وله أيضاً :

تعجّبت من أهل الزمان فكلّهم لعمري إذا نودوا لِيُعْطَوْا تقدّموا

وإن تدعهم في الكرب صـــمّوا ألا تنظروا أمري وما حـــلّ بي

وله أيضاً :

يا صفيّ الدين يا مـــن مثمن الجوهر مـــن بحـــر

جمع الشوق فؤادي كلّه لك يا مولاي والودّ قسم

وله أيضاً متشوّقاً لبعض أصحابه :

إن يبعث الشوق صَـــبًا هبّـــت نـــواحي إضـــم

أو تبك عينـــاك دمـــاً فتلك يـــا ابـــن الكـــرم

شنـــشنةٌ تعـــرف مـــن خزامـــــة لا أخـــــزم

وله أيضاً :

وما سقْم الجسوم لديّ ستكسى ثوب صـــحتها

ولكـــــن الــــسقام بليدٌ تستصحّ به الفهـــوم

وله أيضاً :

وبعثت طيفك كى أصيد خياله والغمض يطرده السهاد فيهـــزم

عجباً لشانك في مغالطتي وقد كلّفتني بلـــزوم مـــا لا يلـــزم

وله أيضاً :

١٧٦/أ

صحبتك للعزّ لا للهوان فكيـــف تـــذلّلني للّئـــام

وحاشاك ترضى بــذلّي فكيف لدى الغير يــابن

وله أيضاً :

حسبي من الوجد مــا يبــدو ومن ضنا جسدي مــا لــست

يا راشقاً في الــسويدا ســهْم ما في السويدا سوى من أنــت

وله أيضاً :

لله درّك يا من بالفصاحة قــد أثنى بسحبان في نظم وفي كلــم

شيّدت عليا قصور في القريض أمسيت في غرف الجنّات من إرم

تلوح زهْر معانيه خلال دجى سطوره فتكلّ الطرف من أمــم

حتى لقد باتت الأفكار تنشدني إلامَ نحن نــساري الــنجم في

وله أيضاً :

حفظت هواكم رغبةً وأضعتمُ عهودي فما هذا بدأبي لــديكمُ

وأخلفــتمُ وعــدي مــراراً وَفَيْتم ، إليكم عن ودادي إليكمُ

وحسبكمُ هذا التفاوت بيننــا ومن بعد هذا فالسلام علــيكمُ

وله أيضاً :

أخشى عليك الإثم يــا ظلماً فــإن الله لا يظلــم

إن كنت لا تحكــم في يوماً فقيّوم السما يحكــم

حسْبي إلهي شــاهدٌ في أخفى وحسْبى أنني مسلم

وله أيضاً :

يا كعبة الحــسن الــتي بــالحجر الأخــضر لا

شوقي إلى لثمــك يــا في مذهبي بالعين لم يحــرم

أسلمت وجهي ضارعاً أسلم قلبي لــك فلــتعلم

فلا تُجزْ قتلي فلي ذمّةٌ يحفظها الــمسلم للمسلم

١٧٦/ب

وله أيضاً :

أكذا تُجازي من يُحبّ أم هكذا من عفّ عندك

والله ما شـــوقي إليـــك　　　لا والذي لبّى إليه الْمُحْرِم

وله أيضاً مجيباً بعض أصحابه:

أعقـــودٌ تنظّمـــت أم لآل　　　من نظام أرْبى على الـــدرّ
أم عتابٌ كالروض أشـــرق　　　رقّ مثل النـــسيم لفظـــاً
من محبٍّ علـــيّ إن أحـــسن　　　ن به أساء في الودّ ظنّـــا
جعل الذَّنْب لي وذلك ذنْبٌ　　　وجنَى عن محبّه وتَجَنَّـــى
وأشاع الـــملال عنّي دلالاً　　　علم الله أننا مـــا مللْنـــا
سل فؤاداً ما بين جفنك ثاو　　　عن فؤاد يُخْبِرْك يا صاح
أنت أعلى عيناً على ما لدينا　　　ربّ ودٍّ عين الرضا كـــان
حسْبك الله ما أبرّك لفظـــاً　　　ترك القلب بالعتاب معنّى
ومن الشعر حكمةٌ وهو هذا　　　أيّ شعرٌ روضاته الزهـــر
نصّ من صحّتي عليّ ووافى　　　بفنون البيان كي يـــمتحنّا
كان زعمي ولا أمنّ بـــودّي　　　أنني في هواك أرجح وزنًا
فتحدّيتني بآي من الـــشعـــ　　　ـــر عياناً ومثل ما قلـــت
والهوى إن نظرت مسألة الدو　　　ر فإن دارت الـــمـــسائل
هكذا سنّة المحبين من قبـــــ　　　ـــل فعُدنا مكرّمًا أو فعدنا
إنّ صبري على هواك جميلٌ　　　من تأنّى ينال ما يتمنّـــى
أنا جسمٌ وأنت للجسم روحٌ　　　أنا لفظٌ وأنت للّفظ معْنى
أنا فخري بكم وأنتم جَمَالي　　　وجزاء المحـــبّ بالحـــبّ

وله أيضاً وأرسلها إلى صاحبه أبي بكر زفتاوي رحمهما الله تعالى :

١٧٧/أ

يا أيها الصاحب الـــمدلي إليه بما　　　يدلي من الودّ لا قويست في الزمن
ما للزمـــان وقانـــا الله بطـــشته　　　دأباً يداعب أهل الفضل بالـــمحن
يُجري المسرَّات هوجاً للّبيب فإن　　　كنّ الفوادح أجراها علـــى سَـــنَن

وله أيضاً :

فياليت شعري هل أفوز بنظرة ويجمع شملـــى بالحبيـــب زمـــاني
ويا ليت شعري هل ســـبيلٌ إلى فقـــد رقّ لي في حبّـــه الـــثقلان

وله أيضاً :

لُيَيْلتنـــــا للّقـــــا موعـــــدٌ فإن شُرّفت بك نلْنــا الـــــمنى
وأنت السرور وأنت الــــعنا فياربّ لا عقت عنّـــا الــــعنا

وله أيضاً :

إذا شئت إعراب نظم الكلام وتحـــسينه عنــــد مستحــــسنه
تـــدبّر أمـــور اصـــطلاحاته وخذ جوهر اللفظ مـــن معدنـــه

وله أيضاً :

أيها الطَّيْف أنت أدْرَى بشوقي لك ممَّن نفـــى رقـــادي ومنّـــى
فخذ الأذن إن رقـــدت مـــن ـــد فقد عقّني وعاقـــك عـــني

وله أيضاً :

ليس إطراقي إذا ما لُحــتَ لي سلوةً عنك ولا قـــصداً لغبنـــك
إنما أطـــرق إكرامـــاً لكـــي يسجد العقل على قبْلة حـــسنك

وله أيضاً :

لم أغضّ الطـــرف إلا خـــشيةً من عيون الناس يا إنسان عـــيني
وحيـــاءً مـــن محيّـــاك الـــذي نظرةٌ فيه بـــــمن في الخـــافقين

[وله أيضا]:

غبتمُ عنّـــيَ شـــهرا و ســـنه فـــسلبتم جفْـــن عـــيني وَسَـــنَه
سادتي ردّوا على جفني الكرى وأعيروه مـــن الغمـــض ســـنَه

وله مداعباً بعض التجار: ١٧٤/ب

كلّكـــم يحمـــد ذا العـــا م ولا عامَلَنَـــــــــــــــــــــــا
ليت مـــن عـــامَلَكم يتـــ ــــــــرك ذا العــــام لنـــــا

وله أيضاً :

إني إذا جـــــدّ الهـــــوى ورميـــت مـــن روحـــى بـــبين
أغضى وأطـــرق كـــي أرى متلــــــذذاً عـــــيني بغـــــيني

وله أيضاً :

أجدّك هل ســاقتْك ســائمة وهل بك سرْح الإغتراب مبينا
وهل غالك الدهر الخَــرُوف لتذرف دمْع المقلــتين ســخينا
أم الورق منك الشوق هــيّج فناوحت مسروراً وصرت حزينا
رويدك أهل الحبّ فيه تناسبوا ولكـــنّ في الأهـــواء مختلفينـــا
نرى الحب عنــد الغــارمين تفجّر منـــهم بالبكـــاء عيونـــا
يدينون دين الحق في شــرْعة ولكنّها تذري العيـــون شـــؤونا
رعى الله طيْفاً زار وَهْنًا خياله وأصدقني ماكنت فيـــه ضـــنينا
وناشدته قلبي رهينـــاً رأيتـــه لدى الحب قال[الطيف]رمْــت
لَفَى ليلة الإسراء ودّعَ مهجتي وناجاه حفّض قد عدوت أمينـــا
فيا طيف بلّغ شادنا باء بالبها وبالطرف والحـــسن الوصـــيف
تحيّة صبٍّ بعد صيّب دمعــه يصبّ صبابات الجفون هتونـــا
وقل بعد إهداء السلام تعطّفا حناناً بــــمتّخذ المحبــة دينـــا
لئن ساءه منك البعاد فلم يزل هواك له في الحـــالتين قرينـــا[٢]

١٧٨/أ

ويكبره السلوان فيـــك وداده فيجعل حسن الظن فيه ظنونـــا
له الله ظبيٌ كلّ حسن شـــعاره إذا ما مشى كالبدر يخطر هونـــا
يريك إذا ما افترّ بارق ثغـــره نجوم حباب في النظـــام لجينـــا

١٧٨/ب

ولـــــه أيضاً - رحمه الله تعالى - وأرسلهـــــا إلى الفقيـــه إسماعيـــل بـــن حـــسن النهمــــــي[١] والي المخا سنة ١١٧٨هـــ :

---

(١) – في المخطوط ، شاذنا : شادنا.

(٢) – بعد هذا البيت فراغ إلى نـــهاية الصفحة بما يقارب نصفها.

صيامٌ على حزْن وفطرٌ علـــى لقد بلغ اللاحى به الغاية القصوى

حنانيك لم أخلع لأمرك طاعـــةً ولا صرفتني عنك داعيـــة الأهـــوا

ولكنّه الحظّ العثور إذا جـــرى أثارت به الأيام غارتـــها الـــشعوا

وما بيَ ما بي غير سابغ نعْمـــة من الودّ قد عارضـــتُها مـــــحن

وما قصّرت بي عن مراميَ بُلْغَةٌ من الصبر أذْنت مجلـــسى منـــك

فإن غدت الآراء واهية العُـــرا فرأيك في نفْعى هـــو الــــمَرَسُ

وحسبيَ من دهري ملأت إناءه أناةً وحلماً أن أبثّ لك الـــشكوى

فيا خير من دانت له فاسترقّها رقاب العلا والـــمـــستجار مـــن

أعد نظراً فيما أرابك هل تجـــد سوى بيّنات أشبهت صحّة الدعوى

أيهْدى الصَّبا هـــذا الوجـــود كأنّ الدجى لم يتّخذ غيرها مـــأوى

فإن لا يعربي سَمْعه لـــمْح ناظر ولم ترْمني من عطْفه مقلةٌ نـــشوى

عقدت على الـــصبر الجميـــل وبؤتُ بشكري دونه طبق الحلوى

وله أيضاً :

سبقت الناس مـــسبوقا فمـــن شـــأو إلى شـــاو

إلى أن كبّـــك الرحمـــا ن فـــانظر غايـــة البـــاو

وله أيضاً :

قد نسخنا آي الهوى بمداد الد دمع من بعد أن نسخنا السلوّا

وتلونا من قبل فاتحـــة الحـــب ب عـــشيّا وســـحْرةً وغـــدوّا

وارتضينا دين الغرام وأفرطـــ ـــنا زماناً بالوجد فيـــه الغلـــوّا

آه ما أولـــع المحـــبين بـــالقر ب إذا ما الحبيـــب زاد عتـــوّا

وله أيضاً :

١٧٩/أ

---

(١) – الـــمرس: الحبل. لسان العرب (مرس)

(٢) – لعله اسماعيل بن الحسن بن أحمد بن الحسن ، ولد تقريبا سنة ١١٢٠هـــ، وتوفي سنة ١٢٠٦هـــ. البدر الطالع١/ ١٤٥

إن كنـــت تـــــهوى أن أذل ... ل وأن يعـــز بـــك الـــسوى

فافعـــل هـــواك فطالـــــما ... قـــد طـــابق الـــشرع الهـــوى

وله أيضاً لبعض أمراء صنعاء :

لو خلت سرْج مطهّم إكلـــيلا ... لحكيت هاروتـــاً بـــه إكلـــيلا

وأراك منه حافراً يطـــأ الهـــوا ... ء وغرّةً تطـــأ الثـــرى تخيـــيلا

فركبت منكوساً ترى المعكوس ... ناقوسه وقد اســـتوى تخيـــيلا

وعلوت أرضاً كالـــــمراءة ... فعكست من تخييلك التمثـــيلا

ووهمت شكًّا حين يصهل قائلا ... هل كان عرْض الصوت منـــه

ولبثت طوع الشك تحتـــسب ... طيفاً فيوهمك الـــمسير مقـــيلا

وظننت أن البيد مرقى ســـلّم ... تعلوه بالخطوات مـــيلا مـــيلا

حتى انتهيت لغاية مقـــصودة ... تـــــدع الـــــــمؤمل ربَّـــــــها

وأتيت من دون العفاة بخارق ... فوهبْت مـــن أمّلتـــه التـــأميلا

حقًّا لكنت وقد تصوّرت الندا ... خلقاً لأجدر أن تنال الـــسولا

فعلام تدرك ما استطار لقدحه ... شرراً كأنّ القدح منك كَلـــيلا

وعلامَ بحرك مذ تقاذف موجه ... درراً فَقَدْنَ التـــاج والإكلـــيلا

لا خلْق أعجـــب منـــك إلا ... بك لا يبرّد من حشاك غلـــيلا

ولقد أرى وهو اليقين مخـــائلا ... للجـــود لا ظنًّـــا ولا تـــسويلا

فازجر إليها طير سعْدك سالكاً ... قصْد السبيل فقد وجدْت سبيلا

١٧٩/ب

وصل التعريف الكريم ، مصحوباً بالما ورد العظيم ، كثر الله عليكم الخيرات، وَوَالَى عليكم البركات ، وما كنت أحب شغلتكم، ولكن أبت تلك السجايا الكريمة إلا إثبـــات كل منقبة عظيمة، ولعلّي إذا عوّلت عليكم من أحيان، وجر السهو على المطلوب ذيـــل النسيان، هزت أريحيتكم يد الذكرى، وأسقط في يدها أن لا أصيخ لها عذراً ، فتضرجت من الخجل جدا، وتفتحت من الوجل وردا، وارفضّت ما تصورته في قواريرك العـــاطرة،

ولعمري ما المرسل إلا ماء ورد سجاياك الزاهرة، فسقيا لتلك الأخلاق ورعيا، ولا بـــرح بدر كمالك مشرقا في فلك العليا والسلام.

وله أيضاً -رحمه الله تعالى- منادياً للسيد علي بن الأحمر في بندر المخا سنة ١١٦٨هـــ:

مولاي لي من حظّ اسم محمد ... **جـــاهٌ يحقـــق لي إخـــاء علـــيّ**

فلأيّ معنى غصْب حقّي بعـــد ... **برح الخفا والحقّ غـــير خفـــيّ**

كأسٌ سقى منـــها الوصـــيّ ... **يسقى بـــها لاشك كل وصـــيّ**

فأجابه :

مولاي يا من معجزات نظامه ... **أخذت مجامع قلب كلّ ذكـــيّ**

جاء الحديث عن النبيّ مصرّحاً ... **بالإمتحـــان لأهـــل ودّ علـــيّ**

لكنّ عاقبة الأمور بلطف مـــن ... **عزّ اسمه من شأن كـــلّ تقـــيّ**

وله هذه الأبيات من قصيدة لم أقف منها إلا على هذا بخطه :

وراح يشقّ نَحْر البيـــد ... **وينـــشد بعـــد أن ضـــمّ**

وليس بمعجز خـــوض ... **إذا اعتاد الفتى خـــوض**

وكيف يسيغه لهـــوات ... **تجرّع منه بحموم الرزايـــا**

أصاب ولم يصب عهدًا ... **وطاب ولم يطـــب قـــولاً**

أُري خيراً فأوّله بـــشرٍّ ... **وحسّن عـــذره خبْـــث**

ورام بأن ينال مناه قسراً ... **فجرّع دونه كأس المنايـــا**

أترضى لا أباك نـــزاع ... **أوامره تبعّدها القـــصايا**

أليس الدهر وهو الدهر ... **يعدّ لديك مـــن بعـــض**

رآك وفوق رأسك تاج ... **وبـــشر يقتـــضى كـــرم**

١٨٠/أ

وله أيضاً :

يا صاحبيّ استغفرا ربكـــم ... **واســـتمطراه الـــمزن**

ما قطّـــب الغـــيم ولكـــن ... **ق قد أرخى قناع الحيـــا**

وقال أيضاً :

أبى الله أن أنقاد للّوم طائعـاً ... ولي عن سماع اللوم لو رمـت

تَذَكُّرُ من فارقتـهم ومعاهـدٌ ... يمثّلها منّي الضمير كمـا هيـا

وتسآلُ ركْب بعـد ركْـب ... خبيراً مواف أو بشيراً موافيـا

فيا ساكني الـسوح اليمـاني ... عهود التداني أم نسيتم إخائيـا

ويا بارقاً يبدو لعيني كرفـرف ... يرقرق عن نوء الثريا غواديـا

يشير كخود قـد لـمحت ... مع الليل من أطراف بُرد بدا ليا

بحقّك حرّرْها مطارف مزْنـة ... تسلسل من دمْع المحبّين صـافيا

عسى بك لي يا برق أعـلاق ... تقوم بقربي منك إن كنت نائيـا

خفوق فؤادي ذو زفير وإنّـه ... لأشبه شيء من خفوقك واريـا

هنالك إن تسمح بما رمته تكن ... أعزّ نسيب بالـمبرّة سـاعيا

فهل أريـنّ العـيس تـدّرع ... وتـذرع أخفـاف الـمطيّ

وتغدو بكوراً في مجاذبة الـبرا ... بكور دفاق السير تطوي الموامي

ونُعمل منها كلّ حرْف لجرّها ... إذا انتصبت في الإرتفاع عواليا

قواصد أطلال أطلْن تأسّـفي ... عليها وعنها قد أطلت غيابيـا

وما بـالكم قـومي عـسيتم ... نواسخ أرحام لتلقوا التـصافيا

بماذا انطلقتم في القطيعة والجفا ... وممّـا الجبـستم أن تـصونوا

أبالمجد استوطى لكم صـهواته ... مراكب أدركتم عليها المعاليـا

بذلك أم بالفخر أنسجه لكم ... بروداً لبستوها وكنتم عواريـا

وهل رمتمُ لـمّا انبعثـتم ... لأسـباب ودّي تـخفـضون

لقد سفّهت آراؤكم وظنونكم ... فكيف رأيتم للمحـال ثباتيـا

١٨٠/ب

وقال - رحمه الله - وقلت على لسان بعض المدروزين ومضمّناً:

أوانيك التي ملئـت سـبايا ... غدا الصبّ الكئيب بـها سبايا

فإن يك بعدها شيءٌ فقـل لي ... لأعلـم أن عنـدكمُ خبايـا

فكم خضت الزحام ولا أبالي وكم فتّـــشت في بيـــت زوايـــا

وكم صارعت شخص الموت بـــدا لي ناجذيـــه مـــع الثنايـــا

أصارع في السماط جيـــوش وأهزمها ولـــو كانـــت ســـرايا

وأفلق فيه هامة كـــلّ كـــبْش ولا أخشى الملامـــة في البلايـــا

ولم يمنع وصـــولي في سمـــاط وُحولٌ لن تـــسير بـــه المطايـــا

على أني سأنـــشد بافتخـــار إذا اعتاد الفتى خـــوض المنايـــا

وله أيضاً :

وَعَدْتُ أبا عليٍّ بالتلاقي وما أخلفت موعده بملكي

ولكنّ المشيئة خلّفـــتني فكيف تـــصرّفي في غـــير

وله أيضاً : [1]

---

(١) – هكذا في المخطوط، ويظهر إن عند جامع هذه الزياده شعرا كان يطمع في إضافته.

زيادة نسخة (أ)

أ/٢٣٢

أرسل إليّ السراج الأديب عمر شهاب الدين[(١)] بـــهذه الأبيات لسبب اقتـــضى ذلك:

إنِّي أقوم لربّ الجاه يـــوم رجـــا ... محمّد قابل الـــمجد الذي زانـــا

لا تتركنّ جميلا قد سمحـــت بــــه ... والله يجزيك بالإحسان إحـــسانا

اغرس من العرْف ما تجني الثنـــاء ... خيرا وتذخر عنـــد الله رضـــوانا

لا زال جاهك للاّجئ إليه حمـــى ... يَقية من سطوات الدهر إن خانـــا

فأجابه الفقير إلى ربه محمد[(٢)]:

منَحْتني منك بالإخلاص إحسانا ... أرْجَحْتني بـــالوداد الـــــمحض

أوْليتَني برَّك الـــميمون مُلتمسا ... منِّي الإفـــادة إيـــضاحا وتبيانـــا

أحللتني رُتْبَةَ الأشـــياخ معتقـــدا ... بحُسْن ظنّك أنِّي الآن سَـــحْبَانا

نظرتني بفـــؤاد شَـــفَّ جـــوهره ... فَرَاقَ عَيْنَكَ ما شاهدت وازدانـــا

ولست ذاك وأنّي لي بـــذاك ولم ... أكن هناك ولكنْ كان مـــا كانـــا

فالفضل للكَرَمِ الـــمطبوع فيك على ... شهوده فيّ تـــــمييزا ورُجْحانـــا

داهَقْتَنى نُخَب الإبداع مُتْرعـــةً ... من القوافي يَدَعْنَ اللبَّ نشوانا[(٣)]

بعثت من غُرَر القول البديع بمـــا ... يَعْنو له الـــمـــصْقَعُ الـــــمقوال

حتى تخيّلتُ من سحْر الكلام أهلْ ... نظمتَ لي اللفظ أم نظّمْتَ عقْيَانا

---

(١) – سبقت ترجمته ، الديوان ص ١٩٥.

(٢) – يقصد الشاعر بذلك نفسه ، أي محمد قابل الجداوي.

(٣) – في المخطوط ، اللب : للب .

لا زلتَ في أفق العليا سراج هدى | ولا برحت لعين المجد إنسانا

قال وأرسل إليّ السيد زين العابدين الخطاب هذه الأبيات:

٢٣٢/ب

قل للجمال أضعتَ عهْد مودّتي | عمْدا وأبدلتَ التواصل بالجفا
ما كان ذا شَرْطَ الذين تقدموا | وإليك تنتسب المكارم والوفا
[أذنبتُ]إلا إن فضلك قابلٌ | للصفح عن مثلى بتجديد الصفا[1]

قال : فأجبته:

إني وحقّك في ودادك واثقٌ | بحفَاظ عهْدك لا أزال على الوفا
ما كان منّى نقْض عهْد مودّتي | لك لا ولا قصدي البعاد أو الجفا
لكنّما طبْع الزمان مُخالفٌ | لطباع إخوان المحبّة والصفا

وقال: وأرسل إليّ المرحوم الشيخ حسين أبو عنبة[2] بهذين البيتين المشهورين والتمس مني جوابا عليهما فامتثلت على قدر الاستطاعة:

كيف الوصول إلى سعاد ودونها | قنَنُ الجبال ودونهنّ حُتُوف
الرِّجْل حافيةٌ وما لىَ مرْكبٌ | والكفّ صفْرٌ والطريق مخوف

قال : وهذا الجواب:

من حاول الأمر النفيس تطلّبا | لم يثْنه عن قصده التخويف
يسخى ببذل النفس فيه وإن يكن | شرفا لها إن المقام شريف

قال: وأرسل بعض الأصحاب إليّ هذين البيتين وطلب منّي جوابا عليهما:

مَلَكْتَ بكلِّ حسْنكَ بَعْضَ قلبي | فإن تُرد الزيادة زدْت حُسْنا
وحُبُّك زهرةٌ في روْض قلبي | تكاد براحة السلوان تُجْنَى

قال : فكان الجواب هذا:

طلابُكَ بَعْدَ كلِّ الحُسْن حُسْنَا | فواتٌ في المرام لكل حسنى

---

(١) – ما بين المعقوفين فراغ في المخطوط.

(٢) – لم أجد له ترجمة.

إذا لم تنجـــذب كُـــلاًّ بكـــلٍّ فما لبقاء مُلْـــك الـــبعض معـــنى
تـــنحّ إلى ســـلوّي عـــن ودادي وخلّص بعض قبلك ذا الـــمعنّى

قال: ونظمت هذه القصيدة لباعث إلى الشيخ سعيد بايوسف:

تـــخلفتَ عَنَّا يا سعيد بلا عـــذْر وفاتك معنى الأنس في ليلة البدر
عهدناك ما تنفك عنّا فما الـــذي بدا لك حتى ملْت للصدّ والهجر
وما كان هذا الظن فيك كأنَّمـــا بنيْتَ التجافي للتصافي على أمـــر
رأيناك قد ألغيتنـــا بعـــد إلْفَـــة كإلغاء حرف الواو في اللفظ من
وآثرت دكّان الشكوري وحزْبه علينا اغتباطا منك بالسكّر النذْر
أمَالَكَ عَـــنَّا الـــمُغْريان إلى الصـــبا شبابك والزهـــو الـــــمكتّم في
فبالله لـــمْ جافيتنـــا ووصـــلتهم وأوحشتنا بالأنس فيهم وبالبـــشْر
وأعتضت أحبابا ســـوانا مجانبـــا موالاتنا بالسرّ منـــك وبـــالجهر
تكدّرت منّا واصطفيت ودادهم وما زلـــت تـــستجلي هـــواهم
فإن تك قد أدركت ما يوجـــب فأبرزْ خفاياه وأبـــرزْه في ســـتر
ولم يك هذا إنّما هـــي صـــورة خياليّة زفّت من الـــوهم للفكـــر
تراءت ولـــمّا أن رأيت خيالهـــا طبعت بـــها العرفان في زيْـــرق

١/٢٣٦

وقال مجيبا للشيخ خضر الرشيدي:

عَطَفَتْ فلا شكوى ولا عَتَبُ ودَنَتْ فلا ســـلوى ولا نَكَـــبُ
سَمحتْ بلُقياها لـــــمُغْرَمها جادت بما قد كنـــتُ أطّلـــب
جنحتْ لسلْمى بعد أن جمحتْ للحرب حتَّى قـــام بي الحَـــرَب
ردّتْ ليَ القلب الذي استلبتْ وتداركتْ ما أَنْـــهَكَ الوصب
منّتْ ولا منّتْ علـــيّ بمـــا أولتْ من الرحمى ولا عجـــب
مَنَحَتْنِيَ البقْيـــا علـــيّ رضـــا منها وزال السخط والغـــضب
نظرتْ بعين اللطف حيث غدا في مُلْكها الـــمسلوب والسَّلّب
حَسُنَتْ مواقع برّها جَبَـــرَتْ صدْعى تناءى الهـــمّ والتعـــب

وافتْ كما أهــوى فــآمنني يُمْن الوفا ما كنت أرتـــــهب

وَصَـــلَتْ صـــلات الوصْـــل فتعـــــانق التأميــــل والأرَب

وطوتْ بساط العذْر واقتربت فتوافـــق التنويـــل والطلـــب

سَـــفَرَتْ سُـــفور الـــشمس بضيائها الأرجـــاء والـــشّعَب

وبدت بمرأى الحسْن فارتفعت من بيننا الأســـتار والحُجُـــب

وجَلَتْ محاســـنها لباصـــرتي وبصيرتي مـــا لـــيس يحتجـــب

من كلّ ما كُلِّي بـــه شـــغفًا لجمالهـــا بالـــشوق ينجـــذب

والحسْن يبعـــث لي بواعثـــه منها فيُرقـــصنى لهـــا الطـــرب

فتنـــزّهتْ عيْنـــى ببهجتـــها في روضـــة للُّـــبِّ تختلـــب

شاهدتُ منها منظـــرا نَـــضرا سجدت له الأقمار والـــشهب

وضممتُ منها معطفا خـــضلا زانته أثـــواب البـــها القـــشب

فإذا انـــثنى أو قـــام معتـــدلا خشعت إليه السُّمْر والقُـــضُب

ولثمت منها مبـــسما عطـــرا حلو الـــمقبّل زانـــه الـــشنب

يفتــــرّ عـــــن درٍّ مغارســـــه قد دار فيها الراح والضَّرَب(١)

وجنيت من إبريـــز وَجْنَتها زهرا تـــراءى حولـــه اللـــهب

وطفقت من فرط الغرام بـــها أدنـــو لهـــا حبًّـــا وأقتـــرب

يا حبّذا ورْد الخـــدود جنـــا يا حسْن ما قد أثمـــر الـــذهب

وعلى اغتباطي والسرور بـــها أبكي لهـــا وَجْـــدًا وأنتحـــب

وبما قضت لي من تقرّبـــــها أفـــضى مـــسرّاتي وأقتـــضب

وبما أتاحـــت مـــن لطافتـــها أصـــطاد لـــذّاتي وأنتـــهب

وأخصّ خالصة الـــوداد بمـــن شرفت برفعة قـــدره الرتـــب

شمس الفضائل من أضاء بـــه أفْق الكمـــال وأشـــرق الأدب

٢٣٧/أ

(١) – الضَّرَب : العسل الأبيض الغليظ. لسان العرب (ضرب)

الـــمصْقَع الخنْذيذ أبلغ مـــن … زهدت به عن قُسِّها الخطـــب
المحرز الشَّأو الـــذي قـــصرت … في النبل عنه السبعة الـــشهب
يزهو القريض بنظْمه فتـــرى … درّ القريحـــة وهـــو مختلـــب
بحر البلاغـــة كـــم بفكرتـــه … يجلـــو لنـــا دُرَرا ويجتلـــب
أعني جمال العصر من حسُنت … ببقائـــه الأيّـــام والحقـــب
ظهرت فضائلها بـــها فزهت … فجمالـــه لجمالهـــا ســـبب
لا غـــرو للمـــثني عليـــه إذا … لم يُوفه الـــمدح الـــذي يجـــب
فعُلاه أرفـــع أن يحـــيط بمـــا … لـــمقامه الإمـــلاء والكتـــب
يا ســـيّدي وَرَدَتْ عقيلـــتكم … عذراء يحمى زيْنـــها الحـــسب
تختال في حلـــل البـــديع بمـــا … يسْبى النهى حـــسبا ويـــستلب
حسناء ما في خَلْقهـــا خَـــوَرٌ … أبـــدا ولا في خُلْقهـــا ريَـــب
أبياتـــــها بـــالنظم محكمـــةٌ … ألفاظهـــا مطبوعـــةٌ عُـــرُب
أمـــا المعـــاني في بلاغتـــها … غررٌ نفـــائس كلّهـــا نُخـــب
وَرَدَتْ وفي ضمْن القـــريض … رجْعى إلى ما كنـــت أرتقـــب
بـــشرى سَـــرَتْ في الـــروح … فالقلب منـــها للقـــا طَـــرب
فحمـــدت عقـــبى الـــصبر … روحى فلا نـــأيٌ ولا نـــصب
ما خاب لي في حبّكم طمـــعٌ … ما فاتني مـــن قـــربكم طلـــب
هُنِّيـــت أيَّـــامى بكـــم نُـــزَهٌ … تزهو وســـاعاتي بكـــم قُـــرَب

وقال: ونظمت هذه القصيدة لمولاي السيد الشريف خلاصة آل الحسن السيد سعد بن السيد زيد بن هاشم بمكة المكرمة عام ١٢٠٨هـــ :

بَدَتْ تتهادى ربّـــة القـــرط … بأهيف خطّار من اللَّحظ عسّال
ولاحت بأفْق الحسن شمـــس … لباصرتي من مطلـــع الـــشرف
غزال كنـــاس إن رنـــت أو … رأيت لها باللحظ سطْوة ريبـــال
قضى الحظّ منـــها لي بوصـــل … عليّ قضت بُعْدا لتقطيع أوصالي

فرقّ لها قلبٌ ومالت معاطفٌ فهمت بميّال ورقّة ميال
وَوَافَتْ وأوْفت واصطفتني وقد خلصت لي باتّصال وإيصال
تدلّت لقربي بعد طول دلالها فأحرزت إعزازي بها بعد
جلت بمجاليها غياهب وحشتي فيا حبّذا مجلوّ ببهجتها الجالي
أضاء بها كوني وشرّف مكاني وإمكاني وقام بها حالي
فيا حسْن مرآها وقد أقبلت به عليّ ولقياها بأحسن إقبال
وأحسن كلّ الحسن منها خبيئة فَلَلْتُ بإغنائي بها جيش إقلالي
تنفّس صدر الغيم منها لطيفتها من مطلع الأدب العالي
ظفرت بها من كنزها ضنينا بها حرْص البخيل على
وما هي إلا رونق المجد والعلا تلألأ لي من جوهر الحسب
تلألأ لي من أريحيّة ماجد أغرّ كريم الجدّ أروع مفضال
همامٌ عظيم القدر ندبٌ حلاحل فيّاض المكارم هطّال
مقدّم فخْر والنسيب مقدّمٌ يقصّر عن أدنى مدى شأوها
خلاص العلا صنو السماحة منار هدى قاموس فضل
ثبير حجا طودٌ من الحلم صدوق مجالي الفكر والفعل
أبي السعد سعدٌ نجْل زيد بن سليل المعالي مَحْض سلسلة الآل
يلاقيك منه غرّة حسنية يضيء سناها في جلال وإجلال
على أدب غضٍّ لنفس زكيّة وطبع شريف في كمال وإكمال
فأكرم بسعد طال للمجد به ونما فخري به بين أمثالي
فهاك ابن زيد بكْر فكْر أزفّها إليك إلى العليا إلى نظر عال
فمحّض لَها منك القبول فإنّها إذا حسُن المثوى لها نلتُ

وقال مجيبا أحمد بن عبد المطلوب:

وافت ترنّح عطْف القدّ كالأسل تختال تيها بحلى الحسْن والحلل
وأقبلت وسنا إشراق طلعتها إذا تجلّى يفوق الشمس في

الغصن من قدّها الـــممشوق في ... والبدر من وجهها المعـــشوق في
وعالم الحسْن والإحسان في طرب ... لـــما حوته من الأوصـــاف في
حسناء خلف حجاب الصون لو ... تغدو لبهجتها الألباب في شغل
ممنوعة الوصـــل قامـــت حـــول ... بيض الظُّبا وقنا العسّالة الـــذبل
لحُسْنها تقف الأبصار من بَهَـــر ... وتستفزّ لها الأفكار من دخـــل
ترنو فتنفث بالألحـــاظ في عقـــد ... سحْرا به مهج العشّاق في عقل
تغزو الفؤاد بأجفـــان يغـــازلني ... منها الفتور برمش الأعين النجل
يا فتنتي من مآقيها التي أســـرت ... قلبي بناظرهـــا الــــمكحول
أصبو إليها فتـــهزو بي وأســـألها ... نحوي التفاتا فما ترضى التلفُّتَ
أوصافها الغرّ راقـــت بـــــهجةً ... فعلّمـــتنيَ فيهـــا رقّـــة الغـــزل
أبْهَى وأجمل منها رونقـــا وســـنا ... أخلاق أحمد بالتفصيل والجمـــل
الـــماجد الــــماثل الـــسامى ... للمجد في طلب العليـــا علـــى
شَمْس المعارف قاموس العوارف ... ـــكاة اللطـــائف روح العلْـــم
زين الشمائل محمـــود الخـــصائل ... ب الأفاضل نور الفضل والنبل
روْضٌ من الأدب الغضّ النـــضير ... للمجتلى المجتنى بالمنظر الخـــضل
يلقاك منه محيّا البـــدر في بـــشر ... بوجه منبلج بالبـــشر مقتبـــل
وتـــهتدي من سجاياه إلى خلـــق ... عذب ألذّ من التسنيم والعسل
يستوهب الزهْر معنى من لطافتـــه ... برأي مستكمل للّطف محتفـــل
ويستمد الصبا من طيبـــه أثـــرا ... تزكو بـــه نـــسمة الأصـــباح
يا إبن عبـــد اللطيـــف اسْـــمح ... في الودّ ما صار في التاخير مـــن
إنِّى تأخَّرْت عن ردِّ الجواب لـــما ... نظمت لا عن قلا منّى ولا ملل
وإنما جرت الأقـــدار واشـــتغلت ... بواعثى فمشى فكري على مهل
أمّا العتاب الذي تشكوه لم يـــك ... تنكُّر في الوفا حاشا ولا عـــذل
ولا قصدت بإعتابي لبعدك عـــن ... داري ولا عن محاباة ولا خلـــل

وإنما هو ناش عـــن تـــصوّر مـــا   طرا عليك من الآلام والكـــسل

آثرت وحدتك المقصور نشوتـــها   عليك أنـــسا بكـــنّ الحجْـــب

حرمت صحبتك أيّاما مؤانـــسة   هى الشفاء لنا من سائر العلـــل

فالله يشفيك ممَّـــا تـــشتكيه ولا   يريك بأسا ولا يلجيك للزعـــل

أبرز لنا من خبايا الكنّ وابدُ لنـــا   وجد علينا بجمع الشمل واتّصل

لتنجلى في مجالينـــا وتحـــضر في   محاضر الأنس معْنا غير منفصل

عذرا إليك فإني قد بعثت بـــــها   مستعطفا جانب الإغضا لتشفع

قال : وجاءني من الجناب الكامل الشيخ عثمان بن محمد بن سلمان البصري هذه الأبيات لمقتض صار له ،وهي هذه:

حويْت الفخار بجـــاه عـــريض   فديتك فانظر لهـــذا القـــريض

قواف تعافـــت لهـــا فكـــرتي   فأنت الكريم وآســـى المـــريض

أيا بـــدر جـــدّة بـــل شمـــسها   خضمّ عباب فـــرات مفـــيض

إليك الشكاية يا ابـــن العـــلا   لقيني الزمـــان بوجْـــه بغـــيض

فإنّى ودهري بحـــال عجيـــب   إذا سرّ يومـــا أتـــى بـــالنقيض

فمـــاذا ترى لي بـــما قـــد جـــرى   فمثلك نعم المشار الـــــمعيض

قال فأجبته:

أيا ذا الجمال البهيج الغـــضيض   وروض الكمال الأريج الأريض

ويا نخبـــة الحـــسب الـــــمنتقى   ونـــافورة الأدب المـــستفيض

بعثـــت لـــيَ الـــدرّ في ســـلكه   وشنّفت سمعى بنظم القـــريض

وقد فاض لي جوهر اللفظ مـــن   عبابك يا حبّـــذا مـــا يفـــيض

شـــفيت فـــؤادي بمـــا صـــغته   مـــن القـــول داويـــت قلـــبي

رفعــــت مقــــامي بـــــه للعــــلا — [سمـــــوّا] إلى النجــــــد بعـــــد

نبثــــت بــــشكواك لي نــــاظرا — إليّ بعين الصفاء الـــــمغيض[2]

وأحــــسنت ظنّــــك بي شــــائما — لبارقة اللطف منّــى ومــيض

وأرجــــــو مـــــن الله تحقيقـــــه — وإن كان منهاض عزمى مهيض

على أنّ بي مثــــل مــــا تــــشتكي — من الدهر دمتُ به في جريض[3]

وإنّــى بــــدهريَ حلــــف العنــــا — يلاحظني منه طرف الغــضيض

تولّــــع بــــى في تــــصاريفــــه — بـــهمٍّ مديد طويـــل عـــريض

فــينــتاشـــنى في تقـــالــــيبه — بظفْر صروم ونـــاب عــضيض

أرى الدهر للحــرّ يــا سـيّدي — كما قد علمت عـــدوًّا بغـــيض

وإنّي أرى لــك في مــا جــرى — وإن كنت بالكرب منه معـيض

رجوعـــك في حـــلّ معقـــوده — إلى الله فالله نعــم الـــمعيض

وصـــــبرا لجائحـــــة تنجلـــــى — تعود بــها السود بالصبر بيض

وجاءني منه(من الشيخ عثمان البصري) هذه أيضا بعد الأولى:

أيا ابن السراة الكــرام العظــام — وقيت صروف الزمان الـمُلام

وسدت بما عــزّ مــن ســؤدد — ونلت لمَا رمــت عــزّا دوام

تــسنّمت مجــدا ســنام العــلا — ولا غرو ذاك مكـــان الكـــرام

وحـــزْت الفــضائل مجموعهـــا — وأحرزت للفضل من عهد سام

وفقْت بــنظم يحــاكي الــلآل — فما ابن مليك وما ابن النظــام

---

(١) – ما بين المعقوفين بياض في المخطوط. النبث في الأصل استخراج التراب من الحفرة ثم استعير للبحث فقيل نبثوا عن هذا الأمر بحثوا عنه وقد تنابثوا تباحثوا

(٢) – (النبث) في الأصل استخراج التراب من الحفرة ، ثم استعير للبحث فقيل نبثوا عن هذا الأمر بحثوا عنه وقد تنابثوا تباحثوا. التوقيف على مهمات التعاريف ، لمحمد عبد الرؤوف المناوي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دمشق ط١ ١٤١٠هـــ تحقيق : د. محمد رضوان الداية

(٣) – الجريض : غَصَص الموت ، لسان العرب (جرض).

فــــساغ لـــسمعي فـــبَخٍّ بَـــخٍ ... لعمري كأنِّي حـــسوت المـــدام

شـــفيت كئيبـــا أخـــا حرْقـــة ... من الوجد مضنًى شج مـــستهام

نعم قلت حقًّـــا بـــأنّ الزمـــان ... قد انعاج يسرا لسوح اللئـــام

ترى كـــلّ شـــهم ذكـــيّ بـــه ... عليه الصروف كسحّ الغمـــام

وكـــــلّ رديءٍ بـــــذيٍّ تجـــــد ... على بابه اليـــسر أيّ ازدحـــام

حمـــاك الإلـــه فمـــا ضـــائرٌ ... رثاثة غمد الـــصقيل الحـــسام

أما والقـــدير الـــسميع الـــذي ... أمات وأحيـــا كفيـــل الأنـــام

لظنِّـــي الجميـــل بـــه دائمـــا ... فكيف أخيب وحاشـــا أضـــام

فأجابه الفقير:

أأهديت لي الدرّ يا ابن الكـــرام ... بديع النضارة بـــاهى النظـــام

أم الزهر دبّـــج أنـــواره الـــ ... أريجـــة فـــتّح عنـــها الكمـــام

أم الـــراح نـــضد [راؤوقهـــا] ... حبابا وقد فضّ عنها الختـــام(1)

أم الزهـــــر تنـــــشر أعلامهـــا ... لتطوي مطارف سجف الظـــلام

أم الشمس مدّت شعاع الـــسنا ... على الوهد أم لاح بدر التمـــام

ومـــا ذاك كـــان ولكنّمـــا ... بعثت القريض بسحر الكـــلام

بعثـــت عقايـــل نظـــم بـــدت ... تبختـــر في حلـــل الانـــسجام

جلت لي عـــين المعـــالي علـــى ... منـــصّات ألفـــاظهنّ الجـــسام

نظمـــت البـــديع بأبياتـــــها ... بسلك القوافي العوالي التـــوام

وصـــغت البلاغـــة يـــا ربّهـــا ... وأحكمت ما صغت أيّ احتكام

وأفرغتـــها جمـــلا فـــصّلت ... بألفاظهـــا والمعـــاني الفخـــام

حوى الحسن تفـــصيل إجمالهـــا ... فيا حـــسن مبـــدؤها والختـــام

فوافـــت ترينـــيَ مـــن نظمهـــا ... ثغور الفـــصاحة ذات ابتـــسام

---

(1) – ما بين المعقوفين فراغ في المخطوط.

جلبت الــسرور لقلــبي بـــــها فحرّكت منّي رســيس الغــرام

وكانت من الــسمع في موضـــع يقوّي الشجى ويهــيج الهيــام

فلـــيس الأغـــاني وألحانـــــها وسجع القماري وصدح الحمام

بــأطرب مـــن حـــسن إقبالهـــا علـــيّ بـــودّك والالتئـــام

أتاحـــت لي الـــودّ يـــا حبّـــذا ودادك يـــا حبّـــذا الإغتنـــام

وقـــد ســفرت بمحيّـــا الوفـــا وقد حسرت عن سناه اللثـــام

فألفيت قـــسْمى بـــــها وافـــرا من القرب منك وخطّى استقام

وشاهدت منها الجمـــال الـــذي محيَّـــاك مطلعـــه يـــا همـــام

وآنـــسني منــــك مـــا نلتــــه من العـــزّ بـــالله في مـــا يـــرام

ولا بدْع في من سَـــمَت نفـــسه إلى ما سَموت بـــأن لا يـــضام

وحسبك من دهـــرك الــــمغرم عرفت اطّراحا له عـــن مـــلام

وهل لذوي الفضل إن حـــاولوا مراما من الدهر نالوا الــــمرام

وحسبي بـــها صـــحبة منـــك لي سروري بهـــا تمّ لي واســتدام

صـــفت حـــرس الله أطرافهـــا بصدق الإخا وبحفــظ الــذمام

وجاءني من الأجل الكامل المرحوم الشيخ حسين أبو عنبه هـــذه الأبيـــات معاتبـــا ومستدعيا:

جَمالي ما عهدنا منــك جفْـــوه ولم نعرف لطبعك قـــطّ قـــسوه

هجرت الشيخ شـــهرا لم تعـــرّج عليه ولم تـــزر بالليـــل قبْـــوه

تفضّل عنـــدنا سَـــمَرٌ لنحظـــى بأنسك أنت في الخلاّن صـــفوه

ولا تحرم محبّك بـــا ابـــن يحيـــى فـــسمرتنا بقبّـــوس وجلـــوه

فأجبته رحمه الله :

وحقّك لم يكن هجـــري لجفـــوة تكـــدّر بيننـــا للـــودّ صـــفوه

وإنِّـــــى لا أزال علـــــى ودادي وإخلاصى وما بالطبع قـــسوه

ولكن كنت معْك على اجتمـــا ع بمن نـــهوى وكـــم لي معْـــك

وصبوتنا على ما لـــيس يخفـــى وقد بـــدّلت صـــبوتنا بـــصبوه
أتـــذكر ليلـــةً رمْنـــا اختلاســـا بـــها للأنس فانقلبت بـــدعوه
ألـــم يا أنـــسنا نـــاسٌ غـــلاظٌ لهم في السكر عربدة وســـطوه
بـــهم ضاق الـــمكان فلا مكان ولا صدرٌ تبقّت منـــه فجـــوه
أضاعوا أنس صحوتنا السكارى وقد دخلوا علينا القبو عنـــوه
وقد حلَّـــوا بمجلـــسنا فحلُّـــوا صفانا عروةً من بعـــد عـــروه
وقد نثروا لنـــا عقـــد التـــصابي بسكرتـــهم وقالوا السكر نشوه
كـــأنّ القبـــو مركبنـــا ببحـــر وقد غمزت به للـــريح شـــروه
وهم أربوا على العـــشرين عـــدّا وقد جاءوا لنا بـــثلاث نـــسوه
أثار الـــسكر بينـــهما خـــصاما لغانية ومـــا هـــى غـــير لبْـــوه
فكم من ضارب لأخيـــه حُمقًـــا لشهوة نفسه من غـــير نَخْـــوه
وكم من هارب من خوف عـــار وكم من صارخ في الناس عزْوه
وقال الشيخ ضاع العقل مـــنكم وما هـــى فـــيكم والله حـــروه
وما هي ياه مـــا هـــذا قياســـى ولكن يا رفاق العلـــم غـــدوه
ولكنّى أنا ابـــن الـــشيخ لـــولا مكاني ما احتملت الضيم رعوه
وكانت ضجَّةً عمّـــت وطمّـــت وشاعت عند كلّ الناس ضحْوه
فهذا كان داعـــى الهجـــر منّـــى وما للقلب عن مغنـــاك ســـلوه

وقال معارضا قصيدة ليوسف الأمير:

قد قبلتم مـــن الـــسلوّ إشـــارة وقضيتم لهـــا بحـــقّ البـــشاره
وفررتم من الهوى بعـــد كنـــتم في قيود الهوى وذقـــتم إســـاره
وجنحتم إلى التسلّى عن الحـــب ب نفـــارا بـــأنفس طيّـــاره
وادّعيتم أنّ العذار يزيل الحسْـــ ـــن حاشاه بل يزيـــد نـــضاره
هى دعـــوى ولا دليـــل عليهـــا قد أقمتم بها على الحسن غاره
ليس هذا شأن المحبين للحـــسْـــ ـــن ولكن طبـــاعكم نفّـــاره

لو خلصتم في حبّ من قد ... ما سلوتم لَمَّا رأيتم عذاره

لا ولا ملتمُ عن الحبّ حتَّى ... لو نسجتم من العذار غراره

إنَّما الحبّ منكمُ كان ميلا ... لوصال ورغبة في زياره

والهوى المحض ليس ينجح فيه ... سلوةٌ باستخارة واستشاره

والذي يعشق الجمال يرى الصبـ ... ـوة في عشقه الجمال شعاره

والمحب الولوع ينقاد للحسـ ... ـن ويلغى اختياره واضطراره

ليس يسلو بعارض قصد الرو ... ض ليسقى ماء الحيا أزهاره

قد رميتم من قد هويتم بما لم ... يك فيه لعلمكم من أثاره

قلتمُ الشعر فيه ليل صدقتم ... وأجدتم في حسن هذي العباره

رمتمُ القدح وهو مدحٌ بليغٌ ... كان في بابه بديع استعاره

وإذا لم تسلّموا قلت يكفى ... ـن معنى فيه علمنا اشتهاره

هو بدر الجمال دار عليه ... عارضاه كهالة البدر داره

حفظ الله حسنه بعذار ... مستدير عليه أيّ استداره

عوذةٌ من عين الحسود وسترٌ ... عن عيون لغيره نظّاره

ومحيّاه باهر الحسن باه ... ما على وجهه الجميل ستاره

وإذا تاه بالجميل على العشا ... ق فالتّيه لا يفيد نفاره

إنما عاشقوه أهل ملال ... خلطوا العشق في الهوى

قال: وفي سنة ١١٩٠هـ وصل الندب الفاضل حاوي الفضائل السراج عمر بن المرحوم محمود حيدر المدني[1] من المدينة المنورة إلى جدة، فأرسلت إليه هذه القصيدة مهنئا بالوصول:

بدت تستهلّ الفضل من أفق ... وجاءتك تستهدي بنورك للرشد

وأمّتْكَ تتلو لاستماعك ما حوت ... لأفضالك المشهود من سورة

(١) – سبق التعريف به ص ١٩٥ من الديوان.

خبيّة ودٍّ أودع الحــبّ ضــمنها   عبير ثناء فــاق عــاطرة النــدّ

مهذّبةٌ تجلــو لعينــك حــسنها   منضّدةٌ تزري بمنظومــة العقــد

نمت منشأً في لطْفها عن ســريرة   زكت بالوداد المحض عــن درن

أقام لها الحبّ الصحيح قواعــدا   وشيّد مبناها على الــصدق في

فأهديكها عذراء بنــت قريحــة   عقيم وفكر عاجز أبدا مكــدي

مُمنَّعةٌ ما صاخ سَــمْعٌ للفظهــا   ســواك ولا مُــدّت لملمــسها

مُمتّعةٌ من سلــسبيل رضابــــها   بأمتع ما لم يَحْوه سلسل الشهد

وقد زفّها صدْق المحبّــة والــولا   عروسا إلى علياك زاهية الخــدّ

أَجلْ في مباني حسنها منك ناظرا   ونزّه عيون الفكــر في خــدّها

وأنت خبير أنّ عــين صــداقها   خلوص وداد لا الخلاص مــن

وسل واختبر ما عندها لك مــن   فيعرب عمّا في ضــميري مــن

تفيدك من منطوقها واجب الثنــا   وتنهيك من مفهومها خــالص

وتــهدي لك الدرّ الذي أنــت   وقد كان حقا أنــــها منــك

وتبدي لك التبر الذي منك أصله   ولا أدب منها لمثلك ما تبــدي

ولكنّما لَمَّا اقتضى الحبّ نظمهــا   لمقدمك المبرور جــاءت بمــا

توالي لك التأنيس يا خير قــادم   وتمنحك الترحيب يا أكرم الوفد

حللت بلادا مــستهاما فؤادهــا   بحُبِّك مشتاقا إليك على البعد

فلله ما قد أحرزت منك جــدّةٌ   من الفخر لَمَّا زرتَها يا أخا ودّي

نشرت بــها فضلا وأكــسبتها   وأسديتها نورا فيا نعم ما تسدي

وأشرقت بدرا في مطالع حــسنها   كإشراق بدر الــتمّ في مطلــع

فيا عُمَرَ الأفضال لا زال عــامرا   بك الفضل مــأهول المعاهــد

فأنت السراج المستضاء بنــوره   إلى مشرع الآداب مــستعذب

لذاتك من أوصافها ونعوتــــها   تفاصيل إجمال من المجد والجــدّ

تسمّيت باسم قد كساك بــهاؤه   وأعلاك منه السرّ في ذروة المجد

إليك من الخلّ الصديق عجالـــةً صرفت إلى تحـــصيلها منتـــهى

مقصّرةٌ عن حصر ما لك من علا وقفت بـــها من دون حدّك عن

فقابل محياهـــا مقابلـــة الرضـــا بعين التغاضى والسماح عـــن

بقيت حميدا يا ابن محمود حيـــدر إمام اقتداء للعلوم بمـــا تُهـــدي

ودمت سعيدا ما عيـــون مَحَبَّـــة بدت تستهلّ الفضل من أفـــق

سدى

الصفحة	مطلع القصيدة	القافية	البحر	عدد الأبيات
٤٠٧	هبت نسائم لطف ترشد الرشدا	غردا	بسيط	٢٢
٤٠٩	ولقد دعوتك ناحلا وغدرت في	الصدى	كامل	٢
٤٠٩	يا غائبا وسويدا القلب مترله	السهدا	بسيط	٢
٤٠٩	يا غريمي وأنت عين غرامي	الإرادَة	مديد	٢
٤٠٩	شرفت منكم عقود	الموَّة	مجزوء الرمل	٢
٤١١	يا سالب النوم من جفوني	حدًّا	مخلع البسيط	٤
١٩	صاح داعي الفلاح في كل ناد	الرشادِ	خفيف	٥١
٢٢	أمدنا الله الغفور الودود	جودِ	سريع مطوي	٢٨
٧٣	أشاطركم صبري الجميل على البعد	العهدِ	طويل	٢٠
٧٤	من صباباتي إلى وجدي	نجدِ	مديد	٣٥
٧٥	خطرت مهينمة الصبا النجدي	النّدِّي	كامل	٢١
٧٧	أتراه يسمح باللقا لعميده	عبيدِه	كامل	١١
١٥٤	سرت نفحات الهدي من علم الرشد	المجدِ	طويل	٢٤
١٥٦	تطولت يا زين الكرام على العبد	الجدِّ	طويل	١١
١٥٧	خليلي وافاني الزمان بمقصدي	موعدي	طويل	٣٨
١٥٩	ما نفح غالية وندّ	رندِ	مجزوء الكامل	٤٣
٢٢٥	لاح بدر السعود والإسعاد	الإمدادِ	خفيف	٥

الكامل

١٧٣	قلبي يفيدك عن سلامة صدره	غدرِه	كامل	٨	
٢١٨	شمس المحاسن أشرقت	بلّورِ	مجزوء الكامل	٩	
٢٢٥	بشراك هذي الدار مأنوسة	المجدِ	مديد	٢	
٢٢٥	هي الدار إلا أنّها دارة البدر	الفخرِ	طويل	١٦	
٢٢٧	جلت منظرا في الحسن أبــــهى من البدر	الزهرِ	طويل	١٢	
٢٢٩	سمت المحافل والمحاضر	المحاضرِ	مجزوء الكامل	٣٥	
٢٥٢	أخا الود كم تخفي هوى قام لي به	النكرِ	طويل	٤	
٢٧٠	الحسن طيف مضى في نومة الصغر	الكبرِ	بسيط	١٩	
٢٨١	جلت صبح مرآها بغير شعور	شعورِ	طويل	٢١	
٢٨٥	ورب إكديشٍ ضنا جسمه	الشعيرِ	سريع	٤	
٢٩١	لي صاحب مغرى بغم جليسه	سرورِه	كامل	١٠	
٣٢٠	على بانة من قده طلعة البدر	الزهرِ	طويل	١٦	
٣٢١	أوجه من أهوى بدا مشرقا	النهارِ	سريع	١٠	
٣٢٣	زها منظرا نبت هذا العذار	الجلناري	متقارب	١٠	
٣٢٣	حجبوك عم مقل الأنام مخافة	البتارِ	كامل	٤	تشطير
٤١٢	إلى كم أنت تحرقني	أستاري	مجزوء الوافر	٢	
٤١٢	يا ناقضا عهد المودة بيننا	نفارِ	كامل	٦	
٤١٢	أما نظرت إلى الزمان وأهله	دارِه	كامل	٢	

٤٣٦	لئن جاذبت عطف الصبا نـــسمة الصبا	الشمائلُ	طويل	٢	
٤٣٦	يا سائلا متجاهلا	جهلُه	مجزوء الكامل	٢	
٢٠٢	إن فصل المادح أو أجملا	الأمثلا	سريع	١٢	
٢٠٢	كم أعاني الهوى صدودا ووصلا	سهلا	خفيف	٢٨	
٢٠٤	لقد جاد مولانا بـــها وتطولا	تفضلا	طويل	٤٠	
٢٠٧	تجلت بـــهاء فاجتليت جمالها	دلالَها	طويل	٢٥	
٢٢٦	هذه الدار فما أسمى وأعلى	أغلى	مديد	١٥	
٢٧٧	ما ادكار لـــمن نأى	رحلَ	مجزوء الخفيف	٥٨	
٢٨٣	وبغية لم أزل أرعى الزمان لها	تنوّلُها	بسيط	١٤	
٢٩٨	هل ظننتم بأن تكون العلا له	الحثالَة	خفيف	٢٠	
٣٣٨	بروحي من أفديه بروحي	له	وافر	١٠	
٤٣٥	إن المروءات لفي أهلها	المسألَة	سريع	٢	
٤٣٥	وجدتـــها أرملة لم تمل	تقبلَه	سريع	٥	
٤٤٤	لو خلت سرج مطهمٍ إكليلا	إكليلا	كامل	١٥	
٦٠	أزل ردن الرعونة بالتخلي	التجلّي	وافر	٢٢	
٨١	هل لهذا البعد من أجل	الأجلِ	مديد	٢٥	
٨٢	دعـــوني إلى الـــسلوى العـــواذل بالعذلِ	شغلِ	طويل	١٢	
٨٥	يا أخا الود دع مرام التسلّي	التملّي	خفيف	٢	تخميس
١٣٣	هذا حمى الحبر ابن عم الرسول	الوصولِ	سريع	١٧	

الصفحة	البيت	القافية	البحر	العدد
٤٤٠	أعقود تنظمت أم لآل	حسنا	مديد	١٧
٤٤١	لبيلتنا للقا موعد	المنى	متقارب	٢
٤٤٢	غبتم عني شهرا وسنة	وسنَه	رمل	٢
٤٤٢	كلكم يحمد ذا العام	عاملَنا	رمل	٢
٤٤٢	أجدك هل ساقتك سائمة النوى	مبينا	طويل	١٣
٤٤٩	منحتني منك بالإخلاص إحسانا	ميزانا	بسيط	١٠
٤٥٠	ملكت بكل حسنى بعض قلبي	حسنا	وافر	٢
٤٥٠	طلابك بعد كل الحسن حسنا	حسنى	وافر	٣
٦٣	كفاني من زماني ما عناني	أعاني	وافر	١٧
٨٩	كم لليلى من عاشق مفتون	محزونِ	خفيف	٢٨
٢١٨	أعربت في هديلها عن شجوني	لحوني	خفيف	٥٥
٢٥٣	حال دون المرام منك أمور	منها	خفيف	٤
٢٦٨	أحسنت صنعا يا حسن	الحسنِ	كامل	١٦
٢٩٦	وذي ظنن ظننت به جميلا	ظنِّي	وافر	٦
٢٩٦	سمح الدهر بالمنى للعوين	اليمينِ	خفيف	٣٥
٣٣٧	فصوص فيروزج صـــيغت علـــى ذهب	عقيانِ	بسيط	١٢
٤٤١	يا أيها الصاحب المدلي إليه بما	الزمنِ	طويل	٣
٤٤١	فيا ليت شعري أن أفوز بنظرة	زماني	طويل	٢
٤٤١	إذا شئت إعراب نظم الكلام	مستحسنِه	متقارب	٢
٤٤١	أيها الطيف أنت أدرى بشوقي	منِّي	مديد	٢
٤٤٢	لم أغض الطرف إلا خشية	عيني	رمل	٢

٦٧	خليليّ ما أوهى عـــرى صـــحبة الدنيا	بقيا	طويل	١٥	
٩٣	خطرت في غلالة سندسية	سمهريَّة	خفيف	٢١	
٤٢	إذا شئت أن تحيا سعيدا موفقا	كاسيا	طويل	٢	تخميس
١٢٧	لعمرك ما عمرت إلا المعاليا	مبانيا	طويل	٤٣	
٣٠٢	لقد عظمت ببلدتنا البلية	البريَّة	وافر	١٠٤	
٤٤٥	وراح يشق نحر البيد شقا	السبايا	وافر	٩	
٤٤٦	يا صاحبي استغفرا ربكم	استسقيا	سريع	٢	
٤٤٦	أبى الله أن أنقاد للوم طائعا	ساليا	طويل	٢٠	
٤٤٧	أوانيك التي ملئت سبايا	سبايا	وافر	٨	
٤٤٥	مولاي لي من حظ اسم محمد	عليِّ	كامل	٣	

فهرس الرجز

فهرس الإشعار التي ليست للشاعر

الصفحة	صدر المطلع	القافية	البحر	عدد الأبيات	اسم الشاعر
٣٩٥	يا معشر العشاق هبوا غيرة	الربربِ	كامل	١٠	للعيدروس
٢٦٩	ولما رأوني بالعيون تغامزوا	تزيّدا	طويل	٢	غير معروف
٢٥٩	ومجدولة مثل صدر القنا	مكتسي	متقارب	٦	لابن ظافر
١٧٩	أدر من سلاف اللفظ كأسا لمحتسي	كنّسِ	طويل	١١	ابراهيم بن محمد الأمير
٤٥٦	حويت الفخار بجاه عريض	القريضِ	بسيط	٦	عثمان بن محمد بن سلمان البصري
٤٢٣	أهلا بأبيات الجمال الألمعي	المبدعِ	كامل	٥	للعيدروس
٤٥٠	كيف الوصول إلى سعاد ودونـــها	حتوفُ	كامل	٢	الشيخ حسين أبو عنبة
٤٤٩	قل للجمال أضعت عهد مودتي	الجفا	كامل	٣	زين العابدين الحطاب
٤٠١	وعدتم تبعثون بما نظمتم	نثرتم	وافر		محمد فضلي أفندي
٤٥٧	أيا ابن السراة الكرام العظام	الملامِ	متقارب	١٣	عثمان بن محمد بن سلمان البصري
٤٤٩	إني أقوم لرب الجاه يوم رجا	زانا	بسيط	٤	عمر حيدر

فهرس الموشح الفصيح

فهرس الموشح العامي

فهرس الشعر العامي